هذه فهرسة ما فى النصف الاول من كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف من الابواب والفصول المعرف جميعها فى ديباجة الكتاب وهى أربعة وثمانون بابا منها فى هذا النصف اثنان وأربعون كما هو موضوع بهذه الفهرسة المجعولة للاستدلال على أى باب من الابواب أو فصل من الفصول فى اى صحيفة من صحائف هذا النصف

(فهرسة النصف الاول من المستطرف)

صحيفة

٦ الباب الاول فى مبانى الاسلام وفيه خمسة فصول
٦ الفصل الاول فى الاخلاص لله تعالى والثناء عليه
٧ الفصل الثانى فى الصلاة وفضلها
١٠ الفصل الثالث فى الزكاة وفضلها
١٣ الفصل الرابع فى الصوم وفضله الخ
١٤ الفصل الخامس فى الحج وفضله
١٥ الباب الثانى فى العقل والذكاء والحمق وذمه وغير ذلك
٢٠ الباب الثالث فى القرآن وفضله الخ
٢٣ الباب الرابع فى العلم والادب وفضل العالم والمتعلم
٢٩ الباب الخامس فى الآداب والحكم وما اشبه ذلك
٣٣ الباب السادس فى الامثال السائرة وفيه فصول
٣٣ الفصل الاول فيما جاء من ذلك فى القرآن العظيم واحاديث النبى الكريم
٣٤ الفصل الثانى فى امثال العرب
٣٥ الفصل الثالث فى أمثال العامة والمولدين
٣٦ الفصل الرابع فى الامثال من الشعر المنظوم الخ
٤٢ الفصل الخامس فى الامثال السائرة بين الرجال والنساء الخ
٥٠ الباب السابع فى البيان والبلاغة والفصاحة الخ وفيه فصول
٥٠ الفصل الاول فى البيان والبلاغة
٥١ الفصل الثانى فى الفصاحة
٥٨ الفصل الثالث فى ذكر الفصحاء من الرجال
٦٧ ذكر فصحاء النساء وحكاياتهن
٧١ الباب الثامن فى الاجوبة المسكتة والمستحسنة الخ
٧٤ الباب التاسع فى ذكر الخطب والخطباء الخ
٧٥ فصل فى ذكر الشعر والشعراء وسرقاتهم
٨٠ الباب العاشر فى التوكل على الله تعالى الخ وفيه فصول
٨٠ الفصل الاول فى التوكل على الله تعالى
٨٤ الفصل الثانى فى القناعة والرضا بما قسم الله تعالى
٨٨ الفصل الثالث فى ذم الحرص والطمع وطول الامل
٩٠ الباب الحادى عشر فى المشورة والنصيحة والتجارب والنظر فى العواقب
٩٥ الباب الثانى عشر فى الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وما اشبه ذلك
١٠٠ الباب الثالث عشر فى الصمت وصون اللسان الخ وفيه فصول

صحيفة

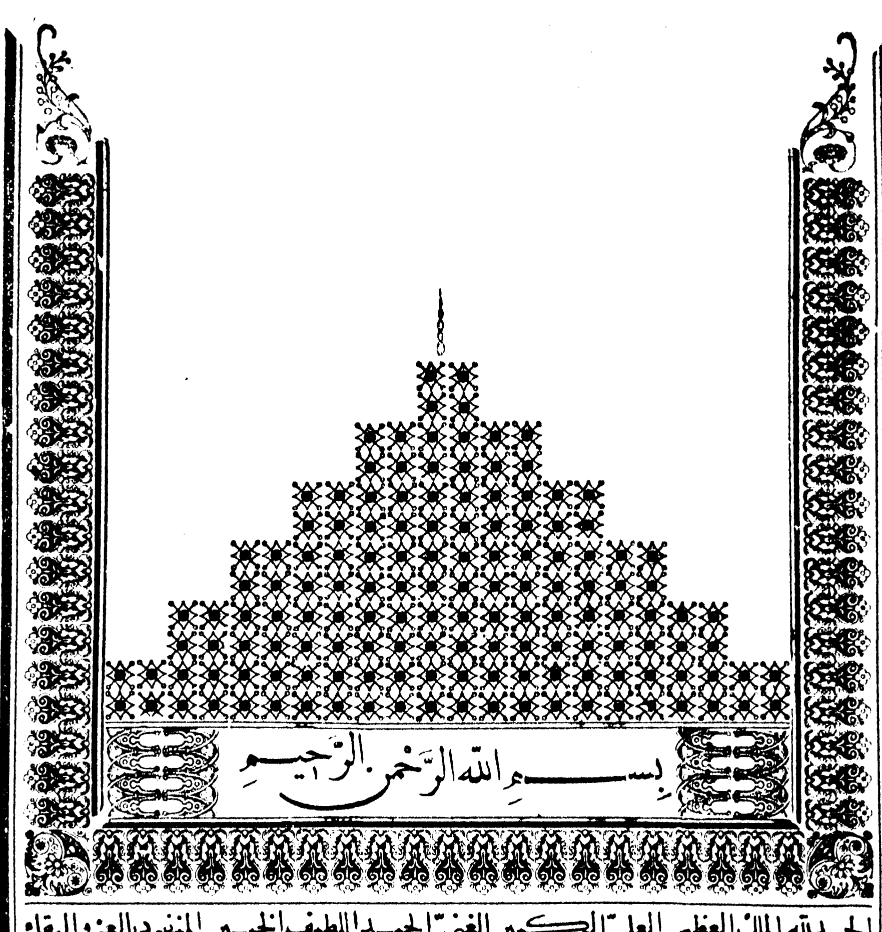
١٠٠ الفصل الاول فى الصمت وصون اللسان
١٠٢ الفصل الثانى فى تحريم الغيبة
١٠٣ الفصل الثالث فى تحريم السعاية بالنميمة
١٠٧ الباب الرابع عشر فى الملك والسلطان الخ
١٠٩ الباب الخامس عشر فيما يجب على من صحب السلطان والتحذير من صحبته
١١١ الباب السادس عشر فى ذكر الوزراء وصفاتهم واحوالهم وما أشبه ذلك
١١٣ الباب السابع عشر فى ذكر الحجاب والولاية ومافيهما من الغرر والخطر
١١٨ الباب الثامن عشر فيما جاء فى القضاء الخ وفيه فصول
١١٨ الفصل الاول فيما جاء فى القضاء وذكر القضاة واحوالهم ومايجب عليهم
١٢٠ الفصل الثانى فى الرشوة والهدية على الحكم وماجاء فى الديون
١٢٢ الفصل الثالث فى ذكر القصاص والمتصوفة وماجاء فى الرياء ونحو ذلك
١٢٣ الباب التاسع عشر فى العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك
١٢٦ الباب العشرون فى الظلم وشؤمه وسوء عواقبه الخ
١٣١ الباب الحادى والعشرون فى بيان الشروط التى تؤخذ على العمال الخ وفيه فصلان
١٣١ الفصل الاول فى سيرة السلطان فى استجباء الخراج الخ
١٣٤ الفصل الثانى فى احكام أهل الذمة
١٣٦ الباب الثانى والعشرون فى اصطناع المعروف واغاثة الملهوف الخ
١٣٩ الباب الثالث والعشرون فى محاسن الاخلاق ومساويها
١٤٣ الباب الرابع والعشرون فى حسن المعاشرة والمودة والاخوة والزيارة وما أشبه ذلك
١٥١ الباب الخامس والعشرون فى الشفقة على خلق الله تعالى الخ وفيه فصلان
١٥١ الفصل الاول فى الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم
١٥٢ الفصل الثانى فى الشفاعة واصلاح ذات البين
١٥٣ الباب السادس والعشرون فى الحياء والتواضع الخ وفيه فصلان
١٥٤ الفصل الاول فى الحياء
١٥٤ الفصل الثانى فى التواضع ولين الجانب وخفض الجناح
١٥٥ الباب السابع والعشرون فى العجب والكبر والخيلاء وما أشبه ذلك
١٥٦ الباب الثامن والعشرون فى الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت
١٦٢ الباب التاسع والعشرون فى الشرف والسودد وعلو الهمة
١٦٤ الباب الثلاثون فى الخير والصلاح الخ
١٧٥ الباب الحادى والثلاثون فى مناقب الصالحين وكرامات الاولياء رضى الله عنهم
١٨٠ الباب الثانى والثلاثون فى ذكر الاشرار والفجار الخ

صحيفة

١٨٧	الباب الثالث والثلاثون فى الجود والسخاء والكرم الخ
٢٠٤	الباب الرابع والثلاثون فى البخل والشح وذكر البخلاء الخ
٢١٠	الباب الخامس والثلاثون فى الطعام وآدابه والضيافة الخ
٢٢٢	الباب السادس والثلاثون فى العفو والحلم والصفح الخ
٢٣٤	الباب السابع والثلاثون فى الوفاء بالوعد وحفظ العهد ورعاية الذمم
٢٤٤	الباب الثامن والثلاثون فى كتمان السر وتحصينه وذم افشائه
٢٤٦	الباب التاسع والثلاثون فى الغدر والخيانة الخ وفيه فصول
٢٤٦	الفصل الاول فى الغدر والخيانة
٢٤٩	الفصل الثانى فى السرقة والسراق
٢٥٠	الفصل الثالث فيما جاء فى العداوة والبغضاء
٢٥٢	الفصل الرابع فى الحسد
٢٥٤	الباب الاربعون فى الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها الخ وفيه فصلان
٢٥٤	الفصل الاول فى فضل الجهاد فى سبيل الله وشدة البأس
٢٥٥	الفصل الثانى فى الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها
٢٦٠	الباب الحادى والاربعون فى ذكر أسماء الشجعان وذكر الابطال وطبقاتهم الخ
٢٧٠	الباب الثانى والاربعون فى المدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة وفيه فصول
٢٧٠	الفصل الاول فى المدح والثناء
٢٧٨	الفصل الثانى فى شكر النعمة
٢٨١	الفصل الثالث فى المكافأة

تمت

الجزء الاول من كتاب المستطرف فى كل
فن مستظرف تاليف الامام
الاوحد العالم العلامة اللوذعى
الفهامة الشيخ شهاب الدين
أحمد الابشيهى تغمده
الله بالرحمة
والرضوان
آمين



الحمد لله الملك العظيم العلي الكبير الغني الحميد اللطيف الخبير المنفرد بالعز والبقاء والارادة والتدبير الحي العليم الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير أحمده حمد عبد معترف بالعجز والتقصير وأشكره على ما أعان عليه من قصد ويسر من عسير وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا مشير ولا ظهير له ولا وزير وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله البشير النذير السراج المنير المبعوث الى كافة الخلق من غني وفقير ومأمور وأمير صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه صلاة يفوز قائلها من الله بمغفرة وأجر كبير وينجو بها في الآخرة من عذاب السعير وحسبنا الله ونعم الوكيل فنعم المولى ونعم النصير (أما بعد) فقد رأيت جماعة من ذوي الهمم جمعوا أشياء كثيرة من الآداب والمواعظ والحكم وبسطوا مجلدات في التواريخ والنوادر والاخبار والحكايات واللطائف ورقائق الاشعار وألفوا في ذلك كتبا كثيرة وتفرد كل منها بفرائد فوائد لم تكن في غيره من الكتب محصورة فاستخرت الله تعالى وجمعت من مجموعها هذا المجموع اللطيف وجعلته مشتملا على كل فن ظريف وسميته المستطرف في كل فن مستظرف واستدللت فيه بآيات كثيرة من القرآن العظيم وأحاديث صحيحة من أحاديث النبي الكريم وطرزته بحكايات حسنة عن الصالحين الاخيار ونقلت فيه كثيرا مما أودعه الزمخشري في كتابه ربيع الابرار وكثيرا مما نقله ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد ورجوت أن يجد

مطالعه فيه كل مايقصد ويريد وجمعت فيه لطائف وظرائف عديدة من منتخبات الكتب النفيسة المفيدة وأودعته من الاحاديث النبوية والامثال الشعرية والالفاظ اللغوية والحكايات الجدية والنوادر الهزلية ومن الغرائب والدقائق والاشعار والرقائق ماتشنف بذكره الاسماع وتقر برؤيته العيون وينشرح بمطالعته كل قلب محزون (شعر)

من كل معنى يكاد الميت يفهمه * حسنا ويعشقه القرطاس والقلم

وجعلته يشتمل على أربعة وثمانين بابا من أحسن الفنون متوجة بالفاظ كأنها الدر المكنون كما قال بعضهم شعرا في المعنى

فني كل باب منه در مؤلف * كنظم عقود زينتها الجواهر

فان نظم العقد الذي فيه جوهر * على غيرتاليف فما الدر فاخر

وضمنته كل لطيفة ونظمته بكل ظريفة وقرنت الاصول فيه بالفصول ورجوت أن يتيسرلى مارمته من الوصول وجعلت أبوابه مقدمة وفصلتها في مواضعها مرتبة منظمة ليقصد الطالب الى كل باب منها عند الاحتياج اليه ويعرف مكانه بالاستدلال عليه فيجد كل معنى في بابه ان شاء الله تعالى والله المسؤل في تيسير المطلوب وان يلهم الناظر فيه ستر مايراه من خلل وعيوب انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير وهذه فهرسة الكتاب والله المهون للصعاب (الباب الاول) في مباني الاسلام وفيه خمسة فصول (الباب الثاني) في العقل والذكاء والحمق والذم وغير ذلك (الباب الثالث) في القرآن العظيم وفضله وحرمته وما اعد الله تعالى لقارئه من الثواب العظيم والاجر الجسيم (الباب الرابع) في العلم والادب وفضل العالم والمتعلم (الباب الخامس) في الآداب والحكم وما أشبه ذلك (الباب السادس) في الامثال السائرة وفيه فصول (الباب السابع) في البيان والبلاغة والفصاحة وذكر الفصحاء من الرجال والنساء وفيه فصول (الباب الثامن) في الاجوبة المسكتة والمستحسنة ورشقات اللسان وماجرى مجرى ذلك (الباب التاسع) في ذكر الخطب والخطباء والشعراء وسرقاتهم وكبوات الجياد وهفوات الامجاد (الباب العاشر) في التوكل على الله تعالى والرضا بماقسم والقناعة وذم الحرص والطمع وما أشبه ذلك وفيه فصول (الباب الحادي عشر) في المشورة والنصيحة والتجارب والنظر في العواقب (الباب الثاني عشر) في الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وماأشبه ذلك (الباب الثالث عشر) في الصمت وصون اللسان والنهي عن الغيبة والسعي بالنميمة ومدح العزلة وذم الشهرة وفيه فصول (الباب الرابع عشر) في الملك والسلطان وطاعة ولاة أمور الاسلام ومايجب للسلطان على الرعية ومايجب لهم عليه (الباب الخامس عشر) فيما يجب على من صحب السلطان والتحذير من صحبته (الباب السادس عشر) في الوزراء وصفاتهم وأحوالهم وماأشبه ذلك (الباب السابع عشر) في ذكر الحجاب والولاية ومافيهما من الغرور والخطر (الباب الثامن عشر) فيما جاء في القضاء وذكر القضاة وقبول الرشوة والهدية على الحكم ومايتعلق بالديون وذكر القصاص والمتصوفة وفيه فصول (الباب التاسع عشر) في العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك

(الباب العشرون) فى الظلم وشؤمه وسوء عواقبه وذكر الظلمة وأحوالهم وغير ذلك (الباب الحادى والعشرون) فى بيان الشروط التى تؤخذ على العمال وسيرة السلطان فى استجباء الخراج وأحكام أهل الذمة وفيه فصلان (الباب الثانى والعشرون) فى اصطناع المعروف واغاثة الملهوف وقضاء الحوائج للمسلمين وادخال السرور عليهم (الباب الثالث والعشرون) فى محاسن الاخلاق ومساويها (الباب الرابع والعشرون) فى حسن المعاشرة والمودة والاخوة والزيارة وما اشبه ذلك (الباب الخامس والعشرون) فى الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم وفضل الشفاعة واصلاح ذات البين وفيه فصلان (الباب السادس والعشرون) فى الحياء والتواضع ولين الجانب وخفض الجناح وفيه فصلان (الباب السابع والعشرون) فى العجب والكبر والخيلاء وما اشبه ذلك (الباب الثامن والعشرون) فى الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت (الباب التاسع والعشرون) فى الشرف والسودد وعلو الهمة (الباب الثلاثون) فى الخير والصلاح وذكر السادة الصحابة وذكر الاولياء والصالحين رضى الله عنهم أجمعين (الباب الحادى والثلاثون) فى مناقب الصالحين وكرامات الاولياء رضى الله عنهم (الباب الثانى والثلاثون) فى ذكر الاشرار والفجار وما يرتكبون من الفواحش والوقاحة والسفاهة (الباب الثالث والثلاثون) فى الجود والسخاء والكرم ومكارم الاخلاق واصطناع المعروف وذكر الامجاد وأحاديث الاجواد (الباب الرابع والثلاثون) فى البخل والشح وذكر البخلاء وأخبارهم وما جاء عنهم (الباب الخامس والثلاثون) فى الطعام وآدابه والضيافة وآداب المضيف والضيف وأخبار الاكلة وما جاء عنهم وغير ذلك (الباب السادس والثلاثون) فى العفو والحلم والصفح وكظم الغيظ والاعتذار وقبول المعذرة والعتاب وما اشبه ذلك (الباب السابع والثلاثون) فى الوفاء بالوعد وحسن العهد ورعاية الذمم (الباب الثامن والثلاثون) فى كتمان السر وتحصينه وذم افشائه (الباب التاسع والثلاثون) فى الغدر والخيانة والسرقة والعداوة والبغضاء والحسد وفيه فصول (الباب الاربعون) فى الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها وفضل الجهاد وشدة البأس والتحريض على القتال وفيه فصول (الباب الحادى والاربعون) فى ذكر أسماء الشجعان وذكر الابطال وطبقاتهم وأخبارهم وذكر الجبناء وأخبارهم وذم الجبن (الباب الثانى والاربعون) فى المدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة وفيه فصول (الباب الثالث والاربعون) فى الهجاء ومقدماته (الباب الرابع والاربعون) فى الصدق والكذب وفيه فصلان (الباب الخامس والاربعون) فى بر الوالدين وذم العقوق وذكر الاولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقرابات وذكر الانساب وفيه فصول (الباب السادس والاربعون) فى الخلق وصفاتهم وأحوالهم وذكر الحسن والقبح والطول والقصر والالوان واللباس وما اشبه ذلك (الباب السابع والاربعون) فى ذكر الحلى والمصوغ والطيب والتطيب وما جاء فى التختم (الباب الثامن والاربعون) فى الشباب والشيب والصحة والعافية وأخبار المعمرين وما اشبه ذلك وفيه فصول (الباب التاسع والاربعون) فى الاسماء والكنى والالقاب وما استحسن

منها

منها (الباب الخمسون) فى الاسفار والاغتراب وماقيل فى الوداع والفراق والحث على ترك الاقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنين الى الاوطان (الباب الحادى والخمسون) فى ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه (الباب الثانى والخمسون) فى ذكر الفقر ومدحه (الباب الثالث والخمسون) فى ذكر التلطف فى السؤال وذكر من سئل فجاد (الباب الرابع والخمسون) فى ذكر الهدايا والتحف وماأشبه ذلك (الباب الخامس والخمسون) فى العمل والكسب والصناعات والحرف والعجز والتوانى وماأشبه ذلك (الباب السادس والخمسون) فى شكوى الزمان وانقلابه بأهله والصبر على المكاره والتسلى عن نوائب الدهر وفيه ثلاثة فصول (الباب السابع والخمسون) فيما جاء فى اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والسرور بعد الحزن ونحو ذلك (الباب الثامن والخمسون) فى ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان (الباب التاسع والخمسون) فى أخبار العرب وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب أمرهم (الباب الستون) فى الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفأل والطيرة والفراسة والنوم والرؤيا (الباب الحادى والستون) فى الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر ونحو ذلك (الباب الثانى والستون) فى ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات مرتبا على حروف المعجم (الباب الثالث والستون) فى ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم (الباب الرابع والستون) فى خلق الجان وصفاتهم (الباب الخامس والستون) فى ذكر البحار ومافيها من العجائب وذكر الانهار والآبار وفيه فصول (الباب السادس والستون) فى ذكر عجائب الارض ومافيها من الجبال والبلدان وغرائب البنيان وفيه فصول (الباب السابع والستون) فى ذكر المعادن والاحجار وخواصها (الباب الثامن والستون) فى الاصوات والالحان وذكر الغناء واختلاف الناس ومن كرهه واستحسنه (الباب التاسع والستون) فى ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم ونوادر الجلساء فى مجالس الخلفاء (الباب السبعون) فى ذكر القينات والاغانى (الباب الحادى والسبعون) فى ذكر العشق ومن بلى به والافتخار به والعفاف وأخبار من مات بالعشق ومافى معنى ذلك وفيه فصول (الباب الثانى والسبعون) فى ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت وكان وكان والموشحات والزجل والقومة والالغاز ومدح الاسماء والصفات وفيه فصول (الباب الثالث والسبعون) فى ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن وطلاقهن ومايمدح ومايذم من عشرتهن وفيه فصول (الباب الرابع والسبعون) فى ذم الخمر وتحريمها والنهى عنها (الباب الخامس والسبعون) فى المزاح والنهى عنه وماجاء فى الترخيص فيه والبسط والتنعم وفيه فصول (الباب السادس والسبعون) فى النوادر والحكايات وفيه فصول (الباب السابع والسبعون) فى الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصول (الباب الثامن والسبعون) فى القضاء والقدر وأحكامهما والتوكل على الله (الباب التاسع والسبعون) فى التوبة وشروطها والندم والاستغفار (الباب الثمانون) فى ذكر الامراض والعلل والطب والدواء من السنة والعيادة وثوابها وماأشبه ذلك وفيه فصول (الباب الحادى والثمانون) فى ذكر الموت ومايتصل به من القبر وأحواله

(الباب الثانى والثمانون) فى الصبر والتأسى والتعازى والمراثى ونحو ذلك وفيه فصول (الباب الثالث والثمانون) فى ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها ونحو ذلك (الباب الرابع والثمانون) فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وهو آخر الابواب ختمتها بالصلاة على سيد العباد أرجو بذلك شفاعته يوم المعاد

(الباب الاول فى مبانى الاسلام وفيه خمسة فصول)

(الفصل الاول) فى الاخلاص لله تعالى والثناء عليه وهو أن تعلم أن الله تعالى واحد لاشريك له فرد لامثل له صمد لاندله ازلى قائم ابدى دائم لاأول لوجوده ولا آخر لابديته قيوم لايفنيه الابد ولايغيره الامد بل هو الاول والآخر والظاهر والباطن منزه عن الجسمية ليس كمثله شئ وهو فوق كل شئ فوقيته لاتزيده بعدا عن عباده وهو أقرب الى العبيد من حبل الوريد وهو على كل شئ شهيد وهو معكم اينما كنتم لايشابه قربه قرب الاجسام كمالايشابه ذاته ذوات الاجرام منزه عن أن يحده زمان مقدس عن أن يحيط به مكان تراه أبصار الابرار فى دار القرار على مادلت عليه الآيات والاخبار حى قادر جبار قاهر لايعتريه عجز ولاقصور ولاتأخذه سنة ولانوم له الملك والملكوت والعزة والجبروت خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لاتحصى مقدوراته ولاتتناهى معلوماته عالم بجميع المعلومات لايعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولافى السموات يعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وخفيات السرائر مريد للكائنات مدبر للحادثات لايجرى فى ملكه قليل ولا كثير جليل ولاحقير خيراً وشر نفع أوضر الابقضائه وقدره وحكمه ومشيئته فماشاء كان ومالم يشألم يكن فهو المبدئ المعيد الفاعل لمايريد لامعقب لحكمه ولاراد لقضائه ولامهرب لعبد عن معصيته الابتوفيقه ورحمته ولاقوة له على طاعته الابمحبته وارادته لواجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا فى العالم ذرة أويسكنوها دون ارادته لعجزوا سميع بصير متكلم بكلام لايشبه كلام خلقه وكل ماسواه سبحانه وتعالى فهو حادث أوجده بقدرته ومامن حركة وسكون الاوله فى ذلك حكمة دالة على وحدانيته قال الله تعالى ان فى خلق السموات والارض الآية وقال ابوالعتاهية

فياعجبا كيف يعصى الاله * أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شئ له آية * تدل على انه الواحد
ولله فى كل تحريكة * وتسكينة فى الورى شاهد

وقال غيره

كل ماترتقى اليه بوهم * من جلال وقدرة وسناء
فالذى أبدع البرية أعلى * منه سبحان مبدع الاشياء

وقال على رضى الله عنه فى بعض وصاياه لولده اعلم يابنى انه لوكان لربك شريك لاتتك رسله ولرايت آثار ملكه وسلطانه واعرفت أفعاله وصفاته ولكنه اله واحد لايضاده فى ملكه أحد وعنه عليه الصلاة والسلام كل ماتوهم فى الاذهان فالله سبحانه بخلافه وقال لبيد

ابن ربيعة

ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل
وكل ابن انثى لو تطاول عمره * الى الغاية القصوى فللقبر آيل
وكل أناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل
وكل امرئ يوما سيعرف سعيه * اذا حصلت عند الاله الحصائل

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ان اشعر كلمة قالتها العرب * ألا كل شيء ما خلا الله باطل ثم بعد هذا الاعتقاد الاقرار بالشهادة بأن محمدا رسول الله بعثه برسالته الى الخلائق كافة وجعله خاتم الانبياء ونسخ بشريعته الشرائع وجعله سيد البشر والشفيع المشفع فى المحشر وجب على الخلق تصديقه فيما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة فلا يصح ايمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت من سؤال منكر ونكير وهما ملكان من ملائكة الله تعالى يسألان العبد فى قبره عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك ويؤمن بعذاب القبر وأنه حق وأن الميزان حق والصراط حق والحساب حق وأن الجنة حق والنار حق وأن الله تعالى يدخل الجنة من يشاء بغير حساب وهم المقربون وأنه يخرج عصاة الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى فى جهنم من فى قلبه مثقال ذرة من الايمان ويؤمن بشفاعة الانبياء ثم بشفاعة العلماء ثم بشفاعة الشهداء وأن يعتقد فضل الصحابة رضى الله عنهم ويحسن الظن بجميعهم على ما وردت به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك مؤمنا به موقنا فهو من أهل الحق والسنة مفارق لعصابة الضلال والبدعة رزقنا الله الثبات على هذه العقيدة وجعلنا من أهلها ووفقنا للدوام الى الممات على التمسك والاعتصام بحبلها انه سميع مجيب فهذه العقيدة قد اشتملت على احد أركان الاسلام الخمسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا

(الفصل الثانى) فى الصلاة وفضلها قال الله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين وقال تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واختلفوا فى اشتقاق اسم الصلاة مم هو فقيل هو من الدعاء وتسمية الصلاة دعاء معروفة فى كلام العرب فسميت الصلاة صلاة لما فيها من الدعاء وقيل سميت بذلك من الرحمة قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى فهى من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ومن الناس دعاء قال صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبى أوفى أى ارحمهم وقيل سميت بذلك من الاستقامة من قولهم صليت العود على النار اذا قومته والصلاة تقيم العبد على طاعة الله وخدمته وتنهاه عن خلافه قال الله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل لانها صلة بين العبد وربه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال علم الايمان الصلاة فمن فرغ لها قلبه وحافظ عليها بحدودها فهو مؤمن وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال وهو على المنبر ان الرجل ليشيب

عارضا في الاسلام وما أكمل الله تعالى صلاة قبل وكيف ذلك قال لا يتم ركوعها وسجودها وخشوعها وتواضعه واقباله على الله فيها وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه وقيل للحسن ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره * وقال بعضهم لا تفوت احدا صلاة في جماعة الا بذنب وكانت رابعة العدوية تصلي في اليوم والليلة ألف ركعة وتقول والله ما أريد بها ثوابا ولكن ليسر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول للانبياء عليهم الصلاة والسلام انظروا الى امرأة من امتي هذا عملها في اليوم والليلة وقال بعضهم صليت خلف ذي النون المصري فلما اراد أن يكبر رفع يديه وقال الله ثم بهت وبقي كأنه جسد لا روح فيه اعظاما لربه جل وعلا ثم قال الله أكبر فظننت أن قلبي انخلع من هيبة تكبيره وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود كذب من ادعى محبتي واذا جن عليه الليل نام عني أليس كل محب يحب الخلوة بحبيبه ولعبد الله بن المبارك رضي الله تعالى عنه

اذا ما الليل أظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع
اطار الخوف نومهم فقاموا * وأهل الامن في الدنيا هجوع

وكان سيدي الشيخ الامام العلامة فتح الدين بن أمين الدين الحكم النحريري رحمه الله كثيرا ما يتمثل بهذه الابيات

يا أيها الراقد كم ترقد * قم يا حبيبي قد دنا الموعد
وخذ من الليل ولو ساعة * تحظى اذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضي ليله * لم يبلغ المنزل لو يجهد

وكان سيدي أويس القرني لا ينام ليله ويقول ما بال الملائكة لا يفترون ونحن نفتر وقال حذيفة رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وقال هشام بن عروة كان أبي يطيل المكتوبة ويقول هي رأس المال وقال أبو الطفيل سمعت أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يقول يا أيها الناس قوموا الى نيرانكم فاطفؤها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر وجزأ محمد بن المنكدر عليه وعلى أمه وعلى أخته الليل أثلاثا فماتت أخته فجزأه عليه وعلى أمه فماتت أمه فقام الليل كله وكان مسلم بن بشار اذا أراد أن يصلي في بيته يقول لاهله تحدثوا فلست اسمع حديثكم وكان اذا دخل البيت سكت أهله فلا يسمع لهم كلام فاذا قام الى الصلاة تحدثوا وضحكوا ووقع حريق الى جنبه وهو في الصلاة فما شعر به حتى أطفئ وكان الحمام يقع على رأس ابن الزبير في المسجد الحرام يحسبه جذعا منصوبا لطول انتصابه في الصلاة وكانت العصافير تقع على ظهر ابراهيم بن شريك وهو ساجد كما تقع على الحائط وختم القرآن في ركعة واحدة أربعة من الائمة عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير وأبو حنيفة رضي الله تعالى عنهم ورأى الاوزاعي شابا بين القبر والمنبر فلما طلع الفجر استلقى ثم قال عند الصباح يحمد القوم السرى فقال يا ابن أخي لك

ولاصحابك لا للجمالين وكان خلف بن أيوب لا يطرد الذباب عن وجهه فى الصلاة فقيل له كيف تصبر فقال بلغنى أن الفساق يتصبرون تحت السياط ليقال فلان صبور وأنا بين يدى ربى أفلا أصبر على ذباب يقع على وقال أبو صفوان بن عوانة مامن منظر أحسن من رجل عليه ثياب بيض وهو قائم يصلى فى القمر كأنه يشبه الملائكة وقال الحسن ما كان فى هذه الامة أعبد من فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تقوم بالاسحار حتى تورمت قدماها وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكانت دموعه تقع فى مصلاه كوكف المطر وكان ابراهيم الخليل عليه السلام يسمع لقلبه خفقان وغليان هذا خوف الحبيب والخليل مع ما أعطيا من الاجلال والاكرام وشرف المقام فالعجب كيف يطمئن قلب من أزعجته الآثام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل قال له ادع الله أن يجعلنى رفيقك فى الجنة فقال أعنى على نفسك بكثرة السجود وقال حاتم الاصم رحمه الله تعالى فاتتنى صلاة الجماعة مرة فعزانى أبو اسحق البخارى وحده ولو مات لى ولد لعزانى أكثر من عشرة آلاف لان مصيبة الدين عندهم اهون من مصيبة الدنيا وكان السلف رضى الله عنهم يعزون انفسهم ثلاثة ايام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى وسبعا اذا فاتتهم الجماعة وقال ابن عباس رضى الله عنهما ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه وأنشد بعضهم

خسر الذى ترك الصلاة وخابا * وأبى معادا صالحا ومآبا
ان كان يجحدها فحسبك أنه * اضحى بربك كافرا مرتابا
اوكان يتركها لنوع تكاسل * غطى على وجه الصواب حجابا
فالشافعى و مالك رأيا له * ان لم يتب حد الحسام عقابا
والرأى عندى للامام عذابه * بجميع تأديب يراه صوابا

اللهم أعنا على الصلاة وتقبلها منا بكرمك ولا تجعلنا من الغافلين برحمتك يا ارحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

ومما يستحسن الحاقه بهذا الفصل ذكر شىء من فضل السواك والاذان أما السواك فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتى لامرتهم بالسواك عند كل صلاة وقال ايضا صلاة على اثر سواك افضل من خمس وسبعين صلاة على غير سواك وقال حذيفة بن اليمان رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام ليتهجد شاص فاه بالسواك وقال صلى الله عليه وسلم السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لو يعلم الناس ما فى السواك لبات مع الرجل فى لحافه وقال ايضا أفواهكم طرق لكلام ربكم فنظفوها والاختيار فى السواك أن يكون بعود الاراك ويجزى بغيره من العيدان وبالسعد والاشنان والخرقة الخشنة وغير ذلك مما ينظف ويستاك عرضا مبتدئا بالجانب الايمن من فيه وينوى به الاتيان بالسنة والسواك بعود الزيتون يزيل الحفر من الاسنان وقال الاصحاب يقول عند السواك اللهم بارك لى فيه يا ارحم الراحمين ويستاك فى ظاهر الاسنان وباطنها ويمر

السواك على أطراف اسنانه وانمراسه وسقف حلقه امرارا لطيفا ويستاك بعود متوسط لاشديد اليبوسة ولاشديد اللين فان اشتد يبسه لينه بالماء وقد قيل ان من فضائل السواك انه يذكر الشهادة عند الموت ويسهل خروج الروح * وأما الاذان فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه قيل فى قوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا نزلت فى المؤذنين وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يغفر الله للمؤذن مدى صوته ويشهد له ما سمعه من رطب ويابس وعن معاوية رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة رواه مسلم وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا نودى للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين رواه البخارى ومسلم وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شئ الا شهد له يوم القيامة رواه البخارى والاحاديث فى فضله كثيرة مشهورة والله سبحانه وتعالى أعلم

(الفصل الثالث فى الزكاة وفضلها) قرن الله سبحانه وتعالى الزكاة بالصلاة فى مواضع شتى من كتابه قال الله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وقال تعالى ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة وعن بريدة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما حبس قوم الزكاة الا حبس الله عنهم القطر وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما خالطت الزكاة مالا قط الا اهلكته وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده ما يزكى ولم يزك ومن كان عنده ما يحج ولم يحج سأل الرجعة يعنى قوله تعالى رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت * ولنلحق بهذا الفصل ذكر شئ من الصدقة وفضلها وما جاء فيها وما أعد الله تعالى للمتصدقين من الاجر والثواب ودفع البلاء قال الله تعالى ان الله يجزى المتصدقين وقال تعالى والمتصدقين والمتصدقات والآيات الكريمة فى ذلك كثيرة والاحاديث الصحيحة فيه مشهورة وروى الترمذى فى جامعه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره وفى صحيح مسلم وموطا مالك وجامع الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة أو قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع عبد الا رفعه الله تعالى ودخلت امرأة شلاء على عائشة رضى الله عنها فقالت كان ابى يحب الصدقة وأمى تبغضها لم تتصدق فى عمرها الا بقطعة شحم وخلقة فرأيت فى المنام كأن القيامة قد قامت وكأن امى قد غطت عورتها بالخلقة وفى يدها الشحمة تلحسها من العطش فذهبت الى أبى وهو على حافة حوض يسقى الناس فطلبت منه قدحا من ماء فسقيت امى فنوديت من فوق ألا من سقاها فشل الله يدها فانتبهت كما ترين

ووقف سائل على امرأة وهى تتعشى فقامت فوضعت لقمة فى فيه ثم بكرت الى زوجها فى مزرعته فوضعت ولدها عنده وقامت لحاجة تريد قضاءها فاختلسه الذئب فوقفت وقالت يارب ولدى فأتاها آت فأخذ بعنق الذئب فاستخرجت ولدها من غير أذى ولا ضرر فقال لها هذه اللقمة بتلك اللقمة التى وضعتها فى فم السائل * وعشش ورشان فى شجرة فى دار رجل فلما همت أفراخه بالطيران زينت امرأة ذلك الرجل له أخذ أفراخ ذلك الورشان ففعل ذلك مرارا وكلما فرخ الورشان أخذوا أفراخه فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه السلام وقال يارسول الله أردت أن يكون لى أولاد يذكرون الله تعالى من بعدى فأخذها الرجل بأمر امرأته ثم أعاد الورشان الشكوى فقال سليمان لشيطانين اذا رأيتماه يصعد الشجرة فشقاه نصفين فلما أراد الرجل أن يصعد الشجرة اعترضه سائل فأطعمه كسرة من خبز شعير ثم صعد وأخذ الافراخ على عادته فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه السلام فقال للشيطانين ألم تفعلا ما أمرتكما به فقال اعترضنا ملكان فطرحانا فى الخافقين وقال النخعى كانوا يرون أن الرجل الظلوم اذا تصدق بشئ دفع عنه البلاء وكان الرجل يضع الصدقة فى يد الفقير ويتمثل قائما بين يديه ويسأله قبولها حتى يكون هو فى صورة السائل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وعنه صلى الله عليه وسلم قال ردوا صدمة البلاء ولو بمثل رأس الطائر من طعام وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ردوا مذمة السائل ولو بظلف محرق وعنه أيضا صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة وقال عيسى صلوات وسلامه عليه من رد سائلا خائبا لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يناول المسكين بيده وعنه صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يكسو مسلما ثوبا الا كان فى حفظ الله ما كانت عليه منه رقعة وقال عبد العزيز بن عمير الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وعن الربيع بن خيثم انه خرج فى ليلة شاتية وعليه برنس خز فرأى سائلا فأعطاه اياه وتلا قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد فى العمر الا البر وان سوء الخلق شؤم وحسن الملكة نماء والصدقة تدفع ميتة السوء وقال يحيى بن معاذ ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا الا من الصدقة وعن عمر رضى الله عنه ان الاعمال تباهت فقالت الصدقة أنا أفضلكن وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تداركوا الهموم والغموم بالصدقات يدفع الله ضركم وينصركم على عدوكم وعن عبيد بن عمير قال يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط فمن اطعم لله أشبعه الله ومن سقى لله سقاه الله ومن كسا لله كساه الله وقال الشعبى من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة أحوج من الفقير الى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه وكان الحسن بن صالح اذا جاءه سائل فان كان عنده ذهب أو فضة أو طعام أعطاه فان لم يكن عنده من ذلك شئ أعطاه دهنا أو غيره مما ينتفع به فان لم يكن عنده شئ أعطاه كحلا أو أخرج ابرة وخيطا فرقع بهما ثوب السائل ووجه رجل

ابنه فى تجارة فضت أشهر ولم يقع له على خبر فتصدق برغيفين وأرخ ذلك اليوم فلما كان بعد سنة رجع ابنه سالما بجاء فسأله أبوه هل أصابك فى سفرك بلاء قال نعم غرقت السفينة بنا فى وسط البحر وغرقت فى جملة الناس واذا بشابين أخذانى فطرحانى على الشط وقالا لى قل لوالدك هذا برغيفين فكيف لو تصدقت بأكثر من ذلك وقال على رضى الله عنه وكرم وجهه اذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك فيوافيك به حيث تحتاج اليه فاغتنم حمله اياه ولله در القائل حيث قال

يبكى على الذاهب من ماله * وانما يبقى الذى يذهب

(وحكى) أن رجلا عبد الله سبعين سنة فبينما هو فى معبده ذات ليلة اذ وقفت به امرأة جميلة فسألته أن يفتح لها وكانت ليلة شاتية فلم يلتفت اليها وأقبل على عبادته فولت المرأة فنظر اليها فأعجبته فملكت قلبه وسلبت لبه فترك العبادة وتبعها وقال الى اين فقالت الى حيث اريد فقال هيهات صار المراد مريدا والاحرار عبيدا ثم جذبها فأدخلها مكانه فأقامت عنده سبعة أيام فعند ذلك تفكر ما كان فيه من العبادة وكيف باع عبادة سبعين سنة بمعصية سبعة أيام فبكى حتى غشى عليه فلما أفاق قالت له ياهذا والله أنت ماعصيت الله مع غيرى وأنا ماعصيت الله مع غيرك وانى أرى فى وجهك أثر الصلاح فبالله عليك اذا صالحك مولاك فاذكرنى قال فخرج هائما على وجهه فآواه الليل الى خربة فيها عشرة عميان وكان بالقرب منهم راهب يبعث اليهم فى كل ليلة بعشرة أرغفة فجاء غلام الراهب على عادته بالخبز فمد ذلك الرجل العاصى يده فأخذ رغيفا فبقى منهم رجل لم يأخذ شيأ فقال اين رغيفى فقال الغلام قد فرقت عليكم العشرة فقال أبيت طاويا فبكى الرجل العاصى وناول الرغيف لصاحبه وقال لنفسه أنا أحق أن أبيت طاويا لانى عاص وهذا مطيع فنام واشتد به الجوع حتى أشرف على الهلاك فأمر الله تعالى ملك الموت بقبض روحه فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة هذا رجل فر من ذنبه وجاء طائعا وقالت ملائكة العذاب بل هو رجل عاص فأوحى الله تعالى اليهم أن زنوا عبادة السبعين سنة بمعصية السبع ليال فوزنوها فرجحت المعصية على عبادة السبعين سنة فأوحى الله اليهم أن زنوا معصية السبع ليال بالرغيف الذى آثر به على نفسه فوزنوا ذلك فرجح الرغيف فتوفته ملائكة الرحمة وقبل الله توبته (وحكى) أن رجلا جلس يوما يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج اليه وانتهره فذهب فاتفق بعد ذلك أن الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل آخر فجلس يأكل معها فى بعض الايام وبين أيديهما دجاجة مشوية واذا بسائل يطرق الباب فقال الرجل لزوجته ادفعى اليه هذه الدجاجة فخرجت بها اليه فاذا هو زوجها الاول فدفعت اليه الدجاجة ورجعت وهى باكية فسألها زوجها عن بكائها فأخبرته أن السائل كان زوجها وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذى انتهره زوجها الاول فقال لها زوجها أنا والله ذلك السائل وذكر عن مكحول أن رجلا أتى الى أبى هريرة رضى الله عنه فقال ادع الله لابنى فقد وقع فى نفسى الخوف من هلاكه فقال له ألا أدلك على ماهو أنفع من دعائى وأنجع وأسرع اجابة قال بلى قال تصدق عنه بصدقة تنوى بها نجاة ولدك

وسلامة

وسلامة مامعه فخرج الرجل من عنده وتصدق على سائل بدرهم وقال هذا خلاص ولدى وسلامته ومامعه فنادى فى تلك الساعة منادفى البحر ألا ان الفداء مقبول وزيد مغاث فلما قدم سأله أبوه عن حاله فقال ياأبت لقد رأيت فى البحر عجبا يوم كذا وكذا فى وقت كذا وكذا وهو اليوم الذى تصدق فيه والده عنه بالدرهم وذلك انا أشرفنا على الهلاك والتلف فسمعنا صوتا من الهواء ألا ان الفداء مقبول وزيد مغاث وجاءنا رجال عليهم ثياب بيض فقدموا السفينة الى جزيرة كانت بالقرب منا وسلمنا وصرنا بخير اجمعين * والآثار والحكايات فى ذلك كثيرة وفيما أشرت اليه كفاية لمن وعى وأن ليس للانسان الاماسعى والله أعلم

(الفصل الرابع فى الصوم وفضله وما أعد الله للصائم من الاجر والثواب) قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون قيل الصوم عموم وخصوص وخصوص الخصوص * فصوم العموم هو كف البطن والفرج وسائر الجوارح عن قصد الشهوة * وصوم الخصوص هو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام * وصوم خصوص الخصوص هو صوم القلب عن الهمم الدنية وكفه عما سوى الله بالكلية * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الجسد الصيام وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه وقال وكيع فى قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية انها ايام الصوم تركوا فيها الاكل والشرب وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أفطر يوما فى رمضان من غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر وروى فى صحيح النسائى عنه ايضا صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين وروى الزهرى أن تسبيحة واحدة فى شهر رمضان أفضل من ألف تسبيحة فى غيره وروى عن قتادة انه كان يقول من لم يغفر له فى شهر رمضان فلن يغفر له فى غيره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس مافى شهر رمضان من الخير لتمنت أمتى أن يكون رمضان السنة كلها ولو أذن الله للسموات والارض أن تتكلما لشهدتا لمن صام رمضان بالجنة وقال صلى الله عليه وسلم ليس من عبد يصلى فى ليلة من شهر رمضان الا كتب الله له بكل ركعة ألفا وخمسمائة حسنة وبنى له بيتا فى الجنة من ياقوتة حمراء لها سبعون ألف باب لكل باب منها مصراعان من ذهب وله بكل سجدة يسجدها شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل صائم دعوة فاذا أراد أن تقبل فليقل فى كل ليلة عند فطره ياواسع المغفرة اغفر لى وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه من صام يوما من رمضان خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه فاذا انسلخ عنه الشهر وهو حى لم يكتب عليه خطيئة حتى الحول ومن عطش نفسه لله فى يوم شديد الحر من أيام الدنيا كان حقا على الله أن يرويه يوم القيامة وقال بعضهم الصيام زكاة البدن ومن صام الدهر فقد وهب نفسه لله تعالى وروى فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن

ما اجتنبت الكبائر وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال صيام ثلاثة أيام من كل شهر كصيام الدهر وهى الايام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر وفى صحيح البخارى عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه * وفضل الصوم غزير لانه خصه الله تعالى بالاضافة اليه كما ثبت فى الصحيح من الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال مخبرا عن ربه عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به وقد يكتفى فى فضله بهذا الحديث الجليل وحسبنا الله ونعم الوكيل

(الفصل الخامس فى الحج وفضله) قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات اجرى الله له أجر الحاج والمعتمر الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع الحج ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وفى الحديث ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وفيه اعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له وهو أفضل يوم فى الدنيا وفى الخبر ان الحجر الاسود ياقوتة من يواقيت الجنة وانه يبعثه الله يوم القيامة وله عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وجاء فى الحديث الصحيح ان آدم عليه السلام لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام وقال مجاهد ان الحجاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا وكان من سنة السلف رضى الله عنهم أن يشيعوا الغزاة ويستقبلوا الحجاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء لهم ويبادروا ذلك قبل أن يتدنسوا بالا ثام وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا كملهم الله تعالى من الملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة فكل من حجها يتعلق بأستارها ويسعى حولها حتى تدخل الجنة فيدخل معها (وحكى) أن جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة أبى محمد ابن حمدان حجت سنة ست وثمانين وثلثمائة فصارت تاريخا مذكورا قيل انها سقت أهل الموسم كلهم السويق بالطبرزد والثلج واستصحبت البقول المزروعة فى المراكن على الجمال وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ولم تستصبح فيها وعندها الا بشموع العنبر وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتى جارية وأغنت الفقراء والمجاورين * ولما بنى آدم عليه السلام البيت قال يارب ان لكل عامل أجرا فما أجر عملى قال اذا طفت به غفرت لك ذنوبك قال زدنى قال جعلته قبلة لك ولا ولادك قال يارب زدنى قال أغفر لكل من استغفرنى من الطائفين به من أهل التوحيد من أولادك قال يارب حسبى * وفى الحديث الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وقيل للحسن ما الحج المبرور قال أن ترجع زاهدا فى الدنيا راغبا فى الا خرة * وأول من كسا الكعبة الديباج عبد الله بن الزبير وكانت كسوتها المسوح والانطاع وكان يطيبها حتى يوجد ريحها من خارج الحرم وكان حكيم بن حزام يقيم عشية عرفة مائة بدنة ومائة رقبة فيعتق الرقاب عشية عرفة وينحر البدن يوم النحر وكان يطوف بالبيت فيقول لا اله الا الله

وحده

وحده لا شريك له نعم الرب ونعم الاله أحبه وأخشاه وروى الحسن بن علي رضي الله عنهما يطوف بالبيت ثم صار الى المقام فصلى ركعتين ثم وضع خده على المقام فجعل يبكي ويقول عبيدك ببابك خويدمك ببابك سائلك ببابك مسيكينك ببابك يردد ذلك مرارا ثم انصرف رضي الله عنه فمر بمساكين معهم فلق خبز يأكلون فسلم عليهم فدعوه الى الطعام فجلس معهم وقال لولا انه صدقة لأكلت معكم ثم قال قوموا بنا الى منزلي فتوجهوا معه فأطعمهم وكساهم وأمر لهم بدراهم * وحج عبد الله بن جعفر رضي الله عنه ومعه ثلاثون راحلة وهو يمشي على رجليه حتى وقف بعرفات فأعتق ثلاثين مملوكا وحملهم على ثلاثين راحلة وأمر لهم بثلاثين ألفا وقال اعتقتهم لله تعالى لعله يعتقني من النار وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما اني لاستحي من ربي أن ألقاه ولم امش الى بيته فمشى من المدينة الى مكة عشرين مرة ومن لطيف ما انشد عمرو بن حبان الضرير حين لم يهد اليه الحجاج شيأ

كأن الحجيج الآن لم يقربوا منى * ولم يحملوا منها سواكا ولا نعلا
اتونا فما جادوا بعود اراكة * ولا وضعوا في كف طفل لنا نقلا

وقال غيره

يحجون بالمال الذي يجمعونه * حراما الى البيت العتيق المحرم
ويزعم كل منهمو أن وزره * يحط ولكن فوقه في جهنم

وقال آخر

حج في الدهر حجة * حج فيها وأحرما
وأتانا من الحجا * ز كما راح محرما
فهو ذو الحجة الذي * ما توفى محرما

وتخاصم بدوي مع حاج عند منصرف الناس فقيل له اتخاصم رجلا من الحجاج فقال

يحج لكيما يغفر الله ذنبه * ويرجع قد حطت عليه ذنوب

وقال ابو الشمقمق

اذا حججت بمال اصله دنس * فما حججت ولكن حجت العير
ما يقبل الله الا كل طيبة * ما كل من حج بيت الله مبرور

والله سبحانه وتعالى أعلم

(الباب الثاني في العقل والذكاء والحمق وذمه وغير ذلك)

نص الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز ومنزل خطابه الوجيز على شرف العقل وقد ضرب الله سبحانه وتعالى الامثال وأوضحها وبين بدائع مصنوعاته وشرحها فقال تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اول ما خلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال عز من قائل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أعز علي منك بك آخذ وبك أعطي وبك احاسب وبك اعاقب وقال أهل المعرفة والعلم العقل جوهر مضي*

خلقه الله عزوجل في الدماغ وجعل نوره في القلب يدرك به المعلومات بالوسايط والمحسوسات بالمشاهدة * واعلم أن العقل ينقسم الى قسمين قسم لا يقبل الزيادة والنقصان وقسم يقبلهما * فأما الاول فهو العقل الغريزي المشترك بين العقلاء * وأما الثاني فهو العقل التجريبي وهو مكتسب وتحصل زيادته بكثرة التجارب والوقائع وباعتبار هذه الحالة يقال ان الشيخ اكمل عقلا وأتم دراية وان صاحب التجارب أكثر فهما وأرجح معرفة ولهذا قيل من بيضت الحوادث سواد لمته وأخلقت التجارب لباس جدته وأراه الله تعالى لكثرة ممارسته تصاريف أقداره وأقضيته كان جديرا برزانة العقل ورجاحة الدراية وقد يخص الله تعالى بألطافه الخفية من يشاء من عباده فيفيض عليه من خزائن مواهبه رزانة عقل وزيادة معرفة تخرجه عن حد الاكتساب ويصير بها راجحا على ذوي التجارب والآداب ويدل على ذلك قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام فيما اخبر الله تعالى به في محكم كتابه العزيز حيث يقول وآتيناه الحكم صبيا فمن سبقت له سابقة من الله تعالى في قسم السعادة وأدركته عناية أزلية اشرقت على باطنه أنوار ملكوتية وهداية ربانية فاتصف بالذكاء والفطنة قلبه وأسفر عن وجه الاصابة ظنه وان كان حديث السن قليل التجربة كما نقل في قصة سليمان بن داود عليهما السلام وهو صبي حيث رد حكم أبيه داود عليه السلام في أمر الغنم والحرث وشرح ذلك فيما نقله المفسرون أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال احدهما ان هذا دخلت غنمه بالليل الى حرثي فأهلكته واكلته ولم تبق لي فيه شيأ فقال داود عليه السلام الغنم لصاحب الحرث عوضا عن حرثه فلما خرجا من عنده مرا على سليمان عليه السلام وكان عمره اذ ذاك على ما نقله ائمة التفسير احدى عشرة سنة فقال لهما ما حكم بينكما الملك فذكرا له ذلك فقال غير هذا ارفق بالفريقين فعادا الى داود عليه السلام وقالا له ما قاله ولده سليمان عليه السلام فدعاه داود عليه السلام وقال له ما هو الارفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الغنم الى صاحب الحرث وكان الحرث كرما قد تدلت عناقيده في قول أكثر المفسرين فيأخذ صاحب الكرم الاغنام يأكل لبنها وينتفع بدرها ونسلها ويسلم الكرم الى صاحب الاغنام ليقوم به فاذا عاد الكرم الى هيئته وصورته التي كان عليها ليلة دخلت الغنم اليه سلم صاحب الكرم الغنم الى صاحبها وتسلم كرمه كما كان بعناقيده وصورته فقال له داود القضاء كما قلت وحكم به كما قال سليمان عليه السلام وفي هذه القصة نزل قوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فهذه المعرفة والدراية لم تحصل لسليمان بكثرة التجربة وطول المدة بل حصلت بعناية ربانية وألطاف الهية واذا قذف الله تعالى شيأ من انوار مواهبه في قلب من يشاء من خلقه اهتدى الى مواقع الصواب ورجح على ذوي التجارب والاكتساب في كثير من الاسباب * ويستدل على حصول كمال العقل في الرجل بما يوجد منه وما يصدر عنه فان العقل معنى لا يمكن مشاهدته فان المشاهدة من خصائص الاجسام * فأقول يستدل على عقل الرجل بأمور متعددة منها ميله الى محاسن الاخلاق واعراضه عن رذائل الاعمال ورغبته

اسداء

فى أسداء صنائع المعروف وتجنبه مايكسبه عارا و يورثه سوء السمعة وقد قيل لبعض الحكماء بم يعرف عقل الرجل فقال بقلة سقطه فى الكلام وكثرة اصابته فيه فقيل له فان كان غائبا فقال باحدى ثلاث اما برسوله واما بكتابه واما بهديته فان رسوله قائم مقام نفسه وكتابه يصف نطق لسانه وهديته عنوان همته فبقدر مايكون فيها من نقص يحكم به على صاحبها وقيل من أكبر الاشياء شهادة على عقل الرجل حسن مداراته للناس ويكفى أن حسن المداراة يشهد لصاحبه بتوفيق الله تعالى اياه فانه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من حرم مداراة الناس فقد حرم التوفيق فقتضاه أن من رزق المداراة لم يحرم التوفيق وقالوا العاقل الذى يحسن المداراة مع أهل زمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة مائة درجة تسعة وتسعون منها لاهل العقل وواحدة لسائر الناس وقال على بن عبيدة العقل ملك والخصال رعية فاذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل اليها فسمعه أعرابى فقال هذا كلام يقطر عسله وقيل بأيدى العقول تمسك أعنة النفوس وكل شئ اذا كثر رخص الا العقل فانه كلما كثر غلا وقيل لكل شئ غاية وحد والعقل لاغاية له ولاحد ولكن الناس يتفاوتون فيه تفاوت الازهار فى المروج واختلف الحكماء فى ماهيته فقال قوم هو نور وضعه الله طبعا وغريزة فى القلب كالنور فى العين وهو يزيد وينقص ويذهب ويعود وكما يدرك بالبصر شواهد الامور كذلك يدرك بنور القلب المحجوب والمستور وعمى القلب كعمى البصر قال الله تعالى فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقيل محل العقل الدماغ وهو قول أبى حنيفة رحمه الله وذهب جماعة الى انه فى القلب كما روى عن الشافعى رحمه الله واستدلوا بقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وبقوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أى عقل وقالوا التجربة مرآة العقل ولذلك حمدت آراء المشايخ حتى قالوا المشايخ أشجار الوقار لايطيش لهم سهم ولايسقط لهم فهم وعليكم بآراء الشيوخ فانهم ان عدموا ذكاء الطبع فقد أفادتهم الايام حيلة وتجربة قال الشاعر

ألم تر أن العقل زين لاهله * ولكن تمام العقل طول التجارب

وقال آخر

اذا طال عمر المرء فى غير آفة * أفادت له الايام فى كرها عقلا

وقال عامر بن عبد قيس اذا عقلك عقلك عما لايعنيك فأنت عاقل ويقال لاشرف الاشرف العقل ولاغنى الاغنى النفس وقيل يعيش العاقل بعقله حيث كان كما يعيش الاسد بقوته حيث كان قال الشاعر

اذا لم يكن للمرء عقل فانه * وان كان ذا بيت على الناس هين

ومن كان ذا عقل أجل لعقله * وأفضل عقل عقل من يتدين

وقالوا العاقل لاتبطره المنزلة السنية كالجبل لايتزعزع وان اشتدت عليه الريح والجاهل تبطره أدنى منزلة كالحشيش يحركه أدنى ريح وقيل لعلى رضى الله عنه صف لنا العاقل قال هو الذى يضع الشئ مواضعه قيل فصف لنا الجاهل قال قد فعلت يعنى الذى لايضع

الشئ مواضعه وقال المنصور لولده خذعنى ثنتين لا تقل من غير تفكير ولا تعمل بغير تدبير وقال أردشير أربعة تحتاج الى أربعة الحسب الى الادب والسرور الى الامن والقرابة الى المودة والعقل الى التجربة وقال كسرى انوشروان أربعة تؤدى الى أربعة العقل الى الرياسة والرأى الى السياسة والعلم الى التصدير والحلم الى التوقير وقال القاسم بن محمد من لم يكن عقله اغلب الخصال عليه كان حتفه من اغلب الخصال عليه وقيل افضل العقل معرفة العاقل بنفسه وقيل ثلاثة هن رأس العقل مداراة الناس والاقتصاد فى المعيشة والتحبب الى الناس وقيل من أعجب برأى نفسه بطل رأيه ومن ترك الاستماع من ذوى العقول مات عقله وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه انه قال اهل مصر أعقل الناس صغارا وأرجحهم كبارا وقيل العاقل المحروم خير من الاحمق المرزوق وقيل لا ينبغى للعاقل أن يمدح امرأة حتى تموت ولا طعاما حتى يستمرئه ولا يثق بخليل حتى يستقرضه وقيل طول اللحية أمان من العقل وسئل بعضهم ايما احمد فى الصبا الحياء أم الخوف قال الحياء لان الحياء يدل على العقل والخوف يدل على الجبن وقيل غضب العاقل على فعله وغضب الجاهل على قوله وقال ابو الدرداء رضى الله عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعويمر ازدد عقلا تزدد من الله تعالى قربا قلت بابى وأمى ومن لى بالعقل قال اجتنب محارم الله تعالى وأدفرائض الله تعالى تكن عاقلا ثم تنقل الى صالح الاعمال تزدد فى الدنيا عقلا وتزدد من الله قربا وعزا (وحكى) بعض أهل المعرفة قال حياة النفس بالروح وحياة الروح بالذكر وحياة القلب بالعقل وحياة العقل بالعلم ويروى عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه انه كان ينشد هذه الابيات ويترنم بها

ان المكارم أخلاق مطهرة * فالعقل اولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها * والجود خامسها والعرف ساديها
والبر سابعها والصبر ثامنها * والشكر تاسعها واللين عاشيها
والعين تعلم من عينى محدثها * ان كان من حزبها أو من اعاديها
والنفس تعلم انى لا اصدقها * ولست ارشد الاحين اعصيها

وقال بعض الحكماء العاقل من عقله فى ارشاد ورأيه فى امداد فقوله سديد وفعله حميد والجاهل من جهله فى اغراء فقوله سقيم وفعله ذميم ولا يكفى فى الدلالة على عقل الرجل الاغترار بحسن ملبسه وملاحة سمته وتسريح لحيته وكثرة صلفته ونظافة بزته اذكم من كنيف مبيض وجلد مفضض وقد قال الاصمعى رأيت بالبصرة شيخا له منظر حسن وعليه ثياب فاخرة وحوله حاشية وهرج وعنده دخل وخرج فأردت أن أختبر عقله فسلمت عليه وقلت له ما كنية سيدنا فقال ابو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قال الاصمعى فضحكت منه وعلمت قلة عقله وكثرة جهله ولم يدفع ذلك عنه غزارة خرجه ودخله وقد يكون الرجل موسوما بالعقل مرموقا بعين الفضل فيصدر منه حالة تكشف عن حقيقة حاله وتشهد عليه بقلة عقله واختلاله وقيل ان اياس بن معاوية القاضى كان من اكابر العقلاء وكان عقله يهديه الى سلوك طرق لا يكاد يسلكها من لم يهتد اليها فكان من جملة

الوقائع التي صدرت منه وشهدت له بالعقل الراجح والفكر القادح انه كان في زمانه رجل مشهور بين الناس بالامانة فاتفق أن رجلا أراد أن يحج فأودع عند ذلك الرجل الامين كيسا فيه جملة من الذهب ثم حج فلما عاد من حجه جاء الى ذلك الرجل وطلب كيسه منه فأنكره وجحده فجاء الى القاضي اياس وقص عليه القصة فقال له القاضي هل اخبرت بذلك أحدا غيري قال لا قال فهل علم الرجل انك أتيت الى قال لا قال انصرف واكتم أمرك ثم عد الى بعد غد فانصرف ثم ان القاضي دعا ذلك الرجل المستودع فقال له قد حصل عندي أموال كثيرة ورأيت أن أودعها عندك فاذهب وهيئ لها موضعا حصينا فمضى ذلك الرجل وحضر صاحب الوديعة بعد ذهاب الرجل فقال له القاضي اياس امض الى خصمك واطلب منك وديعتك فان جحدك فقل له امض معي الى القاضي اياس اتحاكم انا وأنت عنده فلما جاء اليه دفع اليه وديعته فجاء الى القاضي وأعلمه بذلك ثم ان ذلك الرجل المستودع جاء الى القاضي طامعا في تسليم المال فسبه القاضي وطرده وكانت هذه الواقعة مما يدل على عقله وصحة فكره * ولما مات بعض الخلفاء اختلفت الروم واجتمعت ملوكها فقالوا الآن يشتغل المسلمون بعضهم ببعض فتمكننا الغرة منهم والوثبة عليهم وعقدوا لذلك المشورات وتراجعوا فيه بالمناظرات وأجمعوا على أنه فرصة الدهر وكان رجل منهم من ذوي العقل والمعرفة والرأي غائبا عنهم فقالوا من الحزم عرض الرأي عليه فلما اخبروه بما اجمعوا عليه قال لا أرى ذلك صوابا فسألوه عن علة ذلك فقال في غد أخبركم ان شاء الله تعالى فلما اصبحوا أتوا اليه وقالوا قد وعدتنا ان تخبرنا في هذا اليوم بما عولنا عليه فقال سمعا وطاعة وأمر باحضار كلبين عظيمين كان قد أعدهما ثم حرش بينهما وحرض كل واحد منهما على الآخر فتواثبا وتهارشا حتى سالت دماؤهما فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده وأرسل على الكلبين ذئبا كان قد أعده لذلك فلما أبصراه تركا ما كانا عليه وتألفت قلوبهما ووثبا جميعا على الذئب فقتلاه فأقبل الرجل على أهل الجمع فقال مثلكم مع المسلمين مثل هذا الذئب مع الكلاب لا يزال الهرج بين المسلمين ما لم يظهر لهم عدو من غيرهم فاذا ظهر تركوا العداوة بينهم وتألفوا على العدو فاستحسنوا قوله واستصوبوا رأيه فهذه صفة العقلاء * (وأما ذم الحمق) فقد قال ابن الاعرابي الحماقة مأخوذة من حمقت السوق اذا كسدت فكأنه كاسد العقل والرأي فلا يشاور ولا يلتفت اليه في امر من الامور والحمق غريزة لا تنفع فيها الحيلة وهو داء دواؤه الموت قال الشاعر

لكل داء دواء يستطب به * الا الحماقة اعيت من يداويها

والحمق مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاحمق ابغض الخلق الى الله تعالى اذ حرمه اعز الاشياء عليه وهو العقل ويستدل على صفة الاحمق من حيث الصورة بطول اللحية لان مخرجها من الدماغ فمن افرط طول لحيته قل دماغه ومن قل دماغه قل عقله ومن قل عقله فهو أحمق وأما صفته من حيث الافعال فترك نظره في العواقب وثقته بمن لا يعرفه والعجب وكثرة الكلام وسرعة الجواب وكثرة الالتفات والخلو من العلم والعجلة والخفة والسفه

والظلم والغفلة والسهو والخيلاء ان استغنى بطر وان افتقر قنط وان قال أفحش وان سئل بخل وان سأل ألح وان قال لم يحسن وان قيل له لم يفقه وان ضحك قهقه وان بكى صرخ وان اعتبرنا هذه الخلال وجدناها في كثير من الناس فلا يكاد يعرف العاقل من الاحمق * قال عيسى عليه السلام عالجت الابرص والاكمه فأبرأتهما وعالجت الاحمق فأعياني والسكوت عن الاحمق جوابه ونظر بعض الحكماء الى أحمق على حجر فقال حجر على حجر (وحكى) أن احمقين اصطحبا في طريق فقال أحدهما للآخر تعالى نتمن على الله فان الطريق تقطع بالحديث فقال أحدهما أنا أتمنى قطائع غنم انتفع بلبنها ولحمها وصوفها وقال الآخر أنا أتمنى قطائع ذئاب أرسلها على غنمك حتى لا تترك منها شيأ قال ويحك أهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة فتصايحا وتخاصما واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالاطواق ثم تراضيا على أن أول من يطلع عليهما يكون حكما بينهما فطلع عليهما شيخ بحمار عليه زقان من عسل فحدثاه بحديثهما فنزل بالزقين وفتحهما حتى سال العسل على التراب ثم قال صب الله دمي مثل هذا العسل ان لم تكونا أحمقين وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كان رجل يتعبد في صومعة فأمطرت السماء وأعشبت الارض فرأى حماره يرعى في ذلك العشب فقال يارب لو كان لك حمار لرعيته مع حماري هذا فبلغ ذلك بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهم أن يدعو عليه فأوحى الله اليه لا تدع عليه فاني اجازي العباد على قدر عقولهم ويقال فلان ذو حمق وافر وعقل نافر ليس معه من العقل الاما أوجب حجة الله عليه وخطب سهل هندا ابنة عتبة فحمقته فقال

وما هو جي ياهند الا سجية * اجر لها ذيلي بحسن الخلائق
ولو شئت خادعت الفتى عن قلوصه * ولا طمت في البطحاء من كل طارق

ويقال للأبله السليم القلب هو من بقر الجنة لا ينطح ولا يرمح والاحمق المؤذي هو من بقر سقر والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثالث في القرآن وفضله وحرمته وما أعد الله تعالى لقارئه من الثواب العظيم والاجر الجسيم

قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وسمى الله تعالى القرآن كريما فقال تعالى انه لقرآن كريم وسماه حكيما فقال تعالى يس والقرآن الحكيم وسماه مجيدا فقال تعالى ق والقرآن المجيد أنزله الله تعالى على سيد الانام وخاتم الانبياء الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام فكان من أعظم معجزاته أن أعجز الله الفصحاء عن معارضته وعن الاتيان بآية من مثله قال تعالى قل فأتوا بسورة من مثله وقال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فهو النور المبين والحق المستبين لا شئ أسطع من اعلامه ولا أصدع من أحكامه ولا افصح من بلاغته ولا أرجح من فصاحته ولا أكثر من افادته ولا ألذ من تلاوته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فيه خبر من قبلكم ونبأ من بعدكم وحكم ما بينكم وقال أيضا صلى الله عليه وسلم أصغر البيوت بيت صفر من كتاب الله تعالى وقال الشعبي الذي يقرأ القرآن انما يحدث عن ربه عز

وجل

وجل ووفد غالب بن صعصعة على على بن أبي طالب كرم الله وجهه ومعه ابنه الفرزدق فقال له من أنت قال غالب بن صعصعة قال ذو الابل الكثيرة قال نعم قال فما فعلت بابلك قال أذهبتها النوائب وزعزعتها الحقوق قال ذلك خير سبلها ثم قال له يا أبا الاخطل من هذا الذى معك قال ابنى وهو شاعر قال علمه القرآن فهو خير له من الشعر فكان ذلك فى نفس الفرزدق حتى قيد نفسه وآلى على نفسه أن لا يحل قيده حتى يحفظ القرآن فحفظه فى سنة وفى ذلك قال

وما صب رجلى فى حديد مجاشع * مع القيد الا حاجة لى أريدها

وقال أنس رضى الله عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى لا تغفل عن قراءة القرآن اذا أصبحت واذا أمسيت فان القرآن يحيى القلب الميت وينهى عن الفحشاء والمنكر (وحكى) الزمخشرى فى كتابه ربيع الابرار قال ومن حكايات الحشوية ما قيل ان ابراهيم الخواص مر بمصروع فأذن فى اذنه فناداه الشيطان من جوفه دعنى أقتله فانه يقول القرآن مخلوق * وكان سفيان الثورى رحمه الله اذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن * وكان الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى اذا دخل شهر رمضان يفر من مذاكرة الحديث ومجالسة أهل العلم ويقبل على القراءة فى المصحف * وكان أبو حنيفة والشعبى رحمهما الله تعالى يختمان فى رمضان ستين ختمة وقال على رضى الله عنه من قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزوا وقال الشعبى اللسان عدل على الاذن والقلب فاقرأ قراءة تسمعها اذنك ويفهمها قلبك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظم الله وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد قيل يا رسول الله وما جلاؤها قال قراءة القرآن وذكر الموت وقال عمر بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلى الصبح فقرأ مائة آية رفع الله له مثل عمل جميع اهل الدنيا وقال على كرم الله وجهه من قرأ القرآن وهو قائم فى الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس فى الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه فى غير صلاة وهو على وضوء فخمسة وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات وقال ابن عباس رضى الله عنهما لأن أقرأ البقرة وآل عمران ارتلهما وأتدبرهما أحب الى من أن أقرأ القرآن كله هذرمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المزنى قال قرأت القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى يا صالح هذه القراءة فأين البكاء وكان عثمان رضى الله عنه يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بمريم الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالعنكبوت الى ص وليلة الاربعاء بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس * وعن على رضى الله عنه لا خير فى عبادة لا فقه فيها ولا خير فى قراءة لا تدبر فيها وكان عكرمة بن أبي جهل رضى الله عنه ولعن أباه اذا نشر المصحف أغمى

عليه ويقول هو كلام ربي وأبطأت عائشة رضي الله عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال ماحبسك قالت قراءة رجل ماسمعت أحسن صوتا منه فقام فاستمع اليه طويلا ثم قال هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في امتي مثله وقال ابن عيينة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يارسول الله قد اختلفت على القرا آت فعلى قراءة من تأمرني فقال على قراءة أبي عمرو * وعن أبي عمرو انى لم أزل أطلب أن أقرأه كما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما انزل عليه فقدمت مكة فلقيت بها عدة من التابعين ممن قرأ على الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فقرأت عليهم فاشدد بهايدك فينبغي للانسان أن يحافظ على تلاوة القرآن ليلا ونهارا سفرا وحضرا * وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله في كتابه الاذكار وقد كان للسلف رضي الله عنهم عادات مختلفة في القدر الذي يختمون فيه فكانت جماعة منهم يختمون في كل شهر ختمة وآخرون في كل عشر ليال ختمة وآخرون في كل ثلاث ليال ختمة وكان كثيرون في كل يوم وليلة ختمة وختم جماعة في كل يوم وليلة ختمتين وختم بعضهم في اليوم والليلة ثمان ختمات اربعا في الليل وأربعا في النهار وروى أن مجاهدا رحمه الله كان يختم القران في شهر رمضان فيما بين المغرب والعشاء وأما الذين ختموا القرآن في ركعة فلا يحصون لكثرتهم فنهم عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير رضي الله تعالى عنهم وروينا في مسند الامام المجمع على حفظه وجلالته واتقانه وبراعته أبي محمد الدارمي رحمه الله عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال اذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح واذا وافق اوّل النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي قال الدارمي هذا حديث حسن عن سعد وأفضل القراءة ما كان في الصلاة وأما في غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل والنصف الاخير منه أفضل من الاول والقراءة بين المغرب والعشاء محبوبة وأما قراءة النهار فأفضلها بعد صلاة الصبح ولا كراهة في وقت من الاوقات ولا في أوقات النهي عن الصلاة ويستحب الاجتماع عند الختم لحصول البركة وقيل ان الدعاء يستجاب عند ختم القرآن وان الرحمة تنزل عند ختمه ويستحب الدعاء عقب الختم استحبابا مؤكدا تأكيدا شديدا ويجب على القارئ الاخلاص في قراءته وأن يريد بها وجه الله تعالى وأن لا يقصد بها توصلا الى شيء سوى ذلك وأن يتأدب مع القرآن ويستحضر في ذهنه انه يناجي ربه سبحانه وتعالى ويتلو كتابه فيقرأ على حالة من يرى الله تعالى فانه ان لم يكن يراه فان الله يراه وينبغي للقارئ اذا أراد القراءة أن ينظف فمه بالسواك وأن يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع فهذا هو المقصود والمطلوب وبه تنشرح الصدور وتتيسر المرغوب ودلائله أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر وقد كان الواحد من السلف رضي الله عنهم يتلو آية واحدة ليلة كاملة يتدبرها ويستحب البكاء والتباكي لمن لا يقدر على البكاء فان البكاء عند القراءة صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين قال الله تعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا * وقال السيد الجليل صاحب الكرامات والمعارف والمواهب واللطائف ابراهيم الخواص رضي الله عنه دواء القلب خمسة اشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلو البطن وقيام الليل

والتضرع

والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين وقد جاءت آثار بفضيلة رفع الصوت بالقراءة وآثار بفضيلة الاسرار قال العلماء ان أراد القارئ بالاسرار بعد الرياء فهو أفضل فى حق من يخاف ذلك فان لم يخف الرياء فالجهر أفضل بشرط أن لا يؤذى غيره من مصل أو نائم أو غيرهما والاحاديث فى فضل القراءة وآداب حملة القرآن كثيرة غير محصورة ومن أراد الزيادة فلينظر فى كتاب التبيان فى آداب حملة القرآن لشيخ مشايخ الاسلام محيى الدين النووى قدس الله روحه ونور ضريحه وقد جاء فى فضل القرآن أحاديث كثيرة * وروى فى فضل قراءة سور من القرآن فى اليوم والليلة فضل كبير منها يس وتبارك الملك والواقعة والدخان فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ يس فى يوم وليلة ابتغاء وجه الله تعالى غفر له وفى رواية له من قرأ سورة الدخان فى ليلة اصبح مغفورا له وفى رواية عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة وعن جابر رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام كل ليلة حتى يقرأ الم تنزيل الكتاب وتبارك الملك وعن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال من قرأ فى ليلة اذا زلزلت الارض كانت له كعدل نصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون كانت له كعدل ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد كانت له كعدل الثلث والاحاديث بنحو ما ذكرناه كثيرة وقد أشرنا الى المقاصد منها والله تعالى أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع فى العلم والادب وفضل العالم والمتعلم)

قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة ودراسته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة وبذله لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام وبيان سبيل الجنة والمؤنس فى الوحشة والمحدث فى الخلوة والجليس فى الوحدة والصاحب فى الغربة والدليل على السراء والمعين على الضراء والزين عند الاخلاء والسلاح على الاعداء وبالعلم يبلغ العبد منازل الاخيار فى الدرجات العلى ومجالسة الملوك فى الدنيا ومرافقة الابرار فى الآخرة والفكر فى العلم يعدل الصيام ومذاكرته تعدل القيام وبالعلم توصل الارحام وتفصل الاحكام وبه يعرف الحلال والحرام وبالعلم يعرف الله ويوحد وبالعلم يطاع الله ويعبد (قيل) العلم درك حقائق الاشياء مسموعا ومعقولا وقال النبى صلى الله عليه وسلم خير الدنيا والآخرة مع العلم وشر الدنيا والآخرة مع الجهل وعنه عليه الصلاة والسلام يوزن مداد العلماء ودماء الشهداء يوم القيامة فلا يفضل أحدهما على الآخر ولغدوة فى طلب العلم أحب الى الله من مائة غزوة ولا يخرج أحد فى طلب العلم الا وملك موكل به يبشره بالجنة ومن مات وميراثه المحابر والاقلام دخل الجنة وقال على كرم الله وجهه أقل الناس قيمة أقلهم علما وقال أيضا رضى الله عنه العلم نهر والحكمة بحر والعلماء حول النهر يطوفون والحكماء وسط البحر يغوصون والعارفون فى سفن النجاة يسيرون وقال موسى عليه السلام

فى مناجاته الهى من أحب الناس اليك قال عالم يطلب علما وقال بعض السلف رضى الله عنهم العلوم اربعة الفقة للاديان والطب للابدان والنجوم للازمان والنحو للسان وقيل العالم طبيب هذه الامة والدنيا داؤها فاذا كان الطبيب يطلب الداء فتى يبرئ غيره (وسئل) الشعبى عن مسئلة فقال لاعلم لى بها فقيل له ألا تستحى فقال ولم استحى مما لم تستحى الملائكة منه حين قالت لاعلم لنا وعن النبى صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على ادناكم وروى كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال على كرم الله وجهه من نصب نفسه للناس اماما فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه وقيل مؤدب نفسه ومعلمها أحق بالاجلال من مؤدب الناس ومعلمهم وأنشدوا

يا أيها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا * كيما يصح به وأنت سقيم
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا * أبدا وأنت من الرشاد عديم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ماتقول ويهتدى * بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال بعضهم

انى رأيت الناس فى عصرنا * لا يطلبون العلم للعلم
الا مباهاة لاصحابه * وعدة للغش والظلم

نظر رجل الى امرأته وهى صاعدة فى السلم فقال لها أنت طالق ان صعدت وطالق ان نزلت وطالق ان وقفت فرمت نفسها الى الارض فقال لها فداك أبى وامى ان مات الامام مالك احتاج اليك أهل المدينة فى أحكامهم * وقال النبى صلى الله عليه وسلم هلاك امتى فى شيئين ترك العلم وجمع المال وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الاعمال فقال العلم بالله والفقه فى دينه وكررها عليه فقال يارسول الله أسألك عن العمل فتخبرنى عن العلم فقال ان العلم ينفعك معه قليل العمل وان الجهل لا ينفعك معه كثير العمل * وقال عيسى عليه السلام من علم وعمل عدّ فى الملكوت الاعظم عظيما * وقال الخليل عليه السلام العلوم أقفال والاسئلة مفاتيحها وعنه عليه السلام زلة العالم مضروب بها الطبل وزلة الجاهل يخفيها الجهل وقال الحسن رأيت أقواما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون من عمل بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه والعامل بغير علم كالسائر على غير طريق فاطلبوا العلم طلبا لا يضر بالعبادة واطلبوا العبادة طلبا لا يضر بالعلم * وقال يزيد بن ميسرة من أراد بعلمه وجه الله تعالى أقبل الله بوجهه ووجوه العباد اليه ومن أراد بعلمه غير وجه الله صرف الله وجهه ووجوه العباد عنه وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ألا أخبركم بأجود الاجواد قالوا بلى يارسول الله قال الله أجود الاجواد وأنا أجود ولد آدم وأجودهم من بعدى رجل علم علما فنشره يبعث يوم القيامة امة

وحده

وحده ورجل جاد بنفسه فى سبيل الله حتى قتل وقال الثورى كان يقال العالم الفاجر فتنة لكل مفتون وعن الفضيل رحمه الله تعالى انه قال لوأن أهل العلم أكرموا أنفسهم وأعزوا هذا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله اذا لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعا ولكنهم أذلوا أنفسهم وبذلوا علمهم لابناء الدنيا فهانوا وذلوا فانا لله وانا اليه راجعون فاعظم بها مصيبة والله أعلم وللقاضى العلامة أبى الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى وقد أحسن كل الاحسان كأنما طرزت فى خلع حسان شعر

ولم اقض حق العلم ان كنت كلما * بدا طمع صيرته لى سلما
ولم ابتذل فى خدمة العلم مهجتى * لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة * اذا فاتباع الجهل قد كان اسلما
فان قلت زند العلم كاب فانما * كبا حين لم نحرس حماه وأظلما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم * ولو عظموه فى النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا * محياه بالاطماع حتى تجهما

وقيل من لم يتعلم فى صغره لم يتقدم فى كبره وقال الفضيل شر العلماء من يجالس الامراء وخير الامراء من يجالس العلماء وقال لقمان جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الارض بماء السماء وقيل من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وكان ابن مسعود رضى الله عنه اذا رأى طالبى العلم قال مرحبا بكم ينابيع الحكمة ومصابيح الظلمة خلقان الثياب جدد القلوب رياحين كل قبيلة وقال على رضى الله عنه كفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به اذا نسب اليه وكفى بالجهل ضعة أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب اذا نسب اليه وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما آتى الله أحدا علما الا أخذ عليه الميثاق أن لا يكتمه أحدا ودعا بعضهم لآخر فقال جعلك الله ممن يطلب العلم رعاية لا رواية وممن يظهر حقيقة ما يعلمه بما يعمله وعن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال على باب الجنة شجرة تحمل ثمارا كثدى النساء يخرج من تحتها عين ماء يشرب منها العلماء والمتعلمون مثل اللبن الحليب والناس عطاش وعن ابن مسعود رضى الله عنه من تعلم بابا من العلم ليعلمه الناس ابتغاء وجه الله أعطاه الله أجر سبعين نبيا وعن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لامتى من علماء السوء يتخذون العلم تجارة يبيعونها الا أربح الله تجارتهم شعر

العلم أنفس شئ أنت داخره * من يدرس العلم لم تدرس مفاخره
أقبل على العلم واستقبل مقاصده * فأول العلم اقبال وآخره

قال الشعبى دخلت على الحجاج حين قدم العراق فسألنى عن اسمى فأخبرته ثم قال ياشعبى كيف علمك بكتاب الله قلت عنى يؤخذ قال كيف علمك بالفرائض قلت الى فيها المنتهى قال كيف علمك بأنساب الناس قلت أنا الفيصل فيها قال كيف علمك بالشعر قلت أناديوانه قال لله أبوك وفرض لى أموالا وسودنى على قومى فدخلت عليه وأنا صعلوك من صعاليك

همدان وخرجت وأنا سيدهم قال البستي

اذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى * وسيرته عدلا وأخلاقه حسنا
فبشره ان الله أولاه فتنة * تغشيه حرمانا وتوسعه حزنا

وقال الهيثم بن جميل شهدت مالك بن أنس رضي الله عنه سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال في ثنتين وثلاثين منها لا أدري وقال الاوزاعي شكت النواويس الى الله تعالى ما تجد من نتن ريح الكفار فأوحى الله اليها بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه وقال علي رضي الله عنه من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والارض ولصالح اللخمي

شعر

تعلم اذا ما كنت لست بعالم * فما العلم الا عند أهل التعلم
تعلم فان العلم أزين للفتى * من الحلة الحسناء عند التكلم

ودخل عبد الله بن مسلم الهذلي على المهدي في القراء فأخذ عشرة آلاف درهم ثم دخل في الرماة فأخذ عشرة آلاف درهم ثم دخل في المغنين فأخذ كذلك ثم دخل في القصاص فأخذ كذلك فقال المهدي لم أر كاليوم أجمع لما يجمع الله في أحد منك وملّ جماعة من الحكماء مجالسة رجل فتواروا عنه في بيت فرق السطح وجعل يستمع من كوة حتى وقع عليه الثلج فصبر فشكر الله له ذلك فجعله امام الحكماء لا يختلفون في شيء الا صدروا عن رأيه وشكا رجل الى وكيع بن الجراح سوء الحفظ فقال له استعن على الحفظ بترك المعاصي فأنشأ يقول

شكوت الى وكيع سوء حفظي * فأرشدني الى ترك المعاصي
وذلك أن حفظ العلم فضل * وفضل الله لا يؤتى لعاصي

ووجد في بعض الآثار عن بعضهم انه قال اذا أردت أن تكون أحفظ الناس فقل عند رفع الكتاب أو المصحف او ابتداء القراءة في كل شيء أردت بسم الله وسبحان الله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عدد كل حرف كتب ويكتب ابد الآبدين ودهر الداهرين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم قبل واذا أردت أن لا تنسى حرفا فقل قبل القراءة اللهم افتح علينا حكمتك وانشر علينا رحمتك ياذا الجلال والاكرام واذا أردت أن ترزق الحفظ فقل خلف كل صلاة مكتوبة آمنت بالله الواحد الاحد الحق لا شريك له وكفرت بما سواه ومن فوائد سيدي الشيخ الصالح شهاب الدين احمد بن موسى بن عجيل رحمه الله تعالى في الحفظ يقرأ في كل يوم عشر مرات ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما الى قوله تعالى وكنا فاعلين ياحي ياقيوم يارب موسى وهرون ويارب ابراهيم ويارب محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام ألزمني الفهم وارزقني العلم والحكمة والعقل برحمتك يا أرحم الراحمين وعن أبي يوسف قال مات لي ولد فأمرت من يتولى دفنه ولم أدع مجلس ابي حنيفة خوفا ان يفوتني منه يوم وقال محمد بن اسحق بن خزيمة ما رأيت تحت اديم السماء اعلم بالحديث ولا أحفظ له من محمد بن اسمعيل البخاري حتى كان يقال ان حديثا لا يعرفه محمد بن اسمعيل ليس بحديث وقال

البخاري

البخارى رحمه الله تعالى أحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتى ألف حديث غير صحيح وقال ماوضعت فى كتابى الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين وقال أخرجته من ستمائة ألف حديث وصنفته فى ست عشرة سنة وجعلته حجة فيما بينى و بين الله تعالى وقال مجاهد أتينا عمر بن عبد العزيز لنعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه وكان يقال الليث بن سعد رحمه الله تعالى ذهب علمه كله بموته ولهذا قال الشافعى لما قدم مصر بعد موته والله لانت أعلم من مالك وانما أصحابك ضيعوك وقال الليث بن سعد ماهلك عالم قط الا ذهب ثلثا علمه ولو حرص الناس ويقال اذا سئل العالم فلا تجب أنت فان ذلك استخفاف بالسائل والمسؤل وقالوا من خدم المحابر خدمته المنابر شعر

لا تدخر غير العلو * م فانها نعم الذخائر
فالمرء لو ربح البقا * ء مع الجهالة كان خاسر

وللشافعى رضى الله تعالى عنه شعر

أخى لن تنال العلم الا بستة * سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة * وصحبة استاذ وطول زمان

وقال الزهرى العلماء أربعة سعيد بن المسيب بالمدينة وعامر الشعبى بالكوفة والحسن البصرى بالبصرة ومكحول بالشأم وقال بعضهم العلماء سرج الازمنة كل عالم سراج زمانه يستضىء به أهل عصره وقيل لابراهيم بن عيينة اى الناس أطول ندامة قال أما فى الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره وأما فى الآخرة فعالم مفرط شعر

كن عالما وارض بصف النعال * ولا تكن صدرا بغير الكمال
فان تصدرت بلا آلة * صيرت ذاك الصدر صف النعال

وقيل لما اجتمع موسى بالخضر عليهما السلام جاء عصفور فأخذ بمنقاره من البحر قطرة ثم حط على ورك الخضر ثم طار فنظر الخضر الى موسى عليه السلام وقال يانبى الله ان هذا العصفور يقول ياموسى أنت على علم من علم الله علمكه الله لايعلمه الخضر والخضر على علم من علم الله علمه الله اياه لاتعلمه أنت وأنا على علم من علم الله علمنيه الله لاتعلمه أنت ولا الخضر وما علمى وعلمك وعلم الخضر فى علم الله الا كهذه القطرة من هذا البحر قال الله تعالى ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وقال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما خلق الله تعالى أربعين ألف عالم الانس والجن عالمان والبواقى لايعلمها الا هو وقال موسى عليه السلام يارب قد قلت للسموات والارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فلو لم تطعك السموات والارض ماذا كنت فاعلا بهما قال ياموسى كنت آمر دابة من دوابى أن تبتلعهما قال موسى يارب وأين تلك الدابة قال فى مرج من مروجى قال موسى يارب وأين ذلك المرج قال فى علم من علمى لايعلمه الا أنا وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى فكرة فقال فيم تفكرون تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فان الله خلق من جانب الغرب أرضا يقال لها البيضاء تقطعها الشمس فى أربعين يوما فيها خلق ماعصوا الله طرفة عين فقال ابن عمر يارسول الله

أين ابليس منهم قال ماعلموا بابليس خلق أم لا قال أمن بنى آدم قال ماعلموا بآدم خلق أم لا فهذه كلها مما أعدها الله فى علم غيبه انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون وقال قتادة لو كان أحد منا مكتفيا من العلم لاكتفى نبى الله موسى عليه السلام اذ قال هل اتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا وقال الحكماء أفضل العلم وقوف العالم عند علمه وقال بعضهم ليس العلم ماخزنته الدفاتر وانما العلم ماخزنته الصدور وقيل العلم يؤدى الى التصدير وقيل من تواضع للعلم ناله ومن لم يتواضع له لم ينله وقيل من برق علمه برق وجهه ومن لم يستفد بالعلم مالا اكتسب به جمالا العلم نور وهدى والجهل غى وردى وقال بعضهم العالم يعرف الجاهل والجاهل لايعرف العالم لان العالم كان جاهلا والجاهل لم يكن عالما وقيل أربعة يسودون العبد العلم والادب والصدق والامانة وقيل اهل العراق اطلب الناس للعلم وقال حماد ابن سلمة مثل الذى يطلب الحديث ولايعرف النحو كمثل الحمار عليه مخلاة لاشعير فيها ولابراهيم بن خلف المهرانى

النحو يصلح من لسان الالكن * والمرء تكرمه اذا لم يلحن
واذا طلبت من العلوم أجلها * فأجلها منها مقيم الالسن

وقال على بن بشار

رأيت لسان المرء آية عقله * وعنوانه فانظر بماذا تعنون
ولاتعد اصلاح اللسان فانه * يخبر عما عنده ويبين
ويعجبنى زى الفتى وجماله * فيسقط من عينى ساعة يلحن

ودخل اعرابى السوق فوجدهم يلحنون فقال سبحان الله يلحنون ويربحون وكلم أبو موسى بعض قواده فلحن فقال لم لاتنظر فى العربية فقال بلغنى أن من نظر فيها قل كلامه فقال ويحك لأن يقل كلامك بالصواب خير لك من أن يكثر كلامك بالخطا وكان يقال مجالسة الجاهل مرض للعاقل وقال أبو الاسود الدؤلى اذا أردت أن تعذب عالما فاقرن به جاهلا وقال الشاعر

جهلت ولاتدرى بأنك جاهل * ومن لى بان تدرى بأنك لاتدرى

وقال رجل للحسن أنا أفصح الناس قال لاتقل هذا قال فخذ على كلمة واحدة قال هذه واحدة أبو جهل كناه المسلمون بذلك وكانت قريش تكنيه أبا الحكم فقال حسان رضى الله عنه

الناس كنوه أبا حكم * والله كناه أبا جهل

(وأما ماجاء فى الادب) فقد قال بعض الحكماء العقل يحتاج الى مادة من الادب كما تحتاج الابدان الى قوتها من الطعام وقال على كرم الله وجهه الادب كنز عند الحاجة عون على المروأة صاحب فى المجلس انيس فى الوحدة تعمر به القلوب الواهية وتحيا به الالباب الميتة وينال به الطالبون ماحاولوا وقيل عقل بلا أدب كشجاع بلا سلاح (وحكى) أن رجلا تكلم بين يدى المأمون فأحسن فقال ابن من أنت قال ابن الادب يا أمير المؤمنين قال نعم النسب

انتسبت اليه ولهذا قيل المرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت ومن حيث يوجد لا من حيث يولد قال الشاعر

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من يقول هاأنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

وقال بعض الحكماء من كثر أدبه كثر شرفه وان كان وضيعا وبعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثرت حوائج الناس اليه وان كان فقيرا قال بعض الشعراء

لكل شئ زينة فى الورى * وزينة المرء تمام الادب
قد يشرف المرء بآدابه * فينا وان كان وضيع النسب

وقال بعض الاعاجم مفتخرا

مالى عقلى وهمتى حسبى * ما أنا مولى وما أنا عربى
اذا انتمى منتم الى أحد * فاننى منتم الى أدبى

وقيل الفضل بالعقل والادب لا بالاصل والحسب وقيل المرء بفضيلته لا بفصيلته وبكماله لا بجماله وبآدابه لا بثيابه وقيل لرجل من أدبك قال رأيت جهل الجهال قبيحا فاجتنبته فتأدبت ومن أدب ولده صغيرا سر به كبيرا من عرف الادب اكتسب به المال والجاه خير الخلال الادب وشر المقال الكذب وقيل لبقراط ما الفرق بين من له ادب ومن لا ادب له قال كالفرق بين الحيوان الناطق والحيوان الذى ليس بناطق ودخل ابو العالية على ابن عباس رضى الله عنهما فاقعده معه على السرير واقعد رجالا من قريش تحته فرأى سوء نظرهم اليه وحموضة وجوههم فقال مالكم تنظرون الى نظر الشحيح الى الغريم المفلس هكذا الادب يشرف الصغير على الكبير ويرفع المملوك على المولى ويقعد العبيد على الاسرة وقال جالينوس ان ابن الوضيع اذا كان اديبا كان نقص أبيه زائدا فى منزلته وابن الشريف اذا كان غير اديب كان شرف ابيه زائدا فى سقوطه وقيل أحسن الادب أن لا يفتخر المرء بأدبه وسمع معاوية رجلا يقول أنا غريب فقال كلا الغريب من لا أدب له ويقال اذا فاتك الادب فالزم الصمت فهو من أعظم الآداب ولعبد الملك بن صالح

فى الناس قوم أضاعوا المجد أولهم * مافى المكارم والتقوى لهم أرب
سوء التأدب أرداهم وأرذلهم * وقد يزين صحيح المنصب الادب

وقيل أربعة تسود العبد الادب والعلم والصدق والامانة وقال بعض الحكماء خمسة لا تتم الا بخمسة لا يتم الحسب الا بالادب ولا يتم الجمال الا بالحلاوة ولا يتم الغنى الا بالجود ولا يتم البطش الا بالجراءة ولا يتم الجهاد الا بالتوفيق والله تعالى أعلم

(الباب الخامس فى الآداب والحكم وما أشبه ذلك)

قال الحكماء اذا اراد الله بعبد خيرا الهمه الطاعة وألزمه القناعة وفقهه فى الدين وعضده باليقين فاكتفى بالكفاف واكتسى بالعفاف واذا أراد به شرا حبب اليه المال وبسط منه الآمال وشغله بدنياه ووكله الى هواه فركب الفساد وظلم العباد الثقة بالله أزكى أمل والتوكل عليه أوفى عمل من لم يكن له من دينه واعظ لم تنفعه المواعظ من سره الفساد ساءه

لمعاد كل يحصد مازرع ويجزى بما صنع لا يغرنك صحة نفسك وسلامة امسك فمدة العمر قليلة وصحة النفس مستحيلة من أطاع هواه باع دينه بدنياه ثمرة العلوم العمل بالمعلوم من رضى بقضاء الله لم يسخطه أحد ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد أفضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه خير الناس من أخرج الحرص من قلبه وعصى هواه فى طاعة ربه نصرة الحق شرف ونصرة الباطل سرف البخيل حارس نعمته وخازن لورثته من لزم الطمع عدم الورع اذا ذهب الحياء حل البلاء علم لا ينفع كدواء لا ينجع من جهل المرء أن يعصى ربه فى طاعة هواه ويهين نفسه فى اكرام دنياه أيام الدهر ثلاثة يوم مضى لا يعود اليك ويوم أنت فيه لا يدوم عليك ويوم مستقبل لا تدرى ما حاله ولا تعرف من أهله من كثر ابتهاجه بالمواهب اشتد انزعاجه للمصائب لا تبت على غير وصية وان كنت من جسمك فى صحة ومن عمرك فى فسحة عظ المسئ بحسن أفعالك ودل على الجميل بجميل خلالك اياك وفضول الكلام فانه يظهر من عيوبك ما بطن ويحرك من عدوك ما سكن لا يجد العجول فرحا ولا الغضوب سرورا ولا الملول صديقا حسن النية من العبادة حسن الجلوس من السياسة من زاد فى خلقه نقص فى حظه من ائتمن الزمان خانه أظهر الناس محبة أحسنهم لقاء لا يكمل للانسان دينه حتى يكون فيه أربع خصال يقطع رجاءه مما فى أيدى الناس ويسمع شتم نفسه ويصبر ويحب للناس ما يحب لنفسه ويثق بوعد الله اياك والحسد فانه يفسد الدين ويضعف اليقين ويذهب المروأة قيل لافلاطون ما الشئ الذى لا يحسن أن يقال وان كان حقا قال مدح الانسان نفسه اربعة تؤدى الى اربعة الصمت الى السلامة والبر الى الكرامة والجود الى السيادة والشكر الى الزيادة من ساء تدبيره أهلكه جده العزة ثمرة الجهل آفة القوة استضعاف الخصم آفة النعم قبح المن آفة الذنب حسن الظن الحزم أسد الآراء والغفلة اضر الاعداء من قعد عن حيلته اقامته الشدائد ومن نام عن عدوه ايقظته المكايد من قرب السفلة واطرح ذوى الاحساب والمروآت استحق الخذلان من عفا تفضل من كظم غيظه فقد حلم من حلم فقد صبر من صبر فقد ظفر من ملك نفسه عند أربع حرمه الله على النار حين يغضب وحين يرغب وحين يرهب وحين يشتهى من طلب الدنيا بعمل الآخرة فقد خسرهما ومن طلب الآخرة بعمل الدنيا فقد ربحهما كلام المرء بيان فضله وترجمان عقله فاقصره على الجميل واقتصر منه على القليل كل امرئ يعرف بقوله ويوصف بفعله فقل سديدا وافعل حميدا من عرف شانه وحفظ لسانه وأعرض عما لا يعنيه وكف عن عرض أخيه دامت سلامته وقلت ندامته كن صموتا وصدوقا فالصمت حرز والصدق عز من أكثر مقاله سئم ومن أكثر سؤاله حرم من استخف باخوانه خذل ومن اجترأ على سلطانه قتل ماعز من أذل جيرانه ولا سعد من حرم اخوانه خير النوال ما وصل قبل السؤال أولى الناس بالنوال ازهدهم فى السؤال من حسن صفاؤه وجب اصطفاؤه من غاظك بقبيح الشتم منه فغطه بحسن الحلم عنه من يبخل بماله على نفسه جاد به على زوج عرسه اذا اصطنعت المعروف فاستره واذا اصطنع اليك فانشره من جاور الكرام امن من الاعدام من طاب أصله زكا فرعه

من

من انكر الصنيعة استوجب القطيعة من من بمعروفه سقط شكره ومن أعجب بعمله حبط
اجره من رضي من نفسه بالاساءة شهد على أصله بالرداءة من رجع في هبته بالغ في خسته
من رقي في درجات الهمم عظم في عيون الامم من كبرت همته كثرت قيمته من ساء خلقه
ضاق رزقه من صدق في مقاله زاد في جماله من هان عليه المال توجهت اليه الآمال
من جاد بماله جل ومن جاد بعرضه ذل خير المال ما اخذ من الحلال وصرف في النوال
وشر المال ما أخذ من الحرام وصرف في الآثام أفضل المعروف اغاثة الملهوف من تمام
المروأة أن تنسى الحق لك وتذكر الحق عليك وتستكبر الاساءة منك وتستصغرها من غيرك من
احسن المكارم عفو المقتدر جود الرجل يحببه الى اصدقائه وبخله يبغضه الى اولاده لا تسئ
الى من احسن اليك ولا تعن على من انعم عليك من كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلاكه وفناؤه
من طال تعديه كثرت اعاديه شر الناس من ينصر الظلوم ويخذل المظلوم
من حفر حفيرا لاخيه كان حتفه فيه من سل سيف العدوان أغمد في رأسه من لم يرحم
العبرة سلب النعمة ومن لم يقل العثرة سلب القدرة لا تحاج من يذهلك خوفه ويملك
سيفه صمت تسلم به خير من نطق تندم عليه من قال ما لا ينبغي سمع ما لا يشتهي جرح
الكلام أصعب من جرح الحسام من سكت عن جاهل فقد اوسعه جوابا وأوجعه عتابا
من أمات شهوته أحيا مروأته من كثرت عوارفه كثرت معارفه من لم تقبل توبته
عظمت خطيئته اياك والبغي فانه يصرع الرجال ويقطع الآجال الناس في الخير أربعة
أقسام منهم من يفعله ابتداء ومنهم من يفعله اقتداء ومنهم من يتركه حرمانا ومنهم من يتركه
استحسانا فمن فعله ابتداء فهو كريم ومن فعله اقتداء فهو حكيم ومن تركه حرمانا فهو شقي
ومن تركه استحسانا فهو دني من سالم سلم ومن قدم الخير غنم من لزم الرقاد عدم المراد
ومن دام كسله خاب أمله العجول مخطئ وان ملك والمتأني مصيب وان هلك من امارات
الخذلان معاداة الاخوان استفساد الصديق من عدم التوفيق الرفق مفتاح الرزق
من نظر في العواقب سلم من النوائب ومن أسرع في الجواب اخطأ في الصواب من
ركب العجل أدركه الزلل من ضعفت آراؤه قويت أعداؤه من قلت فضائله ضعفت
وسائله من فعل ما شاء لقي ما ساء من كثر اعتباره قل عثاره من ركب جده غلب ضده
القليل مع التدبير أبقى من الكثير مع التبذير ظن العاقل أصح من يقين الجاهل
قليل تحمد آخرته خير من كثير تذم عاقبته من خاف سطوتك تمنى موتك اذا استشرت
الجاهل اختار لك الباطل من أعجبته آراؤه غلبته أعداؤه من قصر عن السياسة
صغر عن الرياسة لا تشتك ضعفك الى عدوك فانك تشمته بك وتطمعه فيك من لم يعمل
لنفسه عمل للناس ومن لم يصبر على كده صبر على الافلاس من أفشى سره أفسد أمره
الحازم من حفظ ما في يده ولم يؤخر شغل يومه لغده من طلب ما لا يكون طال تعبه لا تفتح
بابا يعييك سده ولا ترم سهما يعجزك رده سوء التدبير سبب التدمير اغمد سيفك ما ناب عنك
لسانك ليس العجب من جاهل يعجب جاهلا ولكن العجب من عاقل يعجب به لان كل شئ يفتر

من ضده ويميل الى جنسه اذا نزل القدر بطل الحذر رب عطب تحت طلب ومنية
تحت أمنية لايخلو المرء من ودود يمدح وعدو يقدح الجوع خير من الخضوع الكذوب
متهم وان صدقت لهجته ووضحت حجته من طاوعه طرفه استد حتفه من لم تسر
حياته لم تغم وفاته من أعظم الذنوب تحسين العيوب الشرف بالهمم العالية لا بالرمم
البالية اذا ملك الاراذل هلك الافاضل من ساءت أخلاقه طاب فراقه من حسنت
خصاله طاب وصاله بعد يورث الصفا خير من قرب يوجب الجفا اللسان سيف
قاطع لايؤمن حده والكلام سهم نافذ لايمكن رده من اطلع على جاره انهتكت حجب
أستاره أجهل الناس من قل صوابه وكثر اعجابه أظهر الناس نفاقا من أمر بالطاعة
ولم يأتمر بها ونهى عن المعصية ولم ينته عنها من سلا عن المسلوب كمن لم يسلب ومن صبر
على النكبة كمن لا ينكب الفضيلة بكثرة الآداب لا بفراهة الدواب من زادت شهوته
نقصت مروأته من عرف بشئ نسب اليه ومن اعتاد شيأ حرص عليه عند الجدال
يظهر فضل الرجال من أخر الاكل لذ طعامه ومن أخر النوم طاب منامه موت فى دولة
وعز خير من حياة فى ذلة وعجز مقاساة الفقر هى الموت الاحمر ومسئلة الناس هى
العار الاكبر حق يضر خير من باطل يسر كم من مرغوب فيه يسوء ولا يسر
ومرهوب منه ينفع ولايضر عثرة الرجل تزيل القدم وعثرة اللسان تزيل النعم المزاح
يورث الضغائن من حلم ساد ومن تفهم ازداد معاشرة ذوى الالباب عمارة القلوب
شر ما صحب المرء الحسد ربما اصاب الاعمى رشده وأخطأ البصير قصده الياس خير من
التضرع الى الناس لاتكن ضاحكا فى غير عجب ولا ماشيا فى غير أرب من سعى بالنميمة
حذره القريب ومقته الغريب الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استبد برأيه
أشرف الغنى ترك المنى من ضاق خلقه مله أهله الحسد للصديق من سقم المودة كل
الناس راض عن عقله دنياك كلها وقتك الذى أنت فيه استر سوأة أخيك لما يعلم
فيك خمول الذكر أسنى من الذكر الذميم العجلة أخت الندامة من كرم أصله لان
قلبه ومن قل لبه زاد عجبه ربما أدرك بالظن الصواب ليس لمعجب رأى ولا لمتكبر
صديق سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار لاتعادين أحدا فانك
لاتخلو من عداوة جاهل أو عاقل فالحذر من حكمة العاقل وجهل الجاهل ضاحك
معترف بذنبه خير من باك مدل على ربه من قل سروره كان الموت راحته لا تردن
على ذى خطأ خطأه فيستفيد منك علما و يتخذك عدوا استحى من ذم من لو كان حاضرا
لبالغت فى مدحه ومدح من لو كان غائبا لسارعت الى ذمه وقيل المنفعة توجب المحبة
والمضرة توجب البغضة والمخالفة توجب العداوة والمتابعة توجب الالفة والعدل
يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب الفرقة وحسن الخلق يوجب المودة وسوء الخلق
يوجب المباعدة والانبساط يوجب المؤانسة والانقباض يوجب الوحشة والكبر يوجب
المقت والتواضع يوجب الرفعة والجود يوجب المدح والبخل يوجب الذم والتوانى
يوجب التضييع والحزم يوجب السرور والحذر يوجب السلامة واصابة التدبير

توجب

توجب بقاء النعمة وبالتأني تسهل المطالب وبحسن المعاشرة تدوم المحبة وبخفض الجانب تأنس النفوس وبسعة خلق المرء يطيب عيشه والاستهانة توجب التباعد وبكثرة الصمت تكون الهيبة وبعدل المنطق تجلب الجلالة وبالنصفة تكثر المواصلة وبالافضال يعظم القدر وبصالح الاخلاق تزكو الاعمال وباحتمال المؤن يجب السودد وبالحلم على السفيه تكثر أنصارك عليه وبالرفق والتودد تستحق اسم الكرامة وبترك مالا يعنيك يتم لك الفضل واعلم أن السياسة تكسو اهلها المحبة ومن صغر الهمة الحسد للصديق على النعمة والنظر فى العواقب نجاة ومن لم يحلم ندم ومن صبر غنم ومن سكت سلم ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم ومن اطاع هواه ضل ومع العجلة الندامة ومع التأني السلامة وزارع البر يحصد السرور وصاحب العقل مغبوط وصداقة الجاهل تعب اذا جهلت فاسأل واذا ذللت فارجع واذا اسأت فاندم واذا ندمت فاقلع المروآت كلها تبع للعقل والرأى تبع للتجربة والعقل اصله التثبت وثمرته السلامة والاعمال كلها تبع القدر واختار العلماء أربع كلمات من أربع كتب فمن التوراة من قنع شبع ومن الانجيل من اعتزل نجا ومن الزبور من سكت سلم ومن القرآن ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم واجتمعت حكماء العرب والعجم على أربع كلمات لا تحمل بطنك مالا يطيق ولا تعمل عملا لا ينفعك ولا تغتر بامرأة ولا تثق بمال ولو كثر والله تعالى أعلم

(الباب السادس فى الامثال السائرة وفيه فصول)

(الفصل الاول فيما جاء من ذلك فى القرآن العظيم وأحاديث النبى الكريم) اعلم أن الامثال من اشرف ما وصل به اللبيب خطابه وحلى بجواهره كتابه وقد نطق كتاب الله تعالى وهو أشرف الكتب المنزلة بكثير منها ولم يخل كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وهو أفصح العرب لسانا واكملهم بيانا فكم فى ايراده واصداره من مثل يعجز عن مباراته فى البلاغة كل بطل وسنذكر ان شاء الله تعالى بعد ذلك نبذة من أمثال العرب والمولدين والعامة * فمن أمثال كتاب الله تعالى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الآن حصحص الحق قضى الامر الذى فيه تستفتيان أليس الصبح بقريب ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة ليس لها من دون الله كاشفة أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وحيل بينهم وبين ما يشتهون لكل نبأ مستقر قل كل يعمل على شاكلته وعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان تصبكم سيئة يفرحوا بها كل نفس بما كسبت رهينة حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة ما على الرسول الا البلاغ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ما على المحسنين من سبيل تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى هل جزاء الاحسان الا الاحسان ولا ينبئك مثل خبير ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم كل حزب بما لديهم فرحون لا يكلف الله نفسا الا وسعها لا يستوى الخبيث والطيب فررت منكم

لما خفتكم وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض يا أيها الذين آمنوا لم تقولون
مالا تفعلون ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء يا أيها الذين آمنوا
لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها
معرضين ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون اعلموا ان الله شديد العقاب
وأن الله غفور رحيم ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون فذكر
انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون
يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين لا يجليها
لوقتها الا هو فلا تزكوا انفسكم هو أعلم بمن اتقى كل يوم هو فى شان فبأى حديث
بعده يؤمنون وما ربك بغافل عما تعملون واهجرهم هجرا جميلا من عمل صالحا فلنفسه
ومن أساء فعليها ان هى الا فتنتك فاعتبروا يا أولى الابصار وانه لقسم لو تعلمون عظيم
ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ولتعلمن نبأه بعد حين وكان بين ذلك قواما لمثل هذا
فليعمل العاملون كل من عليها فان كل نفس ذائقة الموت أفسحر هذا أم أنتم
لا تبصرون * ومن الامثال من الحديث النبوى انما الاعمال بالنيات وانما لكل
امرئ ما نوى نية المرء خير من عمله آفة العلم النسيان من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه
اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه أنزلوا الناس منازلهم اليد العليا خير من اليد السفلى من
مات غريبا مات شهيدا مطل الغنى ظلم يد الله مع الجماعة الجار قبل الدار والرفيق قبل
الطريق من غشنا فليس منا سيد القوم خادمهم الحياء شعبة من الايمان تخيروا
لنطفكم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول حدث عن البحر ولا حرج المجالس بالامانات
كل ميسر لما خلق له اطلبوا الخير من حسان الوجوه اياك وما يعتذر منه الوحدة خير
من الجليس السوء استعينوا على الحوائج بالكتمان الندم توبة لا يكون المؤمن
طعانا ولا لعانا دع ما يريبك الى مالا يريبك من كثر سواد قوم فهو منهم انصر أخاك
ظالما أو مظلوما انتظار الفرج عبادة كاد الفقر ان يكون كفرا نعم صومعة الرجل بيته
الاعمال بخواتيمها

(الفصل الثانى فى أمثال العرب) ان من البيان لسحرا ان الجواد قد يعثر ان البلاء
موكل بالمنطق ان أخاك الهيجاء من يسعى معك ومن يضر نفسه لينفعك انف فى السماء
واست فى الماء ان الذليل الذى ليست له عضد اى الرجال المهذب انما هو كبرق خلب
اذا أدبر الدهر عن قوم كفى عدوهم امرهم اياك اعنى فاسمعى يا جارة ان لم يكن وفاق
ففراق انك لا تجنى من الشوك العنب اذا جاء القضاء ضاق الفضاء ان المناكح خيرها
الابكار اذا كنت مناطحا فناطح بذوات القرون أوى الى ركن بلا قواعد اياك أن تضرب
بلسانك عنقك اكل وجد خير من اكل وذم آفة المروأة خلف الوعد اذا قلت له زن
طأطأ رأسه وحزن اذا أتاك احد الخصمين وقد فقئت عينه فلا تقض له حتى يأتيك خصمه
فلعله فقئت عيناه ترك الذنب أيسر من طلب التوبة اتق شر من تحسن اليه الناس
اخوان وشتى فى الشيم بلغ السيل الربا أجع كلبك يتبعك حافظ على الصديق

ولو

ولو فى الحريق اشتدى أزمة تنفرجى أتبع السيئة الحسنة تمحها الخيل أعرف بفرسانها رمتنى بطرفها وانسلت رب رمية من غير رام الرياح مع السماح رب اكلة تمنع اكلات استراح من لاعقل له رب أخ لم تلده أمك رب طمع ادى الى عطب ربما كان السكوت جوابا رب ملوم لاذنب له رب عين انم من لسان رحم الله من هدانى الى عيوبى ركوب الخنافس ولا المشى على الطنافس سبق السيف العذل زوج من عود خير من قعود سبك من بلغك السب سحابة صيف عن قليل تقشع شر أيام الديك يوم تغسل رجلاه طاعة النساء ندامة اطلب تظفر طرف الفتى يخبر عن لسانه ظاهر العتاب خير من باطن الحقد عند الصباح يحمد القوم السرى الظلم مرتعه وخيم عند النطاح يغلب الكبش الاجم العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامة اعقل وتوكل العتاب قبل العقاب عند الرهان تعرف السوابق عند الامتحان يكرم المرء أو يهان عند النازلة تعرف أخاك فى التمر ضياء والشمس أضوأ منه القول ما قالت حذام لقد اسمعت لو ناديت حيا أقلل طعامك تحمد منامك كل فتاة بأبيها معجبة كل كلب ببابه نباح كاد العروس أن يكون ملكا كثرة العتاب توجب البغضاء أكثر مصارع الرجال تحت بروق المطامع الكلام انثى والجواب ذكر كل اناء يرشح بما فيه كما تزرع تحصد كل امرئ فى بيته صبى كلب جوال خير من أسد رابض لتذل من بالت عليه الثعالب ليس الخبر كالعيان لكل صارم نبوة ولكل جواد كبوة لكل قادم دهشة لعل لها عذرا وأنت تلوم لكل ساقطة لاقطة لكل مقام مقال للانسان من رطب ويدان من خشب للباطل جولة ثم يضمحل ليست النائحة الثكلى مثل المستأجرة لكل غد طعام لكل دهر دولة ورجال لا عطر بعد عروس لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين لا يضر السحاب نباح الكلاب لا تقتنى من كلب سوء جروا مقتل الرجل بين فكيه ما حك جلدك مثل ظفرك من عتب على الدهر طال عتبه معاتبة الاخوان خير من فقدهم النفس مولعة بحب العاجل هذه بتلك والبادى أظلم يا حبذا الامارة ولو على الحجارة يكسو الناس واسته عارية يدك منك وان كانت شلاء

(الفصل الثالث فى أمثال العامة والمولدين) التسلط على المماليك دناءة اجلس حيث يؤخذ بيدك وتبر ولا تجلس حيث يؤخذ برجلك وتجر أجرأ الناس على الاسد أكثرهم له رؤية الحاجة تفتق الحيلة الحاوى لا ينجو من الحيات الحبة تدور والى الرحى ترجع المؤذى ردى كلما جلوته صدى الاسواق موائد الله فى أرضه السلامة احدى الغنيمتين الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ الطير بالطير يصاد اطلع القرد فى الكنيف فقال هذه المرآة لهذا الوجه الظريف العادة طبيعة خامسة الغائب حجته معه الخضوع عند الحاجة رجولية الناس أتباع لمن غلب النكاح يفسد الحب النصح بين الملا تقريع الحر حر وان مسه الضر والعبد عبد وان ملك الدر الثقيل اذا تخفف صار طاعونا اضيع من حلى على زنجية العمل للزرنيخ والاسم للنورة انشط من اير دخل نصفه البغل الهرم

لا يفزعه صوت الجلجل بدن وافر وقلب كافر تزاوروا ولا تجاوروا تعاشروا كالاخوان وتعاملوا كالاجانب ثمرة العجلة الندامة جواهر الاخلاق تفضحها المعاشرة حيثما سقط لقط خذ اللص قبل أن يأخذك خذ القليل من اللئيم وذمه ذل من لا سفيه له ريق العدو سم قاتل رب ساع لقاعد زكاة البدن العلل زلق الحمار وكان من سهوة المكارى زلة الرجل عظم يجبر وزلة اللسان لا تبقى ولا تذر سلطان غشوم خير من فتنة تدوم سواء قوله وبوله سفير السوء يفسد ذات البين شهر ليس لك فيه رزق لا تعد أيامه صديق الوالد عم الولد ضرب الطبل تحت الكسا طاعة الولاة بقاء العز طفيلي ويقترح عناية القاضي خير من شاهدى عدل دلت على أهلها براقش (وهو اسم كلبة نبحت فدلت على الجيش فقتلوهم) غش القلوب يظهر فى فلتات الالسن وصفحات الوجوه غنى المرء فى الغربة وطن فر من الموت وفى الموت وقع فم يسبح وقلب يذبح فلان كالكعبة يزار ولا يزور قيل للزمار تهيأ للزمر قال المزمار فى كمى والريح فى فى كل قليل تعش كثير كلامه ريح فى قفص كالابرة تكسو الناس وهى عريانة كلمة حكمة من جوف خرب كاد المريب يقول خذونى كنت سندا نا فصرت مطرقة كل مافاتك من الدنيا فهو غنيمة كلما طار قصوا جناحه لو كان المزاح فحلا لم ينتج الا شرا لسان الجاهل مفتاح حتفه لكل جديد لذة لو ضاعت صفعة ماوجدت الا فى قفاه لو كان فى اليوم خير ما فات الصياد من اعتمد على شرف آبائه فقد عقهم من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلا وبالله التوفيق

(الفصل الرابع فى الامثال من الشعر المنظوم مرتبة على حروف المعجم)

(حرف الالف)

ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل
اذا جاء موسى وألقى العصا * فقد بطل السحر والساحر
اذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى * فأبعدكن الله من شجرات
اذا كنت فى فكرى وقلبى ومقلتى * فأى مكان من مكانك ألطف
اذا أراد كريم منع صاحبه * فليس يخفى عليه كيف يتقعه
اذا ما أتيت الامر من غير بابه * ضللت وان تقصد الى الباب تهتدى
اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل
اذا لم يكن عندى نوال هجرتنى * وان كان لى مال فأنت صديقى
الناس فى طلب المعاش وانما * بالجد يرزق منهم من يرزق
أيها السائل عما قد مضى * هل جديد مثل ملبوس خلق
* انما أنفسنا عارية * والعوارى حكمها أن تسترد
ان العدو وان أبدى مسالمة * اذا رأى منك يوما غرة وثبا
* أتمنى على الزمان محالا * أن ترى مقلتاى طلعة حر
* اذا ملاك لم يكن ذا هبه * فدعه فدولته ذاهبه

* اذا ثارت خطوب الدهر يوما * عليك فكن لها ثبت الجنان *
* اذا كنت لا ترضى بما قد ترى * فدونك الحبل به فاختنق *
* ان الامور اذا بدت لزوالها * فعلامة الادبار فيها تظهر *
* اذا ضاع شئ بين أم وبنتها * فاحداهما لاشك ذلك آخذه *
اذا كان رب البيت بالطبل ضاربا * فلا تلم الصبيان فيه على الرقص *
* اذا ما أراد الله اهلاك نملة * سمت بجناحيها الى الجو تصعد *
اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا * أصبت حليما أو أصابك جاهل *
* اذا لم تستطع أمرا فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع *
اذا صوت العصفور طار فؤاده * ولكن حديد الناب عند الثرائد
* اهن عامرا تكرم عليه فانما * أخو عامر من مسه بهوان *
* اذا محاسنى اللاتى اتيت بها * عدت ذنوبا فقل لى كيف اعتذر *
اخوان صدق ما رأوك بغبطة * فاذا افتقرت فقد هوى بك من هوى
اذا اعتاد الفتى خوض المنايا * فأيسر ما يمر به الوحول *
* ألم تر أن المرء تدوى يمينه * فيقطعها عمدا ليسلم سائره *
* اذا أنت لم تعلم طبيبك كل ما * يسوءك أبعدت الدواء عن السقم
* اذا أنت حملت الخؤن أمانة * فانك قد أسندتها شر مسند ٥
* أكل خليل هكذا غير منصف * وكل زمان بالكرام بخيل
* اذا أنت عبت المرء ثم أتيته * فأنت ومن تزرى عليه سواء *
* أسأت اذا احسنت ظنى بكم * والحزم سوء الظن بالناس *
* الحادثات اذا ألم خطوبها * فلها مساو مرة ومحاسن *
* الخير لا يأتيك متصلا * والشر يسبق سيله مطره *
* العلم ينهض بالخسيس الى العلا * والجهل يقعد بالفتى المنسوب
* الكفر بالنعمة يدعو الى * زوالها والشكر أبقى لها *
ايا دارهم ما كنت أنت بدارهم * ولا أنا مذ سار الركاب بهم أنا *
* اقلب طرفى لا أرى غير صاحب * يميل مع النعماء حيث تميل *
اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن ذاك غرم على غرم *

(حرف الباء الموحدة)

بنا فوق ما تشكو فصبرا لعلنا * نرى فرجا يشفى السقام قريبا
بالملح تصلح ما نخشى تغيره * فكيف بالملح ان حلت به الغير
بنى عمنا ان العداوة شأنها * ضغائن تبقى فى نفوس الاقارب

(حرف التاء المثناة الفوقية)

تحن اليه أفئدة البرايا * وتهواه الخلائق للسماع
تلوم على القطيعة من أتاها * وأنت سننتها للناس قبلى

تلجى الضرورات فى الامورالى * سلوك مالا يليق بالادب
تفرقت الظباء على حراش * ومايدرى حراش مايصيد
تجتلى الاذن منه أحسن مما * تجتلى العين من وجوه البدور

(حرف الجيم)

* جن له الدهر فنال الغنى * آه لمن أغفله الدهر
جربت أهلى وأهليه فما تركت * لى التجارب فى ود امرئ غرضا

(حرف الحاء المهملة)

حياك من لم تكن ترجو تحيته * لولا الدراهم ماحياك انسان

(حرف الخاء المعجمة)

خفض الجأش واصبرن رويدا * فالرزايا اذا توالت تولت
خليلى ان الحب صعب مراسه * وان عزيز القوم فيه يهان
خاطر بنفسك كى تصيب غنيمة * ان الجلوس مع العيال قبيح
خيالك فى عينى وذكرك فى فمى * ومثواك فى قلبى فأين تغيب
خن من أمنت ولا تركن الى أحد * فما نصحتك الا بعد تجريبى

(حرف الدال المهملة)

داود محمود وأنت مذمم * عجبا لذاك وانتما من عود
دعينى أنهب الاموال حتى * أعف الاكرمين عن اللئام

(حرف الذال المعجمة)

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله * وأخو الجهالة فى الشقاء منعم

(حرف الراء)

* رب مهزول سمين عرضه * وسمين الجسم مهزول الحسب
ردوا على صحائفنا سودتها * فيكم بلاحق ولا استحقاق
رضيت ولا أرضى اذا كان مسخطى * من الامر مافيه رضا صاحب الامر
* رب يوم بكيت منه فلما * صرت فى غيره بكيت عليه

(حرف الزاى)*

زنيم ليس يعرف من أبوه * بغى الام ذو حسب لئيم

(حرف السين المهملة)

سرورى أن تبقى بخير ونعمة * وانى من الدنيا بذلك قانع
سوء حظى أنالنى منك هجرا * فعلى الحظ لا عليك العتاب
سبكناه ونحسبه لجينا * فأبدى الكير عن خبث الحديد
ستذكرنى اذا جربت غيرى * وتعلم اننى نعم الصديق

(حرف الشين المعجمة)

شفيعى اليك الله لا رب غيره * وليس الى رد الشفيع سبيل

شكرتك قبل الخبر ان كنت واثقا * بأني بعد الخبر لاشك شاكر

(حرف الصاد المهملة)

صحح لنا والده اولا * وأنت في حل من الوالده

(حرف الضاد المعجمة)

ضاقت ولو لم تضق لما انفرجت * والعسر مفتاح كل ميسور

(حرف الطاء المهملة)

طويل عمر المعالي والندى أبدا * قصير عمر الاعادي والمواعيد
طوبى لاعين قوم أنت بينهم * القوم في نزهة من وجهك الحسن

(حرف الظاء المشالة)

ظهرت خيانات الثقات وغيرهم * حتى اتهمنا رؤية الابصار
ظلمت امرأ كافيته غير خلقه * وهل كانت الاخلاق الا غرائزا

(حرف العين المهملة)

علم الله كيف أنت فأعطا * ك المحل الجليل من سلطانه
على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر
عسى فرج يأتي به الله انه * له كل يوم في خليقته امر
عتبت على عمرو فلما تركته * وجربت أقواما بكيت على عمرو

(حرف الغين المعجمة)

غنى بلا دين عن الخلق كلهم * وان الغنى الاعن الشئ لا به
غلام أتاه اللؤم من شطر نفسه * ولم يأته من شطر أم ولا أب

(حرف الفاء)

فلم أر كالايام للمرء واعظا * ولا كصروف الدهر للمرء هاديا
فنفسك أكرمها فانك ان تهن * عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما
فصبر جميل ان في اليأس راحة * اذا الغيث لم يمطر بلادك ماطره
فما أكثر الاصحاب حين تعدهم * ولكنهم في النائبات قليل
فان كانت الاجسام منا تباعدت * فان المدى بين القلوب قريب
فلو كان حمدا يخلد المرء لم يمت * ولكن حمد المرء غير مخلد
فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

(حرف القاف)

قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه
قد زال ملك سليمان فعاوده * والشمس تنحط في المجرى وترتفع
قد يدرك المتأني نجح حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل
قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه * خلق وجيب قميصه مرقوع

(حرف الكاف)

كلوا اليوم من رزق الاله وأبشروا * فان على الخلاق رزقكم غدا

* كفى زاجرا للمرء أيام دهره * تروح له بالواعظات وتغتدى

* كنت من كربتى افر اليهم * فهم كربتى فأين الفرار *

* كانوا بنى ام ففرق شملهم * عدم العقول وخفة الاحلام

* كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الاعداء

* كأنك من كل النفوس مركب * فأنت الى كل الانام حبيب

* كالكلب ان جاع لم يعدك بصبصة * وان ينل شبعا ينبح من الاشر

(حرف اللام)

لعمرك مايدرى الفتى كيف يتقى * اذا هو لم يجعل له الله واقيا

لعمرى ماضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

للموت فينا سهام وهى صائبة * من فاته اليوم سهم لم يفته غدا

* لو أن خفة عقله فى رجله * سبق الغزال ولم يفته الارنب

لو كان مابى فى صخر لانحله * فكيف يحمله خلق من الطين

لعمرك ما الايام الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود

لكل امرئ حالان بؤس ونعمة * وأعطفهم فى النائبات أقاربه

(حرف الميم)

من يحمد الناس يحمدوه * والناس من عابهم يعاب *

* من لم يعدنا اذا مرضنا * ان مات لم نشهد الجنازه *

متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

من كان فوق محل الشمس رتبته * فليس يرفعه شئ ولا يضع *

من الناس من يغشى الاباعد نفعه * ويشقى به حتى الممات اقاربه

ما كان فى المخدع من أمركم * فانه فى المسجد الجامع

* ماقام عمرو فى الولا * يه قائما حتى قعد *

(حرف النون)

تسود أعلاها وتأبى اصولها * وليس الى رد الشباب سبيل

* نحن بنو الموتى فما بالنا * نعاف مالابد من شربه

ندمت ندامة الكسعى لما * رأت عيناه ماصنعت يداه

(حرف الهاء)

هناكم الله بالدنيا ومتعكم * بما نحب لكم منها ونرضاه *

هل بالحوادث والايام من عجب * أم هل الى رد ماقد فات من طلب

هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذاك الى الزوال

* هنيأ لمن لاذاق للدهر لوعة * ولم تأخذ الايام منه نصيبا

هم يحسدونى على موتى فوا حزنى * حتى على الموت لا أخلو من الحسد

(حرف الواو)

ولم اركالمعروف أما مذاقه * فحلو وأما وجهه فجميل *
واذا خشيت من الامور مقدرا * وهربت منه فنحوه تتوجه *
والرزق يخطئ باب عاقل قومه * ويبيت بوابا بباب الاحمق *
* ولايغررك طول الحلم منى * فما ابدا تصادفني حليما *
* ولاخير فيمن لايوطن نفسه * على نائبات الدهر حين تنوب
واذا اتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بانى كامل *
* وما للمرء خير فى حياة * اذا ما عد من سقط المتاع *
وما المرء الا كالهلال وضوئه * يوافى تمام الشهر ثم يغيب *
وقد تسلب الايام حالات اهلها * وتعدو على اسد الرجال الثعالب
ومن يأمن الدهر الخؤون فانني * برأى الذى لايأمن الدهر اقتدى
واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخرا يكون كصالح الاعمال
ومن يكن الغراب له دليلا * يمر به على جيف الكلاب *
ومن يك مثلى ذا عيال ومقترا * من الزاد يطرح نفسه أى مطرح
ولربما منع الكريم ومابه * بخل ولكن سوء حظ الطالب
ولابات يسقيناسوى الماء وحده * وهذا جزا من بات ضيف الضفادع
ومن عاش فى الدنيا فلابد أن يرى * من العيش مايصفو ومايتكدر
ولو دامت الدولات دامت لغيرنا * رعايا ولكن مالهن دوام
وأحسن فان المرء لابد ميت * وانك مجزى بما كنت ساعيا
* ولاترين الناس الا تجملا * وان كنت صفر الكف والبطن طاويا
وما لامرئ طول الخلود وانما * يخلده طول الثناء فيخلد
* ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
* وكان رجائى أن اعود ممتعا * فصار رجائى ان أعود مسلما
* وتجلدى للشامتين اريهم * أنى لريب الدهر لا اتضعضع *
ولابد من شكوى الى ذى مروأة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع
* وهون حزنى عن خليلى أننى * اذا شئت لاقيت الذى مات صاحبه
* ويوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر *

(حرف اللام ألف)

لاتنظرن الى الجهالة والحجى * وانظر الى الاقبال والادبار
لاتسأل المرء عن خلائقه * فى وجهه شاهد من الخبر *
* لايصبر الحر تحت ضيم * وانما يصبر الحمار *
* لاتنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم *
* لايبالى الشتم عرض * كله شتم وذم *

لاتنظرن الى امرئ ما اصله * وانظر الى أفعاله ثم احكم
لايسكن المرء فى ارض يهان بها * الامن العجز أومن قلة الحيل
لايقبلون الشكر مالم ينعموا * نعما يكون لها الثناء تبيعا
لأسال الناس عمافى ضمائرهم * مافى ضميرى لهم من ذاك يكفينى

(حرف الياء المثناة التحتية)

* يفر من المنية كل حى * ولاينجى من القدر الحذار *
يريك الرضا والغل حشو جفونه * وقد تنطق العينان والفم ساكت
* يهمهم للشعير اذا رآه * ويعبس ان رأى وجه اللجام *
* يفارقنى من لاأطيق فراقه * ويصحبنى فى الناس من لاأريده *
* يزيد تفضلا وأزيد شكرا * وذلك دأبه أبدا ودأبى *
يواسى الغراب الذئب فى كل صيده * وماصادت الغربان فى سعف النخل
* يهون علينا أن تصاب جسومنا * وتسلم أعراض لنا وعقول *
* يغر الفتى مر الليالى سليمة * وهن به عماقليل غوائر *
* يغيظنى وهوعلى رسله * والمرء فى غيظ سواه حليم *
* يريك البشاشة عند اللقا * ويبريك فى السر برى القلم *

(الفصل الخامس فى الامثال السائرة بين الرجال والنساء مرتبة على حروف المعجم)

(حرف الالف)

ان كنت ما تعمل جميل احمل كما يعمل معك * اذا ابغضك جارك حول باب دارك * اذا كان صاحبك عسل لاتلحسه كله * المستعجل والبطى عند المعدية يلتقى * ألف ذقن ولاسلام عليكم * ألف ذقن ولاذقنى * اذا غاب عنك اصله كانت دلائل نسبته فعله * اذا وصلت وسلم الله بيع بماقسم الله * اذا كنت أعمى واطروش شم رائحة النقوش * اذا كان النبيذ دردى والعشيق كردى والنقل فول حار والعشاء بيسار ايش يكون الحال * اذا كان القطن احمر * والمغسل اعور * والدكة مخلعه * والنعش مكسر * اعلم أن الميت من اهل سقر والوادى الاحمر * ايش ينفع الضراط عند طلوع الروح * قال تقريف للحاضرين وتفريق للملائكة * الفشر والنشر والعشاء خبيزه * اكل الدقه والنوم فى الازقه ولادجاجه محمره يعقبها مشقه * ايش انت فى الحاره يامنخل بلاطاره * الرجم بالطوب ولا الهروب * اذا وقعت بافصيح لاتصيح * أقرع يقول لاقرع امشى بنا نزرع فى بركة القرعان ايش ماطلع يطلع النصف لى والربع لى والثمن لى والثمن الآخر لك ولى * العدو مايبقى حبيب حتى يصير الحمار طبيب اقعد ياحمار حتى ينبت لك الشعير * أى موضع راح الحزين يلقى جنازة * قال الشاعر

* ان دام هذا السير يامسعود * لاجمل يبقى ولا قعود

غيره

اذا لم تكن لى والزمان شرم برم * فلا خير فيك والزمان ترللى

غيره

اذا أقبلت كادت تقاد بشعرة * وان ادبرت كادت تقد السلاسلا

(حرف الباء الموحدة)

بينما يتروى البخيل قضى الكريم حاجته * بينما يسعد المعتر فرغ عمره * بينما أصل قبره نسيت همه * بينما يعدل المعتر حاله جا الموت شاله * بينما يخلص ربنا حق اتفرقعت جوزة حلقي * بينما يقطع الجريد * يفعل الله ما يريد * بينما يجي الدرياق من العراق يكون الملسوع مات * بين حانه وبانه حلقت لحانه * بدوى مقروح لقي التمر مطروح اين يخلي ويروح * بدال الجمل وقلقاسك هات لك شد على راسك * بدال اللعمه والباذنجان هات لك قميص ياعريان * بدال الجمل التلاته هات لك شد يا شمانه * بقي للكاب سرج وغاشيه وغلمان وحاشيه * بقي للغرامر او يحلف بالطلاق * بعد الجوع والقله بقي لك حمار وبغله

(حرف التاء المثناة فوق)

تموت الحدادي وعينها في الصيد * تعالوا بنا نقتبح ونرجع غدا نصطلح * تدحرج الخرا لعند البعر قال له ايش انت قال له بزم قردش * ترك الفضول من حزم العقول * تراب العمل ولا زعفران البطالة * تسكر وتخانق ما هو شيء موافق * تجارة الاحمق على أهل بيته * تضارب الريح مع الموج جا الهم على النواتيه * تزاوروا ولا تجاوروا * تبات نار تصبح رماد لها رب يدبرها

(حرف الثاء المثلثة)

ثوب العيرة ما يدفي * ثقيل واسمه صخر بن جبل * ثور علقوه اغمى عليه قال حتى يطلع شيء يرشوه عليه * ثور عاجز ما يدور ساقيه * ثقيل من اولاد الزنا مرّ العنا * ثوب عليه وثوب على الوتد قال انا اليوم أحسن من كل من في البلد

(حرف الجيم)

جور القط ولا عدل الفار * جمل موضع جمل يبرك * جهد المقل دموعه * جمل بحبه قال واين المحبه * جيت اصطاد صادوني * جار له حق وجار ماله حق وجار لا صحبته عافيه * جارك مرآتك ان لم ينظر وجهك نظر قفاك * جا كاب من عند خاله قال كل من هو في حاله * جا كاب من عند عمه قال كل من هو ملهي بهمه * جاز يبنعلوا خيل الباشا مدت ام قويق رجلها * جوزوها له ما لها الا له * جوزوا مشكاح لريمه ما على الاثنين قيمه

(حرف الحاء المهملة)

حاجة لا تهملك وصى عليها زوج أمك * حول حبيبي ماعونه * وقدرته مع كانونه * حمار حمكوه بالتوت على باب الغيط يموت * حلينا القلوع وارسينا واصبحنا على ما أمسينا * حب وواري واكره وداري * حدثتني ونصحتني عايرتني وفرحتني * حط فلسانك في كمك واشتري ابوك وامك * حبة قرص تخرب أرض

(حرف الخاء المعجمة)

خديني وارغبي فيه انا حصاد ملوخيه وعند الخبز آكل ميه وعند الشغل ماليه

* خبزت لى وصلحت لك * خذ ذا الصبى فوق صبيانك * تمام لاحزانك * خزينة فى جره وملحه فى صره * خبزه بلا ادام و يعزم على الجيران

(حرف الدال المهملة)

دار الظالم خراب ولو بعد حين * درهم لك ودرهم عليك لالك ولا عليك * دواء مالا تشتهى النفوس تعجيل الفراق

(حرف الذال المعجمة)

ذا درب مايسدّ ريح * ذى ماهى رمانه الا قلوب ملانه * ذالى وذا ايدى عليه * ذى مايده مايقعد عليها طفيلى * ذا الخبز ماهو من ذا العجين * الولد خرا من ظرفه كل من شال رجليه حك انفه * ذكروا مصر القاهره قامت باب اللوق بحشايشها * ذكروا المدن جات القرى تحجل

(حرف الراء المهملة)

راح ذاك الزمان بناسه وجا هذا الزمان بفاسه وكل من تكلم بالحق كسروا راسه * رأوا حمار راكب حيط قالوا الى أين ياحمار قال مسافر قالوا من كانت هذه المطيه مطيته لايشرق ولا يغرب * رأوا سكران يقرأ قالوا غنى تشاكل روحك * رأوا شيخا يتهجى قالوا يختم على الصراط * رأوا وردانه على سنداس قالوا ما الذى الفسقيه الاذى البلطيه * رأوا على قبر مكتوب ياسعادة ساكنه قالوا ابصر من يزاحمه * راكب بلاش و يناغش مراة الريس * ركبتك وراى حطيت يدك فى الخرج * راح الجندى * وخلى خلقه عندى * رزق الكلاب على المجانين راسين فى عمامه مايكون * راحت على جمل وجات على قطه قال ما الذى الشبله الاذى الحطه قال الشاعر

راح الذى كان يعيش بفضله بين الورى
وبقى الذين حياتهم * ووجودهم مثل الخرا

(حرف الزاى المعجمة)

زقزوق على بركه يضحك وهو ضحكه * زاويه بلا عيش بنيت ليش * زوج القصيره يحسبها صغيره * زوجت بنتى اقعد فى دراها جاتنى وأربعه وراها . قال الشاعر

زوجت بنتى تنستر * ويمتلى بيتى قماش
جاغزلها فى اكلها * وبكها اطلع بلاش

زنبور زن على حجر مسن قال له ايش تريد قال الحسك قال انا الحس البولاد * زنبور زن على فلس نحش قال له ايش تطلب قال له عسل قال له قصدت معدن بادندن

(حرف السين المهملة)

سل المجرب ولا تنس الطبيب * سمولك مسحر قال فرغ رمضان * سمولك حبل قال وطوالك * سمولك راجح قال ان شاء الله تجى الحق سبع وزرولا استتر قال الشاعر

سيغنى الله عن بقراط دن * ويأتى الله باللبن الحليب

وقال آخر

سيغني الله عن زيد وعمرو * ويأتي الله بالفرج القريب

(حرف الشين المعجمة)

شره ووضيع ويغضب سريع * شئ ما نابه وتقطعت ثيابه * شعر يحلق وشعر ما يحلق * شرب السموم القاتلة ولا الحاجة الى السفل * شئ ولا تدعكني * شئ ما يجي على القلب عنايته صعبه * شرا العبد ولا تربيته * شفت بغله عامت زبله * ركبت خنفسه زمر زنبور قال ماذا الجوق الجليل الا المقطعات النيل

(حرف الصاد المهملة)

صام سنه وفطر على بصله * صبري على الحبيب ولا فقده * صاحب يضر عدو مبين * صباح القوال ولا صباح العطار * صباحك يا أعور قال ذي خناقه بايته * صباح الخير يا جاري انت في دارك وانا في داري

(حرف الضاد المعجمة)

ضرب الحبيب كأكل الزبيب * ضربتين في الراس تعمي * ضرب وبكى وسبق يشتكي * ضربة على كيس غيري كأنها في عدل حنا * ضمنوا احدايه لغراب قال الكل يطيروا * ضربوا بياع الكسبره خرى بياع التوم قال ذي داهيه جات على الخضريه

(حرف الطاء المهملة)

طارت الطيور بأرزاقها * طفيلي ويجلس في الصدر * طفيلي ويقترح * طويل الكم خطار قليل الفرح في الدار * طبق وجاريه على صحن بساريه * طبلوا جاكم عثمان يد من ورا ويد من قدام * طعامك ما جاني ودخانك اعماني * طار طيرك وأخذه غيرك * طول ما أعيش يكفيني رعي الحشيش * طول الغيبه وجانا بالخيبه

(حرف الظاء المعجمة)

ظهرك عندي نصف الليل

(حرف العين المهملة)

عنقود مدلى في الهوا من لا يصل اليه يقول حامض ولا استوى عشق بداله لا ابا له * عاشق ما يسمع بكا صغير * عاشق ما يسمع كلام مفارق * عاشق مقل شي ما زرع ايش جا يستغل * عزومه حسبت عليك كل وبحلق عينيك * عند المخاضه يبان القليط * عند الطعان يبان الفارس من الجبان * عريان التينه وفي حزامه سكينه * عريان وفي كمه ميزان

(حرف الغين المعجمة)

غابت السباع ولعبت الضباع * غربه وكربه ما يحمل الحال * غطاس وقلقاس محسين في قدره * غالي السوق ولا رخيص البيت

(حرف الفاء)

فرجه بلا كسر تعمي البصر * فقير ونفيره وكلامه كثير ويقول هاتوا عشان ينفق * فوق الشرا طه ملح اودانه * فارس خرا ويسوق في الوحل * فارس خرا واسمه عنتر * فارس خرا ويسابق الخيل * فرد ضربه في الراس تكفي * فصدوا قرد نطر قالوا به دم زايد *

فرغت الرعانه باجانم

(حرف القاف)

قالوا للاعمى زوق عصانك قال هو انا محب فيها * قالوا للحمار اجتر قال مضغ المحال ما ينطلى قالوا للقرد شب قال ايادى ملاح وتمسك المناصول * قالوا للقرد اطلب من ربك قال هو انا عنده بوجه يبسط * قالوا للجمل زمر قال لا شفف ملمومه ولا ايادى مفروده قالوا للدبه طرزى قالت ذى خفة ايادى * قالوا للكلاب احرثوا قالوا ما جرت بهذا عاده * قالوا للغراب مالك تسرق الصابون قال الاذى طبعى * قالوا البقر الديوان اذا مت يكفنوكم فى حرير قالوا اشتهينا نروح بجلودنا * قالوا للغزاله ارحلى حركت ذنبها * قالوا للعرب ارحلوا حلوا المناسف

(حرف الكاف)

كل من عودته بأكالك كلما نظرلك جاع * كشكار دائم ولا علامة مقطوعه * كل كره واشرب كره ولا تعاشر كره * كل هم كاوى عند همى ياوى * كل شئ لا يشبه قانيه حرام * كل مائة عصفور ما يجوا حداية * كل ألف مصه ما يجوا بغصه * كل ألف بوسه ما يجوا بعبوسه * كتاب يالحمان بالشعره والصنان * كمل حبيبى كل المعانى * اعرج وقيليط ومجبانى * كمل حبيبى واكمل اعرج وقيليط واحول * وفيه عاده اخرى لمن يواصل يخرا * كانه خان للفجر لا يوحشه من غاب ولا يؤانسه من حضر * كانه من طواحين الكشكار دايرعلى رجل الفار * كانه عصفور ينيك بلاش ويأوى فى الاعشاش

(حرف اللام)

*لولاك يا كمى ما اكلت يا فمى * لولاك يالسانى ما انسكيت ياقفاى * لولا الغيره والحسد كانت عجوزه كفت بلد * لولا اختلك ماصرت ابن عمتك * لوقلبناها بليه ما جات هكذا * لوكان فيها خير مارماها الطير * لك وعليك ما يصعب عليك * لك اسوة بغيرك * لقمه بدقه ولا خروف بزقه * لقمه تحت حيطه ولا خروف بعيطه * لوسلم الكرم من حارسه طابت مغارسه * لوتقطع يده وتدليها من فيه صنعه ما يخليها * لو عمل لى من الذهب وليمه هو عندى بتلك العين القديمه * لوشال راسه الى السما كانه عصيده با * لونطر الجمل لصنمه كان كدمه * لولا الكشط والبرايه ما كانت اولاد الخرا كتاب *

(حرف الميم)

محبه بلا حبه ماتساوى حبه * ماشلتك يا دمعتى الا لشدتى * من عاشر غير جنسه دق الهم صدره * من قدم النحس تعب فى تأخيره * من عاشر الحداد احترق بناره * من عاشر الزبدانى فاحت عليه روايحه * من ركب فى غير سرجه وغرزه دخل الهوا استه وهزه من لا يحط يده ملزنده ما يعرف حره من برده * ما رأيتك يا نور حتى ابيضت العيون * مالى على فراقكم جلد الاهبا جى من البلد * ما كفانا هم ابونا قام أبونا جاب أبوه قال خذوا جدكم ربوه * من عدم نابه ونصابه وشبابه وشبابه كان الموت أولى به * من يكلم القبح يروح عرضه وينفضح * ماتنقد وهم كاهم زغليه ما فيهم من يجب النقاد

(حرف النون)

نوايه تسند الجره قال وتسند الزير الكبير * نفسك اتلفت أى شئ اخلفت * نصف البلا ولا البلا كله * ناقص ونحاس * ناموسه باتت على شجرة أصبحت تقول خاطرك قالت لها وأنت كنت على أى ورقه * نيتك مطيتك * نسيت يافلاح ما كنت فيه كعبك المشقق والوحل فيه نيك حتى تبقى ديك

(حرف الهاء)

هانت الزلابيه حتى اكلها بنو وائل * هان المسك وانتثر * هدية تعرقومها تخليتها ولا لومها * هدية الاحباب على ورق السداب قال هو أعمى عن ورق الموز * هو عرس تاكل وتنسل اهدوا هدية وأعينهم فيها يقولوا الله يردها * هاتوا اذا الغزل المخبل لذا التلب المدبل

(حرف الواو)

واحد نتفه وآخر لقفه وقال آخر ياقريب الفرج * واحد يخطبوا له وهو قائم عليه قال أنا فى حاجتك * واحد جائز رأى قرديجرش ترمس قال ما لذى الفاكهة البدرية الاذى الصورة القمرية * واحد سموه عنبر وصنعته سرباتى قال الذى كسبه فى الاسم خسره فى الصنعه * وحش ويكش ويقعد فى الوش ويغنى بلينا بكم * وقت أكل الدجاج ما يفتكرونى وفى وقت شيل التراب هات يدك * وايش قام على نومه بفصل الحكومه * وقت الشوا والغنى ماقلت يا أخى الحقنى * ووقت ضرب الدره قلت اصنعوا واصفعنى

(حرف اللام الف)

لاتعيرنى ولا أعيرك الدهر حيرنى وحيرك * لا أصل شريف ولا وجه ظريف * لا أخوك ولا ابن عمك تشق ثوبك على ايش * لاعاش بليق لاحراس ولا دراس * لاعاش العار ولا بنى له دار * لاربح ثوابه ولا خلاه لاصحابه * لا فى الفراق نجد راحه ولا فى الوصل * لاتشكرن فتى حتى تجربه * لاتفرح لمن يروح حتى تنظر من يجى * لا يضر السحاب نبح الكلاب * لا يغرك تطريتى الاصل فى ريقى

(حرف الياء)

ياشب مليح ما أحسن وصفك لا فى يدك ولا فى طرفك * ياويل من ذاق الغنى بعد جوعه * يموت وفى قلبه من الهم واجس * ياطارق الباب بعد العشى لاتطرق الباب ماثم شى * يامن ملنا ما كان حلنا لساما النافى العشره سنه * يهنيكم قدومه قد جاكم بشومه ياليتنا انكسرنا ولابك انتصرنا * ياويل من كان عشيه من بيت خيمه ياطالب الشر بلا أصل تعال للصائم بعد العصر

(أمثال النساء حرف الالف)

أحبك ياسوارى مثل معصمى * الذى فى قلب ام حسنين تحلم به فى الليل * ان كنتى حره لاتضيعى نقابك بره * ان لم تعملى وتفتخرى والا اقعدى وانعفرى * ان كانت الدايه أحن من الوالده قال ذى داهيه عباره * الكلام لك ياجاره الاتى جاره * ايش تعمل الماشطه فى الوجه المشؤم * ايش قام على الحزينه بالنقش والزينه * ايش ينفع النفخ فى الوجه الاصم * ارمله

عدس ومتزوجه عدس اقعدى بعدسكى * اسم الزوج ولاطعم الترمل * العاقلة فينا تزنى بيقطينا * اذا كان زوجى راضى ايش فضول القاضى * استعلت الرعنه شئ حسبته لها اخذت المقص ودارته لها * اقعدى فى عشك حتى يجى حد ينشك

(حرف الباء الموحدة)

بعد ان كنتى لى وحدى بقيت أسمع أخبارك * بعد سنه وشهرين جابت بنت بشفرين * بعدان كان زوجها بقى طباخ فى عرسها * بعد مشيك فى الحافه بقى لك سلالم وغرفه واسمك ستيته * بعد أمى وأختى الكل جيرانى * بينما تنقب الحوله انصرف القاضى * بنت الخرا تزف لابن الخرا بدف باتت ناموسه على جميزه قالت صبحك الله بالخير قال مين درى بك قبله * بدال ماتمشى وتهزى كتفك رقعى فردة خفك * بخرا وتزاحم بالبوس * بقى لام سيسى برقع وللضفدعة زماره * بعد مشيك فى الحلافى لبستى الصافى * بعيد على الحزينه تستعمل الزينه

(حرف التاء)

تابت القحبه يوم وليلة قالت مابقى فى البلد حكام * تضاربت المجنونه والحمقا حسبتها الرعنه من حقا * تضارب وتتعرى وتصيح ياقلة رجالى * تأخذوا أبونا وتكابرونا ترتانه وبيانه ومفاتيح الخزانه * تباهت الرعنه بشعر بنت اختها تخاونى والا استحل بجارنا قالت اذا كان ذا فى قلبك خذ يه بلا استحلال * تتغمى بالخرج ولا تخلى الغنج * تقعد عيوشه فى دارتها مالاحد حاجة فى زيارتها

(حرف الثاء)

ثوب سيدى ثوب حبيبى * ثوب ستى ثوب تحبه

(حرف الجيم)

جاره بجاره والعدا وخساره * جانى عذولى ورثالى ماهى محبه الا شماته لى * جاريه وزبديه على باذنجانه مقليه * جاتنا العدوه مكحله قطران لاغيره وقلبها فرحان * جاب ثيابه يغسلهم بلا صابونه معهم

(حرف الحاء المهملة)

حوله وتتنقب بنخ * حزانا ماعندهم دقيق اشتروا لهم منخل رقيق * حزانا ماعندهم خبز اشتروا لهم بعشره ملوخيه * حزينه ورواعيه * حبله وحرضعه وعلى كتفها أربعه وطلعت الجبل تجيب دوا للحبل * حوله ونصرانيه لا مليحه ولا أصل طيب * حزينه مالها عملوك سمت زنبورها خوشكلدم * حزينه مالهاملك اكترت لها بواب * حزينه مالها كامليه طلبت لها خف وشعريه

(حرف الخاء المعجمة)

خطبوها تعززت وكان زمان البوار * خلت زوجها مكروب وراحت تشوف المصلوب * خذى قطيفه واكتمى سرى قالت مايطاوعنى قلبى * خلت مايعنيها واتبعت حل رجليها

(حرف الدال المهملة)

دري زوجك يكتبتك تمي نهارك مع ليلتك * دق من أسفل ولا تطاع ما انت على القلب

(حرف الذال المعجمة)

ذكرت العجوز ا طلالها

(حرف الراء)

رقصي ما احسنتي كان قعادك اجمل * رعنا يضحكوا بها وهي تضحك تساعدهم * رأوا جاموسه منقبه بحصير قالوا ما الذا الشكل الوضيع الاذا القماش الرفيع * راحت تبيع ربعه غابت جمعه * راحت رجال الهيبة وبقيت رجال الخيبة * راحت رجال اللحم والقلقاس وبقيت رجال الخبز بالفسفاس * رأوا خنفسه على مكنسه قالوا ما الذي الصيفه الاذا الحمار الازعر

(حرف الزاي)

زمّر بالزميرة تبان لك العاقلة من المجنونة * زوجي ما حكم علي قام لي عشيقي بشمه * زوّجوا بنت نشادري لسرباتي قالوا قليلات الحرا تتدحرج لبعضها

(حرف السين المهملة)

سودا وتنقش بسباخ * سودا منقبة قفل على خزانة * سألوها عن أبيها قالت جدي شعيب

(حرف الشين المعجمة)

شدّي قرطاسك من عند موسه قالوا داشي ما فرحتي به وانتي عروسه * شامته ومعزيه

(حرف الصاد المهملة)

صارت القحبه واعظه * صارت القويقه شاعره

(حرف الضاد المعجمة)

ضحك ابن سنه غمي على امه قالت ما اخف دمه

(حرف الطاء المهملة)

طلعت ترحم نزلت تتوحم

(حرف الظاء المعجمة)

ظريفة وعفيفة ولها نفس شريفه

(حرف العين المهملة)

عميا تحفف مجنونه وتقول حواجبك سود مقرونه * عاقله وجابت طفله وجاتها خطار واشتروا لها قلقاس دكر وحطب اخضر في نهار مطر وقالوا لها اطبخي على قدر لحمه تقع الصلحه * عجوزه وجابت غلام اذا جنت لا تلام * عجوزه وخرفانه دي داهيه كانه

(حرف الغين المعجمة)

غيرك يقوم مقامك عليش قلبي أعذبه

(حرف الفاء)

فرحت حزينه خربت مدينه

(حرف القاف)

قالوا للمغانى اتزوقوا قلبوا عصايتهم * تحبه ما كنست بيتها كنست المسجد * قالوادى تحبه تطلب الثواب

(حرف الكاف)

كل من تبعت هواها صارت سرا وبلها رداها * كبرتى يابرقوقه وبقى لك دبوقه * كانوا مغانى صاروا ملاهى لاراحت ولاجات كاهى * كلى قلبه وباقى هنيه * كانها من الباسطيه قماش على جريده * كانها حزمة فجل أصفر وعرقها أخضر * كانها من عمايم اليهود صفرا طويله رفيعه * كانها من بيت الوالى مايتحدث نهها سوى الحاشيه * كانها ضبة جميدى مخلوعه ولاتاخدشى

(حرف اللام)

لو كان ماينقش الا السمان بارت المواشط من زمان * للساعة ماحبلت جابت المرسين * لولا المعاير ما كانت الحراير *

(حرف الميم)

ماشطه وتمشط بنتها * من افتكرنا ياسمينا مانسينا

(حرف النون)

نوايه تسند الجره قال وتسند الزير الكبير

(حرف الهاء)

هش يادبانه أنا حبلى من مولانا *

(حرف الواو)

وجه لايرى بالذهب يشترى

(حرف اللام الف)

لاانتى مليحه ولاتغنى بايش تدلى

(حرف الياء)

يعيش المدالل بلامكال * ياغزالة الاقمار اين كنتى بالنهار * ياما تحت النقاب والشعريه من كل بليه * يامن ملنا ما كان حلنا * للساعه مالنا فى العشيره سنه

(الباب السابع فى البيان والبلاغة والفصاحه وذكر الفصحاء من الرجال والنساء وفيه فصول)

(الفصل الاول فى البيان والبلاغة) اما البيان فقد قال الله تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان وقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا قال ابن المعتز البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول * وأما حده فقد قال الجاحظ البيان اسم جامع لكل ما كشف لك عن المعنى * وأما البلاغة فانها من حيث اللغة هى أن يقال بلغت المكان اذا اشرفت عليه وان لم تدخله قال الله تعالى فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى أم لكم ايمان علينا بالغة أى وثيقة كانها قد بلغت النهاية وقال اليونانى البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة وقال الهندى البلاغة تصحيح الاقسام واختيار الكلام وقال الكندى يجب للبليغ أن يكون قليل اللفظ

كثير المعانى * وقيل ان معاوية سأل عمرو بن العاص من أبلغ الناس فقال أقلهم لفظا وأسهلهم معنى واحسنهم بديهة ولولم يكن فى ذلك الفخر الكامل لما خص به سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم وافتخر به حيث يقول نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم وذلك انه كان عليه الصلاة والسلام يتلفظ باللفظ اليسير الدال على المعانى الكثيرة * وقيل ثلاثة تدل على عقول أصحابها الرسول على عقل المرسل والهدية على عقل المهدى والكتاب على عقل الكاتب * وقال أبو عبد الله وزير المهدى البلاغة ما فهمته العامة ورضيت به الخاصة * وقال البحترى خير الكلام ماقل وجل ودل ولم يمل * وقالوا البلاغة ميدان لا يقطع الابسوابق الاذهان ولا يسلك الابصائر البيان قال الشاعر

لك البلاغة ميدان نشأت به * وكلنا بقصور عنك نعترف

مهدلى العذر فى نظم بعثت به * من عنده الدر لا يهدى له الصدف

(وروى) أن ليلى الاخيلية مدحت الحجاج فقال يا غلام اذهب الى فلان فقل له يقطع لسانها قال فطلب حجاما فقالت ثكلتك امك انما أمرك أن تقطع لسانى بالصلة فلولا تبصرها بأنحاء الكلام ومذاهب العرب والتوسعة فى اللفظ ومعانى الخطاب لتم عليها جهل هذا الرجل * وقال الثعالبى البليغ من يحول الكلام على حسب الامالى ويخيط الالفاظ على قدر المعانى والكلام البليغ ما كان لفظه فحلا ومعناه بكرا * وقال الامام فخر الدين الرازى رحمة الله تعالى عليه فى حد البلاغة انها بلوغ الرجل بعبارته كنه ما فى قلبه مع الاحتراز عن الايجاز المخل والتطويل الممل ولهذه الاصول شعب وفصول لا يحتمل كشفها هذا المجموع ويحصل الغرض بهذا القدر وبالله التوفيق الى أقوم طريق

(الفصل الثانى فى الفصاحة) قال الامام فخر الدين الرازى رحمة الله تعالى عليه اعلم أن الفصاحة خلوص الكلام من التعقيد وأصلها من قولهم أفصح اللبن اذا أخذت عنه الرغوة وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونهما استعمال الشيئين المترادفين على معنى واحد فى تسوية الحكم بينهما ويزعم بعضهم أن البلاغة فى المعانى والفصاحة فى الالفاظ ويستدل بقولهم معنى بليغ ولفظ فصيح * وقال يحيى بن خالد ما رأيت رجلا قط الاهبته حتى يتكلم فان كان فصيحا عظم فى صدرى وان قصر سقط من عينى * وقد اختلف الناس فى الفصاحة فنهم من قال انها راجعة الى الالفاظ دون المعانى ومنهم من قال انها لا تخص الالفاظ وحدها واحتج من خص الفصاحة بالالفاظ بان قال نرى الناس يقولون هذا لفظ فصيح وهذه الالفاظ فصيحة ولا نرى قائلا يقول هذا معنى فصيح فدل على أن الفصاحة من صفات الالفاظ دون المعانى وان قلنا انها تشمل اللفظ والمعنى لزم من ذلك تسمية المعنى بالفصيح وذلك غير مألوف فى كلام الناس والذى أراه فى ذلك أن الفصيح هو اللفظ الحسن المألوف فى الاستعمال بشرط أن يكون معناه المفهوم منه صحيحا حسنا * ومن المستحسن فى الالفاظ تباعد مخارج الحروف فاذا كانت بعيدة المخارج جاءت الحروف متمكنة فى مواضعها غير قلقة ولا مكدودة والمعيب من ذلك كقول القائل

لو كنت كتمت الحب كنت كما * كنا وكنت ولكن ذاك لم يكن

وكقول بعضهم أيضا

ولا الضعف حتى يبلغ الضعف ضعفه * ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف

وكقول الآخر

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

قيل ان هذا البيت لا يمكن انشاده في الغالب عشر مرات متوالية الا ويغلط المنشد فيه لان القرب في المخارج يحدث ثقلا في النطق به وقيل من عرف بفصاحة اللسان لحظته العيون بالوقار وبالفصاحة والبيان استولى يوسف الصديق عليه السلام على مصر وملك زمام الامور وأطلعه ملكها على الخفي من أمره والمستور قال الشاعر

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * ولم يبق الا صورة اللحم والدم

وسمع النبي صلى الله عليه وسلم من عمه العباس كلاما فصيحا فقال بارك الله لك يا عم في جمالك أي فصاحتك * وعرضت على المتوكل جارية شاعرة فقال أبو العيناء يستجيزها أحمد الله كثيرا فقالت * حيث أنشاك ضريرا * فقال يا أمير المؤمنين قد أحسنت في اساءتها فاشترها * وقال فيلسوف كما أن الآنية تمتحن باطنانها فيعرف صحيحها من مكسورها فكذلك الانسان يعرف حاله من منطقه * وقال المبرد قلت للمجنون أجز لي هذا البيت

أرى اليوم يوما قد تكاثف غيمه * وابراقه فاليوم لا شك ماطر

فقال

وقد حجبت فيه السحائب شمسه * كما حجبت ورد الخدود المحاجر

وقال عبد الملك لرجل حدثني فقال يا أمير المؤمنين افتتح فان الحديث يفتح بعضه بعضا * وقال الهيثم بن صالح لابنه يا بني اذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب قال يا أبت فان أنا أكثرت وأكثرت يعني كلاما وصوابا قال يا بني ما رأيت موعوظا أحق بأن يكون واعظا منك * وقال الشعبي كنت احدث عبد الملك بن مروان وهو يأكل فيحبس اللقمة فأقول أجزها أصلحك الله فان الحديث من وراء ذلك فيقول والله لحديثك أحب الي منها * وقال ابن عيينة الصمت منام العلم والنطق يقظته ولا منام الا بيقظة ولا يقظة الا بمنام قال ابن المبارك

وهذا اللسان بريد الفؤاد * يدل الرجال على عقله

ومر رجل بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ومعه ثوب فقال له أبو بكر أتبيعه فقال لا رحمك الله فقال أبو بكر لو تستقيمون لقومت ألسنتكم هلا قلت لا ورحمك الله * ومنه ما حكى أن المأمون سأل يحيى بن أكثم عن شيء فقال لا وأيد الله أمير المؤمنين فقال المأمون ما أظرف هذه الواو وأحسن موقعها وكان الصاحب يقول هذه الواو أحسن من واوات الاصداغ ويقال اللسان سبع صغير الجرم عظيم الجرم وقال بعضهم شعرا

سبحان يقصر عن بحور بيانه * عجزا ويغرق منه تحت عباب

وكذاك قس ناطق بعكاظه * يعياديه بحجة وجواب

وقيل انه حج مع ابن المنكدر شابان فكانا اذا رأيا امرأة جميلة قالا قد أبرقنا وهما يظنان

أن

أن ابن المنكدر لا يفطن فرأيا قبة فيها امرأة فقالا بارقة وكانت قبيحة فقال ابن المنكدر بل صاعقة * وكان أصحاب أبي علي الثقفي اذا رأوا امرأة جميلة يقولون حجة فعرضت لهم قبيحة فقالوا داحضة * وكتب ابراهيم بن المهدي اياك والتتبع لوحشي الكلام طمعا في نيل البلاغة فان ذلك العناء الاكبر وعليك بما سهل مع تجنبك لالفاظ السفل * ويقال القول على حسب همة القائل يقع والسيف بقدر عضد الضارب يقطع * وقال الاحنف سمعت كلام أبي بكر حتى مضى وكلام عمر حتى مضى وكلام عثمان حتى مضى وكلام علي حتى مضى رضي الله تعالى عنهم ولا والله ما رأيت فيهم أبلغ من عائشة * وقال معاوية رضي الله عنه ما رأيت أبلغ من عائشة رضي الله تعالى عنها ما أغلقت بابا فأرادت فتحه الا فتحته ولا فتحت بابا فأرادت اغلاقه الا أغلقته * ومن غريب الكنايات الواردة على سبيل الرمز وهو من الذكاء والفصاحة ما حكي أن رجلا كان أسيرا في بني بكر بن وائل وعزموا على غزو قومه فسألهم في رسول يرسله الى قومه فقالوا لا ترسله الا بحضرتنا لئلا تنذرهم وتحذرهم فجاؤا بعبد أسود فقال له أتعقل ما أقوله لك قال نعم اني لعاقل فأشار بيده الى الليل فقال ما هذا قال الليل قال ما أراك الا عاقلا ثم ملأ كفيه من الرمل وقال كم هذا قال لا أدري وانه لكثير فقال أيما أكثر النجوم أم النيران قال كل كثير فقال أبلغ قومي التحية وقل لهم يكرموا فلانا يعني أسيرا كان في ايديهم من بني بكر بن وائل فان قومه لي مكرمون وقل لهم ان العرفج قد دنا وشكت النساء وأمرهم أن يعروا ناقتي الحمراء فقد أطالوا ركوبها وأن يركبوا جملي الاصهب بأمارة ما أكلت معكم حيسا واسألوا عن خبري أخي الحرث فلما أدى العبد الرسالة اليهم قالوا لقد جن الاعور والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملا أصهب ثم دعوا بأخيه الحرث فقصوا عليه القصة فقال قد أنذركم أما قوله قد دنا العرفج يريد أن الرجال قد استلأموا ولبسوا السلاح وأما قوله شكت النساء أي أخذت الشكاء للسفر وأما قوله أعروا ناقتي الحمراء أي ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الجمل الاصهب أي الجبل وأما قوله أكلت معكم حيسا أي أن أخلاطا من الناس قد عزموا على غزوكم لان الحيس يجمع التمر والسمن والاقط فامتثلوا أمره وعرفوا لحن الكلام وعملوا به فنجوا * وأسرت طيئ غلاما من العرب فقدم أبوه ليفديه فاشتطوا عليه فقال أبوه والذي جعل الفرقدين يمسيان ويصبحان على جبل طيئ ما عندي غير ما بذلته ثم انصرف وقال لقد أعطيته كلاما ان كان فيه خير فهمه فكأنه قال له الزم الفرقدين يعني في هروبك على جبل طيئ ففهم الابن ما أراده أبوه وفعل ذلك فنجا * وكانت علية بنت المهدي تهوى غلاما خادما اسمه طل فحلف الرشيد أن لا تكلمه ولا تذكره في شعرها فاطلع الرشيد يوما عليها وهي تقرأ في آخر سورة البقرة فان لم يصبها وابل فالذي نهى عنه أمير المؤمنين * ومن ذلك قولهم تركت فلانا يأمر وينهى وهو على شرف الموت أي يأمر بالوصية وينهى عن النوح * ويقال ما رأيت فلانا أي ما ضربت في رئته ولا كلمته أي ما جرحته فان الكلوم الجراح وما رأيت ربيعا فالربيع حظ الارض من الماء والربيع النهر وما رأيت كافرا ولا فاسقا فالكافر السحاب والفاسق الذي تجرد من ثيابه وما رأيت فلانا راكعا ولا ساجدا ولا مصليا فالراكع

العاثر الذى كالوجهه والساجد المدمن النظر والمصلى الذى يجئ بعد السابق وما أخذت لفلان دجاجة ولا فروجا فالدجاجة الكبة من الغزل والفروجة الدراعة وما أخذت لفلان بقرة ولا ثورا فالبقرة العيال الكثيرة يقال جاء فلان يسوق بقره أى عياله والثور القطعة الكبيرة من الاقط (وحكى) أن معاوية رضى الله عنه بينما هو جالس فى بعض مجالسه وعنده وجوه الناس فيهم الاحنف بن قيس اذ دخل رجل من أهل الشأم فقام خطيبا وكان آخر كلامه أن لعن عليا رضى الله عنه ولعن لاعنه فقال الاحنف يا أمير المؤمنين ان هذا القائل لو يعلم أن رضاك فى لعن المرسلين للعنهم فاتق الله يا أمير المؤمنين ودع عنك عليا رضى الله عنه فلقد لقى ربه وأفرد فى قبره وخلا بعمله وكان والله المبرور سيفه الطاهر ثوبه العظيمة مصيبته فقال معاوية يا أحنف لقد تكلمت بما تكلمت وايم الله لتصعدن على المنبر فتلعنه طوعا أو كرها فقال له الاحنف يا أمير المؤمنين ان تعفنى فهو خير لك وان تجبرنى على ذلك فوالله لا تجرى شفتاى به أبدا فقال قم فاصعد قال أما والله لا نصفنك فى القول والفعل قال وما أنت قائل ان أنصفتنى قال أصعد المنبر فأحمد الله وأثنى عليه وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم أقول أيها الناس ان أمير المؤمنين معاوية أمرنى أن ألعن عليا ألا وان معاوية وعليا اقتتلا فاختلفا فادعى كل واحد منهما انه مبغى عليه وعلى فئته فاذا دعوت فأمنوا رحمكم الله ثم اقول اللهم العن أنت وملائكتك وانبياؤك وجميع خلقك الباغى منهما على صاحبه والعن الفئة الباغية اللهم العنهم لعنا كثيرا أمنوا رحمكم الله يا معاوية لا ازيد على هذا ولا أنقص حرفا ولو كان فيه ذهاب روحى فقال معاوية اذا نعفيك يا أبا بحر * وقال معاوية لعقيل ابن أبى طالب ان عليا قد قطعك وأنا وصلتك ولا يرضينى منك الا ان تلعنه على المنبر قال أفعل فصعد المنبر ثم قال بعد أن حمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم أيها الناس ان معاوية بن أبى سفيان قد أمرنى أن ألعن على بن أبى طالب فالعنوه فعليه لعنة الله ثم نزل فقال له معاوية انك لم تبين من لعنت منهما بينه فقال والله لا زدت حرفا ولا نقصت حرفا والكلام الى نية المتكلم * ودخلت امرأة على هرون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك وفرحك بما آتاك وأتم سعدك لقد حكمت فقسطت فقال لها من تكونين ايتها المرأة فقالت من آل برمك ممن قتلت رجالهم واخذت أموالهم وسلبت نوالهم فقال اما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ونفذ فيهم قدره وأما المال فردود اليك ثم التفت الى الحاضرين من أصحابه فقال أتدرون ما قالت هذه المرأة فقالوا ما نراها قالت الا خيرا قال ما اظنكم فهمتم ذلك اما قولها اقر الله عينك اى اسكنها عن الحركة واذا سكنت العين عن الحركة عميت وأما قولها وفرحك بما آتاك فأخذته من قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وأما قولها واتم الله سعدك فأخذته من قول الشاعر

اذا تم امر بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

وأما قولها لقد حكمت فقسطت فاخذته من قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا فتعجبوا من ذلك (وحكى) أن بعضهم دخل على عدوه من النصارى فقال له أطال الله بقاءك وأقر عينك وجعل يومى قبل يومك والله انه ليسرنى ما يسرك فأحسن اليه وأجازه

على دعائه وأمر له بصلة وكان ذلك دعاء عليه لان معنى قوله أطال الله بقاءك حصول منفعة المسلمين به فى أداء الجزية وأما قوله وأقر عينك فمعناه سكن الله حركتها أى أعماها وأما قوله وجعل يومى قبل يومك أى جعل الله يومى الذى ادخل فيه الجنة قبل يومك الذى تدخل فيه النار وأما قوله انه ليسرنى مايسرك فان العافية تسرنى كما تسرك الآخر فانظر الى الاشتراك وفائدته ولولا الاشتراك ماتهيأ للمتستر مراد ولاسلم له فى التخلص قياد * وكان حماد الراوية لا يقرأ القرآن فكلفه بعض الخلفاء القراءة فى المصحف فصحف فى نيف وعشرين موضعا من جملتها قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون بالغين المعجمة والسين المهملة وقوله وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الاعن موعدة وعدها اياه بالباء الموحدة ليكون لهم عدوا وحزنا بالباء الموحدة ومايجحد بآياتنا الا كل ختار بالجيم والباء الموحدة هم أحسن أثاثا ورئيا بالزاى وترك الهمزة عذابى أصيب به من أشاء بالسين المهملة صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة بالنون والعين المهملة سلام عليكم لانبتغى باسقاط التاء بل الذين كفروا فى عزة وشقاق بالغين المعجمة والراء المهملة قرن الشقاق بالغرة وهذا لايقع الامن الاذكياء (وحكى) أن المأمون ولى عاملا على بلاد وكان يعرف منه الجور فى حكمه فأرسل اليه رجلا من أرباب دولته ليمتحنه فلما قدم عليه أظهر له انه قدم فى تجارة لنفسه ولم يعلمه أن أمير المؤمنين عنده علم منه فأكرم نزله وأحسن اليه وسأله أن يكتب كتابا الى أمير المؤمنين المأمون يشكر سيرته عنده ليزداد فيه أمير المؤمنين رغبة فكتب كتابا فيه بعد الثناء على أمير المؤمنين أما بعد فقد قدمنا على فلان فوجدناه آخذا بالعزم عاملا بالحزم قد عدل بين رعيته وساوى فى أقضيته أغنى القاصد وأرضى الوارد وأنزلهم منه منازل الاولاد وأذهب مابينهم من الضغائن والاحقاد وعمر منهم المساجد الداثرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة وهم مع ذلك داعون لامير المؤمنين يريدون النظر الى وجهه والسلام فكان معنى قوله آخذا بالعزم أى اذا عزم على ظلم أوجور فعله فى الحال وقوله قد عدل بين رعيته وساوى فى أقضيته أى أخذ كل مامعهم حتى ساوى بين الغنى والفقير وقوله عمر منهم المساجد الداثرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة يعنى أن الكل صاروا فقراء لايملكون شيأ من الدنيا ومعنى قوله يريدون النظر الى وجه امير المؤمنين أى ليشكوا حالهم ومانزل بهم فلما جاء الكتاب الى المأمون عزله عنهم لوقته وولى عليهم غيره (ومن ذلك ماحكى) أن القاضى الفاضل كان له صديق خصيص به وكان صديقه هذا قريبا من الملك الناصر صلاح الدين وكان فيه فضيلة تامة فوقع بينه وبين الملك أمر فغضب عليه وهم بقتله فتسحب الى بلاد التتر وتوصل الى أن صار وزيرا عندهم وصار يعرف التتر كيف يتوصل الى الملك الناصر بما يؤذيه فلما بلغه ذلك نفر منه وقال للفاضل اكتب اليه كتابا عرفه فيه انى أرضى عليه واستعطفه غاية الاستعطاف الى ان يحضر فاذا حضر قتلته واسترحت منه فتحير الفاضل بين الاثنين صديقه يعز عليه والملك لايمكنه مخالفته فكتب اليه كتابا واستعطفه غاية الاستعطاف ووعده بكل خير من الملك فلما انتهى الكتاب ختمه بالحمدلة والصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم وكتب ان شاء الله تعالى كما جرت به العادة

فى الكتب فشددان ثم اوقف الملك على الكتاب قبل ختمه فقرأه فى غاية الكمال وما فهم ان وكان قصد الفاضل ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فلما وصل الكتاب الى الرجل فهمه وكتب جوابه بانه سيحضر عاجلا فلما أراد أن ينهى الكتاب و يكتب ان شاء الله تعالى مد النون وجعل فى آخرها ألفا وأراد بذلك انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فلما وصل الكتاب الى الفاضل فهم الاشارة ثم أوقف الملك على الجواب بخطه ففرح بذلك (وحكى) أن بعض الملوك طلع يوما الى أعلى قصره يتفرج فلاحت منه التفاتة فرأى امرأة على سطح دار الى جانب قصره لم ير الراؤن أحسن منها فالتفت الى بعض جواره فقال لها من هذه فقالت يا مولاى هذه زوجة غلامك فيروز قال فنزل الملك وقد خامره حبها وشغف بها فاستدعى بفيروز وقال له يا فيروز قال لبيك يا مولاى قال خذ هذا الكتاب وامض به الى البلد الفلانية وائتنى بالجواب فاخذ فيروز الكتاب وتوجه الى منزله فوضع الكتاب تحت رأسه وجهز امره وبات ليلته فلما اصبح ودع أهله وسار طالبا لحاجة الملك ولم يعلم بما قد دبره الملك وأما الملك فانه لما توجه فيروز قام مسرعا وتوجه مختفيا الى دار فيروز فقرع الباب قرعا خفيفا فقالت امرأة فيروز من بالباب قال أنا الملك سيد زوجك ففتحت له فدخل وجلس فقالت له أرى مولانا اليوم عندنا فقال زائرا فقالت أعوذ بالله من هذه الزيارة وما اظن فيها خيرا فقال لها ويحك اننى أنا الملك سيد زوجك وما أظنك عرفتنى فقالت بل عرفتك يا مولاى ولقد علمت انك الملك ولكن سبقتك الاوائل فى قولهم

سأترك ماءكم من غير ورد * وذاك لكثرة الوراد فيه
اذا سقط الذباب على طعام * رفعت يدى ونفسى تشتهيه
وتجتنب الاسود ورود ماء * اذا كان الكلاب ولغن فيه
ويرتجع الكريم خميص بطن * ولا يرضى مساهمة السفيه

وما احسن يا مولاى قول الشاعر

قل للذى شفه الغرام بنا * وصاحب الغدر غير مصحوب
والله لاقال قائل أبدا * قد أكل الليث فضلة الذيب

ثم قالت أيها الملك تأتى الى موضع شرب كلبك تشرب منه قال فاستحيا الملك من كلامها وخرج وتركها فنسى نعله فى الدار هذا ما كان من الملك واما ما كان من فيروز فانه لما خرج وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه فى راسه فتذكر أنه نسيه تحت فراشه فرجع الى داره فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره فوجد نعل الملك فى الدار فطاش عقله وعلم أن الملك لم يرسله فى هذه السفرة الالامر يفعله فسكت ولم يبد كلاما وأخذ الكتاب وسار الى حاجة الملك فقضاها ثم عاد اليه فانعم عليه بمائة دينار فمضى فيروز الى السوق واشترى ما يليق بالنساء وهيا هدية حسنة واتى الى زوجته فسلم عليها وقال لها قومى الى زيارة بيت أبيك قالت وماذاك قال ان الملك أنعم علينا واريد ان تظهرى لاهلك ذلك قالت حبا وكرامة ثم قامت من ساعتها وتوجهت الى بيت أبيها ففرحوا بها وبما جاءت به معها فأقامت عند أهلها مدة شهر فلم يذكرها زوجها ولا ألم بها فاتى اليه أخوها وقال له يا فيروز اما

أن تخبرنا بسبب غضبك وإما أن تحاكمنا الى الملك فقال ان شئتم الحكم فافعلوا فما
تركت لها على حقا فطلبوه الى الحكم فأتى معهم وكان القاضي اذ ذاك عند الملك جالسا
الى جانبه فقال أخو الصبية أيد الله مولانا قاضي القضاة انى اجرت هذا الغلام بستانا
سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة وأشجار مثمرة فأكل ثمره وهدم حيطانه وأخرب بئره
فالتفت القاضي الى فيروز وقال له ما تقول يا غلام فقال فيروز أيها القاضي قد تسلمت هذا
البستان وسلمته اليه أحسن ما كان فقال القاضي هل سلم اليك البستان كما كان قال
نعم ولكن أريد منه السبب لرده قال القاضي ما قولك قال والله يا مولاى ما رددت البستان
كراهة فيه وانما جئت يوما من الايام فوجدت فيه أثر الاسد فخفت أن يغتالني فحرمت
دخول البستان اكراما للاسد قال وكان الملك متكئا فاستوى جالسا وقال يا فيروز ارجع
الى بستانك آمنا مطمئنا فوالله ان الاسد دخل البستان ولم يؤثر فيه أثرا ولا التمس منه
ورقا ولا ثمرا ولا شيأ ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة وخرج من غير بأس ووالله ما رأيت مثل
بستانك ولا أشد احترازا من حيطانه على شجره قال فرجع فيروز الى داره ورد زوجته ولم يعلم
القاضي ولا غيره بشئ من ذلك والله أعلم وهذا كله مما يأتى به الانسان من غرائب
الكنايات الواردة على سبيل الرمز * ومنه ما يجده المتستر فى أمره من الراحة فى كتمان
حاله مع لزوم الصدق ورضا الخصم بما وافق مراده لان فى المعاريض مندوحة عن
الكذب كما روى فى غزوة بدر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان سائرا بأصحابه يقصد بدرا
فلقيهم رجل من العرب فقال ممن القوم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم من ماء فأخذ
ذلك الرجل يفكر ويقول من ماء من ماء يردد هاينظر أى العرب يقال لهم ماء فسار
النبى صلى الله عليه وسلم بأصحابه لوجهته وكان قصده أن يكتم أمره وقد صدق رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى قوله فان الله عز وجل قال فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء
دافق وكما روى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال للكافر الذى سأله عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقت ذهابهما الى الغار هو رجل يهدينى السبيل وقد صدق فيما
قال رضى الله عنه فقد هداه وهدانا السبيل ولا سبيل أوضح ولا أقوم من الاسلام وكما
حكى عن الامام الشافعى رضى الله عنه أنه لما سأله بعض المعتزلة بحضرة الرشيد ما تقول
فى القرآن فقال الشافعى اياى تعنى قال نعم قال مخلوق فرضى خصمه منه بذلك ولم يرد الشافعى
الا نفسه وكما حكى عن ابن الجوزى رحمه الله تعالى انه سئل وهو على المنبر وتحته جماعة من
مماليك الخليفة وخاصته وهم فريقان قوم سنية وقوم شيعة فقيل له من أفضل الخلق بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر أم على رضى الله عنهما فقال أفضلهما بعده من كانت ابنته تحته
فأرضى الفريقين ولم يرد الا أبا بكر رضى الله عنه لان الضمير فى ابنته يعود الى أبى بكر رضى الله
عنه وهى عائشة رضى الله عنها وكانت تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيعة ظنوا
أن الضمير فى ابنته يعود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى فاطمة رضى الله عنها وكانت
تحت على رضى الله عنه فهذه منه جيدة حسنة وكلمة بات تجفون الفريقين نها وسنة
والله أعلم

(الفصل الثالث في ذكر الفصحاء من الرجال) * دخل الحسن بن الفضل على بعض الخلفاء وعنده كثير من أهل العلم فأحب الحسن أن يتكلم فزجره وقال يا صبي تتكلم في هذا المقام فقال يا أمير المؤمنين ان كنت صبيا فلست بأصغر من هدهد سليمان ولا أنت بأكبر من سليمان عليه السلام حين قال أحطت بما لم تحط به ثم قال ألم تر أن الله فهم الحكم سليمان ولو كان الامر بالكبر لكان داود أولى * ولما أفضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز أتته الوفود فاذا فيهم وفد الحجاز فنظر الى صغير السن وقد أراد ان يتكلم فقال ليتكلم من هو أسن منك فانه أحق بالكلام منك فقال الصبي يا أمير المؤمنين لو كان القول كما تقول لكان في مجلسك هذا من هو أحق به منك قال صدقت فتكلم فقال يا أمير المؤمنين انا قدمنا عليك من بلد نحمد الله الذي من علينا بك ما قدمنا عليك رغبة منا ولا رهبة منك أما عدم الرغبة فقد أمنا بك في منازلنا وأما عدم الرهبة فقد أمنا جورك بعدلك فنحن وفد الشكر والسلام فقال له عمر رضي الله عنه عظني يا غلام فقال يا أمير المؤمنين ان أناسا غرهم حلم الله وثناء الناس عليهم فلا تكن ممن يغره حلم الله وثناء الناس عليه فتزل قدمك وتكون من الذين قال الله فيهم ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون فنظر عمر في سن الغلام فاذا له اثنتا عشرة سنة فأنشدهم عمر رضي الله تعالى عنه

تعلم فليس المرء يولد عالما * وليس أخو علم كمن هو جاهل
فان كبير القوم لا علم عنده * صغير اذا التفت عليه المحافل

(وحكي) أن البادية قحطت في أيام هشام فقدمت عليه العرب فهابوا أن يكلموه وكان فيهم درواس بن حبيب وهو ابن ست عشرة سنة له ذؤابة وعليه شملتان فوقعت عليه عين هشام فقال لحاجبه ما شاء أحد أن يدخل علي الا دخل حتى الصبيان فوثب درواس حتى وقف بين يديه مطرقا فقال يا أمير المؤمنين ان للكلام نشرا وطيا وانه لا يعرف ما في طيه الا بنشره فان أذن لي أمير المؤمنين أن أنشره نشرته فأعجبه كلامه وقال انشره لله درك فقال يا أمير المؤمنين انه أصابتنا سنون ثلاث سنة اذابت الشحم وسنة أكلت اللحم وسنة دقت العظم وفي أيديكم فضول مال فان كانت لله ففرقوها على عباده وان كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم وان كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فان الله يجزي المتصدقين فقال هشام ما ترك الغلام لنا في واحدة من الثلاث عذرا فأمر للبوادي بمائة ألف دينار وله بمائة ألف درهم ثم قال له ألك حاجة قال مالي حاجة في خاصة نفسي دون عامة المسلمين فخرج من عنده وهو من أجل القوم * وقيل ان سعد بن ضمرة الاسدي لم يزل يغير على النعمان بن المنذر يستلب أمواله حتى عيل صبره فبعث اليه يقول ان لك عندي ألف ناقة على انك تدخل في طاعتي فوفد عليه وكان صغير الجثة فاقتحمته عينه وتنقصه فقال مهلا أيها الملك ان الرجال ليسوا بعظم أجسامهم وانما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ان نطق نطق ببيان وان صال صال بجنان ثم أنشأ يقول

يا أيها الملك المرجو نائله * انى لمن معشر شم الذرى زهر
فلا تغرنك الاجسام ان لنا * أحلام عاد وان كنا الى قصر
فكم طويل اذا أبصرت جثته * تقول هذا غداة الروع ذو ظفر
فان ألم به أمر فأفظعه * رأيته خاذلا للاهل والزمر

فقال صدقت فهل لك علم بالامور قال انى لانقض منها المفتول وأبرم منها المحلول وأجيلها حتى تجول ثم أنظر فيها الى ماتؤول وليس للدهر بصاحب من لا ينظر فى العواقب قال فتعجب النعمان من فصاحته وعقله ثم أمر له بألف ناقة وقال له ياسعد ان أقمت واسيناك وان رحلت وصلناك فقال قرب الملك أحب الى من الدنيا ومافيها فأنعم عليه وأدناه وجعله من أخص ندمائه *(وحكى) أن هرقل ملك الروم كتب الى معاوية ابن أبى سفيان رضى الله عنه يسأله عن الشئ ولاشئ وعن دين لا يقبل الله غيره وعن مفتاح الصلاة وعن غرس الجنة وعن صلاة كل شئ وعن اربعة فيهم الروح ولم يركضوا فى أصلاب الرجال وأرحام النساء وعن رجل لاأب له وعن رجل لاأم له وعن قبر جرى بصاحبه وعن قوس قزح ماهو وعن بقعة طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولم تطلع عليها قبلها ولابعدها وعن ظاعن ظعن مرة واحدة ولم يظعن قبلها ولابعدها وعن شجرة نبتت من غير ماء وعن شئ تنفس ولاروح له وعن اليوم وأمس وغد وبعد غد وعن البرق والرعد وصوته وعن المحو الذى فى القمر فقيل لمعاوية لست هنالك ومتى أخطأت فى شئ من ذلك سقطت من عينه فاكتب الى ابن عباس يخبرك عن هذه المسائل فكتب اليه فأجابه أما الشئ فالماء قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حى وأما لاشئ فانها الدنيا تبيد وتفنى وأما دين لا يقبل الله غيره فلا اله الا الله وأما مفتاح الصلاة فالله أكبر وأما غرس الجنة فلا حول ولاقوة الا بالله العلى العظيم وأما صلاة كل شئ فسبحان الله وبحمده وأما الاربعة الذين فيهم الروح ولم يركضوا فى أصلاب الرجال وأرحام النساء فآدم وحواء وناقة صالح وكبش اسمعيل وأما الرجل الذى لاأب له فالمسيح وأما الرجل الذى لاأم له فآدم عليه السلام وأما القبر الذى جرى بصاحبه فحوت يونس عليه السلام ساربه فى البحر وأما قوس قزح فأمان من الله لعباده من الغرق وأما البقعة التى طلعت عليها الشمس مرة واحدة فبطن البحر حين انفلق لبنى اسرائيل وأما الظاعن الذى ظعن مرة ولم يظعن قبلها ولابعدها فجبل طور سيناء كان بينه وبين الارض المقدسة أربع ليال فلما عصت بنو اسرائيل أطاره الله تعالى بجناحين فنادى مناد ان قبلتم التوراة كشفته عنكم والا ألقيته عليكم فأخذوا التوراة معتذرين فرده الله تعالى الى موضعه فذلك قوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم الآية وأما الشجرة التى نبتت من غير ماء فشجرة اليقطين التى أنبتها الله تعالى على يونس عليه السلام وأما الشئ الذى تنفس بلا روح فالصبح قال الله تعالى والصبح اذا تنفس وأما اليوم فعمل وأمس فمثل وغد فأجل وبعد غد فأمل وأما البرق فمخاريق بأيدى الملائكة تضرب بها السحاب وأما الرعد فاسم الملك الذى يسوق السحاب وصوته زجره وأما المحو الذى فى القمر

فقول الله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ولولا ذلك المحو لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل * ودعا بعض البلغاء لصديق له فقال تمم الله عليك ما أنت فيه وحقق ظنك فيما ترجوه وتفضل عليك بما لم تحتسبه (وحكي) أن الحجاج سأل يوما الغضبان بن القبعثري عن مسائل يمتحنه فيها من جملتها ان قال له من أكرم الناس قال أفقههم في الدين وأصدقهم لليمين وأبذلهم للمسلمين وأكرمهم للمهانين وأطعمهم للمساكين قال فمن ألأم الناس قال المعطي على الهوان المقتر على الاخوان الكثير الالوان قال فمن شر الناس قال أطولهم جفوة وأدومهم صبوة وأكثرهم خلوة وأشدهم قسوة قال فمن أشجع الناس قال أضربهم بالسيف وأقراهم للضيف وأتركهم للحيف قال فمن أجبن الناس قال المتأخر عن الصفوف المنقبض عن الزحوف المرتعش عند الوقوف المحب ظلال السقوف الكاره لضرب السيوف قال فمن أثقل الناس قال المتفنن في الملام الضنين بالسلام المهذار في الكلام المقبقب على الطعام قال فمن خير الناس قال أكثرهم احسانا وأقومهم ميزانا وأدومهم غفرانا وأوسعهم ميدانا قال لله أبوك فكيف يعرف الرجل الغريب أحسيب هو أم غير حسيب قال أصلح الله الامير ان الرجل الحسيب يدلك أدبه وعقله وشمائله وعزة نفسه وكثرة احتماله وبشاشته وحسن مداراته على أصله فالعاقل البصير بالاحساب يعرف شمائله والنذل الجاهل يجهله فمثله كمثل الدرة اذا وقعت عند من لا يعرفها ازدراها واذا نظر اليها العقلاء عرفوها وأكرموها فهي عندهم لمعرفتهم بها حسنة نفيسة فقال الحجاج لله أبوك فما العاقل والجاهل قال أصلح الله الامير العاقل الذي لا يتكلم هذرا ولا ينظر شزرا ولا يضمر غدرا ولا يطلب عذرا والجاهل هو المهذار في كلامه المنان بطعامه الضنين بسلامه المتطاول على امامه الفاحش على غلامه قال لله أبوك فما الحازم الكيس قال المقبل على شأنه التارك لما لا يعنيه قال فما العاجز قال المعجب بآرائه الملتفت الى ورائه قال هل عندك من النساء خبر قال أصلح الله الامير اني بشأنهن خبير ان شاء الله تعالى ان النساء من امهات الاولاد بمنزلة الاضلاع ان عدلتها انكسرت ولهن جوهر لا يصلح الا على المداراة فمن داراهن انتفع بهن وقرت عينه ومن شاورهن كدرن عيشه وتكدرت عليه حياته وتنغصت لذاته فأكرمهن اعفهن وأفخر أحسابهن العفة فاذا زلن عنها فهن أنتن من الجيفة فقال له الحجاج يا غضبان اني موجهك الى ابن الاشعث وافدا فماذا أنت قائل له قال أصلح الله الامير أقول ما يرديه ويؤذيه ويضنيه فقال اني أظنك لا تقول له ما قلت وكأني بصوت جلاجلك تجلجل في قصري هذا قال كلا أصلح الله الامير أحدد له لساني وأجريه في ميداني قال فعند ذلك أمره بالمسير الى كرمان فلما توجه الى ابن الاشعث وهو على كرمان بعث الحجاج عينا عليه أي جاسوسا وكان يفعل ذلك مع جميع رسله فلما قدم الغضبان على ابن الاشعث قال له ان الحجاج قد هم بخلعك وعزلك فخذ حذرك وتغده به قبل أن يتعشى بك فأخذ حذره عند ذلك ثم أمر للغضبان بجائزة سنية وخلع فاخرة فأخذها وانصرف راجعا فأتى الى رملة كرمان في شدة الحر والقيظ وهي رملة شديدة الرمضاء فضرب قبته فيها وحط عن رواحله فبينما هو كذلك اذا بأعرابي من بني بكر بن وائل قد أقبل على بعير قاصدا نحوه وقد اشتد الحر وحميت الغزالة وقت الظهيرة وقد ظمئ ظمأ

شديدا

شديدا فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال الغضبان هذه سنة وردها فريضة قد فاز قائلها وخسر تاركها ما حاجتك يا أعرابي قال اصابتني الرمضاء وشدة الحر والظمأ فتيممت قبتك ارجو بركتها قال الغضبان فهلا تيممت قبة اكبر من هذه وأعظم قال ايتهن تعني قال قبة الامير ابن الاشعث قال تلك لا يوصل اليها قال ان هذه أمنع منها فقال الاعرابي ما اسمك يا عبد الله قال آخذ فقال وما تعطي قال أكره أن يكون لي اسمان قال بالله من اين أنت قال من الارض قال فأين تريد قال امشي في مناكبها فقال الاعرابي وهو يرفع رجلا ويضع اخرى من شدة الحر أتقرض الشعر قال انما يقرض الفأر فقال افتسجع قال انما تسجع الحمامة فقال يا هذا ائذن لي أن ادخل قبتك قال خلفك اوسع لك فقال قد أحرقني حر الشمس قال مالي عليها من سلطان فقال الرمضاء احرقت قدمي قال بل عليها تبرد فقال اني لا أريد طعامك ولا شرابك قال لا تتعرض لما لا تصل اليه ولو تلفت روحك فقال الاعرابي سبحان الله قال نعم من قبل أن تطلع اضراسك فقال الاعرابي ما عندك غير هذا قال بلى هراوة أضرب بها رأسك فاستغاث الاعرابي يا جاري كعب قال الغضبان بئس الشيخ انت فوالله ما ظلمك أحد فتستغيث فقال الاعرابي ما رأيت رجلا أقسى منك اتيتك مستغيثا فحجبتني وطردتني هلا أدخلتني قبتك وطارحتني القريض قال مالي بمحادثتك من حاجة فقال الاعرابي بالله ما اسمك ومن انت فقال أنا الغضبان ابن القبعثري فقال اسمان منكران خلقا من غضب قال قف متوكئا على باب قبتي برجلك هذه العوجاء فقال قطعها الله ان لم تكن خيرا من رجلك هذه الشنعاء قال الغضبان لو كنت حاكما لجرت في حكومتك لان رجلي في الظل قاعدة ورجلك في الرمضاء قائمة فقال الاعرابي اني لاظنك حروريا قال اللهم اجعلني ممن يتحرى الخير ويريده فقال اني لاظن عنصرك فاسدا قال ما اقدرني على اصلاحه فقال الاعرابي لا ارضاك الله ولا حياك ثم ولى وهو يقول

لا بارك الله في قوم تسودهم * اني اظنك والرحمن شيطانا
اتيت قبته أرجو ضيافته * فأظهر الشيخ ذو القرنين حرمانا

فلما قدم الغضبان على الحجاج وقد بلغه الجاسوس ما جرى بينه وبين ابن الاشعث وبين الاعرابي قال له الحجاج يا غضبان كيف وجدت أرض كرمان قال اصلح الله الامير أرض يابسة الجيش بها ضعاف ان هزلوا ان كثروا جاعوا وان قلوا ضاعوا فقال له الحجاج ألست صاحب الكلمة التي بلغتني انك قلت لابن الاشعث تغد بالحجاج قبل أن يتعشى بك فوالله لاحبسنك عن الوساد ولانزلنك عن الجياد ولاشهرنك في البلاد قال الامان ايها الامير فوالله ما ضرت من قيلت فيه ولا نفعت من قيلت له فقال له ألم اقل لك كأني بصوت جلاجلك تجلجل في قصري هذا اذهبوا به الى السجن فذهبوا به فقيد وسجن فمكث ماشاء الله ثم ان الحجاج ابتنى الخضراء بواسط فأعجب بها فقال لمن حوله كيف ترون قبتي هذه وبناءها فقالوا ايها الامير انها حصينة مباركة منيعة نضرة بهجة قليل عيبها كثير خيرها قال لم لم تخبروني بنصح قالوا لا يصفها لك الا الغضبان فبعث الى الغضبان فأحضره وقال له كيف ترى قبتي هذه وبناءها قال اصلح الله الامير بنيتها في غير بلدك لا لك ولا لولدك لا تدوم لك ولا يسكنها وارثك

ولا تبقى لك وما أنت لها بباق فقال الحجاج قد صدق الغضبان ردوه الى السجن فلما حملوه قال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فقال أنزلوه فلما أنزلوه قال رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين فقال اضربوا به الارض فلما ضربوا به الارض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى فقال جروه فأقبلوا يجرونه وهو يقول بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم فقال الحجاج ويلكم اتركوه فقد غلبنى دهاء وخبثا ثم عفا عنه وأنعم عليه وخلى سبيله (وحدث الزبير) قال دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المامون وقد كانت ضياعهم أخذت فقال السلام عليك يا امير المؤمنين محمد بن عبد الملك بين يديك سليل نعمتك وغصن من أغصان دوحتك اتأذن له فى الكلام فقال تكلم فقال الحمد لله رب العالمين ولا اله الا الله رب العرش العظيم وصلى الله والملائكة على محمد خاتم النبيين ونستمتع الله لحياطة ديننا ودنيانا ورعاية أدنانا وأقصانا ببقائك يا امير المؤمنين ونسأل الله أن يمد فى عمرك من أعمارنا وأن يقيك الاذى بأسماعنا وأبصارنا فان الحق لا تعفو آثاره ولا ينهدم مناره ولا ينبت حبله ولا يزول مادمت بين الله وبين عباده والامين على بلاده يا امير المؤمنين هذا المقام مقام العائذ بظلك الهارب الى كنفك الفقير الى رحمتك وعدلك من تعاود النوائب وسهام المصائب وكلب الدهر وذهاب النعمة وفى نظر امير المؤمنين ما يفرج كربة المكروب ويبرد غليل القلوب وقد نفذ أمر امير المؤمنين فى الضياع التى افادناها نعم آبائه الطيبين ونوافل اسلافه الطاهرين الراشدين وقد قمت مقامى هذا متوسلا اليك بآبائك الطيبين وبالرشيد خير الهداة الراشدين والمهدى ناصر المسلمين والمنصور منكل الظالمين ومحمد خير المحمدين بعد خاتم النبيين مزدلفا اليك بالطاعة التى أفرع عليها غصنى واحتنكت بها سنى وريش بها جناحى متعوذا من شماتة الاعداء وحلول البلاء ومفارقة الشدة بعد الرخاء يا أمير المؤمنين قد مضى جدك المنصور وعمك صالح بن على جدى وبينهما من الرضاع والنسب ما علمه أمير المؤمنين وعرفه وقد أثبت الله الحق فى نصابه وأقره فى داره وأربابه يا أمير المؤمنين ان الدهر ذو اغتيال وقد يقلب حالا بعد حال فارحم يا أمير المؤمنين الصبية الصغار والعجائز الكبار الذين سقاهم الدهر كدرا بعد صفو ومرا بعد حلو وهبنا نعم آبائك اللاتى غذتنا صغارا وكبارا وشبابا وأشياخا وأمشاجا فى الاصلاب ونطفا فى الارحام وقدمنا فى القرابة حيث قدمنا الله منك فى الرحم فان رقابنا قد ذلت لسخطك ووجوهنا قد عنت لطاعتك فأقلنا عثرتنا يا أمير المؤمنين ان الله قد سهل بك الوعور وجلا بك الديجور وملأ من خوفك القلوب والصدور بك يردع الفاسق ويقمع بك المنافق فارتبط نعم الله عندك بالعفو والاحسان فان كل راع مسؤل عن رعيته وان النعم لا ينقطع المزيد فيها حتى ينقطع الشكر عليها يا امير المؤمنين انه لا عفو أعظم من عفو امام قادر عن مذنب عاثر وقد قال الله جل ثناؤه وتعالت قدرته وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم أحاط الله أمير المؤمنين بستره الوافى ومنعه الكافى ثم أنشد يقول

امير المؤمنين اتاك ركب * لهم قربى وليس لهم تلاد

هم الصدر المقدم من قريش * وأنت الرأس تتبعك العباد
لقد طابت بك الدنيا ولذت * وأرجو أن يطيب بك المعاد
فكيف تنال الكم لحظات عين * وكيف يقل سوددك البلاد

قال فاستحسن المأمون كلامه وأمر له بالحلل الفاخرة والجوائز السنية وأمر برد ضياعه وقرّب منزلته وأدناه ودفع اليه من المال ما أغناه * ومن حكايات الفصحاء ونوادر البلغاء ما حكى أن عبد الملك بن مروان جلس يوما وعنده جماعة من خواصه وأهل مسامرته فقال أيكم يأتيني بحروف المعجم في بدنه وله علي ما يتمناه فقام اليه سويد بن غفلة فقال أنا لها يا أمير المؤمنين قال هات فقال نعم يا أمير المؤمنين أنف بطن ترقوة ثغر جمجمة حلق خدّ دماغ ذكر رقبة زند ساق شفة صدر ضلع طحال ظهر عين غبب فم قفا كف لسان منخر نغنوغ هامة وجه يد وهذه آخر حروف المعجم والسلام على أمير المؤمنين فقام بعض أصحاب عبد الملك وقال يا أمير المؤمنين أنا أقولها من جسد الانسان مرتين فضحك عبد الملك وقال لسويد أسمعت ما قال قال أصلح الله الامير أنا أقولها ثلاثا فقال هات ولك ما تتمناه فابتدأ يقول انف اسنان اذن بطن بنصر برة ترقوة ثمرة ثنية ثغر ثنايا ثدي جمجمة جنب جبهة حلق حنك حاجب خد خنصر خاصرة دبر دماغ در ادير ذقن ذكر ذراع رقبة رأس ركبة زند زر دمة زب فهنا لك ضحك عبد الملك حتى استلقى على قفاه ساق سرة سبابة شفة شفر شارب صدر صدغ صلعة ضلع ضفيرة ضرس طحال طرة طرف ظهر ظفر ظلم عين عنق عاتق غبب غلصمة غنة فم فك فؤاد قلب قفا قدم كف كتف كعب لسان لحية لوح منخر مرفق منكب نغنوغ ناب نن هامة هيئة هيف وجه وجنة ورك عين يسار يافوخ ثم نهض مسرعا فقبل الارض بين يدي أمير المؤمنين قال فعندها ضحك عبد الملك وقال والله ما تزيد ناعليها شيأ اعطوه ما يتمناه ثم اجازه وأنعم عليه وبالغ في الاحسان اليه * وكان الحجاج بن يوسف الثقفي من الفصحاء وكان على عتوه واسرافه جوادا وكان اذا ضحك واستغرق في الضحك اتبع ذلك بالاستغفار مرات وكان يطعم على ألف خوان وكان يطوف على الموائد ويقول يا أهل الشام مزقوا الخبز لئلا يعود اليكم ثانيا وكان يجلس على كل مائدة عشرة رجال وذلك في كل يوم وكان يقول ارى الناس يتخلفون عن طعامي فقيل له انهم يكرهون الحضور قبل أن يدعوا فقال قد جعلت رسولي اليهم كل يوم الشمس اذا طلعت وعند المساء اذا غربت *(حكى) عن عبد الملك بن عمير أنه قال لما بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان اضطراب أهل العراق جمع اهل بيته وأولي النجدة من جنده وقال ايها الناس ان العراق كدرماؤها وكثر غوغاؤها واملولح عذبها وعظم خطبها وظهر ضرامها وعسر اخماد نيرانها فهل من ممهد لهم بسيف قاطع وذهن جامع وقلب ذكي وأنف حمي فيخمد نيرانها ويردع غيلانها وينصف مظلومها ويداوي الجرح حتى يندمل فتصفو البلاد وتأمن العباد فسكت القوم ولم يتكلم أحد فقام الحجاج وقال يا أمير المؤمنين انا للعراق قال ومن أنت لله ابوك قال انا الليث الضمضام والهزبر الهشام انا الحجاج بن يوسف قال ومن اين قال من ثقيف كهوف الضيوف ومستعملي السيوف قال اجلس لا أم لك فلست هناك

ثم قال مالي ارى الرؤس مطرقة والالسن معتقلة فلم يجبه أحد فقام اليه الحجاج وقال أنا مجندل الفساق ومطفئ نار النفاق قال ومن أنت قال أنا قاصم الظلمة ومعدن الحكمة الحجاج بن يوسف معدن العفو والعقوبة وآفة الكفر والريبة قال اليك عني وذاك فلست هناك ثم قال من للعراق فسكت القوم وقام الحجاج وقال أنا للعراق فقال اذن أظنك صاحبها والظافر بغنائمها وان لكل شئ يا ابن يوسف آية وعلامة فما آيتك وما علامتك قال العقوبة والعفو والاقتدار والبسط والازورار والادناء والابعاد والجفاء والبر والتأهب والحزم وخوض غمرات الحروب بجنان غير هيوب فمن جادلني قطعته ومن نازعني قصمته ومن خالفني نزعته ومن دنا مني اكرمته ومن طلب الامان أعطيته ومن سارع الى الطاعة بجلته فهذه آيتي وعلامتي وما عليك يا أمير المؤمنين أن تبلوني فان كنت للاعناق قطاعا وللاموال جماعا وللارواح نزاعا ولك في الاشياء نفاعا والا فليستبدل بي أمير المؤمنين فان الناس كثير ولكن من يقوم بهذا الامر قليل فقال عبد الملك أنت لها فما الذي تحتاج اليه قال قليل من الجند والمال فدعا عبد الملك صاحب جنده فقال هيئ له من الجند شهوته وألزمهم طاعته وحذرهم مخالفته ثم دعا الخازن فأمره بمثل ذلك فخرج الحجاج قاصدا نحو العراق قال عبد الملك بن عمير فبينما نحن في المسجد الجامع بالكوفة اذا أتانا آت فقال هذا الحجاج قدم اميرا على العراق فتطاولت الاعناق نحوه وأفرجوا له عن صحن المسجد فاذا نحن به يمشي وعليه عمامة حمراء متلثما بها ثم صعد المنبر فلم يتكلم كلمة واحدة ولا نطق بحرف حتى غص المسجد بأهله وأهل الكوفة يومئذ ذوو حالة حسنة وهيئة جميلة فكان الواحد منهم يدخل المسجد ومعه العشرون والثلاثون من أهل بيته ومواليه واتباعه عليهم الخز والديباج قال وكان في المسجد يومئذ عمير بن صابي التميمي فلما رأى الحجاج على المنبر قال اصاحب له اسبه لكم قال اكفف حتى نسمع ما يقول فأبى ابن صابي وقال لعن الله بني امية حيث يولون ويستعملون مثل هذا على العراق وضيع الله العراق حيث يكون هذا أميرها فوالله لو دام هذا اميرا كما هو ما كان بشئ والحجاج ساكت ينظر يمينا وشمالا فلما رأى المسجد قد غص بأهله قال هل اجتمعتم فلم يرد عليه أحد شيأ فقال اني لا أعرف قدر اجتماعكم فهل اجتمعتم فقال رجل من القوم قد اجتمعنا اصلح الله الامير فكشف عن لثامه ونهض قائما فكان اول شئ نطق به أن قال والله اني لارى رؤسا أينعت وقد حان قطافها واني لصاحبها واني لارى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى والله يا أهل العراق ان أمير المؤمنين نثر كنانة بين يديه فعجم عيدانها فوجدني أمرها عودا وأصلبها مكسرا فرماكم بي لانكم طالما أثرتم الفتنة واضطجعتم في مراقد الضلال والله لانكلن بكم في البلاد ولاجعلنكم مثلا في كل واد ولاضربنكم ضرب غرائب الابل واني يا أهل العراق لا أعد الا وفيت ولا اعزم الا أمضيت فاياي وهذه الزرافات والجماعات وقيل وقال وكان ويكون يا أهل العراق انما أنتم أهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأتاها وعيد القرى من ربها فاستوثقوا واستقيموا واعملوا ولا تميلوا وتابعوا وبايعوا واجتمعوا واستمعوا

فليس منى الاهدار والا كثار انما هو هذا السيف ثم لا ينسلخ الشتاء من الصيف حتى يذل الله لامير المؤمنين صعبكم ويقيم له أودكم ثم انى وجدت الصدق مع البر ووجدت البر فى الجنة ووجدت الكذب مع الفجور ووجدت الفجور فى النار وقد وجهنى أمير المؤمنين اليكم وأمرنى أن انفق فيكم وأوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبى صفرة وانى أقسم بالله لا أجد رجلا يتخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام الاضربت عنقه ياغلام اقرأ كتاب أمير المؤمنين فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان الى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يرد أحد شيأ فقال الحجاج اكفف ياغلام ثم أقبل على الناس فقال أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون شيأ عليه هذا أدبكم الذى تأدبتم به أما والله لأؤدبنكم أدبا غير هذا الادب اقرأ ياغلام فقرأ حتى بلغ قوله سلام عليكم فلم يبق أحد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام ثم نزل بعد ما فرغ من خطبته وقراءته ووضع للناس عطاياهم فجعلوا يأخذونها حتى أتاه شيخ يرعش فقال ايها الامير انى على الضعف كما ترى ولى ابن هو أقوى منى على الاسفار أفتقبله بديلا منى فقال نقبله أيها الشيخ فلما ولى قال له قائل أتدرى من هذا أيها الامير قال لا قال هذا عمير بن صابى الذى يقول

همت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله

ولقد دخل هذا الشيخ على عثمان رضى الله عنه وهو مقتول فوطئ فى بطنه فكسر ضلعين من أضلاعه فقال الحجاج ردوه فلما ردوه قال له الحجاج أنت الفاعل بأمير المؤمنين عثمان ما فعلت يوم قتل الدار ان فى قتلك أيها الشيخ اصلاحا للمسلمين ياسياف اضرب عنقه فضرب عنقه وكان من أمره بعد ذلك ما عرف وسطر * ومن حكايات الحجاج ما حكى أنه لما أسرف فى قتل اسرى دير الجماجم وأعطى الاموال بلغ ذلك أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فشق عليه وكتب اليه أما بعد فقد بلغنى عنك اسراف فى الدماء وتبذير فى العطاء وقد حكمت عليك فى الدماء فى الخطا بالدية وفى العمد بالقود وفى الاموال أن تردها الى مواضعها ثم تعمل فيها برأيى فانما هو مال الله تعالى ونحن أمناؤه فان كنت أردت الناس لى فما أغنانى عنهم وان كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم وسيأتيك عنى أمران لين وشدة فلا يؤمننك الا الطاعة ولا يوحشنك الا المعصية واذا أعطاك الله عز وجل الظفر فلا تقتلن جانحا ولا أسيرا وكتب فى أسفل الكتاب

اذا أنت لم تترك أمورا كرهتها * وتطلب رضائى بالذى أنا طالبه
فان ترمنى غفلة قرشية * فيا ربما قد غص بالماء شاربه
وان ترمنى وثبة أموية * فهذا وهذا كل ذا أنا صاحبه
فلا تأمنى والحوادث جمة * فانك تجزى بالذى أنت كاسبه
فلا تعد ما يأتيك منى وان تعد * يقمن به يوما عليك نوادبه
فلا تمنعن الناس حقا علمته * ولا تعطين ما ليس للناس واجبه
فانك ان تعطى الحقوق فانما النوافل شئ لا يثيبك واهبه

فلما ورد الكتاب على الحجاج كتب الى أمير المؤمنين أما بعد فقد ورد كتاب أمير المؤمنين يذكر

اسرافى فى الدماء وتبذيرى فى الاموال ولعمرى ما بالغت فى عقوبة أهل المعصية ولا قضيت حقوق أهل الطاعة فان كان قتلى العصاة اسرافا واعطائى المطيعين تبذيرا فليمض لى أمير المؤمنين ما سلف ووالله ما أصبت القوم خطأ فأوديهم ولا ظلمتهم عمدا فأقاديهم ولا قتلت الا لك ولا أعطيت الا فيك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب فى أسفل الكتاب

اذا أنا لا أبغى رضاك وأتقى * اذاك فليلى لا توارى كواكبه
وما لامرئ بعد الخليفة جنة * تقيه من الامر الذى هو راكبه
اذا قارف الحجاج فيك خطيئة * لقامت عليه بالصباح نوادبه
اذا أنا لم أدن الشفيق لنصحه * وأقص الذى تسرى الى عقاربه
وأعط المواسى فى البلاء عطية * لرد الذى ضاقت على مذاهبه
فمن يتقى بؤسى ويرجو مودتى * ويخشى غدا والدهر جم نوائبه
وأمرى اليك اليوم ما قلت قلته * وما لم تقله لم أقل ما يقاربه
ومهما أردت اليوم منى أردته * وما لم ترده اليوم انى مجانبه
وقف بى على حد الرضا لا أجوزه * مدى الدهر حتى يرجع الدر حالبه
والا فدعنى والامور فاننى * شفيق رفيق أحكمته تجاربه

فلما انتهى الكتاب الى عبد الملك قال خاف أبو محمد صولتى ولم يعاود لأمر كرهته ان شاء الله تعالى فمن يلومنى على محبته يا غلام اكتب اليه الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وأنت أعلى عينا بما هنالك * وفى مروج الذهب للمسعودى أن أم الحجاج وهى الفارعة بنت همام ولدته مشوها لا دبر له فنقب له دبر وأبى أن يقبل الثدى وأعياهم أمره فيقال ان الشيطان تصور لهم فى صورة الحرث بن كلدة حكيم العرب فسألهم عن ذلك فأخبره مخبر من أهله فقال لهم اذبحوا له تيسا والعقوه من دمه وأولغوه فيه ثم اطلوا به وجهه ففعلوا ذلك فقبل الثدى فلاجل ذلك كان لا يصبر عن سفك الدماء وكان يخبر عن نفسه أن أكبر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدر غيره عليها وكانت أمه متزوجة قبل أبيه الحرث بن كلدة فدخل عليها يوما فى السحر فوجدها تخلل أسنانها فطلقها فسألته لم فعل فقال لها ان كنت باكرت الغداء فأنت شرهة وان كان بقايا طعام بفمك فأنت قذرة فقالت كل ذلك لم يكن وانما تخللت من شظايا السواك فقال قضى الامر فتزوجها بعده يوسف بن عقيل الثقفى فاولدها الحجاج * وقيل ان الحجاج تقلد الامارة وهو ابن عشرين سنة ومات وله ثلاث وخمسون سنة وكان من عنف السياسة وثقل الوطأة وظلم الرعية والاسراف فى القتل على ما لا يبلغه وصف أحصى من قتله الحجاج بأمره سوى من قتله فى حروبه فكانوا مائة ألف وعشرين ألفا ووجد فى سجنه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة لم يجب على أحد منهم قطع ولا قتل وكان يحبس الرجال والنساء فى موضع واحد ولم يكن لحبسه سقف يستر الناس من الحر والبرد * وقيل للشعبى أكان الحجاج مؤمنا قال نعم بالطاغوت وقال لو جاءت كل أمة بخبيثها وفاسقها وجئنا بالحجاج وحده لزدنا عليهم والله أعلم وقد مضى القول

في ذكر الفصحاء من الرجال وحكاياتهم وما أعان الله تعالى عليه واستحضرته من أخبارهم وأنا قائل ان شاء الله تعالى ما استحضرته من ذكر فصحاء النساء وأخبارهن وحكاياتهن والله المستعان

*(ذكر فصحاء النساء وحكاياتهن)

*(حكى) عن أبي عبد الله النميري انه قال كنت يوما مع المأمون وكان بالكوفة فركب للصيد ومعه سرية من العسكر فبينما هو سائر اذ لاحت له طريدة فأطلق عنان جواده وكان على سابق من الخيل فأشرف على نهر ماء من الفرات فاذا هو بجارية عربية خماسية القد قاعدة النهد كأنها القمر ليلة تمامه وبيدها قربة قد ملأتها ماء وحملتها على كتفها وصعدت من حافة النهر فانحل وكاؤها فصاحت برفيع صوتها يا أبت أدرك فاها قد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها قال فعجب المأمون من فصاحتها ورمت الجارية القربة من يدها فقال لها المأمون يا جارية من أي العرب أنت قالت أنا من بني كلاب قال وما الذي حملك أن تكوني من الكلاب فقالت والله لست من الكلاب وانما أنا من قوم كرام غير لئام يقرون الضيف ويضربون بالسيف ثم قالت يا فتى من أي الناس أنت فقال أوعندك علم بالانساب قالت نعم قال لها أنا من مضر الحمراء قالت من أي مضر قال من أكرمها نسبا وأعظمها حسبا وخيرها أما وأبا ممن تهابه مضر كلها قالت أظنك من كنانة قال أنا من كنانة قالت فمن أي كنانة قال من أكرمها مولدا وأشرفها محتدا وأطولها في المكرمات يدا ممن تهابه كنانة وتخافه فقالت اذن أنت من قريش قال أنا من قريش قالت من أي قريش قال من أجلها ذكرا وأعظمها فخرا ممن تهابه قريش كلها وتخشاه قالت أنت والله من بني هاشم قال أنا من بني هاشم قالت من أي هاشم قال من أعلاها منزلة وأشرفها قبيلة ممن تهابه هاشم وتخافه قال فعند ذلك قبلت الارض وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين قال فعجب المأمون وطرب طربا عظيما وقال والله لأتزوجن بهذه الجارية لانها من أكبر الغنائم ووقف حتى تلاحقته العساكر فنزل هنالك وأنفذ خلف أبيها وخطبها منه فزوجه بها وأخذها وعاد مسرورا وهي والدة ولده العباس والله أعلم

(وحكى) أن هند ابنة النعمان كانت أحسن أهل زمانها فوصف للحجاج حسنها فأنفذ اليها يخطبها وبذل لها مالا جزيلا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي ألف درهم ودخل بها ثم انها انحدرت معه الى بلد أبيها المعرة وكانت هند فصيحة أديبة فأقام بها الحجاج بالمعرة مدة طويلة ثم ان الحجاج رحل بها الى العراق فأقامت معه ماشاء الله ثم دخل عليها في بعض الايام وهي تنظر في المرآة وتقول

وما هند الا مهرة عربية * سليلة أفراس تحللها بغل
فان ولدت مهرا فلله درها * وان ولدت بغلا فجاء به البغل

فانصرف الحجاج راجعا ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فأراد الحجاج طلاقها فأنفذ اليها عبد الله بن طاهر وأنفذ لها معه مائتي ألف درهم وهي التي كانت لها عليه وقال يا ابن طاهر طلقها بكلمتين ولا تزد عليهما فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها يقول لك أبو محمد الحجاج

كنت فبنت وهذه المائتا ألف درهم التي كانت لك قبله فقالت اعلم يا ابن طاهر انا والله كنا فما حمدنا ولا بنا فما ندمنا وهذه المائتا ألف درهم التي جئت بها بشارة لك بخلاصي من كلاب بني ثقيف ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له جمالها فأرسل اليها يخطبها فأرسلت اليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه اعلم يا أمير المؤمنين أن الاناء ولغ فيه الكلب فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها وكتب اليها يقول اذا ولغ الكلب في اناء أحدكم فليغسله سبعا احداهن بالتراب فاغسلي الاناء يحل الاستعمال فلما قرأت كتاب أمير المؤمنين لم يمكنها المخالفة فكتبت اليه بعد الثناء عليه يا أمير المؤمنين والله لا أحل العقد الا بشرط فان قلت ما هو الشرط قلت أن يقود الحجاج محملي من المعرة الى بلدك التي أنت فيها ويكون ماشيا حافيا بحليته التي كان فيها أولا فلما قرأ عبد الملك ذلك الكتاب ضحك ضحكا شديدا وأنفذ الى الحجاج وأمره بذلك فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب وامتثل الامر ولم يخالف وأنفذ الى هند يأمرها بالتجهز فتجهزت وسار الحجاج في موكبه حتى وصل المعرة بلد هند فركبت هند في محمل الزفاف وركب حولها جواريها وخدمها وأخذ الحجاج بزمام البعير يقوده ويسير بها فجعلت هند تتواغد عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها ثم انها قالت للهيفاء يا داية اكشفي لي سجف المحمل فكشفته فوقع وجهها في وجه الحجاج فضحكت عليه فأنشأ يقول

فان تضحكي مني فيا طول ليلة * تركتك فيها كالقباء المفرج

فأجابته هند تقول

ومانبالي اذا أرواحنا سلمت * بما فقدناه من مال ومن نشب
فالمال مكتسب والعز مرتجع * اذا النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل كذلك تضحك وتلعب الى أن قربت من بلد الخليفة فرمت بدينار على الارض ونادت يا جمال انه قد سقط منا درهم فارفعه الينا فنظر الحجاج الى الارض فلم يجد الا دينارا فقال انما هو دينار فقالت بل هو درهم قال بل دينار فقالت الحمد لله سقط منا درهم فعوضنا الله دينارا فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جوابا ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج بها وكان من أمرها ما كان وقد وجدت في بعض النسخ ما هو أوسع من هذا ولكن اقتصرت على القليل منه اذ فيه الغرض والله أعلم * وقيل ان جارية عرضت على الرشيد ليشتريها فتأملها وقال لمولاها خذ جاريتك فلولا كلف بوجهها وخنس بأنفها لاشتريتها فلما سمعت الجارية مقالة أمير المؤمنين قالت مبادرة يا أمير المؤمنين اسمع مني ما أقول فقال قولي فأنشدت تقول

ماسلم الظبي على حسنه * كلا ولا البدر الذي يوصف
الظبي فيه خنس بين * والبدر فيه كلف يعرف

قال فعجب من فصاحتها وأمر بشرائها وقيل عرضت على المأمون جارية بارعة في الجمال فائقة في الكمال غير أنها كانت تعرج برجلها فقال لمولاها خذ بيدها وارجع فلولا عرج بها لاشتريتها فقالت الجارية يا أمير المؤمنين انه في وقت حاجتك لا يكون بحيث تراه فأعجبه

سرعة جوابها وأمر بشرائها * ومن ذلك ما حكي أن كريم الملك كان من ظرفاء الكتاب فعبر يوما تحت جوسق ببستان فرأى جارية ذات وجه زاهر وكمال باهر لايستطيع أحد وصفها فلما نظر اليها ذهل عقله وطار لبه فعاد الى منزله وأرسل اليها هدية نفيسة مع عجوز كانت تخدمه وكانت الجارية عزباو كتب اليها رقعة يعرض اليها بالزيارة في جوسقها فلما قرأت الرقعة قبلت الهدية ثم أرسلت اليه مع العجوز عنبرا وجعلت فيه زر ذهب وربطت ذلك على منديل وقالت للعجوز هذا جواب رقعته فلما رأى كريم الملك ذلك لم يفهم معناه وتحير في أمره وكانت له ابنة صغيرة السن فلما رأت أباها متحيرا في ذلك قالت له يا أبت أنا علمت معناه قال وما هو لله درك قالت

أهدت لك العنبر في جوفه * زر من التبر خفي اللحام
فالزر والعنبر معناهما * زره كذا مختفيا في الظلام

قال فعجب من فطنتها وفصاحتها واستحسن ذلك منها (وحكي) أن طائفة من بني تميم كانوا يكسرون أول الفعل فخرجت فتاة منهم جميلة الصورة على جماعة فناداها شخص منهم وأراد أن يوقعها فيما ينسب اليهم من كسر الفعل فقال لاي شيء يا بني تميم ما تكنون فقالت ولم لا تكتني وكسرت الفعل فضحك عليها وقال أفعل ان شاء الله فخجلت من قوله وتغير وجهها وأرادت أن توقعه كما أوقعها فقالت له هل تحسن شيأ من العروض قال نعم قالت قطع لي

حولوا عنا كنيستكم * يا بني حمالة الحطب

فقطعه فوقف على عن ثم ابتدأ بالنون والالف مع بقية الحروف فضحكت عليه وأضحكت أصحابه فقال ويحك لم تبرحي حتى أخذت بثارك (وحكي) ان شاعرا كان له عدو فبينما هو سائر ذات يوم في بعض الطرق اذا هو بعدوه فعلم الشاعر أن عدوه قاتله لامحالة فقال له يا هذا أنا أعلم أن المنية قد حضرت ولكن سألتك الله اذا أنت قتلتني امض الى داري وقف بالباب وقل * ألا أيها البنتان ان أباكما * فقال سمعا وطاعة ثم انه قتله فلما فرغ من قتله أتى الى داره ووقف بالباب وقال * ألا أيها البنتان ان أباكما * وكان للشاعر ابنتان فلما سمعتا قول الرجل ألا أيها البنتان ان أباكما * أجابتاه بفم واحد * قتيل خذا بالثار ممن أتاكما * ثم تعلقتا بالرجل ورفعتاه الى الحاكم فاستقرره فأقر بقتله فقتله والله أعلم * وقيل بينما كثير عزة مار بالطريق يوما اذا هو بعجوز عمياء على قارعة الطريق تمشي فقال لها تنحي عن الطريق فقالت له ويحك ومن تكون قال أنا كثير عزة قالت قبحك الله وهل مثلك يتنحى له عن الطريق قال ولم قالت ألست القائل

وماروضة بالحسن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها
بأطيب من أردان عزة موهنا * اذا أوقدت بالمجمر اللدن نارها

ويحك يا هذا لو تبخر بالمجمر اللدن مثلي ومثل أمك لطاب ريحهما لا قلت مثل سيدك امرئ القيس

وكنت اذا ما جئت بالليل طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فقطعته ولم يرد جوابا * وقيل أتي الحجاج بامرأة من الخوارج فقال لاصحابه ما تقولون فيها

فانوا عاجلاها بالقتل أيها الامير فقالت الخارجية لقد كان وزراء صاحبك خيرا من وزرائك بالحجاج قال ومن هو صاحبي قالت فرعون استشارهم في موسى عليه السلام فقالوا أرجئه وأخاه * وأتى بأخرى من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر اليه فقيل لها الامير يكلمك وأنت لا تنظرين اليه فقالت اني لاستحي أن أنظر الى من لا ينظر الله اليه (وحكى) ابن الجوزي في كتابه المنتظم في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما ولي عمر رضي الله عنه الخلافة بلغه أن أصدقة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة درهم وأن فاطمة رضي الله عنها كان صداقها على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أربعمائة درهم فأدى اجتهاد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أن لا يزيد أحد على صداق البضعة النبوية فاطمة رضي الله عنها فصعد المنبر وحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال أيها الناس لا تزيدوا في مهور النساء على أربعمائة درهم فمن زاد ألقيت زيادته في بيت مال المسلمين فهاب الناس أن يكلموه فقامت امرأة في يدها طول فقالت له كيف يحل لك هذا والله تعالى يقول وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ فقال عمر رضي الله عنه امرأة أصابت ورجل أخطأ * وقيل جاءت امرأة الى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فقالت يا أمير المؤمنين ان زوجي يصوم النهار ويقوم الليل فقال لها انعم الرجل زوجك وكان في مجلسه رجل يسمى كعبا فقال يا أمير المؤمنين ان هذه المرأة تشكو زوجها في أمر مباعدته اياها عن فراشه فقال له كما فهمت كلامها احكم بينهما فقال كعب علي بزوجها فأحضر فقال له ان هذه المرأة تشكوك قال أفي أمر طعام أم شراب قال بل في أمر مباعدتك اياها عن فراشك فأنشأت المرأة تقول

يا أيها القاضي الحكيم أنشده * ألهى خليلي عن فراشي مسجده
نهاره وليله لا يرقده * فلست في أمر النساء أحمده

فانشأ الزوج يقول

زهدني في فرشها وفي الحلل * أني امرؤ أذهلني ما قد نزل
في سورة النمل وفي السبع الطول * وفي كتاب الله تخويف يجل

فقال له القاضي

ان لها عليك حقا لم يزل * في أربع نصيبها لمن عقل
فعاطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال ان الله تعالى أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة أيام بلياليهن ولها يوم وليلة فقال عمر رضي الله عنه لا أدري من أيكم أعجب أمن كلامها أم من حكمك بينهما اذهب فقد وليتك البصرة * (حكاية المتكلمة بالقرآن) قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى خرجت حاجا الى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا في بعض الطريق اذا أنا بسواد على الطريق فتميزت ذلك فاذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت سلام قولا من رب رحيم قال فقلت لها يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان قالت ومن يضلل الله فلا هادي له فعلمت أنها ضالة عن الطريق فقلت لها أين تريدين قالت سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام

الى المسجد الاقصى فعلمت أنها قد قضت حجها وهي تريد بيت المقدس فقلت لها أنت منذ كم في هذا الموضع قالت ثلاث ليال سويا فقلت ما أرى معك طعاما تأكلين قالت هو يطعمني ويسقين فقلت فبأي شئ تتوضئين قالت فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فقلت لها ان معي طعاما فهل لك في الاكل قالت ثم أتموا الصيام الى الليل فقلت ليس هذا شهر رمضان قالت ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم فقلت قد أبيح لنا الافطار في السفر قالت وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون فقلت لم لا تكلميني مثل ما أكلمك قالت ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فقلت فمن أي الناس أنت قالت ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا فقلت قد أخطأت فاجعليني في حل قالت لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم فقلت فهل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة قالت وما تفعلوا من خير يعلمه الله قال فأنخت ناقتي قالت قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم فغضضت بصري عنها وقلت لها اركبي فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فقلت لها اصبري حتى أعقلها قالت ففهمناها سليمان فعقلت الناقة وقلت لها اركبي فلما ركبت قالت سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون قال فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسعى وأصيح فقالت واقصد في مشيك واغضض من صوتك فجعلت أمشي رويدا رويدا وأترنم بالشعر فقالت فاقرؤا ما تيسر من القرآن فقلت لها لقد أوتيت خيرا كثيرا قالت وما يذكر الا أولو الالباب فلما مشيت بها قليلا قلت ألك زوج قالت يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم فسكت ولم أكلمها حتى ادركت بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها فقالت المال والبنون زينة الحياة الدنيا فعلمت أن لها أولادا فقلت وما شأنهم في الحج قالت وعلامات وبالنجم هم يهتدون فعلمت أنهم أدلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت واتخذ الله ابراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما يا يحيى خذ الكتاب بقوة فناديت يا ابراهيم يا موسى يا يحيى فاذا أنا بشبان كأنهم الاقمار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه فمضى أحدهم فاشترى طعاما فقدموه بين يدي فقالت كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية فقلت الآن طعامكم علي حرام حتى تخبروني بأمرها فقالوا هذه أمنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم الا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على ما يشاء فقلت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن في الاجوبة المسكتة والمستحسنة ورشقات اللسان وما جرى مجرى ذلك)

(قيل) ان معن بن زائدة دخل على المنصور فقال له هيه يا معن تعطي مروان بن أبي حفصة مائة ألف على قوله

معن بن زائدة الذي زادت به * شرفا على شرف بنو شيبان

فقال كلا يا أمير المؤمنين انما أعطيته على قوله

مازلت يوم الهاشمية معلنا * بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه * من وقع كل مهند وسنان

فقال أحسنت والله يامعن وأمر له بالجوائز والخلع * ووفد ابن أبي محجن على معاوية فقام خطيبا فأحسن فحسده معاوية وأراد أن يوقعه فقال له أنت الذى أوصاك أبوك بقوله

اذا مت فادفني الى جنب كرمة * تروّي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني في الفلاة فانني * أخاف اذا مامت أن لا أذوقها

قال بل أنا الذى يقول أبي

لا تسأل الناس مامالي وكثرته * وسائل الناس ماجودي وماخلقي
أعطي الحسام غداة الروع حصته * وعامل الرمح أرويه من العلق
وأطعن الطعنة النجلاء عن عرض * وأكتم السر فيه ضربة العنق
ويعلم الناس اني من سراتهم * اذا سما بصر الرعديد بالفرق

فقال له معاوية أحسنت والله يا ابن أبي محجن وأمر له بصلة وجائزة *(وقيل) أخذ عبد الملك ابن مروان بعض أصحاب شبيب الحارثي فقال له ألست القائل

ومنا سويد والبطين وقعنب * ومنا أمير المؤمنين شبيب

فقال يا أمير المؤمنين انما قلت ومنا أمير المؤمنين شبيب وأردت بذلك منداداتك فكان ذلك سبب نجاته * ودخل شريك بن الاعور على معاوية وكان دميما فقال له معاوية انك لدميم والجميل خير من الدميم وانك لشريك ومالله من شريك وان أباك لاعور والصحيح خير من الاعور فكيف سدت قومك فقال له انك معاوية وما معاوية الا كلبة عوت فاستعوت الكلاب وانك لابن صخر والسهل خير من الصخر وانك لابن حرب والسلم خير من الحرب وانك لابن أمية وما أمية الا أمة صغرت فكيف صرت أمير المؤمنين ثم خرج وهو يقول

أيشتمني معاوية بن حرب * وسيفي صارم ومعي لساني
وحولي من ذوي يزن ليوث * ضراغمة تهش الى الطعان
يعير بالدمامة من سفاه * وربات الجمال من الغواني

ودخل يزيد بن أبي مسلم صاحب شرطة الحجاج على سليمان بن عبد الملك بعد موت الحجاج فقال له سليمان قبح الله رجلا أجرّك رسنه وأولاك أمانته فقال يا أمير المؤمنين رأيتني والامر لك وهو عني مدبر ولو رأيتني وهو عليّ مقبل لاستكبرت مني مااستصغرت واستعظمت مني مااستحقرت فقال سليمان أترى الحجاج استقرّ في جهنم فقال يا أمير المؤمنين لا تقل ذلك فان الحجاج وطأ لكم المنابر وأذل لكم الجبابرة وهو يجيء يوم القيامة عن يمين أبيك وشمال أخيك فحيثما كانا كان * وقال يهودي لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه مالكم لم تلبثوا بعد نبيكم الاخمس عشرة سنة حتى تقاتلتم فقال علي كرم الله وجهه ولم أنتم لم تجف أقدامكم من البلل حتى قلتم ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة * ووجد الحجاج على منبره

مكتوبا قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار فكتب تحته قل موتوا بغيظكم ان الله عليم
بذات الصدور * ودخل عقيل على معاوية وقد كف بصره فأجلسه معه على سريره ثم
قال له انتم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم فقال له عقيل وأنتم معشر بني أمية تصابون
في بصائركم * وقيل اجتمعت بنو هاشم يوما عند معاوية فأقبل عليهم وقال يابني هاشم ان خيري
لكم لممنوح وان بابي لكم لمفتوح فلا يقطع خيري عنكم ولا يرد بابي دونكم ولما نظرت
في أمري وأمركم رأيت أمرا مختلفا انكم ترون انكم أحق بما في يدي مني واذا اعطيتكم
عطية فيها قضاء حقوقكم قلتم أعطانا دون حقنا وقصر بنا عن قدرنا فصرت كالمسلوب
والمسلوب لا حمد له هذا مع انصاف قائلكم واسعاف سائلكم قال فأقبل عليه ابن عباس
رضي الله عنهما فقال والله مامنحتنا شيأ حتى سألناه ولا فتحت لنا بابا حتى قرعناه ولئن
قطعت عنا خيرك فخير الله أوسع منك ولئن أغلقت دوننا بابك لنكفن انفسنا عنك وأما هذا
المال فليس لك منه الا ما للرجل من المسلمين ولولا حقنا في هذا المال لم يأتك منا زائر يحمله
خف ولا حافر أكفاك ام أزيدك قال كفاني يا ابن عباس * وقال معاوية يوما أيها الناس
ان الله حبا قريشا بثلاث فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الاقربين ونحن
عشيرته الاقربون وقال تعالى وانه لذكر لك ولقومك ونحن قومه وقال تعالى
لايلاف قريش ايلافهم ونحن قريش فأجابه رجل من الانصار فقال على رسلك يامعاوية
فان الله تعالى يقول وكذب به قومك وهو الحق وأنتم قومه وقال تعالى ولما ضرب
ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وأنتم قومه وقال تعالى وقال الرسول يارب ان قومي
اتخذوا هذا القران مهجورا وأنتم قومه ثلاثة بثلاثة ولو زدتنا لزدناك * وقال معاوية أيضا
لرجل من اليمن ما كان اجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة فقال اجهل من قومي
قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ولم يقولوا اللهم ان كان هذا
هو الحق من عندك فاهدنا اليه * وقال يوما لجارية بن قدامة ما كان اهونك على قومك
اذ سموك جارية فقال ما كان أهونك على قومك اذ سموك معاوية وهي الانثى من الكلاب
قال اسكت لاأم لك قال أم لي ولدتني أما والله ان القلوب التي أبغضناك بها لبين جوانحنا
والسيوف التي قاتلناك بها لفي أيدينا وانك لم تهلكنا قسوة ولم تملكنا عنوة ولكنك اعطيتنا عهدا
وميثاقا وأعطيناك سمعا وطاعة فان وفيت لنا وفينا لك وان نزعت الى غير ذلك فانا تركنا وراءنا
رجالا شدادا واسنة حدادا فقال معاوية لا اكثر الله في الناس مثلك ياجارية فقال له قل
معروفا فان شر الدعاء محيط بأهله * وخطب معاوية يوما فقال ان الله تعالى يقول وان
من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فعلام تلوموني اذا قصرت في عطاياكم
فقال له الاحنف وانا والله لانلومك على ما في خزائن الله ولكن على ما أنزله الله لنا من خزائنه
فجعلته في خزائنك وحلت بيننا وبينه * وقيل دخل مجنون الطاق يوما الى الحمام وكان
بغير مئزر فرآه ابو حنيفة رضي الله عنه وكان في الحمام فغمض عينيه فقال له المجنون متى اعماك
الله قال حين هتك سترك * ومن ذلك ما حكي أن الحجاج خرج يوما متنزها فلما فرغ من نزهته

صرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه فاذا هو بشيخ من بني عجل فقال له من اين أيها الشيخ قال من هذه القرية قال كيف ترون عمال الكم قال شر عمال يظلمون الناس ويستحلون أموالهم قال فكيف قولك في الحجاج قال ذاك ماولي العراق شر منه قبحه الله وقبح من استعمله قال أتعرف من أنا قال لا قال انا الحجاج قال جعلت فداك أوتعرف من انا قال لا قال أنا فلان بن فلان مجنون بني عجل أصرع في كل يوم مرتين قال فضحك الحجاج منه وأمر له بصلة وقال رجل لصاحب منزل أصلح خشب هذا السقف فانه يقرقع قال لاتخف فانه يسبح قال انى أخاف أن تدركه رقة فيسجد وقالت عجوز لزوجها أما تستحي أن تزني ولك حلال طيب قال أما حلال فنعم وأما طيب فلا وقال ملك لوزيره ماخير مايرزقه العبد قال عقل يعيش به قال فان عدمه قال ادب يتحلى به قال فان عدمه قال مال يستره قال فان عدمه قال فصاعقة تحرقه وتريح منه العباد والبلاد وتنبأ رجل في زمن المنصور فقال له المنصور أنت نبي سفلة فقال جعلت فداك كل نبي يبعث الى شكله ومن الاجوبة المسكتة المستحسنة ماذكر أن ابراهيم مغني الرشيد غني يوما بين يديه فقال له احسنت احسن الله اليك فقال له يا أمير المؤمنين انما يحسن الله الى بك فأمر له بمائة ألف درهم وقال رجل لبعض العلوية انت بستان فقال العلوى وأنت النهر الذي يسقى منه البستان وذبحت عائشة رضي الله تعالى عنها شاة وتصدقت بها وأفضلت منها كتفا فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ماعندك منها فقالت مابقى منها الا كتف فقال كلها بقى الا كتفا وقال عبد الله بن يحيى لابي العيناء كيف الحال قال أنت الحال فانظر كيف انت لنا فأمر له بمال جزيل وأحسن صلته وكان عمرو ابن سعد بن سالم في حرس المأمون ليلة فخرج المأمون يتفقد الحرس فقال لعمرو من أنت قال عمرو عمرك الله ابن سعد اسعدك الله ابن سالم سلمك الله قال أنت تكلؤنا الليلة قال الله يكلؤك يا أمير المؤمنين وهو خير حفظا وهو أرحم الراحمين فقال المأمون

ان أخا الهيجاء من يسعى معك * ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذا ريب زمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

ادفعوا اليه أربعة آلاف دينار فقال عمرو وددت لو أن الابيات طالت وقال المعتصم للفتح ابن خاقان وهو صبي صغير أرأيت يافتح أحسن من هذا الفص لفص كان في يده قال نعم يا أمير المؤمنين اليد التي هو فيها احسن منه فأعجبه جوابه وأمر له بصلة وكسوة وقيل ان رجلا سأل العباس رضي الله عنه أأنت اكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكبر وأنا ولدت قبله وقال معاوية لسعيد بن مرة الكندي أأنت سعيد قال امير المؤمنين السعيد وانا ابن مرة وقال المأمون للسيد بن أنس أأنت السيد قال أمير المؤمنين السيد وأنا ابن أنس وقال الحجاج للمهلب وهو يماشيه أأنا اطول أم أنت قال الامير أطول وأنا ابسط قامة أراد الطول وهو الفضل والاجوبة بهذا المعنى كثيرة لو تتبعتها لعجزت عنها ولكني اقتصرت على هذا وأوجزت وفيما ذكرته من ذلك كفاية واسال الله تعالى العون والعناية

الباب التاسع في ذكر الخطب والخطباء والشعر والشعراء وسرقاتهم وكبوات الجياد

قيل خطب المأمون فقال اتقوا الله عباد الله وأنتم فى مهل بادروا الاجل ولا يغرنكم الامل فكأنى بالموت قد نزل فشغلت المرء شواغله وتولت عنه فواصله وهيئت أكفانه وبكاه جيرانه وصار الى التراب الخالى بجسده البالى فهو فى التراب عفير والى ما قدم فقير وقال الشعبى ماسمعت أحدا يخطب الاتمنيت أن يسكت مخافة أن يخطئ ما خلا زيادا فانه لا يزداد اكثارا الا ازداد احسانا وخطب على رضى الله عنه فقال فى خطبته عباد الله الموت الموت ليس منه فوت ان أقمتم أخذكم وان فررتم منه ادركم الموت معقود بنواصيكم فالنجا النجا والوحا الوحا فان وراءكم طالبا حثيثا وهو القبر ألا وان القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ألا وانه يتكلم فى كل يوم ثلاث كلمات فيقول أنا بيت الظلمة أنا بيت الوحشة أنا بيت الديدان ألا وان وراء ذلك اليوم يوما أشد منه يوما يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ألا وان وراء ذلك اليوم يوما أشد منه فيه نار تتسعر حرها شديد وقعرها بعيد وحليها حديد وماؤها صديد ليس لله فيها رحمة قال فبكى المسلمون بكاء شديدا ثم قال ألا وان وراء ذلك اليوم جنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين ادخلنا الله واياكم دار النعيم وأجارنا واياكم من العذاب الاليم (وخطب) الحجاج بن يوسف فقال فى بعض خطبه ان ابراهيم بن عبد الله بن الحسن رضى الله عنه خطب بالبصرة فقال ايها الناس كل كلام فى غير ذكر فهو لغو وكل صمت فى غير فكر فهو سهو والدنيا حلم والآخرة يقظة والموت متوسط بينهما ونحن فى أضغاث أحلام قيل اجتمع الناس عند معاوية وقام الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة فقام رجل من الخطباء من عذرة يقال له يزيد بن المقنع فاخترط من سيفه شبرا ثم قال أمير المؤمنين هذا وأشار الى معاوية ثم قال فان يهلك فهذا وأشار الى يزيد ثم قال فمن أبى فهذا وأشار الى سيفه فقال له معاوية انت سيد الخطباء

(فصل) فى ذكر الشعر والشعراء ومرقاتهم قيل ما استدعى شارد الشعر بمثل الماء الجارى والشرف العالى والمكان الخضر الخالى وقيل امسك على النابغة الجعدى أربعين يوما فلم ينطق بالشعر ثم ان بنى جعدة غزوا فظفروا فاستخفه الطرب والفرح فرام الشعر فذل له ما استصعب عليه فقال له قومه والله لنحن باطلاق لسان شاعرنا اسر منا بالظفر بعدونا وقال أبو نواس ماقلت الشعر حتى رويت لستين امرأة منهن الخنساء وليلى فما ظنك بالرجال وقال الخليل الشعراء امراء الكلام يتصرفون فيه كيف شاؤا جائز لهم فيه ما لايجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومن تسهيل اللفظ وتعقيده وقيل وفد زياد بن عبد الله على معاوية فقال له أقرأت القرآن قال نعم قال افرضت الفرائض قال نعم قال ارويت الشعر قال لا فكتب الى عبد الله أبا زياد بارك الله لك فى ابنك فأروه الشعر فقد وجدته كاملا وانى سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ارووا الشعر فانه يدل على محاسن الاخلاق وينهى عن مساويها وتعلموا الانساب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان النسب

وتعلموا من النجوم ما يدلكم على سبلكم فى البر والبحر ولقد هممت بالهرب يوم صفين فما ثبتنى الا قول القائل

اقول لها اذا جشأت وجاشت * مكانك تحمدى او تستريحى

وقيل لم يرقط اعلم بالشعر والشعراء من خلف الاحمر كان يعمل الشعر على ألسنة الفحول من القدماء فلا يتميز عن مقولهم ثم تنسك فكان يختم القرآن كل يوم وليلة وبذل له بعض الملوك مالا جزيلا على أن يتكلم فى بيت من الشعر شكوا فيه فأبى وكان الحسن بن على رضى الله عنه يعطى الشعراء فقيل له فى ذلك فقال خير مالك ما وقيت به عرضك وقال أبو الزناد ما رأيت اروى للشعر من عروة قلت له ما أرواك يا ابا عبد الله فقال وما روايتى مع رواية عائشة رضى الله عنها ما كان ينزل بها شئ الا أنشدت فيه شعرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بقول القائل * كفى الاسلام والشيب للمرء ناهيا * ولم ينطق به موزونا فقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه اشهد انك رسول الله حقا وتلا قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له * ولنذكر نبذة من سرقات الشعراء وسقطاتهم فمن ذلك قول قيس بن الحطيم وهو شاعر الاوس وشجاعها

وما المال والاخلاق الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود

وكيف يخفى ما أخذه مع اشتهار قصيدة طرفة بن العبد وهى معلقة على الكعبة يقول فيها

لعمرك ما الايام الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود

ومن ذلك قول عبدة بن الطبيب

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

اخذه من قول امرئ القيس

فلو أنها نفس تموت شريتها * ولكنها نفس تساقط أنفسا

ويقال سرق شيأ واسترقه فقد استحقه وهو أن يسرق الشاعر المعنى دون اللفظ فمن السرقة الفاحشة قول كثير فى عبد الملك بن مروان

اذا ما أراد الغزو ولم يثن همه * حصان عليها عقد در يزينها

اخذه من قول الحطيئة ولم يغير سوى الروى

اذا ما أراد الغزو ولم يثن همه * حصان عليها لؤلؤ وشنوف

وجرير على سعة بحره وقدرته على غرر الشعر وابتكار الكلام نقل قوله

فلو كان الخلود بفضل قوم * على قوم لكان لنا الخلود

من قول زهير وهو شعر مشهور يحفظه الصبيان وترويه النسوان وهو

فلو كان حمد يخلد المرء لم يمت * ولكن حمد المرء غير مخلد

وقد قال الشماخ

وامر ترجى النفس ليس بنافع * وآخر تخشى ضيره لا يضيرها

وهو مأخوذ من قول الآخر

ترجى النفوس الشئ لا تستطيعه * وتخشى من الاشياء ما لا يضيرها

وابو

وأبو تمام مع قوته وقدرته على الكلام يقول

وأحسن من نور تفتحه الصبا * بياض العطايا فى سواد المطالب

أخذه من قول الاخطل

رأيت بياضا فى سواد كأنه * بياض العطايا فى سواد المطالب

(ومن سقطات الشعراء) ماقيل ان أبا العتاهية كان مع تقدمه فى الشعر كثير السقط روى انه لقى محمد بن مباد ربعكة فمازحه وضاحكه ثم انه دخل على الرشيد فقال يا أمير المؤمنين هذا شاعر البصرة يقول قصيدة فى كل سنة وأنا أقول فى كل سنة مائتى قصيدة فأدخله الرشيد اليه وقال ماهذا الذى يقول أبو العتاهية فقال يا أمير المؤمنين لو كنت أقول كما يقول

ألا يا عتبة الساعه * أموت الساعة الساعه

لقلت كثيرا ولكنى أقول

ابن عبد الحميد يوم توفى * هدّ ركنا ما كان بالمهدود

ما درى نعشه ولا حاملوه * ما على النعش من عفاف وجود

فأعجب الرشيد قوله وأمر له بعشرة آلاف درهم فكاد أبو العتاهية يموت غما وأسفا * وكان بشار بن برد يسمونه أبا المحدثين ويسلمون اليه فى الفضيلة والسبق وبعض أهل اللغة يستشهد بشعره ومع ذلك قال

انما عظم سليمى حبتى * قصب السكر لاعظم الجمل

واذا أدنيت منها بصلا * غلب المسك على ريح البصل

هذا مع قوله

اذا قامت لمشيتها انثنت * كأن عظامها من خيزران

ومع قوله فى الفخر

كأن مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ومع قوله أيضا

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

وأبو الطيب المتنبى فى فضله المشهور وأخذه بزمام الكلام وقوته على رقائق المعانى وعلى مافى شعره من الحكم والامثال السائرة يقول

وضاقت الارض حتى صار هاربهم * اذا رأى غير شئ ظنه رجلا

وغير شئ معناه المعدوم والمعدوم لا يرى فهذا سقط فاحش

ومما يستهجن من قوله وتكاد أن تمجه الاسماع قوله

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا * قلاقل عيس كلهن قلاقل

وقوله وقد جمع بين قبح اللفظ وبرودة المعنى

ان كان مثلك كان أو هو كائن * فبرئت حينئذ من الاسلام

ومن معانيه المسروقة قوله

ونهب نفوس أهل النهب أولى * بأهل المجد من نهب القماش

أخذه من قول أبي تمام

ان الاسود أسود الغاب همتها * يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

قال أبو عبد الله الزبيري اجتمع راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية الاحوص وراوية نصيب فافتخر كل منهم وقال صاحبي أشعر فحكموا السيدة سكينة بنت الحسين بينهم لعقلها وتبصرها بالشعر فخرجوا حتى استأذنوا عليها وذكروا لها أمرهم فقالت لراوية جرير أليس صاحبك الذي يقول

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعي بسلام

وأي ساعة أحلى من الزيارة بالطروق قبح الله صاحبك وقبح شعره فهلا قال فادخلي بسلام ثم قالت لراوية كثير أليس صاحبك الذي يقول

يقر بعيني ما يقر بعينها * وأحسن شئ ما به العين قرت

وليس شئ أقر بعينها من النكاح أيحب صاحبك أن ينكح قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قالت لراوية جميل أليس صاحبك الذي يقول

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها * ولكن طلابيها لما فات من عقلي

فما أراه هوى وانما طلب عقله قبح الله صاحبك وقبح شعره * ثم قالت لراوية نصيب أليس صاحبك الذي يقول

أهيم بدعد ما حييت فان أمت * فوا حزني من ذا يهيم بها بعدي

فما له همة الا من يتعشقها بعده قبحه الله وقبح شعره هلا قال

اهيم بدعد ما حييت فان أمت * فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

ثم قالت لراوية الاحوص أليس صاحبك الذي يقول

من عاشقين تواعدا وتراسلا * ليلا اذا نجم الثريا حلقا

باتا بأنعم ليلة وألذها * حتى اذا وضح الصباح تفرقا

قبحه الله وقبح شعره هلا قال تعانقا فلم تثن على واحد منهم وأحجم رواتهم عن جوابها رضي الله عنها * (وروى) ابن الكلبي قال لما أفضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز وفدت اليه الشعراء كما كانت تفد على الخلفاء من قبله فأقاموا ببابه أياما لا يؤذن لهم في الدخول حتى قدم عدي بن ارطاة عليه وكان منه بمكانة فتعرض له جرير وقال

يا أيها الرجل المزجي مطيته * هذا زمانك اني قد خلا زمني

أبلغ خليفتنا ان كنت لاقيه * أني لدى الباب كالمشدود في قرن

لا تنس حاجتنا لاقيت مغفرة * قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني

فقال نعم يا أبا عبد الله فلما دخل على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك وألسنتهم مسمومة وسهامهم صائبة فقال عمر رضي الله عنه مالي وللشعراء فقال يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مدح فأعطى وفيه اسوة لكل مسلم قال صدقت فمن بالباب منهم قال ابن عمك عمر بن أبي ربيعة القرشي قال لا قرب الله قرابته ولا حيا وجهه أليس هو القائل

ألا ليتني في يوم تدنو منيتي * شممت الذي ما بين عينيك والفم
وليت طهوري كان ريقك كله * وليت حنوطي من مشاشك والدم
ويا ليت سلمى في القبور ضجيعتي * هنالك أو في جنة أو جهنم

فليته عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ثم يعمل عملا صالحا والله لا يدخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال جميل بن معمر العذرى قال أليس هو القائل

ألا ليتنا نحيا جميعا فان نمت * يوافى لدى الموتى ضريحى ضريحها
فما أنا فى طول الحياة براغب * اذا قيل قد سوّى عليها صفيحها
أظل نهارى لا أراها وتلتقى * مع الليل روحى فى المنام وروحها

والله لا يدخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال كثير عزة قال أليس هو القائل

رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر الفراق قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها * خروا لعزة ركعا وسجودا

أبعده الله فوالله لا يدخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال الاحوص الانصارى قال أبعده الله والله لا ادخل على أبدا أليس هو القائل وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جاريته حتى هرب بها منه

الله بينى وبين سيدها * يفر منى بها وأتبعه

فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال همام بن غالب الفرزدق قال أليس هو القائل يفخر بالزنا فى قوله

هما دليانى من ثمانين قامة * كما انقض باز لين الريش كاسره
فلما استوت رجلاى فى الارض قالتا * أحى فيرجى أم قتيل نحاذره
فقلت ارفعوا الاحراس لا يفطنوا بنا * وولت فى أعقاب ليل أبادره

والله لا ادخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال الاخطل التغلبى قال اليس هو القائل

ولست بصائم رمضان عمرى * ولست بآكل لحم الاضاحى
ولست بزاجر عيسا بكورا * الى اطلال مكة بالنجاح
ولست بقائم كالعبد يدعو * قبيل الصبح حى على الفلاح
ولكنى سأشربها شمولا * وأسجد عند منبلج الصباح

أبعده الله عنى فوالله لا ادخل على أبدا ولا وطئ لى بساطا وهو كافر فمن بالباب غيره من الشعراء ممن ذكرت قال جرير قال أليس هو القائل

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعى بسلام

فان كان ولا بد فهذا فأذن له قال عدى بن ارطاة فخرجت فقلت ادخل يا جرير فدخل وهو يقول

ان الذى بعث النبى محمدا * جعل الخلافة فى الامام العادل
وسع الخلائق عدله ووقاره * حتى ارعووا وأقام ميل المائل

انى لأرجو منه نفعا عاجلا * والنفس مولعة بحب العاجل
والله أنزل فى الكتاب فريضة * لابن السبيل وللفقير العائل

فلما مثل بين يديه قال ياجرير اتق الله ولا تقل الاحقا فأنشأ يقول

كم باليمامة من شعثاء أرملة * ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
ممن بعدلك يكفى فقد والده * كالفرخ فى العش لم يدرج ولم يطر
أأذكر الجهد والبلوى التى نزلت * أم قد كفانى مابلغت من خبرى
انا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا * من الخليفة مانرجو من المطر
اتى الخلافة جاءته على قدر * كما أتى ربه موسى على قدر
هذى الارامل قد قضيت حاجتها * فمن لحاجة هذا الارمل الذكر
الخير مادمت حيا لايفارقنا * بوركت ياعمر الخيرات من عمر

فقال والله ياجرير لقد وافيت الامر ولا أملك الا ثلاثين دينارا فعشرة أخذها عبد الله ابنى وعشرة أخذتها أم عبد الله ثم قال لخادمه ادفع اليه العشرة الثالثة فقال والله ياأمير المؤمنين انه لاحب مال اكتسبته ثم خرج فقال له الشعراء ماوراءك ياجرير فقال ورائى مايسوءكم خرجت من عند امير يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وانى عنه لراض ثم أنشأ يقول

رأيت رقى الجن لايستفزه * وقد كان شيطانى من الجن راقيا

(ومما جاء فى كبوات الجياد وهفوات الامجاد)

قال الاحنف الشريف من عدت سقطاته وقلت عثراته وقالوا كل صارم ينبو وكل جواد يكبو * وكان الاحنف بن قيس حليما سيدا يضرب به المثل وقد عدت له سقطة وهو أن عمرو بن الاهتم دس اليه رجلا يسفهه فقال ياأبا بحر ما كان أبوك فى قومه قال كان أوسطهم وسيدهم ولم يتخلف عنهم فرجع اليه ثانيا ففطن انه من قبل عمرو بن الاهتم فقال ما كان أبوك قال كانت له فتوة ومروءة ومكارم أخلاق ولم يكن أهتم سلاحا * وقال سعيد بن المسيب مافاتنى الاذان فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أربعين سنة ثم قام يريد الصلاة فوجد الناس قد خرجوا من المسجد * (وقال) قتادة مانسيت شيأ قط ثم قال ياغلام ناولنى نعلى قال النعل فى رجلك وكان هشام بن عبد الملك من رجال بنى أمية ودهاتهم وقد عدت له سقطات منها أن الحادى حدا به يوما فقال

انى عليك أيها النجى * أكرم من يمشى به المطى

فقال هشام صدقت * وذكر عنده سليمان وأخوه فقال والله لاشكونه يوم القيامة الى أمير المؤمنين عبد الملك ولما ولى الخلافة قال الحمد لله الذى أنقذنى من النار بهذا المقام * قال النابغة أى الرجال المهذب * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب العاشر فى التوكل على الله تعالى والرضا بالقسم والقناعة وذم الحرص والطمع وما أشبه ذلك وفيه فصول

(الفصل الاول فى التوكل على الله تعالى) قال الله تعالى وتوكل على الحى الذى لايموت وقال تعالى وعلى ربهم يتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه * وعن أبى

هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل
أفئدة الطير رواه مسلم قيل معناه متوكلون وقيل قلوبهم رقيقة وعن البراء بن عازب رضي
الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق
الطير تغدو خماصا وتعود بطانا وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود من دعاني
أجبته ومن استغاثني أغثته ومن استنصرني نصرته ومن توكل علي كفيته فأنا كافي المتوكلين
وناصر المستنصرين وغياث المستغيثين ومجيب الداعين *(حكي) أنه كان في زمن هرون
الرشيد قد حصل للناس غلاء سعر وضيق حال حتى اشتد الكرب على الناس اشتدادا عظيما
فامر الخليفة هرون الرشيد الناس بكثرة الدعاء والبكاء وأمر بكسر آلات الطرب ففي
بعض الايام رؤي عبد يصفق ويرقص ويغني فحمل الى الخليفة هرون الرشيد فسأله عن فعله
ذلك من دون الناس فقال ان سيدي عنده خزانة بر وأنا متوكل عليه أن يطعمني منها فلهذا
أنا ذا لا أبالي فانا أرقص وأفرح فعند ذلك قال الخليفة اذا كان هذا قد توكل على مخلوق مثله
فالتوكل على الله أولى فسلم للناس أحوالهم وأمرهم بالتوكل على الله تعالى (وحكي)
أن حاتما الاصم كان رجلا كثير العيال وكان له أولاد ذكور وأناث ولم يكن يملك حبة
واحدة وكان قدمه التوكل فجلس ذات ليلة مع أصحابه يتحدث معهم فتعرضوا لذكر الحج
فداخل الشوق قلبه ثم دخل على أولاده فجلس معهم يحدثهم ثم قال لهم لو أذنتم لابيكم
أن يذهب الى بيت ربه في هذا العام حاجا ويدعو لكم ماذا عليكم لو فعلتم فقالت زوجته
وأولاده أنت على هذه الحالة لا تملك شيأ ونحن على ماترى من الفاقة فكيف تريد ذلك ونحن
بهذه الحالة وكان له ابنة صغيرة فقالت ماذا عليكم لو أذنتم له ولا يهمكم ذلك دعوه يذهب
حيث شاء فانه مناول للرزق وليس برزاق فذكرتهم ذلك فقالوا صدقت والله هذه الصغيرة
يا أبانا انطلق حيث أحببت فقام من وقته وساعته وأحرم بالحج وخرج مسافرا وأصبح أهل
بيته يدخل عليهم جيرانهم يوبخونهم كيف أذنوا له بالحج وتأسف على فراقه أصحابه وجيرانه
فجعل أولاده يلومون تلك الصغيرة ويقولون لو سكت ماتكلمنا فرفعت الصغيرة طرفها
الى السماء وقالت الهي وسيدي ومولاي عودت القوم بفضلك وانك لا تضيعهم فلا تخيبهم
ولا تخجلني معهم فبينماهم على هذه الحالة اذ خرج أمير البلدة متصيدا فانقطع عن عسكره
وأصحابه فحصل له عطش شديد فاجتاز ببيت الرجل الصالح حاتم الاصم فاستسقى منهم ماء
وقرع الباب فقالوا من أنت قال الامير ببابكم يستسقيكم فرفعت زوجة حاتم رأسها الى
السماء وقالت الهي وسيدي سبحانك البارحة بتنا جياعا واليوم يقف الامير على بابنا يستسقينا
ثم انها أخذت كوزا جديدا وملأته ماء وقالت للمتناول منها اعذرونا فأخذ الامير الكوز
وشرب منه فاستطاب الشرب من ذلك الماء فقال هذه الدار لامير فقالوا لا والله بل لعبد
من عباد الله الصالحين يعرف بحاتم الاصم فقال الامير لقد سمعت به فقال الوزير يا سيدي
لقد سمعت انه البارحة أحرم بالحج وسافر ولم يخلف لعياله شيأ وأخبرت انهم البارحة باتوا
جياعا فقال الامير ونحن أيضا قد ثقلنا عليهم اليوم وليس من المروأة أن يثقل مثلنا على
مثلهم ثم حل الامير منطقته من وسطه ورمى بها في الدار ثم قال لاصحابه من أحبني فليلق

منطقته فخلى جميع أصحابه مناطقهم ورموا بها اليهم ثم انصرفوا فقال الوزير السلام عليكم أهل البيت لا تنبذكم الساعة بثمن هذه المناطق فلما نزل الامير رجع اليهم الوزير ودفع اليهم ثمن المناطق مالا جزيلا واستردها منهم فلما رأت الصبية الصغيرة ذلك بكت بكاء شديدا فقالوا لها ماهذا البكاء انما يجب أن تفرحي فان الله قد وسع علينا فقالت يا أم والله انما بكائي كيف بتنا البارحة جياعا فنظر الينا مخلوق نظرة واحدة فأغنانا بعد فقرنا فالكريم الخالق اذا نظر الينا لا يكلنا الى أحد طرفة عين اللهم انظر الى أبينا ودبره بأحسن التدبير هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر حاتم أبيهم فانه لما خرج محرما ولحق بالقوم توجع أمير الركب فطلبوا له طبيبا فلم يجدوا فقال هل من عبد صالح فدل على حاتم فلما دخل عليه وكلمه دعا له فعوفي الامير من وقته فأمر له بما يركب وما يأكل وما يشرب فنام تلك الليلة مفكرا في أمر عياله فقيل له في منامه يا حاتم من أصلح معاملته معنا أصلحنا معاملتنا معه ثم أخبر بما كان من أمر عياله فأكثر الثناء على الله تعالى فلما قضى حجه ورجع تلقته أولاده فعانق الصبية الصغيرة وبكى ثم قال صغار قوم كبار قوم آخرين ان الله لا ينظر الى أكبركم ولكن ينظر الى أعرفكم به فعليكم بمعرفته والاتكال عليه فانه من توكل على الله فهو حسبه * ومن كلام الحكماء من أيقن أن الرزق الذي قسم له لا يفوته تعجل الراحة ومن علم أن الذي قضى عليه لم يكن ليخطئه فقد استراح من الجزع ومن علم أن مولاه خير له من العباد فقصده كفاه همه وجمع شمله * وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال يا غلام اني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الصحف وجفت الاقلام * ورفع الى الرشيد أن بدمشق رجلا من بني أمية عظيم المال والجاه كثير الخيل والجند يخشى على المملكة منه وكان الرشيد يومئذ بالكوفة قال منارة خادم الرشيد فاستدعاني الرشيد وقال اركب الساعة الى دمشق وخذ معك مائة غلام وائتني بفلان الاموي وهذا كتابي الى العامل لا توصله له الا اذا امتنع عليك فاذا أجاب فقيده وعادله بعد أن تحصي جميع ما تراه وما يتكلم به واذكر لي حاله وما له وقد أجلتك لذهابك ستا ولمجيئك ستا ولاقامتك يوما أفهمت قلت نعم قال فسر على بركة الله فخرجت أطوي المنازل ليلا ونهارا لا أنزل الا للصلاة أو لقضاء حاجة حتى وصلت ليلة السابع باب دمشق فلما فتح الباب دخلت قاصدا نحو دار الاموي فاذا هي دار عظيمة هائلة ونعمة طائلة وخدم وحشم وهيبة ظاهرة وحشمة وافرة ومصاطب متسعة وغلمان فيها جلوس فهجمت على الدار بغير اذن فبهتوا وسألوا عني فقيل لهم ان هذا رسول أمير المؤمنين فلما صرت في وسط الدار رأيت أقواما محتشمين فظننت أن المطلوب فيهم فسألت عنه فقيل لي هو في الحمام فأكرموني وأجلسوني وأمروا بمن معي ومن صحبني الى مكان آخر وأنا أتفقد الدار وأتأمل الاحوال حتى أقبل الرجل من الحمام ومعه جماعة كثيرة من كهول وشبان وحفدة وغلمان فسلم علي وسألني عن أمير المؤمنين فأخبرته أنه بعافية فحمد الله تعالى ثم أحضرت له

أطباق الفاكهة فقال تقدم يامنارة كل معنا فتأملت تأملا كثيرا اذلم يكنى فقلت ما آكل فلم يعاودنى ورأيت مالم أره الافى دار الخلافة ثم قدم الطعام فوالله ما رأيت أحسن ترتيبا ولا أعطر رائحة ولا أكثر آنية منه فقال تقدم يامنارة فكل قلت ليست لى به حاجة فلم يعاودنى ونظرت الى أصحابى فلم أجد أحدا منهم عندى فحرت لكثرة حفدته وعدم من عندى فلما غسل يديه أحضر له البخور فتبخر ثم قام فصلى الظهر فأتم الركوع والسجود وأكثر من الركوع بعدها فلما فرغ استقبلنى وقال ما أقدمك يامنارة فقلت وانه كتاب أمير المؤمنين فقبله ووضعه على رأسه ثم فضه وقرأه فلما فرغ من قراءته استدعى جميع بنيه وخواص أصحابه وغلمانه وسائر عياله فضاقت الدار بهم على سعتها فطار عقلى وما شككت انه يريد القبض على فقال الطلاق يلزمه والحج والعتق والصدقة وسائر أيمان البيعة لا يجتمع منكم اثنان فى مكان واحد حتى ينكشف أمره ثم أوصاهم على الحريم ثم استقبلنى وقدم رجليه وقال هات يامنارة قيودك فدعوت الحداد فقيده وحمل حتى وضع فى المحمل وركبت معه فى المحمل وسرنا فلما سرنا فى ظاهر دمشق ابتدأ يحدثنى بانبساط ويقول هذه الضيعة لى تعمل فى كل سنة بكذا وكذا وهذا البستان لى وفيه من غرائب الاشجار وطيب الثمار كذا وكذا وهذه المزارع يحصل لى منها كل سنة كذا وكذا فقلت ياهذا ألست تعلم أن امير المؤمنين أهمه امرك حتى انفذنى خلفك وهو بالكوفة ينتظرك وأنت ذاهب اليه ما تدرى ما تقدم عليه وقد أخرجتك من منزلك ومن بين أهلك ونعمتك وحيدا فريدا وأنت تحدثنى حديثا غير مفيد ولا نافع لك ولا سألتك عنه وكان شغلك بنفسك أولى بك فقال انا لله وانا اليه راجعون لقد أخطأت فراستى فيك يامنارة ماظننت انك عند الخليفة بهذه المكانة الا لوفور عقلك فاذا أنت جاهل عامى لا تصلح لمخاطبة الخلفاء أما خروجى على ما ذكرت فانى على ثقة من ربى الذى بيده ناصيتى وناصية أمير المؤمنين فهو لا يضر ولا ينفع الا بمشيئة الله تعالى فان كان قد قضى على بأمر فلا حيلة لى بدفعه ولا قدرة لى على منعه وان لم يكن قد قدر الله على بشئ فلو اجتمع أمير المؤمنين وسائر من على وجه الارض على أن يضرونى لم يستطيعوا ذلك الا باذن الله تعالى ومالى ذنب فأخاف وانما هذا واش وشى عند أمير المؤمنين ببهتان وأمير المؤمنين كامل العقل فاذا اطلع على براءتى فهو لا يستحل مضرتى وعلى عهد الله لا كلمتك بعدها الا جوابا ثم أعرض عنى وأقبل على التلاوة ومازال كذلك حتى وافينا الكوفة بكرة اليوم الثالث عشر واذا النجب قد استقبلتنا من عند أمير المؤمنين تكشف عن أخبارنا فلما دخلت على الرشيد قبلت الارض فقال هات يامنارة أخبرنى من يوم خروجك عنى الى يوم قدومك على فابتدأت أحدثه بأمورى كلها مفصلة والغضب يظهر فى وجهه فلما انتهيت الى جمعه لاولاده وغلمانه وخواصه وضيق الدار بهم وتفقدى لاصحابى فلم أجد منهم أحدا اسود وجهه فلما ذكرت يمينه عليهم تلك الايمان المغلظة تهلل وجهه فلما قلت انه قدم رجليه أسفر وجهه واستبشر فلما أخبرته بحديثى معه فى ضياعه وبساتينه وما قلت له وما قال لى قال هذا رجل محسود على نعمته ومكذوب عليه وقد أزعجناه وأرعبناه وشوشنا عليه وعلى أولاده وأهله اخرج اليه وانزع قيوده وفكه وأدخله على مكرما ففعلت فلما دخل قبل الارض فرحب به أمير المؤمنين

وأجلسه واعتذر اليه فتكلم بكلام فصيح فقال له أمير المؤمنين سل حوائجك فقال سرعة رجوعي الى بلدي وجمع شملي بأهلي وولدي قال هذا كائن فسل غيره قال عدل أمير المؤمنين في عماله ما أحوجني الى سؤال قال فخلع عليه أمير المؤمنين ثم قال يا عمارة اركب الساعة معه حتى ترده الى المكان الذي أخذته منه فقم في حفظ الله وودائعه ورعايته ولا تقطع أخبارك عنا وحوائجك فانظر الى حسن توكله على خالقه فانه من توكل عليه كفاه ومن دعاه لباه ومن سأله أعطاه ما تمناه وروي أن هذه الكلمات وجدها كعب الاحبار مكتوبة في التوراة فكتبها وهي يا ابن آدم لا تخافن من ذي سلطان مادام سلطاني باقيا وسلطاني لا ينفد أبدا يا ابن آدم لا تخش من ضيق الرزق مادامت خزائني ملآنة وخزائني لا تنفد أبدا يا ابن آدم لا تأنس بغيري وأنا لك فان طلبتني وجدتني وان أنست بغيري فتك وفاتك الخير كله يا ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وقسمت رزقك فلا تتعب وفي أكثر منه فلا تطمع ومن أقل منه فلا تجزع فان أنت رضيت بما قسمته لك أرحت قلبك وبدنك وكنت عندي محمودا وان لم ترض بما قسمته لك فوعزتي وجلالي لاسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش في البر ولا ينالك منها الا ما قد قسمته لك وكنت عندي مذموما يا ابن آدم خلقت السموات السبع والارضين السبع ولم أعي بخلقهن أيعييني رغيف أسوقه لك من غير تعب يا ابن ادم أنا لك محب فبحقي عليك كن لي محبا يا ابن آدم لا تطالبني برزق غد كما لا أطالبك بعمل غد فاني لم انس من عصاني فكيف من أطاعني وأنا على كل شئ قدير وبكل شئ محيط قال الشاعر

وما ثم الا الله في كل حالة * فلا تتكل يوما على غير لطفه

فكم حالة تأتي ويكرهها الفتى * وخيرته فيها على رغم أنفه

ولمؤلفه رحمه الله تعالى

توكل على الرحمن في الامر كله * فما خاب حقا من عليه توكلا

وكن واثقا بالله واصبر لحكمه * تفز بالذي ترجوه منه تفضلا

(الفصل الثاني في القناعة والرضا بما قسم الله) جاء في تفسير قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة أن المراد بها القناعة وقال صلى الله عليه وسلم القناعة مال لا ينفد وقيل يارسول الله ما القناعة قال الاياس عما في أيدي الناس واياكم والطمع فانه الفقر الحاضر وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من القناعة بالجانب الاوفر وانه كان يشتهي الشئ فيدافعه سنة قال الكندي * العبد حر ما قنع * والحر عبد ما طمع * وقال بشر بن الحرث خرج فتى في طلب الرزق فبينما هو يمشي فاعيا فأوى الى خراب يستريح فيه فبينما هو يدير بصره اذ وقعت عيناه على أسطر مكتوبة على حائط فتأملها فاذا هي

اني رأيتك قاعدا مستقبلي * فعلمت انك للهموم قرين

هون عليك وكن بربك واثقا * فأخو التوكل شأنه التهوين

طرح الاذى عن نفسه في رزقه * لما تيقن انه مضمون

قال فرجع الفتى الى بيته ولزم التوكل وقال اللهم أدبنا أنت * قال الجاحظ انما خالف الله تعالى بين طبائع الناس ليوفق بينهم في مصالحهم ولولا ذلك لاختار وا كلهم الملك والسياسة والتجارة

والفلاحة وفى ذلك بطلان المصالح وذهاب المعايش فكل صنف من الناس مزين لهم ماهم فيه فالحائك اذا رأى من صاحبه تقصيرا وخلفا قال ويلك ياحجام والحجام اذا رأى مثل ذلك من صاحبه قال ويلك ياحائك فجعل الله تعالى الاختلاف سببا للائتلاف فسبحانه من مدبر قادر حكيم ألا ترى الى البدوى فى بيت من قطعة خيش معمد بعظام الجيف كلبه معه فى بيته لباسه شملة من وبر أو شعر ودواؤه بعر الابل وطيبه القطران وبعر الظباء وحلى زوجته الودع وثماره المقل وصيده اليربوع وهو فى مفازة لايسمع فيها الاصوت بومة وعواء ذئب وهو قانع بذلك مفتخر به * وقال سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه يابنى اذا طلبت الغنى فاطلبه فى القناعة فانها مال لاينفد واياك والطمع فانه فقر حاضر وعليك باليأس فانك لم تيأس من شئ الا أغناك الله عنه * وأصاب داود الطائى فاقة كبيرة فجاءه حماد بن أبى حنيفة رضى الله عنه باربعمائة درهم من تركة ابيه وقال هى من مال رجل ماقدم عليه احدا فى زهده وورعه وطيب كسبه فقال لو كنت أقبل من أحد شيأ لقبلتها تعظيما للميت واكراما للحى ولكنى احب أن أعيش فى عز القناعة * وقال عيسى عليه الصلاة والسلام اتخذوا البيوت منازل والمساجد مساكن وكلوا من بقل البرية واشربوا من الماء القراح واخرجوا من الدنيا بسلام * وأنشد المبرد

ان ضن زيد بما فى بطن راحته * فالارض واسعة والرزق مبسوط

ان الذى قدر الاشيا بحكمته * لم ينسنى قاعدا والرجل محطوط

قال عبد الواحد بن زيد ما أحسب أن شيأ من الاعمال يتقدم الصبر الا الرضا ولا أعلم درجة ارفع من الرضا وهو رأس المحبة * قيل له متى يكون العبد راضيا عن ربه قال اذا سرته المصيبة كما تسره النعمة * وكان عبد الله بن مرزوق من ندماء المهدى فسكر يوما ففاتته الصلاة فجاءته جارية له بجمرة فوضعتها على رجله فانتبه مذعورا فقالت له اذا لم تصبر على نار الدنيا فكيف تصبر على نار الآخرة فقام فصلى الصلوات وتصدق بما ملكه وذهب يبيع البقل فدخل عليه فضيل وابن عيينة فاذا تحت رأسه لبنة وماتحت جنبه شئ فقالا له انه لم يدع أحد شيأ لله الا عوضه الله منه بدلا فما عوضك مما تركت له قال الرضا بما أنا فيه * وقال الثورى ماوضع أحد يده فى قصعة غيره الا ذل له * وقال الفضيل من رضى بما قسم الله له بارك الله له فيه * وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول الشمس فى الشتاء صلائى ونور القمر سراجى وبقل البرية فاكهتى وشعر الغنم لباسى أبيت حيث يدركنى الليل ليس لى ولد يموت ولا بيت يخرب انا الذى كببت الدنيا على وجهها بيت مفرد

ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق فى ظلها هما يؤرقه

* وقال عيسى عليه الصلاة والسلام انظروا الى الطير تغدو وتروح ليس معها شئ من أرزاقها لاتحرث ولاتحصد والله يرزقها فان زعمتم أنكم أكبر بطونا من الطير فهذه الوحوش والبقر والحمر لاتحرث ولاتحصد والله يرزقها * وقيل وفد عروة بن اذينة على هشام بن عبد الملك فشكا اليه خلته فقال له ألست القائل

لقد علمت وما الاسراف من خلقى * أن الذى هو رزقى سوف يأتينى

أسعى اليه فيعييني تطلبه * ولو قعدت أتاني ليس يعييني

وقد جئت من الحجاز الى الشأم فى طلب الرزق فقال يا أمير المؤمنين لقد وعظت فأبلغت وخرج فركب ناقته وكر الى الحجاز راجعا فلما كان من الليل نام هشام على فراشه فذكر عروة فقال فى نفسه رجل من قريش قال حكمة ووفد على فجبهته ورددته خائبا فلما اصبح وجه اليه بألفي دينار فقرع عليه الرسول باب داره بالمدينة وأعطاه المال فقال أبلغ أمير المؤمنين مني السلام وقل له كيف رأيت قولي سعيت فأكديت فرجعت فأتاني رزقي فى منزلي * ولما ولى عبد الله بن عامر العراق قصده صديقان له أنصاري وثقفي فلما ساراتخلف الانصاري وقال الذي أعطى ابن عامر العراق قادر لي أن يعطيني فوفد الثقفي وقال أحوز الخطين فلما دخل على عبد الله بن عامر قال له مافعل زميلك الانصاري قال رجع الى أهله فأمر للثقفي بأربعة آلاف دينار وبعث الى الانصاري بثمانية آلاف دينار فخرج الثقفي وهو يقول

فوالله ماحرص الحريص بنافع * فيغني ولا زهد القنوع بضائر

خرجنا جميعا من مساقط روسنا * على ثقة منا بجود ابن عامر

فلما أنخنا الناجعات ببابه * تخلف عني اليثربي ابن جابر

وقال ستكفيني عطية قادر * على مايشاء اليوم للخلق قاهر

فان الذي أعطى العراق ابن عامر * لربي الذي أرجو لسد مفاقري

فقلت خلالي وجهه ولعله * سيجعل لي حظ الفتى المتزاور

فلما رآني سال عنه صبابة * اليه كما حنت ظؤار الاباعر

فأبت وقد أيقنت أن ليس نافعا * ولا ضائرا شيء خلاف المقادر

قيل اوحى الله تعالى الى موسى صلوات الله وسلامه عليه اتدري لم رزقت الاحمق قال لا يارب قال ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاحتيال * ولبعض العرب

ولا تجزع اذا اعسرت يوما * فقد أيسرت فى الزمن الطويل

* ولا تظنن بربك ظن سوء * فان الله أولى بالجميل *

* وان العسر يتبعه يسار * وقول الله أصدق كل قيل *

فلو أن العقول تسوق رزقا * لكان المال عند ذوي العقول

وأوحى الله تعالى الى يوسف عليه الصلاة والسلام انظر الى الارض فنظر اليها فانفجرت فرأى دودة على صخرة ومعها الطعام فقال له أتراني لم أغفل عنها وأغفل عنك وأنت نبي وابن نبي * ودخل علي بن أبي طالب رضي الله عنه المسجد وقال لرجل كان واقفا على باب المسجد أمسك علي بغلتي فأخذ الرجل لجامها ومضى وترك البغلة فخرج علي وفي يده درهمان ليكافئ بهما الرجل على امساكه بغلته فوجد البغلة واقفة بغير لجام فركبها ومضى ودفع لغلامه الدرهمين يشتري بهما لجاما فوجد الغلام اللجام فى السوق قد باعه السارق بدرهمين فقال علي رضي الله عنه ان العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولا يزداد على ماقدر له * وقيل لراهب من أين تأكل فاشار الى فيه وقال الذي خلق هذه الرحى يأتيها بالطحين * وقال سليم بن المهاجر البجلي

كسوت جميل الصبر وجهى فصانه * به الله عن غشيان كل بخيل
فما عشت لم آت البخيل ولم اقم * على بابه يوما مقام ذليل
وان قليلا يستر الوجه أن يرى * الى الناس مبذولا لغير قليل

وصلى معروف الكرخى خلف امام فلما فرغ من صلاته قال الامام لمعروف من أين تأكل قال اصبر حتى أعيد صلاتى التى صليتها خلفك قال ولم قال لان من شك فى رزقه شك فى خالقه * وقال أبو حازم مالم يكتب لى لو ركبت الريح ما أدركته * وقال عمر بن أبى عمر اليونانى

غلا السعر فى بغداد من بعد رخصه * وانى فى الحالين بالله واثق
فلست أخاف الضيق والله واسع * غناه ولا الحرمان والله رازق

وقال القهستانى

غنى بلا دنيا عن الخلق كلهم * وان الغنى الاعلى عن الشئ لا به

وقال منصور الفقيه

الموت اسهل عندى * بين القنا والاسنه
والخيل تجرى سراعا * مقطعات الاعنه
من أن يكون لنذل * على فضل ومنه

وأنشد أعرابى

أيا مالك لا تسأل الناس والتمس * بكفيك فضل الله فالله أوسع
ولو تسأل الناس التراب لاوشكوا * اذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصنى قال عليك باليأس عما فى ايدى الناس واياك والطمع فانه فقر حاضر * وقيل اذا وجدت الشئ فى السوق فلا تطلبه من صديقك * وقيل لاعرابية من أين معاشكم قالت لولم نعش الا من حيث نعلم لم نعش * وقال أعرابى أحسن الاحوال حال يغبطك بها من دونك ولا يحقرك معها من فوقك * وقال المعرى

اذا كنت تبغى العيش فابغ توسطا * فعند التناهى يقصر المتطاول
توقى البدور النقص وهى أهلة * ويدركها النقصان وهى كوامل

وقال آخر

اقنع بأيسر رزق أنت نائله * واحذر ولا تتعرض للارادات
فما صفا البحر الا وهو منتقص * ولا تعكر الا فى الزيادات

وقال أعرابى استظهر على الدهر بخفة الظهر قال هشام بن ابراهيم البصرى

وكم ملك جانبته عن كراهة * لاغلاق باب او لتشديد حاجب
ولى فى غنى نفسى مراد ومذهب * اذا انصرفت عنى وجوه المذاهب

وقيل ينبغى أن يكون المرء فى دنياه كالمدعو الى الوليمة ان أتته صحفة تناولها وان لم تأته لم يرصدها ولم يطلبها * وقال شقيق بن ابراهيم البلخى قال لى ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أخبرنى عما انت عليه قلت ان رزقت اكلت وان منعت صبرت قال هكذا تعمل كلاب

بلغ فقلت كيف تعمل أنت قال ان رزقت آثرت وان منعت شكرت وقال بعضهم

هى القناعة فالزمها تعش ملكا * لولم يكن منك الا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها * هل راح منها بغير القطن والكفن

وقال آخر

وان القناعة كنز الغنى * فصرت باذيالها ممتسك
فلا ذا يرانى على بابه * ولا ذا يرانى له منهمك
فصرت غنيا بلا درهم * أمر على الناس شبه الملك

جاء فتح الموصلى الى أهله بعد العتمة فلم يجد عندهم شيأ للعشاء ووجدهم بغير سراج فجلس ليلته يبكى من الفرح ويقول باى يد كانت منى تركت مثلى على هذه الحالة والله تعالى أعلم

(الفصل الثالث فى ذم الحرص والطمع وطول الامل) قال الله تعالى ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر فقال يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت ولبست فابليت وتصدقت فامضيت وروى عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ياعائشة ان أردت اللحوق بى فليكفك من الدنيا كزاد الراكب واياك ومجالسة الاغنياء ولا تستخلق ثوبا حتى ترقعيه وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال صلاح أول هذه الامة بالزهد واليقين وهلاك آخر هذه الامة بالبخل والامل * وقيل الحرص ينقص من قدر الانسان ولا يزيد فى رزقه * وقيل لحكيم ما بال الشيخ أحرص على الدنيا من الشاب قال لانه ذاق من طعم الدنيا مالم يذقه الشاب وما أحسن ما قال بعضهم

اذا طاوعت حرصك كنت عبدا * لكل دنيئة تدعى اليها

وقال آخر واجاد

قد شاب رأسى ورأس الدهر لم يشب * ان الحريص على الدنيا لفى تعب

وقيل للاسكندر ما سرور الدنيا قال الرضا بما رزقت منها قيل فما غمها قال الحرص عليها * وقال الحسن لو رأيت الاجل ومروره لنسيت الامل وغروره * وقال ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه اشترى أسامة بن زيد وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون من أسامة اشترى الى شهران أسامة لطويل الامل وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان نبى الله صلى الله عليه وسلم يخرج فيبول ثم يمسح بالتراب فاقول ان الماء منك قريب فيقول ما يدرينى لعلى ما أبلغه وعن أبى هريرة رضى الله عنه يرفعه لا يزال الكبير شابا فى اثنين حب المال وطول الامل * وقيل لمحمد بن واسع كيف تجدك قال قصير الاجل طويل الامل سىء العمل وقيل من جرى فى عنان أمله كان عاثرا بأجله لو ظهرت الآجال لافتضحت الآمال ولقد أحسن ابو العباس احمد بن مروان فى قوله

وذى حرص تراه يلم وفرا * لوارثه ويدفع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاو * فريسته ليأكلها سواه

ولقد أحسن من قال في الجناس الحقيقي

اذا ما نازعتك النفس حرصا * فأمسكها عن الشهوات أمسك
ولا تحرص ليوم أنت فيه * وعد فرزق يومك رزق أمسك

ومن كلام الحكماء اياكم وطول الامل فان من ألهاه أمله أخزاه عمله قال عبد الصمد ابن المعذل

ولي أمل قطعت به الليالي * أراني قد فنيت به وداما

قال الحسن اياكم وهذه الاماني فانه لم يعط أحد بالامنية خيرا قط في الدنيا ولا في الآخرة
قال قس بن ساعدة

وما قد تولى فهو لا شك فائت * فهل ينفعني ليتني ولعلني

وقال آخر

ولا تتعلل بالاماني فانها * عطايا أحاديث النفوس الكواذب

وقال آخر وأجاد

الله أصدق والآمال كاذبة * وجل هذي المنى في الصدر وسواس

وقال آخر

شط المزار بسعدى وانتهى الامل * فلا خيال ولا رسم ولا طلل
الا رجاء فما أدرى أندركه * أم يستمر فيأتي دونه الاجل

وقال أبو العتاهية

لقد لعبت وجد الموت في طلبي * وان في الموت لي شغلا عن اللعب
لو شمرت فكرتي فيما خلقت له * ما اشتد حرصي على الدنيا ولا طلبي

وله أيضا

تعالى الله ياسلم بن عمرو * أذل الحرص أعناق الرجال
هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

وقد ضمنت البيت الاخير فقلت

أيا من عاش في الدنيا طويلا * وأفنى العمر في قيل وقال
وأتعب نفسه فيما سيفنى * وجمع من حرام أو حلال
هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

(ومما جاء في الطمع وذمه) قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع وقال رضي الله عنه ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع وفي الحديث اياك والطمع فانه الفقر الحاضر وقال فيلسوف العبيد ثلاثة عبد رق وعبد شهوة وعبد طمع وقال بعضهم من أراد أن يعيش حرا أيام حياته فلا يسكن قلبه الطمع وقيل اجتمع كعب وعبد الله بن سلام فقال له كعب يا ابن سلام من أرباب العلم قال الذين يعملون به قال فما أذهب العلم عن قلوب العلماء بعد أن علموه قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج الى الناس واجتمع الفضيل وسفيان وابن كريمة اليربوعي فتواصوا

ثم افترقوا وهم مجمعون على أن أفضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقيل لما خلق الله آدم عليه السلام عجن بطينته ثلاثة أشياء الحرص والطمع والحسد فهي تجري في أولاده الى يوم القيامة فالعاقل يخفيها والجاهل يبديها ومعناه أن الله تعالى خلق شهوتها فيه قال اسمعيل بن قطري القراطيسي

حسبي بعلمي ان نفع * ما الذل الا في الطمع
من راقب الله نزع * عن سوء ما كان صنع
ما طار طير وارتفع * الا كما طار وقع

وقال سابق البربري

يخادع ريب الدهر عن نفسه الفتى * سفاها وريب الدهر عنها يخادعه
ويطمع في سوف ويهلك دونها * وكم من حريص أهلكته مطامعه

وقيل لأشعب ما بلغ من طمعك قال أرى دخان جاري فأفت خبزي وقال أيضا ما رأيت رجلين يتساران في جنازة الا قدرت أن الميت أوصى لي بشيء من ماله وما زفت عروس الا كنست بيتي رجاء أن يغلطوا فيدخلوا بها الي قال بعضهم

لا تغضبن على امرئ * لك مانع ما في يديه
واغضب على الطمع الذي * استدعاك تطلب ما لديه

والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الحادي عشر في المشورة والنصيحة والتجارب والنظر في العواقب)

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر واختلف أهل التأويل في أمره بالمشاورة مع ما أمده الله تعالى من التوفيق على ثلاثة أوجه أحدها أنه أمره بها في الحرب ليستقر له الرأي الصحيح فيعمل عليه وهذا قول الحسن ثانيها انه أمره بالمشاورة لما علم فيها من الفضل وهذا قول الضحاك ثالثها انه أمره بمشاورتهم ليستن به المسلمون وان كان في غنية عن مشورتهم وهذا قول سفيان وقال ابن عيينة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد أمرا شاور فيه الرجال وكيف يحتاج الى مشاورة المخلوقين من الخالق مدبر أمره ولكنه تعليم منه ليشاور الرجل الناس وان كان عالما وقال عليه الصلاة والسلام ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا افتقر من اقتصد وقال عليه الصلاة والسلام من أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل وكان يقال ما استنبط الصواب بمثل المشاورة وقال حكيم المشورة موكل بها التوفيق لصواب الرأي وقال الحسن الناس ثلاثة فرجل رجل ورجل نصف رجل ورجل لا رجل فاما الرجل الرجل فذو الرأي والمشورة وأما الرجل الذي هو نصف رجل فالذي له رأي ولا يشاور وأما الرجل الذي ليس برجل فالذي ليس له رأي ولا يشاور وقال المنصور لولده خذ عني ثنتين لا تقل في غير تفكير ولا تعمل بغير تدبير وقال الفضل المشورة فيها بركة واني لأستشير حتى هذه الحبشية الاعجمية وقال أعرابي لا مال أوفر من العقل ولا فقر أعظم من الجهل ولا ظهر أقوى من المشورة وقيل من بدأ بالاستخارة وثنى بالاستشارة فحقيق أن لا يخيب رأيه وقيل الرأي السديد أحمى من البطل الشديد

قال أبو القاسم النهروندى

ومأ ألف مطرور السنان مسدد * يعارض يوم الروع رأيا مسددا

وقال على رضى الله عنه خاطر من استغنى برأيه وسمع محمد بن داود وزير المأمون قول القائل

اذا كنت ذا راى فكن ذا عزيمة * فان فساد الرأى أن يترددا

فأضاف اليه قوله

وان كنت ذا عزم فأنفذه عاجلا * فان فساد العزم أن يتقيدا

ولمحمد بن ادريس الطائى

ذهب الصواب برأيه فكانما * آراؤه اشتقت من التأييد

فاذا دجا خطب تبلج رأيه * صبحا من التوفيق والتسديد

ولمحمد الوراق

ان اللبيب اذا تفرق أمره * فتق الامور مناظرا ومشاورا

وأخو الجهالة يستبد برأيه * فتراه يعتسف الامور مخاطرا

وقال الرشيد حين بدا له تقديم الامين على المأمون فى العهد

لقد بان وجه الرأى لى غير أننى * عدلت عن الامر الذى كان أحزما

فكيف يرد الدر فى الضرع بعدما * توزع حتى صار نهبا مقسما

أخاف التواء الامر بعد استوائه * وأن ينقض الحبل الذى كان أبرما

وقال آخر

خليلى ليس الرأى فى جنب واحد * أشيرا على اليوم ما تريان

ووصف رجل عضد الدولة فقال له وجه فيه ألف عين وفم فيه ألف لسان وصدر فيه ألف قلب وقال اردشير بن بابك أربعة تحتاج الى أربعة الحسب الى الادب والسرور الى الامن والقرابة الى المودة والعقل الى التجربة وقال لا تستحقر الرأى الجزيل من الرجل الحقير فان الدرة لا يستهان بها لهوان غائصها وقال جعفر بن محمد لا تكونن أول مشير واياك والرأى الخطير وتجنب ارتجال الكلام ولا تشيرن على مستبد برأيه ولا على متلون ولا على لجوج وقيل ينبغى أن يكون المستشار صحيح العلم مهذب الرأى فليس كل عالم يعرف الرأى الصائب وكم ناقد فى شئ ضعيف فى غيره قال أبو الاسود الدؤلى

وما كل ذى نصح بمؤتيك نصحه * وما كل مؤت نصحه بلبيب

ولكن اذا ما استجمعا عند واحد * فحق له من طاعة بنصيب

وكان اليونان والفرس لا يجمعون وزراءهم على أمر يستشيرونهم فيه وانما يستشيرون الواحد منهم من غير أن يعلم الآخر به لمعان شتى منها لئلا يقع بين المستشارين منافسة فتذهب اصابة الرأى لان من طباع المشتركين فى الامر التنافس والطعن من بعضهم فى بعض وربما سبق احدهم بالرأى الصواب فحسدوه وعارضوه وفى اجتماعهم ايضا للمشورة تعريض السر للاذاعة فاذا كان كذلك وأذيع السر لم يقدر الملك على مقابلة من أذاعه للابهام

فان عاقب الكل عاقبهم بذنب واحد وان عفا عنهم ألحق الجانى بمن لاذنب له وقيل اذا أشار عليك صاحبك برأى ولم تحمد عاقبته فلا تجعلن ذلك عليه لوما وعتابا بأن تقول أنت فعلت وأنت أمرتنى ولولا أنت فهذا كله ضجر ولوم وخفة وقال افلاطون اذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة لانه بالاستشارة قد خرج من عداوتك الى موالاتك وقيل من بذل نصحه واجتهاده لمن لا يشكره فهو كمن بذر فى السباخ قال الشاعر يمدح من له رأى وبصيرة

بصير بأعقاب الامور كأنما * يخاطبه من كل أمر عواقبه

وقال ابن المعتز المشورة راحة لك وتعب على غيرك وقال الاحنف لا تشاور الجائع حتى يشبع ولا العطشان حتى يروى ولا الاسير حتى يطلق ولا المقل حتى يجد ولما أراد نوح ابن مريم قاضى مرو أن يزوج ابنته استشار جارا له مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وأنت تستفتينى قال لابد أن تشير على قال ان رئيس الفرس كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال ورئيس العرب كان يختار الحسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر لنفسك بمن تقتدى * وكان يقال من أعطى أربعا لم يمنع أربعا من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب وقيل اذا استخار الرجل ربه واستشار صحبه واجهد رأيه فقد قضى ما عليه ويقضى الله فى أمره ما يحب * وقال بعضهم خمير الرأى خير من فطيره وتقديمه خير من تأخيره وقالت الحكماء لا تشاور معلما ولا راعى غنم ولا كثير القعود مع النساء ولا صاحب حاجة يريد قضاءها ولا خائفا ولا حاقنا * وقيل سبعة لا ينبغى لصاحب لب أن يشاورهم جاهل وعدو وحسود ومراء وجبان وبخيل وذو هوى فان الجاهل يضل والعدو يريد الهلاك والحسود يتمنى زوال النعمة والمرائى واقف مع رضا الناس والجبان من رأيه الهرب والبخيل حريص على جمع المال فلا رأى له فى غيره وذو الهوى أسير هواه فلا يقدر على مخالفته *(وحكى) أن رجلا من أهل يثرب يعرف بالاسلمى قال ركبنى دين أثقل كاهلى وطالبنى به مستحقوه واشتدت حاجتى الى ما لا بد منه وضاقت على الارض ولم أهتد الى ما أصنع فشاورت من أثق به من ذوى المودة والرأى فأشار على بقصد المهلب بن أبى صفرة بالعراق فقلت له تمنعنى المشقة وبعد الشقة وتيه المهلب ثم انى عدلت عن ذلك المشير الى استشارة غيره فلا والله ما زادنى على ما ذكره الصديق الاول فرأيت أن قبول المشورة خير من مخالفتها فركبت ناقتى وصحبت رفقة فى الطريق وقصدت العراق فلما وصلت دخلت على المهلب فسلمت عليه وقلت له أصلح الله الامير انى قطعت اليك الدهناء وضربت أكباد الابل من يثرب فانه أشار على بعض ذوى الحجى والرأى بقصدك لقضاء حاجتى فقال هل أتيتنا بوسيلة أو بقرابة وعشيرة فقلت لا ولكنى رأيتك أهلا لقضاء حاجتى فان قمت بها فأهل لذلك أنت وان يحل دونها حائل لم أذمم يومك ولم أيأس من غدك فقال المهلب لحاجبه اذهب به وادفع اليه ما فى خزانة مالنا الساعة فأخذنى معه فوجدت فى خزانته ثمانين ألف درهم فدفعها الى فلما رأيت ذلك لم أملك نفسى فرحا

وسرورا ثم عاد الحاجب بي اليه مسرعا فقال هل ما وصلك يقوم بقضاء حاجتك فقلت نعم أيها الامير وزيادة فقال الحمد لله على نجح سعيك واجتنائك جنى مشورتك وتحقق ظن من أشار عليك بقصدنا قال الاسلمي فلما سمعت كلامه وقد أحرزت صلته أنشدته وأنا واقف بين يديه

يا من على الجود صاغ الله راحته * فليس يحسن غير البذل والجود
عمت عطاياك أهل الارض قاطبة * فأنت والجود منحوتان من عود
من استشار فباب النجح منفتح * لديه فيما ابتغاه غير مردود

ثم عدت الى المدينة فقضيت ديني ووسعت على أهلي وجازيت المشير عليّ وعاهدت الله تعالى ان لا أترك الاستشارة في جميع أموري ما عشت *(وحكي) عن الخليفة المنصور أنه كان صدر من عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس أمور مؤلمة لا تحتملها حراسة الخلافة ولا تتجاوز عنها سياسة الملك فحبسه عنده ثم بلغه عن ابن عمه عيسى بن موسى بن علي وكان واليا على الكوفة ما أفسد عقيدته فيه وأوحشه منه وصرف وجه ميله اليه عنه فتألم المنصور من ذلك وساء ظنه وتأرق جفنه وقل أمنه وتزايد خوفه وحزنه فأدته فكرته الى أمر دبره وكتمه عن جميع حاشيته وستره واستحضر ابن عمه عيسى بن موسى وأجراه على عادة اكرامه ثم أخرج من كان بحضرته وأقبل على عيسى وقال له يا ابن العم اني مطلعك على أمر لا أجد غيرك من أهله ولا أرى سواك مساعدا الى على حمل ثقله فهل أنت في موضع ظني بك وعامل ما فيه بقاء نعمتك التي هي منوطة ببقاء ملكي فقال له عيسى بن موسى أنا عبد أمير المؤمنين ونفسي طوع أمره ونهيه فقال ان عمي وعمك عبد الله قد فسدت بطانته واعتمد على ما بعضه يبيح دمه وفي قتله صلاح ملكنا فخذه اليك واقتله سرا ثم سلمه اليه وعزم المنصور على الحج مضمرا أن ابن عمه عيسى اذا قتل عمه عبد الله ألزمه القصاص وسلمه الى أعمامه اخوة عبد الله ليقتلوه به قصاصا فيكون قد استراح من الاثنين عبد الله وعيسى قال عيسى فلما أخذت عمي وأفكرت في قتله رأيت من الرأي أن أشاور في قضيته من له رأي عسى أن أصيب الصواب في ذلك فأحضرت يونس ابن فروة الكاتب وكان لي حسن ظن في رأيه وعقيدة صالحة في معرفته فقلت له ان أمير المؤمنين دفع الي عمه عبد الله وأمرني بقتله واخفاء أمره فما رأيك في ذلك وما تشير به فقال لي يونس أيها الامير احفظ نفسك بحفظ عمك وعم أمير المؤمنين فاني أرى لك أن تدخله في مكان داخل دارك وتكتم أمره عن كل أحد ممن عندك وتتولى بنفسك حمل طعامه وشرابه اليه وتجعل دونه مغاليق وأبوابا وأظهر لامير المؤمنين انك قتلته وأنفذت أمره فيه وانتهيت الى العمل بطاعته فكأني به اذا تحقق منك انك فعلت ما أمرك به وقتلت عمه أمرك باحضاره على رؤس الاشهاد فان اعترفت أنك قتلته بأمره أنكر أمره لك وأخذك بقتله وقتلك قال عيسى بن موسى فقبلت مشورة يونس وعملت بها وأظهرت لامير المؤمنين أني أنفذت أمره ثم حج المنصور فلما قدم من حجه وقد استقر في نفسه أني قد قتلت عمه عبد الله دس الى عمومته اخوة عبد الله وحثهم على أن يسألوه في أخيهم ويستوهبوه منه

لجاؤا اليه وقد جلس والناس بين يديه على مراتبهم فسألوه فى عبد الله فقال نعم ان حقوقكم تقتضى اسعافكم بحاجتكم كيف وفيها صلة رحم واحسان الى من هو فى مقام الوالد ثم أمر باحضار عيسى بن موسى فأحضر لوقته فقال يا عيسى كنت دفعت اليك قبل خروجى الى الحج عمى عبد الله ليكون عندك فى منزلك الى حين رجوعى فقال عيسى قد فعلت أمير المؤمنين فقال المنصور قد سألنى فيه عمومتك وقد رأيت الصفح عنه وقضاء حاجتهم وصلة الرحم باجابة سؤالهم فيه فائتنا به الساعة قال عيسى فقلت يا أمير المؤمنين ألم تأمرنى بقتله والمبادرة الى ذلك قال كذبت لم آمرك بذلك ولو أردت قتله لاسلمته الى من هو بصدد ذلك ثم أظهر الغيظ وقال لعمومته قد أقر بقتل أخيكم مدعيا أنى أمرته بقتله وقد كذب على قالوا يا أمير المؤمنين فادفعه الينا نقتله به ونقتص منه فقال شأنكم به قال عيسى فأخذونى الى الرحبة واجتمع الناس على فقام واحد من عمومتى الى وسل سيفه ليضربنى به فقلت لهم يا عم أفاعل أنت قال اى والله كيف لا اقتلك وقد قتلت أخى فقال لهم لا تعجلوا وردونى الى أمير المؤمنين فردونى اليه فقلت يا أمير المؤمنين انما أردت قتلى بقتله والذى دبرته على عصمنى الله تعالى من فعله وهذا عمك باق حى سوى فان أمرتنى بدفعه اليهم دفعته اليهم الساعة فأطرق المنصور وعلم أن ريح فكره صادفت اعصارا وأن انفراده بتدبيره قارف خسارا ثم رفع رأسه وقال ائتنا به فمضى عيسى وأحضر عبد الله فلما رآه المنصور قال لعمومته اتركوه عندى وانصرفوا حتى أرى فيه رأيا قال عيسى فتركته وانصرفت وانصرف اخوته فسلمت روحى وزالت كربتى وكان ذلك ببركة الاستشارة بيونس وقبول مشورته والعمل بها ثم ان المنصور أسكن عبد الله فى بيت اساسه قد بنى على الملح ثم أرسل الماء حوله ليلا فذاب الملح وسقط البيت فمات عبد الله ودفن بمقابر باب الشام وسلم عيسى من هذه المكيدة ومن سهام مراميها البعيدة *(ومما جاء فى النصيحة) اعلموا أن النصيحة للمسلمين وللخلائق أجمعين من سنن المرسلين قال الله تعالى اخبارا عن نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون وقال شعيب عليه السلام ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين وقال صالح عليه السلام ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين ولعامتهم فالنصح لله هو وصفه بما هو أهله وتنزيهه عما ليس له بأهل والقيام بتعظيمه والخضوع له ظاهرا وباطنا والرغبة فى محابه والبعد عن مساخطه وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه والجهاد فى رد العصاة الى طاعته قولا وفعلا والنصيحة لكتابه اقامته فى التلاوة وتحسينه عند القراءة وتفهم ما فيه والذب عنه من تأويل المحرفين وطعن الطاعنين وتعليم ما فيه للخلائق أجمعين قال الله تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب والنصيحة للرسول عليه السلام احياء سنته بالطلب لها واحياء طريقته فى بث الدعوة وتأليف الكلمة والتخلق بالاخلاق الطاهرة والنصيحة للائمة معاونتهم على ما كلفوا القيام به بتنبيههم عند الغفلة وارشادهم عند الهفوة وتعليمهم ما جهلوا وتحذيرهم ممن يريد

بهم السوء واعلامهم بأخلاق عمالهم وسيرتهم فى الرعية وسد خلتهم عند الحاجة ورد القلوب النافرة اليهم والنصيحة لعامة المسلمين الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرحمة لصغيرهم وتفريج كربهم وتوقى مايشغل خواطرهم ويفتح باب الوسواس عليهم واعلم أن جرعة النصيحة مرة لايقبلها الا أولوا العزم وقال ميمون بن مهران قال لى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قل لى فى وجهى ماأكره فان الرجل لاينصح أخاه حتى يقول له فى وجهه مايكره وفى منثور الحكم ودك من نصحك وقلاك من مشى فى هواك وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ان شئتم لانصحن لكم ان أحب عباد الله الى الله الذين يحببون الله تعالى الى عباده ويعملون فى الارض نصحا ولورقة بن نوفل

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم * انى النذير فلا يغرركم أحد

لاشىء مماترى تبقى بشاشته * الا الاله ويردى المال والولد

لم تغن عن هرمز يوما ذخائره * والخلد قد حاولت عاد فماخلدوا

وقال بعض الخلفاء لجرير بن يزيد انى قد أعددتك لامر قال ياأمير المؤمنين ان الله تعالى قد أعد لك منى قلبا معقودا بنصيحتك ويدا مبسوطة لطاعتك وسيفا مجردا على عدوك وأنشد الاصمعى

النصح أرخص ماباع الرجال فلا * ترد على ناصح نصحا ولاتلم

ان النصائح لاتخفى مناهلها * على الرجال ذوى الالباب والفهم

ولمعاذ بن مسلم

نصحتك والنصيحة ان تعدت * هوى المنصوح عز لها القبول

فخالفت الذى لك فيه حظ * فنالك دون ماأملت غول

وقيل أشار فيروز بن حصين على يزيد بن المهلب أن لايضع يده فى يد الحجاج فلم يقبل منه وسار اليه فحبسه وحبس أهله فقال فيروز

أمرتك أمرا حازما فعصيتنى * فأصبحت مسلوب الامارة نادما

أمرتك بالحجاج اذ أنت قادر * فنفسك أول اللوم ان كنت لائما

فماأنا بالباكى عليك صبابة * وماأنا بالداعى لترجع سالما

ويقال من اصفر وجهه من النصيحة اسود لونه من الفضيحة وقال طرفة

ولاترفدن النصح من ليس أهله * وكن حين تستغنى برأيك غانيا

وان امرأ يوما تولى برأيه * فدعه يصيب الرشد أويك غاويا

وفى مثله قال بعضهم

من الناس من ان يستشرك فتجتهد * له الرأى يستغششك مالم تتابعه

فلاتمنحن الرأى من ليس أهله * فلاأنت محمود ولا الرأى نافعه

والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثانى عشر فى الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وماأشبه ذلك)

قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن

وقال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون وقال تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات والآيات فى ذلك كثيرة مشهورة وفوائدها جمة منشورة * وروينا فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان * وقال شيخنا محيى الدين النووى رحمة الله تعالى عليه فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ان هذه الآية الكريمة مما يغتر بها أكثر الجاهلين ويحملونها على غير وجهها بل الصواب فى معناها انكم اذا فعلتم ما أمرتم به لا يضركم ضلالة من ضل ومن جملة ما أمروا به الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والآية مرتبة فى المعنى على قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ * وقال محمد بن تمام الموعظة جند من جنود الله تعالى ومثلها مثل الطين يضرب به على الحائط ان استمسك نفع وان وقع اثر * ومن كلام على رضى الله تعالى عنه لا تكونن ممن لا تنفعه الموعظة الا اذا بالغت فى ايلامه فان العاقل يتعظ بالادب والبهائم لا تتعظ الا بالضرب وانشد الجاحظ

وليس يزجركم ما توعظون به * والبهم يزجرها الراعى فتنزجر

وكتب رجل الى صديق له اما بعد فعظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك واستحى من الله بقدر قربه منك وخفه بقدر قدرته عليك والسلام * وقيل من كان له من نفسه واعظ كان له من الله حافظ * وقال لقمان ان الموعظة تشق على السفيه كما يشق صعود الوعر على الشيخ الكبير * قيل اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام انك ان أتيتنى بعبد آبق كتبتك عندى حميدا ومن كتبته عندى حميدا لم أعذبه بعدها أبدا * وقال الرشيد لمنصور بن عمار عظنى وأوجز فقال يا أمير المؤمنين هل أحد أحب اليك من نفسك قال لا قال ان أردت أن لا تسىء الى من تحب فافعل وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه أيها الناس الايام تطوى والاعمار تفنى والابدان فى الثرى تبلى وان الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد ويقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد وفى ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات ورغب فى الباقيات الصالحات * ولما لقى ميمون بن مهران الحسن البصرى قال له لقد كنت أحب أن ألقاك فعظنى فقرأ الحسن البصرى أفرأيت من اتخذ الهه هواه أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون فقال عليك السلام أبا سعيد لقد وعظتنى أحسن موعظة * ولما ضرب ابن ملجم لعنه الله عليا رضى الله عنه دخل منزله فاعترته غشية ثم أفاق فدعا الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما وقال اوصيكما بتقوى الله تعالى والرغبة فى الآخرة والزهد فى الدنيا ولا تأسفا على شئ فاتكما منها فانكما عنها راحلان افعلا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا ولده وقال له أما سمعت ما أوصيت به أخويك قال بلى قال فانى أوصيك به وعليك ببر أخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع أمرا دونهما ثم أقبل

عليهما وقال أوصيكما به خيرا فانه أخوكما وابن أبيكما وأنتما تعلمان أن أباه كان يحبه فأحباه ثم قال يا بني أوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر والعدل في الصديق والعدو والعمل في النشاط والكسل والرضا عن الله في الشدة والرخاء يا بني ما شر بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار عافية يا بني من أبصر عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره ومن رضي بما قسم الله له لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف البغي قتل به ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيها ومن هتك حجاب أخيه هتكت عورات بنيه ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره ومن أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل ومن تكبر على الناس ذل ومن خالط الانذال احتقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن جالس العلماء وقر ومن مزح استخف به ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر خطؤه ومن كثر خطؤه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار يا بني الادب ميزان الرجل وحسن الخلق خير قرين يا بني العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت الا عن ذكر الله تعالى وواحد في ترك مجالسة السفهاء يا بني زينة الفقر الصبر وزينة الغنى الشكر يا بني لا شرف أعلى من الاسلام ولا كرم أعز من التقوى ولا شفيع أنجح من التوبة ولا لباس أجمل من العافية يا بني الحرص مفتاح التعب ومطية النصب * ولما حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة نظر الى أهله يبكون حوله فقال جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء وترك لكم جميع ما جمع وتركتم عليه ما حمل ما أعظم منقلب هشام ان لم يغفر الله له * وقال الاوزاعي للمنصور في بعض كلامه يا أمير المؤمنين أما علمت انه كان بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يابسة يستاك بها ويردع بها المنافقين فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ما هذه الجريدة التي بيدك اقذفها لا تملأ قلوبهم رعبا فكيف بمن سفك دماء المسلمين وانتهب أموالهم يا أمير المؤمنين ان المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر دعا الى القصاص من نفسه بخدشة خدشها أعرابيا من غير تعمد يا أمير المؤمنين لو أن ذنوبا من النار صب ووضع على الارض لاحرقها فكيف بمن يتجرعه ولو أن ثوبا من النار وضع على الارض لأحرقها فكيف بمن يتقمصه ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب فكيف بمن يتسلسل بها ويرد فضلها على عاتقه * وروى زيد بن أسلم عن أبيه قال قلت لجعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكان والي المدينة احذر أن يأتي رجل غدا ليس له في الاسلام نسب ولا أب ولا جد فيكون أولى برسول الله صلى الله عليه وسلم منك كما كانت امرأة فرعون أولى بموسى وكما كانت امرأة نوح وامرأة لوط أولى بفرعون ومن ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه ومن اسرع به عمله لم يبطئ به نسبه * وروى زياد عن مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه قال لما بعث أبو جعفر الى مالك بن أنس وابن طاوس قال دخلنا عليه وهو جالس على فرش وبين يديه أنطاع قد بسطت وجلادون بأيديهم السيوف يضربون الاعناق فأومأ الينا أن اجلسا فجلسنا فأطرق زمانا طويلا ثم رفع راسه والتفت الى ابن طاوس وقال حدثني عن أبيك قال سمعت ابي يقول قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيامة رجل اشركه الله تعالى في ملكه فادخل عليه الجور في حكمه فأمسك ابو جعفر ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه قال مالك فضممت ثيابي مخافة أن ينالها شيء من دم ابن طاوس ثم قال يا ابن طاوس ناولني هذه الدواة فأمسك عنه فقال ما يمنعك أن تناولنيها قال أخاف أن تكتب بها معصية فأكون شريكك فيها فلما سمع ذلك قال قوما عني فقال ابن طاوس ذلك ما كنا نبغي قال مالك فما زلت اعرف لابن طاوس فضله من ذلك اليوم وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار يا كعب خوفنا قال أوليس فيكم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قال بلى يا كعب ولكن خوفنا فقال يا امير المؤمنين اعمل فانك لو وافيت يوم القيامة بعمل سبعين نبيا لازدريت عملهم مما ترى فنكس عمر رضي الله عنه رأسه وأطرق مليا ثم رفع رأسه وقال يا كعب خوفنا فقال يا امير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها فنكس عمر ثم افاق فقال يا كعب زدنا فقال يا امير المؤمنين ان جهنم لتزفر زفرة يوم القيامة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الاجثا على ركبتيه يقول يارب لا اسألك اليوم الا نفسي * وقال سيدي الشيخ ابو بكر الطرطوشي رحمة الله تعالى عليه دخلت على الافضل بن امير الجيوش وهو امير على مصر فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلام على نحو ما سلمت ردا جميلا واكرمني اكراما جزيلا وامرني بدخول مجلسه وامرني بالجلوس فيه فقلت ايها الملك ان الله تعالى قد احلك محلا عليا شامخا وانزلك منزلا شريفا باذخا وملكك طائفة من ملكه واشركك في حكمه ولم يرض أن يكون امر احد فوق امرك فلا ترض أن يكون احد اولى بالشكر منك وليس الشكر باللسان وانما هو بالفعال والاحسان قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا واعلم أن هذا الذي اصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه الامة فان الله تعالى سائلك عن الفتيل والنقير والقطمير قال الله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين واعلم ايها الملك ان الله تعالى قد آتى ملك الدنيا بحذافيرها سليمان بن داود عليهما السلام فسخر له الانس والجن والشياطين والطير والوحش والبهائم وسخر له الريح تجري بأمره رخاء حيث اصاب ثم رفع عنه حساب ذلك اجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف أن تكون استدراجا من الله تعالى ومكرا به فقال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم وأغث الملهوف أعانك الله على نصر المظلوم وجعلك كهفا للملهوف واما ناللخائف ثم أتممت المجلس بأن قلت قد درحت البلاد شرقا وغربا فما اخترت مملكة وارتحت اليها ولذت لي الاقامة فيها غير هذه المملكة ثم أنشدته

والناس اكيس من أن يحمدوا رجلا * حتى يروا عنده آثار احسان

وقال الفضل بن الربيع حج هرون الرشيد سنة من السنين فبينما أنا نائم ذات ليلة اذ سمعت قرع الباب فقلت من هذا فقال أجب أمير المؤمنين فخرجت مسرعا فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت الى أتيتك فقال ويحك قد حاك فى نفسى شئ لا يخرجه الا عالم فانظر لى رجلا اسأله عنه فقلت ههنا سفيان بن عيينة فقال امض بنا اليه فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت الى أتيتك فقال جد لما جئناله فحادثه ساعة ثم قال له أعليك دين قال نعم فقال يا أبا العباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما أغنى عنى صاحبك شيأ فانظر لى رجلا أسأله فقلت ههنا عبد الرزاق بن همام فقال امض بنا اليه فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا قلت أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت الى أتيتك فقال جد لما جئناله فحادثه ساعة ثم قال له أعليك دين قال نعم فقال يا أبا العباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما أغنى عنى صاحبك شيأ فانظر لى رجلا اسأله فقلت ههنا الفضيل بن عياض فقال امض بنا اليه فأتيناه فاذا هو قائم يصلى فى غرفته يتلو آية من كتاب الله تعالى وهو يرددها فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فقال مالى ولامير المؤمنين فقلت سبحان الله أما تجب عليك طاعته ففتح الباب ثم ارتقى الى أعلى الغرفة فأطفأ السراج ثم التجأ الى زاوية من زوايا الغرفة فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كف الرشيد كفى اليه فقال أواه من كف ما ألينها ان نجت غدا من عذاب الله تعالى فقلت فى نفسى ليكلمنه الليلة بكلام نقى من قلب تقى فقال جد لما جئناله رحمك الله تعالى فقال وفيم جئت حملت على نفسك وجميع من معك حملوا عليك حتى لو سألتهم أن يتحملوا عنك شقصا من ذنب ما فعلوا ولكان أشدهم حبالك أشدهم هربا منك ثم قال ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظى ورجاء بن حيوة فقال لهم انى قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا على فعدّ الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة فقال سالم بن عبد الله ان اردت النجاة غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن افطارك فيها على الموت وقال محمد بن كعب ان أردت النجاة غدا من عذاب الله تعالى فليكن كبير المسلمين عندك أبا وأوسطهم عندك أخا وأصغرهم عندك ولدا فبر أباك وارحم أخاك وتحنن على ولدك وقال رجاء بن حيوة ان أردت النجاة غدا من عذاب الله تعالى فاحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم مت متى شئت وانى لاقول هذا وانى لاخاف عليك أشد الخوف يوم تزل الاقدام فهل معك رحمك الله مثل هؤلاء القوم من يأمرك بمثل هذا فبكى هرون بكاء شديدا حتى غشى عليه فقلت له ارفق بأمير المؤمنين فقال يا ابن الربيع قتلته أنت وأصحابك وأرفق به أنا ثم أفاق هرون الرشيد فقال زدنى فقال يا أمير المؤمنين بلغنى أن عاملا لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه شكا اليه سهرا فكتب له عمر يقول يا أخى اذكر سهر أهل النار فى النار وخلود الابدان فان ذلك يطرد بك الى ربك نائما ويقظان واياك أن تزل قدمك عن هذا السبيل فيكون آخر العهد بك ومنقطع الرجاء منك فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه فقال له عمر ما أقدمك

فقال له لقد خلعت قلبي بكتابك لا وليت ولاية أبدا حتى ألقى الله عز وجل فبكى هرون بكاء شديدا ثم قال زدني قال يا أمير المؤمنين ان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم جاء اليه فقال يا رسول الله أمرني امارة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت أن لا تكون أميرا فافعل فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال زدني يرحمك الله فقال يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل واياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لرعيتك فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال له أعليك دين قال نعم دين لربي يحاسبني عليه فالويل لي ان ناقشني والويل لي ان سألني والويل لي ان لم يلهمني حجتي قال هرون انما أعني دين العباد قال ان ربي لم يأمرني بهذا وانما أمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال له هرون هذه ألف دينار فخذها وأنفقها على عيالك وتقو بها على عبادة ربك فقال سبحان الله أنا دللتك على سبيل الرشاد تكافئني أنت بمثل هذا سلمك الله ووفقك ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فقال لي هرون اذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا فان هذا سيد المسلمين اليوم * واعلم أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر له شروط وصفات قال سليمان الخواص من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة ومن وعظه على رؤس الاشهاد فانما بكته * وقالت أم الدرداء رضي الله تعالى عنها من وعظ أخاه سرا فقد سره وزانه ومن وعظه علانية فقد ساءه وشانه * ويقال من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وسره ومن وعظه جهرا فقد فضحه وضره * وعن عبد العزيز بن أبي رواد قال كان الرجل اذا رأى من أخيه شيأ أمره في ستر ونهاه في ستر فيؤجر في ستره ويؤجر في أمره ويؤجر في نهيه * وعن عمر رضي الله تعالى عنه اذا رأيتم أخا لكم ذا زلة فقوموه وسددوه وادعوا الله أن يرجع به الى التوبة فيتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشيطان على أخيكم وبالله التوفيق الى أقوم طريق وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثالث عشر في الصمت وصون اللسان والنهي عن الغيبة والسعي بالنميمة ومدح العزلة وذم الشهرة وفيه فصول

*(الفصل الاول في الصمت وصون اللسان) قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال تعالى ان ربك لبالمرصاد واعلم انه ينبغي للعاقل المكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاما تظهر المصلحة فيه ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الامساك عنه لانه قد يجر الكلام المباح الى حرام أو مكروه بل هذا كثير وغالب في العادة والسلامة لا يعادلها شيء وروينا في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت قال الشافعي في الام اذا أراد أحدكم الكلام فعليه ان يفكر في كلامه فان ظهرت المصلحة تكلم

وان شك لم يتكلم حتى تظهر ورويناه في صحيحيهما عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قلت يارسول الله أي المسلمين أفضل قال من سلم الناس من لسانه ويده وروينا في كتاب الترمذي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قلت يارسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك قال الترمذي حديث حسن وروينا في كتاب الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه والاحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة وفيما أشرت اليه كفاية ان وفقه الله تعالى * وأما الآثار عن السلف وغيرهم في هذا الباب فكثيرة لاتحصر لكن ننبه على شيء منها فمما جاء من ذلك ما بلغنا أن قس بن ساعدة واكثم بن صيفي اجتمعا فقال أحدهما لصاحبه كم وجدت في ابن آدم من العيوب فقال هي أكثر من أن تحصر وقد وجدت خصلة ان استعملها الانسان سترت العيوب كلها قال وما هي قال حفظ اللسان وقال الامام الشافعي رضي الله عنه لصاحبه الربيع ياربيع لاتتكلم فيما لايعنيك فانك اذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها وقال بعضهم مثل اللسان مثل السبع ان لم توثقه عدا عليك ولحقك شره ومما أنشدوه في هذا الباب

احفظ لسانك أيها الانسان * لايلدغنك انه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقال الداريي

لعمرك ان في ذنبي لشغلا * لنفسي عن ذنوب بني أميه
على ربي حسابهم اليه * تناهى علم ذلك لا اليه

وقال علي رضي الله عنه اذا تم العقل نقص الكلام وقال أعرابي رب منطق صدع جمعا وسكوت شعب صدعا وقال وهب بن الورد بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس وقال علي بن هشام رحمة الله تعالى عليه

لعمرك ان الحلم زين لاهله * وما الحلم الا عادة وتحلم
اذا لم يكن صمت الفتى عن ندامة * وعي فان الصمت أولى وأسلم

وقال ابن عيينة من حرم الخير فليصمت فان حرمهما فالموت خير له وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لابي ذر رضي الله عنه عليك بالصمت الامن خير فانه مطردة للشيطان وعون على أمر دينك * ومن كلام الحكماء من نطق في غير خير فقد لغا ومن نظر في غير اعتبار فقد سها ومن سكت في غير فكر فقد لها * وقيل لو قرأت صحيفتك لاغمدت صفيحتك ولو رأيت ما في ميزانك لختمت على لسانك * ولما خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت طال صمته فقيل له ألاتتكلم فقال الكلام صيرني في بطن الحوت * وقال حكيم اذا أعجبك الكلام فاصمت واذا أعجبك الصمت فتكلم * وكان يقال من السكوت ما هو أبلغ من الكلام لان السفيه اذا سكت عنه كان في اغتمام * وقيل لرجل بم سادكم الاحنف فوالله ما كان بأكبركم سنا ولا بأكثركم مالا فقال بقوة سلطانه على لسانه * وقيل الكلمة أسيرة في وثاق الرجل فاذا تكلم بها صار في وثاقها * وقيل اجتمع أربعة ملوك فتكلموا فقال ملك الفرس

ماندمت على مالم أقل مرة وندمت على ماقلت مرارا وقال قيصر انا على رد مالم أقل أقدر مني على رد ماقلت وقال ملك الصين مالم أتكلم بكلمة ملكتها فاذا تكلمت بها ملكتني وقال ملك الهند العجب ممن يتكلم بكلمة ان رفعت ضرت وان لم ترفع لم تنفع * وكان بهرام جالسا ذات ليلة تحت شجرة فسمع منها صوت طائر فرماه فأصابه فقال ما أحسن حفظ اللسان بالطائر والانسان لو حفظ هذا لسانه ماهلك * وقال علي رضي الله تعالى عنه بكثرة الصمت تكون الهيبة * وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه الكلام كالدواء ان أقللت منه نفع وان اكثرت منه قتل * وقال لقمان لولده يابني اذا افتخر الناس بحسن كلامهم فافتخر أنت بحسن صمتك يقول اللسان كل صباح وكل مساء للجوارح كيف انتن فيقلن بخير ان تركتنا قال الشاعر

احفظ لسانك لاتقول فتبتلي * ان البلاء موكل بالمنطق

*(الفصل الثاني في تحريم الغيبة) اعلم أن الغيبة من أقبح القبائح وأكثرها انتشارا في الناس حتى لايسلم منها الا القليل من الناس وهي ذكرك الانسان بما يكره ولو بما فيه سواء كان في دينه أو بدنه أو نفسه أو خلقه أو خلقه أو ماله أو ولده أو والده أو زوجته أو خادمه او عمامته أو ثوبه أو مشيته أو حركته أو بشاشته أو خلاعته أو غير ذلك مما يتعلق به سوا ذكرته بلفظك أو بكتابك أو رمزت اليه بعينك أو يدك أو رأسك أو نحو ذلك فأما الدين فكقولك سارق خائن ظالم متهاون بالصلاة متساهل في النجاسات ليس بارا بوالديه قليل الادب لايضع الزكاة مواضعها لايجتنب الغيبة وأما البدن فكقولك أعمى أو أعرج أو أعمش أو قصير أو طويل أو أسود أو أصفر وأما غيرهما فكقولك فلان قليل الادب متهاون بالناس لايرى لاحد عليه حقا كثير النوم كثير الاكل وما أشبه ذلك أو كقولك فلان أبوه نجار أو اسكاف أو حداد أو حائك تريد تنقيصه بذلك أو فلان سيئ الخلق متكبر مرا معجب عجول جبار ونحو ذلك أو فلان واسع الكم طويل الذيل وسخ الثوب ونحو ذلك * وقد روينا في صحيح مسلم وسنن ابي داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل وان كان في أخي ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته قال الترمذي حديث حسن صحيح وروينا في سنن أبي داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته أي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لكثرة نتنها وروينا في سنن أبي داود عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي الى السماء مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم . وروى عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لم يغفر له حتى يغفر له صاحبها وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال

من اغتاب المسلمين وأكل لحومهم بغير حق وسعى بهم الى السلطان جيء به يوم القيامة مزرقة عيناه ينادي بالويل والثبور يعرف أهله ولا يعرفونه وقال معاوية بن قرة أفضل الناس عند الله أسلمهم صدرا وأقلهم غيبة وقال الاحنف فى خصلتان لا اغتاب جليسى اذا غاب عنى ولا أدخل فى أمر قوم لا يدخلونني فيه وقيل للربيع بن خيثم ما نراك تعيب أحدا فقال لست عن نفسى راضيا فأتفرغ لذم الناس وأنشد

لنفسى أبكى لست أبكى لغيرها * لنفسى من نفسى عن الناس شاغل

وقال كثير عزة

وسعى الى بعيب عزة نسوة * جعل الاله خدودهن نعالها

وقال محمد بن حزم أول من عمل الصابون سليمان وأول من عمل السويق ذو القرنين وأول من عمل الحيس يوسف وأول من عمل خبز الجرادق نمرود وأول من كتب فى القراطيس الحجاج وأول من اغتاب ابليس لعنه الله اغتاب آدم عليه السلام وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان المغتاب اذا تاب فهو آخر من يدخل الجنة وان أصر فهو أول من يدخل النار ويقال لا تأمن من كذب لك أن يكذب عليك ومن اغتاب عندك غيرك أن يغتابك عند غيرك وقيل للحسن البصرى رضى الله تعالى عنه ان فلانا اغتابك فاهدى اليه طبقا من رطب فأتاه الرجل وقال له اغتبتك فأهديت الى فقال الحسن أهديت الى حسناتك فأردت أن أكافئك وعن ابن المبارك رحمه الله تعالى قال لو كنت مغتابا أحدا لاغتبت والدى لانهما أحق بحسناتى واذا حاكى انسان انسانا بأن يمشى متعارجا أو متطاطئا أو غير ذلك من الهيئات يريد تنقيصه بذلك فهو حرام وبعض المتفقهين والمتعبدين يعرضون بالغيبة تعريضا تفهم به كما تفهم بالتصريح فيقال لاحدهم كيف حال فلان فيقول الله يصلحنا الله يغفر لنا الله يصلحه نسأل الله العافية نحمد الله الذى لم يبتلنا بالدخول على الظلمة نعوذ بالله من الكبر يعافينا الله من قلة الحياء الله يتوب علينا وما أشبه ذلك مما يفهم تنقيصه فكل ذلك غيبة محرمة * واعلم أنه كما يحرم على المغتاب ذكر الغيبة كذلك يحرم على السامع استماعها فيجب على من يسمع انسانا يبتدئ بغيبة أن ينهاه ان لم يخف ضررا فان خافه وجب عليه الانكار بقلبه ومفارقة ذلك المجلس ان تمكن من مفارقته فان قال بلسانه اسكت وقلبه يشتهى سماع ذلك قال بعض العلماء ان ذلك نفاق قال الله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ومما أنشدوه فى هذا المعنى

وسمعك صن عن سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع القبيح * شريك لقائله فانتبه
وكم أزعج الحرص من طالب * فوافى المنية فى مطلبه

*(الفصل الثالث فى تحريم السعاية بالنميمة) قال الله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم الآية وحسبك بالنمام خسة ورذيلة سقوطه وضعته والهماز المغتاب الذى يأكل لحوم الناس الطاعن فيهم وقال الحسن البصرى هو الذى يغمز بأخيه فى المجلس وهو

الهمزة اللمزة وقال علي والحسن البصري رضي الله عنهما العتل الفاحش السيء الخلق وقال ابن عباس رضي الله عنهما العتل الفاتك الشديد المنافق وقال عبيد بن عمير العتل الاكول الشروب القوي الشديد يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة وقال الكلبي هو الشديد في كفره وقيل العتل الشديد الخصومة بالباطل والزنيم هو الذي لا يعرف من أبوه قال الشاعر

زنيم ليس يعرف من أبوه * بغي الام ذو حسب لئيم

وروينا في صحيحي البخاري ومسلم عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة نمام وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتره من بوله قال الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى عليه النميمة انما تطلق في الغالب على من ينم قول الغير الى المقول فيه كقوله فلان يقول فيك كذا فينبغي للانسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس الا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع معصية وينبغي لمن حملت اليه نميمة وقيل له قال فيك فلان كذا أن لا يصدق من نم اليه لان النمام فاسق وهو مردود الخبر وأن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله ويبغضه في الله تعالى فانه بغيض عند الله والبغض في الله واجب وأن لا يظن بالمنقول عنه السوء لقول الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وسعى رجل الى بلال بن أبي بردة برجل وكان أمير البصرة فقال له انصرف حتى أكشف عنك فكشف عنه فاذا هو ابن بغي يعني ولد زنا قال أبو موسى الاشعري رضي الله عنه لا ينم على الناس الا ولد بغي وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال شراركم المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون العيوب وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل شغاز ملعون كل قتات ملعون كل نمام ملعون كل منان والشغاز المحرش بين الناس يلقي بينهم العداوة والقتات النمام والمنان الذي يعمل الخير ويمن به وأما السعاية الى السلطان والى كل ذي قدرة فهي المهلكة والحالقة لانها تجمع الخصال الذميمة من الغيبة وشؤم النميمة والتغرير بالنفوس والاموال في النوازل والاحوال وتسلب العزيز عزه وتحط المكين عن مكانته والسيد عن مرتبته فكم دم أراقه سعي ساع وكم حريم استبيح بنميمة نمام وكم من صفيين تباعدا وكم من متواصلين تقاطعا وكم من محبين افترقا وكم من الفين تهاجرا وكم من زوجين تطالقا فليتق الله ربه عز وجل رجل ساعدته الايام وتراخت عنه الاقدار أن يصغي لساع أو يستمع لنمام ووجد في حكم القدماء أبغض الناس الى الله المثلث قال الاصمعي هو الرجل يسعى بأخيه الى الامام فيهلك نفسه وأخاه وامامه وقال بعض الحكماء احذروا أعداء العقول ولصوص المودات وهم السعاة والنمامون اذا سرق اللصوص المتاع سرقوا هم المودات وفي المثل السائر من أطاع الواشي ضيع الصديق وقد تقطع الشجرة فتنبت ويقطع اللحم السيف فيندمل واللسان لا يندمل جرحه * ودفع انسان رقعة الى الصاحب بن عباد يحثه

فيها على أخذ مال يتيم وكان مالا كثيرا فكتب اليه على ظهرها النميمة قبيحة وان كانت صحيحة والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والساعى لعنه الله ولا حول ولا قوة الا بالله وروينا فى كتاب أبى داود والترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغنى أحد من أصحابى عن أحد شيأ فانى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر ومن الناس من يتلون ألوانا ويكون بوجهين ولسانين فيأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها قال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى

قل للذى لست أدرى من تلونه * أناصح أم على غش يناجينى

انى لأكثر مما سمتنى عجبا * يد تشج وأخرى منك تأسونى

تغتابنى عند أقوام وتمدحنى * فى آخرين وكل عنك يأتينى

هذان شيآن قد نافيت بينهما * فاكفف لسانك عن شتمى وتزيينى

وقيل لا انف لحوح جوح خير من واحد متلون وكان يشبه المتلون بأبى براقش وأبى قلمون فأبو براقش طائر منقط بألوان النقوش يتلون فى اليوم ألوانا وأبو قلمون ضرب من ثياب الحرير ينسج بالروم يتلون ألوانا ويقال للطائش الذى لا ثبات معه أبو رياح تشبيها بمثل فارس من نحاس بمدينة حمص على عمود حديد فوق قبة بباب الجامع يدور مع الريح وعناه ممدودة وأصابعها مضمومة الا السبابة فاذا أشكل عليهم مهب الريح عرفوه به فانه يدور بأضعف نسيم يصيبه والذى يعمله الصبيان من قرطاس على قصبة يسمى أبا رياح ايضا ويقال اخلاق الملوك مثل فى المتلون قال بعضهم

ويوم كأخلاق الملوك تلونا * فصحو وتغييم وطل ووابل

أشبهه اياك يامن صفاته * دنو واعراض ومنع ونائل

وكلم معاوية الاحنف فى شئ بلغه عنه فأنكره الاحنف فقال له معاوية بلغنى عنك الثقة فقال له الاحنف ان الثقة لا يبلغ مكروها وكان الفضل بن سهل يبغض السعاية واذا أتاه ساع يقول له ان صدقتنا أبغضناك وان كذبتنا عاقبناك وان استقلتنا أقلناك وكتب فى جواب كتاب ساع نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ وأخبر به كمن قبله وأجازه فاتقوا الساعى فانه لو كان فى سعايته صادقا لكان فى صدقه لئيما اذ لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة وقيل من سعى بالنميمة حذره الغريب ومقته القريب وقال المأمون النميمة لا تقرب مودة الا أفسدتها ولا عداوة الا جددتها ولا جماعة الا بددتها ثم لا بد لمن عرف بها ونسب اليها أن يجتنب ويخاف من معرفته ولا يوثق بمكانه وأنشد بعضهم

من نم فى الناس لم تؤمن عقاربه * على الصديق ولم تؤمن أفاعيه

كالسيل بالليل لا يدرى به أحد * من أين جاء ولا من أين يأتيه

الويل للعهد منه كيف ينقضه * والويل للود منه كيف يفنيه

وقال آخر

يسعى عليك كما يسعى اليك فلا * تأمن غوائل ذى وجهين كياد

وقال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى

من يخبرك بشتم عن أخ * فهو الشاتم لا من شتمك
ذاك شيء لم يواجهك به * انما اللوم على من أعلمك

وقال آخر

ان يعلموا الخير اخفوه وان علموا * شرا اذاعوا وان لم يعلموا كذبوا

وقال آخر

ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا * مني وما سمعوا من صالح دفنوا
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم أذنوا

وقال الحسن ستر ما عاينت أحسن من اشاعة ما ظننت وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه من سمع بفاحشة فأفشاها فهو كالذي أتاها

(وما جاء في النهي عن اللعن)

ما روينا في صحيحي البخاري ومسلم عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن المؤمن كقتله وروينا في صحيح مسلم أيضا عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة وروينا في سنن أبي داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا لعن شيأ صعدت اللعنة الى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد مساغا رجعت الى الذي لعن ان كان أهلا لذلك والا رجعت الى قائلها ويجوز لعن أصحاب الاوصاف المذمومة على العموم كقوله لعن الله الظالمين لعن الله الكافرين لعن الله اليهود والنصارى لعن الله الفاسقين لعن الله المصورين ونحو ذلك وثبت في الاحاديث الصحيحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الواصلة والمستوصلة وأنه قال لعن الله آكل الربا وأنه قال لعن الله المصورين وانه قال لعن الله من لعن والديه وأنه قال لعن الله من ذبح لغير الله وأنه قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وأنه قال لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال وجميع هذه الالفاظ في البخاري ومسلم بعضها فيهما وبعضها في أحدهما والله أعلم

(وما جاء في العزلة ومدح الخمول وذم الشهرة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمول نعمة وكل يتبرأ والظهور نقمة وكل يتمنى وقال بعضهم

تلحف بالخمول تعش سليما * وجالس كل ذي أدب كريم

وقال جعفر بن الفراء

من أخمل النفس أحياها وروحها * ولم يبت طاويا منها على ضجر
ان الرياح اذا اشتدت عواصفها * فليس ترمي سوى العالي من الشجر

وقال أعرابي رب وحدة أنفع من جليس ووحشة أنفع من أنيس وكان أبو معاوية الضرير

يقول

يقول فى خصلتان مايسرنى بهما مارد بصرى قلة الاعجاب بنفسى وخلوقلبى من اجتماع الناس الى وقال عمر رضى الله عنه خذوا حظكم من العزلة وصعد حسان على أطم من آطام المدينة ونادى بأعلى صوته ياصباحاه فاجتمعت الخزرج فقالوا ماعندك قال قلت بيت شعر فأحببت أن تسمعوه قالوا هات ياحسان فقال

وان امرأ أمسى وأصبح سالما • من الناس الاماجنى لسعيد

ولما بنى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه منزله بالعقيق قيل له تركت منازل اخوانك وأسواق الناس ونزلت بالعقيق فقال رأيت أسواقهم لاغية ومجالسهم لاهية فوجدت الاعتزال فيما هنالك عافية وقيل لعروة أخى مرداس لم لاتحدثنا ببعض ماعندك من العلم فقال أكره أن يميل قلبى باجتماعكم الى حب الرياسة فأخسر الدارين وقال سفيان بن عيينة دخلنا على الفضل فى مرضه نعوده فقال ماجاء بكم والله لولم تجيؤا لكان أحب الى ثم قال نعم الشئ المرض لولا العيادة وقيل للفضل ان ابنك يقول وددت لوأنى بالمكان الذى أرى الناس فيه ولايرونى فقال ويح ابنى لم لاأتمها فقال لاأراهم ولايرونى وقال على رضى الله تعالى عنه طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وطوبى لمن لزم بيته وأكل قوته واشتغل بطاعته وبكى على خطيئته فكان من نفسه فى شغل والناس منه فى راحة وقال سفيان الزهد فى الدنيا هو الزهد فى الناس وقيل لراهب فى صومعته ألاتنزل فقال من يمشى على وجه الارض عثر والكلام فى مثل هذا كثير وقد اكتفينا بهذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الرابع عشر فى الملك والسلطان وطاعة ولاة أمور الاسلام ومايجب للسلطان على الرعية ومايجب لهم عليه

روى عن الحسن أنه قال للحجاج سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقروا السلاطين وبجلوهم فانهم عزالله وظله فى الارض اذا كانوا عدولا فقال الحجاج ألم تكن فيهم اذا كانوا عدولا قال قلت بلى وعن عمر رضى الله تعالى عنه قال قلت للنبى صلى الله عليه وسلم أخبرنى عن هذا السلطان الذى ذلت له الرقاب وخضعت له الاجساد ماهو قال ظل الله فى الارض فاذا أحسن فله الاجر وعليكم الشكر واذا أساء فعليه الاصر وعليكم الصبر وعنه عليه الصلاة والسلام أيما راع استرعى رعيته ولم يحطها بالامانة والنصيحة من ورائها الاضاقت عليه رحمة الله تعالى التى وسعت كل شئ وقال مالك ابن دينار رضى الله تعالى عنه وجدت فى بعض الكتب يقول الله تعالى أنامالك الملوك رقاب الملوك بيدى فمن أطاعنى جعلتهم عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة لاتشغلوا أنفسكم بسب الملوك ولكن توبوا الى الله يعطفهم عليكم وقال جعفر بن محمد رحمة الله تعالى عليه كفارة عمل السلطان الاحسان الى الاخوان وقال كسرى لسيرين ماأحسن هذا الملك لودام فقال لودام لاحد ماانتقل الينا ومر طارق الشرطى بابن شبرمة فى موكبه فقال

أراها وان كانت تحب فانها • سحابة صيف عن قليل تقشع

وجلس الاسكندر يوما فما رفع اليه حاجة فقال لا أعد هذا اليوم من أيام ملكي وقال الجاحظ ليس شئ ألذ ولا أسر من عز الامر والنهي ومن الظفر بالاعداء ومن تقليد المنن أعناق الرجال لان هذه الامور نصيب الروح وحظ الذهن وقسمة النفس وقيل الملك خليفة الله في عباده ولن يستقيم أمر خلافته مع مخالفته وقال الحجاج سلطان تخافه الرعية خير من سلطان يخافها وقال أردشير لابنه يابني ان الملك والدين اخوان لاغنى لاحدهما عن الآخر فالدين أس والملك حارس ومالم يكن له اس فمهدوم ومالم يكن له حارس فضائع قيل لما دنت وفاة هرمز وامرأته حامل عقد التاج على بطنها وأمر الوزراء بتدبير المملكة حتى ولدته ولدفتملك وأغار العرب على نواحي فارس في صباه فلما أدرك ركب وانتخب من أهل النجدة فرسانا وأغار على العرب فانتهكهم بالقتل ثم خلع أكتاف سبعين ألفا فقيل له ذو الاكتاف وأمر العرب حينئذ بارخاء الشعور ولبس المصبغات وأن يسكنوا بيوت الشعر وأن لا يركبوا الخيل الاعراة * وقيل من أخلاق الملوك حب التفرد كان أردشير اذا وضع التاج على رأسه لم يضع أحد على رأسه قضيب ريحان واذا لبس حلة لم ير على أحد مثلها واذا تختم بخاتم كان حراما على أهل المملكة أن يتختموا بمثله وكان سعيد بن العاص بمكة اذا اعتم لم يعتم أحد بمثل عمامته مادامت على رأسه وكان الحجاج اذا وضع على رأسه عمامة لم يجترئ أحد من خلق الله أن يدخل عليه بمثلها وكان عبد الملك اذا لبس الخف الاصفر لم يلبس أحد مثله حتى ينزعه وأخبرني من سافر الى اليمن أنه لا يأكل الاوز بها أحد غير الملك وقيل من حق الملك أن يفحص عن أسرار الرعية فحص المرضعة عن ابنها وكان أردشير متى شاء قال لارفع أهل مملكته وأوضعهم كان عندك في هذه الليلة كيت وكيت حتى كان يقال يأتيه ملك من السماء وماذاك الا بتفحصه وتيقظه وكان علم عمر رضي الله عنه بمن نأى عنه كعلمه بمن بات معه على وساد واحد ولقد اقتفى معاوية أثره وتعرف الى زياد رجل فقال أتتعرف الي وأنا أعرف بك من أبيك وأمك وأعرف هذا البرد الذي عليك ففزع الرجل حتى ارتعد من كلامه وعن بعض العباسيين قال كلمت المأمون رحمه الله تعالى في امرأة خطبتها وسألته النظر اليها فقال يا أبا فلان من قصتها وحليتها وفعلها وشأنها كيت وكيت فوالله مازال يصفها ويصف أحوالها حتى أبهتني

(ومما جاء في طاعة ولاة أمور الاسلام)

أمر الله تعالى بذلك في كتابه العزيز على لسان نبيه الكريم فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم وروينا في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنهما قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والسمع والطاعة والنصح لكل مسلم وسئل كعب الاحبار عن السلطان فقال ظل الله في أرضه من ناصحه اهتدى ومن غشه ضل وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه لاتسبوا السلطان فانه ظل الله في الارض به يقوم الحق ويظهر الدين وبه يدفع الله الظلم ويهلك الفاسقين وقال عمر بن عبد العزيز

لمؤدبه كيف كانت طاعتى لك قال أحسن طاعة قال فأطعنى كما كنت أطيعك خذ من شاربك
حتى تبدو شفتاك ومن ثوبك حتى تبدو عقباك * وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى
صلى الله عليه وسلم قال من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن أطاع
أمرى فقد أطاعنى ومن عصى أمرى فقد عصانى وقد ورد فى الاحاديث الصحيحة أن النبى
صلى الله عليه وسلم أمر بالسمع والطاعة لولى الامر ومناصحته ومحبته والدعاء له ولو تتبعت
ذلك لطال الكلام لكن اعلم أرشدنى الله واياك الى الاتباع وجنبنا الزيغ والابتداع أن
من قواعد الشريعة المطهرة والملة الحنيفية المحررة أن طاعة الائمة فرض على كل الرعية
وأن طاعة السلطان تؤلف شمل الدين وتنظم أمور المسلمين وأن عصيان السلطان يهدم أركان
الملة وأن أرفع منازل السعادة طاعة السلطان وأن طاعته عصمة من كل فتنة وبطاعة السلطان
تقام الحدود وتؤدى الفروض وتحقن الدماء وتؤمن السبل وما أحسن ما قالت العلماء
ان طاعة السلطان هدى لمن استضاء بنورها وان الخارج عن طاعة السلطان منقطع العصمة
برىء من الذمة وان طاعة السلطان حبل الله المتين ودينه القويم وان الخروج منها خروج
من أنس الطاعة الى وحشة المعصية ومن غش السلطان ضل وزل ومن أخلص له المحبة
والنصح حل من الدين والدنيا فى أرفع محل وان طاعة السلطان واجبة أمر الله تعالى بها
فى كتابه العظيم المنزل على نبيه الكريم وقد اقتصرنا من ذلك على ما أوردناه واكتفينا بما
بيناه ونسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وأن
يصلح شاننا انه قريب مجيب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين

(الباب الخامس عشر فيما يجب على من صحب السلطان والتحذير من صحبته)

(أما صحبة السلطان) فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما قال لى أبى يا بنى انى أرى أمير
المؤمنين يستخلك ويستشيرك ويقدمك على الاكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
وانى أوصيك بخلال ثلاث لا تفشين له سرا ولا تجربن عليه كذبا ولا تغتابن عنده أحدا قال
الشعبى رحمه الله تعالى قلت لابن عباس كل واحدة منهن خير من ألف فقال اى والله ومن
عشرة آلاف وقال بعض الحكماء اذا زادك السلطان تأنيسا فزده اجلالا واذا جعلك أخا
فاجعله أبا واذا زادك احسانا فزده فعل العبد مع سيده واذا ابتليت بالدخول على
السلطان مع الناس فأخذوا فى الثناء عليه فعليك بالدعاء له ولا تكثر فى الدعاء له عند
كل كلمة فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة * وقال مسلم بن عمران خدم السلطان لا تغتر
بالسلطان اذا أدناك ولا تتغير منه اذا أقصاك * وروى أن بعض الملوك استصحب حكيما
فقال له أصحبك على ثلاث خصال قال وما هن قال لا تهتك لى سترا ولا تشتم لى عرضا ولا تقبل
فى قول قائل حتى تستشيرنى قال هذا لك فما لى عليك قال لا أفشى لك سرا ولا أدخر عنك
نصيحة ولا أوثر عليك أحدا قال نعم الصاحب للمستصحب أنت وقال بزرجمهر اذا خدمت
ملكا من الملوك فلا تطعه فى معصية خالقك فان احسانه اليك فوق احسان الملك وايقاعه بك
أغلظ من ايقاعه * وقالوا اصحب الملوك بالهيبة لهم والوقار لانهم انما احتجبوا عن الناس

لقيام الهيبة فلا تترك الهيبة وان طال أنسك بهم تزدد غما * وقالوا اعلم السلطان وكأنك تتعلم منه وأشر عليه وكأنك تستشيره واذا أحلك السلطان من نفسه بحيث يسمع منك ويثق بك فاياك والدخول بينه وبين بطانته فانك لاتدرى متى يتغير منك فيكونون عونا عليك واياك أن تعادى من اذا شاء أن يطرح ثيابه ويدخل مع الملك فى ثيابه فعل وفى الامثال القديمة احذروا زمارة المخدة وفيه قيل بيت مفرد

ليس الشفيع الذى يأتيك متزرا * مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

وقال يحيى بن خالد اذا صحبت السلطان فدار مداراة المرأة العاقلة لصحبة الزوج الاحمق *(وأما ما جاء فى التحذير من صحبة السلطان)* فقد اتفقت حكماء العرب والعجم على النهى عن صحبة السلطان قال فى كتاب كليله ودمنه ثلاثة لايسلم عليها الا القليل صحبة السلطان وائتمان النساء على الاسرار وشرب السم على التجربة * وكان يقال قد خاطر بنفسه من ركب البحر وأعظم منه خطرا من صحب السلطان وكان بعض الحكماء يقول أحق الامور بالتثبت فيها أمور السلطان فان من صحب السلطان بغير عقل فقد لبس شعار الغرور * وفى حكم الهند صحبة السلطان على مافيها من العز والثروة عظيمة الخطر * وقيل للعتابى لم لاتصحب السلطان على مافيك من الادب قال لانى رأيته يعطى عشرة آلاف فى غير شئ ويرمى من السور فى غير شئ ولا أدرى أى الرجلين أكون * وقال معاوية لرجل من قريش اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبى ويبطش بطش الاسد * وقال ميمون بن مهران قال لى عمر بن عبد العزيز ياميمون احفظ عنى أربعا لاتصحبن السلطان وان أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر ولا تخلون بامرأة وان أقرأتها القرآن ولا تصل من قطع رحمه فانه لك أقطع ولا تتكلم بكلام اليوم تعتذر منه غدا وكم رأينا وبلغنا من صحب السلطان من أهل الفضل والعقل والعلم والدين ليصلحه ففسد هو به فكان كما قيل

عدوى البليد الى الجليد سريعة * والجمر يوضع فى الرماد فيخمد

ومثل من صحب السلطان ليصلحه مثل من ذهب ليقيم حائطا مائلا فاعتمد عليه ليقيمه فخر الحائط عليه فأهلكه قال الشاعر

ومعاشر السلطان شبه سفينة * فى البحر ترجف دائما من خوفه

ان أدخلت من مائه فى جوفها * يغتالها مع مائها فى جوفه

وفى كتاب كليله ودمنه لايبعد من ابتلى بصحبة الملوك فانهم لاعهد لهم ولا وفاء ولا قريب ولا حميم ولا يرغبون فيك الا أن يطمعوا فيما عندك فيقربوك عند ذلك فاذا قضوا حاجتهم منك تركوك ورفضوك ولا ود للسلطان ولا اخاء والذنب عنده لايغفر * وقالت الحكماء صاحب السلطان كراكب الاسد يخافه الناس وهو لمركوبه أخوف * وقال محمد بن واسع والله لسف التراب ولقضم العظم خير من الدنو من أبواب السلاطين * وقال محمد بن السماك الذباب على العذرة خير من العابر على أبواب الملوك * وقيل من صحب السلطان قبل ان يتأدب فقد غرر بنفسه * وقال ابن المعتز من شارك السلطان فى عز الدنيا شاركه فى ذل الآخرة وعنه اذا زادك السلطان تأنيسا واكراما فزده تهيبا واحتشاما * وقال أبو على

الصغانى

الصغانى اياك والملوك فان من والاهم أخذوا ماله ومن عاداهم أخذوا رأسه وقيل مكتوب على باب قرية من قرى بلخ اسمها بهار أبواب الملوك تحتاج الى ثلاثة عقل وصبر ومال وتحته مكتوب كذب عدوّ الله من كان له واحدة منها لم يقرب باب السلطان * وقال حسان بن ربيع الحميرى لا تثقن بالملك فانه ملول ولا بالمرأة فانها خؤن ولا بالدابة فانها شرود * وقال عبيد ابن عمير ما ازداد رجل من السلطان قربا الا ازداد من الله بعدا ولا كثرت أتباعه الا كثرت شياطينه ولا كثر ماله الا كثر حسابه وقال ابن المبارك رحمه الله

أرى الملوك بأدنى الدين قد قنعوا * ولا أراهم رضوا فى العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال بعضهم فى ولاة بنى مروان

اذا ما قطعتم ليلكم بمدامكم * وأفنيتمو أيامكم بمنام
فمن ذا الذى يغشاكم فى ملمة * ومن ذا الذى يغشاكم بسلام
رضيتم من الدنيا بأيسر بلغة * بلثم غلام أو بشرب مدام
ولم تعلموا أن اللسان موكل * بمدح كرام أو بذم لئام

نهت الحكماء عن خدمة الملوك فقالوا ان الملوك يستعظمون فى الثواب ردّ الجواب ويستقلون فى العقاب ضرب الرقاب * وقيل شر الملوك من أمنه الجرىء وخافه البرىء والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السادس عشر فى ذكر الوزراء وصفاتهم وأحوالهم وما أشبه ذلك)

قال الله تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام واجعل لى وزيرا من أهلى فلو كان السلطان يستغنى عن الوزراء لكان أحق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران عليه السلام ثم ذكر حكمة الوزارة فقال اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى دلت هذه الآية على أن الوزارة تشدّ قواعد المملكة وأن يفوض اليه السلطان اذا استكملت فيه الخصال المحموده ثم قال كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا دلت هذه الآية على أن بصحبة العلماء والصالحين وأهل الخبرة والمعرفة تنتظم أمور الدنيا والآخرة وكما يحتاج أشجع الناس الى السلاح وأفره الخيل الى السوط وأحدّ الشفار الى المسن كذلك يحتاج أجل الملوك وأعظمهم وأعلمهم الى الوزير * وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال ما بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله * وقال وهب بن منبه قال موسى لفرعون امن ولك الجنة ولك ملكك قال حتى أشاور هامان فشاوره فى ذلك فقال له هامان بينما أنت اله تعبد اذ صرت تعبد فأنف واستكبر وكان من أمره ما كان وعلى هذا النمط كان وزير الحجاج يزيد بن مسلم لا يألوه خبالا ولبئس القرناء شر قرين لشر خدين وأشرف منازل الآدميين النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة * وفى الامثال نعم الظهير الوزير وأول ما يظهر نبل السلطان وقوة تمييزه وجودة عقله فى انتخاب الوزراء وانتقاء الجلساء ومحادثة العقلاء فهذه ثلاث خلال

تدل على كماله وبهذه الخلال يجمل فى الخلق ذكره وترسخ فى النفوس عظمته والمرء موسوم بقرينه * وكان يقال حلية الملوك وزينتهم وزراؤهم وفى كتاب كليلة ودمنة لا يصلح السلطان الا بالوزراء والاعوان * وقال شريح بن عبيد لم يكن فى بنى اسرائيل ملك الا ومعه رجل حكيم اذا رآه غضبان كتب اليه صحائف فى كل صحيفة ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكلما غضب الملك ناوله الحكيم صحيفة حتى يسكن غضبه ومثل الملك الخير والوزير السوء الذى يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من الدنو منه كالماء الصافى فيه التمساح فلا يستطيع المرء دخوله وان كان سابحا والى الماء محتاجا * ومثل السلطان كمثل الطبيب ومثل الرعية كمثل المرضى ومثل الوزير كمثل السفير بين المرضى والاطباء فاذا كذب السفير بطل التدبير وكما أن السفير اذا أراد أن يقتل أحدا من المرضى وصف للطبيب نقيض دائه فاذا سقاه الطبيب على صفة السفير هلك العليل كذلك الوزير ينقل الى الملك ما ليس فى الرجل فيقتله الملك فن ههنا شرط فى الوزير أن يكون صدوقا فى لسانه عدلا فى دينه مأمونا فى أخلاقه بصيرا بأمور الرعية وتكون بطانة الوزير أيضا من أهل الامانة والبصيرة * وليحذر الملك أن يولى الوزارة لئيما فاللئيم اذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوى الفضل ودخل بعض الوزراء على بعض الخلفاء وكان الوزير من أهل العقل والادب فوجد عنده رجلا ذميا كان الخليفة يميل اليه ويقربه فقال الوزير منشدا

يا ملكا طاعته لازمه * وحبه مفترض واجب
ان الذى شرفت من أجله * يزعم هذا انه كاذب

وأشار الى الذمى فاسأله يا أمير المؤمنين عن ذلك فسأله فلم يجد بدا من أن يقول هو صادق فاعترف بالاسلام وكان بعض الملوك قد كتب ثلاث رقاع وقال لوزيره اذا رأيتنى غضبان فادفع الى رقعة بعد رقعة وكان فى الاولى انك لست باله وانك ستموت وتعود الى التراب فيأكل بعضك بعضا وفى الثانية ارحم من فى الارض يرحمك من فى السماء وفى الثالثة اقض بين الناس بحكم الله فانهم لا يصلحهم الا ذلك ولما كانت أمور المملكة عائدة الى الوزراء وأزمة الملوك فى أكف الوزراء سبق فيهم من العقلاء المثل السائر فقالوا لا تغتر بمودة الامير اذا غشك الوزير واذا أحبك الوزير فنم ولا تخش الامير ومثل السلطان كالدار والوزير بابها فمن أتى الدار من بابها ولج ومن أتاها من غير بابها انزعج وموقع الوزارة من المملكة كموقع المرآة من البصر فكما أن من لم ينظر فى المرآة لا يرى محاسن وجهه وعيوبه كذلك السلطان اذا لم يكن له وزير لا يعلم محاسن دولته وعيوبها ومن شروط الوزير أن يكون كثير الرحمة للخلق رؤفا بهم واعلم أنه ليس للوزير أن يكتم عن السلطان نصيحة وان استثقلها وموضع الوزير من المملكة كموضع العينين من الرأس وكما أن المرآة لا تريك وجهك الا بصفاء جوهرها وجودة صقلها ونقائها من الصدا كذلك السلطان لا يكمل أمره الا بجودة عقل الوزير وصحة فهمه ونقاء قلبه والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

(الباب السابع عشر فى ذكر الحجاب والولاية ومافيهما من الغرر والخطر)

(أما الحجاب) فقد قيل لاشئ أضيع للمملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب. وقيل اذا سهل الحجاب احجمت الرعية عن الظلم واذا عظم الحجاب هجمت على الظلم * وقال ميمون بن مهران كنت عند عمر بن عبد العزيز فقال لحاجبه من بالباب فقال رجل أناخ ناقته الآن يزعم أنه ابن بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن له أن يدخل فلما دخل قال حدثنى أبى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ولى شيأ من أمور المسلمين ثم حجب عنه حجبه الله عنه يوم القيامة فقال عمر لحاجبه الزم بيتك فمارؤى على بابه بعد ذلك حاجب وكان خالد ابن عبد الله القشيرى يقول لحاجبه اذا أخذت مجلسى فلا تحجبن عنى أحدا فان الوالى لا يحتجب الالثلاث عى يكره أن يطلع عليه أحد أو ريبة يخاف منها أن تظهر أو بخل يكره معه أن يسأل شيأ * وكانت العجم تقول لاشئ أضيع للمملكة من شدة حجاب الملك ولاشئ أهيب للرعية واكف لهم عن الظلم من سهولته وقيل لبعض الحكماء ما الجرح الذى لا يندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم ثم يرده بغير قضائها قيل فما الذى هو اشد منه قال وقوف الشريف بباب الدنى ثم لا يؤذن له ووقف عبد الله بن العباس بن الحسن العلوى على باب المأمون يوما فنظر اليه الحاجب ثم أطرق فقال عبد الله لقوم معه أنه لو أذن لنا لدخلنا ولو صرفنا لانصرفنا ولو اعتذر الينا لقبلنا وأما النظرة بعد النظرة والتوقف بعد التعرف فلا افهم معناه ثم تمثل بهذا البيت

وما عن رضى كان الحمار مطيتى * ولكن من يمشى سيرضى بما ركب

ثم انصرف فبلغ ذلك المأمون فضرب الحاجب ضربا شديدا وأمر لعبد الله بصلة جزيلة وعشر دواب قال الشاعر

رأيت أناسا يسرعون تبادرا * اذا فتح البواب بابك اصبعا
ونحن جلوس ساكتون رزانة * وحلما الى أن يفتح الباب أجمعا

ووقف رجل خراسانى بباب ابى دلف العجلى حينا فلم يؤذن له فكتب رقعة وتلطف فى وصولها اليه وفيها

اذا كان الكريم له حجاب * فما فضل الكريم على اللئيم

فأجابه أبو دلف بقوله

اذا كان الكريم قليل مال * ولم يعذر تعلل بالحجاب
وابواب الملوك محجبات * فلا تستنكرن حجاب بابى

ومن محاسن النظم فى ذم الاحتجاب قول بعضهم

سأهجركم حتى يلين حجابكم * على أنه لابد سوف يلين
خذوا حذركم من صفوة الدهر انها * وان لم تكن خانت فسوف تخون

وقال آخر

ماذا على بواب داركم الذى * لم يعطنا اذنا ولا يستأذن
لو ردنا ردا جميلا عنكم * اوكان يدفع بالتى هى أحسن

وقال آخر

أمرت بالتسهيل فى الاذن لى * ولم يرالحاجب أن يأذنا
فلـن ترانى بعـدها عائدا * ولن تراه بعـد مستأذنا

وقال آخر

ولقد رأيت بباب دارك جفوة * فيها لحسن صنيعك التكدير
مابال دارك حين تدخل جنة * وبباب دارك منكر ونكير

وقال آخر

اذا جئت ألقى عند بابك حاجبا * محياه من فرط الجهالة حالك
ومن عجب مغناك جنة قاصد * وحاجبها من دون رضوان مالك

وقال آخر

سأترك بابا انت تملك اذنه * ولو كنت اعمى عن جميع المسالك
فلو كنت بوّاب الجنان تركتها * وحوّلت رجلى مسرعا نحو مالك

وقال آخر

ماذا يفيدك ان تكون محجبا * والعبد بالباب الكريم يلوذ
ماأنت الا فى الحصار معى فلا * تتعب فكل محاصر مأخوذ

وقال أبو تمام

سأترك هذا الباب مادام اذنه * على ماأرى حتى يلين قليلا
فما خاب من لم يأته متعمدا * ولا فاز من قد نال منه وصولا
اذا لم نجد للاذن عندك موضعا * وجدنا الى ترك المجئ سبيلا

واستأذن رجل على أمير فقال للحاجب قل له ان الكرى قد خطب الىّ نفسى واغماضى هجعة وأهب فخرج الحاجب فقال له الرجل ما الذى قال لك قال قال كلاما لا أفهمه وهو يريد أن لا يأذن لك وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه انما أمهل فرعون مع دعواه الالوهيـة لسهولة اذنه و بذل طعامه وقال عمرو بن مرّة الجهنىّ لمعاوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن أمير يغلق بابه دون ذوى الحاجـة والخلة والمسئلة الا أغلق الله أبواب السموات دون حاجتـه وخلته ومسئلته وجاء النامى الشاعر لبعض الامراء فحجبه فقال

سأصبران جفوت فكم صبرنا * لمثلك من امير أو وزير
رجوناهـم فلما اخلفونا * تمادت فيهـم غير الدهور
فبتنا بالسـلامة وهى غنم * وباتوا فى المحابس والقبور
ولما لم تنل منهـم سرورا * رأينا فيهـم كل السرور

وأنشدوا فى ذلك ايضا

قل للذين تحجبوا عن راغب * بمنازل من دونها الحجاب
ان حال عن لقياكم بوّابكم * فالله ليس لبابه بوّاب

واستأذن سعد بن مالك على معاوية فحجبه فهتف بالبكاء فأتى اليه الناس وفيهم كعب فقال وما يبكيك يا سعد فقال ومالى لا أبكى وقد ذهب الاعلام من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاوية يلعب بهذه الامة فقال كعب لا تبك فان فى الجنة قصرا من ذهب يقال له عدن أهله الصديقون والشهداء وأنا أرجو أن تكون من أهله * واستأذن بعضهم على خليفة كريم وحاجبه لئيم فحجبه فقال

فى كل يوم لى ببابك وقفة * اطوى اليه سائر الابواب
واذا حضرت رغبت عنك فانه * ذنب عقوبته على البوّاب

(وأما ذكر الولايات وما فيها من الخطر العظيم) فقد قال الله تعالى لداود عليه السلام يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب جاء فى التفسير أن من اتباع الهوى أن يحضر الخصمان بين يديك فتود أن يكون الحق للذى فى قلبك حبه خاصة وبهذا سلب سليمان بن داود ملكه قال ابن عباس رضى الله عنهما كان الذى أصاب سليمان ابن داود عليهما السلام أن ناسا من أهل جرادة امرأته وكانت من اكرم نسائه عليه تحاكموا اليه مع غيرهم فأحب أن يكون الحق لاهل جرادة فيقضى لهم فعوقب بسبب ذلك حيث لم يكن هواه فيهم واحدا وروى عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتها من غير مسئلة أعنت عليها وان اعطيتها عن مسئلة وكلت اليها وقال معقل بن يسار رضى الله عنه سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحته الا لم يجد رائحة الجنة وفى الحديث من ولى من أمور المسلمين شيأ ثم لم يحطهم بنصيحته كما يحوط أهل بيته فليتبوأ مقعده من النار وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث الى عاصم يستعمله على الصدقة فابى وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالى فيقف على جسر جهنم فيأمر الله تعالى الجسر فينتفض انتفاضة فيزول كل عضو منه عن مكانه ثم يأمر الله تعالى بالعظام فترجع الى أماكنها فان كان لله مطيعا أخذ بيده وأعطاه كفلين من رحمته وان كان لله عاصيا انخرق به الجسر فهوى به فى نار جهنم مقدار سبعين خريفا فقال عمر رضى الله عنه سمعت من النبى صلى الله عليه وسلم مالم أسمع قال نعم وكان سلمان وأبوذر حاضرين فقال سلمان أى والله يا عمر ومع السبعين سبعون خريفا فى واد يلتهب التهابا فضرب عمر رضى الله عنه بيده على جبهته وقال انا لله وانا اليه راجعون من يأخذها بما فيها فقال سلمان من أرغم الله انفه وألصق خده بالارض * وروى أبو داود فى السنن قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان أبى عريف على الماء وانى أسالك أن تجعل لى العرافة من بعده فقال النبى عليه الصلاة والسلام العرفاء فى النار * وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة الامام الجائر * وقالت عائشة رضى الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب

ما يود أنه لم يقض بين اثنين فى تمرة وقال الحسن البصرى ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة يستعمله فقال يارسول الله خرلى فقال اقعد فى بيتك وقال أبو هريرة رضى الله عنه مامن أمير يؤمر على عشرة الاجىء به يوم القيامة مغلولا أنجاه عدله أو اهلكه وقال طاوس لسليمان بن عبد الملك هل تدرى يا أمير المؤمنين من أشد الناس عذابا يوم القيامة قال سليمان قل فقال طاوس أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله فى ملكه فجار فى حكمه فاستلقى سليمان على سريره وهو يبكى فمازال يبكى حتى قام عنه جلساؤه وقال ابن سيرين جاء صبيان الى أبى عبيدة السلمانى يتخيرون اليه فى ألواحهم فلم ينظر اليها وقال هذا حكم لا أتولى حكما أبدا وقال أبو بكر بن أبى مريم حج قوم فمات صاحب لهم بأرض فلاة فلم يجدوا ماء فأتاهم رجل فقالوا له دلنا على الماء فقال احلفوا لى ثلاثا وثلاثين يمينا انه لم يكن صرافا ولا مكاسا ولا عريفا ولا بريدا وأنا أدلكم على الماء فحلفوا له ثلاثا وثلاثين يمينا كما قال فدلهم على الماء فقالوا له أعنا على غسله فقال لا حتى تحلفوا لى ثلاثا وثلاثين يمينا كما تقدم فحلفوا له فأعانهم على غسله ثم قالوا له تقدم فصل عليه فقال لا حتى تحلفوا لى ثلاثا وثلاثين يمينا كما تقدم فحلفوا له فصلى عليه ثم التفتوا فلم يجدوا أحدا فكانوا يرون انه الخضر عليه السلام وقال أبوذر رضى الله عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أباذر انى أحب لك ما أحب لنفسى وانى أراك ضعيفا فلا تتأمرن على اثنين ولا تلين مال يتيم * ومن غريب ما اتفق وعجيب ماسبق ما حكى أن ملكا من ملوك الفرس يقال له أردشير وكان ذا مملكة متسعة وجند كثير وكان ذا بأس شديد قد وصف له بنت ملك بحر الأردن بالجمال البارع وأن هذه البنت بكر ذات خدر فسير أردشير يخطبها من أبيها فامتنع من اجابته ولم يرض بذلك فعظم ذلك على أردشير وأقسم بالايمان المغلظة ليغزون الملك أبا البنت وليقتلنه هو وابنته شر قتلة وليمثلن بهما أخبث مثلة فسار اليه أردشير فى جيوشه فقاتله فقتله أردشير وقتل سائر خواصه ثم سأل عن ابنته المخطوبة فبرزت اليه جارية من القصر من أجمل النساء وأكمل البنات حسنا وجمالا وقدا واعتدالا فبهت أردشير من رؤيته اياها فقالت له أيها الملك انى ابنة الملك الفلانى ملك المدينة الفلانية وان الملك الذى قتلته أنت قد غزا بلدنا وقتل أبى وقتل سائر أصحابه قبل أن تقتله أنت وانه أسرنى فى جملة الاسارى وأتى به فى هذا القصر فلما رأتنى ابنته التى أرسلت تخطبها أحبتنى وسألت أباها أن يتركنى عندها لتأنس بى فتركنى لها فكنت أنا وهى كأننا روحان فى جسد واحد فلما أرسلت تخطبها خاف أبوها عليها منك فأرسلها الى بعض الجزائر فى البحر الملح عند بعض أقاربه من الملوك فقال أردشير وددت لو أنى ظفرت بها فكنت أقتلها شر قتلة ثم انه تأمل الجارية فرآها فائقة فى الجمال فمالت نفسه اليها فأخذها للتسرى وقال هذه أجنبية من الملك ولا أحنث فى يمينى بأخذها ثم انه واقعها وأزال بكارتها فحملت منه فلما ظهر عليها الحمل اتفق أنها تحدثت معه يوما وقد رأته منشرح الصدر فقالت له أنت غلبت أبى وأنا غلبتك فقال لها ومن أبوك فقالت له هو ملك بحر الأردن وأنا ابنته التى خطبتها منه وانى سمعت انك أقسمت لتقتلنى فتحيلت عليك بما سمعت والآن هذا ولدك فى بطنى فلا يتهيأ لك

قتلى فعظم ذلك على أردشير اذ قهرته امرأة وتحيلت عليه حتى تخلصت من يديه فاتهمها وخرج من عندها مغضبا وعوّل على قتلها ثم ذكر لوزيره ما اتفق له معها فلما رأى الوزير عزمه قويا على قتلها خشى أن تتحدث الملوك عنه بمثل هذا وأنه لا يقبل فيها شفاعة شافع فقال أيها الملك ان الرأى هو الذى خطر لك والمصلحة هى التى رأيتها أنت وقتل هذه الجارية فى هذا الوقت أولى وهو عين الصواب لانه أحق من أن يقال ان امرأة قهرت رأى الملك وحنثته فى يمينه لاجل شهوة النفس ثم قال أيها الملك ان صورتها مرحومة وحمل الملك معها وهى أولى بالستر ولا أرى فى قتلها أستر ولا أهون عليها من الغرق فقال له الملك نعم ما رأيت خذها غرقها فأخذها الوزير ثم خرج بها ليلا الى بحر الاردن ومعه ضوء ورجال وأعوان فتحيل الى أن طرح شيأ فى البحر أوهم من كان معه انها الجارية ثم انه أخفاها عنده فلما أصبح جاء الى الملك فأخبره انه غرقها فشكره على ما فعل ثم ان الوزير ناول الملك حقا مختوما وقال أيها الملك انى نظرت مولدى فرأيت أجلى قد دنا على ما يقتضيه حساب حكماء الفرس فى النجوم وان لى أولادا وعندى مال قد ادخرته من نعمتك فخذه اذا أنا مت ان رأيت وهذا الحق فيه جوهر أسأل الملك أن يقسمه بين أولادى بالسوية فانه ارثى الذى قد ورثته من أبى وليس عندى شئ اكتسبته منه الا هذا الجوهر فقال له الملك يطوّل الرب فى عمرك ومالك ولا ولادك سواء كنت حيا أو ميتا فألح عليه الوزير أن يجعل الحق عنده وديعة فأخذه الملك وأودعه عنده فى صندوق ثم مضت أشهر بجارية فوضعت ولدا ذكرا جميلا حسن الخلقة مثل فلقة القمر فلاحظ الوزير جانب الادب فى تسميته فرأى انه ان اخترع له اسما وسماه به وظهر لوالده بعد ذلك فيكون قد أساء الادب وان هو تركه بلا اسم لم يتهيأ له ذلك فسماه شاه بور ومعنى شاه بور بالفارسية ابن ملك فان شاه ملك وبور ابن ولغتهم مبنية على تأخير المتقدم وتقديم المتأخر وهذه تسمية ليس فيها مؤاخذة ولم يزل الوزير يلاطف الجارية والولد الى أن بلغ الولد حد التعليم فعلمه كل ما يصلح لاولاد الملوك من الخط والحكمة والفروسية وهو يوهم انه مملوك له اسمه شاه بور الى أن راهق البلوغ هذا كله وأردشير ليس له ولد وقد طعن فى السن وأقعده الهرم فمرض وأشرف على الموت فقال للوزير أيها الوزير قد هرم جسمى وضعفت قوتى وانى أرى أنى ميت لا محالة وهذا الملك يأخذه من بعدى من قضى له به فقال الوزير لو شاء الله أن يكون للملك ولد كان قد ولى بعده الملك ثم ذكره بأمر بنت ملك بحر الاردن وبحملها فقال الملك لقد ندمت على تغريقها ولو كنت أبقيتها حتى تضع فلعل حملها يكون ذكرا فلما شاهد الوزير من الملك الرضى قال أيها الملك انها عندى حية ولقد وضعت ولدا ذكرا من أحسن الغلمان خلقا وخلقا فقال الملك أحق ما تقول فأقسم الوزير أن نعم ثم قال أيها الملك ان فى الولد روحانية تشهد بأبوة الاب وفى الوالد روحانية تشهد ببنوة الابن لا يكاد ذلك ينخرم أبدا وانى آتى بهذا الغلام بين عشرين غلاما فى سنه وهيئته ولباسه وكلهم ذوو آباء معروفين خلاه وانى أعطى كل واحد منهم صولجانا وكرة وآمرهم أن يلعبوا بين يديك فى مجلسك هذا ويتأمل الملك صورهم وخلقتهم وشمائلهم فكل من مالت اليه نفسه وروحانيته فهو هو فقال الملك نعم التدبير الذى قلت

فأحضرهم الوزير على هذه الصورة ولعبوا بين يدي الملك فكان الصبي منهم اذا ضرب الكرة وقربت من مجلس الملك تمنعه الهيبة أن يتقدم ليأخذها الا شابور فانه كان اذا ضربها وجاءت عند مرتبة أبيه تقدم فأخذها ولا تأخذه الهيبة منه فلاحظ اردشير ذلك منه مرارا فقال له أيها الغلام ما اسمك قال شابور فقال له صدقت أنت ابني حقا ثم ضمه اليه وقبله بين عينيه فقال له الوزير هذا هو ابنك أيها الملك ثم أحضر بقية الصبيان ومعهم عدول فأثبت لكل صبي منهم والدا بحضرة الملك فتحقق الصدق في ذلك ثم جاءت الجارية وقد تضاعف حسنها وجمالها فقبلت يد الملك فرضي عنها فقال الوزير أيها الملك قد دعت الضرورة في هذا الوقت الى احضار الحق المختوم فأمر الملك باحضاره ثم أخذه الوزير وفك ختمه وفتحه فاذا فيه ذكر الوزير وانثياه مقطوعة مصانة فيه من قبل أن يتسلم الجارية من الملك وأحضر عدولا من الحكماء وهم الذين كانوا فعلوا به ذلك فشهدوا عند الملك بأن هذا الفعل فعلناه به من قبل أن يتسلم الجارية بليلة واحدة قال فدهش الملك أردشير وبهت لما أبداه هذا الوزير من قوة النفس في الخدمة وشدة مناصحته فزاد سروره وتضاعف فرحه لصيانة الجارية واثبات نسب الولد ولحوقه به ثم ان الملك عوفي من مرضه الذي كان به وصح جسمه ولم يزل يتقلب في نعمه وهو مسرور بابنه الى أن حضرته الوفاة ورجع الملك الى ابنه شابور بعد موت أبيه وصار ذلك الوزير يخدم ابن الملك أردشير وشابور يحفظ مقامه ويرعى منزلته حتى توفاه الله تعالى والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

الباب الثامن عشر فيما جاء في القضاء وذكر القضاة وقبول الرشوة والهدية على الحكم وما يتعلق بالديون وذكر القصاص والمتصوفة وفيه فصول

(الفصل الاول فيما جاء في القضاء وذكر القضاة وأحوالهم وما يجب عليهم) قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وقال تعالى فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط وقال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حكم بين اثنين تحاكما اليه وارتضياه فلم يقض بينهما بالحق فعليه لعنة الله * وعن ابي حازم قال دخل عمر على أبي بكر رضوان الله عليهما فسلم عليه فلم يرد عليه فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف أخاف أن يكون وجد علي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم عبد الرحمن أبا بكر فقال أتاني وبين يدي خصمان قد فرغت لهما قلبي وسمعي وبصري وعلمت أن الله سائلي عنهما وعما قالا وقلت * وادعى رجل على علي عند عمر رضي الله عنهما وعلي جالس فالتفت عمر اليه وقال يا أبا الحسن قم فاجلس مع خصمك فقام فجلس مع خصمه فتناظرا وانصرف الرجل ورجع علي الى مجلسه فتبين لعمر التغير في وجه علي فقال يا أبا الحسن مالي أراك متغيرا أكرهت ما كان قال نعم قال وماذاك قال كنيتني بحضرة خصمي هلا قلت يا علي قم فاجلس مع

خصمك فأخذ عمر برأس علي رضي الله عنهما فقبله بين عينيه ثم قال بأبي انتم بكم هدانا الله وبكم اخرجنا من الظلمات الى النور * وعن أبي حنيفة رضي الله عنه القاضي كالغريق في البحر الاخضر الى متى يسبح وان كان سابحا وأراد عمرو بن هبيرة أن يولي ابا حنيفة القضاء فأبى فحلف ليضربنه بالسياط وليسجننه فضربه حتى انتفخ وجه أبي حنيفة ورأسه من الضرب فقال الضرب بالسياط في الدنيا أهون علي من الضرب بمقامع الحديد في الآخرة وعن عبد الملك بن عمير عن رجل من أهل اليمن قال أقبل سيل باليمن في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فكشف عن باب مغلق فظنناه كنزا فكتبنا الى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فكتب الينا لاتحركوه حتى يقدم اليكم كتابي ثم فتح فاذا برجل على سرير عليه سبعون حلة منسوجة بالذهب وفي يده اليمنى لوح مكتوب فيه هذان البيتان

اذا خان الامير وكاتباه * وقاضي الارض داهن في القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل * لقاضي الارض من قاضي السماء

واذا عند رأسه سيف أشد خضرة من البقلة مكتوب عليه هذا سيف عاد بن ارم وعن ابن أبي أوفى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله مع القاضي مالم يجر فاذا جار برئ الله منه ولزمه الشيطان وقال محمد بن حريث بلغني أن نصر بن علي راودوه على القضاء بالبصرة واجتمع الناس اليه فكان لايجيبهم فلما ألحوا عليه دخل بيته ونام على ظهره وألقى ملاءة على وجهه وقال اللهم ان كنت تعلم اني لهذا الامر كاره فاقبضني اليك فقبض وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم القضاة جسور للناس يمرون على ظهورهم يوم القيامة وقال حفص بن غياث لرجل كان يسأله عن مسائل القضاء لعلك تريد أن تكون قاضيا لان يدخل الرجل اصبعه في عينيه فيقلعهما ويرمي بهما خير له من أن يكون قاضيا * وقيل أول من أظهر الجور من القضاة بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الاشعري كان أمير البصرة وقاضيا فيها وكان يقول ان الرجلين يتقدمان الي فأجد أحدهما أخف على قلبي من الآخر فاقضي له وتقدم المأمون بين يدي القاضي يحيي بن اكثم مع رجل ادعى عليه بثلاثين ألف دينار فطرح للمأمون مصلى يجلس عليه فقال له يحيى لاتأخذ على خصمك شرف المجلس ولم يكن للرجل بينة فأراد أن يحلف المأمون فدفع اليه المأمون ثلاثين ألف دينار وقال والله مادفعت لك هذا المال الا خشية أن تقول العامة اني تناولتك من جهة القدرة ثم أمر ليحيى بمال وأجزل عطاءه * وقدم خادم من وجوه خدم المعتضد بالله الى أبي يوسف ابن يعقوب في حكم فارتفع الخادم على خصمه في المجلس فزجره الحاجب عن ذلك فلم يقبل فقال أبو يوسف قم أتؤمر أن تقف بمساواة خصمك في المجلس فتمتنع ياغلام ائتني بعمرو بن أبي عمرو النخاس فانه ان قدم علي الساعة أمرته ببيع هذا العبد وحمل ثمنه الى أمير المؤمنين ثم ان الحاجب أخذ بيده حتى أوقفه بمساواة خصمه فلما انقضى الحكم رجع الخادم الى المعتضد وبكى بين يديه وأخبره بالقصة فقال له لو باعك لاجزت بيعه ولم أردك الى ملكي فليست منزلتك عندي تزن رتبة المساواة بين الخصمين في الحكم فان ذلك عمود السلطان وقوام الاديان والله تعالى أعلم وقال الابرش العكلي يمدح بعض القضاة

رفضت وعطلت الحكومة قبله * فى آخرين وملها روّاضها
حتى اذا ما قام الف بينها * بالحق حتى جمعت أوفاضها

وفى ضد ذلك قول بعضهم

أبكى وأندب ملة الاسلام * اذ صرت تقعد مقعد الحكام
ان الحوادث ما علمت كثيرة * وأراك بعض حوادث الايام

وتقدمت امرأة الى قاض فقال لها جامعك شهودك فسكتت فقال كاتبه ان القاضى يقول لك جاء شهودك معك قالت نعم هلا قلت مثل ما قال كاتبك كبرسنك وقل عقلك وعظمت لحيتك حتى غطت على لبك ما رأيت ميتا يقضى بين الاحياء غيرك وقيل المضروب بهم المثل فى الجهل وتحريف الاحكام قاضى منى وقاضى كسكر وقاضى أيدج وهو الذى قال فيه ابو اسحاق الصابى

يارب علج أعلج * مثل البعير الاهوج
رأيته مطلعا * من خلف باب مرتج
وخلفه عذيبة * تذهب طورا وتجى
فقلت من هذا ترى * فقيل قاضى أيدج

وقاضى شلبة وهو الذى قال فيه أبو الحسن الجوهرى

رأيت رأسا كدبه * ولحية كالمذبه
فقلت من أنت قل لى * فقال قاضى شلبه

وتقدمت امرأة جميلة الى الشعبى فادعت عنده فقضى لها فقال هذيل الاشجعى

فتن الشعبى لما * رفع الطرف اليها
فتنته ببنان * كيف لورا معصميها
ومشت مشيا رويدا * ثم هزت منكبيها
فقضى جوارا على الخصم * ولم يقض عليها

فتناشدها الناس وتداولوها حتى بلغت الشعبى فضرب الاشجعى ثلاثين سوطا وحكى ابن أبى ليلى قال انصرف الشعبى يوما من مجلس القضاء ونحن معه فمررنا بخادمة تغسل الثياب وهى تقول فتن الشعبى لما فتن الشعبى لما ولم تعرف بقية البيت فلقنها الشعبى وقال رفع الطرف اليها ثم قال أبعده الله اما انا ما قضيت الا بالحق وأنشد بعضهم فى أمين الحكم

تماوتن اذا مشيت تخشعا * حتى تصيب وديعة ليتيم

(الفصل الثانى فى الرشوة والهدية على الحكم وما جاء فى الديون) أما الرشوة فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لعن الله الراشى والمرتشى وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تولوا اليهود ولا النصارى فانهم يقبلون الرشا ولا يحل فى دين الله الرشا قال الشهدى واصحابنا اليوم اقبل للرشا منهم وفى نوابغ الحكم ان البراطيل تنصر الاباطيل وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال من شفع شفاعة ليرد بها حقا أو يدفع بها ظلما فاهدى له

فقبل فذلك السحت فقيل له ما كنا نرى السحت الا الاخذ على الحكم قال الاخذ على الحكم كفر
وأنشد المبرد رحمه الله تعالى

وكنت اذا خاصمت خصما كببته * على الوجه حتى خاصمتني الدراهم
فلما تنازعنا الحكومة غلبت * على وقالت قم فانك ظالم

(واما الدين وما جاء فيه نعوذ بالله من غلبة الدين وقهر الرجال)

فقد روى عن أبي امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من تداين بدين وفي نفسه وفاؤه ثم مات تجاوز الله عنه وأرضى غريمه بما شاء ومن تداين بدين وليس في نفسه وفاؤه ثم مات اقتص الله لغريمه منه يوم القيامة رواه الحاكم وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتي له بجنازة لم يسأل عن شئ من عمل الرجل ويسأل عن دينه فان قيل عليه دين كف عن الصلاة عليه وان قيل ليس عليه دين صلى عليه فأتى بجنازة فلما قام ليكبر سأل صلى الله عليه وسلم هل على صاحبكم من دين فقالوا ديناران يارسول الله فعدل النبي صلى الله عليه وسلم عنه وقال صلوا على صاحبكم فقال علي كرم الله وجهه هما علي يارسول الله وهو بريء منهما فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى عليه ثم قال لعلي رضي الله عنه جزاك الله عنه خيرا فك الله رهانك كما فككت رهان أخيك انه ليس من ميت يموت وعليه دين الا وهو مرتهن بدينه ومن فك رهان ميت فك الله رهانه يوم القيامة وقال بعض الحكماء الدين هم بالليل وذل بالنهار وهو غل جعله الله في أرضه فاذا أراد الله أن يذل عبدا جعله له طوقا في عنقه وجاء سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يتقاضى دينا له على رجل فقالوا خرج الى الغزو فقال اشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن رجلا قتل في سبيل الله ثم أحيي ثم قتل لم يدخل الجنة حتى يقضي دينه وعن الزهري قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على أحد عليه دين ثم قال بعد أنا اولى بالمؤمنين من أنفسهم من مات وعليه دين فعلي قضاؤه ثم صلى عليهم وعن جابر لاهم الاهم الدين ولا وجع الا وجع العين وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تزوج امرأة بصداق ينوى أن لا يؤديه اليها فهو زان ومن استدان دينا ينوى أن لا يقضيه فهو سارق وقال حبيب بن ثابت ما احتجت الى شئ أستقرضه الا استقرضته من نفسي أراد أنه يصبر الى أن تمكن الميسرة ونظيره قول القائل

واذا غلا شئ على تركته * فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

وقال بعضهم أيضا

لقد كان القريض سمير قلبي * فألهتني القروض عن القريض

وقال غيلان بن مرة التميمي

واني لأقضي الدين بالدين بعدما * يرى طالبي بالدين أن لست قاضيا

فأجابه ثعلبة بن عمير

اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن ذاك غرم على غرم

واستقرض الاصمعي من خليل له فقال حبا وكرامة ولكن سكن قلبي برهن يساوي ضعف ماتطلبه فقال ياأباسعيد أماتثق بي قال بلى وان خليل الله كان واثقا بربه وقد قال له ولكن ليطمئن قلبي اللهم أوف عنادين الدنيا بالميسرة ودين الآخرة بالمغفرة برحمتك ياأرحم الراحمين

(الفصل الثالث في ذكر القصاص والمتصوفة وماجاء في الرياء ونحو ذلك)

(أماماجاء في ذكر القصاص والمتصوفة)

فقد روي عن خباب بن الارت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل لماقصوا هلكوا وروي أن كعبا كان يقص فلماسمع الحديث ترك القصص وقال ابن عمر رضي الله عنهما لم يقص أحد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وانما كان القصص حين كانت الفتنة وقال ابن المبارك سألت الثوري من الناس قال العلماء قلت فمن الاشراف قال المتقون قلت فمن الملوك قال الزهاد قلت فمن الغوغاء قال القصاص الذين يستأصلون أموال الناس بالكلام قلت فمن السفهاء قال الظلمة * قيل وهب رجل لقاص خاتما بلا فص فقال وهب الله لك في الجنة غرفة بلا سقف وقال قيس ابن جبير النهشلي الصعقة التي عند القصاص من الشيطان وقيل لعائشة رضي الله عنها ان أقواما اذا سمعوا القرآن صعقوا فقالت القرآن أكرم وأعظم من أن تذهب منه عقول الرجال * وسئل ابن سيرين عن اقوام يصعقون عند سماع القرآن فقال ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله الى آخره فان صعقوا فهو كما قالوا * وكان عمرو بن قاص يبكي بمواعظه فاذا طال مجلسه بالبكاء أخرج من كمه طنبورا صغيرا فيحركه ويقول مع هذا الغم الطويل يحتاج الى فرح ساعة * وقال بعضهم قلت لصوفي بعني جبتك فقال اذا باع الصياد شبكته فبأي شئ يصيد * وسئل بعض العلماء عن المتصوفة فقال أكلة رقصة * وعظ عيسى عليه السلام بني اسرائيل فأقبلوا يمزقون الثياب فقال ماذنب الثياب أقبلوا على القلوب فعاتبوها

(وأماماجاء في الرياء)

فقد قال الله تعالى يراؤون الناس ولايذكرون الله الاقليلا وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعاذ احذر أن يرى عليك آثار المحسنين وأنت تخلو من ذلك فتحشر مع المرائين وقيل لو أن رجلا عمل عملا من البر وكتمه ثم احب أن يعلم الناس انه كتمه فهو من أقبح الرياء وقيل كل ورع يحب صاحبه أن يعلمه غير الله فليس من الله في شئ وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخوف ماأخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يارسول الله قال الرياء وقيل بينما عابد يمشي ومعه غمامة على رأسه تظله فجاء رجل يريد أن يستظل معه فنعه وقال ان أقمت معي لم يعلم الناس أن الغمامة تظلني فقال له الرجل قد علم الناس أني لست ممن تظله الغمامة فحولها الله تعالى الى ذلك الرجل وقال عبد الاعلى السلمي يوما الناس يزعمون أني مراء وكنت أمس والله صائما ولا أخبرت بذلك

أحدا اللهم أصلح فساد قلوبنا واسترفضا ئحنا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب التاسع عشر في العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك)

اعلم أرشدك الله أن الله تعالى أمر بالعدل ثم علم سبحانه وتعالى انه ليس كل النفوس تصلح على العدل بل تطلب الاحسان وهو فوق العدل فقال تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الآية فلو وسع الخلائق العدل ما قرن الله به الاحسان والعدل ميزان الله تعالى في الارض الذي يؤخذ به للضعيف من القوي والمحق من المبطل واعلم ان عدل الملك يوجب محبته وجوره يوجب الافتراق عنه وأفضل الازمنة أيام العدل ورويناه من طريق أبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعمل الامام العادل في رعيته يوما واحدا أفضل من عمل العابد في أهله مائة عام أو خمسين عاما وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة وروينا في سنن أبي داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لكعب الاحبار أخبرني عن جنة عدن قال يا أمير المؤمنين لا يسكنها الا نبي أو صديق أو شهيد أو امام عادل فقال عمر والله ما أنا نبي وقد صدقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الامام العادل فاني ارجو أن لا اجور وأما الشهادة فأنى لي بها قال الحسن فجعله الله صديقا شهيدا حكما عادلا وسأل الاسكندر حكماء أهل بابل أيما أبلغ عندكم الشجاعة أو العدل قالوا اذا استعملنا العدل استغنينا به عن الشجاعة ويقال عدل السلطان أنفع من خصب الزمان وقيل اذا رغب السلطان عن العدل رغبت الرعية عن طاعته وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يشكو اليه من خراب مدينته ويسأله مالا يرمها به فكتب اليه عمر قد فهمت كتابك فاذا قرأت كتابي فحصن مدينتك بالعدل ونق طرقها من الظلم فانه مرمتها والسلام ويقال ان الحاصل من خراج سواد العراق في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان مائة ألف ألف وسبعة وثلاثين ألف ألف فلم يزل يتناقص حتى صار في زمن الحجاج ثمانية عشر ألف ألف فلما ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ارتفع في السنة الاولى الى ثلاثين ألف ألف وفي الثانية الى ستين ألف ألف وقيل أكثر وقال ان عشت لأبلغنه الى ما كان في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمات في تلك السنة ومن كلام كسرى لا ملك الا بالجند ولا جند الا بالمال ولا مال الا بالبلاد ولا بلاد الا بالرعايا ولا رعايا الا بالعدل * ولما مات سلمة بن سعيد كان عليه ديون للناس ولأمير المؤمنين المنصور فكتب المنصور لعامله استوف لأمير المؤمنين حقه وفرق ما بقي بين الغرماء فلم يلتفت الى كتابه وضرب للمنصور بسهم من المال كما ضرب لأحد الغرماء ثم كتب للمنصور اني رأيت أمير المؤمنين كأحد الغرماء فكتب اليه المنصور ملئت الارض بك عدلا * وكان أحمد بن طولون والي مصر

متصلبا بالعدل مع تجبره وسفكه للدماء وكان يجلس للمظالم وينصف المظلوم من الظالم (حكى) أن ولده العباس استدعى بمغنية وهو يصطبح يوما فلقيها بعض صالحي مصر ومعها غلام يحمل عودها فكسره فدخل العباس اليه واخبره بذلك فأمر باحضار ذلك الرجل الصالح فلما أحضر اليه قال أنت الذى كسرت العود قال نعم قال أفعلمت لمن هو قال نعم هو لابنك العباس قال أفما أكرمته لى فقال أكرمه لك بمعصية الله عز وجل والله تعالى يقول والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق فأطرق أحمد بن طولون عند ذلك ثم قال كل منكر رأيته فغيره وأنا من ورائك * ووقف يهودى لعبد الملك بن مروان فقال يا أمير المؤمنين ان بعض خاصتك ظلمنى فأنصفنى منه وأذقنى حلاوة العدل فأعرض عنه فوقف له ثانيا فلم يلتفت اليه فوقف له مرة ثالثة وقال يا أمير المؤمنين انا نجد فى التوراة المنزلة على كليم الله موسى صلوات الله وسلامه عليه ان الامام لا يكون شريكا فى ظلم احد حتى يرفع اليه فاذا رفع اليه ذلك ولم يزله فقد شاركه فى الظلم والجور فلما سمع عبد الملك كلامه فزع وبعث فى الحال الى من ظلمه فعزله وأخذ لليهودى حقه منه * وروى أن رجلا من العقلاء غصبه بعض الولاة ضيعة له فأتى الى المنصور فقال له اصلحك الله يا أمير المؤمنين أأذكر لك حاجتى أم أضرب لك قبلها مثلا فقال بل اضرب المثل فقال ان الطفل الصغير اذا نابه أمر يكرهه فانما يفزع الى أمه اذ لا يعرف غيرها وظنا منه أن لا ناصر له غيرها فاذا ترعرع واشتد كان فراره الى أبيه فاذا بلغ وصار رجلا وحدث به أمر شكاه الى الوالى لعلمه أنه أقوى من أبيه فاذا ازداد عقله شكا الى السلطان لعلمه انه أقوى ممن سواه فان لم ينصفه السلطان شكاه الى الله تعالى لعلمه انه اقوى من السلطان وقد نزلت بى نازلة وليس أحد فوقك أقوى منك الا الله تعالى فان أنصفتنى والا رفعت أمرى الى الله تعالى فى الموسم فانى متوجه الى بيته وحرمه فقال المنصور بل ننصفك وأمر أن يكتب الى واليه برد ضيعته اليه * وكان الاسكندر يقول يا عباد الله انما الهكم الله الذى فى السماء الذى نصر نوحا بعد حين الذى يسقيكم الغيث عند الحاجة واليه مفزعكم عند الكرب والله لا يبلغنى ان الله تعالى أحب شيأ الا أحببته واستعملته الى يوم أجلى ولا أبغض شيأ الا أبغضته وهجرته الى يوم أجلى وقد أنبئت أن الله تعالى يحب العدل فى عباده ويبغض الجور من بعضهم على بعض فويل للظالم من سيفى وسوطى ومن ظهر منه العدل من عمالى فليتكئ فى مجلسى كيف شاء وليتمن على ماشاء فلن تخطئه أمنيته والله تعالى المجازى كلا بعمله * ويقال اذا لم يعمر الملك ملكه بالانصاف خرب ملكه بالعصيان * وقيل مات بعض الاكاسرة فوجدوا له سفطا ففتح فوجد فيه حبة رمان كأكبر ما يكون من النوى معها رقعة مكتوب فيها هذه من حب رمان عمل فى خراجه بالعدل * وقيل تظلم أهل الكوفة من واليهم فشكوه الى المأمون فقال ما علمت فى عمالى أعدل ولا أقوم بأمر الرعية وأعود بالرفق عليهم منه فقال رجل منهم يا أمير المؤمنين ما أحد أولى بالعدل والانصاف منك فان كان بهذه الصفة فعلى أمير المؤمنين أن يوليه بلدا بلدا حتى

يلحق كل بلد من عدله مثل الذى لحقنا ويأخذ بقسطه منه كما أخذنا واذا فعل ذلك لم يصبنا منه أكثر من ثلاث سنين فضحك المأمون من قوله وعزله عنهم * وقدم المنصور البصرة قبل الخلافة فنزل بواصل بن عطاء وقال بلغنى أبيات عن سليم بن يزيد العدوى فى العدل فقم بنا اليه فأشرف عليهم من غرفة فقال لواصل من هذا الذى معك قال عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم فقال رحب على رحب وقرب على قرب فقال انه يحب أن يسمع أبياتك فى العدل فقال سمعا وطاعة وأنشد يقول

حتى متى لا نرى عدلا نسربه * ولا نرى لولاة الحق أعوانا

مستمسكين بحق قائمين به * اذا تلون أهل الجور ألوانا

يا للرجال لداء لا دواء له * وقائد ذى عمى يقتاد عميانا

فقال المنصور وددت لو أنى رأيت يوم عدل ثم مت * وقيل لما ولى عمر بن عبد العزيز أخذ فى رد المظالم فابتدأ بأهل بيته فاجتمعوا الى عمة له كان يكرمها وسألوها أن تكلمه فقال لها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سلك طريقا فلما قبض سلك أصحابه ذلك الطريق الذى سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أفضى الامر الى معاوية جره يمينا وشمالا وايم الله ائن مد فى عمرى لأردنه الى ذلك الطريق الذى سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالت له يا ابن أخى انى أخاف عليك منهم يوما عصيبا فقال كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا أمننيه الله * وقال وهب بن منبه اذا هم الوالى بالجور أو عمل به أدخل الله النقص فى أهل مملكته فى الاسواق والزروع والضروع وكل شئ واذا هم بالخير والعدل أو عمل به أدخل الله البركة فى أهل مملكته كذلك * وقال الوليد بن هشام ان الرعية لتصلح بصلاح الوالى وتفسد بفساده * وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان ملكا من الملوك خرج يسير فى مملكته متنكرا فنزل على رجل له بقرة تحلب قدر ثلاث بقرات فتعجب الملك من ذلك وحدثته نفسه بأخذها فلما كان من الغد حلبت له النصف مما حلبت بالامس فقال له الملك ما بال حلبها نقص أرعت فى غير مرعاها بالامس فقال لا ولكن أظن أن ملكنا رآها أو وصله خبرها فهم بأخذها فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة فتاب الملك وعاهد ربه فى نفسه أن لا يأخذها ولا يحسد أحدا من الرعية فلما كان من الغد حلبت عادتها * ومن المشهور بأرض المغرب أن السلطان بلغه أن امرأة لها حديقة فيها القصب الحلو وان كل قصبة منها تعصر قدحا فعزم الملك على أخذها منها ثم أتاها وسألها عن ذلك فقالت نعم ثم انها عصرت قصبة فلم يخرج منها نصف قدح فقال لها ابن الذى كان يقال فقالت هو الذى بلغك الا أن يكون السلطان قد عزم على أخذها منى فارتفعت البركة منها فتاب الملك وأخلص لله النية وعاهد الله أن لا يأخذها منها أبدا ثم أمرها فعصرت قصبة منها فجاءت مل ء قدح (وحكى) سيدى أبو بكر الطرطوشى رحمه الله فى كتابه سراج الملوك قال حدثنى بعض الشيوخ ممن كان يرى الاخبار بمصر قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أرادب ولم يكن فى ذلك الزمان نخلة تحمل نصف ذلك فغصبها السلطان فلم تحمل شيأ فى ذلك العام ولا تمرة واحدة وقال لى شيخ من أشياخ الصعيد أعرف هذه النخلة وقد شاهدتها وهى تحمل عشرة أرادب سنين

ويبة وكان صاحبها يبيعها فى سنى الغلاء كل ويبة بدينار (وحكى) أيضا رحمه الله تعالى قال شهدت فى الاسكندرية والصيد مطلق للرعية السمك يطفو على الماء لكثرته وكانت الاطفال تصيده بالخرق من جانب البحر ثم حجزه الوالى ومنع الناس من صيده فذهب السمك حتى لا يكاد يوجد الى يومنا هذا وهكذا تتعدى سرائر الملوك وعزائمهم ومكنون ضمائرهم الى الرعية ان خيرا فخير وان شرا فشر * وروى أصحاب التواريخ فى كتبهم قالوا كان الناس اذا أصبحوا فى زمان الحجاج يتساءلون اذا تلاقوا من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد ومن قطع وما أشبه ذلك وكان الوليد بن هشام صاحب ضياع واتخاذ مصانع فكان الناس يتساءلون فى زمانه عن البنيان والمصانع والضياع وشق الانهار وغرس الاشجار ولما ولى سليمان بن عبد الملك وكان صاحب طعام ونكاح كان الناس يتحدثون ويتساءلون فى الاطعمة الرفيعة ويتغالون فى المناكح والسرارى ويعمرون مجالسهم بذكر ذلك ولما ولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان الناس يتساءلون كم تحفظ من القرآن وكم وردك كل ليلة وكم يحفظ فلان وكم يختم وكم يصوم من الشهر وما أشبه ذلك فينبغى للامام أن يكون على طريقة الصحابة والسلف رضى الله عنهم ويقتدى بهم فى الاقوال والافعال فمن خالف ذلك فهو لا محالة هالك وليس فوق السلطان العادل منزلة الا نبى مرسل أو ملك مقرب وقد قيل ان مثله كمثل الرياح التى يرسلها الله تعالى نشرا بين يدى رحمته فيسوق بها السحاب ويجعلها لقاحا للثمرات وروحا للعباد ولو تتبعت ما جاء فى العدل والانصاف وفضل الامام العادل لألفت فى ذلك مجموعا جامعا لهذا المعنى ولكن اقتصرت على ما ذكرته مخافة أن يمله الناظر ويسأمه السامع وبالله التوفيق الى أقوم طريق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب العشرون فى الظلم وشؤمه وسوء عواقبه وذكر الظلمة وأحوالهم وغير ذلك)

قال الله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قيل هذا تسلية للمظلوم ووعيد للظالم وقال تعالى انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وقال تعالى وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم خرج من الاسلام وقال أيضا صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا كان لاخيه قبله مظلمة فى عرض أو مال فأتاه فتحلله منها قبل أن يأتى يوم القيامة وليس معه دينار ولا درهم وقال أيضا صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امرئ مسلم أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال له رجل يا رسول الله ولو كان شيأ يسيرا قال ولو كان قضيبا من أراك وعن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله تعالى الى يا أخا المرسلين يا أخا المنذرين أنذر قومك فلا يدخلوا بيتا من بيوتى ولاحد من عبادى عند أحد منهم مظلمة فانى ألعنه ما دام قائما يصلى بين يدى حتى يرد تلك الظلامة الى أهلها فأكون سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويكون من أوليائى وأصفيائى ويكون جارى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

في

فى الجنة وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم اياك ودعوة المظلوم فانما يسأل الله تعالى حقه وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال مامن عبد ظلم فشخص ببصره الى السماء الا قال الله عز وجل لبيك عبدى حقا لأنصرنك ولو بعد حين وعنه أيضا أنه قال ألا ان الظلم ثلاثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم مغفور لا يطلب فاما الظلم الذى لا يغفر فالشرك بالله والعياذ بالله تعالى قال الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وأما الظلم الذى لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا وأما الظلم المغفور الذى لا يطلب فظلم العبد نفسه * ومر رجل برجل قد صلبه الحجاج فقال يارب ان حلمك على الظالمين قد أضر بالمظلومين فنام تلك الليلة فرأى فى منامه أن القيامة قد قامت وكأنه قد دخل الجنة فرأى ذلك المصلوب فى أعلى عليين واذا مناد ينادى حلمى على الظالمين أحل المظلومين فى أعلى عليين * وقيل من سلب نعمة غيره سلب نعمته غيره * وسمع مسلم بن بشار رجلا يدعو على من ظلمه فقال له كل الظالم الى ظلمه فهو أسرع فيه من دعائك ويقال من طال عدوانه زال سلطانه وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم * ورئى لوح فى أفق السماء مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله وتحته هذا البيت

فلم أر مثل العدل للمرء رافعا * ولم أر مثل الجور للمرء واضعا

وقال الشاعر

كنت الصحيح وكنا منك فى سقم * فان سقمت فانا السالمون غدا
دعت عليك أكف طالما ظلمت * ولن ترد يد مظلومة أبدا

وكان معاوية يقول انى لاستحى أن أظلم من لا يجد على ناصرا الا الله * وقال أبو العيناء كان لى خصوم ظلمة فشكوتهم الى أحمد بن دواد وقلت قد تظافروا على وصاروا يدا واحدة فقال يد الله فوق أيديهم فقلت له ان لهم مكرا فقال ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله قلت هم فئة كثيرة فقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله * وقال يوسف بن اسباط من دعا للظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم من أشار الى أخيه بحديدة فان الملائكة تلعنه وان كان أخاه لأبيه وأمه وقال مجاهد يسلط الله على أهل النار الجرب فيحكون أجسادهم حتى تبدو العظام فيقال لهم هل يؤذيكم هذا فيقولون اى والله فيقال لهم هذا بما كنتم تؤذون المؤمنين * وقال ابن مسعود رضى الله عنه لما كشف الله العذاب عن قوم يونس عليه السلام ترادوا المظالم بينهم حتى كان الرجل ليقلع الحجر من أساسه فيرده الى صاحبه وقال أبو ثور بن يزيد الحجر فى البنيان من غير حله عربون على خرابه وقال غيره لو أن الجنة وهى دار البقاء أسست على حجر من الظلم لاوشك أن تخرب وقال بعض الحكماء اذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك لا يعجبك رحب الذراعين سفاك الدماء فان له قاتلا لا يموت وقال سحنون بن سعيد كان يزيد ابن حاتم يقول ماهبت شيأ قط هيبتى من رجل ظلمته وأنا أعلم أن لا ناصر له الا الله فيقول حسبك الله الله بينى وبينك وقال بلال بن مسعود اتق الله فيمن لا ناصر له الا الله * وبكى

على بن الفضل يوما فقيل له ما يبكيك قال أبكي على من ظلمني اذا وقف غدا بين يدى الله تعالى ولم تمكن له حجة وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيرى * ونادى رجل سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر يا سليمان اذكر يوم الاذان فنزل سليمان من على المنبر ودعا بالرجل فقال له ما يوم الاذان فقال قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين قال فما ظلامتك قال أرض لى بمكان كذا وكذا أخذها وكيلك فكتب الى وكيله ادفع اليه أرضه وأرضا مع أرضه وروى أن كسرى أنوشروان كان له معلم حسن التأديب بعلمه حتى فاق فى العلوم فضربه المعلم يوما من غير ذنب فأوجعه فحقد أنوشروان عليه فلما ولى الملك قال للمعلم ما حملك على ضربى يوم كذا وكذا ظلما فقال له لما رأيتك ترغب فى العلم رجوت لك الملك بعد أبيك فأحببت أن أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم فقال أنوشروان زه زه * وقال محمد بن سويد وزير المأمون

فلا تأمن الدهر حرا ظلمته * فما ليل حر ان ظلمت بنائم

وروى أن بعض الملوك رقم على بساطه

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * فالظلم مصدره يفضى الى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

وما أحسن ما قال الآخر

أتهزأ بالدعاء وتزدريه * وما تدرى بما صنع الدعاء

سهام الليل نافذة ولكن * لها أمد وللأمد انقضاء

فيمسكها اذا ما شاء ربى * ويرسلها اذا نفذ القضاء

وقال أبو الدرداء اياك ودمعة اليتيم ودعوة المظلوم فانها تسرى بالليل والناس نيام وقال الهيثم ابن فراس السامى من بنى سامة بن لؤى فى الفضل بن مروان

تجبرت يا فضل بن مروان فاعتبر * فقبلك كان الفضل والفضل والفضل

ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم * أبادهم الموت المشتت والقتل

يريد الفضل بن الربيع والفضل بن يحيى والفضل بن سهل * ووجد تحت فراش يحيى بن خالد البرمكى رقعة مكتوب فيها

وحق الله ان الظلم لوم * وان الظلم مرتعه وخيم

الى ديان يوم الدين نمضى * وعند الله تجتمع الخصوم

ووجد القاسم بن عبيد الله وزير المكتفى فى مصلاه رقعة مكتوبا فيها

بغى وللبغى سهام تنتظر * أنفذ فى الاحشاء من وخز الابر

سهام أيدى القانتين فى السحر

وقال المنصور بن المعتمر لابن هبيرة حين أراد أن يوليه القضاء ما كنت لالى هذا بعد ما حدثنى ابراهيم قال وما حدثك ابراهيم قال حدثنى عن علقمة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة وأعوان الظلمة

وأشياع الظلمة حتى من برى لهم قلما أولاق لهم دواة فيجمعون فى تابوت من حديد ثم يرمى بهم فى نار جهنم وروى هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال جلس أبى للمظالم يوما فلما انقضى المجلس رأى رجلا جالسا فقال له ألك حاجة قال نعم أدننى اليك فانى مظلوم وقد أعوزنى العدل والانصاف قال ومن ظلمك قال أنت ولست أصل اليك فأذكر حاجتى قال وما يحجبك وقد ترى مجلسى مبذولا قال يحجبنى عنك هيبتك وطول لسانك وفصاحتك قال ففيم ظلمتك قال فى ضيعتى الفلانية أخذها وكيلك غصبا منى بغير ثمن فاذا وجب عليها خراج أديته باسمى لئلا يثبت لك اسم فى ملكها فيبطل ملكى فوكيلك يأخذ غلتها وأنا أؤدى خراجها وهذا لم يسمع مثله فى المظالم فقال له محمد هذا قول يحتاج معه الى بينة وشهود وأشياء فقال له الرجل أيؤمننى الوزير من غضبه حتى أجيب قال نعم قد أمنتك قال البينة هم الشهود واذا شهدوا فليس يحتاج معهم الى شئ آخر فما معنى قولك بينة وشهود وأشياء وأى شئ هذه الاشياء ان هى الا الجور وعدولك عن العدل فضحك محمد وقال صدقت والبلاء موكل بالمنطق وانى لارى فيك مصطنعا ثم وقع له برد ضيعته وأن يطلق له مائة دينار يستعين بها على عمارة ضيعته وصيره من أصحابه فكان قبل أن يتوصل الى الانصاف واعادة ضيعته له يقال له يا فلان كيف الناس فيقول بشر بين مظلوم لا ينصر وظالم لا ينتصر فلما صار من أصحاب محمد بن عبد الملك ورد عليه ضيعته وأنصفه قال له ليلة كيف الناس الآن قال بخير قد اعتقدت معهم الانصاف ورفعت عنهم الاجحاف ورددت عليهم الغصوب وكشفت عنهم الكروب وأنا أرجو لهم ببقائك نيل كل مرغوب والفوز بكل مطلوب * ومما نقل فى الآثار الاسرائيلية فى زمان موسى صلوات الله وسلامه عليه أن رجلا من ضعفاء بنى اسرائيل كان له عائلة وكان صيادا يصطاد السمك ويقوت منه اطفاله وزوجته فخرج يوما للصيد فوقع فى شبكته سمكة كبيرة ففرح بها ثم أخذها ومضى الى السوق ليبيعها ويصرف ثمنها فى مصالح عياله فلقيه بعض العوانية فرأى السمكة معه فأراد أخذها منه فمنعه الصياد فرفع العوانى خشبة كانت بيده فضرب بها رأس الصياد ضربة موجعة وأخذ السمكة منه غصبا بلا ثمن فدعا الصياد عليه وقال الهى جعلتنى ضعيفا وجعلته قويا عنيفا فخذلى بحقى منه عاجلا فقد ظلمنى ولا صبر لى الى الآخرة ثم ان ذلك الغاصب الظالم انطلق بالسمكة الى منزله وسلمها الى زوجته وأمرها أن تشويها فلما شوتها قدمتها له ووضعتها بين يديه على المائدة ليأكل منها ففتحت السمكة فاها ونكزته فى اصبع يده نكزة طار بها عقله وصار لا يقر بها قراره فقام وشكا الى الطبيب ألم يده وما حل به فلما رآها قال له دواؤها أن تقطع الاصبع لئلا يسرى الألم الى بقية الكف فقطع اصبعه فانتقل الألم والوجع الى الكف واليد وازداد التألم وارتعدت من خوفه فرائصه فقال له الطبيب ينبغى أن تقطع اليد الى المعصم لئلا يسرى الألم الى الساعد فقطعها فانتقل الألم الى الساعد فما زال هكذا كلما قطع عضوا انتقل الألم الى العضو الآخر الذى يليه فخرج هائما على وجهه مستغيثا الى ربه ليكشف عنه ما نزل به فرأى شجرة فقصدها فأخذه النوم عندها فنام فرأى فى منامه قائلا يقول له يا مسكين الى كم تقطع أعضاءك امض الى خصمك الذى ظلمته فأرضه فانتبه من النوم وفكر فى أمره فعلم أن الذى أصابه من جهة الصياد فدخل المدينة

وسأل عن الصياد وأتى اليه فوقع بين يديه يتمرغ على رجليه وطلب منه الاقالة مما جناه ودفع اليه شيأ من ماله وتاب من فعله فرضى عنه خصمه الصياد فسكن فى الحال ألمه وبات تلك الليلة فرد الله تعالى عليه يده كما كانت ونزل الوحى على موسى عليه السلام ياموسى وعزتى وجلالى لولا أن ذلك الرجل أرضى خصمه لعذبته مهما امتدت به حياته (ومما تضمنته أخبار الاخيار) مارواه أنس رضى الله عنه قال بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قاعد اذ جاءه رجل من أهل مصر فقال ياأمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك فقال عمر رضى الله عنه لقد عذت بمجير فما شأنك فقال سابقت بفرسى ابنا لعمرو بن العاص وهو يومئذ أمير على مصر فجعل يقنعنى بسوطه ويقول أنا ابن الاكرمين فبلغ ذلك عمرا أباه فخشى أن آتيك فحبسنى فى السجن فانفلت منه فهذا الحين أتيتك فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص اذا أتاك كتابى هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان وقال للمصرى أقم حتى يأتيك فأقام حتى قدم عمرو وشهد موسم الحج فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمرو بن العاص وابنه الى جانبه قام المصرى فرمى اليه عمر رضى الله عنه بالدرة قال أنس رضى الله عنه فلقد ضربه ونحن نشتهى أن يضربه فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ماضربه وعمر يقول اضرب ابن الاكرمين قال ياأمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت قال ضعها على صلع عمرو فقال ياأمير المؤمنين لقد ضربت الذى ضربنى قال أما والله لو فعلت مامنعك أحد حتى تكون أنت الذى تنزع ثم أقبل على عمرو بن العاص وقال ياعمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا فجعل عمرو يعتذر اليه ويقول انى لم أشعر بهذا وقيل لماظلم أحمد بن طولون قبل أن يعدل استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة يشكونه اليها فقالت لهم متى يركب قالوا فى غد فكتبت رقعة ووقفت بها فى طريقه وقالت ياأحمد يا ابن طولون فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فاذا فيها ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم فعسفتم ووردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم أن سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لاسيما من قلوب أوجعتموها وأكباد جوعتموها وأجساد عريتموها فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ماشئتم فانا صابرون وجوروا فانا بالله مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون قال فعدل لوقته *(وحكى) أن الحجاج حبس رجلا فى حبسه ظلما فكتب اليه رقعة فيها قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعيمك أيام والموعد القيامة والسجن جهنم والحاكم لايحتاج الى بينة وكتب فى آخرها

ستعلم يانؤم اذا التقينا * غدا عند الاله من الظلوم
أما والله ان الظلم لؤم * ومازال الظلوم هو الملوم
سينقطع التلذذ عن أناس * أداموه وينقطع النعيم
الى ديان يوم الدين نمضى * وعند الله تجتمع الخصوم

(وحكى) أبو محمد الحسن بن محمد الصالحى قال كنا حول سرير المعتضد بالله ذات يوم نصف النهار فنام بعد أن أكل فانتبه منزعجا وقال ياخدم فاسرعنا الجواب فقال ويلكم أعينونى والحقوا بالشط فأول ملاح ترونه منحدرا فى سفينة فارغة فاقبضوا عليه واتونى به ووكلوا

بالسفينة من يحفظها فأسرعنا فوجدنا ملاحا فى سفينة منحدرة وهى فارغة فقبضنا عليه وكانا بها من يحفظها وصعدنا به الى المعتضد فلما رآه الملاح كاد يتلف فصاح عليه المعتضد صيحة عظيمة كادت روحه تذهب منها وقال أصدقنى ياملعون عن قضيتك مع المرأة التى قتلتها اليوم والاضربت عنقك فتلعثم وقال نعم كنت سحرا فى المشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم أر مثلها عليها ثياب فاخرة وحلى كثير وجواهر فطمعت فيها واحتلت عليها حتى سددت فمها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها ثم طرحتها فى الماء ولم أجسر على حمل سلبها الى دارى لئلا يفشو الخبر على فعولت على الهروب والانحدار الى واسط فصبرت الى أن خلا الشط فى هذه الساعة من الملاحين واخذت فى الانحدار فتعلق بى هؤلاء القوم فحملونى اليك فقال وأين الحلى والسلب قال فى صدر السفينة تحت البوارى قال المعتضد على به الساعة فحضروا به فأمر بتغريق الملاح ثم أمر أن ينادى ببغداد من خرجت له امرأة الى المشرعة الفلانية سحرا وعليها ثياب فاخرة وحلى فليحضر فحضر فى اليوم الثانى أهلها وأعطوا صفتها وصفة ما كان عليها فسلم ذلك اليهم قال فقلت يامولاى من أعلمك أو حى اليك بهذه الحالة وأمر هذه الصبية فقال بل رأيت فى منامى رجلا شيخا أبيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادى ياأحمد أول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره على المرأة التى قتلها اليوم ظلما وسلبها ثيابها وأقم عليه الحد ولا يفتك فكان ماشاهدتم فيتعين على كل ولى أمر أن يعدل فى الاحكام وأن يتبصر فى رعيته وعلى كل عاقل أن يكف يده عن الظلم ويسلك سنن العدل ويعامل بالنصفة ويراقب الله فى السر والعلانية ويعلم أن الله يجازى على الخير والشر ويعاقب الظالم على ظلمه وينتصر للمظلوم ويأخذ له حقه من ظلمه واذا أخذ الظالم لم يفلته والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

الباب الحادى والعشرون فى بيان الشروط التى تؤخذ على العمال وسيرة السلطان فى استجباء الخراج وأحكام أهل الذمة وفيه فصلان

(الفصل الاول فى سيرة السلطان فى استجباء الخراج والانفاق من بيت المال وسيرة العمال)

قال جعفر بن يحيى الخراج عماد الملك وما استعزوا بمثل العدل وما استنذروا بمثل الظلم وأسرع الامور فى خراب البلاد تعطيل الارضين وهلاك الرعية وانكسار الخراج من الجور ومثل السلطان اذا أجحف بأهل الخراج حتى يضعفوا عن عمارة الارضين مثل من يقطع لحمه ويأكله من الجوع فهو ان شبع من ناحية فقد ضعف من ناحية أخرى وما أدخل على نفسه من الضعف والوجع أعظم مما دفع عن نفسه من ألم الجوع ومثل من كلف الرعية فوق طاقتهم كالذى يطين سطحه بتراب أساس بيته واذا ضعف المزارعون عجزوا عن عمارة الارضين فيتركونها فتخرب الارض ويهرب المزارعون فتضعف العمارة ويضعف الخراج وينتج من ذلك ضعف الاجناد واذا ضعف الجند طمع الاعداء فى السلطان وروى أن المأمون أرق ذات ليلة فاستدعى سميرا يحدثه فقال ياأمير المؤمنين كان

بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل بنت بومة البصرة لابنها فقالت بومة البصرة لا اجيب خطبة ابنك حتى تجعل لى فى صداق ابنتى مائة ضيعة خربة فقالت بومة الموصل لا أقدر عليها ولكن ان دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت ذلك قال فاستيقظ لها المأمون وجلس للمظالم وأنصف الناس بعضهم من بعض وتفقد أمور الولاة والعمال والرعية وقال أبو الحسن بن على "الاسدى" اخبرنى ابى قال وجدت فى كتاب قبطى "باللغة الصعيدية" مما نقل بالعربية ان مبلغ ما كان يستخرج لفرعون فى زمن يوسف الصديق صلوات الله وسلامه عليه من اموال مصر لخراج سنة واحدة من الذهب العين أربعة وعشرون ألف الف واربعمائة ألف دينار من ذلك ما ينصرف فى عمارة البلاد كحفر الخلجان والانفاق على الجسور وسد الترع وتقوية من يحتاج الى التقوية من غير رجوع عليه بها لاقامة العوامل والتوسعة فى البلدان وغير ذلك من الآلات واجرة من يستعان به لحمل البذر وسائر نفقات تطبيق الارض ثمانمائة الف دينار ولما ينصرف للارامل والايتام وان كانوا غير محتاجين حتى لا يخلوا أمثالهم من بر فرعون اربعمائة الف دينار ولما ينصرف لكهنتهم وبيوت صلاتهم مائتا الف دينار ولما ينصرف فى الصدقات مما يصب صبا وينادى عليه برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة ولم يحضر فيحضر لذلك جمع كثير مائتا الف دينار فاذا فرقت الاموال على اربابها دخل امناء فرعون اليه وهنؤه بتفرقة الاموال ودعوا له بطول البقاء ودوام العز والنعماء والسلامة وانهوا اليه حال الفقراء فيأمر باحضارهم وتغيير شعثهم ويمد لهم السماط فيأكلون بين يديه ويشربون ويستفهم من كل واحد منهم عن سبب فاقته فان كان ذلك من آفة الزمان زاد عليه مثل الذى كان له ولما ينصرف فى نفقات فرعون الراتبة فى كل سنة مائتا الف دينار ويفضل بعد ذلك مما يتسلمه يوسف الصديق عليه السلام للملك ويجعله فى بيت المال لنوائب الزمان أربعة عشر ألف ألف وستمائة ألف دينار وقال أبو رهم كانت ارض مصر أرضا مدبرة حتى ان الماء ليجرى تحت منازلها وأفنيتها فيحبسونه حيث شاؤا ويرسلونه حيث شاؤا وذلك قول فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى الآية وكان ملك مصر عظيما لم يكن فى الارض أعظم منه ملكا وكانت الجنان بحافتى النيل متصلة لا ينقطع منها شئ عن شئ والزروع كذلك من اسوان الى رشيد وكانت ارض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا لما دبروا من جسورها وحافاتها والزروع ما بين الجبلين من أولها الى آخرها وذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما استعمل فرعون هامان على حفر خليج سردوس فأخذ فى حفره وتدبيره فجعل اهل القرى يسألونه ان يجرى لهم الخليج تحت قراهم ويعطوه مالا فكان يذهب به من قرية الى قرية من المشرق الى المغرب ومن الشمال الى القبلة ويسوقه كيف ارادوا الى حيث قصد فليس خليج بمصر اكثر عطوفا منه فاجتمع له من ذلك اموال عظيمة جزيلة فحملها الى فرعون واخبره بالخبر فقال له فرعون انه ينبغى للسيد ان يعطف على عبيده ويفيض عليهم من خزائنه وذخائره ولا يرغب فيما بأيديهم رد على اهل القرى اموالهم فرد عليهم ما اخذه منهم فاذا كانت هذه سيرة من لا يعرف الله ولا يرجو لقاءه ولا يخاف

عذابه ولا يؤمن بيوم الحساب فكيف تكون سيرة من يقول لا اله الا الله محمد رسول الله
ويوقن بالحساب والثواب والعقاب وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى اجعلني
على خزائن الارض قال هي خزائن مصر ولما استوثق أمر مصر ليوسف عليه السلام
وكمل وصارت الاشياء اليه وأراد الله تعالى أن يعوضه على صبره لما لم يرتكب محارمه
وكانت مصر أربعين فرسخا في مثلها وما أطاع يوسف فرعون وهو الريان بن مصعب وتاب
عنه الا بعد أن دعاه الى الاسلام فأسلم وكانت السنون التي حصل فيها الغلاء
والجوع مات العزيز وملك يوسف وافتقرت زليخا وعمي بصرها فجعلت تتكفف الناس فقيل
لها لو تعرضت للملك لعله يرحمك ويعينك ويغنيك فطالما كنت تحفظينه وتكرمينه ثم
قيل لها لا تفعلي لانه ربما يتذكر ما كان منك اليه من المراودة والحبس فيسيء اليك ويكافئك
على ما سبق منك اليه فقالت انا أعلم بحلمه وكرمه فجلست له على رابية في طريقه يوم خروجه
وكان يركب في زهاء مائة ألف من عظماء قومه وأهل مملكته فلما أحست به قامت ونادت
سبحان من جعل الملوك عبيدا بمعصيتهم والعبيد ملوكا بطاعتهم فقال يوسف عليه السلام
من أنت فقالت أنا التي كنت أخدمك بنفسي وأرجل شعرك بيدي وأكرم مثواك بجهدي
وكان مني ما كان وقد ذقت وبال أمري وذهبت قوتي وتلف مالي وعمي بصري وصرت
اسأل الناس فمنهم من يرحمني ومنهم من لا يرحمني وبعد ما كنت مغبوطة أهل مصر كلها صرت
مرحومتهم بل محرومتهم وهذا جزاء المفسدين فبكى يوسف عليه السلام بكاء شديدا وقال
لها هل بقي في قلبك من حبك اياي شئ قالت نعم والذي اتخذ ابراهيم خليلا لنظرة اليك أحب
الي من ملء الارض ذهبا وفضة فمضى يوسف وأرسل اليها يقول ان كنت أيما تزوجناك
وان كنت ذات بعل أغنيناك فقالت لرسول الملك أنا أعرف أنه يستهزئ بي هو لم يردني
في أيام شبابي وجمالي فكيف يقبلني وأنا عجوز عمياء فقيرة فأمر بها يوسف عليه السلام
فجهزت وتزوج بها وأدخلت عليه فصف يوسف عليه السلام قدميه وقام يصلي ودعا الله
تعالى باسمه العظيم الاعظم فرد الله عليها حسنها وجمالها وشبابها وبصرها كهيئتها يوم
راودته فواقعها فاذا هي بكر فولدت له افرائيم بن يوسف ومنشا بن يوسف وطاب في الاسلام
عيشهما حتى فرق الموت بينهما فينبغي للقوي أن لا ينسى الضعيف وللغني أن لا ينسى الفقير
فرب مطلوب يصير طالبا ومرغوب فيه يصير راغبا ومسؤل يصير سائلا وراحم يصير مرحوما
فنسأل الله تعالى أن يرحمنا برحمته ويغنينا بفضله ولما ملك يوسف عليه السلام خزائن الارض
كان يجوع ويأكل من خبز الشعير فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال أخاف أن
أشبع فانسى الجائع * ومن حسن سيرة العمال ما روي أن عمر رضي الله عنه استعمل على
حمص رجلا يقال له عمير بن سعد فلما مضت السنة كتب اليه عمر رضي الله عنه أن اقدم
علينا فلم يشعر عمر الا وقد قدم عليه ماشيا حافيا عكازته بيده واداوته ومزوده وقصعته على
ظهره فلما نظر اليه عمر قال له يا عمير أجبتنا أم البلاد بلاد سوء فقال يا أمير المؤمنين أما نهاك
الله أن تجهر بالسوء وعن سوء الظن وقد جئت اليك بالدنيا أجرها بقرابها فقال له وما معك
من الدنيا قال عكازة أتوكأ عليها وأدفع بها عدوا ان لقيته ومزود أحمل فيه طعامي
واداوة أحمل فيها ماء اشربي ولطهوري وقصعة أتوضأ فيها وأغسل فيها رأسي وآكل

فيها طعامى فوالله يا أمير المؤمنين ما الدنيا بعد الا تبع لما معى قال فقام عمر رضى الله عنه من مجلسه الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه فبكى بكاء شديدا ثم قال اللهم ألحقنى بصاحبى غير مفتضح ولا مبدل ثم عاد الى مجلسه فقال ما صنعت فى عملك يا عمير فقال أخذت الابل من أهل الابل والجزية من أهل الذمة عن يد وهم صاغرون ثم قسمتها بين الفقراء والمساكين وأبناء السبيل فوالله يا أمير المؤمنين لو بقى عندى منها شئ لاتيتك به فقال عمر عد الى عملك يا عمير قال أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تردنى الى أهلى فاذن له فأتى أهله فبعث عمر رجلا يقال له حبيب بمائة دينار وقال له اختبر لى عميرا وانزل عليه ثلاثة ايام حتى ترى حاله هل هو فى سعة أم ضيق فان كان فى ضيق فادفع اليه المائة دينار فأتاه حبيب فنزل به ثلاثا فلم ير له عيشا الا الشعير والزيت فلما مضت ثلاثة ايام قال يا حبيب ان رأيت أن تتحول الى جيراننا فلعلهم أن يكونوا أوسع عيشا منا فأتنا والله وتالله لو كان عندنا غير هذا لآثرناك به قال فدفع اليه المائة دينار وقال قد بعث بها أمير المؤمنين اليك فدعا بفرو خلق لامرأته فجعل يصر منها الخمسة دنانير والستة والسبعة ويبعث بها الى اخوانه من الفقراء الى أن انفدها فقدم حبيب على عمر وقال جئتك يا امير المؤمنين من عند ازهد الناس وما عنده من الدنيا قليل ولا كثير فأمر له عمر بوسقين من طعام وثوبين فقال يا أمير المؤمنين اما الثوبان فأقبلهما واما الوسقان فلا حاجة لى بهما عندا هلى صاع من بر هو كافيهم حتى ارجع اليهم وروى ان عمر رضى الله عنه صر أربعمائة دينار وقال للغلام اذهب بها الى ابى عبيدة بن الجراح ثم تربص عنده فى البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع بها فذهب بها الغلام اليه وقال له يقول لك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اجعل هذه فى بعض حوائجك قال وصله الله ورحمه ثم دعا بجاريته وقال لها اذهبى بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى انفدها فرجع الغلام الى عمر وأخبره فوجده قد عد مثلها لمعاذ بن جبل فقال له انطلق بها الى معاذ بن جبل وانظر ما يكون من امره فمضى اليه وقال له كما قال لابى عبيدة بن الجراح ففعل معاذ كما فعل أبو عبيدة فرجع الغلام فأخبر عمر فقال انهم اخوة بعضهم من بعض رضى الله تعالى عنهم أجمعين

(الفصل الثانى فى أحكام أهل الذمة) روى عن عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه حين صالح نصارى اهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من نصارى مدينة كذا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب انكم لما قدمتم علينا سألناكم الامان لانفسنا وذرارينا وأموالنا واهل ملتنا وشرطنا لكم على انفسنا ان لا نحدث فى مدائننا ولا فيما حولها كنيسة ولا ديرا ولا قلية ولا صومعة راهب ولا نجدد ما خرب منها ولا ما كان مختطا منها فى خطط المسلمين فى ليل ولا فى نهار وان نوسع أبوابها للمار وابن السبيل وان ننزل من مر بنا من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نؤوى فى كنائسنا ولا فى منازلنا جاسوسا ولا نكتمه عن المسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نظهر شرعنا ولا ندعو اليه أحدا ولا نمنع احدا من ذوى قراباتنا الدخول فى دين الاسلام ان اراده وان نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذا ارادوا الجلوس وان لا نتشبه بالمسلمين فى شئ من ملابسهم من قلنسوة

ولا

ولا عمامة ولا نعلين ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ولا نركب فى السروج ولا نتقلد
بالسيوف ولا نتخذ شيأ من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع
الخمور وأن نجز مقادم رؤسنا ونلزم زينا حيثما كنا وأن نشد الزنار على أوساطنا ولا نظهر
صلباننا ولا كتبنا فى شئ من أسواق المسلمين وطرقهم ولا نضرب بالنواقيس فى كنائسنا
الا ضربا خفيفا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران فى شئ من طرق المسلمين
ولا أسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نتطلع
على منازلهم وقد شرطنا ذلك على أنفسنا وعلى أهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا
فى شئ مما شرطناه لكم وضمناه على أنفسنا فلا ذمة لنا وقد حل بنا ما يحل بأهل المعاندة
والشقاق فكتب اليه عمر رضى الله عنه أن امض ما سألوه وألحق فيه حرفين واشترطهما
عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم أن لا يشتروا شيأ من سبايا المسلمين ومن ضرب مسلما
عمدا فقد خلع عهده وروى أن بنى تغلبة دخلوا على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه
فقالوا يا أمير المؤمنين انا قوم من العرب افرض لنا قال نصارى قالوا نصارى قال ادعوا الى
حجاما ففعلوا فجز نواصيهم وشق من أرديتهم حزما يحتزمون بها وأمرهم أن لا يركبوا
بالسروج وأن يركبوا على الاكف من شق واحد وروى ان أمير المؤمنين الخليفة
جعفرا المتوكل أقصى اليهود والنصارى ولم يستعملهم وأذلهم وأبعدهم وخالف بين
زيهم وزى المسلمين وقرب منه أهل الحق وأبعد عنه أهل الباطل فأحيا الله به الحق وأمات
به الباطل فهو يذكر بذلك ويترحم عليه ما دامت الدنيا وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه
يقول لا تستعملوا اليهود والنصارى فانهم اهل رشا فى دينهم ولا يحل فى دين الله الرشا
ولما استقدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ابا موسى الاشعرى رضى الله عنه من البصرة
وكان عاملا عليها للحساب دخل على عمر وهو فى المسجد فاستأذن لكاتبه وكان
نصرانيا فقال له عمر قاتلك الله وضرب بيده على فخذه وليت ذميا على المسلمين أما سمعت
الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم أولياء
بعض الآية هلا اتخذت حنيفا فقال يا أمير المؤمنين لى كتابته وله دينه فقال لا اكرمهم
اذ أهانهم الله ولا اعزهم اذ أذلهم الله ولا أدنيهم اذ أقصاهم الله وكتب بعض العمال
الى عمر رضى الله عنه ان العدو قد كثروان الجزية قد كثرت أفنستعين بالاعاجم فكتب اليه
انهم أعداء الله وانهم لنا غششة فانزلوهم حيث انزلهم الله ولما خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى بدر لحقه رجل من المشركين عند الحرة فقال انى اريد ان اتبعك واصيب
معك قال أتؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن نستعين بمشرك ثم لحقه عند الشجرة
فقال جئتك لاتبعك واصيب معك قال أتؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلن استعين
بمشرك ثم لحقه عند ظهر البيداء فقال له مثل ذلك فأجابه بمثل الاول فقال نعم فخرج به
وفرح به المسلمون وكان له قوة وجلد وهذا أصل عظيم فى ان لا يستعان بكافر هذا
وقد خرج ليقاتل بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ويراق دمه فكيف استعمالهم
على رقاب المسلمين وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى عماله ان لا تولوا على اعمالنا

الا أهل القرآن فكتبوا اليه انا قد وجدنا فيهم خيانة فكتب اليهم ان لم يكن فى اهل القرآن خير فاجدر أن لا يكون فى غيرهم قال أصحاب الشافعى ويلزمهم أن يتميزوا فى اللباس عن المسلمين وأن يلبسوا قلانس يميزونها عن قلانس المسلمين بالحمرة ويشدوا الزنانير على أوساطهم ويكون فى رقابهم خاتم من نحاس أو رصاص أو جرس يدخلون به الحمام وليس لهم أن يلبسوا العمائم ولا الطيلسانات وأما المرأة فانها تشد الزنار تحت الازار وقيل فوق الازار وهو الاولى ويكون فى عنقها خاتم تدخل به الحمام ويكون أحد خفيها اسود والآخر أبيض ولا يركبون الخيل ولا البغال ولا الحمير الا بالا كف عرضا ولا يركبون بالسروج ولا يتصدرون فى المجالس ولا يبدؤن بالسلام ويلجؤن الى أضيق الطرق ويمنعون أن يتطاولوا على المسلمين فى البناء وتجوز المساواة وقيل لا تجوز وان تملكوا دارا عالية اقروا عليها ويمنعون من اظهار المنكر كالخمر والخنزير والناقوس والجهر بالتوراة والانجيل ويمنعون من المقام فى أرض الحجاز وهى مكة والمدينة واليمامة وان امتنعوا من اداء الجزية والتزام أحكام أهل الملة انتقض عهدهم وان زنى أحد منهم بمسلمة أو أصابها بنكاح أو آوى عينا للكفار أو دل على عورة المسلمين أو فتن مسلما عن دينه او قتله اوقطع عليه الطريق تنتقض ذمته وفى تقدير الجزية اختلاف بين العلماء فمنهم من قال انها مقدرة الاقل والاكثر على ما كتب به عمر رضى الله عنه الى عثمان بن حنيف بالكوفة فوضع على الغنى ثمانية واربعين درهما وعلى من دونه اربعة وعشرين درهما وعلى من دونه اثنى عشر درهما وذلك بحضر من الصحابة رضى الله عنهم اجمعين ولم يخالفه احد وكان الصرف اثنى عشر بدينار وهذا مذهب أبى حنيفة وأحمد بن حنبل وأحد قولى الشافعى ويجوز للامام أن يزيد على ماقدره عمر ولا يجوز أن ينقص عنه ولا جزية على النساء والمماليك والصبيان والمجانين وأما الكنائس فأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن تهدم كل كنيسة بعد الاسلام ومنع أن تجدد كنيسة وأمر أن لا تظهر عليه خارجة من كنيسة ولا يظهر صليب خارج من كنيسة الا كسر على رأس صاحبه وكان عروة بن محمد يهدمها بصنعاء وهذا مذهب علماء المسلمين أجمعين وشدد فى ذلك عمر بن عبد العزيز وأمر أن لا يترك فى دار الاسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة ولا حديثة والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثانى والعشرون فى اصطناع المعروف واغاثة الملهوف وقضاء حوائج المسلمين وادخال السرور عليهم

قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى فى عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين فى سبيل الله وعن انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الخلق كلهم عيال الله فأحب خلقه اليه أنفعهم لعياله رواه البزار والطبرانى فى معجمه ومعنى عيال الله فقراء الله تعالى والخلق كلهم فقراء الله تعالى وهو يعولهم وروينا فى مسند الشهاب عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الناس أنفعهم للناس وعن كثير بن عبيد

ابن

ابن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله خلقا خلقهم لقضاء حوائج الناس آلى على نفسه أن لا يعذبهم بالنار فاذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله تعالى والناس في الحساب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى لاخيه المسلم في حاجة فقضيت له أولم تقض غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى لاخيه المسلم حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت له رواه أبو نعيم في الحلية ورويناه في مكارم الاخلاق لابي بكر الخرائطي عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى في حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة وكفر عنه سبعين سيئة فان قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فان مات في خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع أخيه في حاجة فناصحه فيها جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والارض رواه أبو نعيم وابن أبي الدنيا وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عند أقوام نعما يقرها عندهم ماداموا في حوائج الناس مالم يملوا فاذا ملوا نقلها الله الى غيرهم رواه الطبراني ورويناه من طريق الطبراني باسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه ثم جعل حوائج الناس اليه فتبرم فقد عرض تلك النعمة للزوال وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين حسنة واحدة منها يصلح بها آخرته ودنياه والباقي في الدرجات وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما يقول الاسد في زئيره قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول اللهم لا تسلطني على أحد من أهل المعروف رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قيل يا رسول الله أي الناس أحب اليك قال انفع الناس للناس قيل يا رسول الله فأي الاعمال أفضل قال ادخال السرور على المؤمن قيل وما سرور المؤمن قال اشباع جوعته وتنفيس كربته وقضاء دينه ومن مشى مع أخيه في حاجة كان كصيام شهر واعتكافه ومن مشى مع مظلوم يعينه ثبت الله قدمه يوم تزل الاقدام ومن كف غضبه ستر الله عورته وان الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقي أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سره الله يوم القيامة رواه الطبراني في الصغير باسناد حسن وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورا لم يرض الله له ثوابا دون الجنة رواه الطبراني وعن جعفر ابن محمد عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدخل رجل على مؤمن سرورا الاخلق الله من ذلك السرور ملكا يعبد الله تعالى ويوحده فاذا

صار العبد فى قبره أتاه ذلك السرور فيقول له أما تعرفنى فيقول له من أنت فيقول أنا السرور الذى أدخلته على فلان أنا اليوم أؤانس وحشتك وألقنك حجتك وأثبتك بالقول الثابت وأشهد مشاهدك يوم القيامة وأشفع لك الى ربك وأريك منزلك فى الجنة رواه ابن أبى الدنيا وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه يرفعه اذا أراد أحدكم الحاجة فليبكر اليها يوم الخميس وليقرأ اذا خرج من منزله آخر سورة آل عمران وآية الكرسى وانا أنزلناه فى ليلة القدر وأم الكتاب فان فيها حوائج الدنيا والآخرة وهو حديث مرفوع ومن كلام الحكماء اذا سألت كريما حاجة فدعه يفكر فانه لا يفكر الا فى خير واذا سألت لئيما حاجة فعاجله لئلا يشير عليه طبعه أن لا يفعل وسأل رجل رجلا حاجة ثم توانى عن طلبها فقال له المسؤل انمت عن حاجتك فقال ما نام عن حاجته من أسهر لها ولا عدل بها عن محجة النجح من قصدك بها فعجب من فصاحته وقضى حاجته وأمر له بمال جزيل وقال مسلمة لنصيب سلنى فقال كفك بالعطية أبسط من لسانى بالمسئلة فأمر له بألف دينار وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه فوت الحاجة أهون من طلبها الى غير أهلها وعنه أيضا قال لا تكثر على أخيك الحوائج فان العجل اذا أفرط فى مص ثدى أمه نطحته وقال ذو الرياستين لثمامة بن أشرس ما أدرى ما أصنع بكثرة الطلاب فقال زل عن موضعك وعلى أن لا يلقاك منهم أحد فقال له صدقت وجلس لهم فى قضاء حوائجهم وحدث أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخى قال عرضت على أبى الحسن على بن محمد بن الفرات رقعة فى حاجة لى فقرأها ووضعها من يده ولم يوقع فيها بشئ فأخذتها وقت وأنا أقول متمثلا من حيث يسمع هذين البيتين

وإذا طلبت الى كريم حاجة * وأبى فلا تقعد عليه بحاجب

فلربما منع الكريم ومابه * بخل ولكن سوء حظ الطالب

فقال وقد سمع ما قلت ارجع يا أبا جعفر بغير سوء حظ الطالب ولكن اذا سألتمونا الحاجة فعاودونا فان القلوب بيد الله تعالى فأخذ الرقعة ووقع فيها بما أردت وسأل اسحق بن ربعى اسحق بن ابراهيم المصعبى أن يوصل له رقعة الى المأمون فقال لكاتبه ضمها الى رقعة فلان فقال

تأن لحاجتى واشدد عراها * فقد أضحت بمنزلة الضياع

اذا شاركتها بلبان أخرى * أضربها مشاركة الرضاع

وقال أبو دقاقة البصرى

أضحت حوائجنا اليك مناخة * معقولة برحالك الوصال

أطلق فديتك بالنجاح عقالها * حتى تثور معا بغير عقال

وقال سلم الخاسر

* اذا أذن الله فى حاجة * أتاك النجاح على رسله *

فلا تسأل الناس من فضلهم * ولكن سل الله من فضله

ولله در القائل حيث قال

أيها المادح العباد ليعطى * ان لله ما بأيدى العباد *
فاسأل الله ما طلبت اليهم * وارج فرض المقسم الجواد

وعن عبد الله بن الحسن بن الحسين رضى الله تعالى عنهم قال أتيت باب عمر بن عبد العزيز فى حاجة فقال اذا كانت لك حاجة الى فأرسل الى رسولا أو اكتب لى كتابا فانى لاستحيى من الله أن يراك ببابى وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال والذى وسع سمعه الاصوات ما من أحد أودع قلبا سرورا الا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نزلت به نائبة جرى اليها كالماء فى انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال لجابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنهما يا جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس اليه فان قام بما يجب لله فيها عرضها للدوام والبقاء وان لم يقم فيها بما يجب لله عرضها للزوال نعوذ بالله من زوال النعمة ونسأله التوفيق والعصمة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

(الباب الثالث والعشرون فى محاسن الاخلاق ومساويها)

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم فخص الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم من كريم الطباع ومحاسن الاخلاق من الحياء والكرم والصفح وحسن العهد بما لم يؤته غيره ثم ما أثنى الله تعالى عليه بشئ من فضائله بمثل ما أثنى عليه بحسن الخلق فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه وكان الحسن رضى الله عنه اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكرم ولد آدم على الله عز وجل أعظم الانبياء عليهم الصلاة والسلام منزلة عند الله أتى بمفاتيح الدنيا فاختار ما عند الله تعالى وكان يأكل على الارض ويجلس على الارض ويقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ولا يأكل متكئا ولا على خوان وكان يأكل خبز الشعير غير منخول وكان يأكل القثاء بالرطب ويقول برد هذا يطفئ حر هذا وكان أحب الطعام اليه اللحم ويقول هذا يزيد فى السمع ولو سألت ربى أن يطعمنيه كل يوم لفعل وكان يحب الدباء ويقول يا عائشة اذا طبختم قدرا فأكثروا فيه من الدباء فانها تشد قلب الحزين وكان يقول اذا طبختم الدباء فأكثروا من مرقها وكان يكتحل بالاثمد ولا يفارقه فى سفره قارورة الدهن والكحل والمرآة والمشط والابرة يخيط ثوبه بيده وكان يضحك من غير قهقهة ويرى اللعب المباح ولا ينكره وكان يسابق أهله قالت عائشة رضى الله عنها سابقته فسبقته فلما كثر لحمى سابقته فسبقنى فضرب بكتفى وقال هذه بتلك وكان له عبيد واماء لا يرتفع على أحد منهم فى مأكل ولا مشرب ولا ملبس وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ فى بلاد الجهل والصحارى يتيما لا أب له ولا أم فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق وكان أفصح الناس منطقا وأحلاهم كلاما وكان يقول أنا أفصح العرب وقال أنس رضى الله عنه والذى بعثه بالحق نبيا ما قال لى فى شئ قط كرهه لم فعلته ولا فى شئ لم أفعله لم لا فعلته ولا لامنى احد من أهله الا قال دعوه انما كان هذا بقضاء وقدر وقال بعض مشايخنا رحمهم الله تعالى

لامانع من أن النبي صلى الله عليه وسلم اذا هضم نفسه وتواضع لايمنع من المرتبة التي هي أعلى مرتبة من العبودية فالنبي صلى الله عليه وسلم أعطاه الله تعالى مرتبة الملك مع كونه عبدا لله متواضعا لحاز المرتبتين مرتبة العبودية ومرتبة الملكية ومع ذلك كان يلبس المرقع والصوف ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويركب الحمار بلا اكاف ويردف خلفه ويأكل الخشن من الطعام وماشبع قط من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تعالى من دعاه لباه ومن صافحه لم يرفع يده حتى يكون هو الذي يرفعها يعود المريض ويتبع الجنائز ويجالس الفقراء أعظم الناس من الله مخافة وأتعبهم لله عز وجل بدنا وأجدهم في أمر الله لاتأخذه في الله لومة لائم قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر أما والله ما كان تغلق من دونه الابواب ولا كان دونه حجاب صلى الله عليه وسلم وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها ماضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة قط ولا خادما له ولا ضرب بيده شيأ الا أن يجاهد في سبيل الله ولا خير بين أمرين الا اختار أيسرهما الا أن يكون اثما أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس منه وقال ابراهيم بن عباس لو وزنت كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحاسن الناس لرجحت وهي قوله عليه الصلاة والسلام انكم ان تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم وفي رواية أخرى فسعوهم ببسط الوجه والخلق الحسن وعنه صلى الله عليه وسلم حسن الخلق زمام من رحمة الله تعالى في أنف صاحبه والزمام بيد الملك والملك يجره الى الخير والخير يجره الى الجنة وسوء الخلق زمام من عذاب الله تعالى في أنف صاحبه والزمام بيد الشيطان والشيطان يجره الى الشر والشر يجره الى النار وقال بعض السلف الحسن الخلق ذو قرابة عند الاجانب والسيئ الخلق أجنبي عند أهله وقال الفضيل لان يصحبني فاجر حسن الخلق أحب الي من أن يصحبني عابد سيئ الخلق لان الفاجر اذا حسن خلقه خف على الناس وأحبوه والعابد اذا ساء خلقه مقتوه بيت مفرد

اذا رام التخلق جاذبته * خلائقه الى الطبع القديم

قيل أبى الله لسيئ الخلق التوبة لانه لايخرج من ذنب الا دخل في ذنب آخر لسوء خلقه وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن الرجل شئ لم يقل مابال فلان ولكن يقول مابال أقوام يقولون حتى لايفضح أحدا وعنه صلى الله عليه وسلم ماشئ في الميزان أثقل من حسن الخلق وعنه أيضا صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه كن له من صدق لسانه زكا عمله ومن حسنت نيته زيد في رزقه ومن حسن بره لاهل بيته زيد له في عمره ثم قال وحسن الخلق وكف الاذى يزيدان في الرزق وقيل سوء الخلق يعدي لانه يدعو الى أن يقابل بمثله وكتب الحسن بن علي الى أخيه الحسين رضي الله عنهم في اعطائه الشعراء فكتب اليه الحسين أنت أعلم مني بأن خير المال ماوقي به العرض فانظر الى شرف أدبه وحسن خلقه كيف ابتدأ كتابه بأنت أعلم مني وكان بينه وبين أخيه كلام فقيل له ادخل على أخيك فهو أكبر منك فقال اني سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما اثنين جرى بينهما كلام فطلب أحدهما رضا الآخر كان سابقه الى الجنة وأنا أكره أن اسبق أخي الاكبر الى الجنة فبلغ ذلك الحسن فجاءه عاجلا رضي الله عنهما وأنشد

فى المعنى

وانى لالقى المرء أعلم انه * عدو وفى أحشائه الضغن كامن
فأمنحه بشرا فيرجع قلبه * سليما وقد ماتت لديه الضغائن

وسرق بعض حاشية جعفر بن سليمان جوهرة نفيسة وباعها بمال جزيل فأنفذ الى الجوهريين بصفتها فقالوا باعها فلان من مدة ثم ان ذلك الرجل الذى سرقها قبض عليه وأحضر بين يدى جعفر فلما رأى ما ظهر عليه قال له أراك قد تغير لونك ألست يوم كذا طلبت منى هذه الجوهرة فوهبتها لك وأقسم بالله لقد أنسيت هذا ثم أمر للجوهرى بثمنها وقال للرجل خذها الآن حلالا طيبا وبعها بالثمن الذى يطيب خاطرك به لا تبع بيع خائف ودخل محمد بن عباد على المأمون فجعل يعممه بيده وجارية على رأسه تتبسم فقال لها المأمون مم تضحكين فقال ابن عباد أنا أخبرك يا أمير المؤمنين تتعجب من قبحى واكرامك اياى فقال لا تعجبى فان تحت هذه العمامة كرما ومجدا قال الشاعر

وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم * اذا كانت الاعراض غير حسان
فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى * فما كل مصقول الحديد يمانى

(وحكى) أن بهرام الملك خرج يوما للصيد فانفرد عن أصحابه فرأى صيدا فتبعه طامعا فى لحاقه حتى بعد عن عسكره فنظر الى راع تحت شجرة فنزل عن فرسه ليبول وقال للراعى احفظ على فرسى حتى أبول فعمد الراعى الى العنان وكان ملبسا ذهبا كثيرا فاستغفل بهرام وأخرج سكينا فقطع أطراف اللجام وأخذ الذهب الذى عليه فرفع بهرام نظره اليه فرآه فغض بصره وأطرق برأسه الى الارض وأطال الجلوس حتى أخذ الرجل حاجته ثم قام بهرام فوضع يده على عينيه وقال للراعى قدم الى فرسى فانه قد دخل فى عينى من سافى الريح فلا أقدر على فتحهما فقدمه اليه فركب وسار الى أن وصل الى عسكره فقال لصاحب مراكبه ان أطراف اللجام قد وهبتها فلا تتهمن بها أحدا (وذكر) أن انوشروان وضع الموائد للناس فى يوم نوروز وجلس ودخل وجوه أهل مملكته فى الايوان فلما فرغوا من الطعام جاؤا بالشراب وأحضرت الفواكه والمشموم فى آنية الذهب والفضة فلما رفعت آنية المجلس أخذ بعض من حضر جام ذهب وزنه ألف مثقال وخبأه تحت ثيابه وأنوشروان يراه فلما فقده الشرابى صاح بصوت عال لا يخرجن أحد حتى يفتش فقال كسرى ولم فأخبره بالقضية فقال قد أخذه من لا يرده ورآه من لا ينم عليه فلا تفتش أحدا فأخذ الرجل الجام ومضى فكسره وصاغ منه منطقة وحلية لسيفه وجدد له كسوة جميلة فلما كان فى مثل ذلك اليوم جلس الملك ودخل ذلك الرجل بتلك الحلية فدعاه كسرى وقال له هذا من ذاك فقبل الارض وقال نعم أصلحك الله * وقال عبد الله بن طاهر كنت عند المأمون يوما فنادى بالخادم يا غلام فلم يجبه أحد ثم نادى ثانيا وصاح يا غلام فدخل غلام تركى وهو يقول ما ينبغى للغلام أن يأكل ولا يشرب كلما خرجنا من عندك تصيح يا غلام يا غلام الى كم يا غلام فنكس المأمون رأسه طويلا فما شككت أنه يأمرنى بضرب عنقه ثم نظر الى فقال يا عبد الله ان الرجل اذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه واذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خدمه

وانا لانستطيع أن ننسى أخلاقنا لحسن أخلاق خدمنا * وقال ابن عباس رضي الله عنهما ورد علينا الوليد بن عتبة بن أبي سفيان المدينة واليا وكأن وجهه ورقة من ورق المصحف فوالله ماترك فينا فقيرا الا أغناه ولا مديونا الا أدى عنه دينه وكان ينظر الينا بعين أرق من الماء ويكلمنا بكلام أحلى من الجنى ولقد شهدت منه مشهدا لو كان من معاوية لذكرته تغدينا يوما عنده فأقبل الفراش بصحفة فعثر في وسادة فوقعت الصحفة من يده فوالله ماردها الا ذقن الوليد وانكب جميع مافيها في حجره فبقي الغلام متمثلا واقفا ما معه من روحه الا ما يقيم رجليه فقام الوليد فدخل فغير ثيابه وأقبل علينا تبرق أسارير جبهته فأقبل على الفراش وقال يابائس ما أرانا الا روعناك اذهب فأنت وأولادك أحرار لوجه الله تعالى * ومرض أحمد بن أبي دواد فعاده المعتصم وقال نذرت ان عافاك الله تعالى أن أتصدق بعشرة آلاف دينار فقال له أحمد ياأمير المؤمنين فاجعلها في أهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الاسعار شدة فقال نويت أن أتصدق بها على من ههنا وأطلق لاهل الحرمين مثلها فقال أحمد متع الله الاسلام وأهله بك ياأمير المؤمنين فانك كما قال النميري لابيك الرشيد رحمة الله تعالى عليه

ان المكارم والمعروف أودية * أحلك الله منها حيث تجتمع

من لم يكن بأمين الله معتصما * فليس بالصلوات الخمس ينتفع

وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت حسن الخلق فقال من قيس بن عاصم بينما هو ذات يوم جالس في داره اذ جاءته خادم له بسفود عليه شواء حار فنزعت السفود من اللحم وألقته خلف ظهرها فوقع على ابن له فقتله لوقته فدهشت الجارية فقال لاروع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى وكان ابن عمر رضي الله عنه اذا رأى أحدا من عبيده يحسن صلاته يعتقه فعرفوا ذلك من خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مراآة له فكان يعتقهم فقيل له في ذلك فقال من خدعنا في الله انخدعنا له وروى أن أبا عثمان الزاهد اجتاز ببعض الشوارع في وقت الهاجرة فألقي عليه من فوق سطح طست رماد فتغير أصحابه وبسطوا ألسنتهم في الملقي للرماد فقال أبو عثمان لاتقولوا شيأ فان من استحق أن يصب عليه النار فصولح بالرماد لم يجز له أن يغضب وقيل لابراهيم بن أدهم تغمده الله تعالى برحمته هل فرحت في الدنيا قط فقال نعم مرتين احداهما اني كنت قاعدا ذات يوم فجاء انسان فبال علي والثانية كنت جالسا فجاء انسان فصفعني وروى أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فرآه مضطجعا فقال أما تسمع ياغلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابي قال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى (وحكى) أن أبا عثمان الحيري دعاه انسان الى ضيافة فلما وافى باب الدار قال له الرجل يا استاذ ليس لي وجه في دخولك فانصرف رحمك الله فانصرف أبو عثمان فلما وافى منزله عاد الرجل اليه وقال يا استاذ ندمت وأخذ يعتذر له وقال احضر الساعة فقام معه فلما وافى داره قال له مثل ما قال في الاولى ثم فعل به ذلك أربع مرات وأبو عثمان ينصرف ويحضر ثم قال له يا أستاذ انما أردت بذلك اختبارك والوقوف على أخلاقك ثم جعل يعتذر له ويمدحه فقال أبو عثمان لاتمدحني على خلق تجده في الكلاب فان الكلب اذا دعي حضر واذا زجر انزجر * وقال الحرث بن قصي يعجبني من القراء

كل فصيح مضحاك فأما الذى تلقاه ببشر ويلقاك بوجه عبوس فلا كثر الله فى المسلمين مثله ومن محاسن الاخلاق ماحكى عن القاضى يحيى بن اكثم قال كنت نائما ذات ليلة عند المأمون فعطش فامتنع أن يصيح بغلام يسقيه وأنا نائم فينغص على نومى فرأيته وقد قام يمشى على أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء وبينه وبين المكان الذى فيه الكيزان نحو من ثلثمائة خطوة فأخذ منها كوزا فشرب ثم رجع يمشى على أطراف أصابعه حتى قرب من الفراش الذى أنا عليه فخطا خطوات خائف لئلا ينبهنى حتى صار الى فراشه ثم رأيته آخر الليل قام يبول وكان يقوم فى أول الليل وآخره فقعد طويلا يحاول أن أتحرك فيصيح بالغلام فلما تحركت وثب قائما وصاح ياغلام وتأهب للصلاة ثم جاءنى فقال لى كيف أصبحت ياأبا محمد وكيف كان مبيتك قلت خير مبيت جعلنى الله فداك ياأمير المؤمنين قال لقد استيقظت للصلاة فكرهت أن أصيح بالغلام فأزعجك فقلت ياأمير المؤمنين قد خصك الله تعالى بأخلاق الانبياء وأحب لك سيرتهم فهناك الله تعالى بهذه النعمة وأتمها عليك فأمر لى بألف دينار فأخذتها وانصرفت قال وبت عنده ذات ليلة فانتبه وقد عرض له السعال فجعلت أرمقه وهو يحشو فمه بكم قميصه يدفع به السعال حتى غلبه فسعل وأكب على الارض لئلا يعلو صوته فانتبه قال يحيى وكنت معه يوما فى بستان ندور فيه فجعلنا نمر بالريحان فيأخذ منه الطاقة والطاقتين ويقول لقيم البستان أصلح هذا الحوض ولا تغرس فى هذا الحوض شيأ من البقول قال يحيى ومشينا فى البستان من أوله الى آخره وكنت أنا مما يلى الشمس والمأمون مما يلى الظل فكان يجذبنى ان أتحول أنا فى الظل ويكون هو فى الشمس فامتنع من ذلك حتى بلغنا آخر البستان فلما رجعنا قال يا يحيى والله لتكونن فى مكانى ولاكونن فى مكانك حتى آخذ نصيبى من الشمس كما أخذت نصيبك وتأخذ نصيبك من الظل كما أخذت نصيبى فقلت والله ياأمير المؤمنين لو قدرت أن أقيك يوم الهول بنفسى لفعلت فلم يزل بى حتى تحولت الى الظل وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقى وقال بحياتى عليك الا ما وضعت يدك على عاتقى مثل مافعلت أنا فانه لاخير فى صحبة من لا ينصف فانظر الى أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ما أحسنها والى أفعالهم ما أزينها نسأل الله تعالى أن يحسن أخلاقنا وأن يبارك لنا فى أرزاقنا انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والعشرون فى حسن المعاشرة والمودة والاخوة والزيارة وما أشبه ذلك)

اعلم أن المودة والاخوة والزيارة سبب التألف والتألف سبب القوة والقوة سبب التقوى والتقوى حصن منيع وركن شديد بها يمنع الضيم وتنال الرغائب وتنجح المقاصد وقد من الله تعالى على قوم وذكرهم نعمته عليهم بأن جمع قلوبهم على الصفاء وردها بعد الفرقة الى الالفة والاخاء فقال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ووصف نعيم الجنة وما أعد فيها لاوليائه من الكرامة اذ جعلهم اخوانا على سرر متقابلين وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخاء وندب اليه وآخى بين الصحابة

رضي الله تعالى عنهم أجمعين وقد ذكر الله تعالى أهل جهنم وما يلاقون فيها من الآلام اذ يقولون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه الرجل بلا أخ كشمال بلا يمين وأنشدوا في ذلك

وما المرء الا باخوانه * كما يقبض الكف بالمعصم
ولا خير في الكف مقطوعة * ولا خير في الساعد الاجذم

وقال زياد خير ما اكتسب المرء الاخوان فانهم معونة على حوادث الزمان ونوائب الحدثان وعون في السراء والضراء ومن كلام علي رضي الله عنه وكرم وجهه

عليك باخوان الصفاء فانهم * عماد اذا استنجدتهم وظهور
وان قليلا ألف خل وصاحب * وان عدوا واحدا لكثير

وقال الاوزاعي الصاحب للصاحب كالرقعة في الثوب ان لم تكن مثله شانته وقال عبد الله ابن طاهر المال غاد ورائح والسلطان ظل زائل والاخوان كنوز وافرة وقال المأمون للحسن بن سهل نظرت في اللذات فوجدتها كلها مملولة سوى سبعة قال وما السبعة يا أمير المؤمنين قال خبز الحنطة ولحم الغنم والماء البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والفراش الوطيء والنظر الى الحسن من كل شيء قال فأين أنت يا أمير المؤمنين من محادثة الرجال قال صدقت وهي أولاهن وقال سليمان بن عبد الملك أكلت الطيب ولبست اللين وركبت الفاره وافتضضت العذراء فلم يبق من لذاتي الا صديق أطرح معه مؤنة التحفظ وكذلك قال معاوية رضي الله عنه نكحت النساء حتى ما أفرق بين امرأة وحائط وأكلت الطعام حتى لا أجد ما أستمرئه وشربت الاشربة حتى رجعت الى الماء وركبت المطايا حتى اخترت نعلي ولبست الثياب حتى اخترت البياض فما بقي من اللذات ما تتوق اليه نفسي الا محادثة أخ كريم وأنشدوا في معنى ذلك

وما بقيت من اللذات الا * محادثة الرجال ذوي العقول
وقد كانوا اذ هم قليلا * فقد صاروا أقل من القليل

وقال لبيد

ما عاتب المرء اللبيب كنفسه * والمرء يصلحه الجليس الصالح

وقال آخر

اذا ما أتت من صاحب لك زلة * فكن أنت محتالا لزلته عذرا

وقيل لابن السماك أي الاخوان أحق ببقاء المودة قال الوافر دينه الوافي عقله الذي لا يملك على القرب ولا ينساك على البعد ان دنوت منه داناك وان بعدت عنه راعاك وان استعنت به عضدك وان احتجت اليه رفدك وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله وأنشدوا في المعنى

ان أخاك الصدق من يسعى معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

وقال غيره

وليس أخي من ودني بلسانه * ولكن أخي من ودني وهو غائب
ومن ماله مالي اذا كنت معدما * ومالي له ان اعوزته النوائب

وقال أبو تمام

من لي بانسان اذا أغضبته * وجهلت كان الحلم ردّ جوابه
واذا صبوت الى المدام شربت من * أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغي للحديث بطرفه * وبقلبه ولعله أدرى به

وقيل لخالد بن صفوان أي اخوانك أحب اليك قال الذي يسد خلتي ويغفر زلتي ويقيل عثرتي وقيل من لا يؤاخي الا من لا عيب فيه قل صديقه ومن لم يرض من صديقه الا بايثاره على نفسه دام سخطه ومن عاتب على كل ذنب ضاع عتبه وكثر تعبه قال الشاعر

ومن لم يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

وقال آخر

اذا كنت في كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
وان أنت لم تشرب مرارا على الاذى * ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

وقالوا اذا رأيت من أخيك أمرا تكرهه او خلة لا تحبها فلا تقطع حبله ولا تصرم وده ولكن داو كلمته واستر عورته وأبقه وابرأ من عمله قال الله تعالى فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون فلم يأمره بقطعهم وانما أمره بالبراءة من عملهم السيئ وقال صلى الله عليه وسلم الارواح أجناد مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقال عليه الصلاة والسلام ان روحي المؤمنين ليلتقيان من مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه وفي ذلك قال بعضهم

هويتكم بالسمع قبل لقائكم * وسمع الفتى يهوى لعمري كطرفه
وخبرت عنكم كل جود ورفعة * فلما التقينا كنتم فوق وصفه

وقال آخر

تبسم الثغر عن أوصافكم فغدا * من طيب ذكركم نشرا فاحيانا
فن هناك عشقناكم ولم نركم * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

ما تحاب اثنان في الله الا كان أفضلهما عند الله أشدهما حبا لصاحبه ما زار أخ أخا في الله شوقا اليه ورغبة في لقائه الا ناداه ملائكة من ورائه طبت وطابت لك الجنة وقالوا ليس سرور يعدل لقاء الاخوان ولا غم يعدل فراقهم وقالوا شر الاخوان الواصل في الرخاء الخاذل عند الشدة وقالوا ان من الوفاء أن تكون لصديق صديقك صديقا ولعدو صديقك عدوا وقالوا أعجب الاشياء ود من يودي وحفظ من نصراني ورياضة من دهري وكرم من أعجمي والحذر من الكريم اذا أهنته واللئيم اذا أكرمته والعاقل اذا أحرجته والاحمق اذا مازحته والفاجر اذا عاشرته وقالوا اعجب من الاخوان من أولاك جمائل كثيرة فكافأته بجميلة واحدة فنسي جمله وبقي شاكرا ناشرا ذاكرا لجميلتك يونيك عليها

الاحسان الكثير الجزيل. ويجعل أنه ما بلغ من مكافاة تلك القليل وقال ابن عائشة لقاء الخليل شفاء الغليل وقال بعض الحكماء اذا وقع بصرك على شخص فكرهته فاحذره جهدك قال عبد الله بن طاهر

خليلي للبغضاء حال مبينة * وللحب آثار ترى ومعارف
فما تنكر العينان فالقلب منكر * وما تعرف العينان فالقلب عارف

وقال آخر

وكنت اذا الصديق أراد غيظي * وشرقني على ظما بريق
غفرت ذنوبه وكظمت غيظي * مخافة أن أعيش بلا صديق

وقال آخر

وليس فتى الفتيان من جل همه * صبوح وان أمسى ففضل غبوق
ولكن فتى الفتيان من راح أوغدا * لضر عدو أو لنفع صديق

(وأما آداب المعاشرة) فالبشاشة والبشر وحسن الخلق والادب فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أخلاق النبيين والصديقين البشاشة اذا تراءوا والمصافحة اذا تلاقوا وكان القعقاع بن شور الهذلي اذا جالسه رجل يجعل له نصيبا من ماله ويعينه على حوائجه ودخل يوما على معاوية فأمر له بألف دينار وكان هناك رجل قد فسح له في المجلس فدفعها للذي فسح له فقال

وكنت جليس قعقاع بن شور * وما يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن ان نطقوا بخير * وعند الشر مطراق عبوس

وقال ابن عباس رضي الله عنهما الجليس علي ثلاث أن أرمقه بطرفي اذا أقبل وأوسع له اذا جلس وأصغي له اذا حدث ويقال لكل شيء محل ومحل العقل مجالسة الناس ومثل الجليس الحسن كالعطار ان لم يصبك من عطره أصابك من رائحته ومثل الجليس السوء مثل الكبريت ان لم يحرق ثوبك بناره آذاك بدخانه وكانت تحية العرب صبحتك الانعمة وطيب الاطعمة وتقول أيضا صبحتك الافالح وكل طير صالح ووصف المأمون ثمامة بحسن المعاشرة فقال انه يتصرف مع القلوب تصرف السحاب مع الجنوب وقيل أول ما يتعين على الجليس الانصاف في المجالسة بأن يحفظ بعين الادب مكانه من مكان جليسه فيكون كل منهما في محله وقال صلى الله عليه وسلم ذو العلم والسلطان احق بشرف المنزل وقال جعفر الصادق رضي الله عنه اذا دخلت منزل أخيك فاقبل كرامته كلها ماعدا الجلوس في الصدر وينبغي للانسان أن لا يقبل بحديثه على من لا يقبل عليه فقد قيل ان نشاط المتكلم بقدر اقبال السامع ويتعين عليه ان يحدث المستمع على قدر عقله ولا يتدع كلاما لا يليق بالمجلس فقد قيل لكل مقام مقال وخير القول ما وافق الحال وأوجبوا على المستمع انه اذا ورد عليه من المتكلم ما كان مرتبته أولا أن لا يقطع عليه ما يقوله بل يسكت الى أن يستوعب منه القول وعدوا ذلك من باب الأدب واهله اذا صبر وسكت استفاد من ذلك زيادة فائدة لم تكن في حفظه وقيل ثمانية ان أهينوا فلا يلوموا الا أنفسهم الجالس في مجلس ليس له باهل والمقبل بحديثه على

من لا يسمعه والداخل بين اثنين في حديثهما ولم يدخلاه فيه والمتعرض لما لا يعنيه والمتأمر
على رب البيت في بيته والآتي الى مائدة بلا دعوة وطالب الخير من أعدائه والمستخف
بقدر السلطان ويتعين على الجليس ان يراعي ألفاظه ويكون على حذر أن يعثر لسانه
خصوصا اذا كان جليسه ذاهية فقد قيل رب كلمة سلبت نعمة وقال أبو العباس السفاح
ما رأيت أغزر من فكر أبي بكر الهذلي لم يعد على حديثا قط وقيل ان أبا العباس
كان يحدثه يوما اذ عصفت الريح فارمت طستا من سطح الى المجلس فارتاع من حضر
ولم يتحرك الهذلي ولم تزل عينه مطابقة لعين السفاح فقال ما أعجب شأنك يا هذلي فقال
ان الله يقول ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وانما لي قلب واحد فلما غمره النور
بمحادثة أمير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال فلو انقلبت الخضراء على الغبراء ما أحسست
بها ولا وجمت لها فقال السفاح لئن بقيت لك لأرفعن مكانك ثم أمر له بمال جزيل
وصلة كبيرة وكان ابن خارجة يقول ما غلبني أحد قط غلبة رجل يصغي الى حديثي
وفي نوابغ الحكم أكرم حديث أخيك بانصاتك وصنه من وصمة التفاتك وقيل من
حق الملك اذا تثاءب أو ألقى المروحة من يده أو مد رجليه أو تمطى أو اتكأ أو فعل ما يدل
على كسله أن يقوم من بحضرته وكان اردشير اذا تمطى قام سماره ومن حق الملك
أن لا يعاد عليه حديث وان طال الدهر قال روح بن زنباع أقمت مع عبد الملك سبع عشرة
سنة فما أعدت عليه حديثا الا مرة واحدة فقال لي قد سمعته منك وعن الشعبي قال
ما حدثت بحديث مرتين رجلا بعينه وقال عطاء بن أبي رباح ان الرجل ليحدثني بالحديث
فأنصت له كأني لم أسمعه قط وقد سمعت به من قبل أن يولد وقيل المودة طلاقة الوجه والتودد
الى الناس وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ان المسلمين اذا التقيا فضحك كل واحد
منهما في وجه صاحبه ثم أخذ بيده تحاتت ذنوبهما كتحات ورق الشجر وقيل البشر يدل على
السخاء كما يدل النور على الثمر وقيل من السنة اذا حدثت القوم أن لا تقبل على واحد منهم
ولكن اجعل لكل واحد منهم نصيبا وقالوا اذا أردت حسن المعاشرة فالق عدوك
وصديقك بالطلاقة ووجه الرضا والبشاشة ولا تنظر في عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف
على الجماعات واذا جلست فلا تتكبر على أحد وتحفظ من تشبيك أصابعك ومن العبث
بلحيتك ومن اللعب بخاتمك وتخليل أسنانك وادخال اصبعك في أنفك وكثرة بصاقك وكثرة
التمطي والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة وليكن مجلسك هادئا وحديثك منظوما مرتبا
واصغ الى كلام محدثك واسكت عن المضاحك ولا تتصنع تصنع المرأة في التزين ولا تلح
في الحاجات ولا تشجع أحدا على الظلم ولا تمازح أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك عندهما
واذا خاصمت فأنصف وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر في حجتك ولا تكثر الاشارة
بيدك ولا الالتفات الى من وراءك واهدئ غضبك وتكلم واذا قربك سلطان فكن منه
على حذر واحذر انقلابه عليك وكلمه بما يشتهي ولا يحملنك لطفه بك على أن تدخل
بينه وبين أهله وحشمه وان كنت لذلك مستحقا عنده واياك وصديق العافية فانه أعدى
الاعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك ولا تجالس الملوك فان فعلت فالتزم ترك الغيبة

ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الالفاظ والمذاكرة بأخلاق الملوك والحذر منهم وان ظهرت المودة ولا تجشأ بحضرتهم ولا تخلل أسنانك بعد الاكل عندهم ولا تجالس العامة فان فعلت فآداب ذلك ترك الخوض فى حديثهم وقلة الاصغاء الى أراجيفهم والتغافل عما يجرى من سوء ألفاظهم واياك أن تمازح لبيبا أو سفيها فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يتجرأ عليك ولان المزح يخرق الهيبة ويذهب بماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الايمان والود ويشين فقه الفقيه ويجرى السفيه ويميت القلب ويباعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة والذلة ومن بلى فى مجلس بمزاح أو لغط فليذكر الله عند قيامه فقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك غفر له ما كان فى مجلسه ذلك (وأما آداب المسايرة) فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعقب هو وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه ورجل آخر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فى سفر على بعير فكان اذا جاءت نوبته فى المشى مشى فيعزمان عليه أن لا يمشى فيأبى ويقول ما أنتم بأقدر منى على مشى وما أنا بأغنى منكم عن أجر وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور الدواب كراسى وقيل لا تتقدم الاصاغر على الاكابر الا فى ثلاث اذا ساروا ليلا أو خاضوا سيلا أو واجهوا خيلا

وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه فى ثلاث فى نكبته وغيبته ووفاته

وأما ما جاء فى الاخوان القليلى الموافاة العديمى المكافأة الذين ليس عندهم لصديق مصافاة

فقال وهب بن منبه صحبت الناس خمسين سنة فما وجدت رجلا غفر لى زلة ولا أقالنى عثرة ولا ستر لى عورة وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه اذا كان الغدر طبعا فالثقة بكل أحد عجز وقيل لبعضهم ما الصديق قال اسم وضع على غير مسمى وحيوان غير موجود قال الشاعر

سمعنا بالصديق ولا نراه ✱ على التحقيق يوجد فى الانام
وأحسبه محالا نمقوه ✱ على وجه المجاز من الكلام

وقال أبو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه وقال جعفر الصادق لبعض اخوانه أقلل من معرفة الناس وأنكر من عرفت منهم وان كان لك مائة صديق فاطرح تسعة وتسعين وكن من الواحد على حذر وقيل لبعض الولاة كم لك صديق فقال أما فى حال الولاية فكثير وانشد

الناس اخوان من دامت له نعم ✱ والويل للمرء ان زلت به القدم

ولما نكب على بن عيسى الوزير لم ينظر ببابه احدا من اصحابه الذين كانوا يألفونه فى ولايته فلما ردت اليه الوزارة وقف اصحابه ببابه ثانيا فقال

ما

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكلما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا

وقال آخر

فما أكثر الاصحاب حين نعدهم * ولكنهم في النائبات قليل

وقال البحتري

اياك تغتر أو تخدعك بارقة * من ذي خداع يرى بشرا وألطافا
فلو قلبت جميع الارض قاطبة * وسرت في الارض اوساطا واطرافا
لم تلق فيها صديقا صادقا أبدا * ولا أخا يبذل الانصاف ان صافى

وقال بعضهم في المعنى أيضا

خليلي جربت الزمان وأهله * فما نالني منهم سوى الهم والعنا
وعاشرت أبناء الزمان فلم أجد * خليلا يوفي بالعهود ولا أنا

وقال آخر

لما رأيت بني الزمان وما بهم * خل وفي للشدائد أصطفي
فعلمت أن المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفي

بيت مفرد

وكل خليل ليس في الله وده * فاني به في وده غير واثق

وقال آخر

اذا ما كنت متخذا خليلا * فلا تأمن خليلك أن يخونا
فانك لم يخنك اخ امين * ولكن قلما تلقى أمينا

وقال آخر

تحب عدوي ثم تزعم أنني * أودك ان الرأي عنك لعازب
وليس اخي من ودني بلسانه * ولكن اخي من ودني وهو غائب
ومن ماله مالي اذا كنت معدما * ومالي له ان اعوزته النوائب

ولما غضب السلطان على الوزير ابن مقلة وامر بقطع يده لما بلغه انه زور عنه كتابا الى اعدائه وعزله لم يأت اليه احد ممن كان يصحبه ولا توجع له ثم ان السلطان ظهر له في بقية يومه انه بريء مما نسب اليه فخلع عليه ورده الى وظائفه فأنشد يقول هذه الابيات

تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا
عاداني الدهر نصف يوم * فانكشف الناس لي وبانوا
يا أيها المعرضون عنا * عودوا فقد عاد لي الزمان

ومثله في المعنى

اخوك اخوك من يدنو وترجو * مودته وان دعي استجابا
اذا حاربت حارب من تعادي * وزاد سلاحه منك اقترابا

وقال ابو بكر الخالدي

وأخ رخصت عليه حتى ملتى * والشئ مملول اذا ما يرخص

ما فى زمانك من يعز وجوده * ان رمته الا صديق مخلص

فيجب على الانسان أن لا يصحب الا من له دين وتقوى فان المحبة فى الله تنفع فى الدنيا والآخرة وما أحسن ما قال بعضهم

وكل محبة فى الله تبقى * على الحالين من فرج وضيق

وكل محبة فيما سواه * فكالحلفاء فى لهب الحريق

فينبغى للانسان أن يجتنب معاشرة الاشرار ويترك مصاحبة الفجار ويهجر من ساءت خلقته وقبحت بين الناس سيرته قال الله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم فأثبت الله المماثلة بيننا وبين البهائم وذلك انما هو فى الاخلاق خاصة فليس أحد من الخلق الا وفيه خلق من أخلاق البهائم ولهذا تجد أخلاق الخلائق مختلفة فاذا رأيت الرجل جاهلا فى خلائقه غليظا فى طبائعه قويا فى بدنه لا تؤمن ضغائنه فألحقه بعالم الثورة والعرب تقول أجهل من ثور واذا رأيت الرجل هجاما على أعراض الناس فقد ماثل عالم الكلاب فان دأب الكلب أن يجفو من لا يجفوه ويؤذى من لا يؤذيه فعامله بما كنت تعامل به الكلب اذا نبح ألست تذهب وتتركه واذا رأيت انسانا قد جبل على الخلاف ان قلت نعم قال لا وان قلت لا قال نعم فالحقه بعالم الحمير فان دأب الحماران أدنيته بعد وان أبعدته قرب فلا تنتفع به ولا يمكنك مفارقته وان رأيت انسانا يهجم على الاموال والارواح فالحقه بعالم الاسود وخذ حذرك منه كما تأخذ حذرك من الاسد واذا بليت بانسان خبيث كثير الروغان فألحقه بعالم الثعالب واذا رأيت من يمشى بين الناس بالنميمة ويفرق بين الاحبة فالحقه بعالم الظربان وهى دابة صغيرة تقول العرب عند تفرق الجماعة مشى بينهم ظربان فتفرقوا واذا رأيت انسانا لا يسمع الحكمة والعلم وينفر من مجالسة العلماء ويألف أخبار أهل الدنيا فالحقه بعالم الخنافس فانه يعجبها أكل العذرات وملامسة النجاسات وتنفر من ريح المسك والورد واذا شمت الرائحة الطيبة ماتت لوقتها واذا رأيت الرجل يصنع بنفسه كما تصنع المرأة لبعلها يبيض ثيابه ويعدل عمامته وينظر فى عطفيه فالحقه بعالم الطواويس واذا بليت بانسان حقود لا ينسى الهفوات ويجازى بعد المدة الطويلة على السقطات فالحقه بعالم الجمال والعرب تقول أحقد من جمل فتجنب قرب الرجل الحقود وعلى هذا النمط فليحترز العاقل من صحبة الاشرار وأهل الغدر ومن لا وفاء لهم فانه اذا فعل ذلك سلم من مكايد الخلق وأراح قلبه وبدنه والله أعلم *(وأما الزيارة والاستدعاء اليها)* فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى وجبت محبتى للمتحابين فى والمتباذلين فى والمتزاورين فى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى وقال صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا أو زار أخا نادى مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا وقيل المحبة شجرة أصلها الزيارة قال الشاعر

زر من تحب وان شطت بك الدار * وحال من دونه حجب وأستار

لا يمنعنك بعد من زيارته * ان المحب لمن يهواه زوّار

ولتكن الزيارة غبا لقوله صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا قال الشاعر فى معنى ذلك

عليك باغباب الزيارة انها * اذا كثرت صارت الى الهجر مسلكا

ألم تر أن الغيث يسأم دائما * ويسئل بالايدى اذا هو أمسكا

ويقال الاكثار من الزيارة ممل والاقلال منها مخل وكتب صديق الى صديقه هذا البيت

اذا ما تقاطعنا ونحن ببلدة * فما فضل قرب الدار منا على البعد

وقال آخر

وان مروري بالديار التى بها * سلمى ولم ألمم بها لجفاء

وقال آخر

قد أتانا من آل سعدى رسول * حبذا ما يقول لى وأقول

وقال آخر

أزور بيوتا لاصقات بيتها * وقلبى فى البيت الذى لا أزوره

وزار محمد بن يزيد المهلبى المستعين ووهب له مائتى ألف درهم وأقطعه أرضا فقال

وخصصتنى بزيارة أضحى لنا * مجد بها طول الزمان مؤثل

وقضيت دينى وهو دين وافر * لم يقضه مع جوده المتوكل

وكتب المأمون الى جاريته الخيزران يستدعيها للزيارة

نحن فى أفضل السرور ولكن * ليس الا بكم يتم السرور

عيب ما نحن فيه يا أهل ودى * أنكم غبتم ونحن حضور

فأجدوا المسير بل ان قدرتم * أن تطيروا مع الرياح فطيروا

وقيل لفيلسوف أى الرسل أنجح قال الذى له جمال وعقل وقيل اذا أرسلت رسولا فى حاجة فاتخذوه حسن الوجه حسن الاسم وقال لقمان لابنه يابنى لا تبعث رسولا جاهلا فان لم تجد حكيما عارفا فكن رسول نفسك وقال بعضهم

اذا أبطأ الرسول فقل نجاح * ولا تفرح اذا عجل الرسول

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الخامس والعشرون فى الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم وفضل الشفاعة واصلاح ذات البين وفيه فصلان

(الفصل الاول فى الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم) قال الله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ووصف الله سبحانه وتعالى نفسه لعباده فقال عز وجل ان الله بالناس لرؤف رحيم وقال تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم قال المفسرون الرحمن اسم رقيق يدل على العطف والرقة واللطف والكرم والمنة والحلم على الخلق والرحيم مثله وقيل يقال رحمن الدنيا ورحيم الآخرة وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يضع الله

الرحمة الا على رحيم قلنا يارسول الله كلنا رحيم قال ليس الرحيم الذى يرحم نفسه وأهله خاصة ولكن الرحيم الذى يرحم المسلمين رواه أبو يعلى والطبرانى وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له وعنه صلى الله عليه وسلم قال ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ان كنتم تريدون رحمتى فارحموا خلقى رواه أبو محمد بن عدى فى كتاب الكامل وروينا من طريق الطبرانى عن الشعبى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتواصلهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر قال الطبرانى انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فسألته عن هذا الحديث فقال النبى صلى الله عليه وسلم وأشار بيده صحيح صحيح صحيح ثلاثا وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة تمر عليها يده نور يوم القيامة ودخل عامل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فوجده مستلقيا على ظهره وصبيانه يلعبون على بطنه فانكر ذلك عليه فقال له عمر كيف أنت مع أهلك قال اذا دخلت سكت الناطق فقال له اعتزل فانك لا ترفق باهلك وولدك فكيف ترفق بامة محمد صلى الله عليه وسلم وروى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أبدال أمتى لن يدخلوا الجنة بالاعمال ولكن يدخلونها برحمة الله وسخاوة النفس وسلامة الصدر والرحمة لجميع المسلمين

(الفصل الثانى فى الشفاعة واصلاح ذات البين) قال الله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شئ مقيتا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يسال العبد عن جاهه كما يساله عن عمره فيقول له جعلت لك جاها فهل نصرت به مظلوما أو قمعت به ظالما أو أغثت به مكروبا وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة أن تعين بجاهك من لا جاه له وعن أبى بردة عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءنى طالب حاجة فاشفعوا له لكى تؤجروا ويقضى الله تعالى على لسان نبيه ما شاء وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة صدقة اللسان قيل يارسول الله وما صدقة اللسان قال الشفاعة تفك بها الاسير وتحقن بها الدماء وتجر بها المعروف الى أخيك وتدفع عنه بها كريهة رواه الطبرانى فى المكارم وقال على رضى الله عنه الشفيع جناح الطالب وقال رجل لبعض الولاة ان الناس يتوسلون اليك بغيرك فينالون معروفك ويشكرون غيرك وأنا أتوسل اليك بك ليكون شكرى لك لا لغيرك وقيل كان المنصور معجبا بمحادثة محمد بن جعفر بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم وكان الناس لعظم قدره يفزعون اليه فى الشفاعات فثقل ذلك على المنصور فحجبه مدة ثم لم يصبر عنه فامر الربيع أن يكلمه فى ذلك فكلمه وقال اعف أمير المؤمنين لا تثقل عليه فى الشفاعات فقبل ذلك منه فلما توجه الى الباب اعترضه قوم من قريش معهم رقاع فسألوه ايصالها الى

المنصور رفقص عليهم القصة فأبو الا أن يأخذها فقال اقذفوها فى كمى ثم دخل عليه وهو فى الخضراء مشرف على مدينة السلام وما حواليها من البساتين فقال له أماترى الى حسنها يا أبا عبد الله فقال له يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيما آتاك وهناك باتمام نعمته عليك فيما أعطاك فما بنت العرب فى دولة الاسلام ولا العجم فى سالف الايام أحصن ولا أحسن من مدينتك ولكن سمجتها فى عينى خصلة قال وماهى قال ليس لى فيها ضيعة فتبسم وقال قد حسنتها فى عينك بثلاث ضياع قد أقطعتكها فقال أنت والله يا أمير المؤمنين شريف الموارد كريم المصادر فجعل الله تعالى باقى عمرك أكثر من ماضيه ثم أقام معه يومه ذلك فلما نهض ليقوم بدت الرقاع من كمه فجعل يردهن ويقول ارجعن خائبات خاسرات فضحك المنصور وقال بحقى عليك الا أخبرتنى وأعلمتنى بخبر هذه الرقاع فأعلمه وقال ما أتيت يا ابن معلم الخير الا كريما وتمثل بقول عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر

لسنا وان احسابنا كرمت * يوما على الاحساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا * تبنى ونفعل مثل مافعلوا

ثم تصفح الرقاع وقضى حوائجهم عن آخرها قال محمد فخرجت من عنده رقد ربحت وأربحت وقال المبرد أتانى رجل لاشفع له فى حاجة فأنشدنى لنفسه

انى قصدتك لا أدلى بمعرفة * ولا بقرب ولكن قد فشت نعمك
فبت حيران مكروبا يؤرقنى * ذل الغريب ويغشينى الكرى كرمك
مازلت أنكب حتى زلزلت قدمى * فاحتل لتثبيتها لازلزلت قدمك
فلو هممت بغير العرف ماعلقت * به يداك ولا انقادت له شيمك

قال فشفعت له وأنلته من الاحسان ماقدرت عليه وكتب رجل الى يحيى بن خالد رقعة فيها هذا البيت

شفيعى اليك الله لاشئ غيره * وليس الى رد الشفيع سبيل

فأمره بلزوم الدهليز فكان يعطيه كل يوم عند الصباح ألف درهم فلما استوفى ثلاثين ألفا ذهب الرجل فقال يحيى والله لو أقام الى آخر عمره ماقطعتها عنه شعر

وقد جئتكم بالمصطفى متشفعا * وماخاب من بالمصطفى يتشفع
الى باب مولانا رفعت ظلامتى * عسى الهم عنى والمصائب ترفع

وقال آخر

تشفع بالنبى فكل عبد * يجار اذا تشفع بالنبى
ولا تجزع اذا ضاقت أمور * فكم لله من لطف خفى

وروى أن جبريل عليه السلام قال يا محمد لو كانت عبادتنا لله تعالى على وجه الارض لعملنا ثلاث خصال سقى الماء للمسلمين واعانة أصحاب العيال وستر الذنوب على المسلمين اذا أذنبوا اللهم استر ذنوبنا واقض عنا تبعاتنا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السادس والعشرون فى الحياء والتواضع ولين الجانب وخفض الجناح وفيه

فصلان

(الفصل الاول في الحياء) قالت عائشة رضي الله تعالى عنها مكارم الاخلاق عشرة صدق الحديث وصدق اللسان وأداء الامانة وصلة الرحم والمكافأة بالصنيع وبذل المعروف وحفظ الذمام للجار وحفظ الذمام للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الايمان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ماشئت وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه وعن زيد بن علي عن آبائه يرفعونه من لم يستحي فهو كافر وقال أبو موسى الاشعري رضي الله عنه اني لادخل البيت المظلم أغتسل فيه من الجنابة فأحني فيه صلبي حياء من ربي وقال بعضهم الوجه المصون بالحياء كالجوهر المكنون في الوعاء وقال الخواص ان العباد عملوا على أربع منازل على الخوف والرجاء والتعظيم والحياء فأرفعها منزلة الحياء لما أيقنوا أن الله يراهم على كل حال قالوا سواء علينا رأيناه أو رآنا وكان الحاجز لهم عن معاصيه الحياء منه ويقال القناعة دليل الامانة والامانة دليل الشكر والشكر دليل الزيادة والزيادة دليل بقاء النعمة والحياء دليل الخير كله

(الفصل الثاني في التواضع ولين الجانب وخفض الجناح) قال الله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولافسادا والعاقبة للمتقين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل العبادة التواضع وقال صلى الله عليه وسلم لاترفعوني فوق قدري فتقولوا في ماقالت النصارى في المسيح فان الله عزوجل اتخذني عبدا قبل أن يتخذني رسولا وأتاه صلى الله عليه وسلم رجل وكلمه فأخذته رعدة فقال صلى الله عليه وسلم له هون عليك فاني لست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وكان صلى الله عليه وسلم يرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم في مهنة أهله ولم يكن متكبرا ولامتجبرا أشد الناس حياء وأكثرهم تواضعا وكان اذا حدث بشئ مما آتاه الله تعالى قال ولافخر وقال صلى الله عليه وسلم ان العفو لايزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله وان التواضع لايزيد العبد الارفعة فتواضعوا يرفعكم الله وان الصدقة لاتزيد المال الا نماء فتصدقوا يزدكم الله وقال عدي بن ارطاة لاياس بن معاوية انك لسريع المشية قال ذلك أبعد من الكبر وأسرع في الحاجة وخرج معاوية على ابن الزبير وابن عامر فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير فقال معاوية لابن عامر اجلس فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أحب أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار وقيل التواضع سلم الشرف ولبس مطرف بن عبد الله الصوف وجلس مع المساكين فقيل له في ذلك فقال ان أبي كان جبارا فأحببت أن أتواضع لربي لعله أن يخفف عن أبي تجبره وقال مجاهد ان الله تعالى لما أغرق قوم نوح شمخت الجبال وتواضع الجودي فرفعه فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال الله تعالى لموسى عليه السلام هل تعرف لم كلمتك من بين الناس قال لايارب قال لاني رأيتك

تمرغ بين يدى فى التراب تواضعا لى وقيل من رفع نفسه فوق قدره استجلب مقت الناس
وقال أبو مسلم صاحب الذخيرة ما تاه الا وضيع ولا فاخر الا لقيط وكل من تواضع لله رفعه الله
فسبحان من تواضع كل شئ لعز جبروت عظمته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والعشرون فى العجب والكبر والخيلاء وما أشبه ذلك)

اعلم أن الكبر والاعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وحسبك من رذيلة تمنع
من سماع النصح وقبول التاديب والكبر يكسب المقت ويمنع من التآلف قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه وقال الاحنف بن قيس ما تكبر
أحد الا من زلة يجدها فى نفسه ولم تزل الحكماء تتحامى الكبر وتأنف منه ونظر افلاطون
الى رجل جاهل معجب بنفسه فقال وددت أنى مثلك فى ظنك وأن أعدائى مثلك فى الحقيقة
ورأى رجل رجلا يختال فى مشيه فقال جعلنى الله مثلك فى نفسك ولا جعلنى مثلك فى نفسى
وقال الاحنف عجبت لمن جرى فى مجرى البول مرتين كيف يتكبر ومر بعض اولاد المهلب
بمالك بن دينار وهو يتبختر فى مشيه فقال له مالك يا بنى لو تركت هذه الخيلاء لكان أجمل بك
فقال أو ما تعرفنى قال اعرفك معرفة جيدة أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت
بين ذلك تحمل العذرة فأرخى الفتى رأسه وكف عما كان عليه وقالوا لا يدوم الملك مع الكبر
وحسبك من رذيلة تسلب الرياسة والسيادة وأعظم من ذلك أن الله تعالى حرم الجنة على
المتكبرين فقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا
فقرن الكبر بالفساد وقال تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق
قال بعض الحكماء ما رأيت متكبرا الا تحول ما بى يعنى أتكبر عليه واعلم أن الكبر يوجب
المقت ومن مقته رجاله لم يستقم حاله والعرب تجعل جذيمة الابرش غاية فى الكبر يقال انه
كان لا ينادم أحدا تكبرا ويقول انما ينادمنى الفرقدان وكان ابن عوانة من اقبح
الناس كبرا روى أنه قال لغلامه اسقنى ماء فقال نعم فقال انما يقول نعم من يقدر أن يقول
لا اصفعوه فصفع ودعا اكارا فكلمه فلما فرغ دعا بماء فتمضمض به استقذارا لمخاطبته
ويقال فلان وضع نفسه فى درجة لو سقط منها لتكسر قال الجاحظ المشهورون
بالكبر من قريش بنو مخزوم وبنو أمية ومن العرب بنو جعفر بن كلاب وبنو زرارة بن
عدى وأما الاكاسرة فكانوا لا يعدون الناس الا عبيدا وأنفسهم الا أربابا وقيل لرجل
من بنى عبد الدار ألا تأتى الخليفة فقال أخاف أن لا يحمل الجسر شرفى وقيل للحجاج
ابن ارطاة مالك لا تحضر الجماعة قال أخشى أن يزاحمنى البقالون وقيل أتى وائل بن حجر
الى النبى صلى الله عليه وسلم فاقطعه أرضا وقال لمعاوية اعرض هذه الارض عليه واكتبها
له فخرج معه معاوية فى هاجرة شديدة ومشى خلف ناقته فاحرقه حر الشمس فقال له
أردفنى خلفك على ناقتك قال لست من أرداف الملوك قال فاعطنى نعليك قال ما بخل يمنعنى
يا ابن أبى سفيان ولكن اكره أن يبلغ أقيال اليمن أنك لبست نعلى ولكن امش فى ظل ناقتى
فحسبك بها شرفا وقيل انه لحق زمن معاوية ودخل عليه فاقعده معه على السرير وحدثه

وقال المسرور بن هند لرجل أتعرفني قال لا قال أنا المسرور بن هند قال ما أعرفك قال فتعسا ونكسا لمن لم يعرف القمر وقال الشاعر

قولا لأحمق يلوي التيه أخدعه * لو كنت تعلم ما في التيه لم تته
التيه مفسدة للدين منقصة * للعقل مهلكة للعرض فانتبه

وقيل لا يتكبر الا كل وضيع ولا يتواضع الا كل رفيع والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والعشرون في الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت)

فمن شواهد المفاخرة قوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون نزلت في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعقبة بن أبي معيط وكانا تفاخرا وقوله تعالى أفمن يلقى في النار خير أمن يأتي آمنا يوم القيامة نزلت في أبي جهل وعمار بن ياسر والنسب الى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف الانساب وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وقد نفى الله تعالى الفخر بالانساب بقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فالفخر في الاسلام بالتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نبيكم واحد وان أباكم واحد وانه لا فضل لعربي على عجمي ولا لأحمر على أسود الا بالتقوى ألا هل بلغت وقال الاصمعي بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة اذ رأيت شابا متعلقا باستار الكعبة وهو يقول

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم * يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا * وأنت يا حي يا قيوم لم تنم
أدعوك ربي حزينا هائما قلقا * فارحم بكائي بحق البيت والحرم
ان كان جودك لا يرجوه ذو سفه * فمن يجود على العاصين بالكرم

ثم بكى بكاء شديدا وأنشد يقول

ألا أيها المقصود في كل حاجة * شكوت اليك الضر فارحم شكايتي
ألا يا رجائي أنت تكشف كربتي * فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي
أتيت بأعمال قباح رديئة * وما في الورى عبد جنى كجنايتي
أتحرقني بالنار يا غاية المنى * فأين رجائي ثم أين مخافتي

ثم سقط على الارض مغشيا عليه فدنوت منه فاذا هو زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين فرفعت رأسه في حجري وبكيت فقطرت دمعة من دموعي على خده ففتح عينيه وقال من هذا الذي يهجم علينا قلت عبيدك الاصمعي سيدي ما هذا البكاء والجزع وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أليس الله تعالى يقول انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فقال هيهات هيهات يا أصمعي ان الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا أليس الله تعالى يقول فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين

خسروا انفسهم فى جهنم خالدون والفخر وان نهت عنه الاخبار النبوية ومجته العقول الذكية الا أن العرب كانت تفتخر بما فيها من البيان طبعا الا تكلفا وجبلة لا تعلما ولم يكن لهم من ينطق بفضلهم الا هم ولا ينبه على مناقبهم سواهم وكان كعب بن زهير اذا أنشد شعرا قال لنفسه أحسنت وجاوزت والله الاحسان فيقال له أتحلف على شعرك فيقول نعم لانى أبصر به منكم وكان الكميت اذا قال قصيدة صنع لها خطبة فى الثناء عليها ويقول عند انشادها أى علم بين جنبى وأى لسان بين فكى وقال الجاحظ لولم يصف الطبيب مصالح دوائه للمعالجين ما وجد له طالب ولما أبدع ابن المقفع فى رسالته التى سماها باليتيمة تنزيها لها عن المثل سكنت من النفوس موضع ارادته من تعظيمها ولو لم ينحلها هذا الاسم لكانت كسائر رسائله وسنذكر فى هذا الباب ان شاء الله تعالى شيأ من نظم البلغاء ونثرهم فى الافتخار ومن تفاخر منهم بعون الله وفضله وتيسيره قال أبو بكر الهذلى سايرت المنصور فعرض لنا رجل على ناقة حمراء تطوى الفلاة وعليه جبة خز وعمامة عدنية وفى يده سوط يكاد يمس الارض فلما رآه المنصور أمرنى باحضاره فدعوته وسألته عن نسبه وبلاده وعن قومه وعشيرته وعن ولاة الصدقة فأحسن الجواب فأعجبه ما رأى منه فقال أنشدنى شعرا فانشده شعرا لأوس بن حجر وغيره من الشعراء من بنى عمرو بن تميم وحدثه حين أتى على بيت شعر لطريف بن تميم وهو قوله

ان الامور اذا أوردتها صدرت * ان الامور لها وردوا صدار

فقال ويحك ما كان طريف فيكم حيث قال هذا البيت قال كان اثقل العرب على عدوه وطأة وأقراهم لضيفه وأحوطهم من وراء جاره اجتمعت العرب بعكاظ فكلهم اقر له بهذه الخلال فقال له والله يا أخا بنى تميم لقد أحسنت اذ وصفت صاحبك ولكنى احق ببيته منه ومن شعر أبى الطمحان

وانى من القوم الذين هم هم * اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب * بدا كوكب تاوى اليه كواكبه
اضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
ومازال فيهم حيث كان مسود * تسير المنايا حيث سارت ركائبه

ولما قدم معاوية المدينة صعد المنبر فخطب وقال من ابن على رضى الله تعالى عنه فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله عز وجل لم يبعث بعثا الا جعل له عدوا من المجرمين فانا ابن على وأنت ابن صخر وأمك هند وأمى فاطمة وجدتك قيلة وجدتى خديجة فلعن الله ألأمنا حسبا وأخملنا ذكرا وأعظمنا كفرا وأشدنا نفاقا فصاح اهل المسجد آمين آمين فقطع معاوية خطبته ودخل منزله وروى أن معاوية خرج حاجا فمر بالمدينة ففرق على أهلها أموالا ولم يحضر الحسن بن على رضى الله عنهما فلما خرج من المدينة اعترضه الحسن بن على فقال له معاوية مرحبا برجل تركنا حتى نفد ما عندنا وتعرض لنا ليبخلنا فقال له الحسن ولم ينفد ما عندك وخراج الدنيا يجبى اليك فقال معاوية انى قد أمرت لك بمثل ما أمرت به لأهل المدينة وأنا ابن هند فقال الحسن قد زدته عليك وأنا ابن

فاطمة ودخل الحسين يوما على يزيد بن معاوية فجعل يزيد يفتخر ويقول نحن ونحن وانا من الفخر والشرف كذا وكذا والحسين ساكت فأذن المؤذن فلما قال أشهد أن محمدا رسول الله قال الحسين يا يزيد جدى من هذا فخجل يزيد ولم يرد جوابا وفى ذلك يقول على بن محمد بن جعفر

لقد فاخرتنا من قريش عصابة * بمط خدود وامتداد اصابع
فلما تنازعنا الفخار قضى لنا * عليهم بما نهوى نداء الصوامع
ترانا سكوتا والشهيد بفضلنا * عليهم جهير الصوت من كل جامع

وله أيضا

انى وقومى من أنساب قومهم * كمسجد الخيف من بحبوحة الخيف
ماعاق السيف منا بابن عاشرة * الا وهمته أمضى من السيف

وتفاخر العباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة وعلى بن أبى طالب فقال العباس أنا صاحب السقاية والقائم عليها وقال طلحة أنا خادم البيت ومعى مفتاحه فقال على ما أدرى ما تقولان أنا صليت الى هذه القبلة قبلكما بستة أشهر فنزلت أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر الآية وتفاخر رجلان على عهد موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة آباء مشركين فقال الآخر أنا ابن فلان ولولا أنه مسلم ماذكرته فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام أما الذى عد تسعة آباء مشركين فحق على الله أن يجعل عاشرهم فى النار والذى انتسب الى أب مسلم فحق على الله أن يجعله مع أبيه المسلم فى الجنة قال سلمان الفارسى

أبى الاسلام لا أب لى سواه * اذا افتخروا بقيس أو تميم

وتفاخر جرير والفرزدق عند سليمان بن عبد الملك فقال الفرزدق أنا ابن محيي الموتى فأنكر سليمان قوله فقال يا أمير المؤمنين قال الله تعالى ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا وجدى فدى الموؤدات فاستحياهن فقال سليمان انك مع شعرك لفقيه وكان صعصعة جد الفرزدق أول من فدى الموؤدات وللعباس بن عبد المطلب

ان القبائل من قريش كلها * ليرون انا هام أهل الابطح
وترى لنا فضلا على ساداتها * فضل المنار على الطريق الاوضح

وكتب الحكم بن عبد الرحمن المروانى من الاندلس الى صاحب مصر يفتخر

ألسنا بنى مروان كيف تبدلت * بنا الحال أو دارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

وكتب اليه كتابا يهجوه فيه ويسبه فكتب اليه صاحب مصر أما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لاجبناك والسلام وكان أبو العباس السفاح يعجبه السمر ومنازعة الرجال بعضهم بعضا فحضر عنده ذات ليلة ابراهيم بن مخرمة الكندى وخالد بن صفوان بن الاهتم فخاضوا فى الحديث وتذاكروا مضر واليمن فقال ابراهيم بن مخرمة يا أمير المؤمنين ان أهل اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا ولم يزالوا ملوكا ورثوا الملك كابرا عن كابر وآخرا عن

أول منهم النعمان والمنذر ومنهم عياض صاحب البحرين ومنهم من كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس من شئ له خطر الا اليهم ينسب ان سئلوا أعطوا وان نزل بهم ضيف قروه فهم العرب العاربة وغيرهم المتعربة فقال أبو العباس ما أظن التميمى رضى بقولك ثم قال ما تقول أنت يا خالد قال ان أذن لى أمير المؤمنين فى الكلام تكلمت قال تكلم ولا تهب أحدا قال أخطأ المقتحم بغير علم ونطق بغير صواب وكيف يكون ذلك لقوم ليس لهم ألسن فصيحة ولا لغة صحيحة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة يفتخرون علينا بالنعمان والمنذر ونفتخر عليهم بخير الانام وأكرم الكرام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فلله المنة به علينا وعليهم فمنا النبى المصطفى والخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور وزمزم والحطيم والمقام والحجابة والبطحاء ومالا يحصى من المآثر ومنا الصديق والفاروق وذو النورين والرضا والولى وأسد الله وسيد الشهداء وبنا عرفوا الدين وأتاهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم أقبل خالد على ابراهيم فقال ألك علم بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين عندكم قال الجمجمة قال فما اسم السن قال الميدن قال فما اسم الاذن قال الصنارة قال فما اسم الاصابع قال الشناتير قال فما اسم الذئب قال الكنع قال أفعالم أنت بكتاب الله عز وجل قال نعم قال فان الله تعالى يقول انا أنزلناه قرآنا عربيا وقال تعالى بلسان عربى مبين وقال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه فنحن العرب والقرآن بلساننا أنزل ألم تر أن الله تعالى قال والعين بالعين ولم يقل والجمجمة بالجمجمة وقال تعالى والسن بالسن ولم يقل والميدن بالميدن وقال تعالى والاذن بالاذن ولم يقل والصنارة بالصنارة وقال تعالى يجعلون أصابعهم فى آذانهم ولم يقل شناتيرهم فى صناراتهم وقال تعالى فأكله الذئب ولم يقل فأكله الكنع ثم قال لابراهيم انى أسألك عن أربع ان أقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول منا أو منكم قال منكم قال فالقرآن أنزل علينا أو عليكم قال عليكم قال فالمنبر فينا أو فيكم قال فيكم قال فالبيت لنا أو لكم قال لكم قال فاذهب فما كان بعد هؤلاء فهو لكم بل ما أنتم الا سائس قرد أو دابغ جلد أو ناسج برد قال فضحك أبو العباس وأقر لخالد وحباهما جميعا وقال بشار بن برد يفتخر

اذا نحن صلنا صولة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما
اذا ما أعرنا سيدا من قبيلة * ذرا منبر صلى علينا وسلما

وقال السموأل بن عادياء

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل
تعيرنا أنا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياه مثلنا * شباب تسامى للعلا وكهول
وما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل
لنا جبل يحتله من نجيره * منيع يرد الطرف وهو كليل

رسا أصله تحت الثرى وسما به * الى النجم فرع لايزال طويل
وانا أناس لانرى القتل سبة * اذا مارأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد حتف أنفه * ولا ضل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظبات نفوسنا * وليست على غير الظبات تسيل
ونحن كماء المزن مافى نصابنا * كهام ولافينا يعد بخيل
وننكران شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول
اذا سيد منا خلا قام سيد * قوول بما قال الكرام فعول
وما خمدت نار لنا دون طارق * ولا ذمنا فى النازلين نزيل
وأيامنا مشهورة فى عدونا * لها غرر مشهورة وحجول
وأسيافنا فى كل شرق ومغرب * بها من قراع الدارعين فلول
معودة أن لاتسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل
سلى ان جهلت الناس عنا وعنهم * فليس سواء عالم وجهول
فان بنى الريان قطب لقومهم * تدور رحاهم حولهم وتجول

ولما قدم وفد تميم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم خطيبهم وشاعرهم خطب خطيبهم فافتخر فلما سكت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس أن يخطب بمعنى ماخطب به خطيبهم فخطب ثابت بن قيس فأحسن ثم قام شاعرهم وهو الزبرقان بن بدر فقال

نحن الملوك فلاحى يقاخرنا * فينا العلاء وفينا تنصب البيع
ونحن نطعمهم فى القحط ما اكلوا * من العبيط اذا لم يونس القزع
وننحر الكوم عبطا فى أرومتنا * للنازلين اذا ما أنزلوا شبعوا
تلك المكارم حزناها مقارعة * اذا الكرام على أمثالها اقترعوا

ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت قم فقام فقال

ان الذوائب من فهر واخوتهم * قد بينوا سننا للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته * تقوى الاله وبالامر الذى شرعوا
قوم اذا حاربوا اضروا عدوهم * أوحاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع
لو كان فى الناس سباقون بعدهم * فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
لايرفع الناس ما أوهت أكفهم * عند الدفاع ولايوهون مارفعوا
ولا يضنون عن جار بفضلهم * ولا يمسهم فى مطمع طمع
خذ منهم ما أتوا عفوا اذا عطفوا * ولا يكن همك الامر الذى منعوا
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم * اذا تفرقت الاهواء والشيع

فقال التميميون عند ذلك وربكم ان خطيب القوم أخطب من خطيبنا وان شاعرهم أشعر

من شاعرنا وما انتصفنا ولا قاربنا وقال شاعر من بني تميم

أيبغي آل شداد علينا * وما يرغي لشداد فصيل
فان تغمد منا صلتا تجدها * غلاظا في أنامل من يصول

وقال سالم بن أبي وابصة

عليك بالقصد فيما أنت فاعله * ان التخلق يأتي دونه الخلق
وموقف مثل حد السيف قمت به * أحمي الذمار وترميني به الحدق
فما زلقت ولا أبديت فاحشة * اذا الرجال على أمثالها زلقوا

(وأما التفاضل والتفاوت)

فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نظر لخالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل قال يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي لانهما كانا من خيار الصحابة وأبواهما أعدى عدو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ومن كلام علي رضي الله عنه لمعاوية رضي الله عنه أما قولك انا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبي طالب وقال أحمد بن سهل الرجال ثلاثة سابق ولاحق وماحق فالسابق الذي سبق بفضله واللاحق الذي لحق بأبيه في شرفه والماحق الذي محق شرف آبائه * وقيل ان عائشة بنت عثمان كفلت أبا الزناد صاحب الحديث وأشعب الطماع وربتهما قال أشعب فكنت اسفل وكان يعلو حتى بلغنا الى ما ترى وقال ابو العوادل زكريا بن هرون

علي وعبد الله بينهما أب * وشتان ما بين الطبائع والفعل
ألم تر عبد الله يلحى على الندا * عليا ويلحاه علي على البخل

وجه أبو الاسود الدؤلي بامرأته وكانت شابة جميلة فعرض لها عمر بن أبي ربيعة فغازلها فاخبرت أبا الاسود فأتاه فقال

واني اينها لي من الجهل والخنا * وعن شتم أقوام خلائق أربع
حياء واسلام وتقوى وأنني * كريم ومثلي من يضر وينفع
فشتان ما بيني وبينك انني * على كل حال أستقيم وتضلع

وقال ربيعة البرقي

لشتان ما بين اليزيدين في الندا * يزيد سليم والاغر بن حاتم
يزيد سليم سالم المال والفتى * فتى الازد للاموال غير مسالم
فهم الفتى الازدي اتلاف ماله * وهم الفتى القيسي جمع الدراهم
فلا يحسب القيسي أني هجوته * ولكنني فضلت أهل المكارم

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في أخيه الحسين

يقول أنا الكبير فعظموني * ألا ثكلتك أمك من كبير
اذا كان الصغير أعم نفعا * وأجلد عند نائبة الامور
ولم يأت الكبير بيوم خير * فما فضل الكبير على الصغير

والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب التاسع والعشرون فى الشرف والسودد وعلو الهمة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رزقه الله مالا فبذل معروفه وكف أذاه فذلك السيد وقيل لقيس بن عاصم بم سدت قومك قال لم أخاصم أحدا الا تركت للصلح موضعا وقال سعيد ابن العاص ماشاتمت رجلا مذ كنت رجلا لانى لم أشاتم الا أحد رجلين اما كريم فأنا أحق أن أجله واما لئيم فأنا أولى أن أرفع نفسى عنه وقالوا من نعت السيد أن يكون ملء العين جمالا والسمع مقالا وقيل قدم وفد من العرب على معاوية وفيهم الاحنف بن قيس فقال الحاجب ان أمير المؤمنين يعزم عليكم أن لا يتكلم منكم أحد الا لنفسه فلما وصلوا اليه قال الاحنف لولا عزم أمير المؤمنين لأخبرته أن رادفة ردفت ونازلة نزلت ونائبة نابت والكل بهم حاجة الى المعروف من أمير المؤمنين فقال له معاوية حسبك يا أبا بحر فقد كفيت الشاهد والغائب وقال رجل للاحنف بم سدت قومك وما أنت بأشرفهم بيتا ولا أصبحهم وجها ولا أحسنهم خلقا فقال بخلاف مافيك قال وماذاك قال تركى من امرك مالا يعنينى كما عناك من أمرى مالا يعنيك وقيل السيد من يكون للاولياء كالغيث الغادى وعلى الاعداء كالليث العادى وكان سبب ارتفاع عرابة الاوسى وسودده أنه قدم من سفر فجمعه والشماخ بن ضرار المزنى الطريق فتحادثا فقال له عرابة ما الذى أقدمك المدينة ياشماخ قال قدمتها لامتار منها فملأ له عرابة رواحله برا وتمرا وأتحفه بتحف غير ذلك فأنشد يقول

رأيت عرابة الاوسى يسمو * الى الخيرات منقطع القرين

اذا ما راية رفعت بمجد * تلقاها عرابة باليمين

(وأما علو الهمة فهو أصل الرياسة)

فمن علت همته وشرفت نفسه عمارة بن حمزة قيل انه دخل يوما على المنصور وقعد فى مجلسه فقام رجل وقال مظلوم يا أمير المؤمنين قال من ظلمك قال عمارة بن حمزة غصبنى ضيعتى فقال المنصور ياعمارة قم فاقعد مع خصمك فقال ماهو لى بخصم ان كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها وان كانت لى فقد وهبتها له ولا أقوم من مقام شرفنى به أمير المؤمنين ورفعنى وأقعد فى أدنى منه لاجل ضيعة وتحدث السفاح هو وأم سلمة يوما فى نزاهة نفس عمارة وكبره فقالت له ادع به وأنا أهب له سبحتى هذه فان ثمنها خمسون ألف دينار فان هو قبلها علمنا أنه غير نزه النفس فوجه اليه فحضر فحادثته ساعة ثم رمت اليه بالسبحة وقالت هى من الطرف وهى لك فجعلها عمارة بين يديه ثم قام وتركها فقالت لعله نسيها فبعثت بها اليه مع خادم فقال للخادم هى لك فرجع الخادم فقال قد وهبها لى فأعطت أم سلمة للخادم ألف دينار واستعادتها منه وأهدى عبيد الله بن السرى الى عبد الله بن طاهر لما ولى مصر مائة وصيف مع كل وصيف ألف دينار ووجه اليه بذلك ليلا فرده وكتب اليه لو قبلت هديتك ليلا لقبلتها نهارا وما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون وكان سبب فتح المعتصم عمورية أن امرأة من الثغر سبيت فنادت وامحمداه وامعتصماه فبلغه الخبر فركب لوقته وتبعه الجيش فلما فتحها قال لبيك أيتها المنادية وكان سعيد بن عمرو بن العاص

ذا نخوة وهمة قيل له فى مرضه ان المريض يستريح الى الانين والى شرح ما به الى الطبيب فقال أما الانين فهو جزع وعار والله لا يسمع الله منى أنينا فأكون عنده جزوعا وأما وصف ما بى الى الطبيب فوالله لا يحكم غير الله فى نفسى ان شاء أمسكها وان شاء قبضها ومن كبر النفس ما روى عن قيس بن زهير أنه أصابته الفاقة واحتاج فكان يأكل الحنظل حتى قتله ولم يخبر أحدا بحاجته ومن الشرف والرياسة حفظ الجوار وحمى الذمار وكانت العرب ترى ذلك دينا تدعو اليه وحقا واجبا تحافظ عليه وكان أبو سفيان بن حرب اذا نزل به جار قال يا هذا انك اخترتنى جارا واخترت دارى دارا فجناية يدك على دونك وان جنت عليك يد فاحتكم حكم الصبى على أهله وكان الفرزدق يجير من عاذ بقبر أبيه غالب ابن صعصعة فمن استجار بقبر أبيه فأجاره امرأة من بنى جعفر بن كلاب خافت لما هجا الفرزدق بنى جعفر أن يسميها أو ينسبها فعاذت بقبر أبيه فلم يذكر لها اسما ولا نسبا ولكن قال

عجوز تصلى الخمس عاذت بغالب * فلا والذى عاذت به لا أضيرها

وقال مروان بن أبى حفصة

هم يمنعون الجار حتى كأنما * لجارهم بين السماكين منزل

وقال ابن نباتة

ولو يكون سواد الشعر فى ذمم * ما كان للشيب سلطان على اللمم

وقيل ان الحجاج أخذ يزيد بن المهلب بن أبى صفرة وعذبه واستأصل موجوده وسجنه فتوصل يزيد بحسن تلطفه وأرغب السجان واستماله وهرب هو والسجان وقصدا الشام الى سليمان بن عبد الملك بن مروان وكان الخليفة فى ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك فلما وصل يزيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن اليه وأقامه عنده فكتب الحجاج الى الوليد يعلمه أن يزيد هرب من السجن وأنه عند سليمان بن عبد الملك أخى أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين وان أمير المؤمنين أعلى رأيا فكتب الوليد الى أخيه سليمان بذلك فكتب سليمان الى أخيه يقول يا أمير المؤمنين انى ما أجرت يزيد بن المهلب الا لانه هو وأبوه واخوته من صنائعنا قديما وحديثا ولم أجر عدوا لامير المؤمنين وقد كان الحجاج قصده وعذبه وأغرمه أربعة آلاف ألف درهم ظلما ثم طالبه بعدها بثلاثة آلاف ألف درهم وقد صار الى واستجار بى فأجرته وأنا أغرم عنه هذه الثلاثة آلاف ألف درهم فان رأى أمير المؤمنين أن لا يخزينى فى ضيفى فليفعل فانه أهل الفضل والكرم فكتب اليه الوليد أنه لا بد أن ترسل الى يزيد مغلولا مقيدا فلما ورد ذلك على سليمان أحضر ولده أيوب فقيده ودعا يزيد بن المهلب فقيده ثم شد قيد هذا الى قيد هذا بسلسلة وغلهما جميعا بغلين وأرسلهما الى أخيه الوليد وكتب اليه أما بعد يا أمير المؤمنين فقد وجهت اليك يزيد وابن أخيك أيوب بن سليمان ولقد هممت أن أكون ثالثهما فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبالله عليك ابدأ بأيوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلنى اذا شئت ثالثا والسلام فلما دخل يزيد بن المهلب وأيوب بن سليمان فى سلسلة واحدة اطرق الوليد استحياء وقال

لقد أسأنا الى أبي ايوب اذ بلغنابه هذا المبلغ فأخذ يزيد ليتكلم ويحتج لنفسه فقال له الوليد مايحتاج الى كلام فقد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج ثم انه أحضر حدادا وأزال عنهما الحديد وأحسن اليهما ووصل أيوب ابن أخيه بثلاثين ألف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين ألف درهم وردهما الى سليمان وكتب كتابا الى الحجاج يقول له لاسبيل لك على يزيد بن المهلب فاياك أن تعاودني فيه بعد اليوم فسار يزيد الى سليمان بن عبد الملك وأقام عنده في أعلى المراتب وأرفع المنازل * وحكى أن رجلا من الشيعة كان يسعى في فساد الدولة فجعل المهدي لمن دل عليه أو أتى به مائة ألف درهم فاخذه رجل من بغداد فأيس من نفسه فمر به معن بن زائدة فقال له يا أبا الوليد أجرني أجارك الله فقال معن للرجل مالك وماله فقال ان أمير المؤمنين طالبه قال خل سبيله قال لا أفعل فامر معن غلمانه فاخذوه غصبا وأردفه بعضهم خلفه ومضى الرجل فاخبر أمير المؤمنين المهدي بالقصة فارسل خلف معن فاحضره فلما دخل عليه قال له يا معن أتجير علي قال نعم يا أمير المؤمنين قتلت في يوم واحد في طاعتكم خمسة آلاف رجل هذا مع أيام كثيرة تقدمت فيها طاعتي أفما ترونني أهلا أن تجيروا الي رجلا واحدا استجار بي فاستحيا المهدي وأطرق طويلا ثم رفع رأسه وقال قد أجرنا من أجرت يا أبا الوليد قال ان رأى أمير المؤمنين أن يصل من استجار بي فيكون قد أجاره وحباه قال قد أمرت له بخمسين ألف درهم فقال معن يا أمير المؤمنين ينبغي أن تكون صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية وان ذنب الرجل عظيم فان رأى أمير المؤمنين أن يجزل صلته فليفعل قال قد أمرت له بمائة ألف درهم فرجع معن الى منزله ودعا بالرجل ودفع له المال ووعظه وقال له لاتتعرض لمساخط الخلفاء * وكان جعفر بن أبي طالب يقول لابيه يا أبت اني لاستحي أن أطعم طعاما وجيراني لايقدرون على مثله فكان أبوه يقول اني لارجو أن يكون فيك خلف من عبد المطلب * وسقط الجراد قريبا من بيت بعض العرب فجاء أهل الحي فقالوا نريد جارك فقال أما اذ جعلتموه جاري فوالله لاتصلون اليه وأجاره حتى طار فسمي مجير الجراد وقيل هو أبو حنبل والحكايات في معنى ذلك كثيرة والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثلاثون في الخير والصلاح وذكر السادة الصحابة وذكر الاولياء والصالحين رضي الله عنهم أجمعين

اعلم أن أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين وفضائلهم أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر واني والله أحبهم وأحب من يحبهم وأسأل الله أن يميتني على محبة نبي محمد صلى الله عليه وسلم ومحبتهم وأن يحشرنا في زمرتهم وتحت ألويتهم انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير (شعر)

اني أحب أبا حفص وشيعته * كما أحب عتيقا صاحب الغار
وقد رضيت عليا قدوة علما * وما رضيت بقتل الشيخ في الدار
كل الصحابة ساداتي ومعتقدي * فهل علي بهذا القول من عار

وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم

اليوم صائما فقال أبو بكر أنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أطعم اليوم منكم مسكينا فقال أبو بكر أنا قال فمن عاد منكم اليوم مريضا قال أبو بكر أنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمعن في أحد الا دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لو كان بعدي نبي لكان عمر وقال له النبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثني بالحق بشيرا ما سلكت واديا الا سلك الشيطان واديا غيره ولما أسلم رضي الله عنه قال يا رسول الله ألسنا على الحق قال بلى قال والذي بعثك بالحق نبيا لا نعبد الله سرا بعد هذا اليوم ولما قدم عمر رضي الله عنه الشأم وقف على طور سيناء فأرسل البطريق عظيمهم وقال انظر الى ملك العرب فرآه على فرس وعليه جبة صوف مرقعة مستقبل الشمس بوجهه ومخلاته في قربوس السرج وعمر يدخل يده فيها ويخرج فلق خبز يابس يمسحها من التبن ويلوكها فوصفه للبطريق فقال لا نرى بمحاربة هذا طاقة اعطوه ما شاء * وأما أمير المؤمنين عثمان رضي الله تعالى عنه ففضائله كثيرة ومناقبه شهيرة فهو جامع القرآن ومن استحيت منه ملائكة الرحمن رضي الله عنه وقال جميع بن عمير دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت لها أخبريني من كان أحب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة قلت انما أسألك عن الرجال قالت زوجها فوالله لقد كان صواما قواما ولقد سالت نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده فردها الى فيه قلت فما حملك على ما كان فأرسلت خمارها على وجهها وبكت وقالت أمر قضي علي وقال معاوية لضرار بن حمزة الكناني صف لي عليا فاستعفى فالح عليه فقال أما اذن فلا بد انه والله كان بعيد المدى شديد القوى يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقلب كفه ويعاتب نفسه يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن وكان والله يجيبنا اذا سألناه ويأتينا اذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله فاشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ الخائف ويبكي بكاء الحزين فكأني الآن اسمعه يقول يا دنيا الي تعرضت أم الي تشوقت هيهات هيهات غري غيري لقد أبنتك ثلاثا لا رجعة لي فيك فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير آه من قلة الزاد ووحشة الطريق قال فوكفت دموع معاوية حتى ما يملكها على لحيته وهو يمسحها وقد اختنق القوم بالبكاء وقال رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال حزني عليه والله حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا تسكن حيرتها ثم قام فخرج * وقيل أول من سل سيفا في سبيل الله تعالى الزبير بن العوام رضي الله عنه وذلك أنه صاح على اهل مكة ليلا صائح فقال قتل محمد فخرج متجردا وسيفه معه صلتا فلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا زبير قال سمعت انك قتلت قال فماذا أردت أن تصنع قال أردت والله أن استعرض أهل مكة وروي اخبط بسيفي من قدرت عليه فضمه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه واعطاه ازاره فاستتر به وقال له أنت حواريي ودعا له قال الاوزاعي كان للزبير ألف مملوك يؤدون الضريبة لا يدخل بيت ماله منها درهم بل كان يتصدق بها وباع داره بستمائة ألف

درهم فقيل له يا أبا عبد الله غبنت قال كلا والله انى لم أغبن اشهدكم انها فى سبيل الله تعالى وهبط جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقال من حملك على ظهره وكان حمله على ظهره طلحة حتى استقل على الصخرة قال طلحة قال اقرئه السلام واعلمه انى لا اراه يوم القيامة فى هول من أهوالها الا استنقذته منه من هذا الذى عن يمينك قال المقداد بن الاسود قال ان الله يحبه ويأمرك أن تحبه من هذا الذى بين يديك يتقى عنك قال عمار بن ياسر قال بشره بالجنة حرمت النار على عمار ومر أبو ذر على النبى صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل عليه السلام فى صورة دحية الكلبى فلم يسلم فقال جبريل هذا أبو ذر لو سلم لرددنا عليه فقال أتعرفه يا جبريل قال والذى بعثك بالحق نبيا لهو فى ملكوت السموات السبع أشهر منه فى الارض قال بم نال هذه المنزلة قال بزهده فى هذه الحطام الفانية وقال ابن عمر رضى الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن الف بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض الآية وقال أبو بكر السفاح لابى بكر الهذلى بم بلغ الحسن ما بلغ قال جمع كتاب الله تعالى وهو ابن اثنى عشرة سنة لم يجاوز سورة الى غيرها حتى يعرف تأويلها ولم يقلب درهما قط فى تجارة ولم يل عملا لسلطان ولم يأمر بشئ حتى يفعله ولم ينه عن شئ حتى يدعه قال السفاح بهذا بلغ وقال الجاحظ كان الحسن يستثنى من كل غاية فيقال فلان أزهد الناس الا الحسن وأفقه الناس الا الحسن وأفصح الناس الا الحسن وأخطب الناس الا الحسن وقال بعضهم كان عمر بن عبد العزيز ازهد من أويس لان عمر ملك الدنيا فزهد فيها وأويس لم يملكها فقيل لو ملكها لفعل كما فعل عمر فقال ليس من لم يجرب كمن جرب وقال انس فى ثابت البنانى ان للخير مفاتيح وان ثابتا من مفاتيح الخير وكان حبيب الفارسى من أخيار الناس وهو الذى اشترى نفسه من ربه أربع مرات باربعين ألفا كان يخرج البدرة فيقول يارب اشتريت نفسى منك بهذه ثم يتصدق بها وكان أيوب السختيانى من أزهد الناس وأورعهم ذكر عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى فقال رحم الله أيوب لقد شهدت منه مقاما عند منبر النبى صلى الله عليه وسلم لا أذكر ذلك المقام الا اقشعر جلدى وقال سفيان الثورى جهدت جهدى على أن أكون فى السنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن المبارك فلم أقدر وكان الخليل بن أحمد النحوى من أزهد الناس وأعلاهم نفسا وكان الملوك يقصدونه ويبذلون له الاموال فلا يقبل منها شيأ وكان يحج سنة ويغزو سنة حتى مات رحمه الله وقال ابن خارجة جالست ابن عون عشرين سنة فما أظن الملكين كتبا عليه شيأ وروى أنه غسل كرز بن وبرة فلم يوجد على جسده مثقال لحم وعن محمد بن الحسن قال كان أبو حنيفة واحد زمانه لو انشقت عنه الارض لانشقت عن جبل من الجبال فى العلم والكرم والزهد والورع وحج وكيع بن الجراح أربعين حجة ورابط فى عبادان أربعين ليلة وختم بها القرآن أربعين ختمة وتصدق باربعين ألفا وروى أربعة آلاف حديث وما رؤى واضعا جنبه قط ووقف عمر بن عبد العزيز على عطاء بن أبى رباح وهو أسود مفلفل الشعر يفتى الناس فى الحلال والحرام فتمثل يقول * تلك المكارم لا قعبان من لبن * ومن مشايخ الرسالة رضوان الله عليهم أجمعين سيدى أبو عبد الله محمد بن اسمعيل المغربى استاذ ابراهيم بن شيبان كان عجيب الشان لم يأكل مما وصلت اليه أيدى بنى آدم سنين كثيرة وكان

أكله من أصول العشب شيأ تعود أكله * ومنهم سيدى فتح بن شحرف بن داود يكنى أبا نصر
من الزاهدين الورعين لم يأكل الخبز ثلاثين سنة قال أحمد بن عبد الجبار سمعت أبى يقول
صحبت فتح بن شحرف ثلاثين سنة فلم أره رفع رأسه الى السماء ثم رفعها يوما فقال طال
شوقى اليك فعجل قدومى عليك وقال محمد بن جعفر سمعت انسانا يقول غسلنا فتح بن شحرف
فرأينا مكتوبا على فخذه لا اله الا الله فتوهمناه مكتوبا واذا هو عرق داخل الجلد ومات
ببغداد فصلى عليه ثلاثا وثلاثين مرة أقل قوم كانوا يصلون عليه كانوا نحوا من خمسة
وعشرين ألفا الى ثلاثين ألفا * ومنهم سيدى فتح بن سعيد الموصلى يكنى أبا نصر
من أقران بشر الحافى وسرى السقطى كبير الشأن فى باب الورع والمجاهدات قال
ابراهيم بن نوح الموصلى رجع فتح الموصلى الى أهله بعد صلاة العتمة وكان صائما فقال عشونى
فقالوا ما عندنا شئ نعشيك به فقال مابالكم جلوس فى الظلمة فقالوا ما عندنا شئ
نسرج به فجعل يبكى من الفرح ويقول الهى مثلى يترك بلا عشاء ولا سراج بأى يد كانت
منى فما زال يبكى الى الصباح وقال فتح رأيت بالبادية غلاما لم يبلغ الحلم وهو يمشى وحده
ويحرك شفتيه فسلمت عليه فرد على السلام فقلت الى أين فقال الى بيت ربى عز وجل فقلت
بماذا تحرك شفتيك قال أتلو كلام ربى فقلت انه لم يجر عليك قلم التكليف قال رأيت الموت
يأخذ من هو أصغر سنا منى فقلت خطاك قصيرة وطريقك بعيدة فقال انما على نقل الخطا
وعليه البلاغ فقلت أين الزاد والراحلة قال زادى يقينى ورواحلى رجلاى فقلت أسألك عن
الخبز والماء قال يا عماه أرأيت لو دعاك مخلوق الى منزله أكان يجمل بك أن تحمل زادك الى منزله
قلت لا فقال ان سيدى دعا عباده الى بيته وأذن لهم فى زيارته فحملهم ضعف يقينهم على حمل
أزوادهم وانى استقبحت ذلك فحفظت الادب معه أفتراه يضيعنى فقلت حاشا وكلا ثم غاب عن
بصرى فلم أره الا بمكة فلما رآنى قال أنت أيها الشيخ بعد على ذلك الضعف من اليقين * ومنهم
سيدى أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الحيرى صحب شاه الكرمانى ويحيى بن معاذ الرازى
وكان يقال فى الدنيا ثلاثة لا رابع لهم أبو عثمان الحيرى بنيسابور والجنيد ببغداد وأبو
عبد الله الجلاء بالشام ومن كلامه لا يكمل الرجل حتى يستوى فى قلبه اربعة أشياء المنع
والعطاء والعز والذل وقال منذ أربعين سنة ما أقامنى الله تعالى فى حال فكرهته ولا نقلنى الى
شئ فسخطته * ومنهم سيدى سليمان الخواص يكنى أبا تراب كان أحد الزهاد المعروفين والعباد
الموصوفين سكن الشام ودخل بيروت وكان أكثر مقامه ببيت المقدس قيل اجتمع
حذيفة المرعشى وابراهيم بن أدهم ويوسف بن اسباط فتذاكروا الفقر والغنى وسليمان ساكت
فقال بعضهم الغنى من كان له بيت يسكنه وثوب يستره وسداد من عيش يكفه عن فضول
الدنيا وقال بعضهم الغنى من لم يحتج الى الناس فقيل لسليمان ما تقول أنت فى ذلك فبكى
وقال رأيت جوامع الغنى فى التوكل ورأيت جوامع الفقر فى القنوط والغنى حق الغنى
من أسكن الله فى قلبه من غناه يقينا ومن معرفته توكلا ومن قسمته رضا فذلك الغنى حق
الغنى وان أمسى طاويا وأصبح معوزا فبكى القوم من كلامه * ومنهم سيدى أبو سليمان
ابن عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الدارانى أحد رجال الطريقة قدس الله سره كان من

أجل السادات وأرباب الجد فى المجاهدات ومن كلامه من أحسن فى نهاره كفى فى ليله ومن أحسن فى ليله كفى فى نهاره ومن صدق فى ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه والله تعالى أكرم من أن يعذب قلبا بشهوة تركت له وقال لكل شئ علامة وعلامة الخذلان ترك البكاء وقال لكل شئ صدأ وصدأ نور القلب شبع البطن وقال أحمد بن أبى الحوارى شكوت الى أبى سليمان الوسواس فقال اذا أردت أن ينقطع عنك فاى وقت أحسست به فافرح فانك اذا فرحت به انقطع عنك لانه لا شئ أبغض الى الشيطان من سرور المؤمن واذا اغتممت به زادك وقال ذو النون المصرى رحمه الله تعالى اجتمعوا البلاء على أبى سليمان الدارانى فسمعوه يقول يارب ان طالبتنى بسريرتى طالبتك بتوحيدك وان طالبتنى بذنوبى طالبتك بكرمك وان جعلتنى من اهل النار اخبرت اهل النار بحبى اياك وقال على بن الحسين الحداد سألت ابا سليمان باى شئ تعرف الابرار قال بكتمان المصائب وصيانة الكرامات وروى عنه انه قال نمت ليلة عن وردى فاذا حوراء تقول لى أتنام وانا اربى لك فى الخدور منذ خمسمائة عام * ومنهم سيدى ابو محمد عبد الله بن حنيف من زهاد المتصوفة كوفى الاصل ولكنه سكن انطاكية ومن كلامه لا تغتم الا من شئ يضرك غدا ولا تفرح الا بشئ يسرك غدا وله كرامات ظاهرة وبركات متواترة * ومنهم سيدى ابو عبد الله محمد بن يوسف البناء اصبهانى الاصل كتب عن ستمائة شيخ ثم غلب عليه الانفراد والخلوة الى ان خرج الى مكة بشرط التصوف وقطع البادية على التجريد وكان فى ابتداء امره يكسب فى كل يوم ثلاثة دراهم وثلثا فيأخذ من ذلك لنفسه دانقا ويتصدق بالباقى ويختم مع العمل كل يوم ختمة فاذا صلى العتمة فى مسجده خرج الى الجبل الى قريب الصبح ثم يرجع الى العمل وكان يقول فى الجبل يارب اما ان تهب لى معرفتك او تامر الجبل ان ينطبق على فانى لا اريد الحياة بلا معرفتك * ومنهم سيدى يحيى بن معاذ الرازى قدس الله سره يكنى ابا زكرياء احد رجال الطريق كان اوحد وقته ومن كلامه لا تكن ممن يفضحه يوم موته ميراثه ويوم حشره ميزانه وقال ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال ان لم تنفعه فلا تضره وان لم تسره فلا تغمه وان لم تمدحه فلا تذمه وقال الصبر على الخلوة من علامات الاخلاص وقال بئس الصديق صديق يحتاج الى ان يقال له اذكرنى فى دعائك وقال على قدر حبك لله يحبك الخلق وعلى قدر خوفك من الله تهابك الخلق وعلى قدر شغلك بالله تشتغل فى امرك الخلق وقال من كان غناه فى كيسه لم يزل فقيرا ومن كان غناه فى قلبه لم يزل غنيا ومن قصد بحوائجه المخلوقين لم يزل محروما وروى انه قدم شيراز فجلس يتكلم على الناس فى علم الاسرار فاتته امرأة من نسائها فقالت كم تريد ان تاخذ من هذه البلدة قال ثلاثون الفا اصرفها فى دين على بخراسان فقالت لك على ذلك على ان تاخذها وتخرج من ساعتك فرضى بذلك فحملت اليه المال فخرج من الغد فعوتبت تلك المرأة فيما فعلت فقالت انه كان يظهر اسرار أولياء الله تعالى للسوقة والعامة فغرت على ذلك * ومنهم سيدى يوسف بن الحسين الرازى يكنى ابا يعقوب كان وحيد وقته فى اسقاط التصنع عالما أديبا صحب ذا النون المصرى وابا تراب النخشبى ومن كلامه اذا اردت ان تعلم العاقل من الاحمق فحدثه بالمحال فان قبل فاعلم انه احمق وقال اذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم

انه لا يجيء منه شيء وقال لأن ألقى الله تعالى بجميع المعاصي أحب الي من أن ألقاه بذرة من التصنع وقال أبو الحسن الدراج قصدت زيارة ابن الحسين الرازي من بغداد فلما دخلت بلده سألت عن منزله فكل من سألته يقول أي شيء تريد من هذا الزنديق فضيقوا صدري حتى عزمت على الانصراف فبت تلك الليلة في مسجد ثم قلت في نفسي جئت هذه البلدة فلا أقل من زيارته فلم أزل أسأل عنه حتى وصلت الى مسجده فوجدته جالسا في المحراب وبين يديه مصحف يقرأ فيه فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام وقال من أين قلت من بغداد فقال أتحسن من قولهم شيأ قلت نعم وأنشدته

رأيتك تبني دائما في قطيعتي * ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني

فأطبق المصحف ولم يزل يبكي حتى ابتلت لحيته وثوبه ورحمته من كثرة بكائه ثم التفت الي وقال يا بني أتلوم أهل البلد على قولهم يوسف بن الحسين زنديق وها أنا ذا من وقت صلاة الصبح أقرأ القرآن ولم تقطر من عيني قطرة وقد قامت علي القيامة بهذا البيت * ومنهم سيدي حاتم بن علوان الاصم قدس الله سره يكنى أبا عبد الرحمن من اكابر مشايخ خراسان صحب شقيقا البلخي ومن كلامه الزم خدمة مولاك تأتك الدنيا راغمة والآخرة راغبة وقال من ادعى ثلاثا بغير ثلاث فهو كذاب من ادعى حب الله تعالى من غير ورع عن محارمه فهو كذاب ومن ادعى محبة النبي صلى الله عليه وسلم من غير محبة الفقر فهو كذاب ومن ادعى حب الجنة من غير انفاق ماله فهو كذاب وسأله رجل علام بنيت أمرك في التوكل على الله عز وجل قال على أربع خصال علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت به نفسي وعلمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا مشغول به وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره وعلمت أني لا أخلو من عين الله عز وجل حيث كنت فانا أستحي منه وسبب تسميته بالاصم ما حكاه أبو علي الدقاق أن امرأة جاءت تسأله عن مسئلة فاتفق أنه خرج منها صوت ريح فخجلت المرأة فقال حاتم ارفعي صوتك وأراها انه أصم فسرت المرأة بذلك وقالت انه لم يسمع الصوت فغلب عليه هذا الاسم رحمة الله تعالى عليه * ومنهم الحسن بن أحمد الكاتب من كبار مشايخ المصريين صحب أبا بكر المصري وأبا علي الروذباري وكان أوحد مشايخ وقته من كلامه روائح نسيم المحبة تفوح من المحبين وان كتموها وتظهر عليهم دلائلها وان أخفوها وتدل عليهم وان ستروها وأنشدوا في هذا المعنى

اذا ما أسرت أنفس الناس ذكره * تبينه فيهم ولم يتكلموا

تطيب به أنفاسهم فتذيعها * وهل سر مسك اودع الريح يكتم

ومن كلامه أيضا اذا انقطع العبد الى الله تعالى بالكلية فأول ما يفيده الاستغناء به عن الناس وقال صحبة الفساق داء ودواؤها مفارقتهم وقال اذا سكن الخوف في القلب لا ينطق اللسان بما لا يعنيه * ومنهم سيدي جعفر بن نصير الخلدي يكنى بابي محمد بغدادي المنشا والمولد صحب الجنيد وانتمى اليه وحج قريبا من ستين حجة روي أنه مر بمقبرة الشونيزية وامرأة على قبر تندب وتبكي بكاء بحرقة فقال لها ما لك تبكين فقالت ثكلى بولدي فانشأ يقول

يقولون شكلى ومن لم يذق * فراق الاحبة لم يشكل
لقد جرعتنى ليالى الفراق * شرابا أمرّ من الحنظل

وروى أنه كان له فص فوقع منه يوما فى الدجلة وكان عنده دعاء مجرب لردّ الضالة اذا دعا به عادت فدعا به فوجد الفص فى وسط أوراق كان يتصفحها وصورة الدعاء أن تقول ياجامع الناس ليوم لاريب فيه اجمع على ضالتى وقد روى أنه يقرأ قبله سورة والضحى ثلاثا وروى الحافظ أبو بكر الخطيب فى تاريخه قال ودّعت فى بعض حجاتى المزين الكبير الصوفى فقلت زودنى شيأ فقال ان فقدت شيأ أو أردت أن يجمع الله بينى وبينك أو بينك وبين انسان فقل ياجامع الناس ليوم لاريب فيه اجمع بينى وبين كذا فان الله يجمع بينك وبين ذلك الشئ أو الانسان * ومنهم سيدى معروف بن فيروز الكرخى قدس الله سره يكنى أبا محفوظ من كبار المشايخ مجاب الدعوة وهو أستاذ السرى وكان أبواه نصرانيين فاسلماه الى مؤدبهم وهو صبى فكان المؤدب يقول له قل هو ثالث ثلاثة فيقول بل هو الواحد الصمد فضربه المؤدب على ذلك ضربا موجعا فهرب منه فكان أبواه يقولان ليته يرجع الينا على أىّ دين شاء فنوافقه عليه فرجع الى أبويه فدق الباب فقيل من بالباب فقال معروف فقيل على أىّ دين فقال على دين الاسلام فاسلم أبواه وكان مشهورا باجابة الدعوة ومن كلامه رضى الله عنه اذا أراد الله بعبد خيرا فتح له باب العمل وأغلق عليه باب الفترة والكسل وكان يعاتب نفسه ويقول يامسكين كم تبكى وتندب أخلص تخلص وقال سرى سألت معروفا عن الطائعين لله بأى شئ قدروا على الطاعات لله عز وجل قال بخروج حب الدنيا من قلوبهم ولو كانت فى قلوبهم لما صحت لهم سجدة ومن انشاداته

الماء يغسل مابالثوب من درن * وليس يغسل قلب المذنب الماء

وقال ابراهيم الاطروش كان معروف قاعدا يوما على الدجلة ببغداد اذ مرّ بنا صبيان فى زورق يضربون بالملاهى ويشربون فقال له أصحابه أماترى هؤلاء يعصون الله تعالى على هذا الماء فادع عليهم فرفع يديه الى السماء وقال الهى وسيدى كما فرحتهم فى الدنيا أسألك ان تفرحهم فى الآخرة فقال له أصحابه انما قلنا لك ان تدعو عليهم ولم نقل لك ادع لهم فقال اذا فرحهم فى الآخرة تاب عليهم فى الدنيا ولم يضركم ذلك وقال سرى رأيت معروفا فى المنام كأنه تحت العرش والله تعالى يقول لملائكته من هذا فقالوا انت أعلم يارب قال هذا معروف الكرخى سكر بحبى لايفيق الا بلقائى وقيل له فى مرضه أوص فقال اذا مت فتصدقوا بقميصى هذا فانى أحب ان أخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها عريانا وقال ابو بكر الخياط رايت فى المنام كأنى دخلت المقابر فاذا أهل القبور جلوس على قبورهم وبين أيديهم الريحان واذا أنا بمعروف الكرخى بينهم يذهب ويجئ فقلت يا أبا محفوظ مافعل الله بك أوليس قدمت قال بلى ثم أنشد يقول

موت التقىّ حياة لانفادلها * قدمات قوم وهم فى الناس أحياء

* ومنهم قاسم بن عثمان الكرخى يكنى اباعبد الملك من أجلاء المشايخ صحب أبا سليمان الدارانى وغيره وكان من أقران السرى والحرث المحاسبى وكان ابو تراب النخشبى

يصحبه ومن كلامه من أصلح فيما بقي من عمره غفر له ما مضى وما بقي ومن أفسد فيما بقي من عمره أخذ بما مضى وما بقي وقال السلامة كلها في اعتزال الناس والفرح كله في الخلوة بالله عز وجل وسئل عن التوبة فقال التوبة رد المظالم وترك المعاصي وطلب الحلال وأداء الفرائض وقال لاصحابه أوصيكم بخمس ان ظلمتم فلا تظلموا وان مدحتم فلا تفرحوا وان ذممتم فلا تحزنوا وان كذبتم فلا تغضبوا وان خانوكم فلا تخونوا وقال محمد بن الفرج سمعت قاسم بن عثمان يقول ان لله عبادا قصدوا الله بهممهم فأفردوه بطاعتهم واكتفوا به في توكلهم ورضوا به عوضا عن كل ما خطر على قلوبهم من أمر الدنيا فليس لهم حبيب غيره ولا قرة عين الا فيما قرب اليه وكان يقول قليل العمل مع المعرفة خير من كثير العمل بلا معرفة ثم قال اعرف وضع رأسك ونم فما عبد الله الخلق بشئ أفضل من المعرفة وروى عنه أنه قال رأيت في الطواف حول البيت رجلا فتقربت منه فاذا هو لا يزيد على قوله اللهم قضيت حاجة المحتاجين وحاجتي لم تقض فقلت له مالك لا تزيد على هذا الكلام فقال أحدثك كنا سبعة رفقاء من بلاد شتى غزونا أرض العدو فاستأسرونا كلنا فاعتزل بنا لتضرب أعناقنا فنظرت الى السماء فاذا سبعة أبواب مفتحة عليها سبع جوار من الحور العين على كل باب جارية فتقدم رجل منا فضربت عنقه فرأيت جارية في يدها منديل قد هبطت الى الارض فضربت أعناق الستة وبقيت أنا وبقي باب وجارية فلما قدمت لتضرب عنقي استوهبني بعض خواص الملك فوهبني له فسمعتها تقول بأى شئ فاتك هذا يا محروم وأغلقت الباب فأنا يا أخي متحسر على ما فاتني قال قاسم بن عثمان أراه أفضلهم لانه رأى ما لم يروا وترك يعمل على الشوق * ومنهم سيدي أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي كان جليل القدر مالكي المذهب عظيم الشان صحب الجنيد ومن في عصره وكان يبالغ في تعظيم الشرع المطهر وكان اذا دخل شهر رمضان المعظم جد في الطاعات ويقول هذا شهر عظمه ربي فأنا أولى بتعظيمه وسئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم خير عمل المرء كسب يمينه فقال اذا كان الليل فخذ ماء وتهيأ للصلاة وصل ما شئت ومد يديك وسل الله عز وجل فذلك كسب يمينك ولما حج ورأى مكة المشرفة شرفها الله تعالى وقع مغشيا عليه فلما أفاق أنشد يقول

هذه دارهم وأنت محب * ما بقاء الدموع في الآماق

وروى انه قال كنت يوما جالسا فجرى في خاطري أني بخيل فقلت مهما فتح الله علي به اليوم ادفعه الى أول فقير يلقاني قال فبينما أنا متفكر اذ دخل علي شخص ومعه خمسون دينارا فقال اجعل هذه في مصالحك فأخذتها وخرجت واذا أنا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق رأسه فتقدمت اليه وناولته الصرة فقال لي ادفعها للمزين فقلت له انها دنانير فقال انك لبخيل قال فناولتها للمزين فقال المزين ان من عاداتنا أن الفقير اذا جلس بين أيدينا لا نأخذ منه أجرا قال فرميتها في الدجلة وقلت ما اعزك أحد الا أذله الله تعالى * ومنهم سيدي زرقان بن محمد أخو ذي النون المصري صاحب سياحة كان بجبل لبنان (حكى) عن يوسف بن الحسين الرازي قال بينما أنا بجبل لبنان أدور اذ أبصرت زرقان

أخاذى النون المصرى جالسا على عين ماء وقت صلاة العصر فسلمت عليه وجلست من ورائه فالتفت الى وقال ما حاجتك فقلت بيتا شعر سمعتهما من أخيك ذى النون المصرى اعرضهما عليك فقال قل فقلت سمعته يقول

قد بقينا مذبذبين حيارى * نطلب الوصل ما اليه سبيل
فدواعى الهوى تخف علينا * وخلاف الهوى علينا ثقيل

فقال زرقان ولكنى أقول

قد بقينا مذهلين حيارى * حسبنا ربنا ونعم الوكيل
حيثما الفوز كان ذاك منانا * واليه فى كل أمر نميل

فعرضت أقوالهما على طاهرى المقدسى فقال رحم الله ذا النون المصرى رجع الى نفسه فقال ماقال ورجع زرقان الى ربه فقال ماقال وقال أبو عبد الرحمن السلمى زرقان بن محمد أخو ذى النون المصرى وأظن أنه أخوه مؤاخاة لا أخوة نسب وكان من أقرانه ورفقائه * ومنهم سيدى أبو عبد الله النباجى سعيد بن بريد كان من أقران ذى النون المصرى ومن أقران أستاذى احمد بن أبى الحوارى له كلام حسن فى المعرفة وغيرها روى عنه أنه قال أصابنى ضيق وشدة فبت وأنا مفكر فى المسير الى بعض اخوانى فسمعت قائلا يقول لى فى النوم ايجمل بالحر المريد اذا وجد عند الله ما يريد أن يميل بقلبه الى العبيد فانتبهت وأنا من أغنى الناس * ومنهم سيدى بشر بن الحرث الحافى قدس الله روحه يكنى أبا نصر أحد رجال الطريقة أصله من مرو وسكن بغداد وكان من كبار الصالحين وأعيان الاتقياء المتورعين صحب الفضيل بن عياض وروى عن سرى السقطى وغيره ومن كلامه لا تكون كاملا حتى يأمنك عدوك وكيف يكون فيك خير وأنت لا يأمنك صديقك وقال أول عقوبة يعاقبها ابن آدم فى الدنيا مفارقة الاحباب وقال غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه وخفاء مكانه عنهم وقال التكبر على المتكبر من التواضع وسئل عن الصبر الجميل فقال الصبر الجميل هو الذى لا شكوى فيه الى الناس وقيل انه اتى رجلا سكران فجعل الرجل يقبل يد بشر ويقول يا سيدى يا أبا نصر وبشر لا يدفعه عن نفسه فلما ولى الرجل تغرغرت عينا بشر وجعل يقول رجل أحب رجلا على خير توهمه لعل المحب قد نجا والمحبوب لا يدرى ماحاله وروى أن امرأة جاءت الى أحمد بن حنبل تسأله فقالت انى امرأة اغزل بالليل والنهار وأبيعه ولا أبين غزل الليل من غزل النهار فهل على فى ذلك شئ فقال يجب أن تبين فلما انصرفت قال احمد لابنه اذهب فانظر أين تدخل فرجع فقال قد دخلت دار بشر فقال قد عجبت ان تكون هذه السائلة من غير بيت بشر ولما مرض مرضه الذى مات فيه قال له اهله نرفع ماءك الى الطبيب قال انا بعين الطبيب يفعل بى ما يريد فالحوا عليه فقال لاخته ادفعى اليهم الماء فدفعته اليهم فى قارورة وكان بالقرب منهم طبيب نصرانى فدفعوا اليه القارورة فقال حركوا الماء فحركوه فقال ضعوه فوضعوه فقالوا له مابهذا وصفت لنا قال وبماذا وصفت لكم قالوا وصفت بأنك أحذق أهل زمانك فى الطب قال هو كما وصفت لكم ان هذا الماء ان كان ماء نصرانى

فهو ماء راهب قدفتت الخوف كبده وان كان ماء مسلم فماء بشر الحافى لان مافى زمانه أخوف منه قالوا هو ماء بشر فقال انا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فلما رجعوا الى بشر قال لهم أسلم الطبيب قالوا له ومن أعلمك بهذا قال لما خرجتم من عندى نوديت يا بشر ببركة مائك أسلم الطبيب توفى سنة سبع وعشرين ومائتين * ومنهم سيدى أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامى من أجل المشايخ كبير الشان ومن كلامه مازلت أسوق الى الله تعالى نفسى وهى تبكى الى ان سقتها وهى تضحك وسئل بأى شئ وجدت هذه المعرفة فقال ببطن جائع وبدن عار وقيل له ما أشد مالقيت فى سبيل الله تعالى فقال لا يمكن وصفه فقيل له ما أهون مالقيته نفسك منك فقال أما هذا فنعم دعوتها الى شئ من الطاعات فلم تجبنى فمنعتها الماء سنة وقال الناس كلهم يهربون من الحساب ويتجافون عنه وأنا أسأل الله تعالى أن يحاسبنى فقيل له لم فقال لعله يقول فيما بين ذلك يا عبدى فأقول لبيك فقوله لى يا عبدى أحب الى من الدنيا ومافيها ثم بعد ذلك يفعل بى ما يشاء وقال له رجل دلنى على عمل أتقرب به الى ربى فقال أحب أولياء الله ليحبوك فان الله تعالى ينظر الى قلوب أوليائه فلعله ينظر الى اسمك فى قلب ولى فيغفر لك وسئل عن المحبة فقال استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك توفى سنة احدى وستين ومائتين رحمه الله تعالى * ومنهم شيخ الطائفة سيدى أبو القاسم الجنيد بن محمد القواريرى شيخ وقته وفريد عصره أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه ببغداد صحب جماعة من المشايخ وصحب خاله السرى والحرث المحاسبى ودرس الفقه على أبى ثور وكان يفتى فى مجلسه بحضرته وهو ابن عشرين سنة ومن كلامه رضى الله عنه علامة اعراض الله تعالى عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه وقال الادب أدبان أدب السر وأدب العلانية فأدب السر طهارة القلوب وأدب العلانية حفظ الجوارح من الذنوب ورؤى فى يده يوما سبحة فقيل له أنت مع مكانك وشرفك تأخذ بيدك سبحة فقال نعم سبب وصلنا به الى ما وصلنا لا نتركه أبدا وقال حسن بن محمد السراج سمعت الجنيد يقول رايت ابليس فى منامى وكانه عريان فقلت له ألا تستحى من الناس فقال بالله هؤلاء عندك من الناس لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة ولكن الناس عندى ثلاثة نفر فقلت ومن هم قال هم فى مسجد الشونيزى قد أضنوا قلبى وأنحلوا جسمى كلما هممت بهم اشاروا الى الله عز وجل فاكاد ان أحرق قال الجنيد فانتبهت من نومى ولبست ثيابى وجئت الى مسجد الشونيزى بليل فلما دخلت المسجد اذا انا بثلاثة أنفس جلوس ورؤسهم فى مرقعاتهم فلما أحسوا بى قد دخلت اخرج أحدهم رأسه وقال يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شئ تقبل قيل ان الثلاثة الذين كانوا فى مسجد الشونيزى أبو حمزة وأبو الحسن النورى وأبو بكر الدقاق رضى الله عنهم وقال محمد بن قاسم الفارسى بات الجنيد ليلة العيد فى الموضع الذى كان يعتاده فى البرية فاذا هو وقت السحر بشاب ملتف فى عباءة وهو يبكى ويقول

بحرمة غربتى كم ذا الصدود * ألا تعطف على ألا تجود
سرور العيد قد عم النواحى * وحزنى فى ازدياد لا يبيد

فان كنت اقترفت خلال سوء * فعذرى فى الهوى ان لا اعود

توفى الجنيد رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين ومائتين ببغداد وصلى عليه نحو ستين ألفا رضوان الله عليهم أجمعين * وممن صحبته وانتفعت بصحبته وفاضت الخيرات على ببركته سيدى الشيخ الامام العالم العامل أبو المعالى وأبو الصدق أبو بكر بن عمر الطريفى المالكى قدس الله سره وروحه ونور ضريحه كان أوحد زمانه فى الزهد والورع قامعا لأهل الضلال والبدع وله أسرار ظاهرة وبركات متواترة قد أطاع أمره الخلائق عجما وعربا وانتشر ذكره فى البلاد شرقا وغربا وأتت الملوك الى بابه واختاروا أن يكونوا من جملة أصحابه ما أتاه مكروب الافرج الله كربته ولا طالب حاجة الاقضى الله حاجته كان محافظا على النوافل ملازما للفرض وكان أكثر أكله من المباح من نبات الارض لم يمتع نفسه فى الدنيا بالمآكل والمشارب اللذيذة بل قيل انه غضب على نفسه مرة فمنعها شرب الماء شهورا عديدة وكان رضى الله عنه كثير الشفقة والحنو على أصحابه نصوحا لجميع خلق الله من اعدائه وأحبابه يدخل اليه اعدى عدوه فيقبل ببشره وبره عليه فيخرج من عنده وهو أحب الناس اليه كما قال بعضهم

وانى لألقى المرء أعلم انه * عدوى وفى أحشائه الضغن كامن
فأمنحه بشرى فيرجع قلبه * سليما وقد ماتت لديه الضغائن

وكانت جملة أهل زمانه عليه وأحوالهم فى كل أمر راجعة اليه وكنت كثيرا ما أسمعه يتمثل بهذا البيت

وما حملونى الضيم الا حملته * لانى محب والمحب حمول

وكان رضى الله عنه كثير المصافاة عظيم الموافاة شأنه الحلم والستر لم يهتك حرمة مسلم ولا فضحه وما استشاره أحد فى أمر الا أرشده الى الخير ونصحه صحبته رضى الله عنه نحو خمس عشرة سنة فكأنها من طيبها كانت سنة ما قطع برَّه يوما واحدا عنى حتى كنت أظن ان ليس عنده أخص منى وكان ذلك فعله مع جميع أصحابه قاطبة بيض الله وجهه فى القيامة وبلغه من فضل ربه ما أربه وكان رضى الله عنه فقيها فى مذهب الامام مالك امام كبير لم ير له فى زمانه من شبيه ولا نظير وله فى علم الحقيقة أقوال وكم رأينا له من مكاشفات وأحوال ولو تتبعت مناقبه لاتسع الكلام ولكنى أقول كان اوحد عصره والسلام عاش رضى الله عنه نيفا وستين سنة وكان الناس فى زمانه فى عيشة راضية وأحوال حسنة وكان رضى الله عنه كثير الامراض والاسقام حصل له فى آخر عمره ضعف شديد أقام به نحو سنة ثم تزايد مرضه فى العشر الاول من ذى الحجة الحرام فلما كانت ليلة الحادى عشر اشتد به الامر واحتضر ولم يزل فى النزع الى ثلث الليل الاول من الليلة المذكورة ثم توفى رحمه الله تعالى سعيدا حميدا فى ليلة الجمعة حادى عشر ذى الحجة الحرام سنة سبع وعشرين وثمانمائة ولما أخبر الناس بوفاته عظم مصابه على المسلمين ووقع النوح والبكاء والاسف فى اقطار البلدان حتى طوائف المخالفين للملة من النصارى وغيرهم وصاروا يبكون ويتوجعون ويتأسفون على فراقه وكيف لا وهو امام العصر علامة الدهر حتى فيه

قول

قول القائل

حلف الزمان ليأتين بمثله * حنثت يمينك يازمان فكفر

رضي الله عنه ورضي عنا به ونفعنا ببركته في الدين والدنيا والآخرة فشرعوا في تجهيزه وغسله فكنت ممن حضر غسله ولكن لم يكن ذهني معي في تلك الساعة لما جرى علينا من المصيبة بفقده كيف لا وقد كان لي والدا شفيقا وبارا محسنا عشوقا فلما انتهى غسله رضي الله عنه جاء القضاة والنواب والكشاف والولاة وحملوه على أعناقهم ومضوا به الى جامع الخطبة بالمحلة فضاق بهم الجامع على سعته وضاقت الشوارع والسكك والطرقات من كثرة الناس فلم ير أكثر جمعا ولا أغزر دمعا من ذلك اليوم وهذا دليل على انه كان قطب أهل زمانه * قال الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه بيننا وبينهم الجنائز يريد بذلك اجتماع الناس والله أعلم فارتفع نعشه على أعناقهم وتقدم للصلاة شيخه العارف بالله تعالى سيدي سليمان الدواخلي نفعنا الله ببركته ودفن يوم الجمعة بزاويته التي أنشأها بسندفا مع والده الشيخ الامام العالم العلامة مفتي المسلمين سراج الدين أبي حفص عمر الطريني المالكي في قبر واحد نفعنا الله ببركته وجعل الجنة متقلبه ومثواه وحشرنا واياه في زمرة سيد الاولين والآخرين محمد خاتم النبيين وأفضل المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ونسأله لنا التوفيق والاعانة وأن يمتع المسلمين بطول بقاء أخيه سيدنا ومولانا الشيخ شمس الدين محمد الطريني أدام الله أيامه للمسلمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(الباب الحادي والثلاثون في مناقب الصالحين وكرامات الاولياء رضي الله عنهم)

اعلم أن كرامات الاولياء لاتنكر ومناقبهم أكثر من أن تحصر نسأل الله تعالى أن يحشرنا معهم في زمرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يوم المحشر انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير وهو حسبنا ونعم الوكيل *(حكاية) قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى احتبس عنا المطر بالبصرة فخرجنا نستسقي مرارا فلم نر للاجابة أثرا فخرجت أنا وعطاء السلمي وثابت البناني ويحيى البكاء ومحمد بن واسع وأبو محمد السختياني وحبيب الفارسي وحسان بن ثابت بن أبي سنان وعتبة الغلام وصالح المزني حتى اذا صرنا الى المصلى بالبصرة خرج الصبيان من المكاتب ثم استسقينا فلم نر للاجابة أثرا حتى انتصف النهار وانصرف الناس وبقيت أنا وثابت البناني بالمصلى فلما أظلم الليل اذا أنا بعبد أسود مليح رقيق الساقين عليه جبة صوف قومت ماعليه بدرهمين فجاء بماء فتوضأ ثم جاء الى المحراب فصلى ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه الى السماء وقال الهي وسيدي ومولاي الى كم ترد عبادك فيما لا ينقصك أنفد ماعندك أم نقص مافي خزائنك أقسمت عليك بحبك لي الا ما أسقيتنا غيثك الساعة قال فما تم كلامه حتى تغيمت السماء وجاءت بمطر كأفواه القرب قال مالك فتعرضت له وقلت له يا أسود أما تستحي مما قلت قال وماقلت قلت قولك بحبك لي ومايدريك أنه يحبك قال تنح عني يامن اشتغل عنه بنفسه أفتراه بدأني بذلك الا لمحبته اياي ثم قال محبته لي على قدره ومحبتي له على قدري فقلت له يرحمك الله ارفق قليلا فقال اني مملوك وعلي

فرض من طاعة مالك الصغير قال فانصرف وجعلنا نقفو أثره على البعد حتى دخل دار نخاس فلما أصبحنا أتينا النخاس فقلت يرحمك الله عندك غلام تبيعه منا للخدمة قال نعم عندى مائة غلام للبيع فجعل يعرض علينا غلاما بعد غلام حتى عرض علينا سبعين غلاما فلم ألق حبيبي فيهم فقال عودا الى فى غير هذا الوقت فلما أردنا الخروج من عنده دخلنا حجرة خربة خلف داره واذا بالاسود قائم يصلى فقلت حبيبي ورب الكعبة فجئت الى النخاس فقلت له بعنى هذا الغلام فقال يا أبا يحيى هذا غلام ليست له همة فى الليل الا البكاء وفى النهار الا الخلوة والوحدة فقلت له لابد من أخذه منك ولك الثمن وما عليك منه فدعاه فجاءه وهو يتناعس فقال خذه بما شئت بعد ان تبرئني من عيوبه كلها فاشتريته منه بعشرين دينارا وقلت له ما اسمك قال ميمون فأخذت بيده أريد المنزل فالتفت الى وقال يا مولاى الصغير لماذا اشتريتنى وأنا لا أصلح لخدمة المخلوقين فقلت له والله يا سيدى انما اشتريتك لأخدمك بنفسى قال ولم ذلك فقلت ألست صاحبنا البارحة بالمصلى قال بلى وقد اطلعت على ذلك قلت نعم وأنا الذى عارضتك البارحة فى الكلام بالمصلى قال فجعل يمشى حتى أتى الى مسجد فاستأذننى ودخل المسجد فصلى فيه ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه الى السماء وقال الهى وسيدى ومولاى سر كان بينى وبينك أطلعت عليه غيرك فكيف يطيب الآن عيشى أقسمت عليك بك الا ما قبضتنى اليك الساعة ثم سجد فانتظرته ساعة فلم يرفع رأسه فجئت اليه وحركته فاذا هو قد مات رحمة الله تعالى عليه قال فمددت يديه ورجليه فاذا هو ضاحك مستبشر وقد غلب البياض على السواد ووجهه كالقمر ليلة البدر واذا شاب قد دخل من الباب وقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أعظم الله أجورنا وأجوركم فى أخينا ميمون ها كم الكفن فناولنى ثوبين ما رأيت مثلهما قط فغسلناه وكفناه فيهما ودفناه قال مالك بن دينار فبقبره نستسقى الى الآن ونطلب الحوائج من الله تعالى رحمة الله عليه *(وحكى) عن حذيفة المرعشى رضى الله عنه وكان قد خدم ابراهيم الخواص رضى الله عنه وصحبه مدة فقيل له ما أعجب ما رأيت منه فقال بقينا فى طريق مكة أياما لم نأكل طعاما فدخلنا الكوفة فأوينا الى مسجد خرب فنظر الى ابراهيم وقال يا حذيفة أرى بك أثر الجوع فقلت هو كما ترى فقال على بدواة وقرطاس فأحضرتهما اليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود بكل حال والمشار اليه بكل معنى ثم قال

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر * أنا جائع أنا ضائع أنا عارى
هى ستة وأنا الضمين لنصفها * فكن الضمين لنصفها يا بارى
مدحى لغيرك لهب نار خضتها * فأجر عبيدك من لهيب النار

قال حذيفة ثم دفع الى الرقعة وقال اخرج بها ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفعها الى أول من يلقاك قال فخرجت فأول من لقينى رجل على بغلة فناولته الرقعة فأخذها فقرأها وبكى وقال ما فعل بصاحب هذه الرقعة قلت هو فى المسجد الفلانى فدفع الى صرة فيها ستمائة درهم فأخذتها ومضيت فوجدت رجلا فسألته من هذا الراكب على البغلة فقال هو رجل

نصرانى قال فجئت ابراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمس الدراهم فان صاحبها يأتى الساعة فلما كان بعد ساعة أقبل النصرانى راكبا على بغلته فترجل على باب المسجد ودخل فأكب على ابراهيم يقبل رأسه ويديه ويقول أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله قال فبكى ابراهيم الخواص فرحا به وسرورا وقال الحمد لله الذى هداك للاسلام وشريعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام *(وحكى) أن بعضهم كان ملاحا بحر النيل المبارك بمصر قال كنت أعدى من الجانب الغربى الى الجانب الشرقى ومن الجانب الشرقى الى الجانب الغربى فبينما أنا ذات يوم فى الزورق اذا بشيخ مشرق الوجه عليه مهابة فقال السلام عليك فرددت عليه السلام فقال أتحملنى الى الجانب الغربى لله تعالى فقلت نعم فطلع الى الزورق وعديت به الى الجانب الغربى وكان على ذلك الفقير مرقعة وبيده ركوة وعصا فلما أراد الخروج من الزورق قال انى أريد أن أحملك أمانة قلت وما هى قال اذا كان غدوقت الظهر تجدنى عند تلك الشجرة ميتا وستنسى فاذا الهمت فائتنى وغسلنى وكفنى فى الكفن الذى تجده عند رأسى وصل على وادفنى تحت الشجرة وهذه المرقعة والعصا والركوة يأتيك من يطلبها منك فادفعها اليه ولا تحتقره قال الملاح ثم ذهب وتركنى فتعجبت من قوله وبت تلك الليلة فلما أصبحت انتظرت الوقت الذى قال لى فلما جاء وقت الظهر نسيت فما تذكرت الا قريب العصر فسرت سرعة فوجدته تحت الشجرة ميتا ووجدت كفنا جديدا عند رأسه تفوح منه رائحة المسك فغسلته وكفنته فلما فرغت من غسله حضر عندى جماعة عظيمة لم أعرف منهم أحدا فصلينا عليه ودفنته تحت الشجرة كما عهد الى ثم عدت الى الجانب الشرقى وقد دخل الليل فنمت فلما طلع الفجر وبانت الوجوه اذا أنا بشاب قد أقبل على فحققت النظر فى وجهه فاذا هو من صبيان الملاهى كان يخدمهم فأقبل وعليه ثياب رقاق وهو مخضوب الكفين وطاره تحت ابطه فسلم على فرددت عليه السلام فقال يا ملاح أنت فلان بن فلان قلت نعم قال هات الوديعة التى عندك قلت ومن أين لك هذا قال لا تسأل فقلت لا بد أن تخبرنى فقال لا أدرى الا أنى البارحة كنت فى عرس فلان التاجر فسهرنا نرقص ونغنى الى أن ذكر الله الذاكرون على المآذن فنمت لاستريح واذا برجل قد أيقظنى وقال ان الله تعالى قد قبض فلانا الولى وأقامك مقامه فسر الى فلان بن فلان صاحب الزورق فان الشيخ أودع لك عنده كيت وكيت قال فدفعتها له فخلع أثوابه الرقاق ورمى بها فى الزورق وقال تصدق بها على من شئت وأخذ الركوة والعصا ولبس المرقعة وسار وتركنى أتحرق وأبكى لما حرمت من ذلك وأقمت يومى ذلك أبكى الى الليل ثم نمت فرأيت رب العزة جل جلاله فى النوم فقال يا عبدى أثقل عليك أن مننت على عبد عاص بالرجوع الى انما ذلك فضلى أوتيه من أشاء من عبادى وأنا ذو الفضل العظيم *(وحكى) أبو اسحق الصعلوكى قال خرجت سنة الى الحج فبينما أنا فى البادية تائه وقد جن الليل وكانت ليلة مقمرة اذ سمعت صوت شخص ضعيف يقول يا أبا اسحق قد انتظرتك من الغداة فدنوت منه فاذا هو شاب نحيف الجسم قد أشرف على الموت وحوله رياحين كثيرة منها ما أعرف ومنها ما لا أعرف فقلت له من أنت ومن أين أنت قال من مدينة

شمشاط كنت فى عزة ورفعة فطالبتنى نفسى بالغربة والعزلة فخرجت وقد أشرفت الآن على الموت فدعوت الله تعالى أن يقبض لى وليا من أوليائه وأرجو أن تكون أنت هو فقلت ألك حاجة قال نعم لى والدة واخوة وأخوات فقلت هل اشتقت اليهم قط قال لا الا اليوم اشتقت أن أشم ريحهم فهممت أريدهم فاحتوشتنى السباع والهوام وبكين معى وحملوا الى هذه الرياحين التى تراها قال أبو اسحق فبينما أنا معه يرق له قلبى واذا بحية عظيمة فى فمها باقة نرجس كبيرة فقالت دع ولى الله تعالى فان الله يغار على أوليائه قال فغشى عليه وغشى على فما أفقت الا وهو قد خرجت روحه رحمه الله قال فدخلت مدينة شمشاط بعد ما حججت فاستقبلتنى امرأة بيدها ركوة ما رأيت أشبه بالشاب منها فلما رأتنى نادت يا أبا اسحق ما شأن الشاب الغريب الذى مات غريبا فانى منتظرتك منذ كذا وكذا فذكرت لها القصة الى أن قلت لها اشم ريحهم فصاحت أواه أواه قد بلغ والله الشم ثم شهقت شهقة خرجت روحها فخرج اليها بنات أتراب عليهن مرقعات ومروط فكفلن أمرها وتولين دفنها وهن مستترات رضوان الله على الجميع (شعر)

يا نسيما هب من وادى قبا * خبرنى كيف حال الغربا

كم سألت الدهر أن يجمعنا * مثل ما كنا عليه فأبى

(وحكى) أن رجلا كان يعرف بدينار العيار وكان له والدة صالحة تعظه وهو لا يتعظ فمر فى بعض الايام بمقبرة فأخذ منها عظما فتفتت فى يده ففكر فى نفسه وقال ويحك يا دينار كأنى بك وقد صار عظمك هكذا رفاتا والجسم ترابا فندم على تفريطه وعزم على التوبة ورفع رأسه الى السماء وقال الهى وسيدى ألقيت اليك مقاليد أمرى فاقبلنى وارحمنى ثم أقبل نحو أمه متغير اللون منكسر القلب فقال يا أماه ما يصنع بالعبد الآبق اذا أخذه سيده قالت يخشن ملبسه ومطعمه ويغل يديه وقدميه فقال أريد جبة من صوف وأقراصا من شعير وغلين وافعلى بى كما يفعل بالعبد الآبق لعل مولاى يرى ذلى فيرحمنى ففعلت به ما أراد فكان اذا جن عليه الليل أخذ فى البكاء والعويل ويقول لنفسه ويحك يا دينار ألك قوة على النار كيف تعرضت لغضب الجبار ولا يزال كذلك الى الصباح فقالت له أمه يا بنى ارفق بنفسك فقال دعينى أتعب قليلا لعلى أستريح طويلا يا أماه ان لى غدا موقفا طويلا بين يدى رب جليل ولا أدرى أيؤمر بى الى ظل ظليل أو الى شر مقيل قالت يا بنى خذ لنفسك راحة قال لست للراحة أطلب كأنك يا أماه غدا بالخلائق يساقون الى الجنة وأنا أساق الى النار مع أهلها فتركته وما هو عليه فأخذ فى البكاء والعبادة وقراءة القرآن فقرأ فى بعض الليالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ففكر فيها وجعل يبكى حتى غشى عليه فجاءت أمه اليه فنادته فلم يجبها فقالت له يا حبيبى وقرة عينى أين الملتقى فقال بصوت ضعيف يا أماه ان لم تجدينى فى عرصات القيامة فاسألى مالكا خازن النار عنى ثم شهق شهقة فمات رحمه الله تعالى فغسلته أمه وجهزته وخرجت تنادى أيها الناس هلموا الى الصلاة على قتيل النار فجاء الناس من كل جانب فلم ير أكثر جمعا ولا أغزر دمعا من ذلك اليوم فلما دفنوه نام بعض أصدقائه تلك الليلة فرآه يتبختر فى الجنة وعليه حلة خضراء وهو يقرأ الآية فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون

ويقول وعزته وجلاله سألني ورحمني وغفر لي وتجاوز عني ألا أخبروا عني والدي بذلك * (وحكي) عن الحسن البصري قال نزل سائل بمسجد فسأل الناس أن يطعموه كسرة فلم يطعموه فقال الله تعالى للملك الموت اقبض روحه فانه جائع فقبض روحه فلما جاء المؤذن ورآه ميتا فأخبر الناس بذلك فتعاونوا على دفنه فلما دخل المؤذن المسجد وجد الكفن في المحراب مكتوبا عليه هذا الكفن مردود عليكم بئس القوم أنتم استطعمكم فقير فلم تطعموه حتى مات جوعا من كان من أحبابنا لانكله الى غيرنا * (وحكي) أبو علي المصري قال كان لي جار شيخ يغسل الموتى فقلت له يوما حدثني بأعجب ما رأيت من الموتى فقال جاءني شاب في بعض الايام مليح الوجه حسن الشباب فقال لي أتغسل لنا هذا الميت قلت نعم فتبعته حتى أوقفني على باب فدخل هنيهة فاذا بجارية هي أشبه الناس بالشاب قد خرجت وهي تمسح عينيها فقالت أنت الغاسل قلت نعم قالت بسم الله ادخل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فدخلت الدار واذا أنا بالشاب الذي جاءني يعالج سكرات الموت وروحه في لبته وقد شخص ببصره وقد وضع كفنه وحنوطه عند رأسه فلم أجلس اليه حتى قبض فقلت سبحان الله هذا ولي من أولياء الله تعالى حيث عرف وقت وفاته فأخذت في غسله وأنا ارتعد فلما أدرجته أتت الجارية وهي أخته فقبلته وقالت أما اني سألحق بك عن قريب فلما أردت الانصراف شكرت لي وقالت أرسل الي زوجتك ان كانت تحسن ما تحسنه أنت فارتعدت من كلامها وعلمت أنها لاحقة به فلما فرغت من دفنه جئت أهلي فقصصت عليها القصة وأتيت بها الى تلك الجارية فوقفت بالباب واستأذنت فقالت بسم الله تدخل زوجتك فدخلت زوجتي واذا بالجارية مستقبلة القبلة وقد ماتت فغسلتها زوجتي وأنزلتها على أخيها رحمة الله عليهما (شعر)

أأحبابنا بنتم عن الدار فاشتكت * لبعدكم آصالها وضحاها
وفارقتم الدار الانيسة فاستوت * رسوم مبانيها وفاح كلاها
كأنكم يوم الفراق رحلتم * بنومي فعيني لاتصيب كراها
وكنت شحيحا من دموعي بقطرة * فقد صرت سمحا بعدكم بدماها
يراني بساما خليلي يظن بي * سرورا واحشاى السقام ملاها
وكم ضحكة في القلب منها حرارة * يشب لظاها لو كشفت غطاها
رعى الله أياما بطيب حديثكم * تقضت وحياها الحيا وسقاها
فما قلت ايه بعدها لمسامر * من الناس الا قال قلبي آها *

(وحكي) سري السقطي رحمه الله تعالى قال أرقت ليلة ولم أقدر على النوم فلما طلع الفجر صليت فلما أصبحت دخلت المارستان فاذا أنا بجارية مقيدة مغلولة وهي تقول

تغل يدي الى عنقي * وما خانت وما سرقت
وبين جوانحي كبد * احس بها قد احترقت

قال فقلت للقيم ما هذه الجارية قال هذه جارية اختل عقلها فحبست لعلها تصلح فلما سمعت كلامه تبسمت وقالت

معشر الناس ما جننت ولكن * أنا سكرانة وقلبي صاحي
لم غللتم يدي ولم آت ذنبا * غير هتكي في حبه وافتضاحي
* أنا مفتونة بحب حبيب * لست أبغي عن بابه من براح
ما على من أحب مولى الموالي * وارتضاه لنفسه من جناح

قال فلما سمعت كلامها بكيت بكاء شديدا فقالت يا سري هذا بكاؤك من الصفة فكيف لو عرفته حق المعرفة قال فبينما هي تكلمني اذ جاء سيدها فلما رآني عظمني فقلت والله هي أحق مني بالتعظيم فلم فعلت بها هذا قال لتقصيرها في الخدمة وكثرة بكائها وشدة حنينها وأنينها كأنها ثكلى لا تنام ولا تدعنا ننام وقد اشتريتها بعشرين ألف درهم لصناعتها فانها مطربة قلت فما كان بدء أمرها قال كان العود في حجرها وهي تغني فانقطع الوتر فقامت وجعلت تقول

وحقك لا نقضت الدهر عهدا * ولا كدرت بعد الصفو ودا
ملأت جوانحي والقلب وجدا * فكيف أقر يا سكني وأهدا
فيا من ليس لي مولى سواه * تراك رضيتني بالباب عبدا

فقلت لسيدها أطلقها وعلي ثمنها فصاح وافقراه من أين لك عشرون ألفا يا سري فقلت لا تعجل علي فقال تكون في المارستان حتى توفيني ثمنها فقلت نعم قال سري فانصرفت وعيني تدمع وقلبي يخشع وأنا والله ما عندي درهم من ثمنها فبت طول ليلتي أتضرع الى الله تعالى فاذا بطارق يطرق الباب ففتحت فدخل علي رجل ومعه ستة من الخدم ومعهم خمس بدر فقال أتعرفني يا سري قلت لا قال أنا أحمد بن المثنى كنت نائما فهتف بي هاتف وقال لي يا أحمد هل لك في معاملتنا فقلت ومن أولى مني بذلك فقال احمل الى سري السقطي خمس بدر من أجل الجارية الفلانية فان لنا بها عناية قال سري فسجدت لله شكرا وجلست أتوقع طلوع الفجر فلما طلع صلينا وذكرنا وانصرفنا نحوها فسمعناها تقول

قد تصبرت الى أن * عيل من حبك صبري
ضاق من غلي وقيدي * وامتناني منك صدري
ليس يخفى عنك أمري * يا مني قلبي وذخري
* أنت قد تعتق رقي * وتفك اليوم أسري *

قال سري فبينما أنا أسمعها واذا بمولاها قد جاء وهو يبكي فقلت لا باس عليك قد جئناك برأس مالك وربح عشرة آلاف درهم فقال والله لا فعلت ذلك قلت نزيدك قال والله لو أعطيتني ما بين الخافقين ما فعلت وهي حرة لوجه الله تعالى قال فتعجبت من ذلك وقلت ما كان هذا كلامك بالامس فقال حبيبي لا توبخني فالذي وقع لي من التوبيخ كفاني وأشهدك اني قد خرجت من جميع مالي صدقة في سبيل الله تعالى واني هارب الى الله تعالى فبالله لا تردني عن صحبتك فقلت نعم ثم التفت فرأيت صاحب المال يبكي فقلت ما يبكيك قال يا أستاذي ما قبلني مولاي لما ندبني اليه ورد علي ما بذلت أشهدك أني قد خرجت من جميع ما أملكه لله تعالى في سبيل الله وكل عبد أملكه وجارية أحرار لوجه الله تعالى قال سري فقلت ما أعظم بركتك يا جارية قال فنزعنا الغل من عنقها والقيد من رجلها وأخرجناها من المارستان

فنزعت

فنزعت ما كان عليها من ناعم الثياب ولبست خمارا من صوف ومدرعة من شعر وواث
قال سرى فتوجهت أنا ومولاها وصاحب المال الى مكة فبينما نحن نطوف اذ سمعنا صوتا
فتبعناه فاذا هى امرأة كالخيال فلما رأتنى قالت السلام عليك يا سرى فقلت لها وعليك
السلام ورحمة الله وبركاته من أنت فقالت لا اله الا الله وقع الشك بعد المعرفة فتأملتها فاذا
هى الجارية فقلت لها اما الذى أفادك الحق بعد انفرادك عن الخلق فقالت أنسى به ووحشتى
من غيره ثم توجهت الى البيت وقالت الهى كم تخلفنى فى دار لا أرى فيها أنيسا قد طال شوقى
اليك فعجل قدومى عليك ثم شهقت شهقة وخرت ميتة رحمة الله تعالى عليها فلما نظر اليها
مولاها بكى وجعل يدعو ويضعف كلامه الى أن خر الى جانبها ميتا رحمة الله عليه فدفناهما
فى قبر واحد (شعر)

بحرمة ما قد كان بينى وبينكم * من الود الا ما رجعتم الى وصلى
ولا تحرمونى نظرة من جمالكم * فلن تجدوا عبدا ذليلا لكم مثلى
فوالله ما يهوى فؤادى سواكم * ولو رشقوه بالاسنة والنبل

(وحكى) انه كان فى زمن بنى اسرائيل رجل من العباد الموصوفين بالزهد وكان قد سخر
الله له سحابة تسير معه حيث يسير فاعتراه فتور فى بعض الايام فأزال الله عنه سحابته وحجب
اجابته فكثر لذلك حزنه وشجونه وطال كمده وأنينه ومازال يشتاق الى زمن الكرامة ويبكى
ويتأسف ويتحسر ويتلهف فقام ليلة من الليالى فصلى ما شاء الله وبكى وتضرع ودعا الله
تعالى ونام فقيل له فى المنام اذا أردت أن يرد الله تعالى عليك سحابتك فأت الملك الفلانى
فى بلد كذا واسأله أن يدعو الله لك أن يرد عليك سحابتك قال فسار الرجل يقطع الارض
حتى وصل الى تلك البلد التى ذكرت له فى المنام فدخلها وسال من يرشده الى قصر الملك فجاء
الى القصر واذا عند بابه غلام جالس على كرسى عظيم من الذهب الاحمر مرصع بالدر
والجوهر والناس بين يديه يسألونه حوائجهم وهو يصرف الناس فوقف الرجل الصالح بين
يديه وسلم عليه فقال له الغلام من أين أنت وما حاجتك فقال من بلاد بعيدة وقصدى
الاجتماع بالملك فقال له الغلام لا سبيل لك اليه اليوم فسل حاجتك أقضها لك ان استطعت
فقال ان حاجتى لا يقضيها الا الملك فقال الغلام ان الملك ليس له الا يوم واحد فى الجمعة يجتمع
اليه الناس فيه فاذهب حتى يأتى ذلك اليوم فانصرف الرجل الى مسجد داثر وأقام يعبد الله
تعالى فيه وأنكر على الملك لاحتجابه عن الناس فلما كان ذلك اليوم الذى يجلس فيه الملك
جاء الى القصر فوجد خلقا كثيرا عند الباب ينتظرون الاذن فوقف مع جملة الناس
فلما خرج الوزير أذن للناس فى الدخول فدخل أرباب الحوائج ودخل صاحب السحابة معهم
واذا بالملك جالس وبين يديه أرباب دولته على قدر مراتبهم فجعل رأس النوبة يقدم الناس
واحدا بعد واحد حتى وصلت النوبة لصاحب السحابة فلما نظر اليه الملك قال مرحبا
بصاحب السحابة اجلس حتى أفرغ من حوائج الناس وأنظر فى أمرك قال فتحير صاحب
السحابة فى أمره فلما فرغ الملك من حوائج الناس قام من مجلسه فأخذ بيد صاحب السحابة
وأدخله معه الى قصره ثم مشى به فى دهليز القصر فلم يجد فى طريقه الا مملوكا واحدا

فسار به حتى انتهى الى باب من جريد واذا به بناء مهدوم وحيطان مائلة وبيت خرب فيه برش وليس هناك ما يساوى عشرة دراهم الا سجادة خلقة وقدح للوضوء وحصير رثة وشئ من الخوص فانخلع الملك من ثياب الملك ولبس مرقعة من صوف وجعل على رأسه قلنسوة من شعر ثم جلس وأجلس صاحب السحابة ونادى يا فلانة قالت لبيك قال أتدرين من هو الليلة ضيفنا قالت نعم هو صاحب السحابة فدعا بها الحاجة فخرجت فاذا هى امرأة كالشن البالى عليها مسح من شعر خشن وهى شابة صغيرة قال الرجل فالتفت الى الملك وقال يا أخى اطلعك على حالنا أو نقضى حاجتك وتنصرف فقلت والله لقد شغلنى حالكما عما جئت بسببه فقال الملك الله يعلم انه كان لى فى هذا الامر آباء كرام صالحون يتوارثون المملكة كابرا عن كابر فلما توفوا الى رحمة الله تعالى ووصل الامر الى بغض الله الى الدنيا وأهلها فأردت أن أسيح فى الارض وأترك الناس ينظرون لهم من يسوس أمرهم فيملكونه عليهم فخفت عليهم دخول الفتنة وتضييع الدين والشرائع وتبديد شمل الدين فبايعونى وأنا والله كاره فتركت أمورهم على ما كانت عليه وجعلت السماط على عادته والحراس على حالها والمماليك على دأبها ولم أغير شيأ وأقعدت المماليك على الابواب بالسلاح ارهابا لاهل الشر وردعا عن أهل الخير وتركت القصر مزينا على حاله وفتحت له بابا وهو الذى رأيته يوصلنى الى هذه الخربة فأدخل فيها وأنزع ثياب الملك وألبس هذا وأضفر الخوص وأبيعه وأتقوت من ثمنه أنا وزوجتى هذه التى رأيتها وهى ابنة عمى زهدت فى الدنيا كزهدى واجتهدت حتى صارت كالشن البالى والناس لا يعلمون ما نحن فيه ثم انى أقت لى نائبا ينوب عنى طول الجمعة وعلمت انى مسؤل فجعلت لى يوما فى الجمعة ابرز للناس فيه وأكشف عن مظالمهم كما رأيت وأنا على هذه الحالة مدة فأقم عندنا يرحمك الله حتى نبيع خوصاتنا ونبتاع من ثمنها طعاما ونفطر معنا وتبيت عندنا الليلة ثم تنصرف بحاجتك ان شاء الله تعالى فلما كان آخر النهار دخل علينا غلام خماسى العمر فأخذ ما عملاه من خوص وساربه الى السوق فباعه واشترى من ثمنه خبزا وفولا واشترى بباقى ثمنه خوصا فلما كان عند الغروب أفطرا وأفطرت معهما وبت عندهما قال فقاما فى نصف الليل يصليان ويبكيان فلما كان عند السحر قال الملك اللهم ان عبدك هذا يطلب منك رد سحابته وانك قد دللته علينا اللهم ارددها عليه انك على كل شئ قدير والمرأة تؤمن على دعائه واذا بالسحابة قد طلعت من قبل السماء فقال لى لك البشارة بقضاء حاجتك وتعجيل اجابتك قال فودعتهما وانصرفت والسحابة معى كما كانت فأنا بعد ذلك لا أسال الله تعالى بسرهما شيأ الا اعطانى اياه رحمة الله تعالى عليهما (شعر)

استعمل الصبر تحظى بعده العلا * ولازم الباب حتى تبلغ الاملا
ومرغ الخد فى أعتابه سحرا * واحمل لمرضاته فى الحب كل بلا
فما يفوز بوصل يا أخى سوى * صب لثقل الهوى والوجد قد حملا
هذا الحبيب ينادى فى الدجى سحرا * فانهض وكن رجلا بالسعى قد وصلا

(وحكى) عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال خرجت الى مكة حاجا فبينما أنا سائر اذ رأيت شابا ساكتا لا يذكر الله تعالى فلما جن الليل رفع وجهه نحو السماء وقال يا من لا تسره الطاعات

ولا تضره المعاصي هب لي ما لا يضرك واغفر لي ما لا يضرك ثم رأيته بذي الحليفة وقد لبس احرامه والناس يلبون وهو لا يلبي فقلت هذا جاهل فدنوت منه فقلت له يا فتى قال لبيك قلت لم لا تلبي فقال يا شيخ وما تغني التلبية وقد بارزته بذنوب سالفات وجرائم مكتوبات والله اني لاخشى أن أقول لبيك فيقول لا لبيك ولا سعديك لا أسمع كلامك ولا أنظر اليك فقلت له لا تقل فانه حليم اذا غضب رضي واذا رضي لم يغضب واذا وعد وفى وتوعد عفا فقال يا شيخ أتشير علي بالتلبية قلت نعم فبادر الى الارض واضطجع ووضع خده على التراب وأخذ حجرا فوضعه على خده الآخر وأسبل دموعه وقال لبيك اللهم لبيك قد خضعت لك وهذا مصرعي بين يديك فأقام كذلك ساعة ثم مضى فما رأيته الا بمنى وهو يقول اللهم ان الناس قد ذبحوا ونحروا وتقربوا اليك وليس لي شيء أتقرب به اليك سوى نفسي فتقبلها مني ثم شهق شهقة وخر ميتا رحمة الله تعالى عليه *(وحكي) انه كان بمدينة بغداد رجل يعرف بأبي عبد الله الاندلسي وكان شيخ الكل من بالعراق وكان يحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقرأ القرآن بجميع الروايات فخرج في بعض السنين الى السياحة ومعه جماعة من أصحابه مثل الجنيد والشبلي وغيرهما من مشايخ العراق قال الشبلي فلم نزل في خدمته ونحن مكرمون بعناية الله تعالى الى ان وصلنا الى قرية من قرى الكفار فطلبنا ماء نتوضأ به فلم نجد فجعلنا ندور بتلك القرية واذا نحن بكنائس وبها شمامسة وقساقسة ورهبان وهم يعبدون الاصنام والصلبان فتعجبنا منهم ومن قلة عقلهم ثم انصرفنا الى بئر في آخر القرية واذا نحن بجوار يستقين الماء على البئر وبينهن جارية حسنة الوجه ما فيهن احسن ولا أجمل منها وفي عنقها قلائد الذهب فلما رآها الشيخ تغير وجهه وقال هذه ابنة من فقيل له هذه ابنة ملك هذه القرية فقال الشيخ فلم لا يدللها أبوها ويكرمها ولا يدعها تستقي الماء فقيل له أبوها يفعل ذلك بها حتى اذا تزوجها رجل أكرمته وخدمته ولا تعجبها نفسها فجلس الشيخ ونكس رأسه ثم أقام ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا يكلم أحدا غير أنه يؤدي الفريضة والمشايخ واقفون بين يديه ولا يدرون ما يصنعون قال الشبلي فتقدمت اليه وقلت له يا سيدي ان أصحابك ومريديك يتعجبون من سكوتك ثلاثة أيام وأنت ساكت لم تكلم أحدا قال فأقبل علينا وقال يا قوم اعلموا أن الجارية التي رأيتها بالامس قد شغفت بها حبا واشتغل قلبي بها وما بقيت أقدر أفارق هذه الارض قال الشبلي فقلت له يا سيدي أنت شيخ أهل العراق ومعروف بالزهد في سائر الآفاق وعدد مريديك اثنا عشر ألفا فلا تفضحنا واياهم بحرمة الكتاب العزيز فقال يا قوم جرى القلم بما حكم ووقعت في بحار العدم وقد انحلت عني عرى الولاية وطويت عني أعلام الهداية ثم انه بكى بكاء شديدا وقال يا قوم انصرفوا فقد نفذ القضاء والقدر فتعجبنا من أمره وسألنا الله تعالى أن يجيرنا من مكره ثم بكينا وبكى حتى أروى التراب ثم انصرفنا عنه راجعين الى بغداد فخرج الناس الى لقائه ومريدوه في جملة الناس فلم يروه فسألوا عنه فعرفناهم بما جرى فمات من مريديه جماعة كثيرة حزنا عليه وأسفا وجعل الناس يبكون ويتضرعون الى الله تعالى ان يرده عليهم وغلقت الرباطات والزوايا والخوانق ولحق الناس حزن عظيم فأقمنا سنة كاملة وخرجت

مع بعض أصحابى نكشف خبره فأتينا القرية فسألنا عن الشيخ فقيل لنا انه فى البرية يرعى
الخنازير قلنا وما السبب فى ذلك قالوا انه خطب الجارية من أبيها فأبى أن يزوجها الا من
هو على دينها ويلبس العباءة ويشد الزنار ويخدم الكنائس ويرعى الخنازير ففعل ذلك كله
وها هو فى البرية يرعى الخنازير قال الشبلى فانصدعت قلوبنا وانهملت بالبكاء عيوننا
وسرنا اليه واذا به قائم قدام الخنازير فلما رآنا نكس رأسه واذا عليه قلنسوة النصارى
وفى وسطه زنار وهو متوكئ على العصا التى كان يتوكأ عليها اذا قام الى المحراب فسلمنا عليه
فرد علينا السلام فقلنا يا شيخ ماذا وماذا وما هذه الكروب والهموم بعد تلك الاحاديث
والعلوم فقال يا اخوانى وأحبابى ليس لى من الامر شئ سيدى تصرف فى كيف شاء وحيث
أراد أبعدنى عن بابه بعد أن كنت من جملة أحبابه فالحذر الحذر يا أهل وداده من صده
وابعاده والحذر الحذر يا أهل المودة والصفاء من القطيعة والجفاء ثم رفع طرفه الى السماء وقال
يا مولاى ما كان ظنى فيك هذا ثم جعل يستغيث ويبكى ونادى يا شبلى اتعظ بغيرك فنادى
الشبلى بأعلى صوته بك المستعان وأنت المستغاث وعليك التكلان اكشف عنا هذه
الغمة بحلمك فقد دهمنا أمر لا كاشف له غيرك قال فلما سمعت الخنازير بكاءهم وضجيجهم
أقبلت اليهم وجعلت تمرغ وجوهها بين أيديهم وزعقت زعقة واحدة دويت منها الجبال
قال الشبلى فظننت أن القيامة قد قامت ثم ان الشيخ بكى بكاء شديدا قال الشبلى فقلنا له
هل لك أن ترجع معنا الى بغداد فقال كيف لى بذلك وقد استرعيت الخنازير بعد أن كنت
أرعى القلوب فقلت يا شيخ كنت تحفظ القرآن وتقرؤه بالسبع فهل بقيت تحفظ منه شيأ فقال
نسيته كله الا آيتين فقلت وما هما قال قوله تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله
يفعل ما يشاء والثانية قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل فقلت
يا شيخ كنت تحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل تحفظ منها شيأ
قال حديثا واحدا وهو قوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه قال الشبلى فتركناه
وانصرفنا ونحن متعجبون من أمره فسرنا ثلاثة أيام واذا نحن به أمامنا قد تطهر من نهر وطلع
وهو يشهد شهادة الحق ويجدد اسلامه فلما رأيناه لم نملك أنفسنا من الفرح والسرور فنظر
الينا وقال يا قوم أعطونى ثوبا طاهرا فأعطيناه ثوبا فلبسه ثم صلى وجلس فقلنا له الحمد لله الذى
ردك علينا وجمع شملنا بك فصف لنا ما جرى لك وكيف كان أمرك فقال يا قوم لما وليتم من عندى
سألته بالوداد القديم وقلت له يا مولاى أنا المذنب الجانى فعفا عنى بجوده وبستره غطانى فقلنا
له بالله نسألك هل كان لمحنتك من سبب قال نعم لما وردنا القرية وجعلتم تدورون حول الكنائس
قلت فى نفسى ما قدر هؤلاء عندى وأنا مؤمن موحد فنوديت فى سرى ليس هذا منك ولو شئت
عرفناك ثم أحسست بطائر قد خرج من قلبى فكان ذلك الطائر هو الايمان قال الشبلى
ففرحنا به فرحا شديدا وكان يوم دخولنا يوما عظيما مشهودا وفتحت الزوايا والرباطات
والخوانق ونزل الخليفة للقاء الشيخ وأرسل اليه الهدايا وصار يجتمع عنده لسماع علمه أربعون
ألفا وأقام على ذلك زمانا طويلا ورد الله عليه ما كان نسيه من القرآن والحديث
وزاده على ذلك فبينما نحن جلوس عنده فى بعض الايام بعد صلاة الصبح واذا نحن بطارق

يطرق باب الزاوية فنظرت من الباب فاذا شخص ملتف بكساء أسود فقلت له ما الذى تريد فقال قل للشيخ كم ان الجارية الرومية التى تركتها بالقرية الفلانية قد جاءت لخدمتك قال فدخلت فعرفت الشيخ فاصفر لونه وارتعد ثم أمر بدخولها فلما دخلت عليه بكت بكاء شديدا فقال لها الشيخ كيف كان مجيئك ومن أوصلك الى ههنا قالت ياسيدى لما وليت من قريتنا جاءنى من أخبرنى بك فبت ولم يأخذنى قرار فرأيت فى منامى شخصا وهو يقول ان أحببت أن تكونى من المؤمنات فاتركى ما أنت عليه من عبادة الاصنام واتبعى ذلك الشيخ وادخلى فى دينه فقلت وما دينه قال دين الاسلام قلت وما هو قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقلت كيف لى بالوصول اليه قال أغمضى عينيك وأعطينى يدك ففعلت فمشى قليلا ثم قال افتحى عينيك ففتحتهما فاذا أنا بشاطئ الدجلة فقال امضى الى تلك الزاوية وأقرئى الشيخ منى السلام وقولى له ان أخاك الخضر يسلم عليك قال فأدخلها الشيخ الى جواره وقال تعبدى ههنا فكانت اعبد أهل زمانها تصوم النهار وتقوم الليل حتى نحل جسمها وتغير لونها فمرضت مرض الموت وأشرفت على الوفاة ومع ذلك لم يرها الشيخ فقالت قولوا للشيخ يدخل على قبل الموت فلما بلغ الشيخ ذلك دخل عليها فلما رأته بكت فقال لها لا تبكى فان اجتماعنا غدا فى القيامة فى دار الكرامة ثم انتقلت الى رحمة الله تعالى فلم يلبث الشيخ بعدها الا أياما قلائل حتى مات رحمة الله تعالى عليه قال الشبلى فرأيته فى المنام وقد تزوج بسبعين حوراء وأول ما تزوج بالجارية وهما مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثانى والثلاثون فى ذكر الاشرار والفجار وما يرتكبون من الفواحش والوقاحة والسفاهة

عن النواس بن سمعان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال قبل قيام الساعة يرسل الله ريحا باردة طيبة فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الخلق يتهارجون تهارج الحمير وعليهم تقوم الساعة وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى كفى بالمرء شرا أن لا يكون صالحا ويقع فى الصالحين وقال لقمان لابنه يا بنى كذب من قال الشر يطفئ الشر فان كان صادقا فليوقد نارين ثم ينظر هل تطفئ احداهما الاخرى وانما يطفئ الشر الخير كما يطفئ الماء النار ووصف بعضهم رجلا من أهل الشر فقال فلان عرى من حلة التقوى ومحى عنه طابع الهدى لا تثنيه يد المراقبة ولا تكفه خيفة المحاسبة وهو لدعائم دينه مضيع ولدواعى شيطانه مطيع (شعر)

كأنه التيس قد أودى به هرم * فلا لحم ولا صوف ولا غر

وقيل من فعل ما شاء لقى ما ساء وقيل زنى رجل بجارية فأحبلها فقالوا له يا عدو الله هلا اذا ابتليت بفاحشة عزلت قال قد بلغنى أن العزل مكروه قالوا انما بلغك أن الزنا حرام وقيل لاعرابى كان يتعشق قينة ما يضرك لو اشتريتها ببعض ما تنفق عليها قال فمن لى اذ ذاك بلذة الخلسة ولقاء المسارقة وانتظار الموعد وقال أبو العيناء رأيت جارية

مع النخاس وهي تحلف أن لا ترجع لمولاها فسألته عن ذلك فقالت يا سيدي انه يواقع من قيام ويصلي من قعود ويشتمني باعراب ويلحن في القرآن ويصوم الخميس والاثنين ويفطر رمضان ويصلي الضحى ويترك الفرض فقلت لا أكثر الله في المسلمين مثله وكانت ظلمة القوادة وهي صغيرة في المكتب تسرق دويات الصبيان وأقلامهم فلما شبت زنت فلما كبرت قادت وقال صاحب المسالك والممالك ان عامة ملوك الهند يرون الزنا مباحا خلا ملك قمار قال الزمخشري رحمه الله أقمت بقمار سنين فلم أر ملكا أغير منه وكان يعاقب على الزنا وشرب الخمر بالقتل وقمار ينسب اليها العود القماري كما ينسب الى مندل قال مسكين الدارمي

ولا ذنب للعود القماري انه * يحرق ان نمت عليه روائحه

وقال ابن عباس رضي الله عنهما عهدت الناس وهواهم تبع لاديانهم وان الناس اليوم أديانهم تبع لاهوائهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم (ما جاء في الوقاحة والسفاهة وذكر الغوغاء) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت وفي ذلك قيل

اذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا * وتستح مخلوقا فما شئت فاصنع

وقال ابن سلام العاقل شجاع القلب والاحمق شجاع الوجه وذم رجل قوما فقال وجوههم وأيديهم حديد أي وقاح بخلاء ووصف رجل وقحا فقال لو دق الحجارة بوجهه لرضها ولو خلا بأستار الكعبة لسرقها قال الشاعر

لو أن لي من جلد وجهك رقعة * لجعلت منها حافرا للاشهب

وقال آخر

اذا رزق الفتى وجها وقاحا * تقلب في الامور كما يشاء

وقال أنوشروان أربعة قبائح وهي في أربعة أقبح البخل في الملوك والكذب في القضاة والحسد في العلماء والوقاحة في النساء ويقال من جسر أيسر ومن هاب خاب قال الشاعر

لا تكونن في الامور هيوبا * فالى خيبة يصير الهيوب

وقال علي رضي الله عنه اذا هبت أمرا فقع فيه فان شدة توقيه أعظم مما تخاف منه وقال رضي الله عنه الغوغاء اذا اجتمعوا ضروا واذا افترقوا نفعوا فقيل قد علمنا مضرة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم قال يرجع أهل المهن الى مهنهم فينتفع الناس بهم كرجوع البناء الى بنائه والنساج الى منسجه والخباز الى مخبزه وقال بعض السلف لا تسبوا الغوغاء فانهم يطفئون الحريق ويخرجون الغريق وقال الاحنف ما قل سفهاء قوم الا ذلوا وقال حكيم لا يخرجن أحد من بيته الا وقد أخذ في حجره قيراطين من جهل فان الجاهل لا يدفعه الا الجهل أراد السفه قال الشاعر

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقيل الجاهل من لا جاهل له أي من لا سفيه له يدفع عنه وقيل بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالس اذ جاء اعرابي فلطمه فقام اليه واقد بن عمر فجلد به الارض فقال عمر ليس

بعزيز من ايس فى قومه سفيه وقال الشاعر

ولا يلبث الجهال أن يتهضموا * أخا الحلم مالم يستعن بجهول

وقال صالح بن جناح

اذا كنت بين الجهل والحلم قاعدا * وخيرت أنى شئت فالحلم أفضل

ولكن اذا أنصفت من ليس منصفا * ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثل

وقال الاحنف بن قيس

وذى ضغن أبت القول عنه * بحلم فاستمر على المقال

ومن يحلم وليس له سفيه * يلاقى المعضلات من الرجال

وقال آخر

فان كنت محتاجا الى الحلم اننى * الى الجهل فى بعض الاحايين احوج

ولى فرس للخير بالخير ملجم * ولى فرس للشر بالشر مسرج

فمن رام تقويمى فانى مقوم * ومن رام تعويجى فانى معوج

وقال آخر

فان قيل حلم قلت للحلم موضع * وحلم الفتى فى غير موضعه جهل

اللهم انا نعوذ بك أن نجهل أو يجهل علينا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثالث والثلاثون فى الجود والسخاء والكرم ومكارم الاخلاق واصطناع المعروف وذكر الامجاد واحاديث الاجواد

اعلم أن الجود بذل المال وأنفعه ما صرف فى وجه استحقاقه وقد ندب الله تعالى اليه فى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قيل ان الجود والسخاء والايثار بمعنى واحد وقيل من أعطى البعض وأمسك البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر فهو صاحب جود ومن آثر غيره بالحاضر وبقى هو فى مقاساة الضرر فهو صاحب ايثار وأصل السخاء هو السماحة وقد يكون المعطى بخيلا اذا اصعب عليه البذل والممسك سخيا اذا كان لا يستصعب العطاء (فمن الايثار ما حكى) عن حذيفة العدوى أنه قال انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى فى القتلى ومعى شئ من الماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته فاذا أنا به بين القتلى فقلت له أسقيك فأشار الى أن نعم فاذا برجل يقول آه فأشار الى ابن عمى أن أنطلق اليه وأسقه فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فأشار الى أن نعم فسمع آخر يقول آه فأشار الى أن انطلق اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمى فاذا هو قد مات (ومن عجائب ما ذكر فى الايثار) ما حكاه أبو محمد الازدى قال لما احترق المسجد بمرو ظن المسلمون أن النصارى أحرقوه فأحرقوا خاناتهم فقبض السلطان على جماعة من الذين أحرقوا الخانات وكتب رقاعا فيها القطع والجلد والقتل ونثرها عليهم فمن وقع عليه رقعة فعل به ما فيها فوقت رقعة فيها القتل بيد رجل فقال والله ما كنت أبالى لولا أم لى وكان بجنبه بعض الفتيان فقال له فى رقعتى الجلد وليس لى أم فخذ انت رقعتى وأعطنى رقعتك ففعل فقتل ذلك

الفتى وتخاصر هذا الرجل وقيل لقيس بن سعد هل رأيت قط اسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فجاء زوجها فقالت له انه نزل بنا ضيفان فجاء بناقة فنحرها وقال شأنكم فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها وقال شأنكم فقلنا ما أكلنا من التي نحرت البارحة الا القليل فقال انى لا أطعم ضيفانى البائت فبقينا عنده أياما والسماء تمطر وهو يفعل كذلك فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار فى بيته وقلنا للمرأة اعتذرى اليه ومضينا فلما ارتفع النهار اذا برجل يصيح خلفنا قفوا أيها الركب اللئام أعطيتمونا ثمن قرانا ثم انه لحقنا وقال خذوها والا طعنتكم برمحى هذا فأخذناها وانصرفنا وقال بعض الحكماء أصل المحاسن كلها الكرم وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام وسخاؤها بما تملك على الخاص والعام وجميع خصال الخير من فروعه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاوزوا عن ذنب السخى فان الله آخذ بيده كلما عثر وفاتح له كلما افتقر وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قط فقال لا وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخى أحب الى الله من عابد بخيل وقال بعض السلف منع الموجود سوء ظن بالمعبود وتلا قوله تعالى وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال الفضيل ما كانوا يعدون القرض معروفا وقال اكثم بن صيفى صاحب المعروف لايقع وان وقع وجد له متكأ وقيل للحسن بن سهل لا خير فى السرف فقال لاسرف فى الخير فقلب اللفظ واستوفى المعنى ووجد مكتوبا على جدران خزائن الفرس عند امكانها ولا تحمل نفسك هم مالم يأتك واعلم أن تقتيرك على نفسك توفير لخزانة غيرك فكم من جامع لبعل حليلته وقال على رضى الله عنه ما جمعت من المال فوق قوتك فانما أنت فيه خازن لغيرك وقال النعمان بن المنذر يوما لجلسائه من أفضل الناس عيشا وأنعمهم بالا وأكرمهم طباعا وأجلهم فى النفوس قدرا فسكت القوم فقام فتى فقال أبيت اللعن أفضل الناس من عاش الناس فى فضله فقال صدقت وكان أسماء بن خارجة يقول ما أحب أن أرد أحدا عن حاجة لانه ان كان كريما أصون عرضه أو لئيما أصون عنه عرضى وكان مورق العجلى يتلطف فى ادخال السرور والرفق على اخوانه فيضع عند أحدهم البدرة ويقول له امسكها حتى أعود اليك ثم يرسل يقول له أنت منها فى حل وقال الحسن رضى الله عنه باع طلحة بن عثمان رضى الله عنه أرضا بسبعمائة ألف درهم فلما جاءه المال قال ان رجلا يبيت هذا عنده لايدرى مايطرقه لغرير بالله تعالى ثم قسمه فى المسلمين ولما دخل المنكدر على عائشة رضى الله عنها قال لها يا أم المؤمنين أصابتنى فاقة فقالت ماعندى شئ فلو كان عندى عشرة آلاف درهم لبعثت بها اليك فلما خرج من عندها جاءتها عشرة آلاف درهم من عند خالد بن أسيد فأرسلت بها اليه فى أثره فأخذها ودخل بها السوق فاشترى جارية بألف درهم فولدت له ثلاثة أولاد فكانوا عباد المدينة وهم محمد وأبو بكر وعمر بنو المنكدر وأكرم العرب فى الاسلام طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه جاءه رجل فسأله برحم بينه وبينه فقال هذا حائطى بمكان كذا وكذا وقد أعطيت فيه مائة ألف درهم يراح الى بالمال العشية فان شئت فالمال وان شئت فالحائط وقال زياد بن جرير

رأيت طلحة بن عبيد الله فرق مائة ألف في مجلس وانه ليخيط ازاره بيده وذكر الامام أبو علي القالي في كتاب الامالي أن رجلا جاء الى معاوية رضي الله عنه فقال له سألتك بالرحم التي بيني وبينك الا ماقضيت حاجتي فقال له معاوية أمن قريش أنت قال لا قال فأي رحم بيني وبينك قال رحم آدم عليه السلام قال رحم مجفوة والله لأكونن أول من وصلها ثم قضى حاجته (وروى) أن الاشعث بن قيس أرسل الى عدي بن حاتم يستعير منه قدورا كانت لابيه حاتم فملأها مالا وبعث بها اليه وقال انا لا نعيرها فارغة وكان الاستاذ أبو سهل الصعلوكي من الاجواد لم يناول أحدا شيأ وانما كان يطرحه في الارض فيتناوله الآخذ من الارض وكان يقول الدنيا أقل خطرا من أن ترى من أجلها يد فوق يد أخرى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهم عن الكرم فقال هو التبرع بالمعروف قبل السؤال والرأفة بالسائل مع البذل وقدم رجل من قريش من سفر فمر على رجل من الاعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأضر به المرض فقال له ياهذا أعنا على الدهر فقال لغلامه مابقي معك من النفقة فادفعه اليه فصب في حجره أربعة آلاف درهم فهم ليقوم فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت مادفعناه اليك فقال لا والله ولكن ذكرت ماتأكل الارض من كرمك فأبكاني وقال بعضهم قصد رجل الى صديق له فدق عليه الباب فخرج اليه وسأله عن حاجته فقال علي دين كذا وكذا فدخل الدار وأخرج اليه ماكان عليه ثم دخل الدار باكيا فقالت له زوجته هلا تعللت حيث شقت عليك الاجابة فقال انما أبكي لاني لم أتفقد حاله حتى احتاج الى ان سألني وروى أن عبد الله بن أبي بكر وكان من أجود الاجواد عطش يوما في طريقه فاستسقى من منزل امرأة فأخرجت له كوزا وقامت خلف الباب وقالت تنحوا عن الباب وليأخذه بعض غلمانكم فاني امرأة عزب مات زوجي منذ أيام فشرب عبد الله الماء وقال ياغلام احمل اليها عشرة آلاف درهم فقالت سبحان الله أتسخر بي فقال ياغلام احمل اليها عشرين ألفا فقالت أسأل الله العافية فقال ياغلام احمل اليها ثلاثين ألفا فما أمست حتى كثر خطابها وكان رضي الله عنه ينفق على أربعين دارا من جيرانه عن يمينه وأربعين عن يساره وأربعين أمامه وأربعين خلفه ويبعث اليهم بالاضاحي والكسوة في الاعياد ويعتق في كل عيد مائة مملوك رضي الله عنه ولما مرض قيس بن سعد بن عبادة استبطأ اخوانه في العيادة فسأل عنهم فقيل له انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع عني الاخوان من الزيارة ثم أمر مناديا ينادي من كان لقيس عنده مال فهو منه في حل فكسرت عتبة بابه بالعشي لكثرة العواد وكان عبد الله بن جعفر من الجود بالمكان المشهود وله فيه أخبار يكاد سامعها ينكرها لبعدها عن المعهود وكان معاوية يعطيه ألف ألف درهم في كل سنة فيفرقها في الناس ولا يرى الا وعليه دين ومر رجل ببهيمة ثم خرج بها ليبيعها فمر بعبد الله بن جعفر رضي الله عنه فقال ياصاحب البهيمة أتبيعها قال لا ولكنها هي لك هبة ثم تركها له وانصرف الى بيته فلم يلبث الا يسيرا واذا بالحمالين على بابه عشرين نفرا عشرة منهم يحملون حنطة وخمسة لحما وكسوة وأربعة يحملون فاكهة ونقلا وواحد يحمل مالا فأعطاه جميع ذلك

واعتذر اليه رضى الله عنه ولما مات معاوية رضى الله عنه وفد عبد الله بن جعفر على يزيد ابنه فقال كم كان أمير المؤمنين معاوية يعطيك فقال كان رحمه الله يعطينى ألف ألف فقال يزيد قد زدناك لترحمك عليه ألف ألف فقال بأبى وأمى أنت فقال ولهذه ألف ألف فقال أما انى لا أقولها لاحد بعدك فقيل ليزيد أعطيت هذا المال كله من مال المسلمين لرجل واحد فقال والله ما أعطيته الا لجميع أهل المدينة ثم وكل به يزيد من يصحبه وهو لا يعلم لينظر ما يفعل فلما وصل المدينة فرق جميع المال حتى احتاج بعد شهر الى الدين وخرج رضى الله عنه هو والحسنان وأبو حية الانصارى رضى الله عنهم من مكة الى المدينة فأصابتهم السماء بمطر فلجؤا الى خباء أعرابى فأقاموا عنده ثلاثة أيام حتى سكنت السماء فذبح لهم الاعرابى شاة فلما ارتحلوا قال عبد الله للاعرابى ان قدمت المدينة فسل عنا فاحتاج الاعرابى بعد سنين فقالت له امرأته لو أتيت المدينة فلقيت أولئك الفتيان فقال قد نسيت أسماءهم فقالت سل عن ابن الطيار فأتى المدينة فلقى سيدنا الحسن رضى الله عنه فامر له بمائة ناقة بفحولها ورعاتها ثم أتى الحسين رضى الله عنه فقال كفانا أبو محمد مؤنة الابل فامر له بالف شاة ثم أتى عبد الله بن جعفر رضى الله عنه فقال كفانى اخوانى الابل والشياه فامر له بمائة ألف درهم ثم أتى أبا حية رضى الله عنه فقال والله ما عندى مثل ما اعطوك ولكن ائتنى بابلك فأوقرها لك تمرا فلم يزل اليسار فى عقب الاعرابى من ذلك اليوم وقال الحسن والحسين يوما لعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم انك قد أسرفت فى بذل المال فقال بابى انتما ان الله عز وجل عودنى أن يتفضل على وعودته أن أتفضل على عباده فاخاف أن أقطع العادة فيقطع عنى المادة وامتدحه نصيب فأمر له بخيل وأثاث ودنانير ودراهم فقال له رجل مثل هذا الاسود تعطى له هذا المال فقال ان كان أسود فان ثناءه أبيض ولقد استحق بما قال أكثر مما نال وهل أعطيناه الا ثيابا تبلى ومالا يفنى وأعطانا مدحا يروى وثناء يبقى وخرج عبد الله رضى الله تعالى عنه يوما الى ضيعة له فنزل على حائط به نخيل لقوم وفيه غلام أسود يقوم عليه فأتى بقوته ثلاثة أقراص فدخل كلب فدنا من الغلام فرمى اليه بقرص فأكله ثم رمى اليه بالثانى والثالث فأكلهما وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت هذا الكلب قال أرضنا ما هى بأرض كلاب وانه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت أن أرده قال فما أنت صانع اليوم قال أطوى يومى هذا فقال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء وان هذا الاسخى منى فاشترى الحائط وما فيه من النخيل والآلات واشترى الغلام ثم أعتقه ووهبه الحائط بما فيه من النخيل والآلات فقال الغلام ان كان ذلك لى فهو فى سبيل الله تعالى فاستعظم عبد الله ذلك منه فقال يجود هذا وأبخل انا لا كان ذلك أبدا وكان عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما من الاجواد أتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه وقال يا ابن عباس ان لى عندك يدا وقد احتجت اليها فصعد فيه بصره فلم يعرفه فقال ما يدك قال رأيتك واقفا بفناء زمزم وغلامك يمتح لك من مائها والشمس قد صهرتك فظللتك بفضل كسائى حتى شربت فقال أجل انى لاذكر ذلك ثم قال لغلامه ما عندك قال مائتا دينار وعشرة آلاف درهم فقال ادفعها اليه وما أراها تفى بحق يده وقدم عبد الله بن عباس رضى الله عنهما على معاوية

هرة

مرة فاهدى اليه من هدايا النوروز حللا كثيرة ومسكا وآنية من ذهب وفضة ووجهها اليه مع حاجبه فلما وضعها بين يديه نظر الى الحاجب وهو ينظر اليها فقال له هل فى نفسك منها شئ قال نعم والله ان فى نفسى منها ما كان فى نفس يعقوب من يوسف عليهما السلام فضحك عبد الله وقال خذها فهى لك قال جعلت فداءك أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيحقد على قال فاختمها بخاتمك وسلمها الى الخازن فاذا كان وقت خروجنا حملناها اليك ليلا فقال الحاجب والله لهذه الحيلة فى الكرم أكثر من الكرم وحبس معاوية عن الحسين بن على رضى الله عنهما صلاته فقيل له لو وجهت الى ابن عمك عبد الله بن عباس فانه قدم بنحو ألف ألف فقال الحسين وانى تقع ألف ألف من عبد الله فوالله لهو اجود من الريح اذا عصفت وأسخى من البحر اذا زخر ثم وجه اليه مع رسوله بكتاب يذكر فيه حبس معاوية صلاته عنه وضيق حاله وانه يحتاج الى مائة ألف درهم فلما قرأ عبد الله كتابه انهملت عيناه وقال ويلك يا معاوية أصبحت لين المهاد رفيع العماد والحسين يشكو ضيق الحال وكثرة العيال ثم قال لوكيله احمل الى الحسين نصف ما أملكه من ذهب وفضة ودواب وأخبره انى شاطرته فان كفاه والا احمل اليه النصف الثانى فلما أتاه الرسول قال انا لله وانا اليه راجعون ثقلت والله على ابن عمى وما حسبت أنه يسمح لنا بهذا كله رضوان الله عليهم أجمعين وجاء رجل من الانصار الى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فقال له يا ابن عم محمد صلى الله عليه وسلم انه ولد لى فى هذه الليلة مولود وانى سميته باسمك تبركا بك وان أمه ماتت فقال له بارك الله لك فى الهبة واجرك على المصيبة ثم دعا بوكيله وقال له انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه وادفع لابيه مائتى دينار لينفقها على تربيته ثم قال للانصارى عد الينا بعد أيام فانك جئتنا وفى العيش يبس وفى المال قلة فقال الانصارى جعلت فداءك لو سبقت حاتما بيوم ما ذكرته العرب وقال أبو جهم بن حذيفة يوما لمعاوية أنت عندنا يا أمير المؤمنين كما قال ابن عبد كلال

نقيك ما نخاف وان ظننا * به خيرا أراناه يقينا
نميل على جوانبه كأنا * اذا ملنا نميل على أبينا
نقلبه لنخبر حالتيه * فنخبر منهما كرما ولينا

فأمر له بمائة ألف درهم وأنشده عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما

بلوت الناس قرنا بعد قرن * فلم أر غير ختال وقال
ولم أر فى الخطوب أشد وقعا * وأمضى من معاداة الرجال
وذقت مرارة الاشياء طرا * فما شئ أمر من السؤال

فاعطاه مائة ألف درهم ودخل عليه الحسن يوما وهو مضطجع على سريره فسلم عليه وأقعده عند رجليه وقال له الا تعجب من قول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها تزعم انى لست للخلافة أهلا ولا لها موضعا فقال له الحسن أو عجبا مما قالت قال كل العجب قال الحسن وأعجب من هذا كله جلوسى عند رجليك فاستحيا معاوية واستوى جالسا ثم قال أقسمت عليك يا أبا محمد الا ما أخبرتنى كم عليك دينا قال مائة ألف درهم فقال يا غلام أعط أبا محمد ثلثمائة ألف درهم مائة ألف يقضى بها دينه ومائة ألف يفرقها على مواليه

ومائة ألف يستعين بها على نوائبه وسوّغها اليه الساعة وكان معن بن زائدة من الاجواد وكان عاملا على العراق بالبصرة قيل انه أتى اليه بعض الشعراء فأقام ببابه مدة يريد الدخول عليه فلم يتهيأ له ذلك فقال يوما لبعض الخدم اذا دخل الامير البستان فعرّفني فلما دخل أعلمه بذلك فكتب الشاعر بيتا ونقشه على خشبة وألقاها فى الماء الذى يدخل البستان وكان معن جالسا على القناة فلما رأى الخشبة أخذها وقرأها فاذا فيها بيت مفرد

أيا جود معن ناج معنا بحاجتى * فليس الى معن سواك شفيع

فقال من الرجل صاحب هذه فاتى به اليه فقال كيف قلت فانشده البيت فامر له بعشر بدر فاخذها وانصرف ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان فى اليوم الثانى أخرجها من تحت البساط ونظر فيها وقال علىّ بالرجل صاحب هذه فاتى به فقال له كيف قلت فانشده البيت فامر له بعشر بدر فاخذها وانصرف ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان فى اليوم الثالث أخرجها ونظر فيها وقال علىّ بالرجل صاحب هذه فاتى به اليه فقال له كيف قلت فانشده البيت فامر له بعشر بدر فاخذها وتفكر فى نفسه وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج من البلد بما معه فلما كان فى اليوم الرابع طلب الرجل فلم يجده فقال معن لقد نساه والله ظنه ولقد هممت أن أعطيه حتى لا يبقى فى بيت مالى درهم ولا دينار وفيه يقول القائل

يقولون معن لا زكاة لماله * وكيف يزكى المال من هو باذله
اذا حال حول لم تجد فى دياره * من المال الا ذكره وجمائله
تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذى أنت نائله
تعود بسط الكف حتى لو انه * أراد انقباضا لم تطعه أنامله
فلو لم يكن فى كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

ومن قول معن

دعينى انهب الاموال حتى * أعف الاكرمين عن اللئام

وكان يزيد بن المهلب من الاجواد الاسخياء وله أخبار فى الجود عجيبة من ذلك ما حكاه عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه قال لما أراد يزيد بن المهلب الخروج الى واسط أتيته فقلت ايها الامير ان رأيت أن تاذن لى فاصحبك قال اذا قدمت واسطا فائتنا ان شاء الله تعالى فسافر وأقمت فقال لى بعض اخوانى اذهب اليه فقلت كان جوابه فيه ضعف قالوا أتريد من يزيد جوابا اكثر مما قال قال فسرت حتى قدمت عليه فلما كان فى الليل دعيت الى السمر فتحدث القوم حتى ذكروا الجوارى فالتفت الى يزيد وقال ايه يا عقيل فقلت

افاض القوم فى ذكر الجوارى * فاما الاعزبون فلن يقولوا

قال انك لم تبق عزبا فلما رجعت الى منزلى اذا انا بخادم قد أتانى ومعه جارية وفرش بيت وبدرة عشرة آلاف درهم وفى الليلة الثانية كذلك فمكثت عشر ليال وانا على هذه الحالة فلما رأيت ذلك دخلت عليه فى اليوم العاشر فقلت ايها الامير قد والله اغنيت واقنيت فان رأيت ان تأذن لى فى الرجوع فاكبت عدوى واسر صديقى فقال انما خيرتك بين

خلتين

خلتين اما أن تقيم فنوليك أو ترحل فنغنيك فقلت أولم تغنني أيها الامير قال انما هذا أثاث المنزل ومصلحة القدوم فنالني من فضله مالا أقدر على وصفه وحدث أبو اليقظان عن أبيه قال حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقا يحلق رأسه فجاؤه بحلاق فحلق رأسه فأمر له بخمسة آلاف درهم فتحير الحلاق ودهش وقال آخذ هذه الخمسة الآلاف وأمضي الى أم فلان أخبرها أني قد استغنيت فقال أعطوه خمسة آلاف أخرى فقال امرأته طالق ان حلقت رأس أحد بعدك وقيل ان الحجاج حبسه على خراج وجب عليه مقداره مائة ألف درهم فجمعت له وهو في السجن فجاءه الفرزدق يزوره فقال للحاجب استأذن لي عليه فقال انه في مكان لا يمكن الدخول عليه فيه فقال الفرزدق انما اتيت متوجعا لما هو فيه ولم آت ممتدحا فأذن له فلما أبصره قال

أبا خالد ضاقت خراسان بعدكم * وقال ذووا الحاجات أين يزيد
فما قطرت بالشرق بعدك قطرة * ولا اخضر بالمروين بعدك عود
وما لسرور بعد عزك بهجة * وما لجواد بعد جودك جود

فقال يزيد للحاجب ادفع اليه المائة ألف درهم التي جمعت انا ودع الحجاج ولحي يفعل فيه مايشاء فقال الحاجب للفرزدق هذا الذي خفت منه لما منعتك من دخولك عليه ثم دفعها اليه فأخذها وانصرف ومر يزيد بن المهلب عند خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعجوز أعرابية فذبحت له عنزا فقال لابنه ما معك من النفقة قال مائة دينار قال ادفعها اليها فقال هذه يرضيها اليسير وهي لا تعرفك قال ان كان يرضيها اليسير فأنا لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي وقال مروان بن أبي الجنوب الشاعر أمر لي المتوكل بمائة وعشرين ألفا وخمسين ثوبا ورواحل كثيرة فقلت أبياتا في شكره فلما بلغت قولي

فأمسك ندى كفيك عني ولا تزد * فقد خفت أن اطغى وأن أتجبرا

فقال والله لا أمسك حتى أغرقك بجودي وأمر لي بضياع تقوم بالف ألف وقال أبو العيناء تذاكروا السخاء فاتفقوا على آل المهلب في الدولة المروانية وعلى البرامكة في الدولة العباسية ثم اتفقوا على ان أحمد بن أبي دواد أسخى منهم جميعا وأفضل وسئل اسحق الموصلي عن سخاء أولاد يحيى بن خالد فقال أما الفضل فيرضيك فعله وأما جعفر فيرضيك قوله وأما محمد فيفعل بحسب ما يجد وفي يحيى يقول القائل

سألت الندى هل أنت حر فقال لا * ولكنني عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة * توارثني من والد بعد والد

وفي الفضل يقول القائل

اذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة * رأيت بها غيث السماحة ينبت
فليس بسعال اذا سيل حاجة * ولا بمكب في ثرى الارض ينكت

وفي محمد يقول القائل

سألت الندى والجود مالي أراكما * تبدلتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد أمسى مهدما * فقالا أصبنا بابن يحيى محمد

فقلت فهلا متما بعد موته * وقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقال أخانا كي نعزى بفقده * مسافة يوم ثم نتلوه في غد

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه من كانت له الي حاجة فليرفعها الي في كتاب لاصون وجهه عن المسئلة وجاءه رضي الله عنه أعرابي فقال يا أمير المؤمنين ان لي اليك حاجة الحياء يمنعني أن أذكرها فقال خطها في الارض فكتب اني فقير فقال يا قنبر اكسه حلتي فقال الاعرابي

كسوتني حلة تبلى محاسنها * فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
ان نلت حسن الثناء قد نلت مكرمة * وليس تبغي بما قد نلته بدلا
ان الثناء ليحيي ذكر صاحبه * كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به * كل امرئ سوف يجزى بالذي فعلا

قال يا قنبر زده مائة دينار فقال يا أمير المؤمنين لو فرقتها في المسلمين لاصلحت بها من شأنهم فقال رضي الله عنه صه يا قنبر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكروا لمن أثنى عليكم واذا أتاكم كريم قوم فأكرموه ولعبد الله بن جدعان

اني وان لم ينل مالي مدا خلقي * وهاب ما ملكت كفي من المال
لا أحبس المال الا حيث أنفقه * ولا يغيرني حال الى حال

وقال بعض العرب لولده يا بني لا تزهدن في معروف فان الدهر ذو صروف فكم راغب كان مرغوبا اليه وطالب كان مطلوبا مالديه وكن كما قال القائل

وعد من الرحمن فضلا ونعمة * عليك اذا ما جاء للخير طالب
ولا تمنعن ذا حاجة جاء راغبا * فانك لا تدري متى أنت راغب

وقال بعضهم

أبيت خميص البطن عريان طاويا * وأوثر بالزاد الرفيق على نفسي
وامنحه فرشي وأفترش الثرى * وأجعل سترا لليل من دونه لبسي
حذارا أحاديث المحافل في غد * اذا ضمني يوما الى صدره رمسي

وقال يحيى البرمكي أعط من الدنيا وهي مقبلة فان ذلك لا ينقصك منها شيأ واعط منها وهي مدبرة فان منعك لا يبقى عليك منها شيأ فكان الحسن بن سهل يتعجب من ذلك ويقول لله دره ما أطبعه على الكرم واعلمه بالدنيا وقد أمر يحيى من نظمه فقال

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف
فان تولت فاحرى أن تجود بها * فليس تبقى ولكن شكرها خلف

وقال يحيى لولده جعفر يا بني مادام قلمك يرعد فأمطر معروفا وقال بعضهم

لا تكثري في الجود لائمتي * واذا بخلت فاكثري لومي
كفي فلست بحامل أبدا * ما عشت هم غد الى يومي

وقال علي رضي الله عنه وكرم وجهه لا تستحي من عطاء القليل فالحرمان أقل منه وسئل اسحق الموصلي عن الخلوع فقال كان أمره كله عجبا كان لا يبالي اين يقعد مع جلسائه

وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر كان عنده سليمان بن أبي جعفر يوما فأراد الرجوع الى أهله فقال له سفر البر أحب اليك أم سفر البحر قال البحر أبن علي فقال أوقروا له زورقه ذهبا وأمر له بألف ألف درهم وشكا سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان موسى شهوات الى سليمان بن عبد الملك وقال قد هجاني يا أمير المؤمنين فاستحضره سليمان وقال لا أم لك أتهجو سعيدا قال يا أمير المؤمنين أخبرك الخبر عشقت جارية بمدينة وأتيت سعيدا فقلت انى أحب هذه الجارية وان مولاتها أعطيت فيها مائتى دينار وقد أتيتك فقال لى بورك فيك فقال سليمان ليس هذا موضع بورك فيك قال فأتيت يا أمير المؤمنين سعيد بن خالد فذكرت له حالى فقال يا جارية هاتى مطرفا فأتته بطرف خز فصر لى فى كل زاوية مائتى دينار فخرجت وأنا أقول

أبا خالد أعنى سعيد بن خالد * أخا العرف لا أعنى ابن بنت سعيد
ولكننى أعنى ابن عائشة الذى * أبو أبويه خالد بن أسيد
عقيد الندى ما عاش يرضى به الندى * فان مات لم يرض الندى بعقيد
ذروه ذروه انكم قد رقدتمو * وما هو عن احسانكم برقود

فقال سليمان قل ما شئت وكتب كلثوم بن عمر الى بعض الكرماء رقعة فيها

اذا تكرهت أن تعطى القليل ولم * تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال ولا تمنعك قلته * فكل ما سد فقرا فهو محمود

فشاطره ماله حتى بعث اليه بنصف خاتمه وفردة نعله وباع عبد الله بن عتبة بن مسعود أرضا بثمانين ألفا فقيل له لو اتخذت لولدك من هذا المال ذخرا فقال بل اجعله ذخرا لى واجعل الله ذخرا لولدى وقسمه بين ذوى الحاجات وكان ابن مالك القشيرى من الاجواد قيل انه أنهب الناس ماله بعكاظ ثلاث مرات فعاتبه خاله فقال

ياخال ذرنى ومالى ما فعلت به * وخذ نصيبك منه انى مودى
فان أطيعك الآن تخلدنى * فانظر بكيدك هل تسطيع تخليدى
الحمد لا يشترى الا بمكرمة * ولن أعيش بمال غير محمود

وقال المهلب عجبت لمن يشترى المماليك بماله كيف لا يشترى الاحرار بفعاله ونزل بأبى البخترى وهب بن وهب القرشى ضيف فاسارع عبيده الى انزاله وخدموه أحسن خدمة وفعلوا به كل جميل فلما هم بالرحيل لم يقربه أحد منهم وتجنبوه فانكر ذلك عليهم فقالوا نحن انما نعين النازل على الاقامة ولا نعينه على الرحيل ووفدت ليلى الاخيلية على الحجاج فقالت فيه

اذا ورد الحجاج أرضا مريضة * تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذى بها * غلام اذا هز القناة سقاها

فقال لا تقولى غلام ولكن قولى همام يا غلام اعطها خمسمائة فقالت أيها الامير اجعلها نعما فجعلها ابلا اناثا وقال أبو الفياض الطبرى

والعز ضيف لا يراه بربعه * من لا يرى بذل التلاد تلادا

والجود أعلى كعب كعب قبلنا * فمضى جوادا يوم مات جوادا

وقال آخر

أيقنت أن من السماح شجاعة * وعلمت أن من السماحة جودا

وقال أحمد بن حمدون النديم عملت أم المستعين بساطا على صورة كل حيوان من جميع الاجناس وصورة كل طائر من ذهب وأعينهم يواقيت وجواهر أنفقت عليه مائة ألف ألف دينار وثلاثين ألف دينار وسألته أن يقف عليه وينظر اليه فكسل ذلك اليوم عن رؤيته قال أحمد بن حمدون فقال لى ولاترجة الهاشمى اذهبا فانظرا اليه وكان معنا الحاجب فمضينا ورأيناه فوالله مارأينا فى الدنيا شيأ أحسن منه ولا شيأ حسنا الا وقد عمل فيه فمددت أنا يدى الى غزال من ذهب عيناه ياقوتتان فوضعته فى كمى ثم جئناه فوصفناله حسن مارأيناه فقال اترجة ياأمير المؤمنين انه قد سرق منه شيأ وغمزه على كمى فأريته الغزال فقال بحياتى عليكما ارجعا فخذا ماأحببتما فضينا فلا نا أكمامنا وأقبيتنا وأقبلنا نمشى كالحبالى فلما رآنا ضحك فقال بقية الجلساء ونحن فماذنبنا ياأمير المؤمنين فقال قوموا وخذوا ماشئتم ثم قام فوقف على الطريق ينظر كيف يحملون ويضحك ونظر يزيد المهلبى سطلا من ذهب مملوأ مسكا فأخذه بيده وخرج فقال له المستعين الى أين فقال الى الحمام ياأمير المؤمنين فضحك من قوله وأمر الفراشين والخدم أن ينتهبوا الباقى فانتهبوه فوجهت اليه أمه تقول سر الله أمير المؤمنين لقد كنت أحب أن يراه قبل أن يفرقه فانى أنفقت عليه مائة ألف ألف وثلاثين ألف دينار فقال يحمل اليها مثل ذلك حتى تعيد مثله ففعلت ومضى حتى رآه وفعل به كفعله بالاول ودخل طلحة بن عبد الله بن عوف السوق يوما فوافق فيه الفرزدق فقال ياأبا فراس اختر عشرا من الابل ففعل فقال ضم اليها مثلها فلم يزل يقول مثل ذلك حتى بلغت مائة فقال هى لك فقال

ياطلح انت اخو الندى وعقيده * ان الندى مامات طلحة ماتا

ان الندى ألقى اليك رحاله * فحيث بت من المنازل باتا

وقدم زياد الاعجم على عبد الله بن الحشرج بنيسابور فأكرمه وأنعم عليه وبعث اليه بألف دينار فقال

ان السماحة والمروأة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج

فقال زدنى فقال كل شئ وغنه ووفد ابو عطاء السندى على نصر بن سيار بخراسان مع رفيقين له فأنزله وأحسن اليه وقال ماعندك ياأبا عطاء فقال وماعسى أن أقول وأنت أشعر العرب غير انى قلت بيتين قال هات ماقلت فقال

ياطالب الجود اما كنت تطلبه * فاطلب على بابه نصر بن سيار

الواهب الخيل تعدو فى أعنتها * مع القيان وفيها الف دينار

فأعطاه ألف دينار ووصائف وكساه كسوة جميلة فقسم ذلك بين رفيقيه ولم يأخذ منه شيأ فبلغ ذلك نصرا فقال ماله قاتله الله من سيد ما أضخم قدره ثم أمر له بمثله وقال العتبى أشرف عمرو بن هبيرة يوما من قصره فاذا هو باعرابى يرقل قلوصه فقال عمرو لحاجبه ان ارادنى هذا

الاعرابي فأوصله الى فلما وصل الاعرابي سأله الحاجب فقال أردت الامير فدخل به اليه فلما مثل بين يديه قال له ما حاجتك فانشد الاعرابي يقول

أصلحك الله قل ما بيدي * ولا أطيق العيال اذ كثروا
اناخ دهري على كلكله * فارسلوني اليك وانتظروا

فأخذت عمرا الاريحية فجعل يهتز في مجلسه ثم قال أرسلوك الى وانتظروا اذن والله لا تجلس حتى ترجع اليهم ثم أمر له بالف دينار * وقيل أراد ابن عامر أن يكتب لرجل بخمسين ألف درهم فجرى القلم بخمسمائة ألف فراجعه الخازن في ذلك فقال أنفذه فأبى الانفاذه وان خروج المال أحب الى من الاعتذار فاستشرفه الخازن فقال اذا أراد الله بعبد خيرا صرف القلم عن مجرى ارادة كاتبه الى ارادته وأنا أردت شيأ وأراد الجواد الكريم أن يعطى عبده عشرة أضعافه فكانت ارادة الله الغالبة وأمره النافذ * ووقف أعرابي على ابن عامر فقال ياقمر البصرة وشمس الحجاز ويا ابن ذروة العرب وابن بطحاء مكة برحت بي الحاجة وأكدت بي الآمال الابفنائك فامضني بقدر الطاقة لا بقدر الجد والشرف والهمة فأمر له بمائتي ألف درهم وسمع المأمون قول عمارة بن عقيل

أأترك ان قلت دراهم خالد * زيارته انى اذا للئيم

فقال أوقلت دراهم خالد احملوا اليه مائة ألف درهم فبعثها خالد بن يحيى الى عمارة بن عقيل وقال هذه قطرة من سحابك * ولما عزل عبد الرحمن بن الضحاك عن المدينة بكى ثم قال والله ما بكاني جزعا من العزل ولا أسفا على الولاية ولكن أخاف على هذه الوجوه أن يلي أمرها من لا يعرف لها حقا * وأراد الرشيد أن يخرج الى بعض المتنزهات فقال يحيى بن خالد لرجاء ابن عبد العزيز وكان على نفقاته ما عندك من الاموال قال سبعمائة ألف درهم قال فاقبضها اليك يا رجاء فلما كان من الغد دخل عليه رجاء فقبل يده وعنده منصور بن زياد فلما خرج رجاء قال يحيى لمنصور قد ظننت أن رجاء توهم انا قد وهبنا المال له وانما أمرناه بقبضه من الوكلاء ليحفظه علينا لحاجتنا اليه في وجهنا هذا فقال منصور أنا أستخبرك هذا فقال يحيى اذن يقول لك قل له يقبل يدي كما قبلت يده فلا تقل له شيأ فقد تركتها له * وقيل ان الرشيد وصل في يوم واحد بألف ألف وثمانمائة ألف وخمسين ألفا ووصل المنصور في يوم واحد لبني هاشم ووجوه قواده بعشرة آلاف ألف دينار على ماذكر * وعن الاخفش الصغير قال كان أسد بن عنقاء الفزاري من أكبر أهل زمانه قدرا وأكثرهم أدبا وأفصحهم لسانا وأثبتهم جنانا فطال عمره ونكبه دهره فخرج عشية يتنقل لاهله فربه عميلة الفزاري فسلم عليه وقال ما أصارك ياعم الى ما أرى فقال بخل مثلك بماله وصون وجهي عن مسئلة الناس فقال والله لئن بقيت الى غد لاغيرن ما أرى من حالك فرجع ابن عنقاء الى أهله فأخبرها بما قال له عميلة فقالت له لقد غرك كلام غلام في جنح ليل قال فكأنما ألقمت فاه حجرا وبات متململا بين رجاء ويأس فلما كان وقت السحر سمع رغاء الابل وصهيل الخيل تحت الاموال فقال ما هذا قالوا عميلة قد قسم ماله شطرين وبعث اليك بشطره فأنشأ يقول

رآني على ما بي عميلة فاشتكى * الى ماله حالى فواسى وما هجر *
ولما رأى المجد استعيرت ثيابه * تردّى رداء سابغ الذيل واتزر *
غلام حباه الله بالحسن يافعا * له سيمياء لا تشق على البصر *
كأن الثريا علقت في جبينه * وفي أنفه الشعرى وفي جيده القمر

وكان عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي من الاجواد قيل انه كان لرجل جارية يهواها فاحتاج الى بيعها فابتاعها منه ابن معمر بمال جزيل فلما قبض ثمنها أنشأت تقول

هنيأ لك المال الذي قد قبضته * ولم يبق في كفى غير التحسر
ابوء بحزن من فراقك موجع * أناجي به صدرا طويل التفكر

فأجابها يقول

ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن * يفرقنا شيء سوى الموت فاعذرى
عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل الا أن يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر قد شئت وقد وهبتك الجارية وثمنها فأخذها وانصرف * ووفد أبو الشمقمق الى مدينة سابور يريد محمد بن عبد السلام فلما دخلها توجه الى منزله فوجده في دار الخراج يطالب فدخل عليه يتوجع له فلما رآه محمد قال

ولقد قدمت على رجال طالما * قدم الرجال عليهم فتقولوا
أخنى الزمان عليهم فكأنما * كانوا أرض اقفرت فتحولوا

فقال أبو الشمقمق

الجود أفلسهم وأذهب مالهم * فاليوم ان راموا السماحة يبخلوا

قال فخلع محمد ثوبه وخاتمه ودفعهما اليه فكتب بذلك مستوفي الخراج الى الخليفة فوقع الى عامله باسقاط الخراج عن محمد بن عبد السلام في تلك السنة واسقاط ما عليه من البقايا وأمر له بمائة ألف درهم معونة له على مروأته * وقال أبو العيناء حصلت لي ضيقة شديدة فكتمتها عن أصدقائي فدخلت يوما على يحيى بن أكثم القاضي فقال ان أمير المؤمنين المأمون جلس للمظالم وأخذ القصص فهل لك في الحضور قلت نعم فمضيت معه الى دار أمير المؤمنين فلما دخلنا عليه أجلسه وأجلسني ثم قال يا أبا العيناء بالالفة والمحبة ما الذي جاء بك في هذه الساعة فأنشدته

لقد رجوتك دون الناس كلهم * وللرجاء حقوق كلها عجب
ان لم يكن لي أسباب أعيش بها * ففي العلا لك أخلاق هي السبب

فقال يا سلامة انظر أي شيء في بيت مالنا دون مال المسلمين فقال بقية من مال قال فادفع له منها مائة ألف درهم وابعث له بمثلها في كل شهر فلما كان بعد أحد عشر شهرا مات المأمون فبكى عليه أبو العيناء حتى تقرحت أجفانه فدخل عليه بعض أولاده فقال يا ابتاه بعد ذهاب العين ماذا ينفع البكاء فانشأ أبو العيناء يقول

شيأن لو بكت الدماء عليهما * عيناي حتى يؤذنا بذهاب

لم يبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

وكان أحمد بن طولون كثير الصدقة وكان راتبه منها فى الشهر ألف دينار سوى ما يطرأ عليه من نذر أو صلة وسوى ما يطبخ فى دار الصدقة وكان الموكل بصدقته سليم الخادم فقال له سليم يوما ايها الامير انى اطوف القبائل وأدق الابواب لصدقاتك وان اليد تمتد الى وفيها الحناء وربما كان فيها الخاتم الذهب والسوار الذهب أفأعطى ام أرد فقال فأطرق طويلا ثم قال كل يد امتدت اليك فلا تردها * وقال سلمة بن عياش فى جعفر بن سليمان

وما شم أنفى ريح كف شممتها * من الناس الاريح كفك أطيب

فامر له بالف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر * وكان عبد العزيز بن عبد الله جوادا مضيافا فتغدى عنده أعرابى يوما فلما كان من الغد مر على بابه فرأى الناس فى الدخول على هيئتهم بالامس فقال أوكل يوم يطعم الامير الناس قالوا نعم فانشأ يقول

كل يوم كأنه عيد أضحى * عند عبد العزيز أو عيد فطر
وله ألف جفنة مترعات * كل قدر يمدها ألف قدر

وتعشى الناس ليلة عند سعيد بن العاص فلما خرجوا بقى فتى من الشأم قاعدا فقال له سعيد ألك حاجة وأطفأ الشمعة كراهة أن يخجل الفتى فذكر أن أباه مات وخلف دينا وعيالا وسأله أن يكتب له كتابا الى أهل دمشق ليقوموا ببعض اصلاح حاله فدفع له عشرة آلاف دينار وقال له لا أدعك تقاسى الذل على أبوابهم * ودخل رجل على على بن سليمان الوزير فقال له سألتك بالله العظيم ونبيه الكريم الا ما أجرتنى من خصمى فقال ومن خصمك حتى أجيرك منه فقال الفقر فاطرق الوزير ساعة وقال قد أمرت لك بمائة ألف درهم فأخذها وانصرف فبينما هو فى الطريق اذ أمر الوزير برده اليه فلما رجع قال له سألتك بالله العظيم ونبيه الكريم متى أتاك خصمك معنفا فارجع الينا متظلما * وقال الاعمش كانت عندى شاة فرضت وفقدت الصبيان لبنها فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشى ويسألنى هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتى لبد اجلس عليه فكان اذا خرج يقول خذ ما تحت اللبد حتى وصل الى من علة الشاة أكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرأ (وحكى) ابو قدامة القشيرى قال كنا مع يزيد بن مزيد يوما فسمع صائحا يقول يا يزيد بن مزيد فطلبه فاتى به اليه فقال ما حملك على هذا الصياح قال فقدت دابتى ونفدت نفقتى وسمعت قول الشاعر

اذا قيل من للجود والمجد والندى * فنادى بصوت يا يزيد بن مزيد

فأمر له بفرس ابلق كان معجبا به وبمائة دينار وخلعة سنية فاخذها وانصرف (وحكى) ان قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض اسخيائهم يزورونه فباتوا عند قبره فرأى رجل منهم صاحب القبر فى المنام وهو يقول له هل لك ان تبيعنى بعيرك بنجيبى وكان الميت قد خلف نجيبا وكان للرائى بعير سمين فقال نعم وباعه فى النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما عقد البيع عمد صاحب القبر الى البعير فنحره فى النوم فانتبه الرائى من نومه فوجد الدم يسيح من نحر بعيره فقام وأتم

نحره وقطع لحمه وطبخوه وأكلوا ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق سائرون استقبلهم ركب فتقدم منهم شاب فنادى هل فيكم فلان بن فلان فقال صاحب البعير نعم ها أنا فلان بن فلان فقال هل بعث من فلان الميت شيأ قال نعم بعته بعيري نجيبه في النوم فقال هذا نجيبه فخذه وأنا ولده وقد رأيته في النوم وهو يقول ان كنت ولدي فادفع نجيبي الى فلان فانظر الى هذا الرجل الكريم كيف أكرم أضيافه بعد موته * وروى عن الهيثم بن عدي أنه قال تمارى ثلاثة نفر في الاجواد فقال رجل أسخى الناس في عصرنا هذا عبد الله بن جعفر فقال الآخر أسخى الناس قيس بن سعيد بن عبادة فقال الآخر بل أسخى الناس اليوم عرابة الاوسي فتنازعوا بفناء الكعبة فقال لهم رجل لقد أفرطتم في الكلام فليمض كل واحد منكم الى صاحبه يسأله حتى ننظر بم يعود فنحكم على العيان فقام صاحب ابن جعفر فوافاه وقد وضع رجله في ركاب راحلته يريد ضيعة له فقال الرجل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن سبيل ومنقطع به قال فأخرج رجله وقال ضع رجلك واستو على الناقة وخذ ما في الحقيبة وكان فيها مطارف خز وأربعة آلاف دينار ومضى صاحب قيس فوجده نائما فقالت له جارية اقيس ما حاجتك فقال ابن سبيل ومنقطع به فقالت له الجارية حاجتك أهون من ايقاظه هذا كيس فيه سبعمائة دينار ما في دار قيس اليوم غيرها وامض الى معاطن الابل فخذ راحلة من رواحله وما يصلحها وعبدا وامض لشأنك قيل ان قيسا لما انتبه أخبرته الجارية بما صنعت فاعتقها ولو لم تعلم أن ذلك يرضيه ما جسرت تفعله فخلق خدم الرجل مقتبس من خلقه قال بعض الشعراء

واذا ما اختبرت وتصديق * فاختبروه من الغلمان

ومضى صاحب عرابة فوجده قد خرج من منزله يريد الصلاة فقال يا عرابة ابن سبيل ومنقطع به وكان معه عبدان فصفق بيده اليمنى على اليسرى وقال آواه آواه والله ما أصبح ولا أمسى الليلة عند عرابة شئ ولا تركت له الحقوق مالا ولكن خذ هذين العبدين فقال الرجل والله ما كنت بالذي يسلبك عبديك فقال ان أخذتهما والا فهما حران لوجه الله تعالى فان شئت فخذ وان شئت فأعتق فأخذ الرجل العبدين ومضى ثم اجتمعوا وذكروا قصة كل واحد فحكموا لعرابة لانه أعطى على جهد * قيل ان شاعرا قصد خالد بن يزيد فأنشده شعرا يقول فيه

سألت الندى والجود حران أنتما * فقالا يقينا اننا العبد

فقلت ومن مولاكما فتطاولا * الي وقالا خالد ويزيد

فقال يا غلام أعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فأنشد يقول

كريم كريم الامهات مهذب * تدفق كفاه الندى وشمائله

هو البحر من أي الجهات أتيته * فلجته المعروف والجود ساحله

جواد بسيط الكف حتى لو انه * دعاها لقبض لم تجبه أنامله

فقال يا غلام أعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فأنشد يقول

تبرعت لي بالجود حتى نعشتني * وأعطيتني حتى حسبتك تلعب

وأنبت ريشا فى الجناحين بعدما * تساقط منى الريش أو كاد يذهب
فأنت الندى وابن الندى وأخو الندى * حليف الندى ما للندى عنك مذهب

فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فقال حسب الامير ما سمع وحسبي ما أخذت وانصرف * وأما الذين انتهى اليهم الجود فى الجاهلية فهم حاتم بن عبد الله الطائى وهرم بن سنان وخالد بن عبيد الله وكعب بن مامة الايادى وضرب المثل بحاتم وكعب وحاتم أشهرهما فأما كعب فجاد بنفسه وآثر رفيقه بالماء فى المفازة ومات عطشا وليس له خبر مشهور وأما خالد بن عبيد الله فانه جاء اليه بعض الشعراء ووجده فى الركاب يريد الغزو فقال له انى قلت فيك بيتين من الشعر فقال فى مثل هذا الحال قال نعم فقال هاتهما فأنشده يقول

يا واحد العرب الذى * ما فى الانام له نظير
لو كان مثلك آخر * ما كان فى الدنيا فقير

فقال يا غلام أعطه عشرين ألف دينار فأخذها وانصرف وأما حاتم فأخباره كثيرة وآثاره فى الجود شهيرة ويكنى أبا سفانة وأبا عدى وكان يسير فى قومه بالمرباع والمرباع ربع الغنيمة وكان ولده عدى يعادى النبى صلى الله عليه وسلم فبعث النبى صلى الله عليه وسلم عليا الى طيئ فهرب عدى بأهله وولده ولحق بالشأم وخلف أخته سفانة فأسرتها خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتى بها الى النبى صلى الله عليه وسلم قالت يا محمد هلك الوالد وغاب الرافد فان رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فان أبى كان سيد قومه يفك العانى ويقتل الجانى ويحفظ الجار ويحمى الذمار ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشى السلام ويحمل الكل ويعين على نوائب الدهر وما أتاه أحد فى حاجة فرده خائبا أنا بنت حاتم الطائى فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفات المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق وقال فيها ارحموا عزيزا ذل وغنيا افتقر وعالما ضاع بين جهال فأطلقها ومن عليها فاستأذنته فى الدعاء له فأذن لها وقال لاصحابه اسمعوا وعوا فقالت أصاب الله ببرك مواقعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة عن كريم قوم الا وجعلك سببا فى ردها عليه فلما أطلقها صلى الله عليه وسلم رجعت الى قومها فأتت أخاها عديا وهو بدومة الجندل فقالت له يا أخى ائت هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله فانى قد رأيت هديا ورأيا سيغلب أهل الغلبة رأيت خصالا تعجبنى رأيته يحب الفقير ويفك الاسير ويرحم الصغير ويعرف قدر الكبير وما رأيت أجود ولا أكرم منه صلى الله عليه وسلم وانى أرى أن تلحق به فان يك نبيا فللسابق فضله وان يك ملكا فلن تذل فى عز اليمن فقدم عدى الى النبى صلى الله عليه وسلم فالقى له وسادة محشوة ليفا وجلس النبى صلى الله عليه وسلم على الارض فاسلم عدى بن حاتم وأسلمت أخته سفانة بنت حاتم المتقدم ذكرها وكانت من أجود نساء العرب وكان ابوها يعطيها الضريبة من ابله فتهبها وتعطيها الناس فقال لها ابوها يا بنية ان الكريمين اذا اجتمعا فى المال أتلفاه فاما ان أعطى وتمسكى واما أن أمسك وتعطى فانه لا يبقى على هذا شئ فقالت له منك تعلمت مكارم

الاخلاق قال ابن الاعرابى كان حاتم الطائى من شعراء الجاهلية وكان جوادا يشبه جوده
شعره ويصدق قوله فعله وكان حيثما نزل عرف منزله وكان مظفرا اذا قاتل غلب واذا سئل
وهب واذا سابق سبق واذا أسر أطلق وكان اذا أهل رجب الذى كانت تعظمه مضر
فى الجاهلية نحر كل يوم عشرا من الابل وأطعم الناس واجتمعوا اليه وكان قد تزوج ماوية
بنت عفير وكانت تلومه على اتلاف المال فلا يلتفت لقولها وكان لها ابن عم يقال له مالك
فقال لها يوما ما تصنعين بحاتم فوالله لئن وجد مالا ليتلفنه وان لم يجد ليتكلفن ولئن مات
ليتركن أولاده عالة على قومك فقالت ماوية صدقت انه كذلك وكانت النساء يطلقن
الرجال فى الجاهلية وكان طلاقهن أن يكن فى بيوت من شعر فان كان باب البيت من قبل
المشرق حولته الى المغرب وان كان من قبل المغرب حولته الى المشرق وان كان من
قبل اليمن حولته الى الشام وان كان من قبل الشام حولته الى اليمن فاذا رأى الرجل
ذلك علم أنها طلقته فلم يأتها ثم قال لها ابن عمها طلقى حاتما وأنا أتزوجك وأنا خير لك
منه وأكثر مالا وأنا أمسك عليك وعلى ولدك فلم يزل بها حتى طلقته فأتاها حاتم
وقد حولت باب الخباء فقال حاتم لولده يا عدى ماترى ما فعلت أمك فقال قد رأيت ذلك
قال فأخذ ابنه وهبط بطن واد فنزل فيه فجاء قوم فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون
وكانت عدتهم خمسين فارسا فضاقت بهم ماوية ذرعا وقالت لجاريتها اذهبى الى ابن عمى
مالك وقولى له ان أضيافا لحاتم قد نزلوا بنا وهم خمسون رجلا فارسل الينا بشئ نقريهم
ولبن نسقيهم وقالت لها انظرى الى جبينه وفمه فان شافهك بالمعروف فاقبلى منه وان ضرب
بلحيته على زوره ولطم رأسه فأقبلى ودعيه فلما أتته وجدته متوسدا وطبا من لبن فأيقظته
وأبلغته الرسالة وقالت له انما هى الليلة حتى يعلم الناس مكان حاتم فلطم رأسه بيده
وضرب بلحيته وقال اقرئيها السلام وقولى لها هذا الذى أمرتك أن تطلقى حاتما لاجله
وما عندى لبن يكفى أضياف حاتم فرجعت الجارية فأخبرتها بما رأت وبما قال لها فقالت
لها اذهبى الى حاتم وقولى له ان أضيافك قد نزلوا بنا الليلة ولم يعلموا مكانك فأرسل
الينا بناقة نقريهم ولبن نسقيهم فأتت الجارية حاتما فصاحت به فقال لبيك قريبا دعوت
فأخبرته بما جاءت بسببه فقال لها حبا وكرامة ثم قام الى الابل فأطلق اثنتين من
عقالهما وصاح بهما حتى أتيا الخباء ثم ضرب عراقيبهما فطفقت ماوية تصيح هذا الذى
طلقتك بسببه تترك أولادنا وليس لهم شئ فقال لها ويحك ياماوية الذى خلقهم وخلق الخلق
متكفل بأرزاقهم وكان اذا اشتد البرد وغلب الشتاء أمر غلمانه بنار فيوقدونها فى يفاع
الارض لينظر اليها من ضل عن الطريق ليلا فيقصدها ولم يكن حاتم يمسك شيأ ما عدا فرسه
وسلاحه فانه كان لا يجود بهما حاتم جاد بفرسه فى سنة مجدبة (حكى) ان ملحان ابن أخى ماوية
قال قلت لها يوما يا عمة حدثينى ببعض عجائب حاتم وبعض مكارم أخلاقه فقالت يا ابن أخى
أعجب ما رأيت منه أصابت الناس سنة أذهبت الخف والظلف وقد أخذنى واياه الجوع
وأسهرنا فأخذت سفانة وأخذ عديا وجعلنا نعللهما حتى ناما فأقبل على يحدثنى ويعللنى
بالحديث حتى أنام فرفقت به لما به من الجوع فأمسكت عن كلامه لينام فقال لى

أغث فلم أجبه فسكت ونظر فى فناء الخباء فاذا شئ قد أقبل فرفع رأسه فاذا امرأة فقال ماهذا فقالت يا أبا عدى أتيتك من عند صبية يتعاوون كالكلاب أو كالذئاب جوعا فقال لها أحضرى صبيانك فوالله لاشبعنهم فقامت سريعة لاولادها فرفعت رأسى وقلت له يا حاتم بماذا تشبع أطفالها فوالله ما نام صبيانك من الجوع الا بالتعليل فقال والله لاشبعنك وأشبعن صبيانك وصبيانها فلما جاءت المرأة نهض قائما وأخذ المدية بيده وعمد الى فرسه فذبحه ثم أجج نارا ودفع اليها شفرة وقال قطعى واشوى وكلى وأطعمى صبيانك فأكلت المرأة وأشبعت صبيانها فأيقظت أولادى وأكلت وأطعمتهم فقال والله ان هذا هو اللؤم تأكلون وأهل الحى حالهم مثل حالكم ثم أتى الحى بيتا بيتا يقول لهم انهضوا عليكم بالنار فاجتمعوا حول الفرس وتقنع حاتم بكسائه وجلس ناحية فوالله ما أصبحوا وعلى وجه الارض منها قليل ولا كثير الا العظم والحافر ولا والله ماذاقها حاتم وانه لاشدهم جوعا وأخباره كثيرة مشهورة ومن شعره

أماوى ان المال غاد ورائح * ويبقى من المال الاحاديث والذكر
وقد علم الاقوام لو أن حاتما * أراد ثراء المال كان له وفر

وأغار قوم على طيئ فركب حاتم فرسه وأخذ رمحه ونادى فى جيشه وأهل عشيرته ولقى القوم فهزمهم وتبعهم فقال له كبيرهم يا حاتم هب لى رمحك فرمى به اليه فقيل لحاتم عرضت نفسك للهلاك ولو عطف عليك لقتلك فقال قد علمت ذلك ولكن ما جواب من يقول هب لى ولما مات عظم على طيئ موته فادعى أخوه أنه يخلفه فقالت له أمه هيهات شتان والله ما بين خلقتيكما وضعته فبقى والله سبعة أيام لا يرضع حتى ألقمت احدى ثديى طفلا من الجيران وكنت أنت ترضع ثديا وبيدك على الآخر فأنى لك ذلك قال الشاعر

يعيش الندا ما عاش حاتم طيئ * وان مات قامت للسخاء مآتم

وكانت العرب تسمى الكلب داعى الضمير ومتمم النعم ومشيد الذكر لما يجلب من الاضياف بنباحه والضمير الغريب وكانوا اذا اشتد البرد وهبت الرياح ولم تشب النيران فرقوا الكلاب حوالى الحى وربطوها الى العمد لتستوحش فتنبح فتهتدى الضلال وتأتى الاضياف على نباحها والحكايات فى ذكر الاجواد والكرماء والاسخياء وأهل المعروف وما كانوا عليه من السخاء والكرم أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر ففى مثل هذه المناقب فليتنافس المتنافسون ولمثلها فليعمل العاملون فان فيها عز الدنيا وشرف الآخرة وحسن الصيت وخلود جميل الذكر فانا لم نجد شيأ يبقى على ممر الدهر الا الذكر حسنا كان أو قبيحا وقد قال الشاعر

ولا شئ يدوم فكن حديثا * جميل الذكر فالدنيا حديث

فانتهز فرصة العمر ومساعدة الدنيا ونفوذ الامر وقدم لنفسك كما قدموا وتذكر بالصالحات كما ذكروا وادخر لنفسك فى القيامة كما ادخروا واعلم أن المأكول للبدن والموهوب للمعاد والمتروك للعدو فاختر أى الثلاث شئت وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والثلاثون فى البخل والشح وذكر البخلاء وأخبارهم وما جاء عنهم)

قال الله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فان الشح أهلك من كان قبلكم وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال البخل جامع لمساوى القلوب وهو زمام يقاد به الى كل سوء وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز رضى الله عنهما ان البخل لو كان قميصا ما لبسته أو كان طريقا ما سلكته * وقيل بخلاء العرب أربعة الحطيئة وحميد الارقط وأبو الاسود الدؤلى وخالد ابن صفوان فأما الحطيئة فمر به انسان وهو على باب داره وبيده عصا فقال أنا ضيف فأشار الى العصا وقال لكعاب الضيفان أعددتها وأما حميد الارقط فكان هجاء للضيفان فحاشا عليهم نزل به مرة أضياف فأطعمهم تمرا وهجاهم وذكر أنهم أكلوه بنواه وأما أبو الاسود فتصدق على سائل بتمرة فقال له جعل الله نصيبك من الجنة مثلها وكان يقول لو أطعنا المساكين فى أموالنا كنا أسوأ حالا منهم وأما خالد بن صفوان فكان يقول للدرهم اذا دخل عليه يا عيار كم تعير وكم تطوف وتطير لاطيلن حبسك ثم يطرحه فى الصندوق ويقفل عليه وقيل له لم لا تنفق ومالك عريض فقال الدهر أعرض منه وأنشد بعضهم

وهبنى جمعت المال ثم خزنته * وحانت وفاتى هل أزاد به عمرا
اذا خزن المال البخيل فانه * سيورثه غما ويعقبه وزرا

واستأذن حنظلة على صديق له بخيل فقيل هو محموم فقال كلوا بين يديه حتى يعرق وكتب سهل ابن هرون كتابا فى مدح البخل وأهداه الى الحسن بن سهل فوقع على ظهره قد جعلنا ثوابك عليه ما أمرت به فيه وقال ابن أبى فنن

ذرينى واتلافى لمالى فاننى * أحب من الاخلاق ما هو أجمل
وان أحق الناس باللوم شاعر * يلوم على البخل الرجال ويبخل

وكان عمر بن يزيد الاسدى بخيلا جدا أصابه القولنج فى بطنه فحقنه الطبيب بدهن كثير فانحل ما فى بطنه فى الطست فقال لغلامه اجمع الدهن الذى نزل من الحقنة وأسرج به وكان المنصور شديد البخل جدا مر به مسلم الحادى فى طريقه الى الحج فحدا له يوما بقول الشاعر

أغر بين الحاجبين نوره * يزينه حياؤه وخيره
ومسكه يشوبه كافوره * اذا تغدى رفعت ستوره

فطرب حتى ضرب برجله المحمل ثم قال يا ربيع أعطه نصف درهم فقال مسلم نصف درهم يا أمير المؤمنين والله لقد حدوت لهشام فأمر لى بثلاثين ألف درهم فقال تأخذ من بيت مال المسلمين ثلاثين ألف درهم يا ربيع وكل به من يستخلص منه هذا المال قال الربيع فمازلت أمشى بينهما وأروضه حتى شرط مسلم على نفسه أن يحدوله فى ذهابه وايابه بغير مؤنة * وكان ابو العتاهية ومروان بن ابى حفصة بخيلين يضرب ببخلهما المثل قال مروان ما فرحت بشئ أشد مما فرحت بمائة ألف درهم وهبها الى المهدى فوزنتها فرجحت درهما فاشتريت به لحما واشترى يوما لحما بدرهم فلما وضعه فى القدر دعاه صديقه فرد اللحم على القصاب

بنقصان دانقين فجعل القصاب ينادى على اللحم ويقول هذا لحم مروان واجتاز يوما باعرابية فأضافته فقال ان وهب لى أمير المؤمنين مائة ألف درهم وهبت لك درهما فوهبه سبعين ألف درهم فوهبها أربعة دوانق ومن الموصوفين بالبخل أهل مرو يقال ان من عادتهم اذا ترافقوا فى سفر أن يشترى كل واحد منهم قطعة لحم ويشكها فى خيط ويجمعون اللحم كله فى قدر ويمسك كل واحد منهم طرف خيطه فاذا استوى جر كل منهم خيطه وأكل لحمه وتقاسموا المرق وقيل لبخيل من أشجع الناس قال من سمع وقع أضراس الناس على طعامه ولم تنشق مرارته وقيل لبعضهم أما يكسوك محمد بن يحيى فقال والله لو كان له بيت مملوء ابرا وجاء يعقوب ومعه الانبياء شفعاء والملائكة ضمناء يستعير منه ابرة ليخيط بها قميص يوسف الذى قد من دبر ما عاره اياها فكيف يكسونى وقد نظم ذلك من قال

لو أن دارك أنبتت لك واحتشت * ابرا يضيق بها فناء المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك ابرة * ليخيط قد قميصه لم تفعل

وكان المتنبى بخيلا جدا امدحه انسان بقصيدة فقال له كم أملت منا على مدحك قال عشرة دنانير قال له والله لو ندفت قطن الارض بقوس السماء على جباه الملائكة ما دفعت لك دانقا وقال دعبل كنا عند سهل بن هرون فلم نبرح حتى كاد يموت من الجوع فقال ويلك يا غلام آتنا غداءنا فأتى بقصعة فيها ديك مطبوخ تحته ثريد قليل فتأمل الديك فرآه بغير رأس فقال لغلامه وأين الرأس فقال رميته فقال والله انى لأكره من يرمى برجله فكيف برأسه ويحك أما علمت أن الرأس رئيس الاعضاء ومنه يصيح الديك ولولا صوته ما أريد وفيه فرقه الذى يتبرك به وعينه التى يضرب بها المثل فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم نر عظما أهش تحت الاسنان من عظم رأسه وهبك ظننت أنى لا آكله أما قلت عنده من يأكله انظر فى أى مكان رميته فأتنى به فقال والله لا أدرى أين رميته فقال لكنى أنا أعرف أين رميته رميته فى بطنك الله حسبك وقيل من الناس من يبخل بالطعام ويجود بالمال وبالعكس قال بعضهم فى أبى دلف

أبو دلف يضيع ألف ألف * ويضرب بالحسام على الرغيف
أبو دلف لمطبخه قتار * ولكن دونه سل السيوف

واشتكى رجل مروزى صدره من سعال فوصف له سويق اللوز فاستثقل النفقة ورأى الصبر على الوجع أخف عليه من الدواء فبينما هو يماطل الايام ويدافع الآلام اذ أتاه بعض أصدقائه فوصف له ماء النخالة وقال انه يجلو الصدر فأمر بالنخالة فطبخت له وشرب من مائها فجلا صدره ووجده يعصم فلما حضر غداؤه أمر به فرفع الى العشاء وقال لامرأته اطبخى لاهل بيتنا النخالة فانى وجدت ماءها يعصم ويجلو الصدر فقالت لقد جمع الله لك بهذه النخالة بين دواء وغذاء فالحمد لله على هذه النعمة وعن خاقان بن صبيح قال دخلت على رجل من أهل خراسان ليلا فأتانا بمسرجة فيها فتيلة فى غاية الرقة وقد علق فيها عودا بخيط فقلت له ما بال هذا العود مربوطا قال قد شرب الدهن واذا ضاع ولم نحفظه احتجنا الى غيره

فلا نجد الا عودا عطشانا ونخشى أن يشرب الدهن قال فبينما أنا أتعجب وأسأل الله العافية اذ دخل علينا شيخ من أهل مرو فنظر الى العود فقال للرجل يا فلان لقد فررت من شئ ووقعت فيما هو شر منه أما علمت أن الريح والشمس يأخذان من سائر الاشياء وينشفان هذا العود لم لا اتخذت مكان هذا العود ابرة من حديد فان الحديد أملس وهو مع ذلك غير نشاف والعود أيضا ربما تعلق به شعرة من قطن الفتيلة فينقصها فقال له الرجل الخراسانى أرشدك الله ونفع بك فلقد كنت فى ذلك من المسرفين وقال الهيثم بن عدى نزل على أبى حفصة الشاعر رجل من اليمامة فأخلى له المنزل ثم هرب مخافة أن يلزمه قراه فى هذه الليلة فخرج الضيف واشترى ما احتاج اليه ثم رجع وكتب اليه

يا أيها الخارج من بيته * وهاربا من شدة الخوف
ضيفك قد جاء بزاد له * فارجع وكن ضيفا على الضيف

واشترى رجل من البخلاء دارا وانتقل اليها فوقف ببابه سائل فقال له فتح الله عليك ثم وقف ثان فقال له مثل ذلك ثم وقف ثالث فقال له مثل ذلك ثم التفت الى ابنته فقال لها ما أكثر السؤال فى هذا المكان قالت يا أبت مادمت تمسكا لهم بهذه الكلمة فما تبالى كثروا أم قلوا وألأم اللئام وأبخلهم حميد الارقط الذى يقال له هجاء الاضياف وهو القائل فى ضيف له يصف أكله بهذا البيت من قصيدة له

ما بين لقمته الاولى اذا انحدرت * وبين أخرى تليها قيد أظفور

وقال فيه أيضا

تجهز كفاه ويحدر حلقه * الى الزور ماضمت عليه الانامل

وأكل أعرابى مع أبى الاسود رطبا فأكثر ومد أبو الاسود يده الى رطبة ليأخذها فسبقه الاعرابى اليها فسقطت منه فى التراب فأخذها أبو الاسود وقال لا أدعها للشيطان يأكلها فقال الاعرابى والله ولا لجبريل وميكائيل لو نزلا من السماء ماتركتها وقال أعرابى لئن بليل نزل به نزلت بواد غير ممطور ورجل بك غير مسرور فأقم بعدم أو ارحل بندم وللحمدونى

رأيت أبا زرارة قال يوما * لحاجبه وفى يده الحسام
لئن وضع الخوان ولاح شخص * لأختطفن رأسك والسلام
فقال سوى أبيك فذا الشيخ * بغيض ليس يردعه الكلام
فقام وقال من حنق اليه * ببيت لم يرد فيه القيام
أبى وابنا أبى والكلب عندى * بمنزلة اذا حضر الطعام
وقال له أبن لى يا ابن كلب * على خبزى أصادر أو أضام
اذا حضر الطعام فلا حقوق * على لوالدى ولا ذمام
فما فى الارض أقبح من خوان * عليه الخبز يحضره الزحام

فاين هذا من القائل

بخيل يرى فى الجود عارا وانما * يرى المرء عارا أن يضن ويبخلا

اذا

اذا المرء أثرى ثم لم يرج نفعه * صديق فلاقته المنية أولا

وقال آخر

وآمرة بالبخل قلت لها اقصرى * فليس اليه ما حييت سبيل
أرى الناس اخوان الكريم وما أرى * بخيلا له فى العالمين خليل

وقالوا اذا سألت لئيماً شيأ فعاجله ولا تدعه يفكر فانه كلما فكر ازداد بعداً وقال ربعى الهمدانى

جمعت صنوف المال من كل وجهة * وما نالتها الا بكف كريم
وانى لارجو أن أموت وتنقضى * حياتى وما عندى يد للئيم

وأنشد الجاحظ لابى الشمقمق

ممن تعلمت هذا * أن لا تجود بشى
أمامررت بعبد * لعبد حاتم طى

ومما قالته الشعراء فى البخلاء وطعامهم فمن أهجى ما قيل فيهم بيت جرير فى بنى تغلب

والتغلبى اذا تنحنح للقرى * حك استه وتمثل الامثالا

وله أيضا فيهم

قوم اذا أكلوا أخفوا كلامهم * واستوثقوا من رتاج الباب والدار
قوم اذا استنبح الضيفان كلبهم * قالوا لامهم بولى على النار
فتمنع البول شحا أن تجود به * وما تبول لهم الا بمقدار
والخبز كالعنبر الهندى عندهم * والقمح خمسون اردبا بدينار

فأين هؤلاء من الذى قال فيه الشاعر

أبلج بين حاجبيه نوره * اذا تغدى رفعت ستوره

وقال بعضهم فى بخيل

أتانا بخبز له * كمثل الدراهم فى رقته
اذا ما تنفس حول الخوان * تطاير فى البيت من خفته

وقال آخر

تراهم خشية الاضياف خرسا * يقيمون الصلاة بلا أذان

وقال آخر وقد بات عند بخيل

فبتنا كأنا بينهم أهل مأتم * على ميت مستودع بطن ملحد
يحدث بعضا بعضنا بمصابه * ويأمر بعضا بعضنا بالتجلد

وقال آخر

وجيرة لا ترى فى الناس مثلهم * اذا يكون لهم عيد وافطار
ان يوقدوا يوسعونا من دخانهم * وليس يبلغنا ما تطبخ النار .

وقال آخر وأجاد

فصدق ايمانه ان قال مجتهدا * لا والرغيف فذاك البر من قسمه
فان هممت به فافجع بخبزته * فان موقعها من لحمه ودمه
قد كان يعجبني لو أن غيرته * على جرادقه كانت على حرمه

وقال آخر

ذهب الكرام فلا كرام * وبقى العضاربط اللئام
من لا يقيل ولا ينيل ولا يشم له طعام

وقال آخر

خليليّ من كعب أعينا أخاكما * على دهره ان الكريم معين
ولا تبخلا بخل ابن قزعة انه * مخافة أن يرجى نداه حزين
اذا جئته في حاجة سد بابه * فلم تلقه الا وأنت كمين

وقال آخر

له يومان يوم ندى ويوم * يسل السيف فيه من القراب
فأما جوده فعلى الذباب * وأما سيفه فعلى الكلاب

وقال آخر

زففت الى نبهان من صفو فكرتي * عروسا غدا بطن الكتاب لها صدرا
فقبلها عشرا وهام بحبها * فلما ذكرت المهر طلقها عشرا

وقال آخر

لو عبر البحر بأمواجه * في ليلة مظلمة بارده
وكفه مملوأة خردلا * ما سقطت من كفه واحده

وقال آخر

يا قائما في داره قاعدا * من غير معنى لا ولا فائده
قد مات أضيافك من جوعهم * فاقرأ عليهم سورة المائده

وقال آخر

نوالك دونه شوك القتاد * وخبزك كالثريا في البعاد
فلو أبصرت ضيفا في منام * لحرمت الرقاد الى المعاد

وقال آخر

لا تعجبن لخبز زل من يده * فالكوكب النحس يسقي الارض أحيانا

وقال ابن أبي حازم

وقالوا قد مدحت فتى كريما * فقلت وكيف لي بفتى كريم
بلوت ومر بي خمسون حولا * وحسبك بالمجرب من عليم
فلا أحد يعد ليوم خير * ولا أحد يجود على عديم

ومن رؤساء أهل البخل محمد بن الجهم وهو الذي قال وددت لو أن عشرة من الفقهاء وعشرة

من

من الخطباء وعشرة من الشعراء وعشرة من الادباء تواطؤا على ذمي واستعملوا شتمي حتى ينتشر ذلك في الآفاق فلا يمتد الي أمل آمل ولا يبسط نحوي رجاء راج وقال له أصحابه يوما انا نخشى أن نقعد عندك فوق مقدار شهوتك فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت استثقالك لمجالستنا فقال علامة ذلك أن أقول يا غلام هات الغداء * وقال عمر بن ميمون مررت ببعض طرق الكوفة فاذا أنا برجل يخاصم جاراله فقلت ما بالكما فقال أحدهما ان صديقا لي زارني فاشتهى رأسا فاشتريته وتغدينا وأخذت عظامه فوضعتها على باب داري أتجمل بها أخذها هذا فأخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس انه هو الذي اشترى الرأس * وقال رجل من البخلاء لاولاده اشتروا لي لحما فاشتروه فأمر بطبخه فلما استوى أكله جميعه حتى لم يبق في يده الا عظمة وعيون أولاده ترمقه فقال ما أعطي أحدا منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها فقال ولده الاكبر أمششها يا أبت وأمصها حتى لا أدع للذر فيها مقيلا قال لست بصاحبها فقال الاوسط ألوكها يا أبت وألحسها حتى لا يدري أحد لعام هي أم لعامين قال لست بصاحبها فقال الاصغر يا أبت أمصها ثم أدقها وأسفها سفا قال أنت صاحبها وهي لك زادك الله معرفة وحزما * ووقف أعرابي على أبي الاسود وهو يتغدى فسلم فرد عليه ثم أقبل على الاكل ولم يعزم عليه فقال له الاعرابي أما اني قد مررت بأهلك قال كذلك كان طريقك قال وامرأتك حبلى قال كذلك كان عهدي بها قال قد ولدت قال كان لا بد لها أن تلد قال ولدت غلامين قال كذلك كانت أمها قال مات أحدهما قال ما كانت تقوى على ارضاع اثنين قال ثم مات الآخر قال ما كان ليبقى بعد موت أخيه قال وماتت الام قال حزنا على ولديها قال ما أطيب طعامك قال لاجل ذلك أكلته وحدي والله لاذقته يا اعرابي * وقيل خرج أعرابي قد ولاه الحجاج بعض النواحي فأقام بها مدة طويلة فلما كان في بعض الايام ورد عليه أعرابي من حيه فقدم اليه الطعام وكان اذ ذاك جائعا فسأله عن أهله وقال ما حال ابني عمير قال على ما تحب قد ملأ الارض والحي رجالا ونساء قال فما فعلت أم عمير قال صالحة أيضا قال فما حال الدار قال عامرة بأهلها قال وكلبنا ايقاع قال قد ملأ الحي نبحا قال فما حال جملي زريق قال على ما يسرك قال فالتفت الى خادمه وقال ارفع الطعام فرفعه ولم يشبع الاعرابي ثم أقبل عليه يسأله وقال يا مبارك الناصية أعد علي ما ذكرت قال سل عما بدا لك قال فما حال كلبي ايقاع قال مات قال وما الذي أماته قال اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فمات قال أو مات جملي زريق قال نعم قال وما الذي أماته قال كثرة نقل الماء الى قبر أم عمير قال أو ماتت أم عمير قال نعم قال وما الذي أماتها قال كثرة بكائها على عمير قال أو مات عمير قال نعم قال وما الذي أماته قال سقطت عليه الدار قال أو سقطت الدار قال نعم قال فقام له بالعصا ضاربا فولى من بين يديه هاربا (وحكى) بعضهم قال كنت في سفر فضللت عن الطريق فرأيت بيتا في الفلاة فأتيته فاذا به اعرابية فلما رأتني قالت من تكون قلت ضيف قالت أهلا ومرحبا بالضيف انزل على الرحب والسعة قال فنزلت فقدمت لي طعاما فأكلت وماء فشربت فبينما أنا على ذلك اذ أقبل صاحب البيت فقال

من هذا فقالت ضيف فقال لا أهلا ولا مرحبا ما لنا وللضيف فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتى وسرت فلما كان من الغد رأيت بيتا فى الفلاة فقصدته فاذا فيه أعرابية فلما رأتنى قالت من تكون قلت ضيف قالت لا أهلا ولا مرحبا بالضيف ما لنا وللضيف فبينما هى تكلمنى اذ أقبل صاحب البيت فلما رآنى قال من هذا قالت ضيف قال مرحبا وأهلا بالضيف ثم أتى بطعام حسن فأكلت وماء فشربت فتذكرت ما مر بى بالامس فتبسمت فقال مم تبسمك فقصصت عليه ما اتفق لى مع تلك الاعرابية وبعلها وما سمعت منه ومن زوجته فقال لا تعجب ان تلك الاعرابية التى رأيتها هى أختى وان بعلها أخو امرأتى هذه غلب على كل طبع أهله وحكايات هؤلاء وأمثالهم كثيرة وأخبارهم ونوادرهم شهيرة وفيما ذكرته كفاية وأسأل الله تعالى التوفيق والهداية انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الخامس والثلاثون فى الطعام وآدابه والضيافة وآداب المضيف والضيف وأخبار الاكلة وما جاء عنهم وغير ذلك

(أما اباحة الطيب من المطاعم) فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون وقال تعالى يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وقال تعالى قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محرم الحلال كمحلل الحرام وقال عليه الصلاة والسلام ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده فى مأكله ومشربه وكان الحسن يقول ليس فى اتخاذ الطعام سرف وسئل الفضيل عمن يترك الطيبات من اللحم والخبيص للزهد فقال ما للزهد وأكل الخبيص ليتك تأكل وتتقى الله ان الله لا يكره أن تأكل الحلال اذا اتقيت الحرام انظر كيف برك بوالديك وصلتك للرحم وكيف عطفك على الجار وكيف رحمتك للمسلمين وكيف كظمك للغيظ وكيف عفوك عمن ظلمك وكيف احسانك الى من أساء اليك وكيف صبرك واحتمالك للاذى أنت الى احكام هذا أحوج من ترك الخبيص *(وأما نعوت الاطعمة وما جاء فيها)* فقد نقل عن الرشيد أنه سأل ابا الحرث عن الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب فقال يا أمير المؤمنين لا أقضى على غائب فأحضرهما اليه فجعل يأكل من هذا لقمة ومن هذا لقمة ثم قال يا أمير المؤمنين كلما أردت أن أقضى لأحدهما أتى الآخر بحجته واختلف الرشيد وأم جعفر فى الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب فحضر أبو يوسف القاضى فسأله الرشيد عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين لا يقضى على غائب فأحضرهما فأكل حتى اكتفى فقال له الرشيد احكم قال قد اصطلح الخصمان يا أمير المؤمنين فضحك الرشيد وأمر له بألف دينار فبلغ ذلك زبيدة فأمرت له بألف دينار الا دينارا وسمع الحسن البصرى رجلا يعيب الفالوذج فقال لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ما أظن عاقلا يعيبه وقال الاصمعى أول من صنع الفالوذج عبد الله بن جدعان وأتى أعرابى بفالوذج فأكل منه لقمة فقيل له هل تعرف هذا فقال هذا وحياتك الصراط المستقيم وكان

حب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم وكان صلى الله عليه وسلم يقول هو سيد الطعام فى الدنيا والآخرة وهو يزيد فى السمع ولو سألت ربى أن يطعمنيه كل يوم لفعل وكان صلى الله عليه وسلم يحب الدباء ويقول يا عائشة اذا طبختم قدرا فأكثروا فيها من الدباء فانها تشد القلب الحزين وهى شجرة أخى يونس وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بالقرع فانه يشد الفؤاد ويزيد فى الدماغ وعليكم بالعدس فانه يرق القلب ويغزر الدمعة وعن أبى رافع قال كان أبو هريرة رضى الله عنه يقول أكل التمر أمان من القولنج وشرب العسل على الريق أمان من الفالج وأكل السفرجل يحسن الولد وأكل الرمان يصلح الكبد والزبيب يشد العصب ويذهب بالنصب والوصب والكرفس يقوى المعدة ويطيب النكهة وأطيب اللحم الكتف وكان يديم أكل الهريسة وكان يأكل على سماط معاوية ويصلى خلف على ويجلس وحده فسئل عن ذلك فقال طعام معاوية أدسم والصلاة خلف على أفضل وهو أعلم والجلوس وحدى لى أسلم وسميت المتوكلية بالمتوكل والمأمونية بالمأمون وقال الحسن بن سهل يوما على مائدة المأمون الارز يزيد فى العمر فسأله المأمون عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين ان طب الهند صحيح وهم يقولون ان الارز يرى مناما حسنة ومن رأى مناما حسنا كان فى نهارين فاستحسن قوله ووصله وقال أبو صفوان الارز الابيض بالسمن والسكر ليس من طعام أهل الدنيا وقيل لابى الحرث ما تقول فى الفالوذجة قال وددت لو أنها وملك الموت اعتلجا فى صدرى والله لو أن موسى لقى فرعون بالفالوذجة لآمن ولكنه لقيه بعصا وكانت العرب لا تعرف الالوان انما كان طعامهم اللحم يطبخ بالماء والملح حتى كان زمن معاوية رضى الله عنه فاتخذ الالوان ويقال للمرقة المسخنة بنت نارين وكان بعض المترفهين يقول جنبوا مائدتى بنت نارين وقالوا كل طعام أعيد عليه التسخين مرتين فهو فاسد وقيل اذا ألقى اللحم فى العسل ثم أخرج بعد شهر طريا فانه لا يتغير ويقال للسكباج سيد المرق وشيخ الاطعمة وزين الموائد ويقال اذا طبخت اللحم بالخل فقد ألقيت عن معدتك ثلث المؤنة ويقال للخبز ابن حبة قال بعضهم

فى حبة القلب منى * زرعت حب ابن حبه

وعن ابن عباس رضى الله عنهما رفعه أكرموا الخبز قالوا وما كرامته يا رسول الله قال لا ينتظر به الادام اذا وجدتم الخبز فكلوه حتى تؤتوا بغيره وفى الحديث من داوم على اللحم أربعين يوما قسا قلبه ومن تركه أربعين يوما ساء خلقه وقيل المائدة التى أنزلت على بنى اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكراث وسمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة أرغفة على كل واحد زيتون وحب رمان ودخل ابن قزعة يوما على عز الدولة وبين يديه طبق فيه موز فتأخر عن استدعائه فقال ما بال مولانا ليس يدعونى الى الفوز بأكل الموز فقال صفه حتى أطعمك منه فقال ما الذى أصف من حسن لونه فيه سبائك ذهبية كأنها حشيت زبدا وعسلا أطيب الثمر كأنه مخ الشحم سهل المقشر لين المكسر عذب

المطعم بين الطعوم سلس فى الحلقوم ثم مد يده وأكل وسمع رجلا يذم الزبد فقال له ما الذى ذممت منه سواد لونه أم بشاعة طعمه أم صعوبة مدخله أم خشونة ملمسه وقيل له ما تقول فى الباذنجان قال أذناب المحاجم وبطون العقارب وبزور الزقوم قيل له انه يحشى باللحم فيكون طيبا فقال لو حشى بالتقوى والمغفرة ما أفلح * وصنع الحجاج وليمة واحتفل فيها ثم قال لزازان هل عمل كسرى مثلها فاستعفاه فأقسم عليه فقال أولم عبد عند كسرى فأقام على رؤس الناس ألف وصيفة فى يد كل واحدة ابريق من ذهب فقال الحجاج اف والله ما تركت فارس لمن بعدها من الملوك شرفا * وأهدى رجل الى آخر فالوذجة زنخة وكتب اليه انى اخترت لعملها السكر السوسى والعسل الماردانى والزعفران الاصبهانى فأجابه والله العظيم ما عملت الا قبل أن توجد أصبهان وقبل أن تفتح السوس وقبل أن يوحى ربك الى النحل وقيل ان أباجهم ابن عطية كان عينا لابى مسلم الخولانى على المنصور فأحس المنصور بذلك فطاوله الحديث يوما حتى عطش فاستسقى فدعا له بقدح من سويق اللوز فيه السم فناوله اياه فشرب منه فما بلغ داره حتى مات فقيل فى ذلك

تجنب سويق اللوز لا تقربنه * فشرب سويق اللوز أردى أباجهم

وقال أبو طالب المأمونى

فما حملت كف امرئ متطعما * ألذ وأشهى من أصابع زينب

وأصابع زينب ضرب من الحلوى يعمل ببغداد يشبه أصابع النساء المنقوشة * ودخل السائب على على رضى الله عنه فى يوم شات فناوله قدحا فيه عسل وسمن ولبن فأباه فقال أما انك لو شربته لم تزل دفئا شبعان سائر يومك * وعن نافع بن أبى نعيم قال كان أبو طالب يعطى عليا قدحا من اللبن يصبه على اللات فكان على يشرب اللبن ويبول على اللات

*(وأما الزهد فى المآكل) فقد زهد فيه كثير من الاخيار مع القدرة عليه ومنهم من لا يقدر عليه قالت عائشة رضى الله عنها والذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ما كان لنا منخل ولا أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم خبزا منخولا منذ بعثه الله تعالى الى أن قبض قيل فكيف كنتم تأكلون الشعير قالت كنا نقول اف اف وعن جابر رضى الله تعالى عنه رفعه نعم الادم الخل وكفى بالمرء سرفا أن يتسخط ما قرب اليه وقال عمر رضى الله عنه ما اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ادمان الا أكل أحدهما وتصدق بالآخر وقالت عائشة رضى الله عنها ما كان يجتمع لونان فى لقمة فى فم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان لحما لم يكن خبزا وان كان خبزا لم يكن لحما وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يا على ابدأ بالملح واختم به فان فيه شفاء من سبعين داء وروى أن نبيا من الانبياء عليهم السلام شكا الى الله الضعف فأمره أن يطبخ اللحم باللبن فان القوة فيهما وسنذكر فضل الزهد فى المآكل والمشارب فى باب مدح الفقراء ان شاء الله تعالى

(وأما ما جاء فى آداب الاكل) فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عند مطعمه ومشربه بسم الله خير الاسماء بسم الله رب الارض والسماء لم يضره ما أكل وما شرب وكان صلى الله عليه وسلم اذا وضع بين يديه الطعام قال بسم الله اللهم بارك لنا فيما

رزقتنا وعليك خلفه وقال صلى الله عليه وسلم من أكل طعامافقال الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولاقوة غفر له ماتقدم من ذنبه ومن لبس ثوبا فقال الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولاقوة غفر له ماتقدم من ذنبه وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله فان نسى فى أوله فليقل بسم الله أوله وآخره وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه واذا شرب فليشرب بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله وقال صلى الله عليه وسلم الأكل فى السوق دناءة وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم زجر عن الشرب قائما قال فسألناه عن الأكل قائما فقال هو شر من الشرب وأوصى رجل من خدم الملوك ابنه فقال اذا أكلت فضم شفتيك ولا تلتفتن يمينا ولا شمالا ولا تلقمن بسكين ولا تجلس فوق من هو أشرف منك وأرفع منزلة ولا تبصق فى الاماكن النظيفة ومن هذا ماروراه الزهرى أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن النفخ فى الطعام والشراب وقال على رضى الله عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤكل الطعام حارا وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ماعاب النبى صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه أكله والا تركه وقال عمرو بن هبيرة عليكم بمباكرة الغداء فان مباكرته تطيب النكهة وتعين على المروأة قيل وما اعانته على المروأة قال أن لاتتوق نفسك الى طعام غيرك وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أكل من سقط المائدة عاش فى سعة وعوفى فى ولده وولد ولده من الحمق وعنه صلى الله عليه وسلم من التقط شيأ من الطعام فأكله حرم الله جلده على النار وكان الحرث ابن كلدة يقول اذا تغدى أحدكم فلينم على غدائه واذا تعشى فليخط أربعين خطوة وقيل خير الغداء بواكره وخير العشاء سوافره وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتبع الرجل بصره لقمة أخيه وقال الحجاج لاعرابى يوما على سماطه ارفق بنفسك فقال وأنت ياحجاج اغضض من بصرك وقال معاوية لرجل على مائدته خذ الشعرة من لقمتك فقال وانك تراعينى مراعاة من يرى الشعرة فى لقمتى لا أكلت لك طعاما أبدا ووضع معاوية بين يدى الحسن بن على رضى الله عنهما دجاجة ففككها فقال معاوية هل بينك وبين أمها عداوة فقال الحسن فهل بينك وبين أمها قرابة أراد معاوية أن الحسن يوقر مجلسه كما توقر مجالس الملوك والحسن أعلم منه بالآداب والرسوم المستحسنة رضى الله عنهما وحضر أعرابى على مائدة بعض الخلفاء فقدم جدى مشوى فجعل الاعرابى يسرع فى أكله منه فقال له الخليفة أراك تأكله بحرد كأن أمه نطحتك فقال أراك تشفق عليه كأن أمه أرضعتك *(وأما ماجاء فى كثرة الاكل)* فقد روى عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قل طعامه صح بطنه وصفا قلبه ومن كثر طعامه سقم بطنه وقسا قلبه وعنه صلى الله عليه وسلم لاتميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع اذا كثر عليه الماء مات وقال صلى الله عليه وسلم مازين الله رجالا بزينة أفضل من عفاف بطنه وقال عمرو بن عبيد مارأيت الحسن ضاحكا الامرة واحدة قال رجل

من جلسائه ما آذاني طعام قط فقال له آخر أنت لو كانت في معدتك الحجارة لطحنتها وقال علي كرم الله وجهه البطنة تذهب الفطنة وقال ابن المقفع كانت ملوك الاعاجم اذا رأت الرجل نهما شرها أخرجوه من طبقة الجد الى باب الهزل ومن باب التعظيم الى باب الاحتقار وتقول العرب أقلل طعاما تحمد مناما وكانت العرب تعير بعضها بكثرة الأكل وأنشدوا

لست بأكال كأكل العبد * ولا بنوام كنوم الفهد

وأنشد الاصمعي لرجل من بني فهد

اذا لم أزر الا لآكل أكلة * فلا رفعت كفي الى طعام

فما أكلة ان نلتها بغنيمة * ولا جوعة ان جعتها بغرام

وقالت عائشة رضي الله عنها أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشتري غلاما فألقى بين يديه تمرا فأكل فأكثر فقال صلى الله عليه وسلم ان كثرة الأكل شؤم وقالوا الوحدة خير من الجليس السوء والجليس السوء خير من الأكيل السوء وشكا أبو العيناء الى صديق له سوء الحال فقال اشكر فان الله قد رزقك الاسلام والعافية قال أجل ولكن بينهما جوع يقلقل الكبد ودعت أبا الحرث حبيبة له فحادثته ساعة فجاع فطلب الأكل فقالت له أما في وجهي ما يشغلك عن الأكل قال جعلت فداك لو أن جميلا وبثينة قعدا ساعة لا يأكلان لبصق كل منهما في وجه صاحبه وافترقا

(وأما أخبار الأكلة) فقد قيل ان وهب بن جرير سأل ميسرة البراش عن أعجب ما أكل فقال أكلت مائة رغيف بمكوك بلح * ومر ميسرة المذكور يوما بقوم وهو راكب حمارا فدعوه للضيافة فذبحوا له حماره وطبخوه وقدموه له فأكله كله فلما أصبح طلب حماره ليركبه فقيل له هو في بطنك * وقال المعتمر بن سليمان قلت لهلال المازني ما أكلة بلغتني عنك قال جعت مرة ومعي بعير لي فنحرته وشويته وأكلته ولم أبق منه الا شيأ يسيرا حملته على ظهري فلما كان الليل أردت أن أجامع أمة لي فلم أقدر أصل اليها فقالت كيف تصل الي وبيننا جمل فقلت له كم تكفيك هذه الأكلة فقال أربعة أيام وقال الاصمعي ان سليمان بن عبد الله كان شرها نهما وكان من شرهه أنه اذا أتى بالسفود وعليه الدجاج السمين المشوي لا يصبر الى أن يبرد ولا أن يؤتى بمنديل فيأخذ بكمه فيأكل واحدة واحدة حتى يأتي عليها فقال الرشيد ويحك يا أصمعي ما أعلمك بأخبار الناس اني عرضت علي جباب سليمان فرأيت فيها آثار الدهن فظننته طيبا حتى حدثتني ثم أمر لي بجبة منها فكنت اذا لبستها أقول هذه جبة سليمان بن عبد الملك * وقال الشمردل وكيل عمرو بن العاص قدم سليمان بن عبد الملك الطائف فدخل هو وعمر بن عبد العزيز الي وقال يا شمردل ما عندك ما تطعمني قلت عندي جدي كأعظم ما يكون سمنا قال عجل به فأتيته به كأنه عكة سمن فجعل يأكل منه ولا يدعو عمر حتى اذا لم يبق منه الا فخذ قال هلم يا أبا حفص فقال اني صائم فأكله ثم قال يا شمردل ويلك أما عندك شئ قلت ست دجاجات كأنهن أفخاذ نعام فأتيته بهن فأتى عليهن ثم قال يا شمردل أما عندك شئ قلت

سويق كأنه قراضة الذهب فأتيته به فعبه حتى أتى عليه ثم قال يا غلام أفرغت من غدائنا قال نعم قال ماهو قال نيف وثلاثون قدرا قال ائتنى بقدر قدر فأتاه بها ومعه الرقاق فأكل من كل قدر ثلثه ثم مسح يده واستلقى على فراشه وأذن للناس فدخلوا ووضع الخوان فقعد وأكل مع الناس وكان هلال بن الاسعر يضع القمع على فيه ويصب اللبن أو النبيذ وكان غليظا عتلا * وقال أعرابى لرجل رآه سمينا أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك * وقال أبو المحسر الاعرابى كانت لى بنت تجلس معى على المائدة فتبرز كفا كأنها طلعة فى ذراع كأنه جمارة فلا تقع عينها على لقمة نفيسة الا خصتنى بها فكبرت وزوجتها وصرت أجلس على المائدة مع ابن لى فيبرز كفا كأنها كرنافة فوالله ان تسبق عينى الى لقمة طيبة الا سبقت يده اليها * وقال مسلم بن قتيبة عددت للحجاج أربعة وثمانين رغيفا مع كل رغيف سمكة * ويقال فلان يحاكى حوت يونس فى جودة الالتقام وعصا موسى فى سرعة الالتهام * وقيل لابى مرة أى الطعام أحب اليك قال لحم سمين وخبز سميذ أضرب فيه ضرب ولى السوء فى مال اليتيم * وقال صدقة بن عبيد المازنى أولم لى أبى لما تزوجت فعمل عشر جفان ثريد من جزور فكان أول من جاءنا هلال المازنى فقدمناله جفنة مترعة فأكلها ثم أخرى فأكلها حتى أتى على الجميع ثم أتى بقربة مملوءة من النبيذ فوضع طرفها فى شدقه وفرغها فى جوفه ثم قام فخرج واستأنفنا عمل الطعام * وكان عبيد الله بن زياد يأكل فى كل يوم خمس أكلات فخرج يوما يريد الكوفة فقال له رجل من بنى شيبان الغداء أصلح الله الامير فنزل فذبح له عشرين طائرا من الاوز فأكلها ثم قدم الطعام فأكل ثم أتى بزنبيلين فى أحدهما تين وفى الآخر بيض فجعل يأكل من هذا تينة ومن هذا بيضة حتى أتى على ذلك جميعه ثم رجع وهو جائع وكان ميسرة البراش يأكل الكبش العظيم ومائة رغيف فذكر ذلك للمهدى فقال دعوت يوما بالفيل وأمرت فألقى اليه رغيف رغيف فأكل تسعة وتسعين وألقى اليه تمام المائة فلم يأكله * وحدث الشيخ نبيه الدين الجوهرى أنه سمع الشيخ الامام عزالدين بن عبد السلام يقول ان معاوية بن أبى سفيان كان يأكل فى كل يوم مائة رطل بالدمشقى ولا يشبع * ونزل رجل بصومعة راهب فقدم اليه الراهب أربعة أرغفة وذهب ليحضر اليه العدس فحمله وجاء فوجده قد أكل الخبز فذهب فأتى بخبز فوجده قد أكل العدس ففعل معه ذلك عشر مرات فسأله الراهب أين مقصده قال الى الاردن قال لماذا قال بلغنى أن بها طبيبا حاذقا أسأله عما يصلح معدتى فانى قليل الشهوة للطعام فقال له الراهب ان لى اليك حاجة قال وماهى قال اذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك على

(وأما المهازلة على الطعام) فقد روى عن يحيى بن عبد الرحمن رضى الله عنه قال قالت عائشة رضى الله عنها كان عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة فصنعت حريرة فجئت به فقلت لسودة كلى فقالت لا أحبه فقلت والله لتأكلين أو لالطخن وجهك فقالت ما أنا بذائقته فأخذت من الصحفة شيأ فلطخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بينى وبينها فتناولت من الصحفة شيأ فلطخت به وجهى وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك * واشترى غندر يوما سمكا وقال لاهله أصلحوه ونام فأكل عياله السمك ولطخوا

بده فلما انتبه قال قدموا الى السمك قالوا قد أكلت قال لا قالوا شم يدك ففعل فقال صدقتم ولكن ما شبعت * ودخل الجدولي على رجل وعنده أقوام بين أيديهم أطباق الحلوى ولا يمدون أيديهم فقال لقد ذكرتموني ضيف ابراهيم وقول الله تعالى فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ثم قال كلوا رحمكم الله فضحكوا وأكلوا والحكايات في ذلك كثيرة

(وأما الضيافة واطعام الطعام) فقد قال الله تعالى هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ولا يؤذ جاره وقال صلى الله عليه وسلم من أكل وذو عينين ينظر اليه ولم يواسه ابتلي بداء لا دواء له وقال الحسن كنا نسمع أن احدى موجبات الرحمة طعام الاخ المسلم الجائع وقيل لابراهيم الخليل عليه السلام بم اتخذك الله خليلا قال بثلاث ما خيرت بين شيئين الا اخترت الذي لله على غيره ولا اهتممت بما تكفل لي به ولا تغديت ولا تعشيت الا مع ضيف ويقولون ما خلا مضيف الخليل عليه السلام الى يومنا هذا ليلة واحدة من ضيف وكان الزهري اذا لم يأكل أحد من أصحابه من طعامه حلف لا يحدثه عشرة أيام * وقالوا المائدة مرزوقة أي من كان مضيافا فأوسع الله عليه * وقالوا أول من سن القرى ابراهيم الخليل عليه السلام وأول من ثرد الثريد وهشمه هاشم وأول من أفطر جيرانه على طعامه في الاسلام عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما وهو أول من وضع موائده على الطريق وكان اذا خرج من بيته طعام لا يعود منه شيء فان لم يجد من يأكله تركه على الطريق * وقيل لبعض الحكماء كيف اكتسبت مكارم الاخلاق والتأدب مع الاضياف فقال كانت الاسفار تحوجني الى أن أفد على الناس فما استحسنته من أخلاقهم اتبعته وما استقبحته اجتنبته

(وأما آداب المضيف) فهو أن يخدم أضيافه ويظهر لهم الغنى وبسط الوجه فقد قيل البشاشة في الوجه خير من القرى قالوا فكيف بمن يأتي بها وهو ضاحك وقد ضمن الشيخ شمس الدين البديوي رحمه الله هذا الكلام بأبيات فقال

اذا المرء وافى منزلا منك قاصدا * قراك وأرمته لديك المسالك
فكن باسما في وجهه متهللا * وقل مرحبا أهلا ويوم مبارك
وقدم له ما استطيع من القرى * عجولا ولا تبخل بما هو هالك
فقد قيل بيت سالف متقدم * تداوله زيد وعمرو ومالك
بشاشة وجه المرء خير من القرى * فكيف بمن يأتي به وهو ضاحك

وقالت العرب تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة واطالة الحديث عند المؤاكلة وقال حاتم الطائي

سلي الطارق المعتر يا أم مالك * اذا ما أتاني بين ناري ومجزري
أأبسط وجهي انه أول القرى * وأبذل معروفي له دون منكر

وقال آخر في عبد الله بن جعفر

انك يا ابن جعفر خير فتى * وخيرهم لطارق اذا أتى

ولله درّ القائل

الله يعلم انه ما سرّني * شئ كطارقة الضيوف النزل
مازلت بالترحيب حتى خلتني * ضيفا له والضيف رب المنزل

أخذه من قول الشاعر

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا * نحن الضيوف وأنت رب المنزل

وما أحسن ما قال سيف الدولة بن حمدان

منزلنا رحب لمن زاره * نحن سواء فيه والطارق
وكل ما فيه حلال له * الا الذى حرّمه الخالق

وقال الاصمعى سألت عيينة بن وهب الدارمى عن مكارم الاخلاق فقال أوما سمعت قول عاصم بن وائل

وانا لنقرى الضيف قبل نزوله * ونشبعه بالبشر من وجه ضاحك

. وقال بعض الكرام

اضاحك ضيفى قبل أنزل رحله * ويخصب عندى والمحل جديب
وما الخصب للاضياف أن تكثر القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

وقال آخر

عودت نفسى اذا ما الضيف نبهنى * عقر العشار على عسر وايسار

ومن آداب المضيف أن يتفقد دابة ضيفه ويكرمها قبل اكرام الضيف قال الشاعر

مطية الضيف عندى تلو صاحبها * لن يأمن الضيف حتى تكرم الفرسا

وقال على بن الحسين رضى الله عنهما من تمام المروأة خدمة الرجل ضيفه كما خدمهم أبونا ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه بنفسه وأهله أما سمعت قول الله عز وجلّ وامرأته قائمة ومن آداب المضيف ان يحدّث أضيافه بما تميل اليه نفوسهم ولا ينام قبلهم ولا يشكو الزمان بحضورهم ويبش عند قدومهم ويتألم عند وداعهم وأن لا يحدّث بما يروعهم به كما حكى بعضهم قال استدعانى اسحق بن ابراهيم الطاهرى الى أكل هريسة فى بكرة نهار قد خلت فأحضرت الينا الهريسة فأكلنا فاذا شعرة قد جاءت على لقمة غفل عنها طباخه فاستدعى خادمه فأسرّ اليه شيأ لم نعلمه فعاد الخادم ومعه صينية مغطاة فكشف عن الصينية فاذا يد الطباخ مقطوعة تختلج فتكدر علينا عيشنا وقمنا من عنده ونحن لا نعقل فيجب على المضيف أن يراعى خواطر أضيافه كيفما أمكن ولا يغضب على أحد بحضورهم ولا ينغص عيشهم بما يكرهونه ولا يعبس بوجهه ولا يظهر نكدا ولا ينهر أحدا ولا يشتمه بحضرتهم بل يدخل على قلوبهم السرور بكل ما أمكن كما حكى عن بعض الكرام أنه دعا جماعة من أصحابه الى بستانه وعمل لهم سماطا وكان له ولد جميل الطلعة فكان الولد فى أوّل النهار يخدم القوم ويأنسون به ففى آخر النهار صعد الى السطح فسقط فمات لوقته فحلف أبوه على امه بالطلاق الثلاث أن لا تصرخ ولا تبكى الى أن تصبح فلما كان الليل سأله أضيافه عن ولده فقال هو نائم فلما اصبحوا وأرادوا الخروج قال لهم ان رأيتم ان تصلوا

على ولدى فانه بالامس سقط من على السطح فمات لساعته فقالوا والله لم لا أخبرتنا حين سألناك فقال ما ينبغى لعاقل أن ينغص على أضيافه فى التذاذهم ولا يكدر عليهم فى عيشهم فتعجبوا من صبره وتجلده ومكارم أخلاقه ثم صلوا على الغلام وحضروا دفنه وبكوا عليه وانصرفوا وعلى المضيف ان يأمر غلمانه بحفظ نعال اضيافه وتفقد غلمانهم بما يكفيهم ويسهل حجابه وقت الطعام ولا يمنع واردا وقيل لبعض الامراء الكرام لا بأس بالحجاب لئلا يدخل من لا يعرفه الامير ويحترز عن العدو فقال ان عدوا يأكل طعامنا ولا يخدع لا يمكنه الله منا والاليق بالكريم الرئيس ان يمنع حاجبه من الوقوف ببابه عند حضور الطعام فان ذلك أول الشناعة عليه وعليه ان يسهر مع أضيافه ويؤانسهم بلذيذ المحادثة وغريب الحكايات وان يستميل قلوبهم بالبذل لهم من غرائب الطرف ان كان من أهل ذلك وان يرى أضيافه مكان الخلاء فقد قيل عن ملك الهند أنه قال اذا اضافك أحد فأره الكنيف فانى ابتليت به مرة فوضعته فى قلنسوتى وقالوا لا بأس ان يدخل الرجل دار أخيه يستطعم للصداقة الوكيدة وقد قصد النبى صلى الله عليه وسلم والشيخان منزل الهيثم بن التيهان وأبى أيوب الانصارى وكذلك كانت عادة السلف رضى الله تعالى عنهم وكان لعون بن عبد الله المسعودى ثلثمائة وستون صديقا فكان يدور عليهم فى السنة ولا بأس أن يدخل الرجل بيت صديقه فيأكل وهو غائب فقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة رضى الله عنها فأكل طعامها وهى غائبة وكان الحسن رضى الله عنه يوما عند بقال فجعل يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه فستقة فيأكلها فقال له هشام ما بدا لك يا أبا سعيد فى الورع فقال له بالكع اتل على آية الاكل فتلا ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم الى قوله أو صديقكم فقال الصديق من استروحت اليه النفس واطمأن اليه القلب وعلى المضيف الكريم أن لا يتأخر عن أضيافه ولا يمنعه عن ذلك قلة ما فى يده بل يحضر اليهم ما وجد فقد جاء عن أنس وغيره من الصحابة رضى الله عنهم أنهم كانوا يقدمون الكسرة اليابسة وحشف التمر ويقولون ما ندرى أيهما أعظم وزرا الذى يحتقر ما قدم اليه أو الذى يحتقر ما عنده ان يقدمه وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من لقم اخاه لقمة حلوة صرف الله عنه مرارة الموقف

* (وحكى) عن الامام الشافعى رضى الله عنه أنه كان نازلا عند الزعفرانى ببغداد فكان الزعفرانى يكتب فى كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان ويدفعها الى الجارية فأخذها الشافعى منها يوما وألحق فيها لونا آخر فعرف الزعفرانى ذلك فأعتق الجارية سرورا بذلك وكانت سنة السلف رضى الله عنهم أن يقدموا جملة الالوان دفعة ليأكل كل شخص ما يشتهى ومن السنة ان يشيع المضيف الضيف الى باب الدار وعلى المضيف اذا قدم الطعام الى أضيافه أن لا ينتظر من يحضر من عشيرته فقد قيل ثلاثة تضنى سراج لا يضىء ورسول بطىء ومائدة ينتظر لها من يجىء ونزل الامام الشافعى رضى الله عنه بالامام مالك رضى الله عنه فصب بنفسه الماء على يديه وقال له لا يرعك ما رأيت منى فخدمة الضيف على المضيف فرض ٠

اعرض طعامك وابذله لمن أكلا * واحلف على من أبى واشكر لمن فعلا

ولا تكن سابرى العرض محتشما * من القليل فلست الدهر محتفلا

ومن البخلاء من يعزم على الضيف فيعتذر له فيمسك عنه بمجرد الاعتذار كانه تخلص من ورطة وقيل لبعض البخلاء ما الفرج بعد الشدة قال أن يعتذر الضيف بالصوم ومن البخلاء من يعجبه طعامه ويصف زيادته ويشتهى أن تبقى على حالها ومنهم من يحضر طعامه فاذا رآه ضيوفه أمر بأن يرفع منها أطيبها واشهاها الى النفوس ويعتذر ان فى أصحابه من يحضر بالغداة عنده *(وحكى) عن بعض البخلاء انه استأذن عليه ضيف وبين يديه خبز وزبدية فيها عسل نحل فرفع الخبز وأراد أن يرفع العسل فدخل الضيف من قبل ان يرفعه فظن البخيل ان ضيفه لا يأكل العسل بلا خبز فقال له ترى ان تأكل عسلا بلا خبز قال نعم وجعل يلعق العسل لعقة بعد لعقة فقال له البخيل مهلا يا أخى والله انه يحرق القلب قال نعم صدقت ولكنه قلبك *(وحكى) عن بعضهم انه قال غلب على الجوع مرة فقلت أمضى الى دار فلان لاتغذى عنده فجئت الى باب بيته فوجدت غلامه فقلت له أين سيدك فقال والله لاقلت لك عليه الا ان أعطيتنى كسرة قال فرجعت هاربا ومن البخل تقديم الشئ اليسير وتفخيمه *(حكى) عن بعض البخلاء أنه حلف يوما على صديقه وأحضر له خبزا وجبنا وقال له لا تستقل الجبن فان الرطل منه بثلاثة دراهم فقال له ضيفه أنا اجعله بدرهم ونصف قال وكيف ذلك قال آكل لقمة بجبن ولقمة بلا جبن فأين هؤلاء من الذى يقول

قالت أما ترحل تبغى الغنى * قلت نعم لا لطارق المعتم
قالت فهل عندك شئ له * قلت نعم جهد الفتى المعدم
فكم وحق الله من ليلة * قد أطعم الضيف ولم أطعم
ان الغنى بالنفس ياهذه * ليس الغنى بالمال والدرهم

وقال بعض البخلاء

سرى نحونا يبغى القرى طاوى الحشى * لقد عملت فيه الظنون الكواذب
فبات له منا الى الصبح شاتم * يعدد تطفيل الضيوف وضارب

فشتان ما بين القائلين

(وأما آداب الضيف) فهو أن يبادر الى موافقة المضيف فى أمور منها أكل الطعام ولا يعتذر بشبع بل يأكل كيف أمكن * فقد حكى انه ورد على بعض الاعراب ضيف فدخل به الى بيته وقدم له الطعام فقال الضيف لست بجائع وانما احتاج الى مكان ابيت فيه فقال الاعرابى اذا كان هذا عزمك فكن ضيف غيرى فانى لا أرى ان تحدث فى البلاد وتهجونى فيما بينى وبينك *(وحكى) عن بعض التجار قال استدعانى أبو حفص محمد بن القاسم الكرخى لاعرض عليه قماشا من تجارتى فبينما أنا بين يديه واذا بأطباق الفاكهة قد حضرت فقمت من مجلسه فقال يا فلان ما هذا الخلق العامى اجلس فجلست وتحققت كرمه وجعلت آكل الكمثراة فى لقمة والتفاحة فى لقمة ثم قدم الطعام وكنت جائعا فأكلت أكلا جيدا ثم انصرفت فلم اشعر فى اليوم الثانى الا وقد جاءنى غلامه

بقلته فاستدعانى اليه فقال لى يافلان انى قليل الاكل بطىء الهضم ولقد طابت لى مؤاكلتك بالامس فاريد أن لاتنقطع بعدها عنى قال فكنت متى انقطعت حضر غلامه فى طلبى فحصل لى بقربى منه مال كثير وجاه عريض ومن آداب الضيف أيضا أن لايسأل صاحب المنزل عن شئ من داره سوى القبلة وموضع قضاء الحاجة وأن لايتطلع الى ناحية الحريم وأن لا يخالفه اذا أجلسه فى مكان واكرمه به وأن لايمتنع من غسل يديه واذا رأى صاحب المنزل قد تحرك بحركة فلا يمنعه منها فقد نقل فى بعض المجاميع ان بعض الكرماء كان عربيدا على اضيافه سيئ الخلق بهم فبلغ ذلك بعض الاذكياء فقال الذى يظهر لى من هذا الرجل أنه كريم الاخلاق وماأظن سوء اخلاقه الالسوء أدب الاضياف ولابد ان اتطفل عليه لارى حقيقة امره قال فقصدته وسلمت عليه فقال هل لك أن تكون ضيفى قلت نعم فسار بين يدى الى ان جاء الى باب داره فأذن لى فدخلت فأجلسنى فى صدر مجلسه فجلست حيث اجلسنى واعطانى مسندا فاستندت اليه فاخرج لى شطرنجا وقال أتتقن شيأ قلت نعم فلعبت معه فلما حضر الطعام جعل يقدم لى مااستطابه وأنا آكل فلما فرغنا قدم طستا وابريقا وأراد ان يسكب الماء على يدى فلم امنعه من ذلك وأراد الخروج بين يدى بعد ان قدم نعلى فلم أرده عن ذلك فلما أراد الرجوع قلت ياسيدى انشدك الله الافرجت عنى كربة قال وماهى فأخبرته الخبر فقال والله مايحوجنى لذلك الاسوء أدبهم يصل الضيف الى دارى فاجلسه فى الصدر فيأبى ذلك ثم اقدم اليه الطعام فلا اتحفه بشئ مستظرف الارده على ثم اريد ان اصب الماء على يديه عند الغسل فيحلف بالطلاق الثلاث ماتفعل ثم أريد ان أشيعه فلا يمكننى من ذلك فاقول فى نفسى لايحكم الانسان على نفسه حتى فى بيته فعند ذلك أشتمه والعنه بل وأضربه وفى معنى ذلك يقول بعضهم

لاينبغى للضيف ان يعترض * ان كان ذا حزم وطبع لطيف
فالامر للانسان فى بيته * ان شاء ان ينصف أو أن يحيف

ومما يعاب على الضيف أمور منها كثرة الاكل المفرط الاأن يكون بدويا فانها عادته ومنها ان يتبع طريق الشرهين كأن يتخذ معه خريطة مشمعة يقلب فيها الزبادى والامراق والحلوى وغير ذلك ومنها ان يأخذ معه ولده الصغير ويعلمه ان يبكى وقت الانصراف من الطعام ليعطى على اسم ولده الصغير ومنها قبح المؤاكلة وقد عدفيها عيوب كثيرة فمنها المتشاوف والعداد والجراف والرشاف والنفاض والقراض والبهات واللتات والعوام والقسام والمخلل والمزبد والمرغ والمرشش والمفتش والمنشف والملبب والصباغ والنفاخ والحامى والمجنح والشطرنجى والمهندس والمتمنى والفضولى فاما المتشاوف فهو الذى يستحكم جوعه قبل فراغ الطعام فلاتراه الامتطلعا الناحية الباب يظن ان كل مادخل هو الطعام وأما العداد فهو الذى يستغرق فى عد الزبادى ويعد على أصابعه ويشير اليها وينسى نفسه والجراف هو الذى يجعل اللقمة فى جانب الزبدية ويجرف بها الى الجانب الآخر والرشاف هو الذى يجعل اللقمة فى فيه ويرتشفها فيسمع لها حين البلع حس لايخفى على جلسائه وهو يلتذ بذلك والنفاض هو الذى يجعل اللقمة فى فيه وينفض أصابعه فى

الزبدية والقراض هو الذى يقرض اللقمة بأطراف اسنانه حتى يهذبها ويضعها فى الطعام
بعد ذلك والبهات هو الذى يبهت فى وجوه الآكلين حتى يبهتهم ويأخذ اللحم من بين
أيديهم واللقات هو الذى يلت اللقمة باطراف أصابعه قبل وضعها فى الطعام والعوام
هو الذى يميل ذراعيه يمنة ويسرة لاخذ الزبادى والقسام هو الذى يأكل نصف
اللقمة ويعيد باقيها فى الطعام من فيه والمخلل هو الذى يخلل اسنانه باظفاره والمزبد
هو الذى يحمل معه الطعام والمرشخ هو الذى يرشخ اللقمة فى الامراق فلا يبلع الاولى
حتى تلين الثانية والمرشش هو الذى يفسخ الدجاج بغير خبرة فيرش على مؤاكليه
والمفتش هو الذى يفتش على اللحم باصابعه والمنشف هو الذى ينشف يديه من الدهن
باللقم ثم يأكلها والملبب هو الذى يملأ الطعام لبابا والصباغ هو الذى ينقل الطعام من
زبدية الى زبدية ليبرده والنفاخ هو الذى ينفخ فى الطعام والحامى هو الذى يجعل اللحم بين
يديه فيحميه عن مؤاكليه والمجنح هو الذى يزاحم مؤاكليه بجناحيه حتى يفسح له فى المجلس
فلا يشق عليه الاكل والشطرنجى هو الذى يرفع زبدية ويضع زبدية أخرى مكانها والمهندس
هو الذى يقول لمن يضع الزبادى ضع هذه هنا وهذه ههنا حتى يأتى قدامه مايحب والمتمنى
هو الذى يقول ليتنى لم يكن معى من يأكل والفضولى هو الذى يقول لصاحب المنزل عند
فراغ الطعام ان كان قد بقى عندك فى القدور شئ فأطعم الناس فان فيهم من لم يأكل * ومن
الاضياف من لا يلذ له حديث الاوقت غسل يديه فيبقى الغلام واقفا والابريق فى يده والناس
ينتظرونه ومنهم من يغسل يديه بالاشنان مرة واحدة فاذا اجتمع الوسخ والزفر تسولك
بهما ومنهم من يدخل الدار فيبتدئ بالهندسة أولا فيقول كان ينبغى أن يكون باب
المجلس من ههنا والايوان كان ينبغى أن يكون ههنا وينتقل من الهندسة الى ترتيب
المجلس فينقل الفاكهة من موضعها الى موضع آخر وان كان ما اشتد كم جوعه استغنى
من الطعام وذهل عن بقية الاضياف وشدة جوعهم ومنهم من يخرج فيطوف على أصدقاء
صاحب الدعوة فيتألم من انقطاعهم ويستوحش من غيبتهم ويسلطهم على عرض صاحبهم
* ولقد حكى عن مغن غير مجيد انه لم يطل ولا ليلة واحدة وما ذاك الا أنه كان اذا سئل
أين كنت قال كنت عند الناس واذا قيل له أين أكلت قال أكلت فى بطنى واذا قيل له أين
شربت قال شربت فى فمى ومنهم من يفهم عن صاحب الدعوة أنه يقول لغلامه اشتر كذا
فيقول والله العظيم أو الطلاق الثلاث يلزمه ما يشترى شيأ أذوقه فيعجز صاحب المنزل ويخجله
اذا لم يكن فى بيته شئ موجود وليت شعرى اذا كان لا يأكل فلاى شئ حضر ومنهم من يرى
صاحب البيت قد أسر الى صديقه شيأ فيقول ما الذى قال المولى لصاحبنا وهو لا يريد
ان يعلمه ومنهم من يستعجل صاحب المنزل بالاكل ويشكو الجوع ويظن أن ذلك بسط
ومكارم اخلاق وانما ذلك يكون فى بيته لا فى بيوت الناس ومنهم من يقول لصاحب الدعوة
من يغنى لنا فيقول فلان فيقول له غلطت لم لا دعوت فلانا ومنهم من يسأل صاحب البيت
كيف قوتك فى النكاح فيقول له أنا رجل كبير قد ضعفت قوتى وشهوتى
أو يقول مالى قوة طائلة فى ذلك فيقول انا والله كلما مر على عام تزايدت شهوتى

وكثيرا هذا الفن تشوّقي ويعلن بذلك حتى تسمعه صاحبة البيت ومنهم من يشكو حاله مع أهل بيته ويذكر نفقته عليهن وكسوته لهن وكثرة انعامه واحسانه اليهن وما عليه زوجته من سوء الاخلاق وكبر النفس لتستثقل زوجة صاحب البيت ما هي فيه مع زوجها وربما كان ذلك سببا الفراقهما منه ومنهم من تعجبه نفسه ويستحسن لباسه ويستطيب رائحته واذا سمع الغناء تواجد وأظهر الطرب وحرك رأسه ويقوم قائما يتمايل حتى يرى أهل الرجل أنه لطيف الشكل بديع الحركات ويظن في نفسه انه يعشق وان رسول صاحبة البيت لا يبطئ عنه ومنهم من يقال له العب الشطرنج فيأباه ويشتغل بالدندنة فيقع في الفضول ومنهم من يتأمر على غلمان صاحب البيت ويهين أولاده ويظن انه يدل عليهم ومنهم من يقول له صاحب البيت كل فيقول ما آكل الا انا ورفيقي ومنهم من يسمع السائل على الباب فيتصدق عليه من مال صاحب البيت بغير اذنه أو يقول للسائل فتح الله عليك ومنهم من يدعو الناس اصاحب الوليمة بغير اذنه و يقلده بذلك المنن وأكثر الناس واقع في ذلك نسأل الله تعالى ان يلهمنا رشدنا وان يعيذنا من شرور انفسنا بمنه وكرمه انه جواد كريم رؤف رحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السادس والثلاثون في العفو والحلم والصفح وكظم الغيظ والاعتذار وقبول المعذرة والعتاب وما أشبه ذلك

قد ندب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم الى الصفح والعفو بقوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قيل هو الرضا بلا عتب وقال تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت قصورا مشرفة على الجنة فقلت يا جبريل لمن هذه قال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن قال مازال جبريل عليه السلام يوصيني بالعفو فلولا علمي بالله لظننت انه يوصيني بترك الحدود وقال الحسن بن أبي الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم الا العافون عن الناس وتلا قوله تعالى فمن عفا وأصلح فاجره على الله وقال علي كرّم الله وجهه أولى الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة وكان المأمون رحمه الله تعالى يحب العفو ويؤثره ويقول لقد حبب الي العفو حتى اني اخاف أن لا اثاب عليه وكان يقول لو علم أهل الجرائم لذتي في العفو لارتكبوها وقال لو علم الناس حبي للعفو لما تقربوا الي الا بالجنايات وقال علي كرّم الله وجهه اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه وقال رضي الله تعالى عنه أقيلوا ذوي المروآت عثراتهم فما يعثر منهم عاثر الا ويده بيد الله يرفعه وقال رضي الله عنه ان أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصار له على الجاهل وقال المنتصر لذة العفو يلحقها حمد العاقبة ولذة التشفي يلحقها ذم الندم وقال ابن المعتز لا تشن وجه العفو بالتقريع وقيل ما عفا عن الذنب من قرع به وقال رجل لرجل سبه اياك أعني فقال له وعنك اعرض وكان الاحنف

رحمه الله تعالى كثير العفو والحلم وكان يقول ما اذاني أحد الا أخذت في أمره باحدى ثلاث ان كان فوقي عرفت له فضله وان كان مثلي تفضلت عليه وان كان دوني أكرمت نفسي عنه وكان مشهورا بين الناس بالحلم وبذلك ساد عشيرته وكان يقول وجدت الاحتمال انصر لي من الرجال وقيل له ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم كنا نختلف اليه في الحلم كما يختلف الى الفقهاء في الفقه ولقد حضرت عنده يوما وقد أتوه بأخ له قد قتل ابنه فجاؤا به مكتوفا فقال ذعرتم أخي أطلقوه واحملوا الى أم ولدي ديته فانها ليست من قومنا ثم أنشأ يقول

أقول للنفس تصبيرا وتعزية * احدى يدي اصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا أخي حين ادعوه وذا ولدي

وقيل من عادة الكريم اذا قدر غفر واذا رأى زلة ستر وقالوا ليس من عادة الكرام سرعة الغضب والانتقام وقيل من انتقم فقد شفى غيظه وأخذ حقه فلم يجب شكره ولم يحمد في العالمين ذكره والعرب تقول لاسودد مع الانتقام والذي يجب على العاقل اذا أمكنه الله تعالى أن لا يجعل العفو به شيمته وان كان ولا بد من الانتقام فليرفق في انتقامه الا أن يكون حدا من حدود الله تعالى وقال المنصور لرجل عجز عن العذر ما هذا الوجوم وعهدي بك خطيبا لسنا فقال يا أمير المؤمنين ليس هذا موقف مباهاة ولكنه موقف توبة والتوبة بالاستكانة والخضوع فرق له وعفا عنه وسعى الى المنصور برجل من ولد الاشتر النخعي ذكر له عنه أنه يميل الى بني علي والتعصب لهم فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال يا أمير المؤمنين ذنبي أعظم من نقمتك وعفوك أعظم من ذنبي ثم قال

فهبني مسيئا كالذي قلت ظالما * فعفوا جميلا كي يكون لك الفضل
فان لم أكن للعفو منك لسوء ما * أتيت به أهلا فأنت له أهل

فعفا عنه وأمر له بصلة وأحضر الى المأمون رجل قد أذنب ذنبا فقال له أنت الذي فعلت كذا وكذا قال نعم يا أمير المؤمنين أنا ذاك الذي أشرف على نفسه واتكل على عفوك فعفا عنه وخلى سبيله وأحضر الى الهادي رجل من أصحاب عبد الله بن مالك فوبخه على ذنب فقال يا أمير المؤمنين ان اقراري يلزمني ذنبا لم أفعله ويلحق بي جرما لم أقف عليه وانكاري رد عليك ومعارضة لك ولكني أقول

فان كنت ترجو بالعقاب تشفيا * فلا تزهدن عند التجاوز في الاجر

فقال لله درك من معتذر بحق أو باطل ما امضى لسانك وأثبت جنانك وعفا عنه وخلى سبيله وركب يوما عمرو بن العاص رضي الله عنه بغلة له شهباء ومر على قوم فقال بعضهم من يقوم للامير فيسأله عن أمه وله عشرة آلاف فقال واحد منهم انا فقام وأخذ بعنان بغلته وقال اصلح الله الامير انت أكرم الناس خيلا فلم ركبت دابة اشهاب وجهها فقال اني لا أمل دابتي حتى تملني ولا امل رفيقي حتى يملني فقال اصلح الله الامير اما العاص فقد عرفناه وعلمنا شرفه فمن الام قال على الخبير سقطت امي النابغة بنت حرملة بن عنزة سبتها رماح العرب فأتى بها سوق عكاظ فبيعت فاشتراها عبد الله بن جدعان ووهبها للعاص بن وائل فولدت وأنجبت فان كان قد جعل لك جعل فارجع وخذه وأرسل عنان الدابة وقيل ان أمه كانت

بغيا عند عبد الله بن جدعان فوطئها فى طهر واحد أبو لهب وامية بن خلف وابو سفيان بن حرب والعاص بن وائل فولدت عمرا فادّعاه كلهم فحكمت فيه امه فقالت هو للعاص لان العاص هو الذى كان ينفق عليها وقالوا كان أشبه بأبى سفيان وكان الواثق يتشبه بالمأمون فى اخلاقه وحلمه وكان يقال له المأمون الصغير نقل عنه انه دخلت عليه ابنة مروان ابن محمد فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال لست به فقالت السلام عليك أيها الامير فقال لها وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقالت ليسعنا عدلكم فقال اذا لا يبقى على وجه الارض منكم احد لانكم حاربتم على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرّم وجهه ومنعتم حقه وسممتم الحسن رضى الله عنه ونقضتم شرطه وقتلتم الحسين رضى الله عنه وسبيتم أهله ولعنتم على بن أبى طالب رضى الله عنه على منابركم وضربتم على بن عبد الله ظلما بسياطكم فعدلنا لا يبقى منكم أحدا فقالت فليسعنا عفوكم قال أما هذا فنعم وأمر بردأموالها عليها وبالغ فى الاحسان اليها وكان معاوية رضى الله عنه يعرف بالحلم وله فيه أخبار مشهورة وآثار مذكورة وكان يقول انى لآنف أن يكون فى الارض جهل لا يسعه حلمى وذنب لا يسعه عفوى وحاجة لا يسعها جودى وهذه مروأة عالية المرتبة وقال له رجل يوما ما أشبه استك باست أمك فقال ذاك الذى أعجب أبا سفيان منها وكتب معاوية الى عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه يعتذر اليه من شئ جرى بينهما يقول من معاوية بن أبى سفيان الى عقيل بن أبى طالب أما بعد يابنى عبد المطلب فأنتم والله فروع قصى ولباب عبد مناف وصفوة هاشم فاين اخلاقكم الراسية وعقولكم الكاسية وقد والله أساء أمير المؤمنين ما كان جرى ولن يعود لمثله الى أن يغيب فى الثرى فكتب اليه عقيل يقول

صدقت وقلت حقا غير أنى * أرى أن لا أراك ولا ترانى

ولست اقول سوأ فى صديقى * ولكنى أصدّ اذا جفانى

فركب اليه معاوية رضى الله عنه وناشده فى الصفح عنه واستعطفه حتى رجع (وحكى) عنه رضى الله عنه انه لما ولى الخلافة وانتظمت اليه الامور وامتلأت منه الصدور وأذعن لامره الجمهور وساعده فى مراده القدر المقدور استحضر ليلة خواص أصحابه رذاكرهم وقائع أيام صفين ومن كان يتولى كبر الكريهة من المعروفين فانهمكوا فى القول الصحيح والمريض وآل حديثهم الى من كان يجتهد فى ايقاد نار الحرب عليهم بزيادة التحريض فقالوا امرأة من أهل الكوفة تسمى الزرقاء بنت عدى كانت تعتمد الوقوف بين الصفوف وترفع صوتها صارخة بأصحاب على تسمعهم كلاما كالصوارم مستحثة لهم يقول لو سمعه الجبان لقاتل والمدبر لأقبل والمسالم لحارب والفار لكر والمتزلزل لاستقر فقال لهم معاوية رضى الله عنه أيكم يحفظ كلامها فقالوا كلنا نحفظه قال فما تشيرون على فيها قالوا نشير بقتلها فانها أهل لذلك فقال لهم معاوية رضى الله عنه بئسما أشرتم به وقبحما قلتم أيحسن ان يشتهر عنى أننى بعدما ظفرت وقدرت قتلت امرأة قد وفت لصاحبها انى اذا للئيم لا والله لافعلت ذلك أبدا ثم دعا بكاتبه فكتب كتابا الى واليه بالكوفة ان أنفذ الى الزرقاء بنت عدى مع نفر من عشيرتها

وفرسان

وفرسان من قومها ومهد لها وطاء لينا ومركبا ذلولا فلما ورد عليها الكتاب ركب اليها وقرأه
عليها فقالت بعد قراءة الكتاب ما أنا بزائغة عن الطاعة فحملها في هودج وجعل غشاءه
خزا مبطنا ثم أحسن صحبتها فلما قدمت على معاوية قال لها مرحبا وأهلا خير مقدم قدمه
وافد كيف حالك يا خالة وكيف رأيت مسيرك قالت خير مسير فقال هل تعلمين لم بعثت اليك قالت
لا يعلم الغيب الا الله سبحانه وتعالى قال ألست راكبة الجمل الاحمر يوم صفين وأنت بين
الصفوف توقدين نار الحرب وتحرضين على القتال قالت نعم قال فما حملك على ذلك قالت يا أمير
المؤمنين انه قد مات الرأس وبتر الذنب والدهر ذو غير ومن تفكر أبصر والامر يحدث بعده
الامر فقال صدقت فهل تعرفين كلامك وتحفظين ما قلت قالت لا والله قال لله أبوك فلقد
سمعتك تقولين أيها الناس ان المصباح لا يضيء في الشمس وان الكواكب لا تضيء مع القمر
وان البغل لا يسبق الفرس ولا يقطع الحديد الا الحديد ألا من استرشدنا أرشدناه ومن سألنا
أخبرناه ان الحق كان يطلب ضالة فأصابها فصبرا يا معشر المهاجرين والانصار فكأنكم
وقد التأم شمل الشتات وظهرت كلمة العدل وغلب الحق باطله فانه لا يستوي المحق والمبطل
أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون فالنزال النزال والصبر الصبر ألا وان خضاب النساء
الحناء وخضاب الرجال الدماء والصبر خير الامور عاقبة ائتوا الحرب غير ناكصين فهذا يوم له
ما بعده يا زرقاء أليس هذا قولك وتحريضك قالت لقد كان ذلك قال لقد شاركت عليا في كل دم
سفكه فقالت احسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين وأدام سلامتك مثلك من يبشر بخير ويسر
جليسه فقال معاوية أوقد سرك ذلك قالت نعم والله لقد سرني قولك وأنى لي بتصديقه فقال
لها معاوية والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب الي من حبكم له في حياته فاذكري حوائجك
تقض فقالت يا أمير المؤمنين اني آليت على نفسي أن لا أسأل أحدا بعده على حاجة فقال
قد أشار علي بعض من عرفك بقتلك فقالت لؤم من المشير ولو أطعته لشاركته قال كلا
بل نعفو عنك ونحسن اليك ونرعاك فقالت يا أمير المؤمنين كرم منك ومثلك من قدر فعفا
وتجاوز عمن أساء وأعطى من غير مسئلة قال فأعطاها كسوة ودراهم وأقطعها ضيعة
تغل لها في كل سنة عشرة آلاف درهم وأعادها الى وطنها سالمة وكتب الى والي الكوفة
بالوصية بها وبعشيرتها * وقيل كان لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أرض وكان له فيها عبيد
يعملون فيها والى جانبها أرض لمعاوية وفيها أيضا عبيد يعملون فيها فدخل عبيد معاوية
في أرض عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله كتابا الى معاوية يقول له فيه أما بعد يا معاوية
ان عبيدك قد دخلوا في أرضي فانههم عن ذلك والا كان لي ولك شان والسلام فلما وقف
معاوية على كتابه وقرأه دفعه الى ولده يزيد فلما قرأه قال له معاوية يا بني ما ترى قال أرى أن
تبعث اليه جيشا يكون أوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه فقال بل غير ذلك خير منه يا بني
ثم أخذ ورقة وكتب فيها جواب كتاب عبد الله بن الزبير يقول فيه أما بعد فقد وقفت على كتاب
ولد حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءني ما ساءه والدنيا بأسرها هينة عندي
في جنب رضاه نزلت عن أرضي لك فاضفها الى أرضك بما فيها من العبيد والاموال
والسلام فلما وقف عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما على كتاب معاوية رضي الله عنه

كتب اليه قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ولا أعدمه الرأى الذى احله من قريش هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير وقرأه رمى به الى ابنه يزيد فلما قرأه تهلل وجهه وأسفر فقال له أبوه يا بنى من عفا ساد ومن حلم عظم ومن تجاوز استمال اليه القلوب فاذا ابتليت بشئ من هذه الادواء فداوه بمثل هذا الدواء * ولما دخل الفيل دمشق واجتمع الناس لرؤيته صعد معاوية فى مكان مرتفع ينظر اليه فبينما هو كذلك اذ نظر فى بعض الحجر من قصره رجلا مع بعض حرمه فأتى الحجرة ودق الباب فلم يكن من فتحه بد فوقعت عينه على الرجل فقال له يا هذا أفى قصرى وتحت جناحى تهتك حرمتى وأنت فى قبضتى ما حملك على هذا قال فبهت الرجل وقال حلمك أوقعنى فقال له معاوية فان عفوت عنك تسترها على قال نعم فعفا عنه وخلى سبيله وهذا من الحلم الواسع أن يطلب الستر من الجانى وهو عروض قول الشاعر

اذا مرضتم أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

(وحكى) عن الربيع مولى الخليفة المنصور قال ما رأيت رجلا أربط جاشا وأثبت جنانا من رجل سعى به الى المنصور أن عنده ودائع وأموالا لبنى امية فأمرنى باحضاره فأحضرته اليه فقال له المنصور قد رفع الينا خبر الودائع والاموال التى عندك لبنى امية فاخرج لنا منها وأحضرها ولا تكتم منها شيأ فقال يا أمير المؤمنين أنت وارث بنى أمية قال لا قال فوصى لهم فى أموالهم ورباعهم قال لا قال فما مسئلتك عما فى يدى من ذلك قال فاطرق المنصور وتفكر ساعة ثم رفع رأسه وقال ان بنى أمية ظلموا المسلمين فيها وأنا وكيل المسلمين فى حقوقهم وأريد ان آخذ ما ظلموا المسلمين فيه فاجعله فى بيت أموالهم فقال يا أمير المؤمنين فيحتاج الى اقامة بينة عادلة أن ما فى يدى لبنى أمية مما خانوه وظلموه فان بنى أمية قد كانت لهم أموال غير أموال المسلمين قال فاطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال يا ربيع ما أرى الشيخ الا قد صدق وما يجب عليه شئ وما يسعنا الا أن نعفو عما قيل عنه ثم قال هل لك من حاجة قال نعم حاجتى يا أمير المؤمنين ان تجمع بينى وبين من سعى فى اليك فوالله الذى لا اله الا هو ما فى يدى لبنى امية مال ولا وديعة ولكننى لما مثلت بين يديك وسألتنى عما سألتنى عنه قابلت بين هذا القول الذى ذكرته الآن وبين ذلك القول الذى ذكرته أولا فرأيت ذلك أقرب الى الخلاص والنجاة فقال يا ربيع اجمع بينه وبين من سعى به فجمعت بينهما فلما رآه قال هذا غلامى اختلس لى ثلاثة آلاف دينار من مالى وأبق منى وخاف من طلبى له فسعى بى عند امير المؤمنين قال فشدد المنصور على الغلام وخوفه فاقر بأنه غلامه وانه أخذ المال الذى ذكره وسعى به كذبا عليه وخوفا من أن يقع فى يده فقال له المنصور سألتك أيها الشيخ ان تعفو عنه فقال قد عفوت عنه وأعتقته ووهبته ثلاثة الآلاف التى أخذها وثلاثة آلاف اخرى ادفعها اليه فقال له المنصور ما على ما فعلت من مزيد قال بلى يا أمير المؤمنين ان هذا كله لقليل فى مقابلة كلامك لى وعفوك عنى ثم انصرف قال الربيع فكان المنصور يتعجب منه وكلما ذكره يقول ما رأيت مثل هذا الشيخ يا ربيع * وغضب الرشيد على حميد الطوسى فدعا له بالنطع والسيف فبكى فقال له ما يبكيك فقال والله يا أمير المؤمنين ما أفزع من الموت

لانه لابد منه وانما بكيت أسفا على خروجي من الدنيا وأمير المؤمنين ساخط على فضحك
وعفا عنه وقال ان الكريم اذا خادعته انخدع * وأمر زياد بضرب عنق رجل فقال أيها
الامير ان لي بك حرمة قال وماهى قال ان أبي جارك بالبصرة قال ومن أبوك قال يامولاى انى
نسيت اسم نفسي فكيف لا أنسى اسم أبي فرد زياد كمه على فمه وضحك وعفا عنه * وأمر الحجاج
بقتل رجل فقال أسألك بالذى أنت غدا بين يديه اذل موقفا مني بين يديك الاعفوت عنى
فعفا عنه * ولما ضرب الحجاج رقاب أصحاب ابن الاشعث أتى رجل من بنى تميم فقال والله
ياحجاج لئن كنا أسأنا فى الذنب احسنت فى العفو فقال الحجاج أف لهذه الجيف أما كان
فيهم من يحسن الكلام مثل هذا وعفا عنه وخلى سبيله * وكان ابراهيم بن المهدى يقول والله
ماعفا عنى المأمون تقربا الى الله تعالى ولا صلة للرحم ولكن له سوق فى العفو يكره أن تكسد
بقتلى * وسئل الفضل عن الفتوة فقال الصفح عن عثرات الاخوان * وفى بعض الكتب
المنزلة ان كثرة العفو زيادة فى العمر وأصله قوله تعالى وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض
* وقال يزيد بن مزيد أرسل الى الرشيد ليلا يدعونى فأوجست منه خيفة فقال له أنت القائل
أنا ركن الدولة والثائر لها والضارب اعناق بغاتها الأم لك أى ركن وأى ثائر أنت قلت
يا أمير المؤمنين ماقلت هذا انما قلت انا عبد الدولة والثائر لها فاطرق وجعل ينحل غضبه عن
وجهه ثم ضحك فقلت احسن من هذا قولى

خلافة الله فى هرون ثابتة * وفى بنيه الى ان ينفخ الصور

فقال يافضل اعطه مائتى ألف درهم قبل ان يصبح * وأمر مصعب بن الزبير بقتل رجل فقال
ما أقبح بى ان اقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الذى يستضاء
به فاتعلق باطواقك وأقول اى رب سل مصعبا لم قتلنى فقال اطلقوه فلما اطلقوه قال ايها
الامير اجعل ماوهبت لى من حياتى فى خفض عيش قال قد أمرت لك بمائة الف درهم
فقال

انا المذنب الخطاء والعفو واسع * ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو

* وتغيظ عبد الملك بن مروان على رجل فقال والله لان امكننى الله منه لافعلن به كذا وكذا فلما
صار بين يديه قال له رجاء بن حيوة يا امير المؤمنين قد صنع الله ما احببت فاصنع ما احب الله
فعفا عنه وامر له بصلة * وقال الحسن ان افضل رداء تردى به الانسان الحلم وهو والله عليك
أحسن من برد الحبر وفيه قال ابو تمام

رقيق حواشى الحلم لو ان حلمه * بكفيك ما ماريت فى انه برد

ويقال الحليم سليم والسفيه كليم وقال محمد بن عجلان ماشئ اشد على الشيطان من عالم معه حلم
ان تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت بحلم يقول الشيطان سكونه اشد على من كلامه
(شعر)

اذا كنت تبغى شيمة غير شيمة * طبعت عليها لم تطعك الضرائب

وعن على بن الحسين رضى الله عنهما أقرب مايكون العبد من غضب الله اذا غضب * وفى
التوراة اذكرنى اذا غضبت اذكرك اذا غضبت فلا امحقك فيما امحق واذا ظلمت فاصبر وارض

بنصرتي فان نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك * وكان ابن عون اذا غضب على انسان قال له بارك الله فيك وكانت له ناقة كريمة فضربها الغلام فأندر عينها فقالوا ان غضب ابن عون فانه يغضب اليوم فقال للغلام غفر الله لك وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي شئ أشد قال غضب الله قال فما يباعدني من غضب الله قال أن لا تغضب ويقال من أطاع الغضب اضاع الارب قال ابو العتاهية

ولم ار في الاعداء حين اختبرتهم * عدوا لعقل المرء اعدى من الغضب

وقال ابو هريرة رضي الله عنه ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابن مسعود رضي الله عنه كفى بالمرء اثما ان يقال له اتق الله فيغضب ويقول عليك نفسك * وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى عامل من عماله ان لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا * وقيل لابن المبارك رحمه الله تعالى اجمع لنا حسن الخلق في كلمة واحدة قال ترك الغضب * وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب ويشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف فاعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا اشتد غضبي فقم الي بهذه الصحيفة وناولنيها وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي فناولنيها وقال للثالث اذا ذهب غضبي فناولنيها وكان في الاولى أقصر فما أنت وهذا الغضب انك لست باله انما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا وفي الثانية ارحم من في الارض يرحمك من في السماء وفي الثالثة احمل عباد الله على كتاب الله فانه لا يصلحهم الا ذاك روي أنه انوشروان وكان الشعبي أولع شئ بهذا البيت

ليست الاحلام في حال الرضا * انما الاحلام في حال الغضب

وعن معاذ بن جبل عن أنس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره في أي الحور شاء ورووي ملأه الله امنا وايمانا * وقال ابن السماك أذنب غلام لامرأة من قريش فأخذت السوط ومضت خلفه حتى اذا قاربته رمت بالسوط وقالت ماتركت التقوى أحدا يشفي غيظه * وقال أبو ذر لغلامه لم أرسلت الشاة على علف الفرس قال أردت أن أغيظك قال لاجمعن مع الغيظ أجرا أنت حر لوجه الله تعالى * واستأذن رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لهم فقالوا السام عليك يا محمد فقالت عائشة رضي الله عنها بل السام عليكم واللعنة فقال يا عائشة ان الله يحب الرفق في الامر كله فقالت ألم تسمع ما قالوا قال قد قلت وعليكم * ورفع الى عبد الملك ابن مروان أعرابي يقال له حمزة سرق وقامت عليه البينة فهم عبد الملك بقطع يده فكتب اليه حمزة من السجن يقول (شعر)

يدي يا أمير المؤمنين أعيذها * بعفوك أن تلقى مقاما يشينها
فلا خير في الدنيا وكانت خبيثة * اذا ما شمال فارقتها يمينها

قال فابى عبد الملك الا قطعه فدخلت عليه أم حمزة وقالت يا امير المؤمنين بني وكاسبي وواحدي فقال لها عبد الملك بئس الكاسب لك هذا حد من حدود الله تعالى فقالت يا أمير

المؤمنين

المؤمنين فاجعله أحد ذنوبك التي تستغفر الله منها فقال عبد الملك ادفعوه اليها وخلى سبيله

(شعر)

اذا ما طاش حلمك عن عدو * وهان عليك هجران الصديق
فلست اذا اخا عفو وصفح * ولا لأخ على عهد وثيق
اذا زل الرفيق وأنت ممن * بلا رفق بقيت بلا رفيق
اذا انت اتخذت اخا جديدا * لما أنكرت من خلق عتيق
فما تدرى لعلك مستجير * من الرمضا فر الى الحريق
فكم من سالك لطريق أمن * أتاه ما يحاذر فى الطريق

وشتم رجل رجلا فقال له يا هذا الا تغرق فى شتمنا ودع للصلح موضعا فانى ابيت مشاتمة الرجال صغيرا فلن أحيها كبيرا وانى لا أكافئ من عصى الله فىّ بأكثر من ان أطيع الله فيه (وحكى) عن جعفر الصادق رضى الله عنه أن غلاما له وقف يصب الماء على يديه فوقع الابريق من يد الغلام فى الطست فطار الرشاش فى وجهه فنظر جعفر اليه نظر مغضب فقال يا مولاى والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظى قال والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى * وقيل لما قدم نصر بن منيع بين يدى الخليفة وكان قد أمر بضرب عنقه قال يا أمير المؤمنين اسمع منى كلمات أقولها قال قل فانشأ يقول

زعموا بأن الصقر صادف مرة * عصفور بر ساقه التقدير
فتكلم العصفور تحت جناحه * والصقر منقض عليه يطير
انى لمثلك لا اتمم لقمة * ولئن شويت فاننى لحقير
فتهاون الصقر المدل بصيده * كرما وأفلت ذلك العصفور

قال فعفا عنه وخلى سبيله قال الشاعر

أقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزهم * عنه فان جحود الذنب ذنبان

قال بعضهم

يستوجب العفو الفتى اذا اعترف * وتاب عما قد جناه واقترف
لقوله قل للذين كفروا * ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

وقال آخر

اذا ذكرت أياديك التى سلفت * مع قبح فعلى وزلاتى ومجترمى
أكاد اقتل نفسى ثم يدركنى * علمى بانك مجبول على الكرم

وروى ان عمر رضى الله عنه رأى سكران فاراد ان يأخذه ليعزره فشتمه السكران فرجع عنه فقيل له يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته قال انما تركته لانه أغضبنى فلو عزرته لكنت قد انتصرت لنفسى فلا احب ان اضرب مسلما لحمية نفسى * وغضب المنصور على رجل من الكتاب فامر بضرب عنقه فانشأ يقول

ونحن الكاتبون وان أسأنا * فهبنا للكرام الكاتبينا

نعفنا عنه وخلى سبيله واكرمه * وقال الرشيد لاعرابى بم بلغ فيكم هشام بن عروة هذه المنزلة قال بحلمه عن سفيهنا وعفوه عن مسيئنا وحمله عن ضعيفنا الامنان اذا وهب ولا حقود اذا غضب رحب الجنان سمح البنان ماضى اللسان قال فأومأ الرشيد الى كلب صيد كان بين يديه وقال والله لو كانت هذه فى هذا الكلب لاستحق بها السودد * وقيل لمعن بن زائدة المؤاخذة بالذنب من السودد قال لا ولكن أحسن ما يكون الصفح عن عظم جرمه وقل شفعاؤه ولم يجد ناصرا * وقال محمود الوراق

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب * وان عظمت منه على الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذى فوقى فاعرف قدره * واتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فان قال صنت عن * اجابته نفسى وان لام لائم
وأما الذى مثلى فان زل أوهفا * تفضلت ان الحر بالفضل حاكم

وقال الاحنف بن قيس لابنه يا بنى اذا أردت ان تواخى رجلا فاغضبه فان انصفك والا فاحذره قال الشاعر

اذا كنت مختصا لنفسك صاحبا * فمن قبل ان تلقاه بالود اغضبه
فان كان فى حال القطيعة منصفا * والا فقد جربته فتجنبه

ومن أمثال العرب احلم تسد قال الشاعر

لن يبلغ المجد أقوام وان شرفوا * حتى يذلوا وان عزوا الاقوام
ويشتموا فترى الالوان مسفرة * لاصفح ذل ولكن صفح اكرام

وقال آخر

وجهل رددناه بفضل حلومنا * ولو أننا شئنا رددناه بالجهل

وقال الاحنف اياكم ورأى الاوغاد قالوا ومارأى الاوغاد قال الذين يرون الصفح والعفو عارا * وقال رجل لابى بكر الصديق رضى الله عنه لاسبنك سبا يدخل معك قبرك فقال معك والله يدخل لامعى * وقيل ان الاحنف سبه رجل وهو يماشيه فى الطريق فلما قرب من المنزل وقف الاحنف وقال له ياهذا ان كان قد بقى معك شئ فهات وقله ههنا فانى اخاف ان يسمعك فتيان الحى فيؤذوك ونحن لانحب الانتصار لانفسنا وقال لقمان لابنه يا بنى ثلاثة لايعرفون الا عند ثلاثة لايعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا أخوك الا عند الحاجة اليه ومن أشعر بيت قيل فى الحلم قول كعب بن زهير

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا * أصبت حليما أو اصابك جاهل

وقال آخر

واذا بغى باغ عليك بجهله * فاقتله بالمعروف لا بالمنكر

وقال آخر

قل ما بدالك من صدق ومن كذب * حلمى اصم واذنى غير صماء

ويروى فى بعض الاخبار ان ملكا من الملوك أمر ان يصنع له طعام واحضر قوما من

خاصته فلما مد السماط اقبل الخادم وعلى كفه صحن فيه طعام فلما قرب من الملك أدركته الهيبة فعثر فوقع من مرق الصحن شئ يسير على طرف ثوب الملك فأمر بضرب عنقه فلما رأى الخادم العزيمة على ذلك عمد بالصحن فصب جميع ما كان فيه على رأس الملك فقال له ويحك ماهذا فقال ايها الملك انما صنعت هذا شحا على عرضك وغيرة عليك لئلا يقول الناس اذا سمعوا ذنبي الذى به تقتلني قتله في ذنب خفيف لم يضره واخطأ فيه العبد ولم يقصده فتنسب الى الظلم والجور فصنعت هذا الذنب العظيم لتعذر في قتلي وترفع عنك الملامة قال فاطرق الملك مليا ثم رفع رأسه اليه وقال ياقبيح الفعل ياحسن الاعتذار قد وهبنا اقبح فعلك وعظيم ذنبك لحسن اعتذارك اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى (وحكى) عن أمير المؤمنين المأمون وهو المشهود له بالاتفاق على علمه والمشهور فى الآفاق بعفوه وحلمه انه لما خرج عمه ابراهيم بن المهدى عليه وبايعه العباسيون بالخلافة ببغداد وخلعوا المأمون وكان المأمون اذ ذاك بخراسان فلما بلغه الخبر قصد العراق فلما بلغ بغداد اختفى ابراهيم بن المهدى وعاد العباسيون وغيرهم الى طاعة المأمون ولم يزل المأمون متطلبا لابراهيم حتى أخذه وهو متنقب مع نسوة يمشى ثم احضر حتى وقف بين يدى المأمون فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال المأمون لاسلم الله عليك ولاقرب دارك استغواك الشيطان حتى حدثتك نفسك بما تنقطع دونه الاوهام فقال له ابراهيم مهلا يا أمير المؤمنين فان ولى الثأر محكم فى القصاص والعفو أقرب للتقوى ولك من رسول الله صلى الله عليه وسلم شرف القرابة وعدل السياسة وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب كما جعل كل ذى ذنب دونك فان أخذت فبحقك وان عفوت فبفضلك والفضل أولى بك يا أمير المؤمنين ثم قال هذه الابيات

ذنبى اليك عظيم * وانت أعظم منه
فخذ بحقك أولا * فاصفح بعفوك عنه
ان لم اكن فى فعالى * من الكرام فكنه

فلما سمع المأمون كلامه وشعره ظهرت الدموع فى عينيه وقال يا ابراهيم الندم توبة وعفو الله تعالى اعظم مما تحاول وأكثر مما تأمل ولقد حبب الى العفو حتى خفت ان لا أوجر عليه لاتثريب عليك اليوم ثم أمر بفك قيوده وادخاله الحمام وازالة شعثه وخلع عليه ورد أمواله جميعها اليه فقال فيه مخاطبا

رددت مالى ولم تبخل على به * وقبل ردك مالى قد حقنت دمى
فان جحدتك ما أوليت من كرم * انى لبالؤم أولى منك بالكرم

*وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج يأمره ان يبعث اليه برأس عباد بن أسلم البكرى فقال له عباد أيها الامير أنشدك الله لاتقتلني فوالله انى لاعول أربعا وعشرين امرأة مالهن كاسب غيرى فرق لهن واستحضرهن واذا واحدة منهن كالبدر فقال لها الحجاج ما أنت منه قالت أنا بنته فاسمع يا حجاج منى ما أقول ثم قالت

أحجاج اما أن تمن بتركه * علينا واما أن تقتلنا معا

احجاج لاتفجع به ان قتلته * ثمانا وعشرا واثنتين واربعا
احجاج لاتترك عليه بناته * وخالاته يندبنه الدهر أجمعا

فبكى الحجاج ورق له واستوهبه من أمير المؤمنين عبد الملك وأمر له بصلة * ولما قدم عيينة بن حصن على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر رضى الله عنه وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا فقال عيينة لابن اخيه يا ابن أخى لك وجه عند هذا الامير فاستأذن لى عليه فاستأذن فاذن له عمر فلما دخل قال هيه يا ابن الخطاب فوالله ماتعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل فغضب عمر حتى هم ان يوقع به فقال له الحر يا أمير المؤمنين ان الله سبحانه وتعالى قال لنبيه عليه الصلاة والسلام خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وان هذا من الجاهلين فوالله ماجاوزها عمر رضى الله عنه حين تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب الله تعالى (وحكى) أن رجلا زور ورقة عن خط الفضل ابن الربيع تتضمن انه اطلق له ألف دينار ثم جاء بها الى وكيل الفضل فلما وقف الوكيل عليها لم يشك انها خط الفضل فشرع فى ان يزن له الالف دينار واذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله فى تلك الساعة فى أمر مهم فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة فنظر الفضل فيها ثم نظر فى وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوجل والخجل فاطرق الفضل بوجهه ثم قال للوكيل اتدرى لم أتيتك فى هذا الوقت قال لا قال جئت لاستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل اعطاء المبلغ الذى فى هذه الورقة فاسرع عند ذلك الوكيل فى وزن المال وناوله الرجل فقبضه وصار متحيرا فى أمره فالتفت اليه الفضل وقال له طب نفسا وامض الى سبيلك آمنا على نفسك فقبل الرجل يده وقال له سترتنى ستر ك الله فى الدنيا والآخرة ثم أخذ المال ومضى فيجب على الانسان ان يتأسى بهذه الاخلاق الجميلة والافعال الجليلة ويقتفى سنة نبيه عليه الصلاة والسلام فقد كان أكثر الناس حلما وأحسنهم خلقا وأكرمهم خلقا وأكثرهم تجاوزا وصفحا وأبرهم للمعتر عليه نبينا صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين

وأما ماجاء فى العتاب فقد قيل العتاب خير من الحقد ولا يكون العتاب الا على زلة وقد مدحه قوم فقالوا العتاب حدائق المتحابين ودليل على بقاء المودة وقد قال أبو الحسن بن منقذ (شعر)

اسطو عليه وقلبى لو تمكن من * يدى غلهما غيظا الى عنقى
واستعبرله من سطوتى حنقا * وأين ذل الهوى من عزة الحنق

وذمه بعضهم قال اياس بن معاوية خرجت فى سفر ومعى رجل من الاعراب فلما كان فى بعض المناهل لقيه ابن عم له فتعانقا وتعاتبا والى جانبهما شيخ من الحى فقال لهما انعما عيشا ان المعاتبة تبعث التجنى والتجنى يبعث المخاصمة والمخاصمة تبعث العداوة ولا خير فى شئ ثمرته العداوة قال الشاعر

فدع ذكر العتاب فرب شر * طويل هاج اوله العتاب

وقيل العتاب من حركات الشوق وانما يكون هذا بين المتحابين قال الشاعر

علامة مابين المحبين فى الهوى * عتابهم فى كل حق وباطل

وكذب

وكتب بعضهم يعاتب صديقه على تغير حاله معه يقول

عرضنا أنفسا عزت علينا * عليكم فاستخف بها الهوان
ولو انا رفعناها لعزت * ولكن كل معروض مهان

وقال آخر يعاتب صديقه

وكنت اذا ما جئت أدنيت مجلسي * ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن لي بالعين التي كنت مرة * الي بها في سالف الدهر تنظر

وقال أبو الحسن بن منقذ

أخلاقك الغر السجايا مالها * حملت قذى الواشين وهي سلاف
ومرآة رأيك في عيوبي مالها * صدئت وأنت الجوهر الشفاف

وقال آخر يعاتب صديقه على كتاب أرسله اليه وفيه خطاء عليه

اقرأ كتابك واعتبره قريبا * فكفى بنفسك لي عليك حسيبا
اكذا يكون خطاب اخوان الصفا * ان ارسلوا جعلوا الخطاب خطوبا
ما كان عذري ان اجبت بمثله * أو كنت بالعتب العنيف مجيبا
لكنني خفت انتقاص مودتي * فيعد احساني اليك ذنوبا

وقال آخر

اراك اذا ماقلت قولا قبلته * وليس لاقوالي لديك قبول
وما ذاك الا ان ظنك سيئ * بأهل الوفا والظن فيك جميل
فكن قائلا قول الحماسي تائها * بنفسك عجبا وهو منك قليل
وننكر ان شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول

وكان لمحمد بن الحسن بن سهل صديق فنالته اضاقة ثم ولي عملا فأثرى فقصده محمد مسلما فرأى منه تغيرا فكتب اليه

لئن كانت الدنيا انالتك ثروة * فأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
فقد كشف الاثراء منك خلائقا * من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

وقال آخر في المعنى

دعوت الله ان تسمو وتعلو * علو النجم في أفق السماء
فلما أن سموت بعدت عني * فكان اذا على نفسي دعائي

وكان ابن عرادة السعدي مع سلم بن زياد بخراسان وكان له مكرما وابن عرادة يتجنى عليه ففارقه وصاحب غيره ثم ندم ورجع اليه وقال

عتبت على سلم فلما فقدته * وصاحبت اقواما بكيت على سلم
رجعت اليه بعد تجريب غيره * فكان كبرء بعد طول من السقم

وقال مسلم بن الوليد

ويرجعني اليك اذا نأت بي * دياري عنك تجربة الرجال

وقال أبو الحسن القابسي

اذا أنا عاتبت الملول فانما * أخط بأقلامي على الماء احرفا
وهبه ارعوى بعد العتاب ألم تكن * مودته طبعا فصارت تكلفا

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه معاتبة الصديق اهون من فقده وما أحسن ما قيل في العتاب

وفي العتاب حياة بين اقوام * وهو المحك لذي لبس وابهام

فما ثم شيء أحسن من معاتبة الاحباب ولا ألذ من مخالطة ذوي الالباب والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والثلاثون في الوفاء بالوعد وحفظ العهد ورعاية الذمم)

ارجح دليل يتمسك به الانسان كتاب الله تعالى الذي من تمسك به هداه ومن استدل به ارشده هداه قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال جل ذكره وتقدس اسمه الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وقال جل وعلا وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقال تعالى وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا والآيات في ذلك كثيرة ومن أشدها قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون * وروى في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان فالوفاء من شيم النفوس الشريفة والاخلاق الكريمة والخلال الحميدة يعظم صاحبه في العيون وتصدق فيه خطرات الظنون ويقال الوعد وجه والانجاز محاسنه والوعد سحابة والانجاز مطره وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكل شيء رأس ورأس المعروف تعجيله وأنشدوا

اذا قلت في شيء نعم فاتمه * فان نعم دين على الحر واجب
والا فقل لا تسترح وترح بها * لئلا يقول الناس انك كاذب

وقال آخر

لا كلف الله نفسا فوق طاقتها * ولا تجود يد الا بما تجد
فلا تعد عدة الا وفيت بها * واحذر خلاف مقال للذي تعد

وقال اعرابي وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتعليل وقال اعرابي أيضا العذر الجميل خير من المطل الطويل ومدح بشار خالد بن برمك فامر له بعشرين ألفا فأبطأت عليه فقال لقائده أفي حيث يراني أقامه فرفا خذ بلجام بغلته وأنشأ يقول

اظلت علينا منك يوما سحابة * أضاء لها برق وابطا رشاشها
فلا غيمها يجلي فييأس طامع * ولا غيثها يأتي فتروى عطاشها

فقال لا تبرح حتى تؤتى بها وقال صالح اللخمي

لئن جمع الآفات فالبخل شرها * وشر من البخل المواعيد والمطل
ولا خير في وعد اذا كان كاذبا * ولا خير في قول اذا لم يكن فعل

وقيل ماتت للهذلي أم ولد فامر المنصور الربيع ان يعزيه ويقول له ان أمير المؤمنين موجه اليك جارية نفيسة لها أدب وظرف يسليك بها وأمر لك معها بفرس وكسوة وصلة فلم يزل

الهذلي

الهذلي يتوقع وعد أمير المؤمنين ونسيه المنصور فحج المنصور ومعه الهذلي فقال المنصور وهو بالمدينة اني أحب ان اطوف الليلة المدينة فاطلب لي من يطوف بي فقال الهذلي أنا لها يا أمير المؤمنين فطاف به حتى وصل بيت عاتكة فقال يا أمير المؤمنين وهذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الاحوص

يا بيت عاتكة الذي اتغزل * حذر العدا وبه الفؤاد موكل

اني لامنحك الصدود وانني * قسما اليك مع الصدود لاميل

فكره المنصور ذكر بيت عاتكة من غير ان يسأله عنه فلما رجع المنصور أمر القصيدة على قلبه فاذا فيها

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذق اللسان يقول ما لا يفعل

فذكر المنصور الوعد الذي كان وعد به الهذلي فأنجزه له واعتذر اليه وقال الشاعر

تعجيل وعد المرء اكرومة * تنشر عنه أطيب الذكر

* والحر لا يمطل معروفه * ولا يليق المطل بالحر *

وقال آخر

ولقد وعدت وأنت اكرم واعد * لا خير في وعد بغير تمام

انعم على بما وعدت تكرما * فالمطل يذهب بهجة الانعام

وقال آخر

* لعبدك وعد قد تقدم ذكره * فأوله حمد وآخره شكر *

وقد جمعت فيك المكارم كلها * فما لك عن تأخير مكرمة عذر

وقال آخر

وميعاد الكريم عليه دين * فلا تزد الكريم على السلام

يذكره سلامك ما عليه * ويغنيك السلام عن الكلام

وقال آخر

شكا لك لساني ثم امسكت نصفه * فنصف لساني بامتداحك ينطق

* فان لم تنجز ما وعدت تركتني * وباقي لساني بالمذمة مطلق *

وقال آخر

باتت لوعدك عيني غير راقدة * والليل حي الدياجي ميت السحر

هذا وقد بت من وعد على ثقة * فكيف لو بت من هجر على حذر

وقال آخر

نذكر بالرقاع اذا نسينا * ويأبى الله ان تنسى الكرام

وأما الوفاء بالعهد ورعاية الذمم فقد نقل فيه من عجائب الوقائع وغرائب البدائع ما يطرب السامع ويشنف المسامع كقضية الطائي وشريك نديم النعمان بن المنذر وتلخيص معناها ان النعمان كان قد جعل له يومين يوم بؤس من صادفه فيه قتله وأرداه ويوم نعيم من لقيه فيه أحسن اليه واغناه وكان هذا الطائي قد رماه حادث دهره بسهام فاقته وفقره فاخرجته

الفاقة من محل استقراره ابرتادشيأ لصبيته وصغاره فبينما هو كذلك اذ صادفه النعمان فى يوم بؤسه فلما رآه الطائى علم انه مقتول وان دمه مطلول فقال حيى الله الملك انى لى صبية صغارا وأهلا جياعا وقد أرقت ماء وجهى فى حصول شئ من البلغة لهم وقد اقدمنى سوء الحظ على الملك فى هذا اليوم العبوس وقد قربت من مقر الصبية والاهل وهم على شفا تلف من الطوى ولن يتفاوت الحال فى قتلى بين أول النهار وآخره فان رأى الملك ان يأذن لى فى أن أوصل اليهم هذا القوت وأوصى بهم أهل المروءة من الحى لئلا يهلكوا ضياعا ثم أعود الى الملك وأسلم نفسى لنفاذ أمره فلما سمع النعمان صورة مقاله وفهم حقيقة حاله ورأى تلهفه على ضياع أطفاله رق له ورثى لحاله غير أنه قال له لا آذن لك حتى يضمنك رجل معنا فان لم ترجع قتلناه وكان شريك بن عدى بن شرحبيل نديم النعمان معه فالتفت الطائى الى شريك وقال له

ياشريك بن عدى * مامن الموت انهزام
من لاطفال ضعاف * عدموا طعم الطعام
بين جوع وانتظار * وافتقار وسقام
يا أخا كل كريم * أنت من قوم كرام
يا أخا النعمان جدلى * بضمان والتزام
ولك الله بأنى * راجع قبل الظلام

فقال شريك بن عدى أصلح الله الملك على ضمانه فمر الطائى مسرعا وصار النعمان يقول لشريك ان صدر النهار قد ولى ولم يرجع وشريك يقول ليس للملك على سبيل حتى يأتى المساء فلما قرب المساء قال النعمان لشريك قد جاء وقتك قم فتأهب للقتل فقال شريك هذا شخص قد لاح مقبلا وأرجو أن يكون الطائى فان لم يكن فامر الملك ممتثل قال فبينما هم كذلك واذا بالطائى قد اشتد عدوه فى سيره مسرعا حتى وصل فقال خشيت ان ينقضى النهار قبل وصولى ثم وقف قائما وقال أيها الملك مر بامرك فاطرق النعمان ثم رفع رأسه وقال والله ما رأيت أعجب منكما أما أنت ياطائى فما تركت لاحد فى الوفاء مقاما يقوم فيه ولاذكرا يفتخر به وأما أنت ياشريك فما تركت لكريم سماحة يذكر بها فى الكرماء فلا أكون أنا الأم الثلاثة الاوانى قد رفعت يوم بؤسى عن الناس ونقضت عادتى كرامة لوفاء الطائى وكرم شريك فقال الطائى

ولقد دعتنى للخلاف عشيرتى * فعددت قولهمو من الاضلال
انى امرؤ منى الوفاء سجية * وفعال كل مهذب مفضال

فقال له النعمان ما حملك على الوفاء وفيه اتلاف نفسك فقال دينى فمن لا وفاء فيه لا دين له فاحسن اليه النعمان ووصله بما أغناه وأعاده مكرما الى أهله وأناله ما تمناه * ومن ذلك ما حكى أن الخليفة المأمون لما ولى عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر والشام وأطلق حكمه دخل على المأمون بعض اخوانه يوما فقال ياأمير المؤمنين ان عبد الله بن طاهر يميل الى ولد أبى طالب وهواه مع العلويين وكذلك كان أبوه قبله فحصل عند المأمون شئ من كلام أخيه

من جهة عبد الله بن طاهر فتشوش فكره وضاق صدره فاستحضر شخصا وجعله فى زى الزهاد والنساك الغزاة ودسه الى عبد الله بن طاهر وقال له امض الى مصر وخالط اهلها وداخل كبراءها واستملهم الى القاسم بن محمد العلوى واذكر مناقبه ثم بعد ذلك اجتمع ببعض بطانة عبد الله بن طاهر ثم اجتمع بعبد الله بن طاهر بعد ذلك وادعه الى القاسم بن محمد العلوى واكشف باطنه وابحث عن دفين نيته واتنى بما تسمع ففعل ذلك الرجل ما أمره به المأمون وتوجه الى مصر ودعا جماعة من أهلها ثم كتب ورقة لطيفة ودفعها الى عبد الله بن طاهر وقت ركوبه فلما نزل من الركوب وجلس فى مجلسه خرج الحاجب اليه وأدخله على عبد الله ابن طاهر وهو جالس وحده فقال له لقد فهمت ما قصدته فهات ما عندك فقال ولى الامان قال نعم فاظهر له ما أراده ودعاه الى القاسم بن محمد فقال له عبد الله أو تنصفنى فيما أقوله لك قال نعم قال فهل يجب شكر الناس بعضهم لبعض عند الاحسان والمنة قال نعم قال فيجب على وأنا فى هذه الحالة التى تراها من الحكم والنعمة والولاية ولى خاتم فى المشرق وخاتم فى المغرب وأمرى فيما بينهما مطاع وقولى مقبول ثم انى التفت يمينا وشمالا فأرى نعمة هذا الرجل غامرة واحسانه فائضا على أفتدعونى الى الكفر بهذه النعمة وتقول اغدر وجانب الوفاء والله لو دعوتنى الى الجنة عيانا لما غدرت ولما نكثت بيعته وتركت الوفاء له فسكت الرجل فقال له عبد الله والله ما أخاف الا على نفسك فارحل من هذا البلد فلما يئس الرجل منه وكشف باطنه وسمع كلامه رجع الى المأمون فاخبره بصورة الحال فسره ذلك وزاد فى احسانه اليه وضاعف انعامه عليه ومما يحسن محاسن الشيم ومكارم اخلاق أهل الكرم ويحث على الوفاء بالعهود ورعاية الذمم ما رواه حمزة بن الحسين الفقيه فى تاريخه قال قال لى أبو الفتح المنطيقى كنا جلوسا عند كافور الاخشيدى وهو يومئذ صاحب مصر والشام وله من البسطة والمكنة ونفوذ الامر وعلو القدر وشهرة الذكر ما يتجاوز الوصف والحصر فحضرت المائدة والطعام فلما أكلنا نام وانصرفنا فلما انتبه من نومه طلب جماعة منا وقال امضوا الساعة الى عقبة النجارين وسلوا عن شيخ منجم أعور كان يقعد هنالك فان كان حيا فاحضروه وان كان قد توفى فسلوا عن أولاده واكشفوا أمرهم قال فمضينا الى هنالك وسألنا عنه فوجدناه قد مات وترك بنتين احداهما متزوجة والاخرى عاتق فرجعنا الى كافور وأخبرناه بذلك فسير فى الحال واشترى لكل واحدة منهما دارا وأعطاهما مالا جزيلا وكسوة فاخرة وزوج العاتق وأجرى على كل واحدة منهما رزقا وأظهر أنهما من المتعلقين به لرعاية أمورهما فلما فعل ذلك وبالغ فيه تحدث وقال أتعلمون سبب هذا قلنا لا فقال اعلموا انى مررت يوما بأبى الدهما المنجم وأنا فى ملك ابن عباس الكاتب وأنا بحالة رثة فوقفت عليه فنظر الى واستجلبنى وقال أنت تصير الى رجل جليل القدر وتبلغ منه مبلغا كبيرا وتنال خيرا كثيرا ثم طلب منى شيأ فأعطيته درهمين كانا معى ولم يكن معى غيرهما فرمى بهما الى وقال أبشرك بهذه البشارة وتعطينى درهمين ثم قال وأزيدك أنت والله تملك هذا البلد وأكثر منه فاذكرنى اذا صرت الى الذى وعدتك به ولا تنس فقلت له نعم فقال عاهدنى انك تفى لى ولا يشغلك ذلك عن افتقادى فعاهدته ولم يأخذ منى الدرهمين ثم انى شغلت عنه بما

تجدد لي من الامور والاحوال وصرت الى هذه المنزلة ونسيت ذلك فلما كانا اليوم ونمت رأيته في المنام قد دخل عليّ وقال لي أين الوفاء بالعهد الذي بيني وبينك واتمام وعدك لا تغدر فيغدر بك فاستيقظت وفعلت ما رأيتم ثم زاد في احسانه الى بنات المنجم وفاء لوالدهما بما وعده والله أعلم ومما اسفرت عنه وجوه الاوراق وأخبرت به الثقات في الآفاق وظهرت روايته بالشام والعراق وضرب به الامثال في الوفاء بالاتفاق حديث السموأل بن عادياو تلخيص معناه ان امرأ القيس الكندي لما أراد المضي الى قيصر ملك الروم أودع عند السموأل دروعا وسلاحا وأمتعة تساوي من المال جملة كثيرة فلما مات امرؤ القيس أرسل ملك كندة يطلب الدروع والاسلحة المودعة عند السموأل فقال السموأل لا أدفعها الا لمستحقها وأبى ان يدفع اليه منها شيأ فعاوده فأبى وقال لا أغدر بذمتي ولا أخون أمانتي ولا اترك الوفاء الواجب عليّ فقصده ذلك الملك من كندة بعسكره فدخل السموأل في حصنه وامتنع به فحاصره ذلك الملك وكان ولد السموأل خارج الحصن فظفر به ذلك الملك فأخذه أسيرا ثم طاف حول الحصن وصاح بالسموأل فأشرف عليه من اعلى الحصن فلما رآه قال له ان ولدك قد أسرته وها هو معي فان سلمت اليّ الدروع والسلاح التي لامرئ القيس عندك رحلت عنك وسلمت اليك ولدك وان امتنعت من ذلك ذبحت ولدك وأنت تنظر فاختر أيهما شئت فقال له السموأل ما كنت لاخفر ذمامي وابطل وفائي فاصنع ما شئت فذبح ولده وهو ينظر ثم لما عجز عن الحصن رجع خائبا واحتسب السموأل ذبح ولده وصبر محافظة على وفائه فلما جاء الموسم وحضر ورثة امرئ القيس سلم اليهم الدروع والسلاح ورأى حفظ ذمامه ورعاية وفائه أحب اليه من حياة ولده وبقائه فصارت الامثال في الوفاء تضرب بالسموأل واذا مدحوا أهل الوفاء في الانام ذكروا السموأل في الاول وكم أعلى الوفاء رتبة من اعتلقه بيديه وأغلى قيمة من جعله نصب عينيه واستنطق الافواه لفاعله بالثناء عليه واستطلق الايدي المقبوضة عنه بالاحسان اليه ومما وضع في بطون الدفاتر واستحسنته عيون البصائر ونقلته الاصاغر عن الاكابر وتداولته الالسنة من الاوائل والاواخر ما رواه خادم أمير المؤمنين المأمون قال طلبني أمير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لي خذ معك فلانا وفلانا وسماهما أحدهما علي بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما أقوله لك فانه قد بلغني ان شيخا يحضر ليلا الى دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا ويندبهم ويبكي عليهم ثم ينصرف فامض الآن أنت وعليّ ودينار حتى تردوا هذه الخرابات فاستتروا خلف بعض الجدران فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد شيأ فأتوني به قال فاخذتهما ومضينا حتى أتينا الخرابات واذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسي حديد واذا شيخ وسيم له جمال وعليه مهابة ووقار قد اقبل فجلس على الكرسي وجعل يبكي وينتحب ويقول

ولما رأيت السيف جندل جعفرا * ونادى مناد للخليفة في يحيي
بكيت على الدنيا وزاد تأسفي * عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

مع أبيات أطالها وردّدها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين ففزع فزعا شديدا وقال دعوني حتى أوصي وصية فاني لا أوقن بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض الدكاكين فاستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية ودفعها الى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدي أمير

المؤمنين

المؤمنين زجره وقال له من أنت وبماذا استوجبت البرامكة منك ما تفعله في خرائب دورهم وما تقوله فيها قال الخادم ونحن وقوف نسمع فقال يا أمير المؤمنين ان للبرامكة عندي ايادي خطيرة أفتأذن لي ان أحدثك حديثي معهم قال قل قال يا أمير المؤمنين انا المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال فلما ركبني الدين واحتجت الى بيع مسقط رأسي ورؤس اهلي اشاروا علي بالخروج الى البرامكة فخرجت من دمشق ومعي نيف وثلاثون امرأة وصبيا وصبية وليس معنا ما يباع ولا ما يوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساجد فدعوت بثويبات لي كنت قد أعددتها لاستتر بها الناس فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لا شئ عندهم ودخلت شوارع بغداد أسائل عن دور البرامكة فاذا أنا بمسجد مزخرف وفيه مائة شيخ بأحسن زي وزينة وعلى الباب خادمان فطمعت في القوم وولجت المسجد وجلست بين أيديهم وانا أقدم وأوخر والعرق يسيل مني لانها لم تكن صناعتي واذا بخادم قد اقبل فدعا القوم فقاموا وأنا معهم فدخلوا دار يحيى بن خالد ودخلت معهم واذا بيحيى جالس على دكة له في وسط بستان فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحدا وبين يديه عشرة من ولده واذا غلام أمرد عذر خداه قد اقبل من بعض المقاصير بين يديه مائة خادم ممنطقون في وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ومع كل خادم مجمرة من ذهب في كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر قد قرن بها امثالها من العنبر السلطاني فوضعوه بين يدي الغلام وجلس الغلام الى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضي تكلم وزوج بنتي عائشة من ابن عمي هذا فخطب القاضي وزوجه وشهد أولئك الجماعة وأقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا أمير المؤمنين مل كمي ونظرت فاذا نحن في المكان ما بين يحيى والمشايخ وولده والغلام مائة واثنا عشر رجلا فخرج الينا مائة واثنا عشر خادما مع كل خادم صينية من فضة عليها ألف دينار فوضعوا بين يدي كل رجل منا صينية فرأيت القاضي والمشايخ يصبون الدنانير في اكمامهم ويجعلون الصواني تحت آباطهم ويقوم الاول فالاول حتى بقيت وحدي بين يدي يحيى لا أجسر على أخذ الصينية فغمزني الخادم فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب في كمي وأخذت الصينية في يدي وقمت وجعلت ألتفت الى ورائي مخافة ان أمنع من الذهاب بها فبينما أنا كذلك في صحن الدار ويحيى يلحظني اذ قال للخادم ائتني بذلك الرجل فرددت اليه فامر بصب الدنانير والصينية وما كان في كمي ثم أمرني بالجلوس فجلست فقال لي ممن الرجل فقصصت عليه قصتي فقال للخادم ائتني بولدي موسى فاتى به فقال له يا بني هذا رجل غريب فخذه اليك واحفظه بنفسك وبنعمتك فقبض موسى على يدي وأدخلني الى دار من دوره فاكرمني غاية الاكرام وأقمت عنده يومي وليلتي في ألذ عيش وأتم سرور فلما أصبح دعا بأخيه العباس وقال ان الوزير قد أمرني بالعطف على هذا الرجل وقد علمت اشتغالي في دار أمير المؤمنين فاقبضه اليك وأكرمه ففعل ذلك وأكرمني غاية الاكرام فلما كان من الغد تسلمني أخوه احمد ثم لم أزل في أيدي القوم يتداولوني عشرة أيام لا اعرف خبر عيالي وصبياني أفي الاموات هم ام في الاحياء فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا لي قم فاخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه

سلبت الدنانير والصينية وأخرج الى عيالى على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع الستر الاول ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الاخير قال لى مهما كان لك من الحوائج فارفعها الىّ فانى مأمور بقضاء جميع ما تأمرنى به فلما رفع الستر رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلنى منها رائحة الندّ والعود ونفحات المسك واذا بصبيانى وعيالى يتقلبون فى الحرير والديباج وحمل الىّ ألف ألف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشورين بضيعتين وتلك الصينية التى كنت أخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق وأقمت يا أمير المؤمنين مع البرامكة فى دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب اصطنعونى فلما جاءتهم البلية ونزل بهم من أمير المؤمنين الرشيد ما نزل أجحفنى عمرو بن مسعدة والزمنى فى هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفى دخلهما به فلما تحامل علىّ الدهر كنت فى أواخر الليل اقصد خرابات القوم فاندبهم واذكر حسن صنيعهم الىّ واشكرهم على احسانهم فقال المأمون علىّ بعمرو بن مسعدة فلما أتى به قال له يا عمرو أتعرف هذا الرجل قال نعم يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم ألزمته فى ضيعته قال كذا وكذا قال ردّ له كل ما استأديته منه فى مدته ووقع له بهما ليكونا له ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل وبكاؤه فلما راى المأمون كثرة بكائه قال له يا هذا قد أحسنا اليك فلم تبكى قال يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من صنائع البرامكة اذ لو لم آت خراباتهم فأبكيهم واندبهم حتى اتصل خبرى بأمير المؤمنين ففعل بى ما فعل فمن أين كنت أصل الى أمير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون فلقد رأيت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمرى هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك واياهم فاشكر ولهم فأوف ولاحسانهم فاذكر وقيل اذا أردت ان تعرف وفاء الرجل ودوام عهده فانظر الى حنينه الى أوطانه وتشوقه الى اخوانه وكثرة بكائه على ما مضى من زمانه قال الشاعر

سقى الله اطلال الوفاء بكفه * فقد درست اعلامه ومنازله

وقال آخر

اشدد يديك بمن بلوت وفاءه * ان الوفاء من الرجال عزيز

وقال مالك بن عمارة اللخمى كنت جالسا فى ظل الكعبة أيام الموسم عند عبد الملك بن مروان وقبيصة بن ذؤيب وعروة بن الزبير وكنا نخوض فى الفقه مرة وفى المذاكرة مرة وفى اشعار العرب وامثال الناس مرة فكنت لا أجد عند أحد ما أجده عند عبد الملك بن مروان من الاتساع فى المعرفة والتصرف فى فنون العلم وحسن استماعه اذا حدث وحلاوة لفظه اذا حدّث فخلوت معه ليلة فقلت له والله انى لمسرور بك لما شاهدته من كثرة تصرفك وحسن حديثك واقبالك على جليسك فقال ان تعش قليلا فسترى العيون طامحة الىّ والاعناق نحوى متطاولة فاذا صار الأمر الىّ فلعلك ان تنقل الىّ ركابك فلأملأنّ يديك فلما أفضت اليه الخلافة توجهت اليه فوافيته يوم الجمعة وهو يخطب على المنبر فلما رآنى اعرض عنى فقلت لعله لم يعرفنى أو عرفنى وأظهر لى نكره فلما قضيت الصلاة ودخل بيته لم ألبث ان خرج الحاجب فقال أين مالك بن عمارة فقمت فأخذ بيدى وادخلنى عليه فمدّ الىّ يده وقال انك

ترايت لى فى موضع لايجوز فيه الامارأيت فاما الآن فرحبا وأهلا كيف كنت بعدى فاخبرته فقال لى أتذكر ما كنت قلت لك قلت نعم فقال والله ماهو بميراث وعيناه ولا أثر رويناه ولكني أخبرك بخصال مني سمت بها نفسي الى الموضع الذى ترى ما خنت ذا ودقط ولا شمت بمصيبة عدو قط ولا أعرضت عن محدث حتى ينتهي حديثه ولا قصدت كبيرة من محارم الله تعالى متلذذا بها فكنت أؤمل بهذه أن يرفع الله تعالى منزلتى وقد فعل ثم دعا بغلام فقال له ياغلام بوئه منزلا فى الدار فأخذ الغلام بيدى وأفرد لى منزلا حسنا فكنت فى ألذ حال وأنعم بال وكان يسمع كلامى وأسمع كلامه ثم أدخل عليه فى وقت عشائه وغدائه فيرفع منزلتى ويقبل علىّ ويحادثنى ويسألنى مرة عن العراق ومرة عن الحجاز حتى مضت لى عشرون ليلة فتغديت يوما عنده فلما تفرق الناس نهضت قائما فقال على رسلك فقعدت فقال أىّ الامرين أحب اليك المقام عندنا مع النصفة لك فى المعاشرة أو الرجوع الى اهلك ولك الكرامة فقلت ياأمير المؤمنين فارقت أهلى وولدى على أنى أزور أمير المؤمنين واعود اليهم فان أمرنى أمير المؤمنين اخترت رؤيته على الاهل والولد فقال لا بل أرى لك الرجوع اليهم والخيار لك بعد فى زيارتنا وقد أمرنا لك بعشرين ألف دينار وكسوناك وحملناك اترانى قد ملأت يديك فلا خير فيمن ينسى اذا وعد وعدا اذا شئت صحبتك السلامة ومن ذلك ماروى عن أبى بكار الاعمى وكان قد انقطع الى آل برمك قال مسرور الكبير لما أمرنى الرشيد بقتل جعفر بن يحيى دخلت عليه فوجدت عنده أبا بكار الاعمى يغنيه ويقول

فلا تحزن فكل فتى سيأتى * عليه الموت يطرق أو يغادى

فقلت فى هذا والله قد أتيتك ثم أمسكت بيد جعفر وأقمته وضربت عنقه فقال أبو بكار ناشدتك الله الا ألحقتنى به فقلت له ما الذى حملك على هذا فقال أغنانى عن الناس فقلت حتى استأمر الرشيد ثم أحضرت الرأس الى الرشيد وأخبرته بخبر أبى بكار فقال هذا رجل فيه مصطنع اضممه اليك وانظر ما كان يجرى عليه جعفر فادفعه اليه وكان يحيى بن خالد اذا أكد فى يمينه قال لا والذى جعل الوفاء أعز ما يرى قال أبو فراس بن حمدان الشاعر

بمن يثق الانسان فيما ينوبه * ومن أين للحر الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس الا أقلهم * ذئابا على اجسادهن ثياب

وسأل المنصور بعض بطانة هشام عن تدبيره فى الحروب فقال كان رحمه الله يفعل كذا وكذا فقال المنصور عليك لعنة الله تطأ بساطى وتترحم على عدوى فقال ان نعمة عدوك لقلادة فى عنقى لا ينزعها الا غاسلى فقال له المنصور ارجع ياشيخ فانى أشهد انك لوفى حافظ للخير ثم امر له بمال فأخذه ثم قال والله لولا جلالة امير المؤمنين وامضاء طاعته ما لبست لاحد بعد هشام نعمة فقال له المنصور لله درك فلو لم يكن فى قومك غيرك لكنت قد أبقيت لهم مجدا مخلدا وخرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب فى بعض جبابين الشام فاذا امرأة جالسة على قبر تبكى قال سليمان فرفعت البرقع عن وجهها فحكت شمسا عن متون غمامة فوقفنا متحيرين ننظر اليها فقال لها يزيد بن المهلب يا أمة الله هل لك فى امير المؤمنين بعلا فنظرت الينا

ثم انشأت تقول

فان تسألاني عن هواي فانه * يحول بهذا القبر يافتيان
واني لأستحييه والترب بيننا * كما كنت أستحييه وهو يراني

ومن ذلك ماروى عن نائلة بنت القرافصة بن الاخوص الكلبي زوج عثمان رضي الله عنهما أن عثمان لما قتل اصابتها ضربة على يدها وخطبها معاوية فردته وقالت ما يعجب الرجل مني قالوا ثناياك فكسرت ثناياها وبعثت بها الى معاوية فكان ذلك مما رغب قريشا في نكاح نساء بني كلب ولما أحس مصعب بن الزبير بالقتل دفع الى مولاه زياد فص ياقوت قيمته ألف ألف وقال له انج بهذا فاخذه زياد ودقه بين حجرين وقال والله لا ينتفع به أحد بعدك ولما قدم هدبة بن الخشرم للقتل بحضرة مروان بن الحكم قالت زوجته ان لهدبة عندي وديعة فأمهله حتى آتيك بها فقال أسرعي فان الناس قد كثروا وكان مروان قد جلس لهم بارزا عن داره فمضت الى السوق وأتت الى قصاب فقالت أعطني شفرتك وخذ هذين الدرهمين وأنا أردها عليك فأخذتها وقربت من حائط وأرسلت ملحفتها على وجهها ثم جدعت أنفها من أصله وقطعت شفتيها وردت الشفرة الى القصاب ثم أقبلت حتى دخلت بين الناس فقالت أتراني ياهدبة متزوجة بعد ماترى فقال الآن طابت نفسي بالموت فجزاك الله من حليلة وفية خيرا ولنجعل لهذا الباب من القضايا ختاما هو أوجزها كلاما وأحسنها انتظاما وأبينها حكما واحكاما وهي قضية جمعت الامرين وفاء وغدرا وعرفا ونكرا وخيرا وشرا ونفعا وضرا واشتملت على حال شخصين أحدهما وفي بعهده ففاز ونجا وحاز من مقترحات مناه ما أمل ورجا وغدر الآخر فلم يجد له من جزاء غدره الى النجاة فرجا ولم يلق له من ضيق الغدر مخرجا وهو ماذكره عبد الله بن عبد الكريم وكان مطلعا على أحوال احمد بن طولون عارفا بأموره عالما بوروده وصدوره فقال ما معناه ان احمد بن طولون وجد عند سقايته طفلا مطروحا فالتقطه ورباه وسماه أحمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشأ كان اكثر الناس ذكاء وفطنة وأحسنهم زيا وصورة فصار يرعاه ويعلمه حتى تهذب وتدرب فلما حضرت أحمد بن طولون الوفاة أوصى ولده أبا الجيش خمارويه به فأخذه اليه فلما مات احمد بن طولون أحضره الامير أبو الجيش اليه وقال له انت عندي بمكانة أرعاك بها ولكن عادتي أني آخذ العهد على كل من أصرفه في شيء انه لا يخونني فعاهده ثم حكمه في امواله وقدمه في أشغاله فصار احمد اليتيم مستحوذا على المقام حاكما على جميع الحاشية الخاص والعام والامير أبو الجيش بن طولون يحسن اليه فلما رأى خدمته متصفة بالنصح ومساعيه متسمة بالنجح ركن اليه واعتمد في امور بيوته عليه فقال له يوما يا احمد امض الى الحجرة الفلانية ففي المجلس حيث أجلس سبحة جوهر فائتني بها فمضى احمد فلما دخل الحجرة وجد جارية من مغنيات الامير وحظاياه مع شاب من الفراشين ممن هو من الامير بمحل قريب فلما رآياه خرج الفتى وجاءت الجارية الى احمد وعرضت نفسها عليه ودعته الى قضاء وطره فقال لها معاذ الله أن اخون الامير وقد أحسن الي وأخذ العهد علي ثم تركها وأخذ السبحة وانصرف الى الامير وسلمها اليه وبقيت الجارية شديدة الخوف من احمد بعد ما أخذ السبحة وخرج من الحجرة لئلا يذكر حالها للامير فاقامت أياما

لم تجد من الامير ما غيره عليها ثم اتفق أن الامير اشترى جارية وقدمها على حظاياه وغيرها
بعطاياه واشتغل بها عن سواها وأعرض لشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية
غيرها ولا يراها وكان أولا مشغولا بتلك الجارية الخاسرة الخائنة الخائبة الغادرة العائبة
العاهرة الفاسقة الفاجرة فلما أعرض عنها اشتغالا بالجارية الجديدة المجودة السعيدة المسعدة
الحامدة المحمودة الوصيفة الموصوفة الالينة المألوفة العارفة المعروفة وصرف لبهجة
محاسنها وكثرة آدابها وجهه عن ملاعبة أترابها وشغلته بعذوبة رضابها عن ارتشاف ضرب
أضرابها وكانت تلك الجارية الاولى لحسنها متأمرة على تأميره لا تخاف من وليه ولا تصيره
فكبر عليها اعراضه عنها ونسبت ذلك الى أحمد اليتيم لاطلاعه على ما كان منها فدخلت على
الامير وقد ارتدت من الكآبة بجلباب نكرها وأعلنت بالبكا بين يديه لاتمام كيدها ومكرها
وقالت ان أحمد اليتيم راودني عن نفسي فلما سمع الامير ذلك استشاط غيظا وغضبا وهم
في الحال بقتله ثم عاوده حاكم عقله فتأنى في فعله واستحضر خادما يعتمد عليه وقال له اذا أرسلت
اليك انسانا ومعه طبق من ذهب وقلت لك على لسانه املأ هذا الطبق مسكا فاقتل ذلك
الانسان واجعل رأسه في الطبق وأحضره مغطى ثم ان الامير أبا الجيش جلس لشربه
وأحضر عنده ندماءه الخواص وأدناهم لمجلس قربه وأحمد اليتيم واقف بين يديه آمن في سربه لم
يخطر بخاطره شئ ولا هجس هاجس في قلبه فلما مثل بين يدي الامير وأخذ منه الشراب شرع
في التدبير فقال يا أحمد خذ هذا الطبق وامض به الى فلان الخادم وقل له يقول لك أمير
المؤمنين املأ هذا الطبق مسكا فأخذه أحمد اليتيم ومضى فاجتاز في طريقه بالمغنين وبقية
الندماء والخواص فقاموا اليه وسألوه الجلوس معهم فقال أنا ماض في حاجة للامير أمرني
باحضارها في هذا الطبق فقالوا له أرسل من ينوب عنك في احضارها وخذها أنت وادخل
بها على الامير فأدار عينيه فرأى الفتى الفراش الذي كان مع الجارية فأعطاه الطبق وقال له
امض الى فلان الخادم وقل له يقول لك الامير املأ هذا الطبق مسكا فمضى ذلك الفراش الى
الخادم فذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغطاه وجعله في الطبق وأقبل به فتناوله لاحمد اليتيم
فأخذه وليس عنده علم من باطن الامر فلما دخل به على الامير كشفه وتأمله وقال ما هذا فقص
عليه خبره وقعوده مع المغنين وبقية الندماء وسؤالهم له الجلوس معهم وما كان من انفاذ
الطبق وارساله مع الفراش وأنه لا علم عنده غير ما ذكره قال اتعرف لهذا الفراش خبرا
يستوجب به ما جرى عليه فقال أيها الامير ان الذي تم عليه بما ارتكبه من الخيانة وقد كنت
رأيت الاعراض عن اعلام الامير بذلك وأخذ احمد يحدثه بما شاهده وما جرى له من
حديث الجارية من أوله الى آخره لما أنفذه لاحضار السبحة الجوهر فدعا الامير أبو الجيش
بتلك الجارية واستقررها فأقرت بصحة ما ذكره أحمد فأعطاه اياها وأمره بقتلها ففعل
وازدادت مكانة أحمد عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احسانه اليه وجعل أزمة جميع
ما يتعلق به بيديه فانظر رحمك الله الى آثار الوفاء كيف تحمي من المعاطب وتنجي من قبضة
التلف بعد امضاء القواضب وينقى بصاحبه الى ارتقاء غوارب المراتب فهذا الغلام
لما وفى لمولاه بعهده وهو بشر مثله وليس في الحقيقة بعبده واطلع الله عز وجل على صدق

نيته وقصده دفع عنه هذه القتلة الشنيعة بلطف من عنده فاذا كان العبد مع خالقه ورازقه وافيا في طاعته بعقده كيف لا يفيض عليه من ألطاف مواهب بره ورفده ويفتح له من أنواع رحمته وأقسام نعمته ما لا ممسك له من بعده وقالوا ليس شئ أوفى من القمرية اذا مات ذكرها لم تقرب آخر بعده ولا تزال تنوح عليه الى أن تموت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

(الباب الثامن والثلاثون في كتمان السر وتحصينه وذم افشائه)

قال الله تعالى حكاية عن يعقوب صلوات الله وسلامه عليه يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك الآية فلما أفشى يوسف عليه السلام رؤياه بمشهد امرأة يعقوب أخبرت اخوته فحل به ما حل ومن شواهد الكتاب العزيز في السر قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى وقوله تعالى وما هو على الغيب بظنين اي بمتهم وفي الحديث استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال علي رضي الله عنه وكرم وجهه سرك أسيرك فاذا تكلمت به صرت أسيره واعلم أن أمناء الاسرار أقل وجودا من أمناء الاموال وحفظ الاموال أيسر من كتمان الاسرار لان احراز الاموال منيعة بالابواب والاقفال واحراز الاسرار بارزة يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وحمل الاسرار أثقل من حمل الاموال فان الرجل يستقل بالحمل الثقيل فيحمله ويمشي به ولا يستطيع كتم السر وان الرجل يكون سره في قلبه فيلحقه من القلق والكرب ما لا يلحقه من حمل الاثقال فاذا أذاعه استراح قلبه وسكن خاطره وكأنما ألقى عن نفسه حملا ثقيلا وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه القلوب أوعية والشفاه أقفالها والالسن مفاتيحها فليحفظ كل انسان مفتاح سره ومن عجائب الامور أن الاموال كلما كثرت خزانها كان أوثق لها وأما الاسرار فانها كلما كثرت خزانها كان أضيع لها وكم من اظهار سر أراق دم صاحبه ومنعه من بلوغ مآربه ولو كتمه أمن من سطواته وقال انوشروان من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات وقيل كلما كثرت خزان الاسرار زادت ضياعا وقيل انفرد بسرك لا تودعه حازما فيزل ولا جاهلا فيخون وقال كعب بن سعد الغنوي

ولست بمبد للرجال سريرتي * ولا أنا عن أسرارهم بسؤول

وقال أبو مسلم صاحب الدولة

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت * عنه ملوك بني مروان اذ جهدوا
ما زلت أسعى عليهم في ديارهم * والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا * من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنما في أرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الاسد

وأسر رجل الى صديقه حديثا ثم قال له أفهمت قال بل جهلت ثم قال له أحفظت قال بل

نسيت وقيل لبعضهم كيف كتمانك للسر قال أجحد المخبر وأحلف للمستخبر وقال المهلب أدنى أخلاق الشريف كتمان السر وأعلى أخلاقه نسيان ما أسر اليه ومن أحسن ما قيل في كتمان السر قول الشاعر

ولها سرائر في الضمير طويتها * نسي الضمير بأنها في طيه

وقد أجازه الشيخ شمس الدين البدوي فقال

اني كتمت حديث ليلى لم أبح * يوما بظاهره ولا بخفيه
وحفظت عهد ودادها متمسكا * في حبها برشاده أو غيه
ولها سرائر في الضمير طويتها * نسي الضمير بأنها في طيه

وقيل كتمان الاسرار يدل على جواهر الرجال وكما انه لاخير في آنية لا تمسك ما فيها فكذلك لاخير في انسان لا يمسك سره قال الشاعر

ومستودعي سرا كتمت مكانه * عن الحس خوفا أن ينم به الحس
وخفت عليه من هوى النفس شهوة * فأودعته من حيث لا يبلغ الحس

وقال قيس بن الحطيم

أجود بمكنون التلاد وانني * بسري عمن سالني لضنين
وان ضيع الاقوام سري فانني * كتوم لاسرار العشير أمين

وقال جعفر بن عثمان

ياذا الذي أودعني سره * لا ترج أن تسمعه مني
لم أجره قط على فكرتي * كأنه لم يجر في أذني

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما افشيت سري الى أحد قط فأفشاه فلمته اذ كان صدري به أضيق وقال الاحنف بن قيس يضيق صدر الرجل بسره فاذا حدث به أحدا قال اكتمه علي قال الشاعر

* اذا المرء أفشى سره بلسانه * ولام عليه غيره فهو أحمق *
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذي يستودع السر أضيق

وقال آخر

اذا ما ضاق صدرك عن حديث * وأفشته الرجال فمن تلوم
وان عاتبت من أفشى حديثي * وسري عنده فأنا الملوم

وقال صالح بن عبد القدوس لا تودع سرك الى طالبه فالطالب للسر مذيع ولا تودع مالك عند من يستدعيه فالطالب للوديعة خائن * وقيل لاعرابي ما بلغ من حفظك للسر قال افرقه تحت شغاف قلبي ثم أجمعه وأنساه كأني لم أسمعه * وكان يقال أحزم الناس من لا يفشي سره الى صديقه مخافة أن يقع بينهما شر فيفشيه عليه وقال حكيم قلوب الاحرار قبور الاسرار وقيل الطمأنينة الى كل أحد قبل الاختبار حمق وقال بعضهم

اذا ما غفرت الذنب يوما لصاحب * فلست معيدا ما حييت له ذكرا
ولست اذا ما صاحب خان عهده * وعندي له سر مذيعا له سرا

وأين هذا من القائل

ولا تودع الاسرار اذنى فانما * تصب بما فى اناء مثلم

أو القائل

ولا أكتم الاسرار لكن أذيعها * ولا أدع الاسرار تغلو على قلبى
وان قليل العقل من بات ليلة * تقلبه الاسرار جنبا الى جنب

وقال آخر

وانك كلما استودعت سرا * أنم من النسيم على الرياض

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلى

اناس أمناهم فنموا حديثنا * فلما كتمنا السر عنهم تقولوا

ولله در المتنبى حيث قال

وللسر منى موضع لا يناله * نديم ولا يفضى اليه شراب

وقد اقتصرنا من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

الباب التاسع والثلاثون فى الغدر والخيانة والسرقة والعداوة والبغضاء والحسد وفيه فصول

(الفصل الاول فى الغدر والخيانة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجل الاشياء عقوبة البغى وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكر والخديعة والخيانة فى النار وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ثلاث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على أنفسكم وقال تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه وقال تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله وكم أوقع الغدر فى المهالك من غادر وضاقت عليه من موارد الهلكات فسيحات المصادر وطوقه غدره طوق خزى فهو على فكه غير قادر وأوقعه فى خطة خسف وورطة حتف فما له من قوة ولا ناصر ويشهد لصحة هذه الاسباب ما احاطت به علوم ذوى الالباب من قصة ثعلبة بن حاطب الانصارى وتلخيص معناها أن ثعلبة هذا كان من أنصار النبى صلى الله عليه وسلم فجاءه يوما وقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك مرة أخرى فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقنى مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة أما لك فى رسول الله اسوة حسنة والذى نفسى بيده لو أردت أن تسير الجبال معى ذهبا وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك مرة ثالثة فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا والذى بعثك بالحق نبيا لئن رزقنى الله مالا لأعطين كل ذى حق حقه وعاهد الله تعالى على ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ ثعلبة غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من اوديتها وهى تنمو كما ينمو الدود وكان ثعلبة لكثرة ملازمته للمسجد يقال له حمامة المسجد فلما كثرت الغنم وتنحى صار يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

الظهر

الظهر والعصر ويصلي بقية الصلوات في غنمه فكثرت ونمت حتى بعد عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت فتباعد أيضا عن المدينة حتى صار لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس يسألهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال مافعل ثعلبة قالوا يارسول الله اتخذ غنما مايسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياويح ثعلبة فأنزل الله تعالى آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين رجل من بني سليم ورجل من جهينة وكتب لهما أنصاب الصدقة وكيف يأخذانها وقال لهما مرا بثعلبة بن حاطب وبرجل آخر من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه الا جزية أوماهذه الا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الى فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياه قالا ما هذا قال خذاه فان نفسي به طيبة فمرا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال اروني كتابكما فقرآه ثم قال ماهذه الا جزية أوماهذه الا اخت الجزية اذهبا حتى أرى رأيا قال فذهبا من عنده وأقبلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال قبل أن يتكلما ياويح ثعلبة فأنزل الله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب وكان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك ياثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل صدقته فقال ان الله تعالى منعني أن أقبل منك صدقة فجعل ثعلبة يحثو التراب على رأسه ووجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيأ ثم أتى الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من الانصار فاقبل صدقتي فقال أبو بكر رضي الله عنه لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فلا أقبلها أنا فقبض أبو بكر رضي الله عنه ولم يقبلها فلما ولي عمر رضي الله عنه أتاه فقال ياأمير المؤمنين اقبل صدقتي فلم يقبلها منه وقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر رضي الله عنه فأنا لا أقبلها وقبض عمر رضي الله عنه ولم يقبلها ثم ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه فسأله أن يقبل صدقته فقال له لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما فانا لا أقبلها ثم هلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه فانظر الى سوء عاقبة غدره كيف أذاقه وبال أمره ووسمه بسمة عار قضت عليه بخسره وأعقبه نفاقا يخزيه يوم فاقته ونفره فأي خزي أرجح من ترك الوفاء بالميثاق وأي سوء أقبح من غدر يسوق الى النفاق وأي عار أفضح من نقض العهد اذا عدت مساوي الاخلاق وكان يقال لم يغدر غادر قط الا لصغر همته عن الوفاء واتضاع قدره عن احتمال المكاره

فى جنب نيل المكارم قال الشاعر

غدرت بأمر كنت أنت جذبتنا * اليه وبئس الشيمة الغدر بالعهد

ولما حلف محمد الامين للمأمون فى بيت الله الحرام وهما وليا عهد طالبه جعفر بن يحيى أن يقول خذلنى الله ان خذلته فقال ذلك ثلاث مرات فقال الفضل بن الربيع قال لى الامين فى ذلك الوقت عند خروجه من بيت الله يا أبا العباس أجد فى نفسى أن امرى لا يتم فقلت له ولم ذلك أعز الله الامير قال لانى كنت أحلف وأنا أنوى الغدر وكان كذلك لم يتم أمره وورد فى أخبار العرب أن الضيزن بن معاوية بن قضاعة كان ملكا بين دجلة والفرات وكان له هناك قصر مشيد يعرف بالجوسق وبلغ ملكه الشام فأغار على مدينة سابور ذى الاكتاف فأخذها وأخذ أخت سابور وقتل منهم خلقا كثيرا ثم ان سابور جمع جيوشا وصار الى الضيزن فأقام على الحصن أربع سنين لا يصل منه الى شئ ثم ان النضيرة بنت الضيزن عركت أى حاضت فخرجت من الربض وكانت من أجمل اهل دهرها وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم اذا حضن وكان سابور من أجمل أهل زمانه فرآها ورأته فعشقها وعشقته وأرسلت اليه تقول ما تجعل لى ان دللتك على ما تهدم به هذه المدينة وتقتل أبى فقال أحكمك فقالت عليك بحمامة مطوقة ورقاء فاكتب عليها بحيض جارية ثم أطلقها فانها تقعد على حائط المدينة فتتداعى المدينة كلها وكان ذلك طلسما لا يهدمها الا هو ففعل ذلك فقالت له وأنا أسقى الحرس الخمر فاذا صرعوا فاقتلهم ففعل ذلك فتداعت المدينة وفتحها سابور عنوة وقتل الضيزن واحتمل ابنته النضيرة وأعرس بها فلما دخل بها لم تزل ليلتها تتضرر وتتململ فى فراشها وهو من حرير محشو بريش النعام فالتمس ما كان يؤذيها فاذا هو ورقة آس التصقت بعكنتها وأثرت فيها وقيل كان ينظر الى مخ عظمها من صفاء بشرتها ثم ان سابور بعد ذلك غدر بها وقتلها وقيل انه أمر رجلا فركب فرسا جموحا وضفر غدائرها بذنبه ثم استركضه فقطعها قطعا قطعه الله ما أغدره * وتقول العرب جزانى جزاء سنمار وهو أن أزدجرد بن سابور لما خاف على ولده بهرام وكان قبله لا يعيش له ولد سأل عن منزل صحيح مرى فدل على ظهر الجزيرة فدفع ابنه بهرام الى النعمان وهو عامله على ارض العرب وأمره أن يبنى له جوسقا فامتثل امره وبنى له جوسقا كأحسن ما يكون وكان الذى بنى الجوسق رجلا يقال له سنمار فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه فقال لو علمت أنكم توفونى اجرته لبنيته بناء يدور مع الشمس حيث دارت فقالوا وانك لتبنى احسن من هذا ولم تبنه ثم امر به فطرح من أعلى الجوسق فتقطع فكانت العرب تقول جزانى جزاء سنمار * وممن غدر عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله غدر بعلى رضى الله عنه وقتله * وعمرو بن جرموز غدر بالزبير بن العوام رضى الله عنه وقتله * وابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة لعنه الله غدر بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقتله * وجعل المنصور العهد الى عيسى بن موسى ثم غدر به وأخره وقدم المهدى عليه فقال عيسى

أينسى بنو العباس ذبى عنهم * بسيفى ونار الحرب زاد سعيرها

فتحت لهم شرق البلاد وغربها * فذلت معاديها وعز نصيرها

أقطع أرحاما علىّ عزيزة * وأبدى مكيدات لها وأثيرها
فلما وضعت الأمر فى مستقره * ولاحت له شمس تلألأ نورها
دفعت عن الامر الذى أستحقه * وأوسق أوساقا من الغدر غيرها

وخرج قوم لصيد فطردوا ضبعة حتى ألجؤها الى خباء أعرابى فأجارها وجعل يطعمها ويسقيها فبينما هو نائم ذات يوم اذ وثبت عليه فبقرت بطنه وهربت فجاء ابن عمه يطلبه فوجده ملقى فتبعها حتى قتلها وأنشد يقول

ومن يصنع المعروف مع غير أهله * يلاقى كما لاقى مجير ام عامر
أعد لها لما استجارت ببيته * احاليب ألبان اللقاح الدرائر
وأسمنها حتى اذا ما تمكنت * فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوى المعروف هذا جزاء من * يجود بمعروف على غير شاكر

(وحكى بعضهم) قال دخلت البادية فاذا أنا بعجوز بين يديها شاة مقتولة والى جانبها جرو ذئب فقالت أتدرى ما هذا فقلت لا قالت هذا جرو ذئب اخذناه صغيرا وأدخلناه بيتنا وربيناه فلما كبر فعل بشاتى ما ترى وأنشدت

بقرت شويهتى وفجعت قومى * وأنت لشاتنا ابن ربيب
غذيت بدرها ونشأت معها * فمن أنباك ان اباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء * فلا أدب يفيد ولا أديب

اللهم انا نعوذ بك من البغى وأهله ومن الغادر وفعله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الفصل الثانى فى السرقة والسراق) قيل مر عمرو بن عبيد بجماعة وقوف فقال ما هذا قيل السلطان يقطع سارقا فقال لا اله الا الله سارق العلانية يقطع سارق السر وأمر الاسكندر بصلب سارق فقال أيها الملك انى فعلت ما فعلت وأنا كاره فقال وتصلب أيضا وأنت كاره وسرق مدنى قميصا فأعطاه لابنه يبيعه فسرق منه فجاءه فقال بكم بعته قال برأس المال وقال اكتل السلمى وكان لصا فاتكا

وانى لأستحيى من الله أن أرى * اجرجر حبلى ليس فيه بعير
وأن أسأل المرء الدنىء بعيره * وأجمال ربى فى البلاد كثير

وقال الفرزدق

وان أبا الكرشاء ليس بسارق * ولكن متى ما يسرق القوم يأكل

وكان لعمرو بن دويرة البجلى أخ قد كلف ببنت عم له فتسور عليها الدار ذات ليلة فأخذه اخوتها وأتوا به خالد بن عبد الله القسرى وجعلوه سارقا فسأله خالد فصدقهم ليدفع الفضيحة عن الجارية فهم خالد بقطعه فقال عمرو أخوه

أخالد قد والله أوطئت عشوة * وما العاشق المظلوم فينا بسارق
أقر بما لم يأته المرء انه * رأى القطع خيرا من فضيحة عاشق

فعفا عنه خالد وزوجه الجارية

(الفصل الثالث فيما جاء في العداوة والبغضاء) قد ذكر الله عز وجل العداوة والبغضاء في كتابه العزيز فقال تعالى وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وقال تعالى ان الشيطان للانسان عدو مبين وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وقال تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه العداوة تتوارث وقال زياد بن عبد الله

فلو أنى بليت بهاشمى * خؤولته بنو عبد المدان
صبرت على عداوته ولكن * تعالوا فانظروا بمن ابتلانى

ونت رجل فى وجه أبى عبيدة مكروها فأنشأ يقول

فلو أن لحمى اذ وهى لعبت به * سباع كرام أو ضباع وأذؤب
لهوّن وجدى أو لسلى مصيبتى * ولكنما أودى بلحمى أكاب

وقيل لكسرى أى الناس أحب اليك أن يكون عاقلا قال عدوى قيل وكيف ذلك قال لانه اذا كان عاقلا كنت منه فى عافية وأمن وقيل كونوا من المرء الدغل أخوف من الكاشح المعلن فان مداواة أهل العلل الظاهرة أهون من مداواة ما خفى وبطن وقالوا اياك أن تعادى من اذا شاء طرح ثيابه ودخل مع الملك فى لحافه وقال أبو العتاهية

تنح عن القبيح ولا ترده * ومن أوليته حسنا فزده
ستلقى من عدوك كل كيد * اذا كاد العدو ولم تكده

وكانت جليلة بنت مرة أخت جساس تحت كليب فقتل أخوها زوجها وهى حبلى بهجرس ابن كليب فلما كبر وشب قال

أصاب أبى خالى وما انا بالذى * أميل وأمرى بين خالى ووالدى
وأورث جساس بن مرة غصة * اذا ما اعترتنى حرها غير بارد

ثم قال بعد ذلك

يا للرجال لقاب ماله جلد * كيف العزاء وثارى عند جساس

ثم حمل على خاله فقتله وقال

ألم ترنى ثأرت أبى كليبا * وقد يرجى المرشح للدخول
غسلت العار عن جسم ابن بكر * بجساس بن مرة ذى البتول

(بيت)

سن العداوة آباء لنا سلفوا * فلن تبيد وللآباء ابناء

ويقال دار عدوك لاحد أمرين اما صداقة تؤمنك أو لفرصة تمكنك وكتب سويد الى مصعب

فبلغ مصعبا عنى رسولى * وهل تلقى النصيح بكل وادى

تعلم أنا أكثر من تناجى * وان ضحكوا اليك هم الاعادى

ويقال فلان كثير المراق مر المذاق وقال الحجاج لخارجى والله انى لابغضك قال أدخل الله الجنة أشدنا بغضا لصاحبه ولما أراد أنوشروان أن يقلد ابنه هرمز ولاية العهد استشار عظماء مملكته فأنكروا عليه وقال بعضهم ان أمه تركية وقد علمت فى أخلاقهم ما علمت فقال ان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات وكانت أم قباذ تركية وقد رأيتم من حسن سيرته ما رأيتم فقيل هو قصير وذلك يذهب بهاء الملك فقال ان قصره من رجليه ولا يكاد يرى الا جالسا أو راكبا فلا يستبين ذلك فيه فقيل هو بغيض فى الناس فقال أواه هلك ابنى هرمز فقد قيل اذا كان فى الانسان خير واحد ولم يكن ذلك الخير المحبة فى الناس فلا خير فيه واذا كان فيه عيب واحد ولم يكن ذلك العيب البغض فى الناس فلا عيب فيه

ولست براء عيب ذى الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا

فعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما أن عين السخط تبدى المساويا

وفى المعنى قيل

وعين البغض تبرز كل عيب * وعين الحب لا تجد العيوبا

وعن أبى حيان قال قال لقمان نقلت الصخور وحملت الحديد فلم أر شيأ أثقل من الدين وأكلت الطيبات وعانقت الحسان فلم أر شيأ ألذ من العافية وأنا أقول لو نزحوا البحار وكنسوا القفار لوجدوها أهون من شماتة الاعداء خصوصا اذا كانوا مساهمين فى نسب أو مجاورين فى بلد اللهم انا نعوذ بك من تتابع الاثم وسوء الفهم وشماتة ابن العم وقيل لايوب عليه السلام أى شئ كان عليك فى بلائك أشد قال شماتة الاعداء وأنشد الجاحظ

تقول العاذلات تسل عنها * وداو غليل قلبك بالسلو

وكيف ونظرة منها اختلاسا * ألذ من الشماتة بالعدو

وقال ابن ابى جهينة المهلبى

كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الاعداء

وقال الجاحظ ما رأيت سنانا أنفذ من شماتة الاعداء وقيل لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بموته نساء من كندة وحضرموت فخضبن أيديهن وضربن بالدفوف فقال رجل منهم

أبلغ أبا بكر اذا ما جئته * ان البغايا من بنى مرام

اظهرن فى موت النبى شماتة * وخضبن أيديهن بالعلام

فاقطع هديت اكفهن بصارم * كالبرق أومض فى متون غمام

فكتب ابو بكر الصديق رضى الله عنه الى المهاجر عامله فأخذهن وقطع أيديهن ويقال فلان يتربص بك الدوائر ويتمنى لك الغوائل ولا يؤمل صلاحا الا فى فسادك ولا رفعة الا فى سقوط

حالك وقال حكيم لاتأمن عدوك وان كان ضعيفا فان القناة قد تقتل وان عدمت السنان قال الشاعر

فلا تأمن عدوك لو تراه * اقل اذا نظرت من القراد
فان الحرب ينشأ من جبان * وان النار تضرم من رماد

*(بيت مفرد)

فمن لم يكن منكم مسيئا فانه * يشد على كف المسيء فيجاب

وقال عبد الله بن سليمان بن وهب

كفاية الله خير من توقينا * وعادة الله فى الماضين تكفينا
كاد الاعادى فلا والله ما تركوا * قولا وفعلا وتلقينا وتهجينا
ولم نزد نحن فى سر وفى علن * على مقالتنا يا ربنا اكفينا
فكان ذاك ورد الله حاسدنا * بغيظه لم ينل تقديره فينا

(الفصل الرابع فى الحسد) قال الله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود وقال على رضى الله عنه الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له وقيل الحسود غضبان على القدر ويقال ثلاثة لا يهنأ أصحابها عيش الحقد والحسد وسوء الخلق وقيل بئس الشعار الحسد وقيل لبعضهم ما بال فلان يبغضك قال لانه شقيقى فى النسب وجارى فى البلد وشريكى فى الصناعة فذكر جميع دواعى الحسد وقال أعرابى الحسد داء منصف يفعل فى الحاسد أكثر من فعله فى المحسود وهو مأخوذ من الحديث قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله وقال الفقيه أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى يصل الى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده الى المحسود أولاها غم لا ينقطع الثانية مصيبة لا يؤجر عليها الثالثة مذمة لا يحمد عليها الرابعة سخط الرب الخامسة يغلق عنه باب التوفيق (ومن ذلك ما حكى) أن رجلا من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه وصار يدخل على حريمه من غير استئذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوى وحسده وقال فى نفسه ان لم أحتل على هذا البدوى فى قتله أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدنى منه فصار يتلطف بالبدوى حتى أتى به الى منزله فطبخ له طعاما وأكثر فيه من الثوم فلما أكل البدوى منه قال له احذر أن تقرب من أمير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى من ذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير الى امير المؤمنين فخلا به وقال يا امير المؤمنين ان البدوى يقول عنك للناس ان أمير المؤمنين أبخر وهلكت من رائحة فمه فلما دخل البدوى على أمير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم فلما رآه أمير المؤمنين وهو يستر فمه بكمه قال ان الذى قاله الوزير عن هذا البدوى صحيح فكتب امير المؤمنين كتابا الى بعض عماله يقول له فيه اذا وصل اليك كتابى هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوى ودفع اليه الكتاب وقال له امض به الى فلان وائتنى بالجواب فامتثل البدوى ما رسم به امير المؤمنين وأخذ الكتاب وخرج به من عنده فبينما هو بالباب اذ لقيه الوزير

فقال

فقال این ترید قال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين الى عامله فلان فقال الوزير في نفسه ان هذا البدوي يحصل له من هذا التقليد مال جزيل فقال له يا بدوي ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذي يلحقك في سفرك و يعطيك ألفي دينار فقال أنت الكبير وأنت الحاكم ومهما رأيته من الرأي افعل قال أعطني الكتاب فدفعه اليه فأعطاه الوزير ألفي دينار وسار بالكتاب الى المكان الذي هو قاصده فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير فبعد أيام تذكر الخليفة في أمر البدوي وسأل عن الوزير فأخبر بأن له أياما ما ظهر وأن البدوي بالمدينة مقيم فتعجب من ذلك وأمر باحضار البدوي فحضر فسأله عن حاله فأخبره بالقصة التي اتفقت له مع الوزير من أولها الى آخرها فقال له أنت قلت عني للناس اني أبخر فقال معاذ الله يا أمير المؤمنين أن أتحدث بما ليس لي به علم وانما كان ذلك مكرا منه وحسدا وأعلمه كيف دخل به الى بيته وأطعمه الثوم وما جرى له معه فقال أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله ثم خلع على البدوي واتخذه وزيرا وراح الوزير بحسده وقال المغيرة شاعر آل المهلب

آل المهلب قوم ان مدحتهم * كانوا الاكارم آباء وأجدادا
ان العرانين تلقاها محسدة * ولا ترى للئام الناس حسادا

وقال عمر رضي الله عنه يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك وقال مالك بن دينار شهادة القراء مقبولة في كل شيء الا شهادة بعضهم على بعض فانهم أشد تحاسدا من التيوس وعن أنس رضي الله عنه رفعه ان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال منصور الفقيه

منافسة الفتى فيما يزول * على نقصان همته دليل
ومختار القليل أقل منه * وكل فوائد الدنيا قليل

يقول الله عز وجل الحاسد عدو نعمتي متسخط لفعلي غير راض بقسمتي التي قسمت لعبادي قال الشاعر

أيا حاسدا لي على نعمتي * أتدري على من أسأت الادب
أسأت على الله في حكمه * لانك لم ترض لي ما وهب
فاخزاك ربي بان زادني * وسد عليك وجوه الطلب

وقال الاصمعي رأيت أعرابيا قد بلغ عمره مائة وعشرين سنة فقلت له ما أطول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت وقالوا لا يخلوا السيد من ودود يمدح وحسود يقدح وقال ابن مسعود رضي الله عنه ألا لا تعادوا نعم الله قيل ومن يعادي نعم الله قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقيل لعبد الله بن عروة لم لزمت البدو وتركت قومك فقال وهل بقي الا حاسد على نعمة أو شامت على نكبة وقال الشاعر

يا طالب العيش في أمن وفي دعة * رغدا بلا قترصفوا بلا رنق
خلص فؤادك من غل ومن حسد * فالغل في القلب مثل الغل في العنق

وقال آخر

حالك وقال حكيم لا تأمن عدوك وان كان ضعيفا فان القناة قد تقتل وان عدمت السنان قال الشاعر

فلا تأمن عدوك لو تراه * اقل اذا نظرت من القراد
فان الحرب ينشأ من جبان * وان النار تضرم من رماد

*(بيت مفرد)

فمن لم يكن منكم مسيئا فانه * يشد على كف المسيء فيجاب

وقال عبد الله بن سليمان بن وهب

كفاية الله خير من توقينا * وعادة الله فى الماضين تكفينا
كاد الاعادى فلا والله ما تركوا * قولا وفعلا وتلقينا وتهجينا
ولم نزد نحن فى سر وفى علن * على مقالتنا يا ربنا اكفينا
فكان ذاك ورد الله حاسدنا * بغيظه لم ينل تقديره فينا

(الفصل الرابع فى الحسد) قال الله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود وقال على رضى الله عنه الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له وقيل الحسود غضبان على القدر ويقال ثلاثة لا يهنأ أصحابها عيش الحقد والحسد وسوء الخلق وقيل بئس الشعار الحسد وقيل لبعضهم ما بال فلان يبغضك قال لانه شقيقى فى النسب وجارى فى البلد وشريكى فى الصناعة فذكر جميع دواعى الحسد وقال أعرابى الحسد داء منصف يفعل فى الحاسد أكثر من فعله فى المحسود وهو مأخوذ من الحديث قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله وقال الفقيه أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى يصل الى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده الى المحسود أولاها غم لا ينقطع الثانية مصيبة لا يؤجر عليها الثالثة مذمة لا يحمد عليها الرابعة سخط الرب الخامسة يغلق عنه باب التوفيق (ومن ذلك ما حكى) أن رجلا من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه وصار يدخل على حريمه من غير استئذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوى وحسده وقال فى نفسه ان لم أحتل على هذا البدوى فى قتله أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدنى منه فصار يتلطف بالبدوى حتى أتى به الى منزله فطبخ له طعاما وأكثر فيه من الثوم فلما أكل البدوى منه قال له احذر أن تقرب من أمير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى من ذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير الى امير المؤمنين فخلا به وقال يا امير المؤمنين ان البدوى يقول عنك للناس ان أمير المؤمنين أبخر وهلكت من رائحة فمه فلما دخل البدوى على أمير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم فلما رآه أمير المؤمنين وهو يستر فمه بكمه قال ان الذى قاله الوزير عن هذا البدوى صحيح فكتب امير المؤمنين كتابا الى بعض عماله يقول له فيه اذا وصل اليك كتابى هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوى ودفع اليه الكتاب وقال له امض به الى فلان وائتنى بالجواب فامتثل البدوى ما رسم به امير المؤمنين وأخذ الكتاب وخرج به من عنده فبينما هو بالباب اذ لقيه الوزير

فقال

فقال اين تريد قال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين الى عامله فلان فقال الوزير فى نفسه ان هذا البدوى يحصل له من هذا التقليد مال جزيل فقال له يابدوى ماتقول فيمن يريحك من هذا التعب الذى يلحقك فى سفرك و يعطيك ألفى دينار فقال أنت الكبير وأنت الحاكم ومهما رأيته من الرأى افعل قال أعطنى الكتاب فدفعه اليه فأعطاه الوزير ألفى دينار وسار بالكتاب الى المكان الذى هو قاصده فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير فبعد أيام تذكر الخليفة فى أمر البدوى وسأل عن الوزير فأخبر بأن له أياما ماظهر وأن البدوى بالمدينة مقيم فتعجب من ذلك وأمر باحضار البدوى فحضر فسأله عن حاله فاخبره بالقصة التى اتفقت له مع الوزير من أولها الى آخرها فقال له أنت قلت عنى للناس انى أبخر فقال معاذ الله ياأمير المؤمنين أن اتحدث بما ليس لى به علم وانما كان ذلك مكرا منه وحسدا وأعلمه كيف دخل به الى بيته وأطعمه الثوم وما جرى له معه فقال أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله ثم خلع على البدوى واتخذه وزيرا وراح الوزير بحسده وقال المغيرة شاعر آل المهلب

آل المهلب قوم ان مدحتهم * كانوا الاكارم آباء وأجدادا
ان العرانين تلقاها محسدة * ولاترى للئام الناس حسادا

وقال عمر رضى الله عنه يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك وقال مالك بن دينار شهادة القراء مقبولة فى كل شئ الا شهادة بعضهم على بعض فانهم أشد تحاسدا من التيوس وعن أنس رضى الله عنه رفعه ان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال منصور الفقيه

منافسة الفتى فيما يزول * على نقصان همته دليل
ومختار القليل أقل منه * وكل فوائد الدنيا قليل

يقول الله عز وجل الحاسد عدو نعمتى متسخط لفعلى غير راض بقسمتى التى قسمت لعبادى قال الشاعر

أيا حاسدا لى على نعمتى * أتدرى على من أسأت الادب
أسأت على الله فى حكمه * لانك لم ترض لى ماوهب
فاخزاك ربى بان زادنى * وسد عليك وجوه الطلب

وقال الاصمعى رأيت أعرابيا قد بلغ عمره مائة وعشرين سنة فقلت له ما أطول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت وقالوا لا يخلوا السيد من ودود يمدح وحسود يقدح وقال ابن مسعود رضى الله عنه ألا لاتعادوا نعم الله قيل ومن يعادى نعم الله قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقيل لعبد الله بن عروة لم لزمت البدو وتركت قومك فقال وهل بقى الا حاسد على نعمة أو شامت على نكبة وقال الشاعر

ياطالب العيش فى أمن وفى دعة * رغدا بلا قتر صفوا بلا رنق
خلص فؤادك من غل ومن حسد * فالغل فى القلب مثل الغل فى العنق

وقال آخر

اصبر على حسد الحسود * فان صبرك قاتله
كالنار تأكل بعضها * ان لم تجد ماتأكله

وفي نوابغ الحكم الحسد حسك من تعلق به هلك ولبعضهم

انى حسدت فزاد الله فى حسدى * لاعاش من عاش يوما غير محسود

وقال نصر بن سيار

انى نشأت وحسادى ذوو عدد * ياذا المعارج لاتنقص لهم عددا
ان يحسدونى على مابى لمابهم * فمثل مابى مما يجلب الحسدا

وكان عمر رضى الله عنه يقول نعوذ بالله من كل قدر وافق ارادة حاسد وقيل لارسطاطاليس مابال الحسود أشد غما قال لانه أخذ بنصيبه من غموم الدنيا ويضاف الى ذلك غمه لسرور الناس والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الاربعون فى الشجاعة وغرتها والحروب وتدبيرها وفضل الجهاد وشدة البأس والتحريض على القتال وفيه فصلان

(الفصل الاول فى فضل الجهاد فى سبيل الله وشدة البأس) قد أثنى الله تعالى على الصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ووصف المجاهدين فقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وندب الى جهاد الاعداء ووعد عليه أفضل الجزاء والرأى فى الحرب امام الشجاعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وقال صلى الله عليه وسلم مامن قطرة أحب الى الله تعالى من قطرة دم فى سبيله أو قطرة دمع فى جوف ليل من خشيته وسمع رجل عبد الله بن قيس رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة تحت ظلال السيوف فقال ياأباموسى أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله قال نعم فرجع الى أصحابه فقال أقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه فألقاه ثم مشى بسيفه الى العدو فضرب به حتى قتل وكتب أبو بكر الصديق رضى الله عنه الى خالد بن الوليد اعلم أن عليك عيونا من الله ترعاك وتراك فاذا لقيت العدو فاحرص على الموت توهب لك السلامة ولاتغسل الشهداء من دمائهم فان دم الشهيد يكون له نورا يوم القيامة وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اتهينا الى خيبر الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وعنه رفعه لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا ومافيها وعن ابن مسعود رفعه ان أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل وقيل ان أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضى الله عنه لم يشهد بدرا فلم يزل متحسرا يقول أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه فلما كان يوم أحد قال واها لريح الجنة دون أحد فقاتل حتى قتل فوجد فى بدنه بضع وثمانون مابين ضربة وطعنة ورمية فقالت أخته الربيع بنت النضر فما عرفت أخى الا ببنانه وعن فضالة بن عبيد رفعه كل ميت يختم على عمله الا المرابط فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة

ويؤمن من فتنة القبر وعن سهل بن حنيف رفعه من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه فنسأل الله أن يرزقنا الشهادة ويجعلنا من الذين أحسنوا فلهم الحسنى وزيادة

(الفصل الثاني في الشجاعة وغرتها والحروب وتدبيرها) اعلم ان الشجاعة عماد الفضائل ومن فقدها لم تكمل فيه فضيلة ويعبر عنها بالصبر وقوة النفس قال الحكماء وأصل الخير كله في ثبات القلب والشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أوجه الوجه الاول اذا التقى الجمعان وتزاحف العسكران وتكالحت الاحداق بالاحداق برز من الصف الى وسط المعترك يحمل ويكر وينادي هل من مبارز والثاني اذا نشب القوم واختلطوا ولم يدر أحد منهم من أين يأتيه الموت يكون رابط الجأش ساكن القلب حاضر اللب لم يخالطه الدهش ولا تأخذه الحيرة فيتقلب تقلب المالك لأموره القائم على نفسه والثالث اذا انهزم أصحابه يلزم الساقة ويضرب في وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم ويقوي قلوب أصحابه ويرجي الضعيف ويمدهم بالكلام الجميل ويشجع نفوسهم فمن وقع أقامه ومن وقف حمله ومن كبا به فرسه حماه حتى ييأس العدو منهم وهذا أحمدهم شجاعة وعن هذا قالوا ان المقاتل من وراء الناس كالمستغفر من وراء الغافلين ومن اكرم الكرم الدفاع عن الحريم (وحكى) سيدي أبو بكر الطرطوشي رحمة الله تعالى عليه في كتابه سراج الملوك قال كان شيوخ الجند يحكون لنا في بلادنا قالوا دارت حرب بين المسلمين والكفار ثم افترقوا فوجدوا في المعترك قطعة خوذة قدر الثلث بما حوته الرأس فقالوا انه لم يرقط ضربة أقوى منها ولم يسمع بمثلها في جاهلية ولا اسلام فحملتها الروم وعلقتها في كنيسة لهم فكانوا اذا عيروا بانهزامهم يقولون لقينا أقواما هذا ضربهم فيرحل أبطال الروم اليها ليروها قالوا ومن الحزم أن لا يحتقر الرجل عدوه وان كان ذليلا ولا يغفل عنه وان كان حقيرا فكم برغوث أسهر فيلا ومنع الرقاد ملكا جليلا قال الشاعر

فلا تحقرن عدوا رماك * وان كان في ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقاب * وتعجز عما تنال الابر

واعلموا أن الناس قد وضعوا في تدبير الحروب كتبا ورتبوا فيها ترتيبا وانصف منها الشيء نبدأ منها أولا بما ذكره الله تعالى في القرآن العظيم قال الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم فقوله تعالى ما استطعتم مشتمل على كل ما هو في مقدور البشر من العدة والآلة والحيلة وفسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة حين مر على أناس يرمون فقال الا ان القوة الرمي ألا ان القوة الرمي ألا ان القوة الرمي وأفضل العدة أن تقدم بين يدي اللقاء عملا صالحا من صدقة وصيام ورد المظالم وصلة الرحم ودعاء مخلص وأمر بمعروف ونهي عن منكر وأمثال ذلك والشان كل الشان في استجادة القواد وانتخاب الامراء واصحاب الألوية فقد قالت حكماء العجم أسد يقود ألف ثعلب خير من ثعلب يقود ألف أسد فلا ينبغي أن يقدم الجيش الا الرجل ذو البسالة والنجدة والشجاعة والجراءة ثابت الجأش صارم القلب صادق البأس ممن قد توسط الحروب ومارس

الرجال ومارسوه ونازل الاقران وقارع الابطال عارفا بمواضع الفرص خبيرا بمواقع القلب والميمنة والميسرة من الحروب فانه اذا كان كذلك وصدر الكل عن رأيه كانوا جميعا كأنهم مثله فانه ان رأى لقراع الكتائب وجها والا ردّ الغنم الى الزريبة واعلم أن الحرب خدعة عند جميع العقلاء وكان عظماء الترك يقولون ينبغي للعاقل العظيم القواد أن يكون فيه عدة أخلاق من أخلاق البهائم شجاعة الديك وبحث الدجاجة وقلب الاسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب على الجراح وحراسة الكركى وغارة الذئب وسمن نغيروهى دويبة تكون بخراسان تسمن على التعب والشقاء * وكان يقال أشد خلق الله تعالى عشرة الجبال والحديد ينحت الجبال والنار تأكل الحديد والماء يطفئ النار والسحاب يحمل الماء والريح تصرف السحاب والانسان يتقى الريح بجناحيه والسكر يصرع الانسان والنوم يذهب السكر والهم يمنع النوم فأشد خلق ربك الهم اللهم انا نعوذ بك من الهم والحزن * ومن الحيل فى الحرب أن يبث جواسيسه فى عسكر عدوه ليستعلم أخبارهم ويستميل قلوب رؤسائهم وذوى الشجاعة منهم فيدس اليهم ويعدهم وعدا جميلا ويقوى أطماعهم فى نيل ما عنده من الهبات الفخيمة والولايات السنية وان رأى وجها عاجلهم بالهدايا وسامهم اما الغدر بصاحبهم واما الاعتزال وقت اللقاء ويكتب على السهام أخبارا مزورة ويرمى بها فى جيوشهم واعلم أن الحيلة لاتردّ القضاء والقدر وأن الدول اذا زالت صارت حيلتها وبالا عليها واذا أذن الله تعالى فى حلول البلاء كانت الآفة فى الحيلة وقال الحكماء اذا نزل القضاء كان العطب فى الحيلة ويغلب الضعيف باقبال دولته كما يغلب القوى بمقامه قدته فمن الحزم المألوف عند سوّاس الحروب أن تكون حماة الرجال وكماة الأبطال فى القلب فانه اذا انكسر الجناحان كانت العيون ناظرة الى القلب فاذا كانت رايته تخفق وطبوله تضرب كان حصنا للجناحين يأوى اليه كل منهزم واذا انكسر القلب تمزق الجناحان مثال ذلك أن الطائر اذا انكسر أحد جناحيه ترجى عودته ولو بعد حين واذا انكسر الرأس ذهب الجناحان وقل عسكر انكسر قلبه فأفلح أو تراجع اللهم الا أن تكون مكيدة من صاحب الجيش فيخلى القلب قصدا وتعمدا حتى اذا توسطه العدو واشتغل بنهبه انطبق عليه الجناحان فقد فعل ذلك رجال من اهل الحروب ويقال حبب الى عدوك الفرار بان لاتتبعهم اذا انهزموا ويقال الشجاع محبب حتى الى عدوه والجبان مبغض حتى الى أمه * ولما أقبل كسرى بن هرمز الى محاربة بهرام قال له صاحبه أما تستعد قال عدتى ثبات قلبى واصابة رأيى ونصل سيفى ونصرة خالقى * وخرج يزيد بن عبد الملك من بعض مقاصيره وعليه درع وذلك فى أيام قتال يزيد بن المهلب فأنشده مسلمة قول الحطيئة

قوم اذا حاربوا شدّوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت بأطهار

فقال يزيد انما ذاك اذا حاربنا اكفاءنا وأما مثل هذا وتطرائه فلا فقام اليه مسلمة فقبله بين عينيه * وقيل لما مات ملك الفرس أرادوا أن يملكوا عليهم رجلا من آل ساسان فوفد

عليهم بهرام جور فقال اعمدوا الى أسدين جائعين فاطرحوا بينهما التاج فمن أخذه فهو الملك
ففعلوا فدنا منهما فاهو باليه فأخذ برأس أحدهما فأدناه من رأس الآخر ثم نطحه به
فقتلهما جميعا وشد على التاج فأخذه ووضعه على رأسه وملكته الفرس عليهم * وقيل لم يكن
فى العجم أرمى من الملك بهرام خرج يتصيد يوما وهو مردف حظية له كان يعشقها فعرضت له
ظباء فقال فى أى موضع تريدين أن أضع هذا السهم فقالت أريد أن تشبه ذكرانها بالاناث
واناثها بالذكران فرمى ظبيا ذكرا بنشابة ذات شعبتين فاقتلع قرنيه ورمى ظبية بنشابتين
اثبتهما فى موضع القرنين ثم سألته أن يجمع بين ظلف الظبى وأذنه بنشابة فرمى أصل الاذن
ببندقة ثم أهوى الظبى برجله الى أذنه ليحتك فرماه بنشابة فوصل اذنه بظلفه * ويقال ان من
اعظم المكايد فى الحرب الكمين وذلك أن الفارس لا يزال على حمية فى الدفاع وحمى الذمار
حتى يلتفت فيرى وراءه بندا منشورا ويسمع صوت الطبل فحينئذ يكون همه خلاص نفسه
وعليك بانتخاب الفرسان واختيار الابطال ولا تنس قول الشاعر

والناس ألف منهم كواحد * وواحد كالالف ان أمر عنى

بل قد جرب ذلك فوجد الواحد خيرا من عشرة آلاف وسأحكى لك من ذلك ماترى فيه العجب
فمن ذلك لما التقى المستعين بن هود مع الطاغية بن روميل النصرانى على مدينة وشقة من ثغور
بلاد الاندلس وكان العسكران كالمتكافئين كل واحد منهما يقارب عشرين ألف
مقاتل خيل ورجل فحدث من حضر الوقعة من الاجناد قال لما دنا اللقاء قال الطاغية بن
روميل لمن يثق بعقله وممارسته للحروب من رجاله استعلم لى من فى عسكر المسلمين من الشجعان
الذين نعرفهم كما يعرفوننا ومن غاب منهم ومن حضر فذهب ثم رجع فقال فيهم فلان وفلان
فعد تسعة رجال فقال له انظر من فى عسكرى من الرجال المعروفين بالشجاعة ومن غاب
منهم فعدهم فوجدهم ثمانية رجال لا يزيدون فقام الطاغية ضاحكا مسرورا وهو يقول
ما أبيضك من يوم ثم ثارت الحرب بينهم فلم تزل المضاربة بين الفريقين لم يول أحدهم دبره
ولا تزحزح عن مقامه حتى فنى أكثر العسكرين ولم يفر واحد منهم قال فلما كان وقت العصر
نظروا الينا ساعة ثم حملوا علينا حملة وداخلونا مداخلة ففرقوا بيننا وصرنا شطرين وحالوا
بيننا وبين أصحابنا فكان ذلك سبب وهننا وضعفنا ولم تقم الحرب الا ساعة ونحن فى خسارة
معهم فاشار مقدم العسكر على السلطان أن ينجو بنفسه وانكسر عسكر المسلمين وتفرق
جمعهم وملك العدو مدينة وشقة فليعتبر ذو الحزم والبصيرة من جمع يحتوى على أربعين ألف
مقاتل ولم يحضره من الشجعان المعدودين الا خمسة عشر نفرا وليعتبر بضمان العلج بالظفر
واستبشاره بالغنيمة لما زاد فى أبطاله رجل واحد * (وحكى) سيدى أبو بكر الطرطوشى رحمة
الله تعالى عليه قال سمعت استاذنا القاضى أبا الوليد يحكى قال بينما المنصور بن أبى عامر
فى بعض غزواته اذ وقف على نشز من الارض مرتفع فرأى جيوش المسلمين من بين يديه ومن
خلفه وعن يمينه وعن شماله قد ملؤا السهل والجبل فالتفت الى مقدم العسكر وهو رجل
يعرف بابن المصحفى فقال له كيف ترى هذا العسكر أيها الوزير قال أرى جمعا كثيرا وجيشا
واسعا كبيرا فقال له المنصور ماترى هل يكون فى هذا الجيش ألف مقاتل من أهل الشجاعة

والنجدة والبسالة فسكت ابن المضحى فقال له المنصور ما سكوتك أليس فى هذا الجيش ألف
مقاتل قال لا فتعجب المنصور ثم قال فهل فيهم خمسمائة مقاتل من الابطال المعدودين قال لا
فحنق المنصور ثم قال أفيهم مائة رجل من الابطال قال لا قال أفيهم خمسون رجلا من الابطال
قال لا قال فسبه المنصور وأغلظ عليه وأمر به فأخرج على أسوء حال فلما توسطوا بلاد الروم
اجتمعت الروم وتصاف الجمعان فبرز علج من الروم بين الصفين شاكى السلاح وجعل يكر ويفر
ويقول هل من مبارز فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج ففرح المشركون
وصاحوا واضطرب المسلمون لها ثم جعل العلج يموج بين الصفين وينادى هل من مبارز اثنين
لواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج وجعل يكر ويحمل وينادى ويقول
هل من مبارز ثلاثة لواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فقتله العلج فصاح المشركون وذل
المسلمون وكادت أن تكون كسرة فقيل للمنصور ما لها الا ابن المضحى فبعث اليه فحضر فقال له
المنصور ألا ترى ما يصنع هذا العلج الكلب منذ اليوم فقال لقد رأيته فما الذى تريد قال أن
تكفى المسلمين شره قال الآن يكفى المسلمون شره ان شاء الله تعالى ثم قصد الى رجال يعرفهم
فاستقبله رجل من أهل الثغور على فرس قد تهرت أوراكها هزالا وهو حامل قربة ماء بين
يديه على الفرس والرجل فى حليته ونفسه غير متصنع فقال له ابن المضحى ألا ترى ما يصنع
هذا العلج منذ اليوم قال قد رأيته فما الذى تريد قال أريد أن تكفى المسلمين شره قال حبا
وكرامة ثم انه وضع القربة بالارض وبرز اليه غير مكترث به فتجاولا ساعة فلم ير الناس
الا المسلم خارجا اليهم يركض ولا يدرون ما هنالك واذا برأس العلج يلعب بها فى يده ثم ألقى
الرأس بين يدى المنصور فقال له ابن المضحى عن هؤلاء الرجال أخبرتك قال فرد ابن المضحى
الى منزلته وأكرمه ونصر الله جيوش المسلمين وعساكر الموحدين *(وحكى) انه كان للعرب
فارس يقال له ابن قضون وكان أشجع العرب والعجم فى زمانه وكان المستعين يكرمه
ويعظمه ويجرى له فى كل عطية خمسمائة دينار وكانت جيوش الكفار تهابه وتعرف
منه الشجاعة وتخشى لقاءه فيحكى أن الرومى كان اذا سقى فرسه ولم يشرب يقول له ويلك
لم لا تشرب هل رأيت ابن قضون فى الماء فحسده نظراؤه على كثرة العطاء ومنزلته من السلطان
فوشوا به عند المستعين فأبعده ومنعه من عطائه ثم ان المستعين أنشأ غزوة الى بلاد
الروم فتقابل المسلمون والمشركون صفوفا ثم برز علج الى وسط الميدان ونادى وقال
هل من مبارز فبرز اليه فارس من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله الرومى فصاح المشركون
سرورا وانكسرت نفوس المسلمين وجعل الكلب الرومى يجول بين الصفين وينادى هل من
اثنين لواحد فخرج اليه فارس من المسلمين فقتله الرومى فصاح الكفار سرورا وانكسرت
نفوس المسلمين وجعل الكلب يجول بين الصفين وينادى ويقول ثلاثة لواحد فلم يجترئ
أحد من المسلمين أن يخرج اليه وبقى الناس فى حيرة فقيل للسلطان ما لها الا أبو الوليد بن
قضون فدعاه وتلطف به وقال له يا أبا الوليد أما ترى ما يصنع هذا العلج فقال ها هو بعينى قال
فما الحيلة فيه قال الساعة أكفى المسلمين شره فلبس قميص كتان واستوى على سرج
فرسه بلا سلاح وأخذ بيده سوطا طويلا وفى طرفه عقدة معقودة ثم برز اليه فتعجب

منه

منه النصرانى ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فلم تخط طعنة النصرانى سرج ابن فتحون واذا ابن فتحون متعلق برقبة الفرس ونزل الى الارض لاشئ منه فى السرج ثم انقلب فى سرجه وحمل على العلج وضربه بالسوط فالتوى على عنقه فجذبه بيده من السرج فاقتلعه وجاء به يجره حتى ألقاه بين يدى المستعين فعلم المستعين أنه كان قد أخطأ فى صنعه مع أبى الوليد بن فتحون فاعتذر اليه وأكرمه وأحسن اليه وبالغ فى الانعام عليه ورده الى أحسن أحواله وكان من أعز الناس اليه * وينبغى لقائد الجيش أن يخفى العلامة التى هو مشهور بها فان عدوه قد يستعلم حليته وألوان خيله ورايته ولا يلزم خيمته ليلا ولا نهارا وليبدل زيه ويغير خيمته كيلا يلتمس عدوه غرة منه واذا سكن الحرب فلا يمشى فى النفر اليسير من قومه خارج عسكره فان عيون عدوه متجسسة عليه وبهذا الوجه كسر المسلمون جيوش افريقية عند فتحها وذلك أن الحرب سكنت وسط النهار فجعل مقدم العدو يمشى خارج عسكره يتميز عساكر المسلمين فجاء الخبر الى عبد الله بن أبى السرح وهو نائم فى قبته فخرج فيمن وثق به من رجاله وحمل على العدو فقتل الملك وكان الفتح وبمثل هذا قهر البارسلان ملك الترك ملك الروم وجمعه وقتل رجاله وأباد جمعه وكانت الروم قد جمعت جيوشا يقل أن يجمع لغيرهم من بعدهم مثلها وكان قد بلغ عددهم ستمائة ألف مقاتل كتائب متواصلة وعساكر مترادفة وكراديس يتلو بعضها بعضا لا يدركهم الطرف ولا يحصيهم العدد وقد استعدوا من الكراع والسلاح والمجانيق والآلات المعدة للحروب وفتح الحصون بما لا يحصى وكانوا قد قسموا بلاد المسلمين الشام والعراق ومصر وخراسان وديار بكر ولم يشكوا أن الدولة قد دارت لهم وأن نجوم السعود قد خدمتهم ثم استقبلوا بلاد المسلمين فتواترت أخبارهم الى بلاد المسلمين واضطربت لها ممالك أهل الاسلام فاعتشد للقائهم الملك البارسلان وهو الذى يسمى الملك العادل وجمع جموعه بمدينة اصبهان واستعد بما قدر عليه ثم خرج يؤمهم فلم يزل العسكران يتدانيان الى أن عادت طلائع المسلمين الى المسلمين وقالوا للبارسلان غدا يتراأى الجمعان فبات المسلمون ليلة الجمعة والروم فى عدد لا يحصيهم الا الله الذى خلقهم وما المسلمون فيهم الا أكلة جائع فبقى المسلمون وجلين لما دهمهم فلما أصبحوا صباح يوم الجمعة نظر بعضهم الى بعض فهال المسلمين ما رأوا من كثرة العدو فأمر البارسلان أن يعد المسلمون فبلغوا اثنى عشر ألفا فكانوا كالشامة البيضاء فى الثور الاسود فجمع ذوى الرأى من أهل الحرب والتدبير والشفقة على المسلمين والنظر فى العواقب واستشارهم فى استخلاص أصوب الرأى فتشاوروا برهة ثم اجتمع رأيهم على اللقاء فتوادع القوم وتحالوا وناصحوا الاسلام وأهله وتأهبوا أهبة اللقاء وقالوا للبارسلان بسم الله نحمل عليهم فقال البارسلان يا معشر أهل الاسلام أمهلوا فان هذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون على المنابر ويدعون لنا فى شرق البلاد وغربها فاذا زالت الشمس وعلمنا أن المسلمين قد صلوا ودعوا الله أن ينصر دينه حملنا عليهم اذ ذاك وكان البارسلان قد عرف خيمة ملك الروم وعلامته وزيه وزينته وفرسه ثم قال لرجاله لا يتخلف

أحدمنكم أن يفعل كفعلي ويتبع أثري ويضرب بسيفه ويرمي بسهمه حيث أضرب بسيفي وأرمي بسهمي ثم حمل برجاله حملة رجل واحد الى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان دونهم ووصلوا الى الملك فقتلوا من كان دونه وجعلوا ينادون بلسان الروم قتل الملك قتل الملك فسمعت الروم أن ملكهم قد قتل فتبددوا وتمزقوا كل ممزق وعمل السيف فيهم أياما وأخذ المسلمون أموالهم وغنائمهم وأتوا بالملك أسيرا بين يدي البارسلان والحبل في عنقه فقال له البارسلان ماذا كنت تصنع بي لو أسرتني قال وهل تشك أنني كنت أقتلك فقال له البارسلان أنت أقل في عيني من أن أقتلك اذهبوا به فبيعوه لمن يزيد فيه فكان يقاد والحبل في عنقه وينادي عليه من يشتري ملك الروم وما زالوا كذلك يطوفون به على الخيام ومنازل المسلمين وينادون عليه بالدراهم والفلوس فلم يدفع فيه أحد شيأ حتى باعوه من انسان بكلب فأخذه الذي ينادي عليه وأخذ الكلب وأتى بهما الى البارسلان وقال قد طفت به جميع العسكر وناديت عليه فلم يبذل أحد فيه شيأ سوى رجل واحد دفع فيه هذا الكلب فقال قد أنصفك ان الكلب خير منه ثم أمر البارسلان بعد ذلك باطلاقه وذهب الى القسطنطينية فعزلته الروم وكحلوه بالنار فانظر ماذا يأتي على الملوك اذا عرفوا في الحرب من الحيلة والمكيدة اللهم انصر جيوش المسلمين وعساكر الموحدين وأهلك الكفرة والمشركين وانصر المسلمين نصرا عزيزا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

الباب الحادي والاربعون في ذكر أسماء الشجعان وذكر الابطال وطبقاتهم وأخبارهم وذكر الجبناء وأخبارهم وذم الجبن

(الطبقة الاولى الذين أدركوا الجاهلية والاسلام) * حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسد الله وأسد رسوله قتل في غزاة أحد رماه وحشي مولى جبير ابن مطعم بحربة فقتله وكان فارس قريش غير مدافع وبطلها غير ممانع وعظم قتله على النبي صلى الله عليه وسلم ونذر أن يقتل به سبعين رجلا من قريش وكبر عليه في الصلاة سبعين تكبيرة * أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه آية من آيات الله ومعجزة من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤيد بالتأييد الالهي كاشف الكروب ومجليها ومثبت قواعد الاسلام ومرسيها وهو المتقدم على ذوي الشجاعة كلهم بلا مرية ولا خلاف روي عنه رضي الله عنه أنه قال والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون علي من موتة على فراش وقال بعض العرب ما لقينا كتيبة فيها علي بن ابي طالب رضي الله عنه الا أوصى بعضنا على بعض وقال رضي الله عنه لمعاوية قد دعوت الناس الى الحرب فدع الناس جانبا واخرج الي ليعلم أينا المران على قلبه والمغطى على بصره وأنا أبو الحسن قاتل جدك وخالك وأخيك شدخا يوم بدر وذلك السيف معي وبذلك القلب ألقى عدوي وقيل له كرم الله وجهه اذا جالت الخيل فأين نطلبك قال حيث تركتموني وقيل له كيف كنت تقتل الابطال قال لاني كنت ألقى الرجل فاقدر أني أقتله ويقدر هو أني قاتله فأكون أنا ونفسه عونا عليه وقال مصعب بن الزبير كان علي رضي الله عنه حذرا في الحروب شديد الروغان

لا يكاد أحد يتمكن منه وكانت درعه صدرا لا ظهر لها فقيل له أما تخاف أن تؤتى من قبل
ظهرك فقال اذا أمكنت عدوى من ظهرى فلا أبقى الله عليه أن أبقى على قتله عبد الرحمن
ابن ملجم المرادى لعنة الله تعالى عليه غدره وهو فى صلاة الصبح وسبب ذلك أن عبد الرحمن
ابن ملجم لعنه الله تزوج بقطام بنت علقمة وكانت خارجية فقالت له لا أقنع الا بصداق أسميه
وهو ثلاثة آلاف درهم وعبد وأمة وأن تقتل على بن أبى طالب فقال لها لك ما سألت الا على
ابن أبى طالب وكيف لى به قالت تغتاله فان سلمت أرحت الناس من شره وأقمت مع أهلك وان
أصبت دخلت الجنة فقال

ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب على بالحسام المخذم
فلا مهر أغلى من على وان علا * ولا فتك الادون فتك ابن ملجم

وقيل انه طعنه وهو داخل المسجد فى الغلس وذلك فى تاسع عشر رمضان المعظم سنة
أربعين وكفن رضى الله عنه فى ثلاثة أثواب ودفن فى الرحبة مما يلى باب كندة
من أبواب المسجد قالوا ولما ضربه ابن ملجم لعنه الله ثار الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر
رضى الله عنهم فاحتضنوه وقام المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب فأخذه فأومأ
على رضى الله عنه الى المغيرة أن صل بالناس فصلى بهم الفجر وأقبلت همدان فدخلوا على
على فقالوا يا أمير المؤمنين لا تقوم لهم قائمة ان شاء الله تعالى فقال لا تفعلوا انما النفس
بالنفس قال ثم ان الحسن رضى الله عنه صلى الفجر وصعد المنبر فأراد الكلام فخنقته العبرة
ثم نطق فقال الحمد لله على ما أحببنا وكرهنا وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد
أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وانى أحتسب عند الله عز وجل مصابى بأفضل
الآباء رسول الله القائل صلى الله عليه وسلم من أصيب بمصيبة فليتسل بمصيبته فى فانها أعظم
المصائب والله الذى لا اله الا هو الذى أنزل على عبده الفرقان لقد قبض فى هذه الليلة رجل
ما سبقه الاولون بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدركه الآخرون فعند الله نحتسب
ما دخل علينا وعلى جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فوالله لا أقول اليوم الا حقا لقد
دخلت مصيبته اليوم على جميع العباد والبلاد والشجر والدواب ولقد قبض فى الليلة التى
رفع فيها عيسى بن مريم عليهما السلام الى السماء وقبض فيها موسى بن عمران ويوشع بن نون
عليهما السلام وأنزل فيها القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ولقد كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبعثه فى السرية ويسير جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فما يرجع حتى يفتح
الله عز وجل على يديه وما ترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم أراد أن يبتاع بها
خادما لأهله الا أن أمور الله تعالى تجرى على أحوالها فأحسنها من الله وأسوأها من
أنفسكم الا ان قريشا أعطت أزمتها شياطينها فقادتها بأعنتها الى النار فمنهم من قاتل
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أظهره الله تعالى عليه ومنهم من أسر الضغينة حتى وجد
على النفاق أعوانا رفع الكتاب وجف القلم وأمور تقضى فى كتاب قد خلا ثم أطرق الحسن
فبكى الناس بكاء شديدا ثم نزل فجرد سيفه ودعا بابن ملجم فأقبل يخطر واضعا شعره على
أذنيه حتى قام بين يديه فقال يا حسن انى ما عاهدت الله تعالى على عهد قط الا وفيت به

عاهدت الله تعالى على أن أقتل اباك وقد قتلته فان تخلى اقتل معاوية فان أنا قتلته أضع يدى على يدك وان أقتل فهو الذى تريد فقال الحسن رضى الله عنه أما والله لاسبيل الى بقائك ثم قام اليه فضربه بالسيف فاتقاه ابن ملجم بيده ثم أسرع السيف فيه فقتله * ومن الابطال خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى رضى الله عنه سيف الله وسيف رسوله صلى الله عليه وسلم بطل مذكور وفارس مشهور فى الجاهلية والاسلام قتل مالك بن نويرة وقتل مسيلمة الكذاب لعنه الله وكان الفتح لخالد يوم اليمامة وهو الذى فتح دمشق وأكثر بلاد الشام وله وقائع عظيمة فى الروم أيد الله بها الاسلام مات على فراشه وكان يقول لقد شهدت كذا وكذا زحفا ومافى جسدى موضع شبر الاوفيه أثر من طعنة أوضربة أورمية وها أنا أموت على فراشى لانامت عين الجبان وكان ينشد ويرتجز ويقول

لاتر عبونا بالسيوف المبرقه * ان السهام بالردى مفوقه

والحرب دونها العقال مطلقه * وخالد من دينه على ثقه

رضى الله عنه * الزبير بن العوام رضى الله عنه حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته بطل شجاع لايجارى وشهم لايبارى قتله عمرو بن جرموز اغتياله وهو فى الصلاة * عمرو ابن معديكرب الزبيدى فارس من فرسان الجاهلية وله مواقف مذكورة ومواطن مشهورة وأسلم ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام وشهد حروب الفرس وكان له فيها أفعال عظيمة وأحوال جسيمة وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا رآه قال الحمد لله الذى خلقنا وخلق عمرا وروى عنه رضى الله عنه أنه سأله يوما فقال له يا عمرو أى السلاح أفضل فى الحرب قال نعن أيها تسأل قال ماتقول فى السهام قال منها مايخطئ ويصيب قال فما تقول فى الرمح قال أخوك وربما خانك قال فما تقول فى الترس قال هو الدائر وعليه تدور الدوائر قال فما تقول فى السيف قال ذلك العدة عند الشدة وقيل انه نزل يوم القادسية على النهر فقال لاصحابه انى عابر على هذا الجسر فان أسرعتم مقدار جزر الجزور وجدتمونى وسيفى بيدى أقاتل به تلقاء وجهى وقد عرفنى القوم وانا قائم بينهم وان أبطأتم وجدتمونى قتيلا بينهم ثم انغمس فحمل على القوم فقال بعضهم لبعض يابنى زبيد علام تدعون صاحبكم والله ماظن انكم تدركونه حيا فحملوا فانتهوا اليه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها والفارس يضرب فرسه فلم تقدر أن تتحرك فلما رآنا أدركناه رمى الرجل نفسه وخلى فرسه فركبه عمرو وقال أنا أبو ثور كدتم والله تفقدونى فقالوا أين فرسك فقال رمى بنشابة فغار وشب فصرعنى ويروى أنه حمل يوم القادسية على رستم وهو الذى كان قدمه يزدجرد ملك الفرس يوم القادسية على قتال المسلمين فاستقبله عمرو وكان رستم على فيل فضرب عمرو الفيل فقطع عرقوبه فسقط رستم وسقط الفيل عليه مع خرج كان فيه اربعون الف دينار فقتل رستم وانهزمت العجم وقتل عمرو بنهاوند فى وقعة الفرس بعد أن عمر حتى ضعف وكان من الشعراء المعدودين وفيه يقول العباس ابن مرداس

اذا مات عمرو قلت للخيل أوطئ * زبيدا فقد أودى بنجدتها عمرو

طلحة الاسدى رضى الله عنه كان من أكبر الشجعان جاهلية واسلاما ثم ارتد وتنبأ وجمع جمعا عظيما ففل خالد بن الوليد جمعه وكان يتكهن ثم عاد الى الاسلام وشهد حرب القادسية وغيرها من الفتوح * المقداد بن الاسود رضى الله عنه كان من أشجع الفرسان شديد البأس قوى الجنان رابط الجأش وله فى الشجعان اسم مشهور ووصف مذكور يعجز الواصف عن وصف صفاته رضى الله عنه وأرضاه * سعد بن أبى وقاص الزهرى الانصارى رضى الله عنه كان فارسا بطلا راميا وهو أول من رمى فى سبيل الله بسهم ولما قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه اعتزل ولم يشهد الحرب بعده ومات حتف انفه * أبو دجانة الانصارى رضى الله عنه الذى خرج يتبختر بين الصفين فقال عليه الصلاة والسلام انها المشية يبغضها الله تعالى الا فى هذا الموضع * المثنى بن حارثة الشيبانى رضى الله عنه هو أول من فتح حرب الفرس * أبو عبيد بن مسعود الثقفى رضى الله عنه قاتل القوم يوم قس الناطف فى حرب القادسية * عمار بن ياسر رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق يدور مع عمار حيث دار وأخبر أنه تقتله الفئة الباغية فقتل بصفين مع على رضى الله عنه * هاشم بن عتبة رضى الله عنه من أكابر الشجعان صاحب راية على رضى الله عنه بصفين * مالك بن الحرث النخعى الاشتر رضى الله عنه مات مسموما فى شربة من عسل فقال معاوية ان لله جنودا منها العسل * القعقاع بن عمرو طاعن الفيل فى عشية القادسية رضى الله عنه * الطبقة الثانية * عبد الله بن الزبير بن العوام رضى الله عنه قاتل جرجير ملك افريقية الذى كان يرى أنه أشجع أهل عصره قال عمر بن عبد العزيز لابن أبى مليكة صف لى عبد الله بن الزبير فقال والله ما رأيت جلدا قط ركب على لحم ولا لحما على عصب ولا عصبا على عظم مثل جلده ولحمه وعصبه ولا رأيت نفسا بين جنبين مثل نفس ركبت بين جنبيه ولقد قام يوما الى الصلاة فمر حجر من حجارة المنجنيق بين لحيته وصدره فوالله ما خشع له بصره ولا قطع له قراءته ولا ركع دون الركوع الذى كان يركع قتله الحجاج بعد أن حوصر بمكة وأسلمه أصحابه وعشيرته وصلبه الحجاج ألا الى الله تصير الامور * أبو هاشم محمد بن على بن أبى طالب ابن الحنفية رضى الله عنه كان أبوه يلقيه فى الوقائع ويتقى به العظائم وهو شديد البأس ثابت الجنان قيل له يوما ما بال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه يقحمك الحروب دون الحسن والحسين رضى الله عنهما فقال لانهما كانا عينيه وكنت أنا يديه فكان يتقى عينيه بيديه وقيل ان أباه عليا رضى الله عنه اشترى درعا فاستطالها فأراد أن يقطع منها فقال له محمد يا أبت علم موضع القطع فعلم على موضع منها فقبض محمد بيده اليمنى على ذيلها وبالاخرى على موضع العلامة ثم جذبها فقطعها من الموضع الذى حدده أبوه وكان عبد الله بن الزبير مع تقدمه فى الشجاعة يحسده على قوته واذا حدث بهذا الحديث غضب مات حتف انفه بشعب رضوى * عبد الله بن حازم السلمى رضى الله عنه والى خراسان شجيع مضر وفارسها فى عصره قتله وكيع بن أبى سويد بخراسان فى الفتنة * وكيع بن أبى سويد قاتل عبد الله بن حازم المتقدم ذكره شجاع فاتك أهوج والى خراسان قيل لما قتل عبد الله بن حازم ولم يتم أمره لهوجه مات حتف انفه *

مصعب بن الزبير بن العوام شجاع بطل جواد جاد بماله وبنفسه قتله عبيد الله بن زياد في الحروب التي كانت بينه وبين عبد الملك بن مروان * عمير بن الحباب السلمي فارس الاسلام قتله بنو تغلب في الحروب التي كانت بينهم وبين قيس * مسلمة بن عبد الملك بن مروان فحل بني أمية وفارسها والي حروبها قيل انه جلس يوما ليقضي بين الناس بمصر فكلمته امرأة فلم يقبل عليها فقالت ما رأيت أقل حياء من هذا قط فكشف عن ساقه فاذا فيها اثر تسع طعنات فقال لها اهل ترين أثر هذا الطعن والله لو أخرت رجلي قيد شبر ما أصابتني واحدة منهن وما منعني من تأخيرها الا الحياء وانت تحليني قلته * المعتصم بطل شجاع فارس صنديد لم يكن في بني العباس أشجع منه ولا أشد قلبا قال ابن أبي دواد كان المعتصم يقول لي يا أبا عبد الله عض على ساعدي بأكثر قوتك فأقول والله يا أمير المؤمنين ما تطيب نفسي بذلك فيقول انه لا يضرني فأروم ذلك فاذا هو لا تعمل فيه الاسنة فكيف تعمل فيه الاسنان ويقال انه طعنه بعض الخوارج وعليه درع فأقام المعتصم ظهره فقصم الرمح نصفين وكان يشد يده على كتابة الدينار فيمحوها ويأخذ عمود الحديد فيلويه حتى يصير طوقا في العنق * ابراهيم بن الاشتر النخعي كان من الشجعان المعدودين حارب عبيد الله بن زياد وهو في أربعة آلاف وعبيد الله في سبعين ألفا فظفر به وقتله بيده وهزم جيشه * عبد الله بن الحر الجعفي شجاع شاعر فاتك له وقائع عظيمة هائلة وأخبار في الشجاعة مشهورة * جحدر بن ربيعة العكلي كان بطلا شجاعا فاتكا مغيرا شاعرا قهر أهل اليمامة وأبادهم فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكتب الى عامله يوبخه بتغلب جحدر عليه ويأمره بالتجرد له حتى يقتله أو يحمله اليه أسيرا فوجه العامل اليه فتية من بني حنظلة وجعل لهم جعلا عظيما ان هم قتلوا جحدرا أو أتوا به أسيرا فتوجه الفتية في طلبه حتى اذا كانوا قريبا منه أرسلوا يقولون له انهم يريدون الانقطاع اليه والارتفاق به فوثق بذلك منهم وسكن الى قولهم فبينما هو معهم يوما اذ وثبوا عليه فشدوه وثاقا وقدموا به على العامل فوجه به الى الحجاج معهم فلما قدموا به عليه ومثل بين يديه قال له أنت جحدر قال نعم أصلح الله الامير قال ما جرأك على ما بلغني عنك قال اصلح الله الامير كلب الزمان وجفوة السلطان وجراءة الجنان قال وما بلغ من امرك قال لو ابتلاني الامير وجعلني مع الفرسان لرأى مني ما يعجبه قال فتعجب الحجاج من ثبات عقله ومنطقه ثم قال يا جحدر اني قاذف بك في حاجر فيه أسد عظيم فان قتلك كفانا مؤنتك وان قتلته عفونا عنك قال أصلح الله الامير قرب الفرج ان شاء الله تعالى فامر به فصفدوه بالحديد ثم كتب الى عامله أن يرتاد له أسدا ويحمله اليه فتحيل العامل وارتاد له أسدا كان كاسرا خبيثا قد أفنى عامة المواشي فتحيلوا حتى أخذوه وصيروه في تابوت وسحبوه على عجل فلما قدموا به على الحجاج أمر به فألقي في الحاجر ولم يطعم شيأ ثلاثة ايام حتى جاع واستكلب ثم أمر بجحدر أن ينزلوه اليه فاعطوه سيفا وأنزلوه اليه مقيدا وأشرف الحجاج والناس حوله ينظرون الى الاسد ماهو صانع بجحدر فلما نظر الاسد الى جحدر نهض ووثب وتمطى وزعق زعقة دويت منها الجبال وارتاعت أهل الارض فشد عليه جحدر وهو ينشد ويقول

ليث وليث في مجال ضنك * كلاهما ذو قوة وسفك
وصولة وبطشة وفتك * ان يكشف الله قناع الشك
فأنت لي في قبضتي وملكي

ثم دنا

ثم دنا منه وضربه بسيفه ففلق هامته فكبر الناس وأعجب الحجاج ذلك وقال لله درك ما أنجبك ثم أمر به فأخرج من الحاجر وفك عنه قيوده وقال له اختر اما أن تقيم معنا فنكرمك ونقرب منزلتك واما أن نأذن لك فتلحق ببلادك واهلك على أن تضمن لنا أن لا تحدث بها احدنا ولا تؤذى بها أحدا قال بل اختار صحبتك أيها الامير فجعله من سماره وخواصه ثم لم يلبث أن ولاه على اليمامة وكان من أمره ما كان * المهلب بن أبى صفرة كان من الشجعان ومن الابطال المعدودة وأولاده كلهم انجاد أبطال الا أن المغيرة من بينهم كان أشدتمكنا وكان المهلب يقول ماشهد معى حربا الا رأيت البشرى فى وجهه وحمل عليه بعض الشجعان وفى يده شجرة فلما رآها نكس راسه على قربوس السرج وحمل من تحتها فبراها بسيفه وكان المهلب يقول أشجع الناس ثلاثة ابن الكلبية وأحمر قريش وراكب البغلة فابن الكلبية مصعب بن الزبير وأحمر قريش عمر بن عبيدالله بن معمر مالقى خيلا قط الا فرقها وراكب البغلة عباد بن الحصين ما كان قط فى كربة الا فرجها وهو من فرسان الاسلام وكان للمهلب فى الحروب مكايد مشهورة ووقائعه أبادت الخوارج بعد ان كانوا قد استولوا على المسلمين وكان سيدا كريما مات حتف انفه وكذلك ابنه المغيرة وفيه يقول زياد الاعجم

مات المغيرة بعد طول تعرض * للقتل بين أسنة وصفائح

وكان فى الخوارج فوارس مشهورة لا تثبت لهم الرجال وذكرهم يطول ويخرج عما أردناه فنهم أبو بلال مرداس خرج فى أربعين فهزم ألفين * وشبيب الخارجى الذى غرق فى الفرات نذرت امرأته غزالة أن تصلى فى جامع الكوفة ركعتين تقرأ فى الاولى البقرة وفى الثانية آل عمران فعبر بها جسر الفرات وادخلها الجامع ووقف على بابه يحميها حتى وفت بنذرتها والحجاج فى الكوفة فى خمسين ألفا * ومنهم قطرى بن الفجاءة كان رأس الخوارج وخاطبوه بأمير المؤمنين وعظموه وبجلوه وأشعاره فى الشجاعة تدل على مكانه منها اقتل فى بعض وقائع الخوارج

(الطبقة الثالثة) معن بن زائدة الشيبانى قتله الخوارج بسجستان فى أيام المهدى * الوليد بن طريف الشيبانى قتله يزيد بن مزيد * عمرو بن حنيف كان من الفرسان المعدودة نقل عنه انه كان يتصيد فتتبع حمار وحش ومازال يركض الى أن حاذاه فجمع رجليه ووثب من على فرسه وصارعلى ظهر حمار الوحش وطار يحز عنقه بسيف أو سكين فى يده حتى قتله * أبو دلف القاسم بن عيسى العجلى فارس بطل شاعر نديم جامع لما تفرق فى غيره طعن فارسين رديفين فأنفذ الرمح من ظهريهما وحمل برمحه أربعة نفر وفيه يقول بكر بن النطاح

قالوا وينظم فارسين بطعنة * يوم اللقاء ولا يراه جليلا
لا تعجبوا لو كان مد قناته * ميلا اذا نظم الفوارس ميلا

وسأله يوما رجل شيأ فقال له أتسأل وجدك القائل

ومن يفتقر منا يعش بحسامه * ومن يفتقر من سائر الناس يسأل
وانا لنلهو بالسيوف كما لهت * فتاة بعقد أو سخاب قرنفل

فخرج الرجل فجرّد سيفه فلم يصادفه فى طريقه الا وكيل لابى دلف ومعه مال جزيل فاستلبه منه وقتله فبلغ الخبر أبا دلف فقال دعوه فانى علمته على نفسى * بكر بن النطاح بطل شجاع فارس فاتك له أشعار مشهورة وأخبار مذكورة

(ومما جاء فى مدح السيف) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخير فى السيف والخير مع السيف والخير بالسيف وكان صمصام عمرو أشهر سيوف العرب وممن تمثل به نهشل فقال

أخ ماجد ما خاننى يوم مشهد * كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه

ولما وهبه عمرو لخالد بن سعيد بن العاص عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليمن قال

* خليلى لم أخنه ولم يخنى * اذا ما صاب أوساط العظام *

* خليلى لم أهبه من قلاه * ولكن المواهب للكرام *

* حبوت به كريما من قريش * فسرّ به وصين عن اللئام *

وودعت الصفى صفى نفسى * على الصمصام أضعاف السلام

ولم يزل فى آل سعيد حتى اشتراه خالد بن عبد الله القسرى بمال جزيل لهشام وكان قد كتب اليه فيه فلم يزل عند بنى مروان ثم طلبه السفاح والمنصور والمهدى فلم يجدوه فجدّ الهادى فى طلبه حتى ظفر به وكان مكتوبا عليه هذا البيت

ذكر على ذكر يصول بصارم * ذكر يمان فى يمين يمانى

وقال ابن الرومى

* لم أر شيأ حاضرا نفعه * للمرء كالدرهم والسيف *

يقضى له الدرهم حاجاته * والسيف يحميه من الحيف

وقال زيد بن على رضى الله عنهما

السيف يعرف عزمى عند هزته * والرمح بى خبر والله لى وزر

انا لنأمل ما كانت أوائلنا * من قبل تامله ان ساعد القدر

وقال عبد الله بن طاهر

يبيت ضجيعى السيف طورا وتارة * يعض بهامات الرجال مضاربه

أخو ثقة أرضاه فى الروع صاحبا * وفوق رضاه أننى أنا صاحبه

وليس أخو العلياء الا فتى له * بها كلف ما تستقر ركائبه

وقدم عروة بن الزبير على عبد الملك بن مروان بعد قتل أخيه عبد الله فطلب منه سيف الزبير وقال له ردّه علىّ فانه السيف الذى أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم له يوم حنين فقال له عبد الملك أوتعرفه قال نعم قال بماذا قال اعرفه بما لا تعرف به سيفا أيك أعرفه بقول الشاعر

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وقال الاجدع الهمدانى

لقد علمت نسوان همدان أننى * لهن غداة الروع غير خذول

وأبذل فى الهيجاء وجهى واننى * له فى سوى الهيجاء غير بذول

وقال آخر

عشرون ألف فتى مامنهم أحد * الا كألف فتى مقدامة بطل
راحت مزاودهم مملوأة أملا * ففرّغوها وأوكوها من الاجل

(ومن أخبار الشجعان ماحكاه الفضل بن يزيد) قال نزل علينا بنو ثعلب فى بعض السنين وكنت مشغوفا باخبار العرب أن اسمعها وأجمعها فبينما أنا أدور فى بعض أحيائهم اذا انا بمرأة واقفة فى فناء خبائها وهى آخذة بيد غلام قلما رأيت مثله فى حسنه وجماله له ذؤابتان كالسبج المنظوم وهى تعاتبه بلسان رطب وكلام عذب تحن اليه الاسماع وترتاح له القلوب واكثر ما اسمع منها أى بنى وهو يتبسم فى وجهها قد غلب عليه الحياء والخجل كأنه جارية بكر لا يرد جوابا فاستحسنت مارأيت واستحليت ماسمعت فدنوت منه وسلمت فردّ علىّ السلام فوقفت أنظر اليهما فقالت ياحضرى ماحاجتك فقلت الاستكثار مما أسمع والاستمتاع بما أرى من هذا الغلام فقالت ياحضرى ان شئت سقت اليك من خبره ماهو أحسن من منظره فقلت قد شئت يرحمك الله فقالت حملته والرزق عسر والعيش نكد حملا خفيفا حتى مضت له تسعة أشهر وشاء الله عز وجل أن أضعه فوضعته خلقاسويا فوربك ماهو الا أن صار ثالث أبويه حتى افضل الله عز وجل واعطى وأتى من الرزق بما كفى وأغنى ثم أرضعته حولين كاملين فلما استتم الرضاع نقلته من خرق المهد الى فراش أبيه فربى كأنه شبل أسد أقيه برد الشتاء وحر الهجير حتى اذا مضت له خمس سنين أسلمته الى المؤدب فحفظه القرآن فتلاه وعلمه الشعر فرواه ورغب فى مفاخر قومه وآبائه واجداده فلما أن بلغ الحلم واشتد عظمه وكمل خلقه حملته على عتاق الخيل فتفرس وتمرس ولبس السلاح ومشى بين بيوتات الحى الخيلاء فأخذ فى قرى الضيف واطعام الطعام وأنا عليه وجلة أشفق عليه من العيون أن تصيبه فاتفق أن نزلنا بمنهل من المناهل بين أحياء العرب فخرج فتيان الحى فى طلب ثأرلهم وشاء الله تعالى أن أصابته وعكة شغلته عن الخروج حتى اذا أمعن القوم ولم يبق فى الحى غيره ونحن آمنون وادعون ماهو الا أن ادبر الليل واسفر الصباح حتى طلعت علينا غرر الجياد وطلائع العدو فما هو الاهنيهة حتى احرزوا الاموال دون أهلها وهو يسألنى عن الصوت وأنا أستر عنه الخبر اشفاقا عليه وضنا به حتى اذا علت الاصوات وبرزت المخدرات رمى دثاره وثاركما يثور الاسد وأمر باسراج فرسه ولبس لامة حربه وأخذ رمحه بيده ولحق حماة القوم فطعن أدناهم منه فرمى به ولحق أبعدهم منه فقتله فانصرفت وجوه الفرسان فرأوه صبياصغير الامدد وراءه فحملوا عليه فأقبل يؤم البيوت ونحن ندعو الله عز وجل له بالسلامة حتى اذا مدهم وراءه وامتدوا فى اثره عطف عليهم ففرق شملهم وشتت جمعهم وقتل كثيرهم ومزقهم كل ممزق ومرق كما يمرق السهم وناداهم خلوا عن المال فوالله لارجعت الا به أولا هلكن دونه فانصرفت اليه الاقران وتمايلت نحوه الفرسان وتميزت له الفتيان وحملوا عليه وقد رفعوا اليه الاسنة وعطفوا عليه بالاعنة فوثب عليهم وهو يهدر كما يهدر الفحل من وراء الابل وجعل لايحمل على ناحية الاحطمها ولا كتيبة الامزقها حتى لم يبق من القوم الامن نجابه فرسه ثم ساق المال وأقبل به فكبر القوم عند رؤيته وفرح الناس بسلامته فوالله مارأينا قط يوما كان أسمح صباحا وأحسن

رواحا من ذلك اليوم ولقد سمعته يقول فى وجوه فتيان الحى هذه الابيات

تأمّلن فعلى هل رأيتن مثله * اذا حشرجت نفس الجبان من الكرب
وضاقت عليه الارض حتى كأنه * من الخوف مسلوب العزيمة والقلب
ألم أعط كل لاحقه ونصيبه * من السمهرى اللدن والمرهف العضب
* أنا ابن أبى هند بن قيس بن مالك * سليل المعالى والمكارم والسيب *
ابى لى أن أعطى الظلامة مرهف * وطرف قوى الظهر والجوف والجنب
* وعزم صحيح لو ضربت بحده الـ * جبال الرواسى لانحططن الى الترب *
* وعرض نقى أنقى أن أعيبه * وبيت شريف فى ذرى ثعلب الغلب *
* فان لم أقاتل دونكن وأحتمى * لكن وأحميكن بالطعن والضرب *
* فلا صدق اللاتى مشين الى أبى * يهنئنه بالفارس البطل الندب *

وقال الشاعر

آراؤهم ووجوههم وسيوفهم * فى الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والاخريات رجوم

وقال آخر

فوارس قوالون للخيل أقدمى * وليس على غير الرؤس مجال
بأيديهم سمر العوالى كأنما * تشب على أطرافهن ذبال

وقال آخر

قوم اذا اقتحموا العجاج رأيتهم * شمسا وخلت وجوههم اقمارا
لا يعدلون برفدهم عن سائل * عدل الزمان عليهم أو جارا
واذا الصريخ دعاهم لملمة * بذلوا النفوس وفارقوا الاعمارا

(ذكر الجبن والجبناء وأخبارهم وما جاء عنهم) قد استعاذ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجبن فقال اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال نعوذ بالله مما استعاذ منه سيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكفيك أن يقال فى وصف الجبان ان أحس بعصفور طار فؤاده وان طنت بعوضة طال سهاده يفزع من صرير الباب ويقلق من طنين الذباب ان نظرت اليه شزرا أغمى عليه شهرا يحسب خفوق الرياح قعقعة الرماح قال الشاعر

اذا صوتت العصفور طار فؤاده * وليث حديد الناب عند الثرائد

وكان حسان بن ثابت رضى الله عنه من الجبناء روى عن ابن الزبير أنه قال كان حسان فى فارع اطم مع النساء يوم الخندق فأتاهم فى ذلك اليوم يهودى يطوف بالحصن فقالت صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها يا حسان ان هذا اليهودى كما ترى يطوف بالحصن وانى والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءه من اليهود فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قال فاعتجرت صفية ثم أخذت عمودا ونزلت من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته ورجعت الى الحصن فقالت يا حسان قم اليه فاسلبه

فانه

فانه ما منعني من سلبه الا انه رجل فقال مالي بسلبه من حاجة * وقيل كان لفتى من قريش جارية مليحة الوجه حسنة الادب وكان يحبها حبا شديدا فأصابته اضاقة وفاقة فاحتاج الى ثمنها فحملها الى العراق وكان ذلك في زمن الحجاج بن يوسف فابتاعها منه الحجاج فوقعت منه بمنزلة فقدم عليه فتى من ثقيف من اقاربه فأنزله قريبا منه وأحسن اليه فدخل على الحجاج والجارية تكبسه وكان الفتى جميلا فجعلت الجارية تسارقه النظر ففطن الحجاج بهما فوهبها له فأخذها وانصرف فباتت معه ليلتها وهربت بغلس فأصبح لا يدري أين هي وبلغ الحجاج ذلك فأمر مناديا أن ينادي برئت الذمة ممن رأى وصيفة من صفتها كذا وكذا ولم يحضرها فلم يلبث أن أتى لهم بها فقال لها الحجاج يا عدوة الله كنت عندي من أحب الناس الي فاخترت لك ابن عمي شابا حسن الوجه ورأيتك تسارقينه النظر فعلمت انك شغفت به فوهبتك له فهربت من ليلتك فقالت يا سيدي اسمع قصتي ثم اصنع بي ما شئت قال هاتي ولا تخفي شيأ قالت كنت للفتى القرشي فاحتاج الى ثمني فحملني الى الكوفة فلما قربنا منها دنا مني فوقع علي فسمع زئير الاسد فوثب واخترط سيفه وحمل عليه وضربه فقتله وأتى برأسه ثم اقبل علي وما برد ما عنده ثم قضى حاجته وان ابن عمك هذا الذي اخترته لي لما أظلم الليل قام الي فلما علا بطني وقعت فأرة من السقف فضرط ثم غشي عليه فمكث زمانا طويلا وأنا أرش عليه الماء وهو لا يفيق فخفت أن يموت فتتهمني به فهربت فزعا منك فما ملك الحجاج نفسه من شدة الضحك وقال ويحك اكتمي هذا ولا تعلمي به أحدا قالت على أن لا تردني اليه قال لك ذلك * وحدث جار لابي حنيفة النميري قال كان لابي حنيفة سيف ليس بينه وبين العصا فرق وكان يسميه لعاب المنية فأشرفت عليه ذات ليلة وقد انتضاه وهو واقف على باب بيته وقد سمع حسا في داره وهو يقول أيها المغتر بنا المجترئ علينا بئس والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل وهو لعاب المنية الذي سمعت به اخرج بالعفو عنك قبل أن ادخل بالعقوبة عليك ثم فتح الباب على وجل فاذا كلب قد خرج فقال الحمد لله الذي مسخك كلبا وكفانا حربا * وخرج المعتصم يوما الى بعض متصيداته فظهر له أسد فقال لرجل من أصحابه اعجبه قوامه وسلاحه وتمام خلقه أفيك خير يا رجل قال لا فضحك المعتصم وقال قبح الله الجبان * ورأى الاسكندر رجلا لا يزال ينهزم فقال له يا رجل اما أن تغير فعلك واما أن تغير اسمك * ووقع في بعض العساكر ضجة فوثب خراساني الى دابته ليلجمها فصير اللجام في الذنب من الدهش وقال يخاطب الفرس هب جبهتك عرضت فناصيتك كيف طالت * وخرج أسلم بن زرعة الكلابي في ألفين لمحاربة أبي بلال مرداس وكان مرداس في أربعين رجلا فانهزم أسلم منه فلامه على ذلك وذمه ابن أبي زياد فقال لأن يذمني ابن أبي زياد حيا أحب الي من أن يمدحني ميتا وكان أسلم بعد ذلك اذا خرج الى السوق ومر بصبيان صاحوا به أبو بلال وراءك فكبر ذلك عليه فشكاهم الى ابن أبي زياد فأمر صاحب الشرطة أن يكفهم عنه وفي ذلك يقول بعضهم (شعرا)

يقول جبان القوم في حال سكره * وقد شرب الصهباء هل من مبارز
وأين الخيول الاعوجيات في الوغى * أنازل منهم كل ليث مناهز

فى السكر قيس وابن معدى وعامر * وفى الصحو تلقاه كبعض الجنائز

وهذا ما انتهى الينا من هذا الباب والحمد لله الكريم الوهاب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطاهرين والحمد لله رب العالمين

الباب الثانى والاربعون فى المدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة وفيه فصول

(الفصل الاول فى المدح والثناء) المدح وصف الممدوح بأخلاق يمدح عليها صاحبها او يكون نعتا حميدا وهذا يصح من المولى فى حق عبده فقد قال الله تعالى فى حق نبيه أيوب عليه الصلاة والسلام انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أوّاب وقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم وقال تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون الى آخر الآية فعلى هذا يجوز مدح الانسان بما فيه من الاخلاق الحميدة وأما قوله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المادحين فاحثوا فى وجوههم التراب فقد قال العتبى هو المدح الباطل والكذب وأما مدح الرجل بما فيه فلا بأس به وقد مدح أبو طالب والعباس وحسان وكعب وغيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبلغنا انه حثا فى وجه مادح ترابا وقد مدح هو صلى الله عليه وسلم المهاجرين والانصار رضى الله عنهم وفى حثو التراب معنيان أحدهما التغليظ فى الرد عليه والثانى كأنه يقال له بكفيك التراب وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه اذا مدح قال اللهم أنت أعلم بى من نفسى وأنا أعلم بنفسى منهم اللهم اجعلنى خيرا مما يحسبون واغفر لى ما لا يعلمون ولا تؤاخذنى بما يقولون ومدح سارية الديلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سارية الذى أمّره عمر رضى الله عنه على السرية وناداه فى خطبته بقوله ياسارية الجبل فمن مدحه فى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله

فما حملت من ناقة فوق ظهرها * أبرّ وأوفى ذمة من محمد

وهو اصدق بيت قالته العرب ومن أحسن ما مدحه به حسان رضى الله عنه قوله

واحسن منك لم ترقط عينى * وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

ومن أحسن ما مدحه به عبد الله بن رواحة الانصارى رضى الله عنه قوله

لو لم تكن فيه آيات مبينة * كانت بديهته تنبيك بالخبر

ولما حججت وزرته صلى الله عليه وسلم تطفلت على جنابه المعظم وامتدحته بأبيات مطولة وأنشدتها بين يديه بالحجرة الشريفة تجاه الصندوق الشريف وأنا مكشوف الرأس وأبكى من جملتها

ياسيد السادات جئتك قاصدا * أرجو رضاك وأحتمى بحماكا
والله ياخير الخلائق ان لى * قلبا مشوقا لا يروم سواكا
وبحق جاهك اننى بك مغرم * والله يعلم أننى أهواكا

أنت الذى لولاك ماخلق امرؤ * كلا ولاخلق الورى لولاكا
أنت الذى من نورك البدر اكتسى * والشمس مشرقة بنور بهاكا
أنت الذى لما رفعت الى السما * بك قد سمت وتزينت لسراكا
أنت الذى ناداك ربك مرحبا * ولقد دعاك لقربه وحباكا
أنت الذى فينا سألت شفاعة * ناداك ربك لم تكن لسواكا
أنت الذى لما توسل آدم * من ذنبه بك فاز وهو أباكا
وبك الخليل دعا فعادت ناره * بردا وقد خمدت بنور سناكا
ودعاك أيوب لضر مسه * فأزيل عنه الضر حين دعاكا
وبك المسيح أتى بشيرا مخبرا * بصفات حسنك مادحا لعلاكا
وكذاك موسى لم يزل متوسلا * بك فى القيامة مرتجى لنداكا
والانبياء وكل خلق فى الورى * والرسل والأملاك تحت لواكا
لك معجزات أعجزت كل الورى * وفضائل جلت فليس تحاكى
نطق الذراع بسمه لك معلنا * والضب قد لباك حين أتاكا
والذئب جاءك والغزالة قد أتت * بك تستجير وتحتمى بحماكا
وكذا الوحوش أتت اليك وسلمت * وشكا البعير اليك حين رآكا
ودعوت أشجارا أتتك مطيعة * وسعت اليك مجيبة لنداكا
والماء فاض براحتيك وسبحت * صم الحصى بالفضل فى يمناكا
وعليك ظللت الغمامة فى الورى * والجذع حن الى كريم لقاكا
وكذاك لا أثر لمشيك فى الثرى * والصخر قد غاصت به قدماكا
وشفيت ذا العاهات من امراضه * وملأت كل الارض من جدواكا
ورددت عين قتادة بعد العمى * وابن الحصين شفيته بشفاكا
وكذا حبيب وابن عفرا عندما * جرحا شفيتهما بلمس يداكا
وعلى من رمد به داويته * فى خيبر فشفى بطيب لماكا
وسألت ربك فى ابن جابر بعدما * قد مات احياه وقد أرضاكا
ومسست شاة لام معبد بعدما * نشفت فدرت من شفا رقياكا
ودعوت عام المحل ربك معلنا * فانهل قطر السحب عند دعاكا
ودعوت كل الخلق فانقادوا الى * دعواك طوعا سامعين نداكا
وخفضت دين الكفر ياعلم الهدى * ورفعت دينك فاستقام هناكا
اعداك عادوا فى القليب بجهلهم * صرعى وقد حرموا الرضا بجفاكا
فى يوم بدر قد أتتك ملائك * من عند ربك قاتلت أعداكا
والفتح جاءك يوم فتحك مكة * والنصر فى الاحزاب قد وافاكا
هود ويونس من بهاك تجملا * وجمال يوسف من ضياء سناكا

قد فقت يا طه جميع الانبيا * نورا فسبحان الذى سواكا
والله يا ياسين مثلك لم يكن * فى العالمين وحق من نباكا
عن وصفك الشعراء يا مدثر * عجزوا وكلوا عن صفات علاكا
انجيل عيسى قد أتى بك مخبرا * واتى الكتاب لنا بمدح حلاكا
ماذا يقول المادحون وما عسى * أن يجمع الكتاب من معناكا
والله لو أن البحار مداد هم * والعشب اقلام جعلن لذاكا
لم تقدر الثقلان تجمع ذرة * ابدا وما اسطاعوا له ادراكا
لى فيك قلب مغرم يا سيدى * وحشاشة محشوة بهواكا
فاذا سكت ففيك صمتى كله * واذا نطقت فمادح عليا كا
واذا سمعت فعنك قولا طيبا * واذا نظرت فلا أرى الا كا
يا مالكى كن شافعى من فاقتى * انى فقير فى الورى لغناكا
يا أكرم الثقلين يا كنز الورى * جد لى بجودك وارضنى برضاكا
انا طامع فى الجود منك ولم يكن * لابن الخطيب من الانام سواكا
فعساك تشفع فيه عند حسابه * فلقد غدا متمسكا بعراكا
ولأنت أكرم شافع ومشفع * ومن التجا لحماك نال وفاكا
فاجعل قراى شفاعة لى فى غد * فعسى أرى فى الحشر تحت لواكا
صلى عليك الله يا خير الورى * ماحن مشتاق الى مثواكا
وعلى صحابتك الكرام جميعهم * والتابعين وكل من والاكا

وماذا عسى أن يقول المادحون فى وصف من مدحه الله تعالى واثنى عليه وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر والله لو أن البحار مداد والاشجار أقلام وجميع الخلائق كتاب لما استطاعوا أن يجمعوا النزر اليسير من بعض صفاته ولكلوا عن الاتيان ببعض بعض وصف معجزاته صلى الله عليه وسلم * ومدح رجل هشام بن عبد الملك فقال له يا هذا انه قد نهى عن مدح الرجل فى وجهه فقال مامدحتك ولكن ذكرتك نعم الله عليك لتجدد لها شكرا فقال له هشام هذا أحسن من المدح ووصله وأكرمه * وكتب رجل الى عبد الله بن يحيى بن خاقان رأيت نفسى فيما أتعاطى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر وأيقنت أنى حيث أنتهى من القول منسوب الى العجز مقصر عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك الى الدعاء لك ووكلت الاخبار عنك الى علم الناس بك * وقال الحرث بن ربيعة فى رجل من آل المهلب

فتى دهره شطران فيما ينوبه * ففى بأسه شطر وفى جوده شطر
فلا من بغاة الخير فى عينه قذى * ولا من زئير الحرب فى أذنه وقر

وقال أعرابى لرجل لايذم بلد أنت تأويه ولا يشتكى زمان أنت فيه * وكان الحجاج يستثقل زياد بن عمرو العتكى فلما قدم على عبد الملك بن مروان قال يا أمير المؤمنين ان الحجاج سيفك الذى لا ينبو وسهمك الذى لا يطيش وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومة لائم فلم يكن بعد ذلك

على

على قلب الحجاج أخف منه وقال رجل لآخر أنت بستان الدنيا فقال له وأنت النهر الذى يسقى منه ذلك البستان وقال رجل لابى عمرو الزاهد صاحب كتاب الياقوتة فى اللغة أنت والله عين الدنيا فقال له وأنت والله نور تلك العين وقال القاسم بن أمية بن أبى الصلت الثقفى

قوم اذا نزل الغريب بدارهم * تركوه رب صواهل وقيان
واذا دعوتهم ليوم كريهة * سدوا شعاع الشمس بالفرسان

وقال أوس فى حاتم الطائى

فان تنكحى مارية الخير حاتما * فما مثله فينا ولا فى الاعاجم
فتى لا يزال الدهر أكبر همه * فكاك أسير أو معونة غارم

وقال ابن حمدون فى آل المهلب

آل المهلب معشر أمجاد * ورثوا المكارم والوفاء فسادوا
شاد المهلب ما بنى آباؤه * وأتى بنوه ما بناه فشادوا
وكذا الذى من طابت مغارس نبته * وبنى له الآباء والاجداد

وكان الفرزدق هجاه لعمر بن هبيرة فلما سجن ونقب له السجن وسار هو و بنوه تحت الارض قال الفرزدق

ولما رأيت الارض قد سد ظهرها * ولم يبق الا بطنها لك مخرجا
دعوت الذى ناداه يونس بعدما * ثوى فى ثلاث مظلمات ففرجا

فقال ابن هبيرة ما رأيت أشرف من الفرزدق هجانى أميرا ومدحنى أسيرا وقال سرى بن عبد الرحمن الرفاء فى خالد بن حاتم

يا واحد العرب الذى دانت له * قحطان قاطبة وساد نزارا
انى لأرجو ان لقيتك سالما * أن لا أعالج بعدك الأسفارا

وقال كعب بن مالك الانصارى فى آل هاشم

يا آل هاشم الاله حباكم * ما ليس يبلغه اللسان المنصل
قوم لأصلهم السيادة كلها * قدما وفرعهم النبى المرسل

وقال الحسين بن دعبل الخزاعى

ملك الامور بجوده وحسامه * شرفا يقود عدوه بزمامه
فأطاع أمر الجود فى أمواله * وأطاع أمر الله فى أحكامه

وقال آخر

يلقى السيوف بصدره وبنحره * ويقيم هامته مقام المغفر
ويقول للطرف اصطبر لسنى القنا * فعقرت ركن المجد ان لم تعقر
واذا تأمل شخص ضيف مقبل * متسربل أثواب محل أغبر
أومى الى الكوماء هذا طارق * نحرتنى الاعداء ان لم تنحرى

وقال شاعر بنى تميم

اذا البسوا عمائمهم طووها * على كرم وان سفروا أناروا
يبيع ويشترى لهم سواهم * ولكن بالطعان هم تجار
اذا ما كنت جار بنى تميم * فأنت لأكرم الثقلين جار

وقالت امرأة من بنى نمير وقد حضرتها الوفاة وأهلها مجتمعون من ذا الذى يقول

لعمرى ما رماح بنى نمير * بطائشة الصدور ولا قصار

قالوا زياد الاعجم قالت أشهدكم أن له الثلث من مالى وكان مالا كثيرا وأثنى رجل على رجل فقال هو أفصح أهل زمانه اذا حدث وأحسنهم استماعا اذا حدث وأمسكهم عن الملاحاة اذا خولف يعطى صديقه النافلة ولا يسأله الفريضة له نفس عن الفحشاء محصورة وعلى المعالى مقصورة كالذهب الابريز الذى يعز كل أوان والشمس المنيرة التى لا تخفى بكل مكان هو النجم المضىء للحيران والمنهل البارد العذب للعطشان وقال الحسن بن هانئ

اذا نحن أثنينا عليك بصالح * فأنت كما نثنى وفوق الذى نثنى
وان جرت الالفاظ يوما بمدحة * لغيرك انسانا فأنت الذى نعنى

وله فى الفضل بن الربيع

لقد نزلت أبا العباس منزلة * ما ان ترى خلفها الابصار مطرحا
وكلت بالدهر عينا غير غافلة * بجود كفك تأسو كل ما جرحا

وقال زياد الاعجم فى محمد بن القاسم الثقفى

ان المنابر أصبحت مختالة * بمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجيوش لسبع عشرة حجة * يا قرب سورة سودد من مولد

ومن بدائع مدائح المتنبى قوله

ليت المدائح تستوفى مناقبه * فما كليب وأهل الأعصر الأول
خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به * فى طلعة البدر ما يغنيك عن زحل
وقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

ومدح أبو العتاهية عمرو بن العلاء فأعطاه سبعين ألفا وخلع عليه خلعا سنية حتى انه لم يستطع أن يقوم فغار الشعراء منه فجمعهم وقال يا لله العجب ما أشد حسد بعضكم لبعض ان أحدكم يأتينا بمدح حنانا فيتغزل فى قصيدته بخمسين بيتا فما يبلغنا حتى يذهب رونق شعره وقد تشبب أبو العتاهية بأبيات يسيرة ثم قال

انى أمنت من الزمان وصرفه * لما علقت من الامير حبالا
لو يستطيع الناس من اجلاله * جعلوا له حر الوجوه نعالا
ان المطايا تشتكيك لانها * قطعت اليك سباسبا ورمالا
فاذا وردن بنا وردن خفائفا * واذا صدرن بنا صدرن ثقالا

ووفد أبو نواس على الخصيب بمصر فأذن له وعنده الشعراء فانشد الشعراء أشعارهم فلما فرغوا قال أبو نواس أنشد أيها الأمير قصيدة هي كعصا موسى تلقف ما صنعوا قال أنشد فانشده قصيدته التي منها قوله

اذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا * فأي فتى بعد الخصيب تزور
فتى يشترى حسن الثناء بماله * ويعلم أن الدائرات تدور
فما فاته جود ولا حل دونه * ولكن يسير الجود حيث يسير

فاهتز الخصيب لها طربا وأمر له بألف دينار ووصيف ووصيفة (وحكى) أن أبا دلف سار يوما مع أخيه معقل فرأيا امرأتين تتماشيان فقالت احداهما للأخرى هذا ابو دلف قالت نعم الذى يقول فيه الشاعر

انما الدنيا أبو دلف * بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

فبكى أبو دلف حتى جرت دموعه فقال له معقل مالك يا أخى تبكى فقال لانى لم أقض حق الذى قال هذا قال أولم تعطه مائة الف درهم قال والله مافى نفسى حسرة الا لكونى لم أعطه مائة ألف دينار ويقال هذه المدحة فأين المنحة قال بعضهم

اذا ما المدح صار بلا نوال * من الممدوح كان هو الهجاء

وامتدح محمد بن سلطان المعروف بابن حيوس محمد بن نصر صاحب حلب فاجازه بألف دينار ثم مات محمد بن نصر وقام ولده نصر مقامه فقصده محمد بن سلطان بقصيدة مدحه بها منها

تباعدت عنكم حرمة لا زهادة * وسرت اليكم حين مسنى الضر
فجاد أبو نصر بألف تصرمت * وانى عليم أن سيخلفها نصر

فلما فرغ من انشادها قال نصر والله لو قال سيضعفها نصر لأضعفتها له وأعطاه الف دينار فى طبق فضة ومدح بعض الشعراء وقيل هو البديع الهمدانى انسانا فقال

يكاد يحكيه صوب الغيث منسكبا * لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت * والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

وقال آخر

أخو كرم يقضى الورى من بساطه * الى روض مجد بالسماح مجود
وكم لجباه الراغبين لديه من * مجال سجود فى مجالس جود

ويقال فلان رفيق الجود ودخيله وزميل الكرم ونزيله وغرة الدهر وتحجيله مواهبه الانواء وصدره الدهناء عونه موقوف على اللهيف وغوثه مبذول للضعيف يطفو جوده على موجوده وهمته على قدرته ينابيع الجود تتفجر من أنامله وربيع السماح يضحك عن فواضله ان طلبت كريما فى جوده مت قبل وجوده أو ماجدا فى أخلاقه مت ولم تلاقه باسل تعود الاقدام حيث تزل الاقدام وشجاع يرى الاحجام عارا

لاتمحوه الايام له خلق لومازج البحر لنفى ملوحته وصفى كدورته خلق كنسيم الاسحار على صفحات الانهار أطيب من زمن الورد فى الايام وأبهج من نور البدر فى الظلام خلق يجمع الاهواء المتفرقة على محبته ويؤلف الآراء المتشتتة فى مودته هو ملح الارض اذا فسدت وعمارة الدنيا اذا خربت يحل دقائق الاشكال ويزيل جلائل الاشكال البيان أصغر صفاته والبلاغة عنوان خطراته كأنما أوحى التوفيق الى صدره وحبس الصواب بين طبعه وفكره فهو يعبث بالكلام ويقوده بألين زمام حتى كأن الالفاظ تتحاسد فى التسابق الى خواطره والمعانى تتغاير فى الامتثال لاوامره يوجز فلا يخل ويطنب فلا يمل كلامه يشتد مرة حتى تقول الصخر أو أيبس ويلين تارة حتى تقول الماء أو أسلس فهو اذا أنشا وشى واذا عبر حبر واذا أوجز أعجز تاهت به الايام وباهت فى يمينه الاقلام له أدب لو تصور شخصا لسكان بالقلوب مختصا قال الشاعر

له خلق على الايام يصفو * كما تصفو على الزمن العقار

وقال آخر

لو كان يحوى الروض ناضر خلقه * ما كان يذبل نوره بشتائه
أو قابل الافلاك طالع سعده * ماسار نحس فى نجوم سمائه

وقال آخر

ووجهك بدر فى الغياهب مشرق * وكفك فى شهب السنين غمام
عجبت لبدر لايزال أمامه * سحاب ولا يغشاه منه ظلام
وأعجب من هذا غمام اذا سطا * تلظى مكان البرق منه حسام

وقال الحسين بن مطير الاسدى

له يوم بؤس فيه للناس أبؤس * ويوم نعيم فيه للناس انعم
فيمطر يوم الجود من كفه الندى * ويمطر يوم البؤس من كفه الدم
فلو أن يوم البؤس خلى عقابه * على الناس لم يصبح على الارض مجرم
ولو أن يوم الجود خلى يمينه * على المال لم يصبح على الارض معدم

وللشيخ جمال الدين بن نباتة

والله ما عجبى لقدرك أنه * قدر على باغى مداه بعيد
الا لكونك لست تشكو وحشة * فى هذه الدنيا وأنت وحيد

ولصفى الدين الحلى

أنى فتنتنى صفاتك مظهرا * عيا وكم أعيت صفاتك خاطبا
لو اننى والخلق جمعا ألسن * نثنى عليك لما قضينا الواجبا

وللشيخ برهان الدين القيراطى

أوصافكم تجرى أحاديثها * مجرى النجوم الزهر فى الافق
كما أحاديث الندى عنكم * تسندها الركبان من طرق

وللشيخ جمال الدين بن نباتة

روت عنك أخبار المعالى محاسنا * كفت بلسان الحال عن ألسن الحمد
فوجهك عن بشر وكفك عن عطا * وخلقك عن سهل ورأيك عن سعد

وقال غيره

من زار بابك لم تبرح جوارحه * تروى أحاديث ما أوليت من منن
فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والسمع عن حسن

ولابى فراس بن حمدان

لئن خلق الانام لحب كاس * ومزمار وطنبور وعود
فلم يخلق بنو حمدان الا * لمجد أو لبأس أو لجود

وقال آخر

ان الهبات التى جاد الكرام بها * مطروقة وندى كفيك مبتكر
مازلت تسبق حتى قال حاسدكم * له طريق الى العلياء مختصر

ولمحمد بن مناذر فى آل برمك

أتانا بنو الاملاك من آل برمك * فياطيب أخبار وأحسن منظر
لهم رحلة فى كل عام الى العدا * وأخرى الى البيت العتيق المنور
اذا نزلوا بطحاء مكة أشرقت * بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فما خلقت الا لجود أكفهم * وأقدامهم الا لسعى مظفر
اذا رام يحيى الامر ذلت صعابه * وناهيك من راع له ومدبر

ولما عزل ابراهيم بن المنذر عن صدقات البصرة تلقاه مجنون وانشد

ليت شعرى أى قوم أجدبوا * فاغيثوا بك من بعد العجف
نظر الله لهم من بيننا * وحرمناك بذنب قد سلف
يا أبا اسحق سر فى دعة * وامض مصحوبا فما منك خلف
انما انت ربيع باكر * حيثما صرفه الله انصرف

وقال آخر

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم لقيل اقعدوا يا آل عباس
ثم ارتقوا فى شعاع الشمس وارتفعوا * الى السماء فانتم سادة الناس

وللحسين بن مطير الاسدى فى المهدى

لو يعبد الناس يامهدى أفضلهم * ما كان فى الناس الا انت معبود
أضحت يمينك من جود مصورة * لا بل يمينك منها صور الجود
لو أن من نوره مثقال خردلة * فى السود طرا اذن لابيضت السود

وقال آخر

أوليتني نعما وفضلا زائدا * وبررتني حتى رأيتك والدا
أقسمت لوجاز السجود لمنعم * ما كنت الا راكعا لك ساجدا

وقال آخر

ثناؤك في الدنيا من المسك أعطر * وحظك في الدنيا جزيل موفر
وكفك بحر والانامل أنهر * رعى الله كفا فيه بحر وأنهر
أعيذك بالرحمن من كل حاسد * فلا زالت الحساد تفنى وتصغر
لساني قصير في مديحك سيدي * لاني فقير والفقير مقصر

(الفصل الثاني من هذا الباب في شكر النعمة) أما الشكر الواجب على جميع الخلائق فشكر القلب وهو أن يعلم العبد أن النعمة من الله عزوجل وأن لا نعمة على الخلق من أهل السموات والارض الا وبدايتها من الله تعالى حتى يكون الشكر لله عن نفسك وعن غيرك والدليل على أن الشكر محله القلب وهو المعرفة قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله أى أيقنوا أنها من الله وقيل الشكر معرفة العجز عن الشكر وقد روى أن داود عليه السلام قال الهى كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من عندك فأوحى الله تعالى اليه الآن قد شكرتنى وفى هذا يقال الشكر على الشكر أتم الشكر ولمحمود الوراق

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة * على له فى مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها * وان مس بالضراء أعقبها الاجر
فما منهما الا له فيه نعمة * تضيق بها الاوهام والسر والجهر

وفى مناجاة موسى عليه السلام الهى خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم أن ذلك منى فكانت معرفته بذلك شكره لى * وأما شكر اللسان فقد قال الله تعالى فيه وأما بنعمة ربك فحدث وروى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعم شكر وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه تذكروا النعم فان ذكرها شكر * وأما الشكر الذى على الجوارح فقد قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا الآية فجعل العمل شكرا وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قام حتى تورمت قدماه فقيل له يارسول الله أتفعل هذا بنفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا أكون عبدا شكورا وقال أبو هرون دخلت على أبى حازم فقلت له يرحمك الله ماشكر العينين قال اذا رأيت بهما خيرا ذكرته واذا رأيت بهما شرا سترته قلت فما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا حفظته واذا سمعت بهما شرا انسيته وفى حكمة ادريس عليه الصلاة والسلام لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمه بمثل الانعام على خلقه ليكون صانعا الى الخلق مثل ماصنع الخالق اليه فاذا أردت أن تحرس دوام النعمة من الله تعالى عليك فادم مواساة الفقراء وقد وعد الله تعالى عباده بالزيادة على الشكر فقال

تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقد جعل لعباده علامة يعرف بها الشاكر فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا انه لم يشكر فاذا رأينا الغنى يشكر الله تعالى بلسانه وماله فى نقصان علمنا انه قد أخل بالشكر اما انه لا يزكى ماله أو يزكيه لغير أهله أو يؤخره عن وقته أو يمنع حقا واجبا عليه من كسوة عريان أو اطعام جائع أو شبه ذلك فيدخل فى قول النبى صلى الله عليه وسلم لو صدق السائل ما افلح من رده قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا غيروا ما بهم من الطاعات غير الله ما بهم من الاحسان وقال بعض الحكماء من أعطى أربعا لم يمنع من أربع من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب وقال المغيرة بن شعبة اشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك فانه لا بقاء للنعم اذا كفرت ولا زوال لها اذا شكرت وكان الحسن يقول ابن آدم متى تنفك من شكر النعمة وأنت مرتهن بها كلما شكرت نعمة تجدد لك بالشكر أعظم منها عليك فأنت لا تنفك بالشكر من نعمة الا الى ما هو أعظم منها وروى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه دعى الى أقوام ليأخذهم على ريبة فافترقوا قبل أن يأخذهم عثمان فأعتق رقبة شكرا لله تعالى اذ لم يجر على يديه فضيحة مسلم ويروى أن نملة قالت لسليمان بن داود عليهما السلام يا نبى الله أنا على قدرى أشكر لله منك وكان راكبا على فرس ذلول فخر عنه ساجدا لله تعالى ثم قال لولا أنى أبجلك لسألتك أن تنزع منى ما أعطيتنى وقال صدقة بن يسار بينما داود عليه السلام فى محرابه اذ مرت به دودة فتفكر فى خلقها وقال ما يعبأ الله بخلق هذه فأنطقها الله تعالى له فقالت يا داود تعجبك نفسك وأنا على قدر ما آتانى الله تعالى أذكر لله وأشكر له منك على ما آتاك وقال على رضى الله عنه احذروا نفار النعم فما كل شارد مردود وعنه عليه السلام اذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر وقيل اذا قصرت يداك عن المكافاة فليطل لسانك بالشكر وقال حكيم الشكر ثلاث منازل ضمير القلب ونشر اللسان ومكافأة اليد قال الشاعر

أفادتكم النعماء منى ثلاثة * يدى ولسانى والضمير المحجبا

وقال ابن عائشة كان يقال ما أنعم الله على عبد نعمة فظلم بها الا كان حقا على الله تعالى أن يزيلها عنه وأنشد أبو العباس بن عمارة فى المعنى

أعارك ماله لتقوم فيه * بواجبه وتقضى بعض حقه
فلم تقصد لطاعته ولكن * قويت على معاصيه برزقه

وقال آخر

ولو أن لى فى كل منبت شعرة * لسانا يطيل الشكر كنت مقصرا

وقال محمد بن حبيب الراوية اذا قل الشكر خسر المن وروى اذا جحدت الصنيعة خسر الامتنان وسئل بعض الحكماء ما أضيع الاشياء قال مطر الجود فى أرض سبخة

لايجف ثراها ولا ينبت مرعاها وسراج يوقد فى الشمس وجارية حسناء تزف الى أعمى وصنيعة تسدى الى من لايشكرها وقال عبد الأعلى بن حماد دخلت على المتوكل فقال يا أبا يحيى قد هممنا أن نصلك بخيرة تدافعته الامور فقلت يا أمير المؤمنين بلغنى عن جعفر بن محمد الصادق أنه قال من لم يشكر الهمة لم يشكر النعمة وأنشدته

لاشكرن لك معروفا هممت به * فان همك بالمعروف معروف
ولا ألومك ان لم يمضه قدر * فالشر بالقدر المحتوم مصروف

وقال ابو فراس بن حمدان

وما نعمة مكفورة قد صنعتها * الى غير ذى شكر تمانعنى أخرى
سآتى جميلا ما حييت فاننى * اذا لم أفد شكرا افدت به أجرا

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من امتطى الشكر بلغ به المزيد وقيل من جعل الحمد خاتمة للنعمة جعله الله فاتحة للمزيد وقال ابن السماك النعمة من الله على عبده مجهولة فاذا فقدت عرفت وقيل من لم يشكر على النعمة فقد استدعى زوالها وكان يقال اذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها تميمة وقال حكيم لا تصطنعوا ثلاثة اللئيم فانه بمنزلة الارض السبخة والفاحش فانه يرى ان الذى صنعت اليه اتقاء لمخافة فحشه والاحمق فانه لايعرف قدر ما أسديت اليه واذا اصطنعت الكريم فازرع المعروف واحصد الشكر ودخل أبو نخيلة على السفاح لينشده فقال ما عسيت أن تقول بعد قولك لمسلمة

أمسلمة يا فخر كل خليفة * ويا فارس الدنيا ويا جبل الارض
شكرتك ان الشكر دين على الفتى * وما كل من أوليته نعمة يقضى
وأحييت لى ذكرى وما كان خاملا * ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

وسمعه الرشيد فقال هكذا يكون شعر الاشراف مدح صاحبه ولم يضع نفسه وعن نصر بن سيار عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من أنعم على رجل نعمة فلم يشكر له فدعا عليه استجيب له ثم قال نصر اللهم انى أنعمت على بنى سام فلم يشكروا اللهم اقتلهم فقتلوا كلهم وعن على بن الحسين رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ليشبع من الطعام فيحمد الله تعالى فيعطيه من الاجر ما يعطى الصائم القائم ان الله شاكر يحب الشاكرين وعن محمد بن على ما أنعم الله على عبد نعمة فعلم انها من الله الا كتب الله له شكرها قبل أن يحمده عليها ولا أذنب عبد ذنبا فعلم أن الله قد اطلع عليه ان شاء غفر له وان شاء آخذه قبل أن يستغفره الا غفر الله له قبل أن يستغفره وأولى رجل رجلا اعرابيا خيرا فقال لا أبلاك الله بلاء يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك وأنشد بعضهم وأجاد

سأشكر لا أنى أجازيك منعما * بشكرى ولكن كى يزاد لك الشكر

وأذكر أياما لدى اصطنعتها * وآخر ما يبقى على الشاكر الذكر

وقال آخر

أوليتني نعما أبوح بشكرها * وكفيتني كل الامور بأسرها
فلأشكرنك ما حييت وان امت * فلتشكرنك اعظمى فى قبرها

وقال آخر

أيارب قد أحسنت عودا وبدأة * الى فلم ينهض باحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر لديك وحجة * فعذرى اقرارى بأن ليس لى عذر

وقال محمود الوراق

الهى لك الحمد الذى أنت أهله * على نعم ما كنت قط لها أهلا
ان ازددت تقصيرا تزدنى تفضلا * كأنى بالتقصير أستوجب الفضلا

وقد أحسن نصيب فى وصف الثناء والشكر بقوله

فعاجوا واثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وقال رجل من غطفان

الشكر أفضل ما حاولت ملتمسا * به الزيادة عند الله والناس

وقيل اشكر المنعم عليك وأنعم على الشاكر لك تستوجب من ربك الزيادة ومن اخيك المناصحة

(الفصل الثالث من هذا الباب فى المكافأة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له ولما قدم وفد النجاشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يخدمهم بنفسه فقيل له يارسول الله لو تركتنا كفيناك فقال كانوا لأصحابى مكرمين وقيل أتى رجل من الانصار الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال

اذكر نعمى اذ فاجاك ذو سفه * يوم السقيفة والصديق مشغول

فقال عمر ياعلى صوته ادن منى فدنا منه فاخذ بذراعه حتى استشرفه الناس وقال ألا ان هذا ردّ عنى سفيها من قومه يوم السقيفة ثم حمله على نجيب وزاد فى عطائه وولاه صدقة قومه وقرأ هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقال رجل لسعيد بن العاص وهو أمير الكوفة يدى عندك بيضاء قال وما هى قال كبت بك فرسك فتقدمت اليك قبل غلمانك فاخذت بعضدك وأركبتك وأسقيتك ماء قال فاين كنت الى الآن قال حجبت عن الوصول اليك قال قد أمرنا لك بمائتى ألف درهم وبما عليك للحاجب اذ حجبك عنا وقال قطرى بن الفجاءة الخارجى أسره الحجاج ثم من عليه فأطلقه عاود قتال عدو الله فقال هيهات شد يدا مطلقها وأرق رقبة معتقها ثم قال

أأقاتل الحجاج عن سلطانه * بيد تقرّ بانها مولاته

ماذا أقول اذا وقفت ازاءه * فى الصف واحتجت له فعلاته
أأقول جار على لانى اذا * لأحق من جارت عليه ولاته
وتحدث الاقوام ان صنائعا * غرست لدى فحنظلت نخلاته

واجتاز الشافعى رحمه الله تعالى بعمر فى سوق الحدادين فسقط سوطه فقام انسان فأخذه ومسحه وناوله اياه فقال لغلامه كم معك قال عشرة دنانير قال ادفعها اليه واعتذر له واستنشد عبد الملك عامر الشعبى فأنشده لغير ما شاعر حتى أنشد لحسان

من سره شرف الحياة فلم يزل * فى عصبة من صالحى الانصار
البائعين نفوسهم لنبيهم * بالمشرفى وبالقنا الخطار
الناظرين بأعين محمرة * كالجمر غير كليلة الابصار

فقام أنصارى فقال يا أمير المؤمنين استوجب عامر الصلة على له ستون من الابل كما أعطينا حسان يوم قالها فقال عبد الملك وله عندى ستون ألفا وستون من الابل وعن على كرم الله وجهه أحسنوا فى عقب غيركم تحفظوا فى عقبكم وقال المدائنى رأيت رجلا يطوف بين الصفا والمروة على بغلة ثم رأيته ماشيا فى سفر فسألته عن ذلك فقال ركبت حيث يمشى الناس فكان حقا على الله أن يرجلنى حيث يركب الناس

ومما جاء فى المكافاة ما حكى عن الحسن بن سهل قال كنت يوما عند يحيى بن خالد البرمكى وقد خلا فى مجلسه لاحكام أمر من امور الرشيد فبينما نحن جلوس اذ دخل عليه جماعة من أصحاب الحوائج فقضاها لهم ثم توجهوا لشأنهم فكان آخرهم قياما أحمد بن أبى خالد الاحول فنظر يحيى اليه والتفت الى الفضل ابنه وقال يا بنى ان لابيك مع ابى هذا الفتى حديثا فاذا فرغت من شغلى هذا فذكرنى أحدثك به فلما فرغ من شغله وطعم قال له ابنه الفضل أعزك الله يا أبى أمرتنى أن أذكرك حديث أبى خالد الاحول قال نعم يا بنى لما قدم أبوك من العراق أيام المهدى كان فقيرا لا يملك شيأ فاشتد بى الامر الى أن قال لى من فى منزلى انا قد كتمنا حالنا وزاد ضررنا ولنا اليوم ثلاثة أيام ما عندنا شئ نقتات به قال فبكيت يا بنى لذلك بكاء شديدا وبقيت ولهان حيران مطرقا مفكرا ثم تذكرت منديلا كان عندى فقلت لهم ما حال المنديل فقالوا هو باق عندنا فقلت ادفعوه الى فأخذته ودفعته الى بعض أصحابى وقلت له بعه بما تيسر فباعه بسبعة عشر درهما فدفعتها الى أهلى وقلت أنفقوها الى أن يرزق الله غيرها ثم بكرت من الغد الى باب أبى خالد وهو يومئذ وزير المهدى فاذا الناس وقوف على داره ينتظرون خروجه فخرج عليهم راكبا فلما رآنى سلم على وقال كيف حالك فقلت يا أبا خالد ما حال رجل يبيع من منزله بالامس منديلا بسبعة عشر درهما فنظر الى نظرا شديدا وما أجابنى جوابا فرجعت الى أهلى كسير القلب وأخبرتهم بما اتفق لى مع ابى خالد فقالوا بئس والله ما فعلت توجهت الى رجل كان يرتضيك لأمر جليل فكشفت له سرك وأطلعته على مكنون أمرك فأزريت عنده بنفسك وصغرت

عنده منزلتك بعد أن كنت عنده جليلا فما زالت بعد اليوم الا بهذه العين فقلت قد قدنى الأمر الآن بما لا يمكن استدراكه فلما كان من الغد بكرت الى باب الخليفة فلما بلغت الباب استقبلنى رجل فقال لى قد ذكرت الساعة بباب أمير المؤمنين فلم ألتفت لقوله فاستقبلنى آخر فقال لى كمقالة الاول ثم استقبلنى حاجب ابى خالد فقال لى أين تكون قد امرنى أبو خالد باجلاسك الى أن يخرج من عند أمير المؤمنين فجلست حتى خرج فلما رآنى دعانى وأمر لى بمركوب فركبت وسرت معه الى منزله فلما نزل قال على بفلان وفلان الحناطين فأحضرا فقال لهما ألم تشتريا منى غلات السواد بثمانية عشر ألف ألف درهم قالا نعم قال ألم اشترط عليكما شركة رجل معكما قالا بلى قال هو هذا الرجل الذى اشترطت شركته لكما ثم قال لى قم معهما فلما خرجنا قالا لى ادخل معنا بعض المساجد حتى نكلمك فى أمر يكون لك فيه الربح الهنى فدخلنا مسجدا فقالا لى انك تحتاج فى هذا الأمر الى وكلاء وأمناء وكيالين وأعوان ومؤن لم تقدر منها على شئ فهل لك أن تبيعنا شركتك بمال نعجله لك فتنتفع به ويسقط عنك التعب والكلف فقلت لهما وكم تبذلان لى فقالا مائة ألف درهم فقلت لا أفعل فما زالا يزيدانى وأنا لا أرضى الى أن قالا لى ثلثمائة ألف درهم ولا زيادة عندنا على هذا فقلت حتى أشاور أبا خالد قالا ذلك لك فرجعت اليه وأخبرته فدعاهما وقال لهما هل وافقتماه على ما ذكر قالا نعم قال اذهبا فأقبضاه المال الساعة ثم قال لى أصلح أمرك وتهيأ فقد قلدتك العمل فأصلحت شأنى وقلدنى ما وعدنى به فما زلت فى زيادة حتى صار أمرى الى ما صار ثم قال لولده الفضل يا بنى فما تقول فى ابن من فعل بأبيك هذا الفعل وما جزاؤه قال حق لعمرى وجب عليك له فقال والله يا ولدى ما أجد له مكافأة غير انى اعزل نفسى وأوليه ففعل ذلك رضى الله عنه وهكذا تكون المكافأة (ومن ذلك ما حكى) عن العباس صاحب شرطة المأمون قال دخلت يوما الى مجلس أمير المؤمنين ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد فلما رآنى قال لى يا عباس قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال خذ هذا اليك فاستوثق منه واحتفظ به وبكر به الى فى غد واحترز عليه كل الاحتراز قال العباس فدعوت جماعة فحملوه ولم يقدر أن يتحرك فقلت فى نفسى مع هذه الوصية التى أوصانى بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا أن يكون معى فى بيتى فأمرتهم فتركوه فى مجلس لى فى دارى ثم أخذت أسأله عن قضيته وعن حاله ومن أين هو فقال أنا من دمشق فقلت جزى الله دمشق وأهلها خيرا فمن أنت من أهلها قال وعمن تسأل قلت أتعرف فلانا قال ومن أين تعرف ذلك الرجل فقلت وقع لى معه قضية فقال ما كنت بالذى أعرفك خبره حتى تعرفنى قضيتك معه فقال ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فبغى أهلها وخرجوا علينا حتى أن الوالى تدلى فى زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وأصحابه وهربت فى جملة القوم فبينما أنا هارب فى بعض الدروب واذا بجماعة يعدون خلفى فما زلت أعدو أمامهم حتى فتهم فمررت بهذا الرجل الذى ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت أغثنى أغاثك الله قال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما

نعرت والا وقد دخل والرجال معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار ففتشوها ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته فيها فقالوا هو ههنا فصاحت بهم المرأة ونهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وأنا قائم أرجف ما تحملني رجلاى من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل الرجل فقال لا تخف قد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الامن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت له جزاك الله خيرا فما زال يعاشرني أحسن معاشرة وأجلها وأفرد لى مكانا فى داره ولم يحوجني الى شئ ولم يشتر عن تفقد أحوالى فأقمت عنده أربعة أشهر فى أرغد عيش وأهنئه الى ان سكنت الفتنة وهدأت وزال أثرها فقلت له أتأذن لى فى الخروج حتى أتفقد حال غلماني فلعلى أقف منهم على خبر فأخذ على المواثيق بالرجوع اليه فخرجت وطلبت غلماني فلم أرلهم اثرا فرجعت اليه وأعلمته الخبر وهو مع هذا كله لا يعرفني ولا يسألني ولا يعرف اسمى ولا يخاطبني الا بالكنية فقال لى علام تعزم فقلت قد عزمت على التوجه الى بغداد فقال ان القافلة بعد ثلاثة ايام تخرج وها انا قد اعلمتك فقلت له انك قد تفضلت على هذه المدة ولك على عهد الله انى لا أنسى لك هذا الفضل ولأوفينك مهما استطعت قال فدعا غلاما له أسود وقال له أسرج الفرس الفلاني ثم جهز آلة السفر فقلت فى نفسى أظن انه يريد أن يخرج الى ضيعة له أو ناحية من النواحي فاقاموا يومهم ذلك فى كد وتعب فلما كان يوم خروج القافلة جاءني فى السحر وقال لى يا فلان قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد عنها فقلت فى نفسى كيف أصنع وليس معى ما أتزود به ولا ما أكرى به مركوبا ثم قمت فاذا هو وامرأته يحملان بقجة من أفخر الملابس وخفين جديدين وآلة السفر ثم جاءني بسيف ومنطقة فشدهما فى وسطى ثم قدم بغلا فحمل عليه صندوقين وفوقهما فرش ودفع الى نسخة ما فى الصندوقين وفيهما خمسة آلاف درهم وقدم الى الفرس الذى كان جهزه وقال أركب وهذا الغلام الاسود يخدمك ويسوس مركوبك وأقبل هو وامرأته يعتذران الى من التقصير فى أمرى وركب معى يشيعني وانصرفت الى بغداد وأنا أتوقع خبره لأفى بعهدى له فى مجازاته ومكافأته واشتغلت مع أمير المؤمنين فلم أتفرغ أن أرسل اليه من يكشف خبره فلهذا أنا أسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال لقد أمكنك الله تعالى من الوفاء له ومكافأته على فعله ومجازاته على صنعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت وكيف ذلك قال أنا ذلك الرجل وانما الضر الذى أنا فيه غير عليك حالى وما كنت تعرفه منى ثم لم يزل يذكرلى تفاصيل الاسباب حتى اثبت معرفته فما تمالكت أن قمت وقبلت رأسه ثم قلت له فما الذى اصارك الى ما أرى فقال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التى كانت فى أيامك فنسبت الى وبعث أمير المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد وأخذت أنا وضربت الى أن أشرفت على الموت وقيدت وبعث بى الى أمير المؤمنين وأمرى عنده عظيم وخطبي لديه جسيم وهو قاتلى لا محالة وقد أخرجت من عند أهلى بلا وصية وقد تبعنى من غلماني من ينصرف الى اهلى بخبرى وهو نازل عند فلان فان رأيت أن تجعل من مكافأتك لى ان ترسل من يحضره لى

حتى أوصيه بما أريد فان أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة وقت لي بوفاء عهدك
قال العباس قلت يصنع الله خيرا ثم أحضر حدادا في الليل فك قيوده وأزال ما كان فيه من
الانكال وأدخله حمام داره وألبسه من الثياب ما احتاج اليه ثم سير من أحضر اليه غلامه
فلما رآه جعل يبكي ويوصيه فاستدعى العباس نائبه وقال علي بالفرس الفلانى والفرس
الفلانى والبغل الفلانى والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم عشرة من الصناديق ومن
الكسوة كذا وكذا ومن الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل وأحضر لي بدرة عشرة آلاف
درهم وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لنائبه في الشرطة خذ هذا الرجل وشيعه الى
حد الانبار فقلت له ان ذنبي عند أمير المؤمنين عظيم وخطبي جسيم وان أنت احتججت بأني
هربت بعث أمير المؤمنين في طلبي كل من على بابه فارد وأقتل فقال لي انج بنفسك ودعني
أدبر أمري فقلت والله لا أبرح من بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك فان احتجت الى
حضوري حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان الامر على ما يقول فليكن في موضع كذا
فان أنا سلمت في غداة غد أعلمته وان أنا قتلت فقد وقيته بنفسي كما وقاني بنفسه وأنشدك
الله أن لا يذهب من ماله درهم وتجتهد في اخراجه من بغداد قال الرجل فاخذني صاحب
الشرطة وصيرني في مكان أثق به وتفرغ العباس لنفسه وتحنط وجهز له كفنا قال
العباس فلم أفرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون في طلبي يقولون يقول لك أمير المؤمنين
هات الرجل معك وقم قال فتوجهت الى دار أمير المؤمنين فاذا هو جالس وعليه ثيابه وهو
ينتظرنا فقال أين الرجل فسكت فقال ويحك أين الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع مني
فقال لله على عهد لئن ذكرت انه هرب لأضربن عنقك فقلت لا والله يا أمير المؤمنين
ما هرب ولكن اسمع حديثي وحديثه ثم شأنك وما تريد أن تفعله في أمري قال قل فقلت
يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته اني
أريد أن أفي له وأكافئه على ما فعله معي وقلت أنا وسيدي ومولاي أمير المؤمنين بين أمرين
اما أن يصفح عني فأكون قد وفيت وكافأت واما أن يقتلني فأقيه بنفسي وقد تحنطت وها
كفني يا أمير المؤمنين فلما سمع المأمون الحديث قال ويلك لا جزاك الله عن نفسك خيرا
انه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا لا غير هلا عرفتني خبره
فكنا نكافئه عنك ولا نقصر في وفائنا له فقلت يا أمير المؤمنين انه ههنا قد حلف أن لا يبرح
حتى يعرف سلامتي فان احتجت الى حضوره حضر فقال المأمون وهذه منة أعظم من
الاولى اذهب الآن اليه فطيب نفسه وسكن روعه وائتني به حتى أتولى مكافأته قال
العباس فاتيت اليه وقلت له ليزل خوفك ان أمير المؤمنين قال كيت وكيت فقال الحمد لله
الذي لا يحمد على السراء والضراء سواه ثم قام فصلى ركعتين ثم ركب وجئنا فلما مثل بين
يدي أمير المؤمنين أقبل عليه وأدناه من مجلسه وحدثه حتى حضر الغداء وأكل معه
وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفى فأمر له المأمون بعشرة أفراس
بسروجها ولجمها وعشرة أبغال بآلاتها وعشر بدر وعشرة آلاف دينار وعشرة مماليك
بدوابهم وكتب الى عامله بدمشق بالوصية به واطلاق خراجه وأمره بمكاتبته باحوال

دمشق فصارت كتبه تصل الى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لى ياعباس هذا كتاب صديقك والله تعالى أعلم * ومن عجائب هذا الاسلوب وغرائبه ماأورده محمد بن القاسم الانبارى رحمه الله تعالى أن سوارا صاحب رحبة سوار وهو من المشهورين قال انصرفت يوما من دار الخليفة المهدى فلما دخلت منزلى دعوت بالطعام فلم تقبله نفسى فأمرت به فرفع ثم دعوت جارية كنت أحبها وأحب حديثها وأشتغل بها فلم تطب نفسى فدخل وقت القائلة فلم يأخذنى النوم فنهضت وأمرت ببغلة لى فأسرجت وأحضرت فركبتها فلما خرجت من المنزل استقبلنى وكيل لى ومعه مال فقلت ماهذا فقال ألفا درهم جبيتها من مستغلك الجديد قلت أمسكها معك واتبعنى فأطلقت رأس البغلة حتى عبرت الجسر ثم مضيت فى شارع دار الرقيق حتى انتهيت الى الصحراء ثم رجعت الى باب الانبار وانتهيت الى باب دار نظيف عليه شجرة وعلى الباب خادم فعطشت فقلت للخادم أعندك ماء تسقينيه قال نعم ثم دخل وأحضر قلة نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل فناولنى فشربت وحضر وقت العصر فدخلت مسجدا على الباب فصليت فيه فلما قضيت صلاتى اذا أنا بأعمى يلتمس فقلت ماتريد ياهذا قال اياك أريد قلت فما حاجتك فجاء حتى جلس الى جانبى وقال شممت منك رائحة طيبة فظننت انك من أهل النعيم فأردت أن أحدثك بشىء فقلت قل قال ألا ترى الى باب هذا القصر قلت نعم قال هذا قصر كان لابى فباعه وخرج الى خراسان وخرجت معه فزالت عنا النعم التى كنا فيها وعميت فقدمت هذه المدينة فأتيت صاحب هذه الدار لأسأله شيأ يصلنى به وأتوصل الى سوار فانه كان صديقا لابى فقلت ومن أبوك قال فلان ابن فلان فعرفته فاذا هو كان من أصدق الناس الى فقلت له ياهذا ان الله تعالى قد أتاك بسوار منعه من الطعام والنوم والقرار حتى جاء به فأقعده بين يديك ثم دعوت الوكيل فأخذت الدراهم منه فدفعتها اليه وقلت له اذا كان الغد فسر الى منزلى ثم مضيت وقلت ماأحدث أمير المؤمنين بشىء أظرف من هذا فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لى فلما دخلت عليه حدثته بما جرى لى فأعجبه ذلك وامر لى بالفى دينار فأحضرت فقال ادفعها الى الاعمى فنهضت لاقوم فقال اجلس فجلست فقال أعليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت خمسون ألفا فحادثنى ساعة وقال امض الى منزلك فمضيت الى منزلى فاذا بخادم معه خمسون الفا وقال يقول لك أمير المؤمنين اقض بها دينك قال فقبضت منه ذلك فلما كان من الغد أبطأ على الاعمى وأتانى رسول المهدى يدعونى فجئته فقال قد فكرت البارحة فى أمرك فقلت يقضى دينه ثم يحتاج الى القرض أيضا وقد أمرت لك بخمسين ألفا أخرى قال فقبضتها وانصرفت فجاءنى الاعمى فدفعت اليه الالفى دينار وقلت له قد رزقك الله تعالى بكرمه وكافأك على احسان أبيك وكافأنى على ابتداء المعروف اليك ثم أعطيته شيأ آخر من مالى فأخذه وانصرف والله سبحانه وتعالى أعلم

(ومما هو أوضح حسنا وأرجح معنى) ماحكاه القاضى يحيى بن أكثم رحمة الله عليه قال

دخلت

دخلت يوما على الخليفة هرون الرشيد ولد المهدى وهو مطرق مفكر فقال لى أتعرف قائل هذا البيت

الخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

فقلت يا أمير المؤمنين ان لهذا البيت شأنا مع عبيد بن الابرص فقال على بعبيد فلما حضر بين يديه قال له أخبرنى عن قصة هذا البيت فقال يا أمير المؤمنين كنت فى بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية فى يوم شديد الحر سمعت ضجة عظيمة فى القافلة ألحقت أولها بآخرها فسألت عن القصة فقال لى رجل من القوم تقدم ترما بالناس فتقدمت الى أول القافلة فاذا أنا بشجاع أسود فاغر فاه كالجذع وهو يخور كما يخور الثور ويرغو كرغاء البعير فهالنى أمره وبقيت لا أهتدى الى ما أصنع فى أمره فعدلنا عن طريقه الى ناحية أخرى فعارضنا ثانيا فعلمت انه لسبب ولم يجسر أحد من القوم أن يقربه فقلت أفدى هذا العالم بنفسى وأتقرب الى الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا فأخذت قربة من الماء فتقلدتها وسللت سيفى وتقدمت فلما رآنى قربت منه سكن وبقيت متوقعا منه وثبة يتلفنى فيها فلما رأى القربة فتح فاه فجعلت فم القربة فى فيه وصببت الماء كما يصب فى الاناء فلما أفرغت القربة تسيب فى الرمل ومضى فتعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا لحجنا ثم عدنا فى طريقنا ذلك وحططنا فى منزلتنا تلك فى ليلة مظلمة مدلهمة فأخذت شيأ من الماء وعدلت الى ناحية عن الطريق فقضيت حاجتى ثم توضأت وصليت وجلست أذكر الله تعالى فأخذتنى عينى فنمت مكانى فلما استيقظت من النوم لم أجد للقافلة حسا وقد ارتحلوا وبقيت منفردا لم أر أحدا ولم أهتد الى ما أفعله وأخذتنى حيرة وجعلت أضطرب واذا بصوت هاتف أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول

يا أيها الشخص المضل مركبه * ما عنده من ذى رشاد يصحبه
دونك هذا البكر منا تركبه * وبكرك الميمون حقا تجنبه
حتى اذا ما الليل زال غيهبه * عند الصباح فى الفلا تسيبه

فنظرت فاذا أنا ببكر قائم عندى وبكرى الى جانبى فأنخته وركبته وجنبت بكرى فلما سرت قدر عشرة أميال لاحت لى القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر فعلمت انه قد حان نزولى فتحولت الى بكرى وقلت

يا أيها البكر قد أنجيت من كرب * ومن هموم تضل المدلج الهادى
الا تخبرنى بالله خالقنا * من ذا الذى جاد بالمعروف فى الوادى
وارجع حميدا فقد أبلغتنا مننا * بوركت من ذى سنام رائح غادى

فالتفت البكر الى وهو يقول

أنا الشجاع الذى ألفيتنى رمضا * والله يكشف ضر الحائر الصادى
فجدت بالماء لما ضن حامله * تكرما منك لم تمنن بأنكاد
فالخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

هذا جزاؤك مني لأمنّ به * فاذهب حميدا رعاك الخالق الهادى

فعجب الرشيد من قوله وأمر بالقصة والابيات فكتبت

عنه وقال لا يضيع المعروف أين وضع * والله

سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه

المرجع والمآب

تم الجزء الاول ويليه الثانى اوله الباب الثالث والاربعون

(فهرسة الجزء الثاني)

صحيفة	
٢	الباب الثالث والاربعون في الهجاء ومقدماته
٨	الباب الرابع والاربعون في الصدق والكذب وفيه فصلان
٨	الفصل الاول في الصدق
٩	الفصل الثاني في الكذب وماجاء فيه
١١	الباب الخامس والاربعون في بر الوالدين وذم العقوق الخ وفيه فصول
١٢	الفصل الاول في بر الوالدين وذم العقوق
١٥	الفصل الثاني في الاولاد وحقوقهم الخ
١٥	الفصل الثالث في ذكر الانساب والاقارب والعشيرة
١٥	الباب السادس والاربعون في الخلق وصفاتهم وأحوالهم الخ وفيه فصول
١٥	الفصل الاول في الحسن ومحاسن الاخلاق
٣٥	الباب السابع والاربعون في التختم والحلي والمصوغ والطيب الخ
٣٧	الباب الثامن والاربعون في الشباب والشيب والصحة الخ وفيه فصول
٣٧	الفصل الاول في الشباب وفضله
٣٨	الفصل الثاني في الشيب وفضله
٤١	الفصل الثالث في العافية والصحة
٤٢	الباب التاسع والاربعون في الاسماء والكنى والالقاب الخ
٤٧	الباب الخمسون فيما جاء في الاسفار والاغتراب وما قيل في الوداع الخ
٥٣	الباب الحادي والخمسون في ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه
٥٩	الباب الثاني والخمسون في ذكر الفقر ومدحه
٦١	الباب الثالث والخمسون في ذكر التلطف في السؤال وذكر من سئل فأجاد
٦٦	الباب الرابع والخمسون في ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك
٦٩	الباب الخامس والخمسون في العمل والكسب والصناعات والحرف الخ
٧٣	الباب السادس والخمسون في شكوى الزمان وانقلابه الخ وفيه ثلاثة فصول
٧٣	الفصل الاول في شكوى الزمان وانقلابه بأهله
٧٦	الفصل الثاني في الصبر على المكاره ومدح التثبت الخ
٨٤	الفصل الثالث في التأسي في الشدة والتسلي عن نوائب الدهر
٨٦	الباب السابع والخمسون فيما جاء في اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة الخ
٩٣	الباب الثامن والخمسون في ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان
٩٣	الفصل الاول في مدح العبيد والاماء والاستيصاء بهم خيرا
٩٤	الفصل الثاني في ذم العبيد والخدم

صحيفة

٩٥ الباب التاسع والخمسون فى أخبار العرب الجاهلية واوابدهم وذكر غرائب من عوائدهم الخ
٩٩ الباب الستون فى الكهانة والقيافة والزجر والعرافة الخ
١٠٩ الباب الحادى والستون فى الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد الخ
١١٧ الباب الثانى والستون فى ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام الخ
١٥٥ الباب الثالث والستون فى ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم
١٥٩ الباب الرابع والستون فى خلق الجان وصفاتهم
١٦٢ الباب الخامس والستون فى ذكر البحار ومافيها من العجائب الخ وفيه فصول
١٦٢ الفصل الاول فى ذكر البحار
١٦٦ الفصل الثانى فى ذكر الانهار والآبار والعيون
١٦٧ الفصل الثالث فى ذكر الآبار
١٦٨ الباب السادس والستون فى ذكر عجائب الارض ومافيها من الجبال الخ وفيه فصول
١٦٨ الفصل الاول فى ذكر الارض ومافيها من العمران والخراب
١٦٨ الفصل الثانى فى ذكر الجبال
١٦٩ الفصل الثالث فى ذكر المبانى العظيمة وغرائبها وعجائبها
١٧٣ الباب السابع والستون فى ذكر المعادن والاحجار وخواصها
١٧٦ الباب الثامن والستون فى الاصوات والالحان وذكر الغناء الخ
١٨١ الباب التاسع والستون فى ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم الخ
١٨٦ الباب السبعون فى ذكر القينات والاغانى
١٩٢ الباب الحادى والسبعون فى ذكر العشق ومن بلى به الخ وفيه فصول
١٩٢ الفصل الاول فى وصف العشق
١٩٤ الفصل الثانى فيمن عشق وعف والافتخار بالعفاف
١٩٩ الفصل الثالث فى ذكر من مات بالحب والعشق
٢٠٦ الباب الثانى والسبعون فى ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت الخ
٢٧٧ الباب الثالث والسبعون فى ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن الخ وفيه فصول
٢٧٧ الفصل الاول فى النكاح وفضله والترغيب فيه
٢٨٥ الفصل الثانى فى صفات النساء المحمودة
٢٨٦ الفصل الثالث فى صفة المرأة السوء
٢٨٧ الفصل الرابع فى مكر النساء وغدرهن وذمهن ومخالفتهن
٢٨٩ الفصل الخامس فى الطلاق وماجاء فيه
٢٩١ الباب الرابع والسبعون فى تحريم الخمر وذمها والنهى عنها

صحيفة

٢٩٢	الباب الخامس والسبعون فى المزاح والنهى عنه الخ وفيه فصول
٢٩٣	الفصل الاول فى النهى عن المزاح
٢٩٣	الفصل الثانى فيما جاء فى الترخيص فى المزاح والبسط والتبسم
٢٩٦	الباب السادس والسبعون فى النوادر والحكايات وفيه فصول عشرة
٢٩٦	الفصل الاول فى نوادر العرب
٢٩٩	الفصل الثانى فى نوادر القراء والفقهاء
٢٩٩	الفصل الثالث فى نوادر القضاة
٣٠١	الفصل الرابع فى نوادر النحاة
٣٠٢	الفصل الخامس فى نوادر المعلمين
٣٠٣	الفصل السادس فى نوادر المتنبئين
٣٠٤	الفصل السابع فى نوادر السؤال
٣٠٥	الفصل الثامن فى نوادر المؤذنين
٣٠٥	الفصل التاسع فى نوادر النواتية
٣٠٦	الفصل العاشر فى نوادر جامعة
٣٠٧	الباب السابع والسبعون فى الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصلان
٣٠٧	الفصل الاول فى الدعاء وآدابه
٣٠٩	الفصل الثانى فى الأدعية وما جاء فيها
٣١٨	الباب الثامن والسبعون فى القضاء والقدر وأحكامهما والتوكل على الله عزوجل
٣٢٢	الباب التاسع والسبعون فى التوبة وشروطها والندم والاستغفار
٣٢٥	الباب الثمانون فى ذكر الامراض والعلل والطب والدواء الخ وفيه فصول
٣٢٥	الفصل الاول فى الامراض والعلل وما جاء فى ذلك من الأجر والثواب
٣٢٦	الفصل الثانى فى ذكر العلل كالبخر والعرج الخ
٣٢٨	الفصل الثالث فى التداوى من الأمراض والطب
٣٣١	الفصل الرابع فى العيادة وفضلها
٣٣٢	الباب الحادى والثمانون فى ذكر الموت وما يتصل به من القبر واحواله
٣٣٦	الباب الثانى والثمانون فى الصبر والتأسى والتعازى والمراثى الخ وفيه فصول
٣٣٦	الفصل الاول فى الصبر
٣٣٨	الفصل الثانى فى التعازى والتأسى
٣٤٢	الفصل الثالث فى المراثى
٣٤٧	الباب الثالث والثمانون فى ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها
٣٥٥	الباب الرابع والثمانون فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

تمت

الجزء الثاني من كتاب المستطرف في كل فن

مستظرف تأليف الامام الاوحد

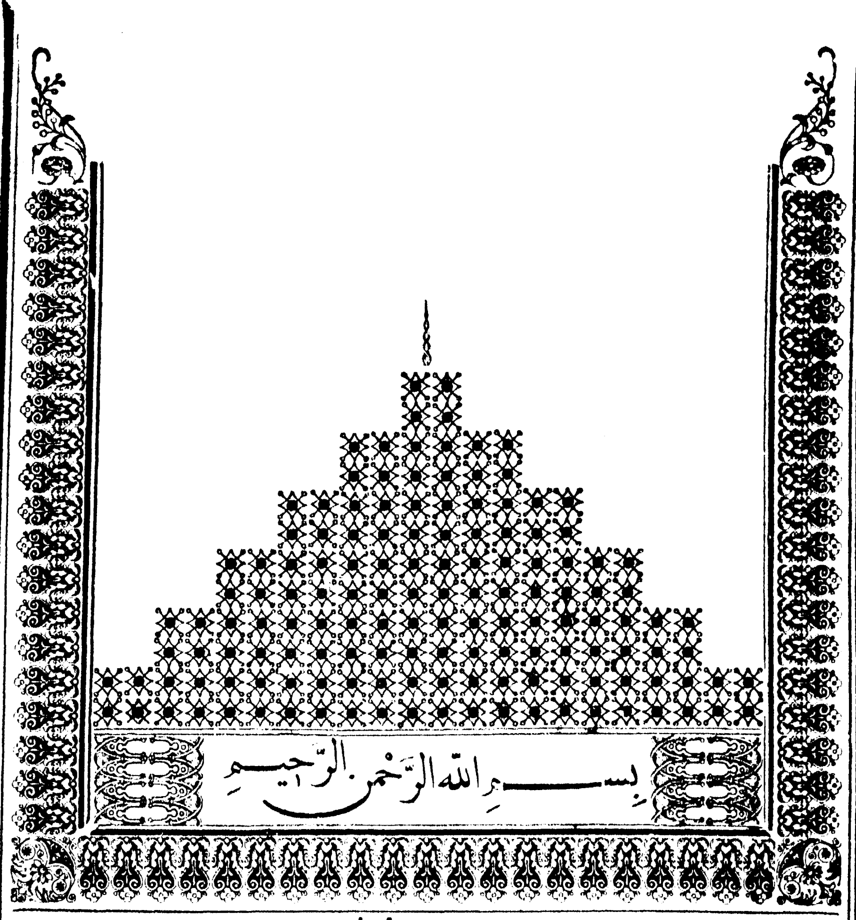
العالم العلامة اللوذعي الفهامة

الشيخ شهاب الدين احمد

الابشيهي تغمده الله

بالرحمة والرضوان

آمين



(الباب الثالث والاربعون فى الهجاء ومقدماته)

القصد من الهجاء الوقوف على ملحه ومافيه من ألفاظ فصيحة ومعان بديعة لا التشفى بالاعراض والوقوع فيها وليس الهجاء دليلا على اساءة المهجو ولا صدق الشاعر فيما رماه به فما كل مذموم بذميم وقد يهجى الانسان بهتانا وظلما أو عبثا أو ارهابا قال المتوكل لابى العيناء كم تمدح الناس وتذمهم قال ما أحسنوا وأساؤا وقد رضى الله تعالى على عبد من عبيده فمدحه فقال نعم العبد انه أواب وغضب على آخر فقال مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم قيل الزنيم الملصق بالقوم وليس منهم وقال دعبل فى المأمون بعد البيعة له وقتل الامين

انى من القوم الذين همو همو * قتلوا أخاك وشرفوك بمقعد
شادوا لذكرك بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الاوهد

فقال المأمون ما أبهته ليت شعرى متى كنت خاملا وفى حجر الخلافة ربيت وبدرها غذيت ولما قتل جعفر بن يحيى بكى عليه أبو نواس فقيل له أتبكى على جعفر وأنت هجوته فقال كان ذلك لركوب الهوى وقد بلغه والله انى قلت

ولست وان أطنبت فى وصف جعفر * بأول انسان خرى فى ثيابه

فكتب يدفع اليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه * ومن العبث بالهجو ماروى أن الحطيئة

هم بهجاء فلم يجد من يستحقه فقال

أبت شفتاى اليوم الا تكلما * بسوء فلا ادرى لمن أنا قائله
أرى لى وجها قبح الله خلقه * فقبح من وجه وقبح حامله

وعبث بأمه فقال

تنحى فاجلسى عنا بعيدا * أراح الله منك العالمينا
اغربالا اذا استودعت سرا * وكانونا على المتحدثينا
حياتك ما علمت حياة سوء * وموتك قد يسر الصالحينا

وقال رجل ما أبالى أهجيت أم مدحت فقال له الاحنف أرحت نفسك من حيث تعب الكرام *وقال رجل لآخر ان هجوتنى أتموت ابنتى قال لا قال أفتخرب ضيعتى قال لا قال فرجلى مع ساقى الى حلقى فى حر أمك قال ولم تركت رأسك قال لانظر ما تصنع وأنا أقول انما يخشى من الهجو من يخاف على عرضه وأما من لا يخاف على عرضه فقد يستوى عنده المدح والذم وبئس الرجل ذاك *وكان الرجل من نمير اذا قيل له ممن الرجل يقول من نمير وأمال بها عنقه فلما هجاهم جرير بقوله

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

صار اذا قيل لاحدهم ممن الرجل يقول من بنى عامر وما لقيت قبيلة من العرب بهجو ما لقيت نمير بهجو جرير وهجا ابن بسام رجلا فقال

يا طلوع الرقيب من غير الف * يا غريما أتى على ميعاد
يا ركودا فى وقت غيم وصيف * يا وجوه التجار يوم كساد

وقصد ابن عيينة قبيصة المهلبى واستماحه فلم يسمح له بشئ فانصرف مغضبا فوجه اليه داود ابن زيد بن حاتم فترضاه وأحسن اليه فقال فى ذلك

داود محمود وأنت مذمم * عجبا لذاك وانتما من عود
ولرب عود قد يشق لمسجد * نصفا وباقيه لحش يهودى
فالحش انت له وذاك لمسجد * كم بين موضع مسلح وسجود
هذا جزاؤك يا قبيص لانه * جادت يداه وأنت قفل حديد

وله هجاء فى خالد

أبوك لنا غيث يغيث بوبله * وأنت جراد لست تبقى ولا تذر
له أثر فى المكرمات يسرنا * وأنت تعفى دائما ذلك الاثر

وقال المبرد فى حقه لم يجتمع لاحد من المحدثين فى بيت واحد هجاء رجل ومدح أبيه الا له ولما قعد حماد عجرد لتاديب ولد الامين قال بشار بن برد شعر

قل للامين جزاك الله صالحة * لا يجمع الله بين السخل والذيب
السخل يعلم أن الذئب آكله * والذئب يعلم ما بالسخل من طيب

وقال فيه أيضا

يا أبا الفضل لا تنم * وقع الذئب فى الغنم

ان حماد عجرد * شيخ سوء قد اغتنم
بين فخذيه حربة * في غلاف من الادم
ان رأى ثم غفلة * يجمع الميم بالقلم

فشاعت الابيات فأمر الامين باخراج حماد * وقال رجل لاخيه لابويه لاهجونك هجاء يدخل معك في قبرك قال كيف تهجوني وأبوك أبي وأمك امي قال أقول شعر

بني أمية هبوا طال نومكمو * ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا * خليفة الله بين الماء والعود

فدخل يعقوب على المهدي فاخبره ان بشارا هجاه فاغتاظ المهدي وانحدر الى البصرة لينظر في أمرها فسمع أذانا في ضحى النهار فقال انظروا ماهذا واذا به بشار وهو سكران فقال له يازنديق عجب ان يكون هذا من غيرك ثم أمر به فضرب به سبعين سوطا حتى أتلفه بها وألقى في سفينة فقال عين الشمقمق تراني حيث يقول

ان بشار بن برد * تيس اعمى في سفينه

فلما مات ألقيت جثته في الماء فحمله الماء فأخرجه الى الدجلة فجاء بعض أهله فحملوه الى البصرة وأخرجت جنازته فما تبعه أحد وتباشر عامة الناس بموته لما كان يلحقهم من الاذى منه * وخاصم أبو دلامة رجلا فارتفعا الى عافية القاضي فلما رآه أبو دلامة أنشد يقول

لقد خاصمتني دهاة الرجال * وخاصمتها سنة وافيه
فما دحض الله لي حجة * ولا خيب الله لي قافيه
ومن خفت من جوره في القضاء * فلست أخافك ياعافيه

فقال عافية لاشكونك الى أمير المؤمنين ولاعلمنه انك هجوتني قال له أبو دلامة اذا والله يعزلك قال ولم قال لانك لاتعرف الهجاء من المدح قال فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر له بجائزة * ودخل أبو دلامة على المهدي وعنده اسمعيل بن علي وعيسى بن موسى والعباس بن محمد وجماعة من بني هاشم فقال له المهدي والله لئن لم تهج واحدا ممن في هذا البيت لاقطعن لسانك فنظر الى القوم وتحير في أمره وجعل ينظر الى كل واحد فيغمزه بأن عليه رضاه قال أبو دلامة فازددت حيرة فما رأيت أسلم لي من ان أهجو نفسي فقلت

الا أبلغ لديك أبا دلامه * فلست من الكرام ولا كرامه
جمعت دمامة وجمعت لؤما * كذلك اللؤم تتبعه الدمامه
اذا لبس العمامة قلت قردا * وخنزيرا اذا نزع العمامه

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد الا أجازه * وقال ابن الاعرابي ان أهجى بيت قاله المحدثون قول محمد بن وهب في محمد بن هاشم

لم تند كفاك من بذل النوال كما * لم يند سيفك مذ قلدته بدم

وهجا بعضهم القمر فقال يهدم العمر ويوجب اجرة المنزل ويشحب الالوان ويقرض الكتان ويضل الساري ويعين السارق ويفضح العاشق * ولابن منقذ في ابن طليب المصري يقد

احترقت

احترقت داره

انظر الى الايام كيف تسوقنا * قسرا الى الاقدار بالاقدار
ما أوقد ابن طليب قط بداره * نارا وكان خرابها بالنار

وكان للوجيه بن صورة المصرى دلال الكتب دار بمصر موصوفة بالحسن فاحترقت فقال فيها ابن المنجم

أقول وقد عاينت دار ابن صورة * وللنار فيها وهجة تتضرم
فما هو الا كافر طال عمره * فجاءته لما استبطأته جهنم

وقد أحسن الاديب كمال الدين على بن محمد بن المبارك الشهير بابن الاعمى فى ذم دار كان يسكنها حيث قال

دار سكنت بها أقل صفاتها * أن تكثر الحشرات فى جنباتها
الخير عنها نازح متباعد * والشر دان من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوض عدمته * كم اعدم الاجفان طيب سناتها
وتبيت تسعدها براغيث متى * غنت لها رقصت على نغماتها
رقص بتنقيط ولكن قافه * قد قدمت فيه على اخواتها
وبها ذباب كالضباب يسد عين الشمس ما طربى سوى غناتها
اين الصوارم والقنا من فتكها * فينا واين الاسد من وثباتها
وبها من الخطاف ماهو معجز * أبصارنا عن وصف كيفياتها
وبها خفافيش تطير نهارها * مع ليلها ليست على عاداتها
وبها من الجرذان ما قد قصرت * عنه العتاق الجرد فى حملاتها
وبها خنافس كالطنافس افرشت * فى أرضها وعلت على جنباتها
لو شم أهل الحرب منتن فسوها * اردى الكماة الصيد عن صهواتها
وبنات وردان واشكال لها * مما يفوت العين كنه ذواتها
أبدا تمص دماءنا فكأنها * حجامة لبدت على كاساتها
وبها من النمل السليمانى ما * قد قل ذر الشمس عن ذراتها
ما راعنى شئ سوى وزغاتها * فتعوذوا بالله من لدغاتها
سجعت على أوكارها فظننتها * ورق الحمام سجعن فى شجراتها
وبها زنابير تظن عقاربا * حر السموم أخف من زفراتها
وبها عقارب كالاقارب رتع * فينا حمانا الله لدغ حماتها
كيف السبيل الى النجاة ولا نجا * ة ولا حياة لمن رأى حياتها
منسوجة بالعنكبوت سماؤها * والارض قد نسجت على آفاتها
فضجيجها كالرعد فى جنباتها * وترابها كالرمل فى خشناتها
والبوم عاكفة على اربائها * والدود تبحث فى ثرى عرصاتها
والجن تاتيها اذا جن الدجى * تحكى الخيول الجرد فى حملاتها

والنار جزء من تلهب حرها * وجهنم تعزى الى أنعماتها
شاهدت مكتوبا على أرجائها * ورأيت مسطورا على جنباتها
لاتقربوا منها وخافوها ولا * تلقوا بايديكم الى هلكاتها
أبدا يقول الداخلون ببابها * يارب نج الناس من آفاتها
قالوا اذا ندب الغراب منازلا * يتفرق السكان من ساحاتها
وبدارنا ألفا غراب ناعق * كذب الرواة فاين صدق رواتها
صبرا لعل الله يعقب راحة * للنفس اذ غلبت على شهواتها
دار تبيت الجن تحرس نفسها * فيها وتندب باختلاف لغاتها
كم بت فيها مفردا والعين من * شوق الصباح تسح من عبراتها
وأقول يارب السموات العلى * يارازقا للوحش فى فلواتها
اسكنتنى بجهنم الدنيا فنى * أخراى هب لى الخلد فى جناتها
واجمع بين أهواه شملى عاجلا * ياجامع الارواح بعد شتاتها

ولبعضهم فى بلان

اشكو الى الله بلانا بليت به * مست اناملة ظهرى فادمانى
فلا يدلك تدليكا بمعرفة * ولا يسرح تسريحا باحسان

وللشيخ شمس الدين البدوى فى بلان أيضا

وبلان له ظفر يباهى * به حد الشفار المرهفات
هرى جسمى فألبسه نجيعا * على حلل السمور السابلات
ورام يلين أعضائى برفق * فايبسها وكسر فوقاتى
ولم أنظر له أبدا جميلا * وذلك من عظيم المهلكات
واعمى مقلتى بصنان ابط * يفوح به على كل الجهات
فلا تجعل الهى مثل هذا * يغسلنى اذا حانت وفاتى

ولبعضهم فى حمام

وحمام دخلناه لامر * حكى سقرا وفيها المجرمونا
فيصطرخوا يقولوا أخرجونا * فان عدنا فانا ظالمونا

وللشريف أبى يعلى الهاشمى البغدادى فى نظام الملك يهدده بالهجاء يقول

أيجمل يا نظام الملك أنى * أعاود من ذرالك كما قدمت
واصدر عن حياضك وهى نهب * بافواه السقاة وما وردت
يدل على فعالك سوء حالى * ويخبر عن نوالك ان كتمت
اذا استخبرت ماذا نلت منه * وقد عم الورى كرما سكت

وممن عرض بالهجو فى شعره الخوارزمى قال فى أبى جعفر

أباجعفر لست بالمنصف * ومثلك ان قال قولا يفى
فان أنت أنجزت لى ماوعدت * والا هجيت وأدخلت فى

وقد

وقد علم الناس ما بعد فى * فغطا الحديث ولا تكشف

ومدح السراج الوراق انسانا فلم يجزه فكتب يعرض له بالهجاء ويهدده يقول

أعد مدحى على وخذ سواه * فقد أتعبتنى يامستريح
ولا تغضب اذا أنشدت يوما * سواه وقيل لى هذا صحيح

وله أيضا يقول

اعد مدحا كذبت عليك فيه * وقد عوقبت بالحرمان عنه
ولكنى سأصدق فيك قولا * فلا يصعب عليك الحق منه

وقال بعضهم فى حجاج قدموا ولم يهدوا اليه شيأ

مضوا الجعوا والوجوه كأنها * تكاد لفرط البشر أن توضح السبلا
وعادوا كأن القار فوق وجوههم * فلا مرحبا بالقادمين ولا سهلا
وجاؤا وما جادوا بعود أراكة * ولا وضعوا فى كف طفل لنا نقلا

وقال آخر

اذا رمت هجوا فى فلان تصدنى * خلائق قبح عنه لا تتزحزح
تجاوز قدر الهجو حتى كأنه * بأقبح ما يهجى به المرء يمدح

وهجا بعضهم امرأة فقال

لها جسم برغوث وساق بعوضة * ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
تبرق عينيها اذا ما رأيتها * وتعبس فى وجه الضجيع وتكلح
لها منظر كالنار تحسب انها * اذا ضحكت فى أوجه الناس تلفح
اذا عاين الشيطان صورة وجهها * تعوذ منها حين يمسى ويصبح

ولبعضهم فى عظيم أنف

لك وجه وفيه قطعة أنف * كجدار قد دعموه بيغله
وهو كالقبر فى المثال ولكن * جعلوا نصفه على غير قبله

وفيه أيضا

رأينا اللزكى جدار انف * يضاهى فى تشامخه الجبالا
تصدى للهلال لكى يراه * فلولا عظمه لرأى الهلالا

ولبعضهم فى أبخر مخنث

قالوا فلان به نتن فقلت لهم * يا قوم قد حار فكرى فى مساويه
يا قوم لا تعجبوا من نتن نكهته * فالاير يدفع ما فيه الى فيه

ولصفى الدين الحلى

رأى فرسى اصطبل عيسى فقال لى * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
به لم أذق طعم الشعير كأننى * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تقعقع من برد الشتاء أضالعى * لما نسجتها من جنوب وشمأل

وله ايضا

ليهنك ان لى ولدا وعبدا * سواء فى المقال وفى المقام
فهذا سابق من غير سين * وهذا عاقل من غير لام

وله فى طبيب يدعى اسحق

مباضع اسحق الطبيب كأنها * الها بفناء العالمين كفيل
معودة أن لاتسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل

وله فى أحمق طويل اللسان

لوأن قوة وجهه فى قلبه * قنص الاسود وجندل الابطالا
أوكان طول لسانه بيمينه * أفنى الكنوز وأنفد الاموالا

وهجا اعرابى رجلا ثم مدحه فقال

انى مدحتك من فساد قريحتى * وعلمت ان المدح فيك يضيع
لكن رأيت المسك عند فساده * يدنى الى بيت الخلا فيضوع

وقيل لبعضهم ماتقول فى فلان وفلان قال هما الخمر والميسر اثمهما أكبر من نفعهما وقيل لرجل كيف وجدت فلانا قال طويل اللسان فى اللؤم قصير الباع فى الكرم وثابا على الشر مناعا للخير * وسمع اعرابى قوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا فانقبض ثم سمع قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال الله اكبر هجانا ثم مدحنا وكذلك قال الشاعر

هجوت زهيرا ثم انى مدحته * ومازالت الاشراف تهجى وتمدح

استب رجلان فقال احدهما للآخر لوقطع زبك وعلق لم تبق زانية بالكوفة الاعرفته وقال ابوزيد العبدى

ولقد قتلتك بالهجاء فلم تمت * ان الكلاب طويلة الاعمار

وقال المتوكل لابى العيناء مابقى احد فى المجلس الاهجاك وذمك غيرى فقال

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى * فلازال غضبانا على لئامها

(الباب الرابع والاربعون فى الصدق والكذب وفيه فصلان)

(الفصل الاول فى الصدق) قال الله تعالى مبشرا للصادقين هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقال تعالى والصادقين والصادقات فمدحهم وبين لهم المغفرة والاجر العظيم *وقال عمر رضى الله عنه عليك بالصدق وان قتلك *وما أحسن ماقيل فى ذلك

عليك بالصدق ولوأنه * أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا المولى فأغبى الورى * من أسخط المولى وأرضى العبيد

وقال اسمعيل بن عبيد الله لما حضرت أبى الوفاة جمع بنيه فقال لهم يابنى عليكم بتقوى الله وعليكم بالقرآن فتعاهدوه وعليكم بالصدق حتى لوقتل أحدكم قتيلا ثم سئل عنه اقربه والله ما كذبت كذبة قط مذ قرأت القرآن *وعن عائشة رضى الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم بم يعرف المؤمن قال بوقاره ولين كلامه وصدق حديثه *وقيل لكل شئ حلية وحلية النطق الصدق * وقال محمد الوراق

الصدق منجاة لاربابه * وقربة تدنى من الرب

وقيل الصدق عمود الدين وركن الادب وأصل المروأة فلا تتم هذه الثلاثة الابه * وقال ارسطاطاليس أحسن الكلام ماصدق فيه قائله وانتفع به سامعه * وقال المهلب بن أبى صفرة ما السيف الصارم فى يد الشجاع بأعز له من الصدق * وكان يقال على الصدوق فلان وقف لسانه على الصدق * ويقال الصدق محمود من كل أحد الامن الساعى * ويقال لوصدق عبد فيما بينه و بين الله تعالى حقيقة الصدق لاطلع على خزائن الغيب ولكان أمينا فى السموات والارض * وقيل من لزم الصدق وعود لسانه به وفق * ويقال الصدق بالحر أحرى * وقال عتبة بن أبى سفيان اذا اجتمع فى قلبك أمران لاندرى أيهما أصوب فانظر أيهما أقرب الى هواك فخالفه فان الصواب أقرب الى مخالفة الهوى * وقال ارسطاطاليس الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب * وكان نقش خاتم ذى يزن وضع الحق الحق عز * وامتدح ابن ميادة جعفر بن سليمان فأمر له بمائة ناقة فقبل يده وقال والله ماقبلت يد قرشى غيرك الاواحدا فقال أهو المنصور قال لا والله قال فمن هو قال الوليد بن يزيد قال فغضب وقال والله ماقبلتها لله تعالى فقال والله ولايدك ماقبلتها لله تعالى ولكن قبلتها للنفسى فقال والله لاضرك الصدق عندى اعطوه مائة أخرى * وقال عامر العدوانى فى وصيته انى وجدت صدق الحديث طرفا من الغيب فاصدقوا * يعنى من لزم الصدق وعوده لسانه وفق فلا يكاد ينطق بشئ يظنه الاجاء على ظنه * وخطب بلال لاخيه امرأة قرشية فقال لاهلها نحن من قد عرفتم كنا عبدين فأعتقنا الله تعالى وكنا ضالين فهدانا الله تعالى وكنا فقيرين فأغنانا الله تعالى وأنا أخطب اليكم فلانة لاخى فان تنكحوها فالحمد لله تعالى وان تردونا فالله أكبر فأقبل بعضهم على بعض فقالوا بلال ممن عرفتم سابقته ومشاهده ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجوا أخاه فزوجوه فلما انصرفوا قال له أخوه يغفر الله لك أما كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتترك ماعدا ذلك فقال مه يا أخى صدقت فانكحك الصدق * وخطب الحجاج فأطال فقام رجل فقال الصلاة فان الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك فأمر بحبسه فأتاه قومه وزعموا انه مجنون وسألوه أن يخلى سبيله فقال ان أقر بالجنون خليته فقيل له فقال معاذ الله لا أزعم ان الله ابتلانى وقد عافانى فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه

(الفصل الثانى من هذا الباب فى الكذب وماجاء فيه) قال الله تعالى فى الكاذبين ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وقال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور والفجور يهدى الى النار وتحروا الصدق فان الصدق يهدى الى البر والبر يهدى الى الجنة * وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كذب العبد كذبة تباعد الملكان عنه مسيرة ميل من نتن ماجاء به * ويقال رواى الكذب أحد الكذابين * ويقال رأس المآثم الكذب وعمود الكذب البهتان * وقيل أمران لا ينفكان من الكذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار وقال الحسن فى قوله تعالى ولكم الويل

عما تصفون وهى لكل واصف كذب الى يوم القيامة * قال الاصمعى قلت لكذاب أصدقت قط قال لولا انى أخاف أصدق فى هذا القلت لك لا فتعجب

وقال محمود بن أبى الجنود

لى حيلة فيمن ينم وليس فى الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقو * ل فحيلتى فيه قليله

* ويقال فلان أكذب من لمعان السراب ومن سحاب تموز * وكان بفارس محتسب يعرف بجراب الكذب وكان يقول ان منعت الكذب انشقت مرارتى وانى والله لاجد به مع ما يلحقنى من عاره من المسرة مالا أجده بالصدق مع ما ينالنى من نفعه * وقال فيلسوف من عرف من نفسه الكذب لم يصدق الصادق فيما يقوله ولبعضهم

حسب الكذوب من البليـ * ـة بعض ما يحكى عليه
فتى سمعت بكذبة * من غيره نسبت اليه

وأضاف صيرفى قوما فاقبل يحدثهم فقال بعضهم نحن كما قال تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت * وعن عبد الله بن السدى قال قلت لابن المبارك حدثنا حديثا قال ارجعوا فلست أحدثكم فقيل له انك لم تحلف فقال لو حلفت لكفرت وحدثتكم ولكن لست أكذب فكان هذا أحب الينا من الحديث * وقال مجاهد يكتب على ابن آدم كل شئ حتى انينه فى سقمه وحتى ان الصبى ليبكى فتقول له أمه اسكت وأشترى لك كذا ثم لا تفعل فتكتب كذبة * وقال الفضيل ما من مضغة أحب الى الله تعالى من اللسان اذا كان صدوقا ولا مضغة أبغض الى الله تعالى من اللسان اذا كان كذوبا * وعن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا أعظم الخطايا اللسان الكذوب قال الشاعر

لا يكذب المرء الا من مهانته * أوفعله السوء أومن قلة الادب
لبعض جيفة كلب خير رائحة * من كذبة المرء فى جد وفى لعب

* ولما نصب معاوية رضى الله عنه ابنه يزيد لولاية العهد أقعده فى قبة حمراء وجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يسلمون على يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معاوية فقال يا أمير المؤمنين اعلم انك لولم تول هذا أمور المسلمين لاضعتها والاحنف ساكت فقال معاوية مالك لا تقول يا أبا بحر فقال أخاف الله تعالى ان كذبت وأخافكم ان صدقت فقال جزاك الله خيرا عما تقول ثم أمر له بألوف فلما خرج الاحنف لقيه ذلك الرجل بالباب فقال له يا أبا بحر انى لاعلم ان هذا من شرار خلق الله تعالى ولكنهم استوثقوا من الاموال بالابواب والاقفال فلسنا نطمع فى اخراجها الا بما سمعت فقال له الاحنف يا هذا أمسك فان ذا الوجهين خليق أن لا يكون عند الله وجيها * وقيل ان الكذب يحمد اذا وصل بين المتقاطعين أو أصلح بين الزوجين ويذم الصدق اذا كان غيبة وقد رفع الحرج عن الكاذب فى الحرب وعن المصلح بين المرء وزوجه * وكان المهلب فى حرب الخوارج يكذب لاصحابه يقوى بذلك جأشهم فكانوا اذا رأوه مقبلا اليهم قالوا جاءنا يكذب * وقال يحيى بن خالد رأينا شارب خمر نزع ولصا أقلع وصاحب فواحش رجع ولم نر كذابا صار صادقا * وكان عمرو بن معديكرب

مشهورا

مشهورا بالكذب * وقيل لخلف الاحمر وكان شديد التعصب لليمن أكان ابن معديكرب يكذب فقال كان يكذب في المقال ويصدق في الفعال * قيل ان بلالا لم يكذب مذ اسلم رضي الله عنه والحمد لله وحده

الباب الخامس والاربعون في برّ الوالدين وذم العقوق وذكر الاولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقرابات وذكر الانساب وفيه فصول

(الفصل الاول في برّ الوالدين وذم العقوق) قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا * وقال تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا * وقال تعالى أن اشكر لي ولوالديك الىّ المصير * وقال تعالى فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا * وعن علىّ رضي الله عنه لو علم الله شيأ في العقوق أدنى من أف لحرّمه فليعمل العاق ماشاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البارّ ماشاء أن يعمل فلن يدخل النار * وقيل ان رضا الرب في رضا الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين (وحكى) أبو سهل عن أبي صالح عن أبي نجيح عن ربيعة عن عبد الرحمن عن عطاء بن أبي مسلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حج عن والده بعد وفاته كتب الله لوالده حجة وكتب له براءة من النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم وعقوق الوالدين فانّ ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق وكان رجل من النساك يقبل كل يوم قدم أمه فأبطأ يوما على اخوته فسألوه فقال كنت أتمرغ في رياض الجنة فقد بلغنا انّ الجنة تحت أقدام الامّهات وبلغنا انّ الله تعالى كلم موسى عليه السلام ثلاثة آلاف وخمسمائة كلمة فكان آخر كلامه يارب أوصني قال أوصيك بأمك حسنا قال له سبع مرّات قال حسبي ثم قال ياموسى ألا انّ رضاها رضاي وسخطها سخطي وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لابن مهران لا تأتين أبواب السلاطين وان أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر ولا تخلون بامرأة وان علمتها سورة من القرآن ولا تصحبن عاقا فانه لن يقبلك وقد عق والديه * وقال فيلسوف من عق والديه عقه ولده وقال المأمون لم أر أحدا أبرّ من الفضل بن يحيى بأبيه بلغ من برّه له انه كان لا يتوضأ الا بماء سخن فمنعهم السجان من الوقود في ليلة باردة فلما أخذ يحيى مضجعه قام الفضل الى قمقم نحاس فملأه ماء وأدناه من المصباح فلم يزل قائما وهو في يده الى الصباح حتى استيقظ يحيى من منامه وقيل طلب بعضهم من ولده أن يسقيه ماء فلما أتاه بالشربة نام أبوه فمازال الولد واقفا بالشربة في يده الى الصباح حتى استيقظ أبوه من منامه وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ان لي أما بلغ منها الكبر أنها لا تقضي حاجتها الا وظهري لها مطية فهل أدّيت حقها قال لا لانها كانت تصنع بك ذلك وهي تتمنى بقاءك وأنت تصنعه وتتمنى فراقها وقال ابن المنكدر بات اكيس رجل أبي وبات آخر يصلي ولا يسرني ليلته بليلتي * وقيل انّ محمد بن سيرين كان يكلم أمه كما يكلم الامير الذي لا ينتصف منه وقيل لعلي بن الحسين رضي الله عنه انك من أبرّ الناس ولا تأكل مع أمك في صحفة فقال أخاف أن تسبق يدي يدها الى ما تسبق عينها اليه فأكون قد عققتها

(الفصل الثانى فى الاولاد وحقوقهم وذكر النجباء والاذكياء والبلداء والاشقياء) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد ريحانة من الجنة * وقال الفضل ريح الولد من الجنة وكان يقال ابنك ريحانتك سبعا ثم حاجبك سبعا ثم عدو أو صديق * وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قلت لسيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله هل يولد لاهل الجنة قال والذى نفسى بيده ان الرجل يشتهى أن يكون له ولد فيكون حمله ووضعه وشبابه الذى ينتهى اليه فى ساعة واحدة وقيل من حق الولد على والده أن يوسع عليه حاله كى لا يفسق وقال عمر رضى الله عنه انى لاكره نفسى على الجماع رجاء أن يخرج الله منى نسمة تسبحه وتذكره وقال رضى الله عنه أكثروا من العيال فانكم لاتدرون بمن ترزقون وقال شبيب بن شبة ذهب اللذات الا من ثلاث شم الصبيان وملاقاة الاخوان والخلو مع النسوان ودخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه يا أمير المؤمنين قال هذه تفاحة القلب فقال انبذها عنك فانهن يلدن الاعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن قال لاتقل يا عمرو ذلك فوالله مامرض المرضى ولاندب الموتى ولا أعان على الاخوان الاهن فقال عمرو يا أمير المؤمنين انك حببتهن الى وقيل لرجل أى ولدك أحب اليك قال صغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ وغائبهم حتى يحضر وقال ابن عامر لامرأته امامة بنت الحكم الخزاعية ان ولدت غلاما فلك حكمك فلما ولدت قالت حكمى أن تطعم سبعة أيام كل يوم على ألف خوان من فالوذج وأن تعق بألف شاة ففعل لها ذلك وغضب معاوية على يزيد فهجره فقال الاحنف يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة وبهم نصول على كل جليلة فان غضبوا فأرضهم وان سألوا فاعطهم وان لم يسألوا فابتدئهم ولا تنظر اليهم شزرا فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك فقال معاوية ياغلام اذا رأيت يزيد فاقرأه السلام واحمل اليه مائتى ألف درهم ومائتى ثوب فقال يزيد من عند أمير المؤمنين فقيل له الاحنف فقال يزيد بن معاوية على به فقال يا أبا بحر كيف كانت القصة فحكاها له فشكر صنيعه وشاطره الصلة (وحكى) الكسائى انه دخل على الرشيد يوما فأمر باحضار الامين والمامون ولديه قال فلم يلبث قليلا ان أقبلا ككوكبى أفق يزينهما هداهما ووقارهما وقد غضا أبصارهما حتى وقفا فى مجلسه فسلما عليه بالخلافة ودعواله بأحسن الدعاء فاستدناهما واسند محمدا عن يمينه وعبد الله عن يساره ثم أمرنى أن ألقى عليهما أبوابا من النحو فما سألتهما شيأ الا أحسنا الجواب عنه فسره ذلك سرورا عظيما وقال كيف تراهما فقلت شعرا

أرى قمرى أفق وفرعى بشامة * يزينهما عرق كريم ومحتد

سليلى أمير المؤمنين وحائزى * مواريث ما أبقى النبى محمد

يسدان أنفاق النفاق بشيمة * يزينهما حزم وسيف مهند

ثم قلت مارأيت أعز الله أمير المؤمنين أحدا من أبناء الخلافة ومعدن الرسالة وأغصان هذه الشجرة الزلالية آدب منهما ألسنا ولا أحسن ألفاظا ولا أشد اقتدارا على الكلام رويه وحفظا منهما أسال الله تعالى أن يزيدبهما الاسلام تأييدا وعزا ويدخل بهما على أهل

الشرك ذلا وقعا وأمن الرشيد على دعائه ثم ضمهما اليه وجمع عليهما يديه فلم يبسطهما حتى رأيت الدموع تتحدر على صدره ثم أمرهما بالخروج وقال كأنكم بهما وقد همم القضاء ونزلت مقادير السماء وقد تشتت أمرهما وافترقت كلمتهما بسفك الدماء وتهتك الستور * وكان يقال بنو أمية دنخل أخرج الله منه زق عسل يعني عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه * وسب اعرابي ولده وذكر له حقه فقال يا أبتاه ان عظيم حقك علي لا يبطل صغير حقي عليك * قال سيدي عبد العزيز الديريني رحمه الله

احب بنيتي ووددت اني * دفنت بنيتي في قاع لحد
وما بي أن تهون علي لكن * مخافة ان تذوق الذل بعدي
فان زوجتها رجلا فقيرا * أراها عنده والهم عندي
وان زوجتها رجلا غنيا * فيلطم خدها ويسب جدي
سألت الله يأخذها قريبا * ولو كانت أحب الناس عندي

وقال هرون بن علي بن يحيي المنجم

أرى ابني تشابه من علي * ومن يحيي وذاك به خليق
وان يشبههما خلقا وخلقا * فقد تسري الى الشبه العروق

وقال أبو النصر مولى بني سليم

ونفرح بالمولود من آل برمك * ولا سيما ان كان من ولد الفضل

وقال الحسن بن زيد العلوي

قالوا عقيم ولم يولد له ولد * والمرء يخلفه من بعده الولد
فقلت من علقت بالحرب همته * عاف النساء ولم يكثر له عدد

وكان الزبير بن العوام رضي الله عنه يرقص ولده ويقول

ازهر من آل بني عتيق * مبارك من ولد الصديق * ألذه كما الذ ريقي

وكانت اعرابية ترقص ولدها وتقول

يا حبذا ريح الولد * ريح الخزامى في البلد
اهكذا كل ولد * أم لم يلد مثلي أحد

وكان اعرابي يرقص ولده ويقول

احبه حب الشحيح ماله * قد ذاق طعم الفقر ثم ناله * اذا أراد بذله بدا له

* وكان لاعرابي امرأتان فولدت احداهما جارية والاخرى غلاما فرقصته أمه يوما وقالت معايرة لضرتها

الحمد لله الحميد العالي * انقذني العام من الجوالي
من كل شوهاء كشن بالي * لا تدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضرتها فاقبلت ترقص ابنتها وتقول

وما علي أن تكون جاريه * تغسل رأسي وتكون الغاليه
وترفع الساقط من خماريه * حتى اذا ما بلغت ثمانيه

ازرتها بنقبة يمانيه * أنكحتها مروان أو معاويه

اصهار صدق ومهور غاليه

قال فسمعها مروان فتزوجها على مائة ألف مثقال وقال ان أمها حقيقة أن لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا اليها الاضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلة فبعث اليها بمائتي ألف درهم والله أعلم

(ومما جاء في الاولاد البلداء القليلي التوفيق) قيل نظر اعرابي الى ولد له قبيح المنظر فقال له يا بني انك لست من زينة الحياة الدنيا * وقال رجل لولده وهو في المكتب في أي سورة أنت فقال لا أقسم بهذا البلد ووالدي بلا ولد فقال لعمري من كنت أنت ولده فهو بلا ولد

* وأرسل رجل ولده يشتري له رشاء للبئر طوله عشرون ذراعا فوصل الى نصف الطريق ثم رجع فقال يا أبت عشرون في عرض كم قال في عرض مصيبتي فيك يا بني * وكان لرجل من الاعراب ولد اسمه حمزة فبينما هو يوما يمشي مع أبيه اذا برجل يصيح بشاب يا عبد الله فلم يجبه ذلك الشاب فقال ألا تسمع فقال يا عم كلنا عبيد الله فأي عبد الله تعني فالتفت أبو حمزة اليه وقال يا حمزة ألا تنظر الى بلاغة هذا الشاب فلما كان من الغد اذا برجل ينادي شابا يا حمزة فقال حمزة ابن الاعرابي كلنا حماميز الله فأي حمزة تعني فقال له أبوه ليس يعنيك يا من أخمد الله به ذكر أبيه

*وكان لمحمد بن بشير الشاعر ابن جسيم فأرسله في حاجته فأبطأ عليه ثم عاد ولم يقضها فنظر اليه ثم قال

عقله عقل طائر * وهو في خلقة الجمل

فأجابه

مشبه بك يا أبي * ليس لي عنك منتقل

*ونهى اعرابي ابنه عن شرب النبيذ فلم ينته وقال

أمن شربة من ماء كرم شربتها * غضبت علي الآن طابت لي الخمر

سأشرب فاسخط لا رضيت كلاهما * حبيب الى قلبي عقوقك والسكر

وقيل قال ذلك يزيد بن معاوية لابيه حين نهاه عن شرب الخمر

(ومما جاء في صلة الرحم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلة الرحم منهاة للولد مثراة للمال وقيل وجد حجر حين حفر ابراهيم الخليل عليه السلام أساس البيت مكتوب عليه بالعبرانية انا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمائي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته أي قطعته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجل الخير ثوابا صلة الرحم * وحدثنا أبو سهل عن صالح بن جرير بن عبد الحميد عن منصور عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه عن كعب الاحبار أنه قال والذي فلق البحر لموسى بن عمران ان في التوراة لمكتوبا يا ابن آدم اتق ربك وبر والديك وصل رحمك أزد في عمرك وأيسر لك في يسرك وأصرف عنك عسرك * وعن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب جل وعلا وصلة الرحم تزيد في العمر وذكر تمام الحديث

(الفصل الثالث من هذا الباب فى ذكر الانساب والاقارب والعشيرة) قال عمر رضى الله عنه تعلموا أنسابكم تعرفوا بها أصولكم فتصلوا بها أرحامكم وقيل لولم يكن من معرفة الانساب الا اعتزازها من صولة الاعداء وتنازع الاكفاء لكان تعلمها من أحزم الرأى وأفضل الثواب ألا ترى الى قول قوم شعيب عليه السلام حيث قالوا ولولا رهطك لرجمناك فابقوا عليه لرهطه * وقال عمر رضى الله عنه تعلموا العربية فانها تزيد فى المروأة وتعلموا النسب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان نسبها * وسئل عيسى عليه السلام اى الناس أشرف فقبض قبضتين من تراب وقال أى هاتين أشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال الناس كلهم من تراب ان أكرمكم عند الله أتقاكم * كان أبو كبشة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل أمه فلما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم دين قريش قالوا انزعه عرق أبى كبشة حيث خالفهم فى عبادة الشعرى وقال خالد بن عبد الله القشيرى سألت واصل بن عطاء عن نسبه فقال نسبى الاسلام الذى من ضيعه فقد ضيع نسبه ومن حفظه فقد حفظ نسبه فقال خالد وجه عبد وكلام حر * ومن كلام على كرم الله وجهه اكرم عشيرتك فانهم جناحك الذى به تطير فانك بهم تصول وبهم تطول وهم العدة عند الشدة اكرم كريمهم وعد سقيمهم وأشركهم فى أمورك ويسر عن معسرهم * وكان يقال اذا كان لك قريب فلم تمش اليه برجلك ولم تعطه من مالك فقد قطعته * ويقال حق الاقارب اعظام الاصغر للاكبر وحنو الاكبر على الاصغر * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده * قال بعضهم

واذا رزقت من النوافل ثروة * فامنح عشيرتك الادانى فضلها
واعلم بأنك لم تسودهم * حتى ترى دمث الخلائق سهلها

الباب السادس والاربعون فى الخلق وصفاتهم وأحوالهم وذكر الحسن والقبيح والطول والقصر والالوان والشباب وما أشبه ذلك وفيه فصول

(الفصل الاول فى الحسن ومحاسن الاخلاق) والى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتهى الحسن والجمال * كان محمد صلى الله عليه وسلم ربعة من القوم لا بائنا من طول ولا تقتحمه عين من قصر أبيض اللون مشربا بحمرة أدعج العينين مفلج الثنايا دقيق المسربة ازهر الجبين واضح الخد أقنى الانف كأن عنقه ابريق فضة ظاهر الوضاءة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر شثن الكفين مسيح القدمين واسع الصدر من لبته الى سرته شعر يجرى كالقضيب ليس فى بطنه ولا صدره شعر غيره أشعر الذراعين والمنكبين لم يبلغ شيبه فى رأسه ولحيته عشرين شعرة ضخم الكراديس أنور المتجرد اذا مشى كأنما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا بين كتفيه خاتم النبوة كأنه زر حجلة أو بيض حمامة لونه كلون جسده أبلج الوجه حسن الخلق وسيما قسيما فى جبينه زجج وفى عينيه دعج وفى عنقه سطع وفى لحيته كثافة ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنهم وأكملهم من قريب كأنما منطقه خرزات نظم يتحدرن * قال أنس رضى الله عنه ما رأيت من ذى لمة سوداء فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال

وأحسن منك لم ترقط عيني * وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

اللهم صل وسلم عليه واجعله شفيعا لمن يصلي عليه وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق عبد وخلقه الا استحيا أن يطعم لحمه النار * وقد كان المتوكل رحمه الله من أحسن الخلفاء العباسية وجها وأبهاهم منظرا وكان مصعب بن الزبير من أحسن الناس وجها (حكى) أنه كان جالسا بفناء داره يوما بالبصرة اذ جاءت امرأة فوقفت تنظر اليه فقال لها ما وقوفك يرحمك الله فقالت طفئ مصباحنا فجئنا نقتبس من وجهك مصباحا * وقيل لاعرابية ظريفة ما بال شفتيك مشققة فقالت ان التين اذا حلا انشقق والورد يتشقق اذا مسه الندى *وكانت لبابة بنت عبد الله بن عباس رضي الله عنهم من أجمل الناس وجها وكانت عند الوليد ابن عتبة بن أبي سفيان فكانت تقول ما نظرت وجهي في مرآة مع انسان الا رحمته من حسن وجهي الا الوليد فكنت اذا نظرت الى وجهي مع وجهه رحمت وجهي من حسن وجهه قال الشاعر

ولو أنها في عهد يوسف قطعت * قلوب رجال لا أكف نساء

وقال كثير

لو أن عزة حاكمت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها

(ومما جاء في محاسن الخلق منظوما على الترتيب من الفرق الى القدم)

(ما قيل في الشعر) كان يقال من تزوج امرأة أو اتخذ جارية فليستحسن من شعرها فان الشعر الحسن أحد الوجهين * قال بكر بن النطاح

بيضاء تسحب من قيام شعرها * وتغيب فيه وهو وجه أسحم
فكأنها فيه نهار ساطع * وكأنه ليل عليها مظلم

وللمتنبي

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها * في ليلة فارت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتني القمرين في وقت معا

وله أيضا

لبسن الوشي لا متجملات * ولكن كي يصن به الجمالا
وضفرن الغدائر لا لحسن * ولكن خفن في الشعر الضلالا

وقال الصفدي

لولا شفاعة شعره في صبه * ما كان زار ولا أزال سقاما
لكن تنازل في الشفاعة عنده * فغدا على أقدامه يترامى

وقال ابن الصائغ

ثنى غصنا ومد لنيه فرعا * كخطي حين أطلب منه وصلا
وبلبله على الارداف منه * فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

وقال آخر

ارخى ثلاثا يوم حمامه * ذوائبا تعبق منها الغوال
فقلت والقصد ذؤاباته * واسهري فى ذى الليالى الطوال

وقال آخر

بدت ثريا قرطها وشعرها * متصل بكعبها كما ترى
ياعجبا الشعرها لما ابتدى * من الثريا فانتهى الى الثرى

وقال ابن المعتز

توارت عن الواشى بليل ذوائب * لها من محياواضح تحته فجر
يغطى عليها شعرها بظلامه * وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

ومما قيل فى الاصداغ قال ابن المعتز

ريم يتيه بحسن صورته * عبث النعاس بلحظ مقلته
وكان عقرب صدغه وقفت * لما دنت من ورد وجنته

وقال العادلى

وعهدى بالعقارب حين تشتو * يخفف لدغها ويقل ضرا
فما بال الشتاء أتى وهذى * عقارب صدغها تزداد شرا

وقال آخر

وماضرم نار بخديه ألهبت * ولكن بها قلب المحب يعذب
عناقيد صدغيه بخديه تلتوى * وأمواج ردفيه بخصريه تلعب
شربت الهوى صرفا زلالا وانما * لواحظه تسقى وقلبى يشرب

وقال آخر

حل القبا ولوى صدغيه فانعقدا * واحيرتى بين محلول ومعقود
وأسكرتنى ثناياه وريقته * هل هذه الخمر من تلك العناقيد

(ومما قيل فى مدح العذار) قال أبو فراس بن حمدان

يامن يلوم على هواه جهالة * انظر الى تلك السوالف تعذر
حسنت وطاب نسيمها فكأنها * مسك تساقط فوق خد أحمر

وقال محمد بن وهب

صدودك والهوى هتكا استتارى * وساعدنى البكاء على اشتهارى
وكم أبصرت من حسن ولكن * عليك لشقوتى وقع اختيارى
ولم أخلع عذارا فيك الا * لما عاينت من خلع العذار

وقال آخر

ومعذر رقت حواشى خده * فقلوبنا وجدا عليه رقاق
لم يكس عارضه السواد وانما * نفضت عليه سوادها الاحداق

وقال آخر

ومهفهف راقت نضارة وجهه * والعين تنظر منه أحسن منظر

أصلى بنار الخد عنبر خاله * فبدا العذار دخان ذاك العنبر

وقال آخر

أصبحت سلطان القلوب ملاحة * وجمال وجهك للبرية عسكر
طلعت طلائع وجنتيك مغيرة * بالنصر يقدمها اللواء الاخضر

وقال آخر

ياذا الذى خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة وبلابلا
ماصح عندى ان لحظك صارم * حتى حلت بعارضيك حمائلا

وقال آخر

من لا رأى كعبة الحسن التى حرست * بالنمل حيث مقام النحل فى فمه
فلينظر النمل أضحى فوق عارضه * يطوف سبعا وسبعا حول مبسمه

وقال بدر الدين الدماميني

تحدث ليل عارضه بأنى * سأسلوه وينصرم المزار
فأشرق صبح غرته ينادى * حديث الليل يمحوه النهار

وقال آخر

وقالوا انسلى فقد شانه * عذار أراحك من صده
فقلت وهمت ولكننى * خلعت العذار على خده

سيدى أبو الفضل بن أبى الوفا

على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى لعيون الناس فيها تزاحما
حمى ورد خديه حماة عذاره * فيا حسن ريحان العذار حما حمى

وقال ابن نباتة

ومهجتى رشا يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

وقال الموصلى

لحديث نبت العارضين حلاوة * وطلاوة هامت بها العشاق
فاذا نهانى المرء قلت ترفقوا * فاليكم هذا الحديث يساق

وقال آخر

أصبحت مكسورا بسهم لحاظه * ومقيدا من صدغه بلسانه
حتى بدا سيف العذار مجردا * فخشيت يقتلنى وذا من شانه

وقال آخر

ياصاح قد حضر المدام ومنيتى * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقنى * واجعل حديثك كله فى الكاس

ابن نباتة

وضعت سلاح الصبر عنه فماله * يغازل بالالحاظ من لا يغازله

وسال عذار فوق خديه سائل * على خده فليتق الله سائله

(ومما قيل فى ذم العذار) قال الشاعر

غدا الماالتحى ليلا بهيما * وكان كأنه قمر منير
وقد كتب السواد بعارضيه * لمن يقرا وجاءكم النذير

آخر فى ذمه

قلت لاصحابي وقد مرّ بى * منتقبا بعد الضيا بالظلم
بالله يا أهل ودى قفوا * ثم انظروا كيف زوال النعم

وقال آخر

مازال ينتف ريحانا بعارضه * حتى استطال عليه صار يحلقه
كأنما طورسينا فوق عارضه * طول الزمان نموسى لايفارقه

وقال آخر

مازال يحلف لى بكل ألية * أن لايزال مدى الزمان مصاحبى
لما جنى نزل العذار بخده * فتعجبوا السواد وجه الكاذب

ابن المعتز

يارب ان لم يكن فى وصله طمع * ولم يكن فرج من طول جفوته
فاشف السقام الذى فى لحظ مقلته * واستر ملاحة خديه بلحيته

(ومما قيل فى الجبين والحواجب) خالد الكاتب

لها من ظباء الرمل عين مريضة * ومن ناضر الريحان خضرة حاجب
ومن يانع الاغصان قد وقامة * ومن حالك الحبر اسوداد الذوائب

وقال آخر

غزانى الهوى فى جيشه وجنوده * وهب علىّ الجيش من كل جانب
بميسرة اجنادها اعين المها * وميمنة تقضى بزج الحواجب

وقال آخر

اياقمرا تبسم عن اقاح * ويا غصنا يميل مع الرياح
جبينك والمقبل والثنايا * صباح فى صباح فى صباح

(ومما قيل فى العيون) قال الاصمعى ماوصف أحد العيون بمثل ماوصف أحمد بن الرقاع فى قوله

وكأنما دون النساء اعارها * عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس تلاعبت * فى جفنه سنة وليس بنائم

وقال ابن المعتز

عليم بما تحت العيون من الهوى * سريع بكسر اللحظ والقلب جازع
فيجرح أحشائى بعين مريضة * كما لان متن السيف والحد قاطع

وقال الاخطل

ولا تلمم بدار بني كليب * ولا تقرب لها أبدا رجالا
ترى فيها بوارق مرهفات * يكدن يكدن بالحرق الرجالا

وقال أبو فراس واحسن

وبيض بالحاظ العيون كأنما * هززن سيوفا واستللن خناجرا
تصدين لي يوما بمنعرج اللوى * فغادرن قلبي بالتصبر غادرا
سفرن بدورا وانتقبن أهلة * ومسن غصونا والتفتن جآذرا

وقال آخر

ومريض جفن ليس يصرف طرفه * نحو امرئ الارماه بحتفه
قد قلت اذا أبصرته متمايلا * والردف يجذب خصره من خلفه
يامن يسلم خصره من ردفه * سلم فؤاد محبه من طرفه

وقال أبو هفان

أخو دنف رمته فاقصدته * سهام من جفونك لاتطيش
فواتك لايقال سوى احورارى * بهن ولاسوى الاهداب ريش
اصبن فؤاد مهجته فأضحى * سقيما لايموت ولا يعيش
كئيبا ان ترحل عنه جيش * من البلوى اناخ به جيوش

وقال آخر

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * فصبوا عليه الماء من شدة النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة * ولوانصفوا قالوا به أعين الانس

عز الدين الموصلي

لها عين لها غزو وغزل * مكحلة ولي عين تباكت
وحاكت في فعائلها المواضي * فيالك مقلة غزلت وحاكت

برهان الدين القيراطي

شبه السيف والسنان بعيني * من لقتلي بين الانام استحلا
فالى السيف والسنان وقالا * حدنا دون ذاك حاشى وكلا

وله أيضا

بأبي اهيف المعاطف لدن * حسد الاسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلاما * كلمتني سيوفهن بحده

بدر الدين بن حبيب

عيناه قد شهدت بأني مخطئ * وأتت بخط عذاره تذكارا
ياحاكم الحب اتئد في قتلتي * فالخط زور والشهود سكارى

جلال الدين بن خطيب داريا

شهدت جفون معذبي بملالة * مني وان وداده تكليف
لكنني لم أنأ عنه لانه * خبر رواه الجفن وهو ضعيف

وقال الشيخ عز الدين الموصلى

يامقلة الحب مهلا * فقد أخذت بثارك
وأنت ياوجنتيه * لا تحرقينى بنارك

وقال ابن الصائغ

لمثلى من لواحظها سهام * لها فى القلب فتك أى فتك
اذا رامت تشك به فؤادا * يموت المستهام بغير شك

وقال الصلاح الصفدى

ياعاذلى على عين محجبة * خف سحر ناظرها فالسحر فيه خفى
وخذ فؤادى ودعه نصب مقلتها * لاترم نفسك بين السهم والهدف

وقال آخر

بسهم أجفانه رمانى * فذبت من هجره وبينه
ان مت مالى سواه خصم * لانه قاتلى بعينه

وقال آخر

سهام الجفن كم قتلت لنفس * مبرأة من السلوى زكيه
فما أقوى جفونك وهى مرضى * وأقدرها على قتل البريه

(ومما قيل فى الخال) للصلاح الصفدى

بروحى خده المحمر أضحى * عليه شامة شرط المحبه
كأن الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

لابن الصائغ

بروحى أفدى خاله فوق خده * ومن أنا فى الدنيا فأفديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده * وأسكن كل الحسن فى ذلك الخال

للشيخ جمال الدين بن نباتة

لله خال على خد الحبيب له * فى العاشقين كما شاء الهوى عبث
أورثته حبة القلب القتيل به * وكان عهدى بأن الخال لا يرث

وقال آخر

ياسالبا قمر السماء جماله * ألبستنى فى الحزن ثوب سمائه
أحرقت قلبى فارتمى بشرارة * علقت بخدك فانطفت فى مائه

للشيخ تقى الدين بن حجة

قلت للخال اذ بدا * فى نقا جيده السعيد
فزت ياعبد قال لى * أنا عبد لكل جيد

وقال ابن أيبك

فى الجانب الايمن من خدها * نقطة مسك أشتهى شمها
حسبته لما بدا خالها * وجدته من حسنها عمها

وقال الحسين بن الضحاك

ياصائد الطير كم ذا * باللحظ تضنى وتسبى
نصبت نقطة خال * فصدت طائر قلبى

(ومما قيل فى الخدود) قال ابن المعتز

صل بخدى خديك تلق عجيبا * من معان يحار فيها الضمير
فبخديك للربيع رياض * وبخدى للدموع غدير

وقال آخر

ورد الخدود ونرجس اللحظات * وتصافح الشفتين فى الخلوات
شئ أسر به وأعــــلم انه * وحياته أحلى من اللذات

(ومما قيل فى الثغور) قال يوسف بن مسعود الصواف

بروحى من ولى فولى بمهجتى * وولى منامى وهو كالوصل شارد
حمى ثغره منى بسيف لحاظه * وحتام يحمى ثغره وهو بارد

وقال آخر

أنفقت كنز مدامعى فى ثغره * وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة * فقضى وراح تغزلى فى البارد

وقال آخر

رأى ثغر من أهوى عذولى فقال لى * ولم يدران اللوم فى خده يغرى
شغلت بهذا وارتبطت بحسنه * وأحسن ما كان الرباط على ثغر

وقال ابن ريان

لاحت على مبسمه المشتهى * ثلاث شامات غدت فى التئام
لاتعجبوا ان كثرت حوله * فالمنهل العذب كثير الزحام

(ومما قيل فى طيب الريق والنكهة) قال ذو الرمة

اسيلة مجرى الدمع هيفاء طفلة * عروب كإيماض الغمام ابتسامها
كأن على فيها وماذقت طعمه * زجاجة خمر طاب فيها مدامها

قال شهاب الدين الكردى

ذكرت ريح حبيبى * بشرب راح تعطر
وليس ذا بعجيب * فالشئ بالشئ يذكر

غيره

رشفت ريقك حلوا * ولم يكن لى صبر
وسوف أحظى بوصل * فأول الغيث قطر

اصلاح الصفدى

نقل الاراك بان ريقة ثغره * من قهوة مزجت بماء الكوثر
قد صح مانقل الاراك لانه * يرويه نصا عن صحاح الجوهرى

وقال

وقال آخر

ثلاث تجمعن فى ثغرها * ملاح أدلتها واضحه
فان قيل ماهى قل لى أقل * هى الطعم واللون والرائحه

وقال اخر

يارب ممتنع الوصال محجب * بستوره كالبدر بين غيومه
دارت مراشفه علىّ وكاسه * فسكرت فى الحالين من خرطومه

وقال آخر

أريقا من رضابك أم رحيقا * رشفت فكدت منه لن أفيقا
وللصهباء أسماء ولكن * جهلت بأن فى الاسماء ريقا

(ومما قيل فى حسن الحديث) قال البحترى

ولما التقينا والنقا موعد لنا * تعجب رائى الدر حسنا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

وقال سلم الخاسر

ظللنا فبتنا عند أم محمد * بيوم ولم نشرب شرابا ولا خمرا
اذا صمتت عنا ضجرنا لصمتها * وان نطقت هاجت لالبابنا سكرا

وقال ابن الرومى

يمسى ويصبح معرضا فكأنه * ملك عزيز قاهر سلطانه
ليست اساءته بناقصة له * در يساقطه الى لسانه

وما أحسن هذه الابيات وهى من طارف الشعر ووافره وناقده وجيد الكلام وبارع الوصف

وكل حديث الناس الاحديثها * رجيع وفيما حدثتك الطرائف
جرحن بأعناق الظباء وأعين الـ * جآذر وارتجت بهن الروادف
رجحن بأرداف ثقال وأسوق * جذال وأعضاء عليها المطارف

(ومما قيل فى رقة البشرة) قال ابن المعتز

نضت عنها القميص لصب ماء * فورّد خدها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرّت * بمعتدل أرق من الهواء
ومدت راحة كالماء منها * الى ماء معتد فى اناء
فلما ان قضت وطرا وهمت * على عجل الى أخذ الرداء
رأت شخص الرقيب على تدان * فأسبلت الظلام على الضياء
فغاب الصبح منها تحت ليل * وظل الماء يقطر فوق ماء

وقال آخر

تغير عن مودّته وحالا * وكان مواصلا فطوى الوصالا
وعلمه التدلل كيف هجرى * فليت الوصل كان له دلالا
ترى من فوق حقويه قضيبا * اذا ماحركته خطاه مالا

اذا كلمه أثرت فيه * وان حركته فالجرسالا

وقال بشار

وما ظفرت عيني غداة لقيتها * بشيء سوى اطرافها والمحاجر

كحوراء من حور الجنان غريرة * يرى وجهه في وجهها كل ناظر

ومنه أخذ ابونواس قوله

نظرت الى وجهه نظرة * فابصرت وجهي في وجهه

وقال آخر

توهمه قلبي فأصبح خده * وفيه مكان الوهم من نظري أثر

ومر بفكري جسمه فجرحته * ولم أر جسما قط تجرحه الفكر

وقال آخر

سقى الله روضا قد تبدى لناظر * به شادن كالغصن يلهو ويمرح

وقد نضحت خداه من ماء ورده * وكل اناء بالذى فيه ينضح

وقال آخر

وأهيف قده كسى احمرارا * وحاز الحسن فهو بلا شبيه

فلو أخجلته بالقول جهدى * لحمرة خده ما بان فيه

(ومما قيل في التقبيل) لمظفر الاعمى

قبلته فتلظى جمر وجنته * وفاح من عارضيه العنبر العبق

وحال بينهما ماء ولا عجب * لا ينطفى ذا ولا ذا منه يحترق

وقال آخر

سألته في ثغره قبلة * فقال ثغرى لم يجز لثمه

فهاكها في الخد واقنع بها * ما قارب الشيء له حكمه

وقال صاحب حماة

قال الذى تيمني * قولوا لمن خبلته

يروم مني قبلة * لومات ما قبلته

الشيخ عز الدين الموصلي

كالزرد المنظوم اصداغه * وخده كالورد لما ورد

بالغت في اللثم وقبلته * في الخد تقبيلا يفك الزرد

وقال آخر

رأيت الهلال على وجهه * فلم أدر أيهما أنور

سوى ان ذاك بعيد المزار * وهذا قريب لمن ينظر

وذاك يغيب وذا حاضر * وما من يغيب كمن يحضر

ونفع الهلال قليل لنا * ونفع الحبيب لنا أكثر

وقال ابن صابر

قبلت

قبلت وجنته فألفت جيده * خجلا وماس بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكي الطل فوق الآس
فكأنني استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من انفاسي

وقال آخر

قبلت رجل حبيبي * فازور واحمر خدا
وقال قاسم رجلي * لقد تنازلت جدا
فقلت ما جئت بدعا * ولا تجاوزت حدا
رجل سعت بك نحوي * حقوقها لا تؤدى

ومما قيل في الوجه الحسن ابن نباته

انسية في مثال الجن تحسبها * شمسا بدت بين تشريق وتغميم
شقت لها الشمس ثوبا من محاسنها * فالوجه للشمس والعينان للريم

عبد الله بن أبي خبيص

تصد من غير علة * بالعز أضحت مدله
كأنها حين تدنو * شمس عليها مظله
وان أضاءت بليل * تفوق نور الاهله

وقال آخر

* اقسم بالله وآياته * ما نظرت عيني الى مثله *
ولا بدا وجهه طالعا * الا سألت الله من فضله

وقال آخر

أقيمي مكان البدر ان افل البدر * وقومي مقام الشمس قد أمها الفجر
ففيك من الشمس المنيرة نورها * وليس لها منك التبسم والثغر

عمر بن أبي ربيعة

ذات حسن ان تغب شمس الضحى * فلنا من وجهها عنها خلف
أجمع الناس على تفضيلها * وهواهم في سوى هذا اختلف

أخذ أبو تمام هذا المعنى فرده الى المدح فقال

لو أن اجماعنا في فضل سودده * في الدين لم يختلف في الامة اثنان

وقال آخر

يا مفردا في الحسن والشكل * من دل عينيك على قتلي
البدر من شمس الضحى نوره * والشمس من نورك تستملي

وقال آخر

ففي اربع مني حلت منك اربع * فما أنا أدري أيها هاج لي كربي
أوجهك في عيني أم الريق في فمي * أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي

فلما سمعه اسحق بن يعقوب الكندي قال هذا تقسيم فلسفي وجعله العلوي خمسة فقال

وفي خمسة مني حلت منك خمسة * فريقك منها في فمي طيب الرشف
ووجهك في عيني ولمسك في يدي * ونطقك في سمعي وعرفك في أنفي

ابن نباتة

أيها العاذل الغبي تأمل * من غدا في صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين * ان في الليل والنهار عجائب

محمود المخزومي

رأيتك في الشمس المنيرة غدوة * فكنت على عيني أبهى من الشمس
لانك تزهو ان بدا الليل بهجة * وشمس الضحى ليست تضيء اذا تمسي

وقال آخر

اذا احتجبت لم يكفك البدر وجهها * وتكفيك فقد البدر ان غرب البدر
وحسبك من خمر مذاقة ريقها * ووالله ما من ريقها حسبك الخمر

ومما قيل في البنان المخضب قال ابن الرومي

وقفت وقفة بباب الطاق * ظبية من مخدرات العراق
بنت سبع واربع وثلاث * أسرت قلب صبها المشتاق
قلت من أنت يا غزال فقالت * انا من لطف صنعة الخلاق
لا ترم وصلنا فهذا بنان * قد صبغناه من دم العشاق

وقال الراضي بالله

قالوا الرحيل فانشبت اظفارها * في خدها وقد اعتلقت خطابها
فظننت ان بنانها من فضة * قطفت بنور بنفسج عنابها

وقال آخر

لما اعتنقنا للوداع واعربت * عبراتنا عنا بدمع ناطق
فرقن بين محاجر ومعاجر * وجمعن بين بنفسج وشقائق

وقال آخر

* ولما تلاقينا رأيت بنانها * مخضبة تحكي عصارة عندم
فقلت خضبت الكف بعدي أهكذا * يكون جزاء المستهام المتيم
فقالت وأذكت في الحشى لاعج الجوى * مقالة من بالود لم يتبرم
بكيت دما يوم النوى فمسحته * بكفي فاحمرت بناني من دمي

وقال آخر

دنون عشية التوديع مني * ولي عينان بالدم تجريان
فلم يمسحن اكراما جفوني * ولكن رمن تخضيب البنان

ومما قيل في النحور قال دعبل

أتاح لك الهوى بيضا حسانا * تباهي بالعيون وبالنحور
نظرت الى النحور فكدت تقضي * فكيف اذا نظرت الى الخصور

ومما

ومما قيل فى نعت النهود قال العباس بن الاحنف

والله لو أن القلوب كقلبها * مارق للولد الضعيف الوالد
جال الوشاح على قضيب زانه * تفاح صدر ماحوته ناهد

وقال آخر

ومحبوبة عند الوداع رأيتها * تنشف دمعا بالرداء الممسك
وتبكى حذار البين منها بدمعة * تسيل على الخدين فى حسن مسلك
فتحسب مجرى الدمع من وجناتها * بقية طل فوق ورد ممسك
وقد سفرت عن غرة بابلية * وصدر به نهد بحق مفكك

عمر بن كلثوم

تراك اذا دخلت على خلاء * قد امنت عيون الكاشحينا
لنهد مثل حق العاج حسنا * حصينا من اكف اللامسينا

وقال آخر

بصدرها كوكبا درّ كانهما * ركنان لم يدنسا من لمس مستلم
صانتهما بستور من غلائلها * فالناس فى الحل والركنان فى الحرم

وقال آخر

صدور فوقهن حقاق عاج * ودرّ زانه حسن اتساق
تقول الناظرون اذا رأوه * أهذا الحلى من هذى الحقاق
وماتلك الحقاق سوى ثدى * جعلن من الحقاق على وفاق
نواهد لايعدّ لهن عيب * سوى منع المحب من العناق

وقال آخر

لقد فتكت عيون الغيد فينا * ببيض مرهفات وهى سود
وتطعننا القدود اذ التقينا * بسمر من اسنتها النهود

ومما قيل فى الارداف والخصور قال ابن الرومى

وشربت كاس مدامة من كفها * مقرونة بمدامة من ثغرها
وتمايلت فضحكت من أردافها * عجبا ولكنى بكيت لخصرها

الطنبغا الحاربى

ردفه زاد فى الثقالة حتى * أقعد الخصر والقوام السويا
نهض الخصر والقوام وقالا * ضعيفان يغلبان قويا

وقال آخر

ياخصره كم جفاه * نهدى وأنت نحيل
ياردفه ملت عنى * ماأنت الا ثقيل

القيراطى

بدت روادف بدرى * تحت الحنين لعينى

فقلت يابدر هـذا * حقا خيال الحبيب

وقال آخر

اسائلها أين الوشاح وقد سرت * معطلة منه معطرة النشر
فقالت وأومت للسوار فحانه * الى معصمى لماتلقلق فى خصرى

وقال آخر

بيض وسمر مقلتاه وقده * بدر وليل وجنتاه وشعره
اقسى من الحجر الأصم فؤاده * وارق من شكوى المتيم خصره

وقال آخر

رخميات المقال مـدللات * جواعل فى الثرى قصبا خدالا
جمعن فخامة وخلوص جيد * وقدا بعد ذلك واعتدالا

ومما قيل فى المعاصم قال عمر بن أبى ربيعة

حسروا الوجوه بأذرع ومعاصم * ورنوا بنجل للقلوب كوالم
حسروا الاكمة عن سواعد فضة * فكأنما انتصبت متون صوارم

ومما قيل فى اعتدال القوام قال صلاح الدين الصفدى

تقول له الاغصان مـذ هز عطفه * أتزعم ان اللين عندك ماثوى
فقم نحتكم للروض عند نسيمه * ليقضى على من مال منا الى الهوى

وقيل ليس لأحد من شعراء العرب فى نعت محاسن النساء من الاوصاف البارعة مع جودة السبك ورقة اللفظ مالذى الرمة حتى كأنه حضرى من أهل المدن لا من أهل الوبر وقال القاضى مجد الدين بن مكانس

أقول لحبى قم ومل يامعذبى * كميلة خود غير السكر حالها
ولا تله عن شئ اذا ماحكيتها * فقام كغصن البان لينا ومالها

وقال آخر

ومحكم اعطافه * فى قتل صب ماغوى
فاعجب لعادل قده * فى النفس يحكم بالهوى

وقال آخر

ومهفهف عنى يميل ولم يمل * يوما الى فضحت من الم الجوى
لم لا تميل الى ياغصن النقا * فأجاب كيف وأنت من اهل الهوى

ومما قيل فى الساق قال ذو الرمة

لم أنسه اذ قام يكشف عامدا * عن ساقه كاللؤلؤ البراق
لا تعجبوا ان قام فيه قيامتى * ان القيامة يوم كشف الساق

وقال آخر

جاءت بساق أبيض أملس * كلؤلؤ يبدو لعشاقها
فافتتنت فيها جميع الورى * وقامت الحرب على ساقها

قال

قال ابن منقذ

بدر ولكنه قريب * ظبي ولكنه أنيس
ان لم يكن قده قضيبا * فما لأعطافه تميس

ومما قيل فى مشى النساء قال بعضهم

يهززن للمشى اطرافا مخضبة * هز الشمال ضحى عيدان نسرين
أو كاهتزاز رديني تداوله * أيدى الرجال فزاد المتن فى اللين

وقال آخر

يمشين مشى قطا البطاح تأودا * قب البطون رواجح الأكفال
فكأنهن اذا أردن زيارة * يقلعن أرجلهن من أوحال

ومما قيل فى العناق وطيبه لابن المعتز

ما اقصر الليل على الراقد * وأهون السقم على العائد
كأننى عانقت ريحانة * تنفست فى ليلها البارد
فلو ترانا فى قميص الدجى * حسبتنا فى جسد واحد

وقال آخر

وموشح نازعت فضل وشاحه * وأعرته من ساعدى وشاحا
بات الغيور يشق جلدة وجهه * وأمال أعطافا على ملاحا

وقال ابن المعدل

أقول وجنح الدجى مسبل * والليل فى كل فج يد
ونحن ضجيعان فى مسجد * فلله ما ضمنا المسجد
أيا غد ان كنت لى محسنا * فلا تدن من ليلتى يا غد
ويا ليلة الوصل لا تقصرى * كما ليلة الهجر لا تنفد

وقال آخر

وليل رقيق الطرتين تقلمت * كواكبه من بدره المتألق
لهونا بغزلان الصريمة تحته * تميت الهوى ما بين صدر ومرفق

وقال ابن المعتز

وكم عناق لنا وكم قبل * مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهى خائفة * من النواطير يانع الرطب

وقال ديك الجن

ومعدولة مهما أمالت ازارها * فغصن وأما قدها فقضيب *
لها القمر السارى شقيق وانها * لتطلع أحيانا له فيغيب *
أقول لها والليل مرخ سدوله * وغصن الهوى غض النبات رطيب
لأنت المنى يا زين كل مليحة * وأنت الهوى ادعى له فأجيب *

وقال على بن الجهم

سقى الله ليلا ضمنا بعد فرقة * وأدنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الخمر فيما بيننا لم تسرب

وقال آخر

ياليل دم لى لا أريد براحا * حسبى بوجه معذبى مصباحا
حسبى به نورا وحسبى ريقه * خمرا وحسبى خده تفاحا
حسبى بضحكه اذا استضحكته * مستغنيا عن كل نجم لاحا
طوقته طوق العناق بساعد * وجعلت كفى للثام وشاحا
هذا هو اليوم النعيم نخلنا * متعانقين فلا نريد براحا

وقال آخر

ولم أنس ضمى للحبيب على رضا * ورشفى رضابا كالرحيق المسلسل
ولا قوله لى عند تقبيل خده * تنقل فلذات الهوى فى التنقل

(ومما قيل فى السمن) قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول ما رأيت سمينا عاقلا الا محمد بن الحسن قال الشاعر

لا أعشق الابيض المنفوخ من سمن * لكننى أعشق السمر المهازيلا
انى امرؤ أركب المهر المضمر فى * يوم الرهان وغيرى يركب الفيلا

(ومما قيل فى مدح الالوان والثياب) مدح البياض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البياض نصف الحسن وكان صلى الله عليه وسلم أبيض ازهر اللون مشربا بحمرة قال الشاعر

بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شم الانوف من الطراز الاول

ومما قيل فى مدح السواد قيل لبعضهم ما تقول فى السواد قال النور فى السواد أراد بذلك نور العينين فى سوادهما وقال بعضهم

قالوا تعشقتها سوداء قلت لهم * لون الغوالى ولون المسك والعود
انى امرؤ ليس شأن البيض مرتفعا * عندى ولو خلت الدنيا من السود

وقال الحيقطان

لئن كنت جعد الرأس واللون فاحم * فانى بسيط الكف والعرض أزهر
وان سواد اللون ليس بضائرى * اذا كنت يوم الروع بالسيف اخطر

دخل ابراهيم بن المهدى على المأمون فقال انك لم الخليفة الاسود فقال ابراهيم نعم فتمثل المأمون بيت نصيب فقال

ان كنت عبدا فنفسى حرة كرما * او اسود اللون انى أبيض الخلق

ثم قال ياعم اخرجنا الهزل الى الجد فأنشد ابراهيم

ليس يزرى السواد بالرجل الشهم * ولا بالفتى الاريب الاديب
ان يكن للسواد فيك نصيب * فبياض الاخلاق منك نصيبى

وقال آخر

لام العواذل فى سوداء فاحمة * كأنها فى سواد القلب تمثال
وهام بالخال اقوام وما علموا * انى أهيم بشخص كله خال

وقيل لمدنى كيف رغبتم فى السواد فقال لو وجدنا بيضاء لسودناها وقال آخر

يكون الخال فى خد قبيح * فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام ذو عشق على من * يراها كلها فى الخد خالا

وقال آخر

فاستحسنوا الخال فى خد فقلت لهم * انى عشقت مليحا كله خال

وكان أبو حاتم المدنى ينشد

ومن يك معجبا ببنات كسرى * فانى معجب ببنات حام

وتفاخرت حبشية ورومية فقالت الرومية أنا حبة كافور وأنت عدل فحم فقالت الحبشية أنا حبة مسك وأنت عدل ملح وقد قال الشاعر

أحب لحبها السودان حتى * احب لحبها سود الكلاب

وقال آخر

أشبهك المسك واشبهته * قائمة فى لونه قاعده
لاشك اذلونكما واحد * أنكما من طينة واحده

ومما قيل فى الصفرة قال الشاعر

اصفراء كان الهجر منك مزاحا * ليالى كان الود منك مباحا
كأن نساء الحى مادمت فيهم * قباحا فلما غبت صرن ملاحا

وقال آخر

قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ماذاك من عيب به نزلا
عيناه مطلوبة فى ثار من قتلت * فلست تلقاه الاخائفا وجلا

ومما قيل فى طول اللحية قيل ان اللحية الطويلة عش البراغيث ونظر يزيد الشيبانى الى رجل ذى لحية عظيمة تلتف على صدره واذا هو خاضب فقال له ياهذا انك من لحيتك فى مؤنة فقال أجل ولذلك أقول

لها درهم للدهن فى كل جمعة * وآخر للحناء يبتدران
ولولا نوال من يزيد بن مزيد * لأصبح فى حافاتها الجلمان

وقال اسحق بن خلف فى قصير طويل اللحية

ماشبت داود فاستضحكت من عجب * كأنه والديعشى بمولود
ما طول داود الا طول لحيته * يظن داود فيها غير موجود

وقال ابن المقفع

تأملت أسواق العراق فلم أجد * دكاكينهم الا عليها المواليا
جلوسا عليها ينفضون لحاهم * كما نفضت عجف البغال المخاليا

ومما جاء فى عظم الخلقة والطول والقصر قيل خرب القهندر فبرزت منه جماجم اموات

فتصدعت جمجمة فانتثرت اسنانه فوزنت السن منه فكان وزنها أربعة أرطال فاتى بها الى ابن المبارك فجعل يقلبها ويتعجب من عظمها ثم قال

اذا ما تذكرت أجسامهم * تصاغرت النفس حتى تهون

وأراد ملك الروم أن يباهى أهل الاسلام فبعث الى معاوية برجلين احدهما طويل والثانى قصير شديد القوة فدعا للطويل بقيس بن سعد بن عبادة فنزع قيس سراويله ورمى بها اليه فلبسها الطويل فبلغت ثديه فلاموا قيسا على نزع السراويل فقال

أردت لكيما يعلم الناس انها * سراويل قيس والوفود شهود
وكى لا يقولوا خان قيس وهذه * سراويل عاد أحرزتها ثمود
وانى من القوم اليمانين سيد * وما الناس الا سيد ومسود

ثم دعا معاوية للرجل الشديد فى قوته بمحمد بن الحنفية فخيره بين أن يقعد فيقيمه أو يقوم فيقعده فغلبه فى الحالتين وانصرفا مغلوبين وقيل كان سلمة بن مرة الناموسى اسر امرأ القيس بن النعمان اللخمى الملك وكان الناموسى قصيرا مقتحما واللخمى طويلا جسيما فقالت بنت امرئ القيس ياهذا القصير أطلق أبى فسمعها سلمة بن مرة فقال

لقد زعمت بنت امرئ القيس اننى * قصير وقد أعيا أباها قصيرها
ورب طويل قد نزعت سلاحه * وعانقته والخيل تدمى نحورها

وقالوا عظم اللحية يدل على البله وعرضها على قلة العقل وصغرها على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة فى حجمها تدل على الفطنة وحسن الخلق والمروأة والتى يطول تحديقها تدل على الحمق والتى تكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر على الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان (ومما قيل فى القبح والدمامة) أراد رجل أن يكتب كتابا لبعض أصحابه فلم يجد من يرسله معه الا رجلا وحش الصورة بشع المنظر فلم يقدر على تحليته لفرط دمامته فكتب الى صاحبه يأمل بهذا الكتاب آية من آيات الله تعالى وقدره فدعه يذهب الى نار الله وسقره ومر أبو الاسود الدؤلى بمجلس ابنى بشير فقال بعض فتيانهم كأن وجهه وجه عجوز راحت الى أهلها بطلاقها وقال الجاحظ ما أخجلنى قط الا امرأة مرت بى الى صائغ فقالت له اعمل مثل هذا فبقيت مبهوتا ثم سألت الصائغ فقال هذه امرأة أرادت أن أعمل لها صورة شيطان فقلت لا أدرى كيف أصوره فأتت بك الى لاصوره على صورتك وفى الجاحظ يقول الشاعر

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا * ما كان الا دون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بوجهه * وهو القذى فى عين كل ملاحظ

ولو أن مرآة جلت تمثاله * ورآه كان له كأعظم واعظ

وقال الاصمعى رأيت بدوية من أحسن الناس وجها ولها زوج قبيح فقلت ياهذه اترضين أن تكونى تحت هذا فقالت ياهذا لعله أحسن فيما بينه وبين ربه فجعلنى ثوابه وأسأت فيما بينى وبين ربى فجعله عذابى أفلا أرضى بما رضى الله به وحج مخنث فرأى رجلا قبيح الوجه يستغفر

فقال

فقال يا حبيبي ما أراك أن تدخل بهذا الوجه على جهنم وقال بعضهم لرجل طلع لي دمّل في أقبح المواضع فقال له كذبت هذا وجهك ليس فيه شئ وخرج رجل قبيح الوجه الى المتجر فدخل اليمن فلم ير فيها أحسن منه وجها فقال

لم أر وجها حسنا * مذ دخلت اليمنا
فيا شقاء بلدة * أحسن من فيها أنا

وخطب رجل عظيم الانف امرأة فقال لها قد عرفت انى رجل كريم المعاشرة محتمل المكاره فقالت لا شك فى احتمالك المكاره مع حملك هذا الانف أربعين سنة وقال الشاعر فى رجل كبير الانف

لك وجه وفيه قطعة أنف * كجدار قد أدعموه بنغله
وهو كالقبر فى المثال ولكن * جعلوا نصبه على غير قبله

وقال آخر

لك أنف أنوف * أنفت منه الانوف
أنت فى القدس تصلى * وهو فى البيت يطوف

ومما جاء فى الثقلاء قال مطيع بن اياس

قلت لعباس أخينا * يا ثقيل الثقلاء
أنت فى الصيف سموم * وجليد فى الشتاء
أنت فى الارض ثقيل * وثقيل فى السماء

ومما جاء فى الملابس وألوانها والعمائم ونحوها قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال تعالى يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وقال صلى الله عليه وسلم تعمموا تزدادوا جمالا وقال صلى الله عليه وسلم العمائم تيجان العرب وكان الزبير بن العوام يقاتل يوم بدر وعليه عمامة صفراء فنزلت الملائكة وعليهم عمائم صفر قد أرخوها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن ابن عوف الى دومة الجندل فتخلف عن الجيش وأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه عمامة سوداء من خز فنقضها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعممه بيده وأسدلها بين كتفيه قدر شبر وقال هكذا اعتم يا ابن عوف وبعث ملك الروم الى النبى صلى الله عليه وسلم جبة ديباج فلبسها ثم كساها عثمان وكان سعيد بن المسيب يلبس الحلة بألف درهم ويدخل المسجد فقيل له فى ذلك فقال انى أجالس ربى وقيل المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة وقيل البس البياض والسواد فان الدهر هكذا بياض نهار وسواد ليل

ومما قيل فى لبس السواد قول أبى قيس

رأيتك فى السواد فقلت بدرا * بدا لى فى ظلمة الليل البهيم
وألقيت السواد فقلت شمس * محت بشعاعها ضوء النجوم

وقدم تاجر الى المدينة يحمل من خمر العراق فباع الجميع الا السود فشكى الى الدارمى ذلك وكان الدارمى قد تنسك وتعبد فعمل بيتين وأمر من يغنى بهما فى المدينة وهما هذان البيتان

قل للمليحة فى الخمار الاسود * ماذا فعلت بزاهد متعبد
قد كان شمر للصلاة ازاره * حتى قعدت له بباب المسجد

قال فشاع الخبر فى المدينة ان الدارمى رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم يبق فى المدينة مليحة الا اشترت لها خمارا أسود فلما أنفد التاجر ما كان معه رجع الدارمى الى تعبده وعمد الى ثياب نسكه فلبسها وقال آخر فى لابسة الاحمر

وشمس من قضيب فى كثيب * تبدت فى لباس جلنارى
سقتنى ريقها صرفا وحيت * بوجنتها فهاجت جل نارى

وقال آخر فى لابسة ثوب خمرى

فى ثوبها الخمرى قد أقبلت * بوجنة حمراء كالجمر
فملت سكرا حين أبصرتها * لاتنكروا سكرى من الخمر

وقال الصنوبرى فى لابسة أخضر

وجارية أدبتها الشطاره * ترى الشمس من حسنها مستعاره
بدت فى قميص لها أخضر * كما ستر الورق الجلناره
فقلت لها ما اسم هذا اللباس * فأبدت جوابا لطيف العباره
شققنا مرائر قوم به * فنحن نسميه شق المراره

وقال حكيم لابنه اياك ان تلبس ما يديم الملك نظره اليك به واعلم ان الوشى لا يلبسه الا الأحمق أو ملك وعليك بالبياض وقيل لباس البخلاء الاستبرق لطول بقائه ولباس المترفين السندس لقلة بقائه ولباس المقتصدين الديباج لتوسط بقائه وقال بعض الامراء لحاجبه أدخل على عاقلا فأتاه برجل فقال بم عرفت عقله فقال رأيته يلبس الكتان فى الصيف والقطن فى الشتاء والملبوس فى الحر والجديد فى البرد وقيل كان لابرويز عمامة طولها خمسون ذراعا اذا اتسخت ألقاها فى النار فيحترق الوسخ ولا تحترق وكان له رداء حسن يتلون كل ساعة ومرا ويل بجوهر وتكة من أنابيب الزمرذ وقيل الاقبية لباس الفرس والقراطق لباس الهند والازر لباس العرب وسئل بعض العرب عن الثياب فقال الصفر أشكل والحمر أجمل والخضر أقبل والسود أهول والبيض أفضل وقال أفلاطون الصبغ الشقائقى والروائح الزعفرانية تسكن الغضب والصبغ الياقوتى والروائح الوردية تحرك السرور واذا قرب اللون الاحمر الى اللون الاصفر تحركت القوة العشقية واذا امتزجت الحمرة بالصفرة تحركت القوة الغريزية واذا امتزجت التفاحية بالحمرة تحركت الطبائع كلها وكان مصعب بن الزبير يقول لكل شئ راحة وراحة البيت كنسه وراحة الثوب طيه وقال بعض الاعراب رأيت بالبصرة برودا كأنما نسجت بأنواع الربيع ودخل بعض العذريين على معاوية وعليه عباءة فازدراه فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لاتكلمك وانما يكلمك من فيها

ومما قيل فيمن رذل لبسه وعرف نفسه قال الاصمعى رأيت اعرابيا فاستنشدته فانشدنى أبياتا وروى أخبارا فتعجبت من حاله وسوء حاله فسكت سكتة ثم قال

أأخى ان الحادثا * ت عركننى عرك الاديم
لاتنكرن ان قد رأيـ * ـت أخاك فى طمرى عديم

ان كان أثوابى رثا * ث فانهن على كريم

قال بعضهم وقيل للشافعى رحمه الله

عــــلى ثياب لو تقاس جميعها * بفلس لكان الفلس منهــن أكثرا
وفيهــن نفس لو يقاس ببعضها * نفوس الورى كانت أجل وأكبرا
وما ضر نصل السيف اخلاق غمده * اذا كان عضبا حيث وجهه برى

ودخل بعضهم على الرشيد فازدراه فانشده

ترى الرجل النحيف فتزدريه * وفى أثوابه أسـد هصور
ويعجبك الطـرير فتبتليه * فيخلف ظنك الرجل الطرير
لقـد عظم البعـير بغير لب * فلم يستغن بالعظم البعـير
يصرّفه الصبى بغير وجه * ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى * فلا عار عليـه ولا نكير
فان اك فى شراركم قليلا * فانى فى خياركم كثير

ويقال كل ما تشتهيه نفسك والبس ما تشتهيه الناس وقد نظمه من قال

انّ العيون رمتك اذ فاجأتها * وعليك من سهو الثياب لباس
أما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت * واجعل لباسك ما اشتهته الناس

وفى هذا القدر كفاية والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السابع والاربعون فى التختم والحلىّ والمصوغ والطيب والتطيب وما أشبه ذلك

(ماجاء فى التختم) عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتختم فى يمينه وقبض عليه الصلاة والسلام والخاتم فى يمينه قال بعض من مدحه عليه الصلاة والسلام

كف الرسالة ليس يخفى حسنها * وتمام حسن الكف لبس الخاتم

وذكر السلامى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى يمينه والخلفاء بعده فنقله معاوية رضى الله عنه الى اليسار وأخذ الاموية بذلك ثم نقله السفاح الى اليمين فبقى الى أيام الرشيد رضى الله عنه فنقله الى اليسار وأخذ الناس بذلك وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم تختموا بخواتيم العقيق فانه لا يصيب أحدكم غم مادام عليه ذلك وبلغ عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه انّ ابنه اشترى فص خاتم بألف دينار فكتب اليه عزمت عليك الا ما بعت خاتمك بألف دينار وجعلتها فى بطن جائع واستعمل خاتما من ورق وانقش عليه رحم الله امرأ عرف نفسه وكان خاتم على رضى الله عنه من ورق ونقشه نعم القادر الله وكان لابى نواس خاتمان أحدهما عقيق مربع وعليه مكتوب

تعاظمنى ذنبى فلما قرنته * بعفوك ربى كان عفوك أعظما

والآخر حديد صينى عليه أشهد أن لا اله الا الله مخلصا وأوصى عند موته أن يغسل الفص ويجعل فى فمه قال جعفر بن محمد رضى الله عنه ما افتقرت يد تختمت بخاتم فيروزج وقيل الخواتم أربعة الياقوت للعطش والفيروزج للمال والعقيق للسنة والحديد الصينى للحرز

وقيل للخوف والله أعلم

(ذكر ما جاء في الحلي) قيل ان قرطي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية كان فيهما درتان كبيض الحمام لم ير مثلهما ولم يدر قيمتهما وقال محمد بعثني يوسف بن عمر الى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كفي كانت للرائقة جارية خالد بن عبد الله القسري اشتراها بثلاثة وسبعين ألف دينار وحبة لؤلؤ أعظم ما يكون من الحب فدخلت عليه بهما فقال اكتب معك بوزنهما فقلت يا أمير المؤمنين هما أعظم من أن يكتب بوزنهما فقال صدقت وبعث معاوية الى عائشة رضي الله تعالى عنها طوقا من ذهب فيه جوهرة قومت بمائة ألف دينار فقسمته بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان ملك العرب كلما مرت عليه سنة من سني ملكه زيدت في تاجه خرزة وكان يقال لها خرزات الملك

(ذكر ما جاء في الطيب والتطيب) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب الطيب المسك وعن عائشة رضي الله عنها قالت كأني أنظر الى وبيص الطيب في مفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم وعن سهل بن سعد يرفعه ان في الجنة لمراحي من مسك مثل مراحي دوابكم هذه وعن أنس رضي الله عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام عندنا فعرق فجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ وقال يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين فقالت هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب وعن عمر رضي الله عنه قال لو كنت تاجرا ما اخترت على العطر ان فاتني ربحه لم يفتني ريحه وناول المتوكل فتى فارة المسك فقال

لئن كان هذا طيبا وهو طيب * لقد طيبته من يديك الانامل

واهدى عبد الله بن جعفر لمعاوية قارورة من الغالية فسأله كم أنفق عليها فذكر مالا جزيلا فقال هذه غالية فسميت بذلك وشمها مالك بن سليمان بن خارجة من أخته هند بنت أسماء فقال علميني كيف تصنعين طيبك فقالت لا أفعل تريدان تعلمه جواريك هولاك مني كما أردنه ثم قالت والله اني ما تعلمته الا من شعرك حيث تقول

أطيب الطيب عرف أم أبان * فار مسك بعنبر مسحوق

قال أبو قلابة كان ابن مسعود رضي الله عنه اذا خرج من بيته الى المسجد عرف جيران الطريق انه مر من طيب ريحه وعن الحسن بن زيد الهاشمي عن أبيه قال رأيت ابن عباس رضي الله عنه يطلي جسده فاذا مر في الطريق قال الناس أمر ابن عباس أم مر المسك وعنه عن أبيه قال رأيت ابن عباس رضي الله عنهما حين أحرم والغالية على صدغيه كأنها لزقة وقال أبو الضحى رأيت على رأس الزبير من المسك مالو كان لي لكان رأس مالي وقيل لما بني عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بفاطمة بنت عبد الملك أسرج في مسارجه تلك الليلة بالغالية وقال الشعبي الرائحة الطيبة تزيد في العقل وقال علي كرم الله وجهه تشمموا النرجس ولو في العام مرة فان في قلب الانسان حالة لا يزيلها الا النرجس وكان الشعبي يقول اذا ورد الورد صدر البرد وكانت الصحابة رضي الله عنهم يستحبون اذا قاموا من الليل أن يمسوا لحاهم بالطيب وكان من اختلف في طرقات المدينة وجد عرفا طيبا قيل ولذلك سميت طيبة وأقول والله ما طابت طيبة الا بالطيب الطاهر صلى الله عليه وسلم وما

أحسن ما قيل

اذا لم أطب فى طيبة عند طيب * به طيبة طابت فأين أطيب

وقيل ان فارة المسك دويبة شبيهة بالخشف تصاد لسرتها فاذا اصادها الصياد عصب السرة بعصابة شديدة فيجتمع فيها دمها ثم يذبحها ثم يأخذ السرة فيدفنها فى الشعير حتى يستحيل الدم المجتمع فيها مسكا ذكيا بعد أن كان لا يرام نتنا وقد يوجد بجرذان سود يقال لها فارات المسك ليس عندها الا رائحة لازمة لها (وحكى) أن العنبر يأتى على طفاوة الماء لا يدرى أحد معدنه فلا يأكله شئ الا مات ولا ينقره طائر الا بقى منقاره فيه ولا يقع عليه حيوان الا نصلت أظفاره فيه والبحار والعطارون ربما وجدوا أظفارا فيه وقال الزمخشرى عفا الله عنه سمعت ناسا من أهل مكة يقولون هو من زبد بحر سرنديب وأجود العنبر الاشهب ثم الازرق وأدونه الاسود وفى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ليس فى العنبر زكاة انما هو شئ نثره البحر وأما العود فأجوده المندلى وهو منسوب الى مندل قرية من قرى الهند وأجوده أصلبه وامتحان رطبه أن تطبع فيه نقش الخاتم فان انطبع فرطب والا فلا ومن خصائصه أن رائحته تطبع فى الثوب اسبوعا فلا يقمل ما دامت فيه وأما الكافور فهو ماء شجر بجزيرة الكافور يحزونه بالحديد فاذا خرج ظاهرا وضربه الهواء انعقد كالصموغ الجامدة على الاشجار وأما الند فمصنوع وهو العود المستقطر والعنبر واللبان

لو كنت أحمل خمرا حين زرتكم * لم ينكر الكلب أنى صاحب الدار

لكن أتيت وريح المسك يقدمنى * والعنبر الند مشبوب على النار

وكانت ملوك الفرس تأمر برفع الطيب أيام الورد وكان المتوكل يلبس أيام الورد الثياب المورّدة ويفرش الورد فى مجلسه ويطيب جميع آلاته بالورد وقال الحسن بن سهل أمّهات الرياحين تقوى بأمهات الطيب فالنرجس يقوّى بالورد والورد يقوّى بالمسك والبنفسج يقوّى بالعنبر والريحان يقوّى بالكافور والنسرين يقوى بالعود وقال جالينوس المسك يقوّى القلب والعنبر يقوى الدماغ والكافور يقوّى الرئة والعود يقوّى المعدة والغالية تحلل الزكام والصندل يحلل الأورام وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تردّوا الطيب فانه طيب الريح خفيف المحمل تخير بعض الامراء وعنده أعرابى ففرطت من الامير ريح خفيفة فأراد أن يعلم هل فطن بها الاعرابى أم لا فقال ما أطيب هذا المثلث قال نعم ولكنك ربعتها وقال الاحنف ان شم رائحة المسك يحيى القلب وقال سلمة لابن عباس وعنده جعفر بن سليمان ماشممت أذكى من ريح مسك شممته من الناس الاريح كفك أطيب فأمر له بألف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثامن والاربعون فى الشباب والصحة والعافية وأخبار المعمرين وما أشبه ذلك وفيه فصول

(الفصل الاول فى الشباب وفضله) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ما بعث الله نبيا الا شابا ولا أوتى العلم عالم الا شابا ثم تلا هذه الآية قالوا سمعنا فتى يذكرهم

يقال له ابراهيم وقد أخبر الله تعالى به ثم آتى يحيى بن زكريا الحكمة قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا وقال تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف وقال تعالى انهم فتية آمنوا بربهم وقال تعالى واذ قال موسى لفتاه وقال أنس رضى الله عنه قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد على جميع الانصار وكبار المهاجرين على حداثة سنة وعتاب بن أسيد ولاه مكة وبها أكابر قريش وعبد الله بن عباس على جلالة قدره وحفظه من العلم وقال بعض البلغاء الشباب باكورة الحياة وأطيب العيش أوائله كما أن أطيب الثمار بواكيرها والشباب أبلغ الشفعاء عند النساء وأكثر الوسائل لقلوبهن ولذلك قال الشاعر

أحلى الرجال مع النساء مواقعا * من كان أشبههم بهن خدودا

ومابكت العرب على شئ مابكت على الشباب ولو لم يكن هذا الشباب حمدا وزمانه حميدا لوسامة صورته وبهجة منظره وجمال خلقته واعتدال قامته لما جاور الله فى جنات خلده شبابا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جردا مردا أبناء ثلاثين وقد جاء فى ذلك أشياء كثيرة ليس هذا موضع بسطها

(الفصل الثانى فى الشيب وفضله) أول من شاب سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام وفى الخبر أن الله تعالى يقول الشيب نورى وأنا أستحى أن أحرقه بنارى وعن جعفر ابن محمد عن أبيه قال جاء رجلان الى النبى صلى الله عليه وسلم شيخ وشاب فتكلم الشاب قبل أن يتكلم الشيخ فقال عليه السلام كبر كبر وبهذه الرواية من وقر كبيرا لكبر سنه آمنه الله من فزع يوم القيامة وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى وعزتى وجلالى وفاقة خلقى الى انى لأستحى من عبدى وأمتى يشيبان فى الاسلام أن أعذبهما ثم بكى فقيل له ما يبكيك يا رسول الله قال أبكى ممن يستحى الله منه وهو لا يستحى من الله وقال من بلغ ثمانين من هذه الامة حرمه الله على النار وقال اذا بلغ المؤمن ثمانين سنة فانه أسير الله فى الارض تكتب له الحسنات وتمحى عنه السيئات وقيل كان الرجل فيمن كان قبلكم لا يحتلم حتى يبلغ ثمانين سنة وقال ابن وهب ان أصغر من مات من ولد آدم ابن مائتى سنة فبكته الانس والجن لحداثة سنه وقال النخعى كان يقال اذا بلغ الرجل أربعين سنة على خلق لم يتغير عنه حتى يموت وعن ابن عباس رضى الله عنهما رفعه من أتى عليه أربعون سنة ثم لم يغلب خيره على شره فليتجهز الى النار وعن أنس رضى الله عنه قال قال ملك الموت لنوح عليه السلام يا أطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا ولذتها قال كرجل دخل فى بيت له بابان فقام وسط البيت ساعة ثم خرج من الباب الثانى ويقال أطع أكبر منك ولو بليلة وقال عبد العزيز بن مروان من لم يتعظ بثلاث لم ينته بشئ الاسلام والقرآن والشيب قال الشاعر

يا عامر الدنيا على شيبه * فيك أعاجيب لمن يعجب
ما عذر من يعمر بنيانه * وعمره منهدم يخرب

وقال الشعبى الشيب علة لا يبعد منها ومصيبة لا يعزى عليها وقال الفرزدق

ويقول كيف يميل مثلك للظبا * وعليك من عظم المشيب عذار
والشيب ينقص فى الشباب كأنه * ليل يصيح بجانبيه نهار

وقال أبو دلف فى بياض اللحية

تكونى هم لبيضاء نابته * لها بغضة فى مضمر القلب ثابته
ومن عجب انى اذا رمت قصها * قصصت سواها وهى تضحك نابته

وقال أيضا

أرى شيب الرجال من الغوانى * بمبلغ شيبهن من الرجال

وقال ابن المعتز

فظللت أطلب وصلها بتذلل * والشيب يغمزها بان لا تفعلى

قيل صاح شاب بشيخ أحدب بكم ابتعت هذا القوس يا عماه فقال يابنى انى أعطيتها بغير ثمن ومر رجل أشمط بامرأة عجيبة فى الجمال فقال ياهذه ان كان لك زوج فبارك الله لك فيه والا فأعلمينا فقالت كأنك تخطبنى قال نعم فقالت ان فى عيبا قال وما هو قالت شيب فى رأسى فثنى عنان دابته فقالت على رسلك فلا والله مابلغت عشرين سنة ولا رأيت فى رأسى شعرة بيضاء ولكننى أحببت أن أعلمك انى أكره منك مثل ماتكره منى فأنشد ويقال انه لابن المعتز

رأين الغوانى الشيب لاح بعفرقى * فأعرضن عنى بالخدود النواضر

وقال آخر

سألتها قبلة يوما وقد نظرت * شيبى وقد كنت ذامال وذا نعم
فأعرضت وتولت وهى قائلة * لا والذى أوجد الاشياء من عدم
ما كان لى فى بياض الشيب من أرب * أفى الحياة يكون القطن حشو فمى

وقال آخر

قالت أرى مسكة الشعر البهيم غدت * كافورة قد أحالتها يد الزمن
فقلت طيب بطيب والتنقل فى * معادن الطيب أمر غير ممتهن
قالت صدقت وما أنكرت ذاك بذا * المسك للشم والكافور للكفن

وقال آخر

قالت أراك خضبت الشيب قلت لها * سترته عنك ياسمعى ويابصرى
فقهقهت ثم قالت من تعجبها * تكاثر الغش حتى صار فى الشعر

وقال ابن نباتة

تبسم الشيب بوجه الفتى * يوجب سح الدمع من جفنه
وكيف لايبكى على نفسه * من ضحك الشيب على ذقنه

وقال ابن المعتز

فما أقبح التفريط فى زمن الصبى * فكيف به والشيب فى الرأس شامل.

وكان المأمون يتمثل بقول الشاعر

رأت وضحا فى الرأس منى فراعها * فريقان مبيض به وبهيم
تفاريق شيب فى السواد لوامع * فيا حسن ليل لاح فيه نجوم

ويقال فى الرجل اذا شاب ابله عرس وصبحه تنفس

اذا نازع الشيب الشباب فاصلتا * بسيفيهما فالشيب لاشك غالب

وقال آخر

الا ان شيب العبد من نقرة القفا * وشيب كرام الناس شيب المفارق

وقال العتبى

قالت عهدتك مجنونا فقلت لها * ان الشباب جنون برؤه الكبر

وقال على بن ربيع

كبرت ودق العظم منى وعقنى * بنىّ وزالت عن فراشى العقائد
وأصبحت أعشى أخبط الارض بالعصا * يقوّدنى بين البيوت الولائد

وقال آخر

عريت من الشباب وكنت غصنا * كما يعرى من الورق القضيب
ونحت على الشباب بدمع عينى * فما نفع البكاء ولا النحيب
فياليت الشباب يعود يوما * فأخبره بما فعل المشيب

وقال ابن النقيب

وكم كان من عين على وحافظ * وكم كان من واش لها ورقيب
فلما بدا شيبى اطمأنت قلوبهم * ولم ينظرونى واكتفوا بمشيبى

وقال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله ماشبهت الشباب الا كشئ كان فى كمى فسقط قال الشاعر

شيآن لو بكت الدماء عليهما * عيناك حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

وقال الجاحظ

أترجو أن تكون وأنت شيخ * كما قد كنت فى زمن الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب * دريس كالجديد من الثياب

(وماجاء فى الخضاب) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالخضاب فانه أهيب لعدوكم وأعجب لنسائكم وعن أبى عامر الانصارىّ رضى الله عنه رأيت أبابكر الصديق رضى الله عنه يغير بالحناء والكتم وقيل خضاب الحناء يصفى البصر ويذهب بالصداع ويزيد فى الباه (بيت)

تسوّد أعلاها وتأبى أصولها * وليس الى ردّ الشباب سبيل

وقيل وفد عبد المطلب بن هاشم على سيف بن ذى يزن فقال له لو خضبت شعرك فلما رجع الى مكة اختضب فقالت امرأته نبيلة ما أحسن هذا الودام فقال

ولودام لى هذا الخضاب حمدته * وكان بديلا من خليل قد انصرم
تمتعت منه والحياة قصيرة * ولابد من موت نبيلة أوهرم

وقال آخر

يا خاضب الشيب الذى * فى كل ثالثة يعود
ان الخضاب اذا نضا * فكأنه شيب جديد
فدع المشيب وما يريـ * ـد فلن يعود كما تريد

وقال محمود الوراق

خانتك الشباب واستحى منه * اذا سامتك لحيتك الخضابا

(الفصل الثالث فى العافية والصحة) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك انتهت الأمانى يا صاحب العافية وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له ألم أصح بدنك وأروك بالماء البارد وقال على رضى الله عنه فى قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم هو الامن والصحة والعافية وعن ابن عباس رضى الله عنهما يسأل الله العباد عن الأبدان والأسماع والابصار فيم استعملوها وهو أعلم بذلك وقال ابن عيينة من تمام النعمة طول الحياة فى الصحة والأمن والسرور وقالت عائشة رضى الله عنها لو رأيت ليلة القدر ماسألت الله الا العفو والعافية وقال قبيصة بن ذؤيب كنا نسمع نداء عبد الملك بن مروان من وراء الحجرة فى مرضه يا أهل النعم لا تستقلوا شيأ من النعم مع العافية ويقال البصر لاجوارله والملك لاصديق له والعافية لاثمن لها قال ابن الرومى

اذا ما كساك الدهر سربال صحة * ولم تخل من قوت يحل ويشرب
فلا تغبطن أهل الكثير فانما * على قدر ما يعطيهم الدهر يسلب

ويقال صحة الجسم أوفر القسم وذكر بعضهم العافية فقال وأى وطاء وأى غطاء وقال حكيم ان كان شئ فوق الحياة فالصحة وان كان شئ مثل الحياة فالغنى وان كان شئ فوق الموت فالمرض وان كان شئ مثل الموت فالفقر وقال على رضى الله عنه ما المبتلى الذى اشتد به البلاء بأحوج الى الدعاء من المعافى الذى لا يامن البلاء وقيل ان فأرة البيوت رأت فارة الصحراء فى شدة ومحنة فقالت لها ما تصنعين ههنا اذهبى معى الى البيوت التى فيها أنواع النعيم والخصب فذهبت معها واذا صاحب البيت الذى كانت تسكنه قد هيألها الرصد لبنة تحتها شحمة فاقتحمت لتأخذ الشحمة فوقعت عليها اللبنة فحطمتها فهربت الفارة البرية وهزت رأسها متعجبة وقالت أرى نعمة كثيرة وبلاء شديدا ألا وان العافية والفقر أحب الى من غنى يكون فيه الموت ثم فرت الى البرية وكان عند رومى خنزير فربطه الى أسطوانة ووضع العلف بين يديه ليسمنه وكان بجنبه اتان لها جحش وكان ذلك الجحش يلتقط من العلف ما يتناثر فقال لامه يا أماه ما أطيب هذا العلف لو دام فقالت له يا بنى لاتقربه فان وراءه الطامة الكبرى فلما أراد الرومى أن يذبح الخنزير ووضع السكين على حلقه جعل يضطرب وينفخ فهرب الجحش وأتى الى أمه وأخرج لها أسنانه وقال ويحك يا أماه انظرى هل بقى فى خلال أسنانى شئ من ذلك العلف فاقلعه فما أحسن القنع مع السلامة والله أعلم بالصواب *(الفصل الرابع فى أخبار المعمرين فى الجاهلية والاسلام)* قال الحسن رضى

الله عنه أفضل الناس ثوابا يوم القيامة المؤمن المعمر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخياركم قالوا بلى يارسول الله قال أطولكم أعمارا فى الاسلام اذا سددوا وزعموا أن تبعا الفزارى كان من المعمرين وانه دخل على بعض خلفاء بنى أمية فسأله عن عمره فقال عشت أربعمائة وعشرين سنة فى فترة عيسى بن مريم عليه السلام فى الجاهلية وستين فى الاسلام قال له أخبرنى عما رأيت فى سالف عمرك قال رأيت الدنيا ليلة فى اثر ليلة ويوما فى اثر يوم ورأيت الناس بين جامع مال مفترق ومفرق مال مجموع وبين قوى يظلم وضعيف يظلم وصغير يكبر وكبير يهرم وحى يموت وجنين يولد وكلهم بين مسرور بموجود ومحزون بمفقود وقد قال ابن الجوزى ان آدم عليه السلام عاش ألف سنة وعاش ابنه شيث تسعمائة سنة وعاش ابنه مهلاييل ثمانمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه ادريس ثلثمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه هود تسعمائة واثنتين وستين سنة وعاش ابنه متوشلخ تسعمائة وستين سنة وأما ابنه نوح عليه السلام فروى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما انه قال عاش نوح عليه السلام ألفا وأربعمائة وخمسين عاما وأما الخضر عليه السلام واسمه خضرون فهو أطول بنى آدم عمرا وذكر أن لقمان عليه السلام عاش ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة وكانت العرب لا تعد من الاعمار الا ما بلغ مائة وعشرين سنة فما فوقها وعاش اكثم بن صيفى ثلثمائة وستين سنة وأدرك الاسلام وعاش سطيح سبعمائة سنة وعاش قس بن ساعدة الايادى سبعمائة سنة وكان من حكماء العرب وعاش لبيد بن ربيعة الشاعر مائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام وعاش دريد بن الصمة مائة وسبعين سنة حتى سقط حاجباه على عينيه وأدرك الاسلام ولم يسلم ومن المعمرين عدى بن حاتم الطائى وزهير بن جنادة عاشا مائتين وعشرين سنة ومن المعمرين ذو الاصابع العذرى عاش مائتين وعشرين سنة وهو أحد حكماء العرب فى الجاهلية ومن المعمرين عمرو بن معديكرب الزبيدى ومن المعمرين عبد المسيح ابن نفيلة عاش ثلثمائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام * وقد رأيت رجلا من أهل محلة مسير بالغربية وذكر أنه بلغ من العمر مائة وأربعين سنة وأن امرأته بلغت من العمر كذلك ولقد رأيت منه مالم أر من بعض شبان هذا العصر فى القوة وشدة البأس ورأيت له ولدا شيخا هو أشد قوة من ولده وذلك فى صفر سنة تسع وعشرين وثمانمائة والله سبحانه وتعالى أعلم

(الباب التاسع والاربعون فى الاسماء والكنى والالقاب وما استحسن منها)

فأشرف الاسماء وأعظمها بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى هل تعلم له سميا وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفع قرطاسا من الارض مكتوبا عليه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا له ولاسمه عن أن يداس كان عند الله من الصديقين وخفف عنه وعن والديه العذاب وان كانا مشركين وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يرن ابليس لعنه الله قط الا ثلاث رنات رنة حين لعن وأخرج من ملكوت السموات والارض ورنة حين ولد محمد صلى الله عليه وسلم ورنة حين أنزلت سورة الحمد وفى أولها بسم الله الرحمن

الرحيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم وان أمتى يأتون يوم القيامة يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فتثقل حسناتهم فى الميزان فتقول الامم ما أثقل موازين أمة محمد فتقول الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابتداء كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء الله تعالى لو وضعت فى كفة الميزان ووضعت سيآت الخلق فى كفة لرجحت كفة الاسماء (وأما) الاسماء والكنى ففى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أسمائكم الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة * وينبغى أن تنادى من لا تعرف اسمه بعبارة لطيفة لا يتأذى بها ولا يكون فيها كذب كقولك يا فقيه يا أخى يا فقير يا سيدى يا صاحب الثوب الفلانى أو البغل الفلانى أو الفرس الفلانى أو السيف الفلانى وما أشبه ذلك ودخل عبادة على المتوكل وبين يديه جام من ذهب فيه ألف مثقال فقال له أسألك عن شئ ان أجبتنى عنه ابتداء من غير أن تفكر فلك الجام بما فيه فقال سل يا أمير المؤمنين قال أسألك عن شئ له اسم ولا كنية له وعن شئ له كنية ولا اسم له قال المنارة وأبو رياح فعجب المتوكل وأعطاه الجام بما فيه وقيل لعثمان ذو النورين رضى الله عنه لانه هو ورقية كانا أحسن زوجين فى الاسلام وقيل لانه تزوج برقية ثم بأم كلثوم ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوجد من تزوج بابنتى نبى غيره وكان قتادة بن النعمان الانصارى رضى الله عنه أصيب فى عينه يوم أحد فسقطت على خده فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن وأصح من الأخرى فكانت تعتل أى ترمد عينه الباقية ولا تعتل عينه المردودة فقيل له ذو العينين وقال أبو هريرة رضى الله عنه كنيت بهرة صغيرة كنت أحملها فى حجرى فألعب بها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أبا هريرة واختلف فى اسمه فقيل عبد الرحمن وقيل عبد شمس وقيل عمير وقيل سليمان وقال الشعبى رضى الله عنه كنية الدجال أبو يوسف * ذو الشهرة أبو دجانة الانصارى رضى الله عنه كان له شهرة يلبسها بين الصفين *ذو الرياستين الفضل بن سهل لانه دبر أمر السيف والقلم وولى رياسة الجيوش والدواوين ودخل عليه شاعر يوم المهرجان وبين يديه الهدايا فقال

اليوم يوم المهرجان * هديتى فيه اللسان
للدولتان حديثة * وقديمة ورياستان
للك فى الورى من هاشم * نبت وبيت خسروان
علم الخليفة كيف أنشت فصرت فى هذا المكان

فأمر له بجميع الهدايا * المطيبون بنو عبد مناف وبنو أسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب ونعيم بن مرة والحرث بن فهر غمسوا أيديهم فى خلوق ثم تحالفوا * شيبة الحمد عبد المطلب لقب بشيبة كانت فى رأسه حين ولد قال حذافة

بنو شيبة الحمد الذى كان وجهه * يضئ ظلام الليل كالقمر البدر

وقيل له عبد المطلب لان عمه المطلب مر به فى سوق مكة مردوفا له فجعلوا يقولون من هذا الذى وراءك فيقول عبدلى * سيدنا ابو بكر الصديق رضى الله عنه اسمه عبد الله ولقباه العتيق والصديق لجماله وتصديقه بخبر الاسراء أو لانه أول من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سيدنا عمر رضى الله عنه لقب بالفاروق لانه قال يوم أسلم لا يعبد الله اليوم سرا فظهر به الاسلام وفرق بين الحق والباطل * الكامل سعد بن عبادة رضى الله عنه لانه كان يكتب ويحسن الرمى والعوم * طلحة بن عبد الله رضى الله عنه كان يقال له طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الطلحات لسخائه * رشح الحجر أبو الريان عبد الملك بن مروان لقب بذلك لبخله وبخره * عكة العسل سعيد بن العاص رضى الله عنه الحبر عبد الله بن عباس رضى الله عنه لقب بذلك لعلمه كان يقال له مرة الحبر ومرة البحر * الاشدق عمرو بن سعيد لانه كان مائل الشدق * الفياض عكرمة بن ربعى لقب بذلك لسخائه المصطلق خزيمة بن سعد الخزاعى قيل له المصطلق لحسن صوته وشدته وكان أول من غنى من خزاعة * راح يكذب لقب به المهلب لانه كان يضع الحديث أيام الخوارج فيحدث به فاذا رأوه قالوا راح يكذب * واصل الغزال كان يكثر الجلوس فى سوق الغزالين وكان يتبع العجائز فيتصدق عليهم ولم يكن غزالا * سليمان التيمى كان داره ومسجده فى بنى تميم ولم يكن منهم وهو شيبانى أبو عمرو الشيبانى لم يكن من بنى شيبان وانما كان يعلم يزيد بن مزيد الشيبانى * اليزيدى كان يعلم يزيد بن منصور الحميرى فنسب اليه * ذو القروح امرؤ القيس كان ملك الروم كساه الحلة المسمومة فقرحته وقالوا لم تكن الكنى لاحد من الامم الا للعرب وهى مفاخرهم وقال بعضهم

أكنيه حين أناديه لاكرمه * ولا ألقبه والسوءة اللقب

وقيل فى قوله تعالى فقولا له قولا لينا أى كنياه ولما ضرب موسى عليه السلام البحر ولم ينفلق أوحى الله تعالى اليه أن كنه فقال انفلق أبا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وأما الالقاب) فقد قال الله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان سماه الله تعالى فسوقا واتفق العلماء رضى الله عنهم على جواز ذلك على وجه التعريف لمن لا يعرف الا بذلك كالاعمش والاعمى والاعرج والاحول والافطس والاقرع ونحو ذلك وقيل من المشاهير فى الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم يزل فى الامم كلها يجرى فى المخاطبات والمكاتبات من غير نكير غير أنها كانت تطلق على حسب الموسومين وأما ما استحسن من تلقيب السفلة بالالقاب العلية حتى زال الفضل وذهب التفاوت وانقلب النقص والشرف شرعا واحدا فنكر وهب أن العذر مبسوط فى ذلك فما العذر فى تلقيب من ليس من الدين فى دبير ولا قبيل ولا له فيه ناقة ولا فصيل بل هو مجتو على ما يضاد الدين وينافى كمال الدين وشرف الاسلام وهى لعمر الله الغصة التى لا تساغ والغبن الذى يعجز الصبر دونه فلا يستطاع نسأل الله تعالى اعزاز دينه واعلاء كلمته وان يصلح فسادنا ويوقظ غافلنا * الرجل يكنى باسم والده والمرأة كذلك واذا كنوا من لم يكن له ولد فعلى جهة التفاؤل وبناء الامر على رجاء أن يعيش فيولد له وقد يكنون بما يلائم المكنى من غير الاولاد كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى على رضى الله عنه أبو تراب وذلك انه نام فى غزوة ذى العشيرة فذهب به النوم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متمرغ فى التراب فقال له اجلس أبا تراب وكان أحب أسمائه اليه وكقولهم أبى لهب لحمرة خديه ولونه وقال الزمخشرى رحمه الله تعالى وسمعتهم يكنون الكبير الرأس والعمامة بأبى الرأس

وابى

وأبي العمامة وسمعت العرب ينادون الطويل اللحية يا أبا الطويلة وسمعت عرب البصرة يكنون باسماء بناتهم كأبي زهو وأبي سلطانة وأبي ليلى ونحو ذلك ولا حرج في ذلك وقد تكنى جماعة من أفاضل الصحابة بأبي فلانة منهم سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه كان له ثلاث كنى أبو عمرو وأبو عبد الله وأبو ليلى ومنهم أبو امامة وأبو رقية تميم الدارى وأبو كريمة المقداد بن معديكرب وكثير من الصحابة ومن التابعين رضوان الله عليهم أجمعين أبو عائشة مسروق بن الاجدع وكان لأنس أخ صغير وله نغير يلعب به فمات فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه حزينا فقال ما شأنه فقالوا مات نغيره فقال يا أبا عمير مافعل النغير ونظر المأمون الى غلام حسن في الموكب فسأله عن اسمه فقال لا أدرى فقال

تسميت لا أدرى فانك لا تدرى * بما فعل الحب المبرح فى صدرى

وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سميتم الولد محمدا فأكرموه ووسعوا له فى المجلس ولا تقبحوا له وجها وعنه ما من قوم كان بينهم مشورة فحضر معهم من كان اسمه محمد أو أحمد فأدخلوه فى مشورتهم الا كان خيرا لهم وما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمد أو أحمد الا قدس الله ذلك المنزل فى كل يوم مرتين كل ذلك ببركة هذا الاسم الشريف (ومما) جاء فى مدح الاسماء منظوما ما قال بعضهم فى مليح اسمه ابراهيم

رأيت حبيبى فى المنام معانقى * وذلك للمهجور مرتبة علياء
وقد رق لى من بعد هجر وقسوة * وما ضر ابراهيم لو صدق الرؤيا

وفيه أيضا

لا زال بابك كعبة محجوجة * وترابها فوق الجباه وسيم
حتى ينادى فى البقاع باسرها * هذا المقام وأنت ابراهيم

وفيه أيضا

يا سمى الخليل ان فؤادى * فيه من لوعة الغرام جحيم
وعجيب يا قاتلى ان قلبى * فيه نار وانت فيه مقيم

ولبعضهم فى مليح اسمه عمر

يا أعدل الناس اسما كم تجور على * فؤاد مضناك بالهجران والبين
أظنهم سرقوك القاف من قمر * وأبدلوها بعين خيفة العين

وفيه أيضا

ما عليهم فى الهوى لو نظروا * حين سموك فقالوا عمر
أبدلوا قافك عينا غلطا * أخطؤا ما أنت الا القمر

ولبعضهم فى مليح حامل شمعة موقودة اسمه عثمان

وافى الى بشمعة وضياؤها * وضياؤه حكيا لنا القمرين
ناديته ما الاسم با كل المنى * فأجابنى عثمان ذو النورين

ولبعضهم فى مليح اسمه يوسف

يا من سبى الشعر امثل عذاره * النجم يشهد لى بأنى مدنف
صيرت قلبى من صدودك فاطرا * فامنن على بزورة يا يوسف

للصفي الحلي فيمن اسمه داود

وثقت بان قلبي من حديد * وفيه على الهوى بأس شديد
فلان على هواك ولا عجيب * اذا داود لان له الحديد

وله فيمن اسمه موسى

أتى موسى بآية خال خد * حوته صوارم الحدق المراض
فآية ذا بياض في سواد * وآية ذا سواد في بياض
فجاء بضد ما قد جاء موسى * كليم الله في الحقب المواضي

وللقيراطي في مليح اسمه بدر

سموه بدرا وذاك لما * ان فاق في حسنه وتما
وأجمع الناس اذ رأوه * بأنه اسم على مسمى

ولمؤلفه رحمه الله في قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني

وعظ الانام امامنا الحبر الذي * سكب العلوم كبحر فضل طافح
فشفى القلوب بعلمه وبوعظه * والعلم يشفي ان يكن من صالح

وتوجهت مرة الى بلقاج لاجتمع بالحاج خليل بن منصور في ضرورة فلم أجده ولم يقم أحد من اخوته بقضاء ما توجهت بسببه فقلت

خصال خليل كلهن حميدة * وأوصافه تزري بكل جميل
فلا خير في بلقاج ان لم يكن بها * ولا خير في الدنيا بغير خليل

وقال آخر في مقبل

يا من تحجب عن محب صادق * مازال عنه كل يوم يسأل
من لي بيوم فيه تسمح باللقا * ويقال لي هذا حبيبك مقبل

ولبعضهم في مليح اسمه محسن

واهيف يعلو على عشاقه * برتبة من الجمال نالها
واسمه وهو الحبيب محسن * وكم دموع في الهوى اسالها

صفي الدين الحلي في اسم حسين

حبيبي وافر والشوق مني * طويل والهوى عندي مديد
وأعجب انني أهوى حسينا * وشوقي في محبته يزيد

(ومما قيل في أسماء النساء) في فاطمة

عجبت من فاتنة لم تزل * لمرتجي الوصل لها فاطمه
تنكر ما ألقاه من وجدها * وهي بشوقي والجوى عالمه

ابن مكانس في اسم عائشة

يا دهر خبرني بحقك واشفني * فسهام فكري في أمورك طائشه
ايحل اني في المحبة ميت * وحبيبتي من بعد موتي عائشه

شمس الدين البديري في اسم حليمة

ولما رأتني في هواها متيما * أكابد من حر الغرام أليمه

فجادت بطيب الوصل منها ولم تجر * ومن أين تدرى الجور وهى حليمه

ولبعضهم فى اسم بركة دوبيت

لما نصب الهوى لقلبى شركه * ناديت وقلبى تارك من تركه
يا قلب أفق ولا تمل للشركه * تغنيك سنين ساعة من بركه

مردوف أيضا

لما نصب الهوى لقلبى شركه * فى كل طريق
ناديت وقلبى تارك من تركه * لو كان يفيق
يا قلب أفق ولا تمل للشركه * ما الشرك يليق
تغنيك سنين ساعة من بركه * عن كل صديق

ولو تتبعت هذا المعنى لاحتجت الى مجلدات ولكن فيما ذكرته كفاية والله الموفق وأسأله العناية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الخمسون فيما جاء فى الاسفار والاغتراب وما قيل فى الوداع والفراق والحث على ترك الاقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنين اليه

(أما ما جاء فى الاسفار والحث على ترك الاقامة بدار الهوان فقد) قال الله تعالى هو الذى جعل لكم الارض ذلولا الآية وفى الاثر سافروا وتغنموا وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لاصبح الناس على ظهر سفر وهو ميزان الاخلاق ان الله بالمسافر رحيم ويقال الحركة ولود والسكون عاقر وقال حكيم السفر يسفر عن اخلاق الرجال وكان بعضهم يريد السفر فيمنعه والده اشفاقا عليه فقال يوما

ألا خلنى أمضى لشانى ولا أكن * على الاهل كلا ان ذا لشديد
تهيبنى ريب المنون ولم أكن * لاهرب عما ليس منه محيد
فلو كنت ذا مال لقرب مجلسى * وقيل اذا أخطأت أنت رشيد
فدعنى أجول الارض عمرى لعله * يسر صديق أو يغاظ حسود

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ولا تطوى بالنهار وقال كعب بن مالك رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن يسافر الرجل فى غير رفقة وقال صلى الله عليه وسلم الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب وقال صلى الله عليه وسلم اذا خرج ثلاثة فى ركب فليؤمروا أحدهم وقيل أغار حذيفة بن بدر على هجان النعمان بن المنذر بن ماء السماء وسار فى ليلة مسافة ثمانى ليال فضرب به المثل وقال قيس بن الحطيم

هممنا بالاقامة ثم سرنا * مسير حذيفة الخير بن بدر

وسار ذكوان مولى عمر رضى الله عنه من مكة الى المدينة فى يوم وليلة وقال المأمون لاشئ ألذ من السفر فى كفاية وعافية لانك تحل كل يوم فى محلة لم تحل فيها وتعاشر قوما لم تعرفهم (ومما قيل فى ترك الاقامة بدار الهوان) قال الفرزدق

وفى الارض عن دار القلى متحول * وكل بلاد أوطنتك بلاد

وقال آخر

وما هي الا بلدة مثل بلدتي * خيارهما ما كان عونا على دهري

وقال آخر

واذا البلاد تغيرت عن حالها * فدع المقام وبادر التحويلا

ليس المقام عليك فرضا واجبا * في بلدة تدع العزيز ذليلا

وقال الصفي الحلي

تنقل فلذات الهوى في التنقل * ورد كل صاف لا تقف عند منهل

ففي الارض أحباب وفيها منازل * فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل

ولا تستمع قول امرئ القيس انه * مضل ومن ذا يهتدي بمضال

وقال عبد الله الجعدي

فان تجف عني أو تزرني اهانة * أجد عنك في الارض العريضة مذهبا

(ومما قيل في الوداع والفراق والشوق والبكاء) قال جرير

لو كنت أعلم ان آخر عهدكم * يوم الرحيل فعلت مالم أفعل

وقيل لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ما كان جدك صانعا في قوله فعلت مالم أفعل قال كان يقلع عينيه حتى لا يرى مظعن أحبابه ثم أنشد يقول

وما وجد مغلول بصنعاء موثق * بساقيه من ماء الحديد كبول

قليل الموالي مسلم بجزيرة * له بعد نومات العيون اليل

يقول له الحداد أنت معذب * غداة غد أو مسلم فقتيل

بأكبر مني لوعة يوم راعني * فراق حبيب ما اليه سبيل

وقال الشاعر

وما أم خشف طول يوم وليلة * بلقعة بيداء ظمآن صاديا

تهيم ولا تدري الى أين تبتغي * موالهة حزنا تجوز الفيافيا

أضر بها حر الهجير فلم تجد * لغلتها من بارد الماء شافيا

اذا ابعدت عن خشفها انعطفت له * فألفته ملهوف الجوانح طاويا

بأوجع مني يوم شدوا حمولهم * ونادى منادي البين أن لا تلاقيا

وقال عبد العزيز الماجشون وهو من فقهاء المدينة قال لي المهدي يا ماجشون ما قلت حين فارقت أحبابك قال قلت يا أمير المؤمنين

لله باك على أحبابه جزعا * قد كنت أحذر هذا قبل أن يقعا

ما كان والله شؤم الدهر يتركني * حتى يجرعني من بعدهم جرعا

ان الزمان رأى الف السرور لنا * فدب بالبين فيما بيننا وسعى

فليصنع الدهر بي ماشاء مجتهدا * فلا زيادة شيء فوق ما صنعا

فقال والله لاعيننك فأعطاه عشرة آلاف دينار وقال آخر

وقفت يوم النوى منهم على بعد * ولم أودعهم وجدا واشفاقا

اني خشيت على الاظعان من نفسي * ومن دموعي احراقا واغراقا

وقال عمر بن أحمد

أتى الرحيل لحين جد ترحلت * مهج النفوس له من الاجساد
من لم يبت والبين يصدع قلبه * لم يدر كيف تفتت الاكباد

وحكى بعضهم قال دخلنا الى دير هرقل فنظرنا الى مجنون فى شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له أحسنت فأومأ بيده الى حجر يرمينا به وقال أمثلى يقال أحسنت فقررنا منه فقال أقسمت عليكم الامارجعتم حتى أنشدكم فان انا أحسنت فقولوا أحسنت وان أنا أسأت فقولوا أسأت فرجعنا اليه فأنشد يقول

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهمو * وحملوها وسارت بالدمى الابل
وقلبت بخلال السجف ناظرها * ترنو الى ودمع العين ينهمل
وودعت ببنان زانه عنم * ناديت لاحملت رجلاك ياجمل
ياحادى العيس عرج كى أودعهم * ياحادى العيس فى ترحالك الاجل
انى على العهد لم أنقض مودتهم * ياليت شعرى لطول البعد مافعلوا

فقلنا له ماتوا فقال والله وأنا أموت ثم شهق شهقة فاذا هو ميت رحمه الله تعالى وقال آخر

لما علمت بأن القوم قد رحلوا * وراهب الدير بالناقوس مشتغل
شبكت عشرى على رأسى وقلت له * ياراهب الدير هل مرت بك الابل
فحن لى وبكى بل رق لى ورثى * وقال لى يافتى ضاقت بك الحيل
ان الخيام التى قد جئت تطلبهم * بالامس كانوا هنا والآن قد رحلوا

وقال الشيخ الاكبر سيدى محيى الدين بن عربى رحمه الله تعالى

ما رحلوا يوم ساروا البذل العيسا * الا وقد حملوا فيها الطواويسا
من كل فاتكة الالحاظ مالكة * تخالها فوق عرش الدر بلقيسا
اذا تمشت على صرح الزجاج ترى * شمسا على فلك فى حجر ادريسا
اسقفة من بنات الروم عاطلة * ترى عليها من الانوار ناموسا
وحشية مالها أنس قد اتخذت * فى بيت خلوتها للذكر ناووسا
ان أومأت تطلب الانجيل تحسبهم * قساقسا أو بطاريقا شماميسا
ناديت اذ رحلوا للبين ناقتها * ياحادى العيس لاتحدو بها العيسا
عبيت اجناد صبرى يوم بينهم * على الطريق كراديسا كراديسا
ساروا وأصبحت أنعى الربع بعدهمو * والوجد فى القلب لاينفك مفروسا

وقال آخر

*ولما تبدت للرحيل جمالنا * وجد بنا سير وفاضت مدامع*
*تبدت لنا مذعورة من خبائها * وناظرها باللؤلؤ الرطب دامع*
*أشارت باطراف البنان وودعت * وأومت بعينيها متى أنت راجع*
*فقلت لها والله مامن مسافر * يسير ويدرى مابه الله صانع*
فشالت نقاب الحسن من فوق وجهها * فسالت من الطرف الكحيل مدامع

وقالت الهى كن عليه خليفة * فيارب ماخابت لديك الودائع

وقال آخر

يا راحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقياك يتفق
ما أنصفتك دموعى وهى دامية * ولا وفى لك قلبى وهو يحترق

وقال البغدادى

قالت وقد نالها للبين أوجعه * والبين صعب على الاحباب موقعه
اجعل يديك على قلبى فقد ضعفت * قواه عن حمل ما فيه وأضلعه
واعطف على المطايا ساعة فعسى * من شت شمل الهوى بالبين يجمعه
كأننى يوم ولت حسرة وأسى * غريق بحر يرى الشاطى ويمنعه

وقال ابن البديرى

*قفا حاديا ليلى فانى وامق * ولا تعجلا يوما على من يفارق*
*وزما مطاياها قبيل مسيرها * ليلتذ منها بالتزود عاشق*
ولا تزجرا بالسوق اظعان عيسها * فان حبيبى للظعائن سائق
ولما التقينا والغرام يذيبنا * ونحن كلانا فى التفكر غارق
وقفنا ودمع العين يحجب بيننا * تسارقنى فى نظرة وأسارق
فلا تسألا عما حل بالبين بيننا * ولا تعجبا أنا مشوق وشائق

وقال أيضا

تذكرت ليلى حين شط مزارها * وعادت منازلها خليات بلقع
بكيت عليها والقنا يقرع القنا * وسمر العوالى للمنايا تشرع
وخالفت لوامى عليها وعذلى * وحالفت سهدى والخليون هجع
ولم أستطع يوم النوى رد عبرة * فؤادى أسى من حرها يتقطع
فقال خليلى اذ رأى الدمع دائما * يفيض دما من مقلتى ليس يدفع
لئن كان هذا الدمع يجرى صبابة * على غير ليلى فهو دمع مضيع

وقال آخر

مددت الى التوديع كفا ضعيفة * وأخرى على الرمضاء فوق فؤادى
فلا كان هذا آخر العهد منكمو * ولا كان ذا التوديع آخر زادى

وقال آخر

ولما وقفنا للوداع عشية * وطرفى وقلبى دامع وخفوق
بكيت فأضحكت الوشاة شماتة * كأنى سحاب والوشاة بروق

ولمؤلفه رحمه الله تعالى

يا سادة فى سويد القلب مسكنهم * وفى منامى أرى أنى اعانقهم
أوحشتمونا وعز الصبر بعدكمو * يا من يعز علينا أن نفارقهم

وقال آخر

لو أن مالك عالم بذوى الهوى * ومحله من أضلع العشاق
ما عذب العشاق الا بالهوى * واذا استغاثوا غاثهم بفراق

وقال ابن الوردى

دهرنا أضحى ضنينا * باللقا حتى ضنينا
باليالى الوصل عودى * اجمعينا أجمعينا

وقال الشريف الرضى

عللانى بذكرهم واسقيانى * وامزجا لى دمعى بكاس دهاق
وخذا النوم من جفونى فانى * قد خلعت الكرى على العشاق

وقال آخر عند ذلك

قالوا أترقد اذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعى على بصرى
ما حق طرف هدانى نحو حسنكمو * أنى أعذبه بالدمع والسهر

وقال الموصلى

فسدت لطول بعادكم احلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منام
والطيف قد وعد الجفون بزورة * ياحبذا ان صحت الاحلام

ومما قيل فى البكا قال الشاعر

رجوت طيف خياله * وكيف لى بهجوع
والذاريات جفونى * والمرسلات دموعى

وقال آخر

ارحم رحمت للوعتى * وابعث خيالك فى الكرى
ودموع عينى لا تسل * عن حالها يا ما جرى

وقال آخر

ان عينى مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد فى كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادى * لا تسل ما جرى على الخد منها

وقال آخر

ياقلب صبرا على الفراق ولو * روعت ممن تحب بالبين *
وأنت يا دمع ان ظهرت بما * أخفيه من قلبى سقطت من عينى

وقال آخر

خاض العواذل فى حديث مدامعى * لما غدا كالبحر سرعة سيره
فحبسته لاصون سر هواكمو * حتى يخوضوا فى حديث غيره

وقال ابن المواز

رحت يوم الفراق أجرى دموعى * حسرة اذ قضى الفراق ببينى
قيل كم ذا تجرى دموعك نعمى * أوقف الدمع قلت من بعد عينى .

وقال آخر

لما لبست لبعده ثوب الضنى * وغدوت من ثوب اصطباري عاريا
أجريت وقف مدامعي من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

وقال آخر

* ولم أر مثلي غارمن طول ليله * عليه كأن الليل يعشقه معي *
ومازلت أبكي في دجى الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعي

وقال الموصلي

عين أفاضت دموعي * لطول صد و بين
ووجنة الخد قالت * رأيت غسلي بعيني

وقال آخر

ومافارقت ليلى من مراد * ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل الف * اذا ماتت حبيبته بكاها

وفي بعض الكتب السماوية ان مما عاقبت به عبادي أن ابتليتهم بفراق الاحبة (ومما جاء في الحنين الى الوطن) اما محبة الوطن فمستولية على الطباع مستدعية أشد الشوق اليها روى ان أبان قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبان كيف تركت مكة قال تركت الاذخر وقد أعذق والثمام وقد أورق فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بلال رضي الله عنه

الا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بوادوحولي اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لي شامة وطفيل

وقيل من علامة الرشد أن تكون النفس الى بلدها تواقة والى مسقط رأسها مشتاقة (ومن حب الوطن ما حكي) أن سيدنا يوسف عليه السلام أوصى بأن يحمل تابوته الى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أولياءه من ذلك فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام واهلك الله تعالى فرعون لعنه الله حمله موسى الى مقابر آبائه فقبره بالارض المقدسة وأوصى الاسكندر رحمه الله تعالى أن تحمل رمته في تابوت من ذهب الى بلاد الروم حبا لوطنه واعتل سابور ذوالاكتاف وكان أسيرا ببلاد الروم فقالت له بنت الملك وكانت قد عشقته ماتشتهي قال شربة من ماء دجلة وشمة من تراب اصطخر فاتته بعد أيام بشربة من ماء وقبضة من تراب وقالت له هذا من ماء دجلة ومن تربة أرضك فشرب واشتم بالوهم فنفعه من علته وقال الجاحظ كان النفر في زمن البرامكة اذا سافر أحدهم أخذ معه من تربة أرضه في جراب يتداوى به وما أحسن ما قال بعضهم

بلاد ألفناها على كل حالة * وقد يؤلف الشئ الذي ليس بالحسن
ونستعذب الارض التي لا هواء بها * ولا ماؤها عذب ولكنها وطن

ووصف بعضهم بلاد الهند فقال بحرها در وجبالها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر وقال عبد الله بن سليمان في نهاوند أرضها مسك وترابها الزعفران وغبارها الفاكهة وحيطانها الشهد وقال الحجاج لما ولاه على أصبهان وقد وليتك على بلدة حجرها الكحل وذبابها النحل

وحشيشها الزعفران وكان يقال البصرة خزانة العرب وقبة الاسلام لانتقال قبائل العرب اليها واتخاذ المسلمين بها وطنا ومركزا وكان أبو اسحق الزجاج يقول بغداد حاضرة الدنيا وما سواها بادية وأنا أقول مصر كنانة الله فى أرضه والسلام (ومما جاء فى ذم السفر) قيل لرجل السفر قطعة من العذاب فقال بل العذاب قطعة من السفر وقال بعضهم

كل العذاب قطعة من السفر * يارب فاردد ناعلى خير الحضر

وقيل لاعرابى ما الغبطة قال الكفاية مع لزوم الاوطان ومر اياس بن معاوية بمكان فقال أسمع صوت كلب غريب فقيل له بم عرفت ذلك قال بخضوع صوته وشدة نباح غيره وأراد اعرابى السفر فقال لامرأته

عدى السنين لغيبتى وتصبرى * وذرى الشهور فانهن قصار

فاجابته

فاذكر صبابتنا اليك وشوقنا * وارحم بناتك انهن صغار

فاقام وترك السفر ويقال رب ملازم لمهنته فاز ببغيته

وقال ابن الهيثم

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

وفيما ذكرته كفاية * وأسأل الله تعالى التوفيق والهداية * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الحادى والخمسون فى ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه)

قال الله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا * وقيل الفقر رأس كل بلاء وداعية الى مقت الناس وهو مع ذلك مسلبة للمروءة مذهبة للحياء فمتى نزل الفقر بالرجل لم يجد بدا من ترك الحياء ومن فقد حياءه فقد مروأته ومن فقد مروأته مقت ومن مقت ازدرى به ومن صار كذلك كان كلامه عليه لا له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وفى الحديث لا خير فيمن لا يحب المال ليصل به رحمه ويؤدى به أمانته ويستغنى به عن خلق ربه وقال على كرم الله وجهه الفقر الموت الاكبر وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفر والفقر وعذاب القبر وقيل من حفظ دنياه حفظ الاكرمين دينه وعرضه قال الشاعر

لا تلمنى اذا وقيت الاواقى * بالاواقى لماء وجهى واقى

وقال لقمان لابنه يا بنى أكلت الحنظل وذقت الصبر فلم أر شيأ أمر من الفقر فان افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينتقصوك ولكن اسأل الله تعالى من فضله فمن ذا الذى سأل الله فلم يعطه أو دعاه فلم يجبه أو تضرع اليه فلم يكشف ما به وكان العباس رضى الله عنه يقول الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس وهو عندهم أعذب من الماء * وأرفع من السماء * وأحلى من الشهد * وأذكى من الورد * خطؤه صواب * وسيآته حسنات * وقوله مقبول * يرفع مجلسه * ولا يمل حديثه * والمفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب * وأثقل من الرصاص لا يسلم عليه ان قدم ولا يسئل عنه ان غاب * ان حضر ازدروه * وان غاب شتموه *

وان غضب صفعوه * مصافحته تنقض الوضوء * وقراءته تقطع الصلاة * وقال بعضهم طلبت الراحة لنفسى فلم أجد لها أروح من ترك مالا يعنيها وتوحشت فى البرية فلم أر وحشة أقر من قرين السوء وشهدت الزحوف وغالبت الاقران فلم أر قرينا أغلب للرجل من المرأة السوء ونظرت الى كل مايذل القوى ويكسره فلم أر شيأ أذل له ولا أكسر من الفاقة قال الشاعر

وكل مقل حين يغدو لحاجة * الى كل مايلقى من الناس مذنب
وكانت بنو عمى يقولون مرحبا * فلما رأونى معدما مات مرحب

وقال آخر

المال يرفع سقفا لاعماد له * والفقر يهدم بيت العز والشرف

وقال آخر

جروح الليالى مالهن طبيب * وعيش الفتى بالفقر ليس يطيب
وحسبك أن المرء فى حال فقره * تحمقه الاقوام وهو لبيب
ومن يغترر بالحادثات وصرفها * يبت وهو مغلوب الفؤاد سليب
وماضرنى ان قال أخطأت جاهل * اذا قال كل الناس أنت مصيب

وقال آخر

الفقر يزرى بأقوام ذوى حسب * وقد يسود غير السيد المال

وقال آخر

لعمرك ان المال قد يجعل الفتى * سنيا وان الفقر بالمرء قد يزرى
ومارفع النفس الدنية كالغنى * ولا وضع النفس النفيسة كالفقر

وقال آخر

اذا قل مال المرء لانت قناته * وهان على الادنى فكيف الاباعد

وقال ابن الاحنف

يمشى الفقير وكل شئ ضده * والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه مبغوضا وليس بمذنب * ويرى العداوة لايرى أسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة * خضعت لديه وحركت أذنابها
واذا رأت يوما فقيرا عابرا * نبحت عليه وكشرت أنيابها

وقال آخر

فقر الفتى يذهب أنواره * مثل اصفرار الشمس عند المغيب
والله ما الانسان فى قومه * اذا بلى بالفقر الا غريب

وقال آخر

ان الدراهم فى المواطن كلها * تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهى اللسان لمن أراد فصاحة * وهى السلاح لمن أراد قتالا

وقال آخر

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكلما انقلبت يوما به انقلبوا

يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهى وثبوا

وقال بعض الفرس من زعم انه لا يحب المال فهو عندى كذاب

وقال الكنانى

أصبحت الدنيا الناعبرة * فالحمد لله على ذلكا

قد أجمع الناس على ذمها * وما أرى منهم لها تاركا

وقال الزمخشرى

واذا رأيت صعوبة فى مطلب * فاحمل صعوبته على الدينار

وابعثه فيما تشتهيه فانه * حجر يلين قوة الاحجار

قال الثورى رحمه الله تعالى لان أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبنى الله عليها أحب الى من أن أحتاج الى لئيم وفى هذا المعنى قال الشاعر

احفظ عرى مالك تحظى به * ولا تفرط فيه تبقى ذليل

وان يقولوا باخل بالعطا * فالبخل خير من سؤال البخيل

واحفظ على نفسك من زلة * يرى عزيز القوم فيها ذليل

(وأما ما جاء فى الاحتراز على الاموال) فقد قالوا ينبغى لصاحب المال ان يحترز ويحتفظ عليه من المطمعين والمبرطعين والمحترفين الموهمين والمتمسين (فاما المطمعون) فهم الذين يتلقون أصحاب الاموال بالبشر والاكرام والتحية والاعظام الى أن يأنسوا بهم ويعرفوهم بالمشاهدة وربما قضوا ما قدروا عليه من حوائجهم الى أن يألفوهم ويحصل بينهم سبب الصداقة ثم ان أحدهم يذكر لصاحب المال فى معرض المقال انه كسب فائدة كثيرة فى معيشته ثم يمشى معه فى الحديث الى أن يقول انى فكرت فيما عليك من المؤن والنفقات وهذا أمر يعود ضرره فى المستقبل ان لم تساعد بالمكاسب وغرضى التقرب اليك ونصحك وخدمتك وأريد أن أوجه اليك فائدة من المتجر بشرط أن لا أضع يدى لك على مال بل يكون مالك تحت يدك أو تحت يد أحد من جهتك ويخرج له فى صفة الناصحين المشفقين فاذا أجابه الى ذلك كان أمره معه على قسمين ان ائتمنه وجعل المال بيده أعطاه اليسير منه على صفة انه من الربح وطاول به الاوقات ودفع اليه فى المدة الطويلة الشئ اليسير من ماله ثم يحتج عليه ببعض الآفات ويدعى الخسارة فان لزمه صاحب المال فاجحه وبرطل من جملة المال صاحب جاه فيدفعه ويقول هذا رابانى فان رومى صاحب المال وفق بينهما على أن يكتب عليه ببقية المال وثيقة فلا يستوفى ما فيها الا فى الآخرة وان هو لم يأتمنه وعول ان يكون القبض بيده والمتاع مخزونا لديه واطأ عليه البائعين والمشترين وحصل لنفسه وعمل ما يقول به فان حصل لصاحب المال أدنى ربح أوهمه ان مفاتيح الارزاق بيده وان كسد المشترى أو رخص أحال الامر على الاقدار وقال ليس لى علم بالغيب ومن أشد المطمعين المتعرضون لصنعة الكيمياء وهم الطماعون المطمعون فى عمل الذهب والفضة من غير معدنهما فيجب ان يحذر التقرب منهم والاستماع لهم فى شئ من حديثهم فان كذبهم ظاهر وذلك أنهم يوهمون الغير أنهم ينيلونهم خيرا ويطلعونهم على صنعتهم ابتداء منهم لا لحاجة وهذا يستحيل ويحتجون بان

مايلجئهم الى ذلك الاعدم الامكان وتعذر المكان فمنهم من يكون شوقه الى أن يدخل الى مكان ويترك عنده عدة اقامة فيأخذها ويتسحب ومنهم من يشترط أن عمله لا ينتهي الى مدة فيقنع في تلك المدة بالاكل غدوة وعشية ويسيله بعد ذلك ان كان معروفا قال قد على العمل من جهة كيت وكيت ويقول للذي ينفق عليه هل لك في المعاودة فان حمله الطمع ووافقه كان هذا له أتم غرض ثم يحتال آخر المدة على الفراق بأي سبب كان وان كان منكورا غافل صاحب المكان وخرج هاربا ومن المطمعين قوم يجعلون في الجبال أمارات من ردم وحجر ويأتون الى أصحاب الاموال ويقولون انا نعرف علم كنز فيه من الامارات كيت وكيت ثم يوقفونهم على ورقة متصنعة ويقولون نريد أن تأخذ لنا عدة وتنفق علينا ومهما حصل من فضل الله تعالى لنا ولك فيوافقهم على ذلك ويوطن نفسه على أن المدة تكون قريبة فيعملون يوما أو يومين فيظهر لهم أكثر الامارات فيزداد طمعا ويعتقد الصحة ثم يدرجونه الى أن ينفق عليهم ماشاء الله تعالى ويكون آخر أمرهم كصاحب الكيمياء وان كانوا منكورين ورغبتهم الطمعة في قماشه أو في العدة التي معه فربما قتلوه هنالك لاجل ذلك ومضوا فهذا أمر المطمعين (وأما المبرطعون) فهم من الخونة والناس بهم أكثر غررا وذلك انهم اذا ندب صاحب المال أحدا منهم لشراء حاجة سارع فيها واحتاط في جودتها وتوفير كيلها أو وزنها أو ذرعها ووضع من أصل ثمنها شيأ وزنه من عنده سرا حتى يبيض وجهه عند صاحب المال ويعتقد نصحه وأمانته ونجح مساعيه وكذلك ان ندبه لشيء يبيعه استظهر واستجاد النقد ولا يزال هكذا دأبه حتى يلقي مقاليد أموره اليه فيستعطفه ويفوزبه ثم يغير الحال الاول في الباطن فينبغي لصاحب المال أن لا يغفل عنه (وأما المحترفون الموهمون) فهم الذين يتعرضون لذوي الاموال فيظهرون لهم الغنى والكفاية ويباسطونهم مباسطة الاصدقاء ويعتمدون جودة اللباس ويستعملون كثيرا من الطيب ثم ان أحدهم يذكر أنه يربح الارباح العظيمة فيما يعانيه ويذكر ذلك مع الغير ولا يزال كذلك حتى يثبت ويستقر في ذهن صاحب المال انه يكتسب في كل سنة الجمل الكثيرة من المال وانه لا يبالي اذا أنفق أو أكل أو شرب فتشره نفس صاحب المال لذلك فيقول له على سبيل المداعبة يافلان تريد الدنيا كلها لنفسك لم لا تشركنا في متاجرك هذه وأرباحك فيقول له أنت جبان يعز عليك اخراج الدينار وتظن أنك ان أظهرته خطف منك ولا تدري انه مثل البازي ان أرسلته أكل وأطعمك وان أمسكته لم يصد شيأ واحتجت الى أن تطعمه والامات وأنا والله لو كان عندي علم انك تنبسط لهذا كنت فعلت معك خيرا كثيرا ولكن ما كان الا هكذا وما كان لا كلام فيه والعمل في المستأنف فيشكره صاحب المال ويسأله أخذ المال فيمطله بتسليمه فيزداد فيه رغبة الى أن يسلمه اليه فيكون حاله كحال المطمع اذا صار المال تحت يده (وأما المتمسون) فهم أهل الرياء المظهرون التعفف والنسك ومجانبة الحرام ومواظبة الصلاة والصيام لكي يشتهر ذكرهم عند الخاص والعام ثم يلقون ذوي الاموال بالبشر والاكرام والتلطف في المقال ويمشون الى أبواب الملوك على صفة التهاني بالاعياد وربما يأتي معه باحد من الاولاد ويظهرون النزاهة والغنى ويجعلون الدين سلما الى الدنيا وأكثر أغراضهم ان تودع

عندهم الاموال وتفوض اليهم الوصايا ويجلهم العوام وتقبل شهادتهم الحكام وتندبهم الملوك الى الوصايا والاموال وهؤلاء أشر من اللصوص والقطاع وذلك ان شهرة اللصوص والقطاع تدعوالى الاحتراز منهم وتشبه هؤلاء بأهل الخير يحمل الناس على الاغترار بهم قال الشاعر

صلى وصام لامر كان أمله * حتى حواه فما صلى ولا صاما

وقيل لا فقير افقر من غنى يأمن الفقر قال الشاعر

ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى * وان الغنى يخشى عليه من الفقر

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال يابنى عليك بطلب العلم وجمع المال فان الناس طائفتان خاصة وعامة فالخاصة تكرمك للعلم والعامة تكرمك للمال وقال بعض الحكماء اذا افتقر الرجل اتهمه من كان به موثقا وأساء به الظن من كان ظنه به حسنا ومن نزل به الفقر والفاقة لم يجد بدا من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهب بهاؤه وما من خلة هي للغنى مدح الا وهي للفقير عيب فان كان شجاعا سمى أهوج وان كان مؤثرا سمى مفسدا وان كان حليما سمى ضعيفا وان كان وقورا سمى بليدا وان كان لسنا سمى مهذارا وان كان صموتا سمى عييا قال ابن كثير

الناس اتباع من دامت له نعم * والويل للمرء ان زلت به القدم
المال زين ومن قلت دراهمه * حى ولكن مات الا انه صنم
لما رأيت اخلائى وخالصتى * والكل مستتر عنى ومحتشم
أبدوا جفاء واعراضا فقلت لهم * اذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم

وكان ابن مقلة وزيرا لبعض الخلفاء فزور عنه يهودى كتابا الى بلاد الكفار وضمنه أمورا من اسرار الدولة ثم تحيل اليهودى الى أن أوصل الكتاب الى الخليفة فوقف عليه وكان عند ابن مقلة حظية هويت هذا اليهودى وأعطته درجا بخطه فلم يزل يجتهد حتى حاكى خطه ذلك الخط الذى كان فى الدرج فلما قرأ الخليفة الكتاب أمر بقطع يد ابن مقلة وكان ذلك يوم عرفة وقد لبس خلعة العيد ومضى الى داره وفى موكبه كل من فى الدولة فلما قطعت يده وأصبح يوم العيد لم يأت أحد اليه ولا توجع له ثم اتضحت القضية فى أثناء النهار للخليفة انها من جهة اليهودى والجارية فقتلهما شر قتلة ثم أرسل الى ابن مقلة أموالا كثيرة وخلعا سنية وندم على فعله واعتذر اليه فكتب ابن مقلة على باب داره يقول

تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا
عادانى الدهر نصف يوم * فانكشف الناس لى وبانوا
يا أيها المعرضون عنى * عودوا فقد عاد لى الزمان

ثم أقام بقية عمره يكتب بيده اليسرى قال بعضهم

انما قوة الظهور النقود * وبها يكمل الفتى ويسود
كم كريم ازرى به الدهر يوما * ولئيم تسعى اليه الوفود

والاطباء يعلمون أمراضا من علاجها اللعب بالدينار وشرب الادوية والمسابق التى يغلى فيها الذهب قال الشاعر

احرص على الدرهم والعين * تسلم من العيلة والدين
فقوّة العين بانسانها * وقوّة الانسان بالعين

واعلم ان القلب عمود البدن فاذا قوى القلب قوى سائر البدن وليس له قوّة أشد من المال وبالضد اذا ضعف من الفقر ضعف له البدن (حكى) ان ملكا رأى شيخا قد وثب وثبة عظيمة على نهر قد تخطاه والشاب يعجز عن ذلك فعجب منه فاستحضره فحادثه فى ذلك فأراه ألف دينار مربوطة على وسطه وقال لقمان لابنه يا بنى شيآن اذا أنت حفظتهما لا تبالى بما صنعت بعدهما دينك لمعادك ودرهمك لمعاشك والكلام فى هذا المعنى كثير وقد اقتصرت منه على النزر اليسير وقد كان فى الناس من يتظاهر بالغنى ويراه مروأة وفخرا فمن ذلك ما حكى عن أحمد بن طولون انه دخل يوما بعض بساتينه فرأى النرجس وقد تفتح زهره فاستحسنه فدعا بغدائه فتغدّى ثم دعا بشرابه فشرب فلما انتشى قال على بألف مثقال من المسك فنثره على أوراق النرجس * ولنذكر الآن نبذة من الذخائر والتحف (حكى) الرشيد بن الزبير فى كتابه الملقب بالعجائب والطرف ان أبا الوليد ذكر فى كتابه المعروف باخبار مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة عام الفتح فى سنة ثمان من الهجرة وجد فى الجب الذى كان فى الكعبة سبعين ألف أوقية من الذهب مما كان يهدى للبيت قيمتها ألف ألف وتسعمائة ألف وتسعون ألف دينار وباع زهرة التميمى يوم القادسية منطقة كان قتل صاحبها بثمانين ألف دينار ولبس سلبه وقيمته خمسمائة ألف وخمسون ألفا وأصاب رجل يوم القادسية راية كسرى فعوض عنها ثلاثين ألف دينار وكانت قيمتها ألف ألف دينار ومائتى ألف ووجد المستورد بن ربيعة يوم القادسية ابريق ذهب مرصعا بالجوهر فلم يدر أحد ما قيمته فقال رجل من الفرس انا آخذه بعشرة آلاف دينار ولم يعرف قيمته فذهب به الى سعد بن أبى وقاص فأعطاه اياه وقال لاتبعه الا بعشرة آلاف دينار فباعه سعد بمائة ألف دينار ولما أتت الترك الى عبد الله ابن زياد بخارا فى سنة أربع وخمسين كان مع ملكهم امرأته خاتون فلما هزمهم الله تعالى اعجلوها عن لبس خفيها فلبست احدى فردتيه ونسيت الاخرى فأصابها المسلمون فقوّمت بمائتى ألف دينار ولما فتح قتيبة بن مسلم بخارا فى سنة تسع وثمانين وجد فيها قدورا ذهب ينزل اليها بسلالم ودفع مصعب بن الزبير حسن بن أحسن بالقتل الى زياد مولاه فصامن ياقوت أحمر وقال له انج به وكان قد قوم ذلك الفص بألف ألف درهم فأخذه زياد ورضه بين حجرين وقال والله لا ينتفع به أحد بعد مصعب وذكر مصعب بن الزبير أن بعض عمال خراسان فى ولايته ظهر على كنز فوجد فيه حلة كانت لبعض الاكاسرة مصوغة من الذهب مرصعة بالدر والجوهر والياقوت الاحمر والاصفر والزبرجد فحملها الى مصعب بن الزبير فخرج من قومها فبلغت قيمتها ألفى ألف دينار فقال الى من أدفعها فقيل الى نسائك وأهلك فقال لابل الى رجل قدم عندنا يدا وأولانا جميلا ادع لى عبد الله بن أبى دريد فدفعها اليه ولما صار وجود عماد الدولة فى قبضة أمير الجيوش وجد فى جملته دملج ذهب فيه جوهرة حمراء كالبيضة وزنها سبعة عشر مثقالا فأنفذها أمير الجيوش الى المستنصر فقوّمت بتسعين ألف دينار ووجد فى بستان العباس بن الحسن الوزير مما أعدّله من آلة الشرب يوم قتل سبعمائة صينية من

ذهب وفضة ووجد له مائة ألف مثقال عنبر * وترك هشام بن عبد الملك بعد موته اثنى عشر ألف قميص وشى وعشرة آلاف تكة حرير وحملت كسوته لما حج على سبعمائة جمل وترك بعد وفاته أحد عشر ألف ألف دينار ولم تأت دولة بنى العباس الا وجميع أولاده فقراء لا مال لواحد منهم وبين الدولة العباسية ووفاة هشام سبع سنين ولما قتل الافضل بن أمير الجيوش فى شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة خلف بعده مائة ألف ألف دينار ومن الدراهم مائة وخمسين أردبا وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج ودواة من الذهب قوم ما عليها من الجواهر واليواقيت بمائتى ألف دينار وعشرة بيوت فى كل بيت منها مسمار ذهب قيمته مائة دينار على كل مسمار عمامة لونا وخلف كعبة عنبر يجعل عليه ثيابه اذا نزعها وخلف عشرة صناديق مملوأة من الجوهر الفائق الذى لا يوجد مثله وخلف خمسمائة صندوق كبار لكسوة حشمه وخلف من الزبادى الصينى والبلور المحكم وسق مائة جمل وخلف عشرة آلاف ملعقة فضة وثلاثة آلاف ملعقة ذهب وعشرة آلاف زبدية فضة كبار وصغار وأربع قدور ذهبا كل قدر وزنها مائة رطل وسبعمائة جام ذهبا بفصوص زمرذ وألف خريطة مملوأة دراهم خارجا من الارادب فى كل خريطة عشرة آلاف درهم وخلف من الخدم والرقيق والخيل والبغال والجمال وحلى النساء ما لا يحصى عدده الا الله تعالى وخلف ألف حسكة ذهبا وألفى حسكة فضة وثلاثة آلاف نرجسة ذهب وخمسة آلاف نرجسة فضة وألف صورة ذهبا وألف صورة فضة منقوشة عمل المغرب وثلثمائة تور ذهبا وأربعة آلاف تور فضة وخلف من البسط الرومية والاندلسية ما ملأ به خزائن الايوان وداخل قصر الزمرذ وخلف من البقر والجاموس والاغنام ما يباع لبنه فى كل سنة بثلاثين ألف دينار وخلف من الحواصل المملوأة من الحبوب ما لا يحصى ولما احتوى الناصر على ذخائر قصر العاضد وجد فيه طبلا كان بالقرب من موضع العاضد محتفظا به فلما رأوه سخروا منه فضرب عليه انسان فضرط فضحكوا منه ثم أمسكه آخر وضرب به فضرط فضحكوا عليه فكسروه استهزاء وسخرية ولم يدروا خاصيته وكانت الفائدة فيه انه وضع للقولنج فلما أخبروا بخاصيته ندموا على كسره وقد جمعت الملوك من الاموال والذخائر والتحف كنوزا لا تحصى وبعد ذلك ماتوا ونفدت ذخائرهم وفنيت أموالهم فسبحان من يدوم ملكه وبقاؤه

قال بعضهم

هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

فضمنت أنا هذا البيت وقلت

أيا من عاش فى الدنيا طويلا * وأفنى العمر فى قيل وقال

وأتعب نفسه فيما سيفنى * وجمع من حرام أو حلال

هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثانى والخمسون فى ذكر الفقر ومدحه)

قد دل قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى على ذم الغنى ان كان سبب

الطغيان وسئل أبو حنيفة رحمه الله عن الغنى والفقر فقال وهل طغى من طغى من خلق الله عزوجل الا بالغنى وتلا هذه الآية المتقدمة والمحققون يرون الغنى والفقر من قبل النفس لا في المال وكان الصحابة رضي الله عنهم يرون الفقر فضيلة وحدث الحسن رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الاغنياء بأربعين عاما فقال جليس للحسن أمن الاغنياء أنا أم من الفقراء فقال هل تغديت اليوم قال نعم قال فهل عندك ما تتعشى به قال نعم قال فاذا أنت من الاغنياء وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت طاويا الليالي ماله ولا لاهله عشاء وكان عامة طعامه الشعير وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع وكان صلى الله عليه وسلم يأكل خبز الشعير غير منخول هذا وقد عرضت عليه مفاتيح كنوز الارض فأبى أن يقبلها صلوات الله وسلامه عليه وكان يقول اللهم توفني فقيرا ولا تتوفني غنيا واحشرني في زمرة المساكين وقال جابر رضي الله تعالى عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم على ابنته فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الابل فبكى وقال تجرعي يا فاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة * قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال صلى الله عليه وسلم الفقر موهبة من مواهب الآخرة وهبها الله تعالى لمن اختاره ولا يختاره الا أولياء الله تعالى وفي الخبر اذا كان يوم القيامة يقول الله عزوجل للملائكة أدنوا الي أحبائي فتقول الملائكة ومن أحباؤك يا اله العالمين فيقول فقراء المؤمنين أحبائي فيدنونهم منه فيقول يا عبادي الصالحين اني مازويت الدنيا عنكم لهوانكم علي ولكن لكرامتكم تمتعوا بالنظر الي وتمنوا ماشئتم فيقولون وعزتك وجلالك لقد أحسنت البناء بما زويت عنا منها ولقد أحسنت بما صرفت عنا فيأمر بهم فيكرمون ويحبرون ويزفون الى أعلى مراتب الجنان وقال صلى الله عليه وسلم هل تنصرون الا بفقرائكم وضعفائكم والذي نفسي بيده ليدخلن فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام والاغنياء يحاسبون على زكاتهم وقال عليه الصلاة والسلام رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه به لو اقسم على الله تعالى لأبره أي لو قال اللهم اني أسألك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيأ وقال عليه الصلاة والسلام ان أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه به الذين اذا استأذنوا على الأمير لا يؤذن لهم وان خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج أحدهم تتلجلج في صدره لو قسم نوره على الناس يوم القيامة لوسعهم وروى عن خالد بن عبد العزيز أنه قال كان حيوة بن شريح من البكائين وكان ضيق الحال جدا فجلست اليه ذات يوم وهو جالس وحده يدعو فقلت له يرحمك الله لو دعوت الله تعالى ليوسع عليك في معيشتك قال فالتفت يمينا وشمالا فلم ير أحدا فأخذ حصاة من الارض وقال اللهم اجعلها ذهبا فاذا هي تبرة في كفه ما رأيت أحسن منها قال فرمى بها الي وقال هو أعلم بما يصلح عباده فقلت ما أصنع بهذه قال انفقها على عيالك فهبته والله ان أردها عليه وقال عون بن عبد الله صحبت الاغنياء فلم أجد فيهم أحدا أكثر مني هما لاني كنت أرى ثيابا أحسن من ثيابي ودابة أحسن من دابتي ثم صحبت الفقراء بعد ذلك فاسترحت قال بعضهم

وقد يهلك الانسان كثرة ماله * كما يذبح الطاوس من أجل ريشه

وقال عبد الله بن طاهر

ألم تر أن الدهر يهدم ما بنى * ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى
فمن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف به فقدا

وكان من دعاء السلف رضي الله عنهم اللهم اني أعوذ بك من ذل الفقر وبطر الغنى وقيل مكتوب على باب مدينة الرقة ويل لمن جمع المال من غير حقه وويلان ان ورثه لمن لا يحمده وقدم على من لا يعذره ولما فتحت بلخ في زمن عمر رضي الله عنه وجد على بابها صخرة مكتوب فيها انما يتبين الفقير من الغني بعد الانصراف من بين يدي الله تعالى أي بعد العرض قال الشاعر

ومن يطلب الاعلى من العيش لم يزل * حزينا على الدنيا رهين غبونها
اذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن * على حالة الا رضيت بدونها

وقال آخر

ولا ترهبن الفقر ما عشت في غد * لكل غد رزق من الله وارد

وقال هرون بن جعفر الطالبي

* بوعدت همتي وقورب مالي * فنعالي مقصر عن مقالي *
ما اكتسى الناس مثل ثوب اقتناع * وهو من بين ما اكتسوا سربالي
ولقد نعلم الحوادث اني * ذو اصطبار على صروف الليالي

وقال اعرابي من ولد في الفقر أبطره الغنى ومن ولد في الغنى لم يزده الا تواضعا فما أحسن الفقر وأكثر ثوابه وأعظم أجر من رضي به وصبر عليه اللهم اجعلنا من الصابرين برحمتك يا أرحم الراحمين يارب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(الباب الثالث والخمسون في التلطف في السؤال وذكر من سئل فجاد)

روى الامام مالك في الموطا عن زيد بن أسلم رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطوا السائل ولو جاء على فرس وما سئل عليه السلام شيأ قط فقال لا واتى اعرابي على علي رضي الله عنه فسأله شيأ فقال والله ما أصبح في بيتي شئ فضل عن قوتي فولى الاعرابي وهو يقول والله ليسألنك الله عن موقفي بين يديك يوم القيامة فبكى علي رضي الله عنه بكاء شديدا وأمر برده وقال يا قنبر ائتني بدرعي الفلانية فدفعها الى الاعرابي وقال لا تخدعن عنها فطالما كشفت بها الكروب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قنبر يا أمير المؤمنين كان يجزيه عشرون درهما فقال يا قنبر والله ما يسرني ان لي زنة الدنيا ذهبا وفضة فتصدقت به وقبل الله مني ذلك وانه يسألني عن موقف هذا بين يدي وقال علي رضي الله عنه ان لكل شئ ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وقال مسلمة لنصيب سلني فقال كفك بالعطية أبسط من لساني بالمسئلة فقال لحاجبه ادفع اليه ألف دينار وسأل رجل الحسن رضي الله عنه فقال له ما وسيلتك قال وسيلتي اني أتيتك عام أول فبررتني فقال مرحبا بمن توسل الينا بنا ثم وصله وأكرمه ويقال الكريم اذا سئل ارتاح واللئيم اذا سئل ارتاع ولما وفد المهدي من الري الى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة

انى نذرت لئن رأيتك قادما * أرض العراق وأنت ذو وفر
لتصلين على النبى محمد * ولتملأن دراهما حجرى

فقال المهدى صلى الله على محمد فقال أبو دلامة ما أسرعك للاولى وأبطأك عن الثانية فضحك وامر ببدرة فصبت فى حجره وسمع الرشيد اعرابية بمكة تقول

* طحنتنا كلاكل الاعوام * وبرتنا طوارق الايام *
* فأتيناكم نمد أكفا * لالتقام من زادكم والطعام
فاطلبوا الاجر والمثوبة فينا * أيها الزائرون بيت حرام

فبكى الرشيد وقال لمن معه سألتكم بالله تعالى الامادفعتم اليها صدقاتكم فألقوا عليها الثياب حتى وارتها كثرة وملؤا حجرها دراهم ودنانير وسأل اعرابى بمكة وأحسن فى سؤاله فقال أخ فى الله وجار فى بلاد الله وطالب خير من عند الله فهل من أخ يواسينى فى الله قال الشاعر

ليس فى كل وهلة وأوان * تتهيا صنائع الاحسان
فاذا أمكنت فبادر اليها * حذرا من تعذر الامكان

وقال البصرى

أضحت حوائجنا اليك مناخة * معقولة برحابك الوصال
أطلق فديتك بالنجاح عقالها * حتى تثور بنا بغير عقال

وعن على رضى الله عنه قال يا كميل مر اهلك ان يروحوا فى كسب المكارم * ويدلجوا فى حاجة من هو نائم * فو الذى وسع سمعه الاصوات ما من أحد أودع قلبا سرورا الا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نابته نائبة جرى اليها كالماء فى انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال لجابر بن عبد الله يا جابر من كثرت نعم الله تعالى عليه كثرت حوائج الناس اليه فاذا قام بما يجب لله فيها فقد عرضها للدوام والبقاء ومن لم يقم بما يجب لله فيها عرض نعمه لزوالها وكان لبيد رحمه الله تعالى آلى على نفسه كلما هبت الصبا أن ينحر ويطعم وربما ذبح العناق اذا ضاق الخناق فخطب الوليد بن عتبة يوما فقال قد علمتم ما جعل أبو عقيل على نفسه فأعينوه على مروأته ثم بعث اليه بخمس من الابل وبهذه الابيات

أرى الجزار يشحذ مديتيه * اذا هبت رياح بنى عقيل
طويل الباع ابلج جعفرى * كريم الجد كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعبرى بما نواه * على العلات بالمال القليل

فدعا لبيد بنتا له خماسية وقال يا بنية انى تركت قول الشعر فأجيبى الامير عنى فقالت

اذا هبت رياح بنى عقيل * تداعينا الهبتها الوليدا
طويل الباع ابلج عبشمى * أعان على مروأته لبيدا
بامثال الهضاب كان ركبا * عليها من بنى حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا * نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعد ان الكريم له معاد * وظنى فى ابن عتبة أن يعودا

فقال لقد أحسنت والله يا بنية لولا انك سألت وقلت عد فقالت يا أبت ان الملوك لا يستحيا منهم

فى المسئلة فقال والله لانت فى هذا أشعر منى ووفد رجل من بنى ضبة على عبد الملك فأنشده

والله ماندرى اذا مافاتنا * طلب اليك من الذى نتطلب
ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجد * أحدا سواك الى المكارم ينسب
فاصبر لعادتك التى عودتنا * أولا فأرشدنا الى من نذهب

فامر له بالف دينار فعاد اليه من قابل وقال يا أمير المؤمنين ان الروى لينازعنى وان الحياء يمنعنى فأمر له بألف دينار وقال والله لو قلت حتى تنفد بيوت الاموال لاعطيتك وقيل ان رجلا عرض للمنصور فسأله حاجة فلم يقضها فعرض له بعد ذلك فقال له المنصور أليس قد كلمتنى مرة قبل هذه قال نعم يا أمير المؤمنين ولكن بعض الاوقات أسعد من بعض وبعض البقاع أعز من بعض فقال صدقت وقضى حاجته وأحسن اليه وروى ان أبا دلامة الشاعر كان واقفا بين يدى السفاح فى بعض الايام فقال له سلنى حاجتك فقال كلب صيد فقال اعطوه اياه فقال ودابة أصيد عليها فقال اعطوه دابة فقال وغلاما يقود الكلب ويصيد به قال اعطوه غلاما قال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه قال اعطوه جارية فقال هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال ولا بد لهم من دار يسكنونها قال اعطوه دارا تجمعهم قال فان لم يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون قال قد أقطعته عشر ضياع عامرة وعشر ضياع غامرة فقال ما الغامرة يا أمير المؤمنين قال مالانبات فيها قال قد اقطعتك يا أمير المؤمنين مائة ضيعة غامرة من فيافى بنى أسد فضحك وقال اجعلوها كلها عامرة فانظر الى حذقه بالمسئلة ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتى بمسئلة بعد مسئلة على ترتيب وفكاهة حتى سأل ماسأله ولو سأل ذلك بديهة لما وصل اليه (وحكى) عن المأمون انه قال ليحيى بن اكثم يوما سر بنا نتفرج فسارا فبينما هما فى الطريق واذا بقصبة خرج منها رجل بقصبة للمأمون يتظلم له فنفرت دابته فألقته على الارض صريعا فأمر بضرب ذلك الرجل فقال يا أمير المؤمنين ان المضطر يرتكب الصعب من الامور وهو عالم به ويتجاوز حد الادب وهو كاره لتجاوزه ولو أحسنت الايام مطالبتى لاحسنت مطالبتك ولانت على رد مالم تفعل أقدر من رد ماقد فعلت قال فبكى المأمون وقال بالله أعد على ماقلت فأعاده فالتفت المأمون الى يحيى بن أكثم وقال أما تنظر الى مخاطبة هذا الرجل باصغريه والنبى صلى الله عليه وسلم يقول المرء باصغريه قلبه ولسانه والله لاوقفت لك الا وأنا قائم على قدمى فوقف وأمر له بصلة جزيلة واعتذر اليه فلما هم المأمون بالانصراف قال الرجل يا أمير المؤمنين بيتان قد حضرانى ثم أنشد يقول

ماجاد بالوفر الا وهو معتذر * ولا عفا قط الا وهو مقتدر
وكلما قصدوه زادنائله * كالنار يؤخذ منها وهى تستعر

وقيل ان بعض الحكماء لزم باب كسرى فى حاجة دهرا فلم يوصل اليه فكتب أربعة أسطر فى ورقة ودفعها للحاجب فكان فى السطر الاول العدم لايكون معه صبر على المطالبة وفى السطر الثانى الضرورة والامل اقدمانى عليك وفى السطر الثالث الانصراف من غير فائدة شماتة الاعداء وفى السطر الرابع أما نعم مثمرة وأما لا فمريحة فلما قرأها كسرى دفع له

فى كل سطر ألف دينار (وحكى) ان رجلا كان جار الابن عبيد الله فأصاب الناس قحط بالعراق حتى رحل أكثر الناس عنه فعزم جار ابن عبيد الله على الخروج من البلاد فى طلب المعيشة وكانت له زوجة لاتقدر على السفر فلما رأت زوجها تهيأ للسفر قالت له اذا سافرت من ينفق علينا قال ان لى على ابن عبيد الله دينا ومعى به اشهاد عليه شرعى تأخذى الاشهاد وتقدميه اليه فاذا قرأه أنفق عليك مما عنده حتى أحضر ثم ناولها رقعة كتب فيها هذه الابيات يقول

قالت وقد رأت الاحمال محدجة * والبين قد جمع المشكو والشاكى
من لى اذا غبت فى ذا المحل قلت لها * الله وابن عبيد الله مولاكى

فمضت اليه المرأة وحكت له ما قال زوجها وأخبرته بسفره وناولته الرقعة فقرأها وقال صدق زوجك ومازال ينفق عليها ويواصلها بالبر والاحسان الى أن قدم زوجها فشكره على فضله واحسانه (وحكى) ان مطيع بن اياس مدح معن بن زائدة بقصيدة حسنة ثم أنشدها بين يديه فلما فرغ من انشاده أراد معن آن يباسطه فقال يامطيع ان شئت أعطيناك وان شئت مدحناك كما مدحتنا فاستحيا مطيع من اختيار الثواب وكره اختيار المدح وهو محتاج فلما خرج من عند معن أرسل اليه بهذين البيتين

ثناء من أمير خير كسب * لصاحب نعمة وأخى ثراء
ولكن الزمان برى عظامى * ومالى كالدراهم من دواء

فلما قرأهما معن ضحك وقال مامثل الدراهم من دواء وأمر له بصلة جزيلة ومال كثير قال الشاعر

هززتك لا انى جعلتك ناسيا * لامرى ولا انى أردت التقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سله * الى الهز محتاجا وان كان ماضيا

وقال آخر

ماذا أقول اذا رجعت وقيل لى * ماذا لقيت من الجواد الافضل
ان قلت أعطانى كذبت وان أقل * بخل الجواد بماله لم يجمل
فاختر لنفسك ما أقول فاننى * لابد اخبرهم وان لم أسأل *

وقال آخر

لنوائب الدنيا خبأتك فانتبه * يانائما من جملة النوام
أعلى الصراط تزيل لوعة كربتى * أم فى المعاد تجود بالانعام

ومما يستحسن الحاقه بهذا الباب ذكر شئ مما جاء فى ذم السؤال والنهى عنه روى عن عبد الرحمن بن عوف بن مالك الاشجعى رضى الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسطنا أيدينا وكنا حديثى عهد بالمبايعة فقلنا قد بايعناك يارسول الله فعلام يارسول الله نبايعك قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتقيموا الصلوات الخمس وتطيعوا الله وأسر كلمة خفية وهى ولا تسألوا الناس شيأ فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله اياه رواه

وسلم وقال رجل لابنه اياك ان تريق ماء وجهك عند من لا ماء فى وجهه وكان لقمان يقول لولده يا بنى اياك والسؤال فانه يذهب ماء الحياء من الوجه وأعظم من هذا استخفاف الناس بك وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام لأن تدخل يدك فى فم التنين الى المرفق خير لك من أن تبسطها الى غنى قد نشأ فى الفقر وقيل لاعرابى ما السقم الذى لا يبرأ والجرح الذى لا يندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم وقال أبو محلم السعدى

اذا ما رماك الدهر فى الضيق فاتجع * قديم الغنى فى الناس انك حامده
ولا تطلبن الخير ممن أفاده * حديثا ومن لا يورث الجد والده

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مسئلة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها وقال عليه الصلاة والسلام لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتى رجلا يسأله اعطاه أو منعه قال الشاعر

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولو نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال

وقال أحمد الانبارى

لموت الفتى خير من البخل للغنى * وللبخل خير من سؤال بخيل
لعمرك ما شئ لوجهك قيمة * فلا تلق انسانا بوجه ذليل

وقال سلم الخاسر

اذا أذن الله فى حاجة * أتاك النجاح على رسله
فلا تسأل الناس من فضلهم * ولكن سل الله من فضله

ويقال أحب الناس الى الله من سأله وأبغض الناس الى الناس من احتاج اليهم وسألهم وفى هذا المعنى قيل

لا تسألن بنى آدم حاجة * وسل الذى أبوابه لا تحجب
الله يغضب ان تركت سؤاله * وبنى آدم حين يسئل يغضب

وقال محمود الوراق

شاد الملوك قصورهم وتحصنوا * من كل طالب حاجة أو راغب
فارغب الى ملك الملوك ولا تكن * ياذا الضراعة طالبا من طالب

وقال ابن دقيق العيد

وقائله مات الكرام فمن لنا * اذا عضنا الدهر الشديد بنابه
فقلت لها من كان غاية قصده * سؤالا لمخلوق فليس بنابه *
اذا مات من يرجى فمقصودنا الذى * ترجيه باق فلوذى ببابه *

وقال بعض أهل الفضل

لما افتقرت لمعصى ما وجدتهم و * لجأت لله لبانى واغنانى *
واها على بذل وجهى للورى سفها * فلو بذلت الى مولاى والانى

وسأل رجل رجلا حاجة فلم يقضها فقال سألت فلانا حاجة أقل من قيمته فردنى ردا أقبح من

الهمة وسأل عروة مصعبا حاجة فلم يقضها فقال علم الله تعالى ان لكل قوم شيخا يفزعون اليه وأنا أفزع منك ويقال لاشئ أوجع للاخيار من الوقوف بباب الاشرار وقال الامام الشافعي رحمه الله تعالى

بلوت بنى الدنيا فلم أر فيهم * سوى من غدا والبخل مل اهابه
فجردت من غمد القناعة صارما * قطعت رجائى منهم بذبابه
فلا ذا يرانى واقفا فى طريقه * ولا ذا يرانى قاعدا عند بابه
غنى بلا مال عن الناس كلهم * وليس الغنى الا عن الشئ لا به
اذا ظالم يستحسن الظلم مذهبا * ولج عتوا فى قبيح اكتسابه
فكله الى صرف الليالى فانها * ستبدى له مالم يكن فى حسابه
فكم قد رأينا ظالما متمردا * يرى النجم تيها تحت ظل ركابه
فعما قليل وهو فى غفلاته * أناخت صروف الحادثات ببابه
فأصبح لا مال ولا جاه يرتجى * ولا حسنات تلتقى فى كتابه
وجوزى بالامر الذى كان فاعلا * وصب عليه الله سوط عذابه

وقال آخر

لا تسألن الى صديق حاجة * فيحول عنك كما الزمان يحول
واستغن بالشئ القليل فانه * ماصان عرضك لا يقال قليل
من عف خف على الصديق لقاؤه * وأخو الحوائج وجهه مملول
وأخوك من وفرت مافى كفه * ومتى علقت به فانت ثقيل

وقال آخر

ليس جودا أعطيته بسؤال * قد يهز السؤال غير جواد
انما الجود ما أتاك ابتداء * لم تذق فيه ذلة الترداد

وقال آخر

لا تحسبن الموت موت البلا * انما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا * أخف من ذاك لذل السؤال

وقال الشافعي رضى الله عنه

قنعت بالقوت من زمانى * وصنت نفسى عن الهوان
خوفا من الناس أن يقولوا * فضل فلان على فلان
* من كنت عن ماله غنيا * فلا أبالى اذا جفانى *
* ومن رآنى بعين نقص * رأيته بالتى رآنى *
ومن رآنى بعين تم * رأيته كامل المعانى *

والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والخمسون فى ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك)

قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها فسرها بعضهم بالهدية وقال

صلى

صلى الله عليه وسلم تهادوا وتحابوا فانها تجلب المحبة وتذهب الشحناء وقال صلى الله عليه وسلم الهدية مشتركة وقال صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فأعطوه ومن استعاذكم فأعيذوه ومن أهدى اليكم كراعا فاقبلوه وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ماهو خير منها * وفى الاثر الهدية تجلب المودة الى القلب والسمع والبصر * ومن الامثال اذا قدمت من سفر فأهد لاهلك ولو حجرا وقال الفضل بن سهل ما استرضى الغضبان ولا استعطف السلطان ولا سلبت الشحائم * ولا دفعت المغارم * ولا استميل المحبوب * ولا توقى المحذور * بمثل الهدية وأتى فتح الموصلى بهدية وهى خمسون دينارا فقال حدثنا عطاء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من آتاه الله رزقا من غير مسئلة ورده فكأنما رده على الله تعالى وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية الى عمر فردها فقال ياعمر لم رددت هديتى فقال رضى الله عنه انى سمعتك تقول خيركم من لم يقبل شيأ من الناس فقال ياعمر انما ذلك ما كان عن ظهر مسئلة فاما اذا أتاك من غير مسئلة فانما هو رزق ساقه الله اليك * وقالت أم حكيم الخزاعية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تهادوا فانه يضاعف الحب ويذهب بغوائل الصدر ويقال فى نشر المهاداة * طى المعاداة * ذكر انوع الهدايا للخلفاء وغيرهم ممن قصرت به قدرته فأهدى اليسير وكتب معه مكاتبة يعتذر بها اهدى الى سليمان بن داود عليهما السلام ثمانية أشياء متباينة فى يوم واحد فيلة من ملك الهند * وجارية من ملك الترك * وفرس من ملك العرب * وجوهرة من ملك الصين * واستبرق من ملك الروم * ودرة من ملك البحر * وجرادة من ملك النمل * وذرة من ملك البعوض * فتأمل ذلك وقال سبحان القادر على جمع الاضداد وأهدى ملك الروم الى المأمون هدية فقال المأمون أهدوا له ما يكون ضعفها مائة مرة ليعلم عز الاسلام ونعمة الله تعالى علينا ففعلوا ذلك فلما عزموا على حملها قال ما أعز الاشياء عندهم قالوا المسك والسمور قال وكم فى الهدية من ذلك قالوا مائتا رطل مسكا ومائتا فروة سمور وأهدت قطر الندى الى المعتضد بالله فى يوم نيروز فى سنة اثنين وثمانين ومائتين هدية كان فيها عشرون صينية ذهب فى عشرة منها مشام عنبر وزنها أربعة وثمانون رطلا وعشرون صينية فضة فى عشرة منها مشام صندل زنتها نيف وثلاثون رطلا وخمس خلع وشى قيمتها خمسة آلاف دينار * وعملت شمامات ليوم النيروز بلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف دينار وأهدى يعقوب بن الليث الصفار الى المعتمد على الله هدية فى بعض السنين من جملتها عشرة بازات منها باز أبلق لم ير مثله ومائة مهر وعشرون صندوقا على عشر بغال فيهم طرائف الصين وغرائبه ومسجد فضة بدرابزين يصلى فيه خمسة عشر انسانا ومائة رطل من مسك ومائة رطل عود هندى وأربعة آلاف ألف درهم * وأهدت تربانت الاوبارى ملكة افرنجة وما والاها الى المكتفى بالله فى سنة ثلاث وسبعين ومائتين خمسين سيفا وخمسين رمحا وعشرين ثوبا منسوجا بالذهب وعشرين خادما صقلبيا وعشرين جارية صقلبية وعشرة كلاب كبار لا تطيقها السباع وستة بازات وسبع صقور ومضرب حرير متلون بجميع الالوان كلون قوس قزح يتلون فى كل ساعة من ساعات النهار وثلاثة أطيار من الاطيار الافرنجية اذا نظرت الى الطعام أو الشراب المسموم صاحت صياحا منكرا وصفقت

بأجنحتها حتى يعلم بذلك وخرزا يجذب النصول بعد نبات اللحم عليها بغير وجع وحمارة وحشية عظيمة الخلقة فى قدر البغل وآذانها أشبه آذان البغل وهى مخططة تخطيطا عاما لجميع خلقتها وأهدى قسطنطين ملك الروم الى المستنصر بالله فى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة هدية عظيمة اشتملت قيمتها على ثلاثين قنطارا من الذهب الاحمر كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية قيمة ذلك ثلثمائة ألف دينار عربية (وحكى) أن الخيزران جارية المهدى كانت أديبة شاعرة فعزم المهدى على شرب دواء فانفذت اليه جام بلور فيه شراب اختارته له مع وصيفة بكر بارعة الجمال وكتبت اليه تقول

اذا خرج الامام من الدواء * وأعقب بالسلامة والشفاء
وأصلح حاله من بعد شرب * بهذا الجام من هذا الطلاء
فينم للتى قد أنفذته * اليه بزورة بعد العشاء

فسر بذلك ووقعت الجارية منه أعظم موقع وزار الخيزران وأقام عندها يومين وأهدى الصابى الى عضد الدولة اسطرلابا فى يوم المهرجان وكتب اليه يقول،

أهدى اليك بنو الاملاك واحتفلوا * فى مهرجان جديد أنت تبليه
لكن عبدك ابراهيم حين رأى * سمو قدرك عن شئ يدانيه
لم يرض بالارض يهديها اليك وقد * أهدى لك الفلك الاعلى بما فيه

وأهدى رجل الى المتوكل قارورة ذهب وكتب معها ان الهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير فكلما لطفت ودقت كانت أبهى وأحسن واذا كانت من الكبير الى الصغير فكلما عظمت وجلت كانت أوقع وأنفع وأهدى مرة أبو الهذيل الى موسى بن عمران دجاجة ووصفها له بصفات جليلة ثم لم يزل يذكرها وكلما ذكر شيء بجمال أو سمن قال هو أحسن أو أسمن من الدجاجة التى أهديتها اليكم وان ذكر حادث قال ذلك قبل أن أهدى لكم الدجاجة بشهر وما كان بين ذلك وبين اهداء الدجاجة الا أيام قلائل فصارت مثلا لمن يستعظم الهدية ويذكرها قال الشاعر

وان امرأ أهدى الى صنيعة * وذكرنيها مرة للئيم *

وقال سفيان الثورى اذا أردت أن تتزوج فأهد للام وكان سفيان يروى عن ابن عباس رضى الله عنه من أهديت اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها فأهدى اليه صديق له ثيابا من ثياب مصر وعنده قوم فذكروا الخبر فقال انما ذلك فيما يؤكل ويشرب أما فى ثياب مصر فلا
* وكتب الحمدونى الى جارية اسمها برهان وقد حج مواليها فقال

حج امواليك يا برهان واعتمروا * وقد أتتك الهدايا من مواليك
فأطرفينى بما قد أطرفوك به * ولا تكن طرفتى غير المساويك
ولست أقبل الا ما لوت به * ثنيتيك وما رددت فى فيك

وكتب بعضهم الى صديقه وقد أهدى اليه هدية يسيرة يقول

تفضل بالقبول على انى * بعثت بما يقل العبد عندك

وأهدى بعضهم الى صديقه هدية فى يوم نيروز وكتب اليه يقول هذا يوم جرت فيه العادة

بالطاف العبيد للسادة * وقدر الامير يجل عما تحيط به المقدرة * وفى سودده مايوجب التفضل ببسط المعذرة * وقد وجهت ما حضر علما بانه لا يستكثر ما جل * ولا يستقل لعبده ما قل * فان رأى ان يتطول بقبول القليل كتطوله باهداء الجزيل فعل وجعل يقول

رأيت كثير مايهدى اليكم * قليلا فاقتصرت على الدعاء

وبلغ الحسن بن عمارة ان الاعمش يقع فيه ويقول ظالم ولى المظالم فاهدى اليه هدية فمدحه الاعمش بعد ذلك وقال الحمد لله الذى ولى علينا من يعرف حقوقنا فقيل له كنت تذمه ثم الآن تمدحه فقال حدثنى خيثمة من عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من أساء اليها

وقال عبد الملك بن مروان ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها * الكتاب يدل على عقل كاتبه * والرسول يدل على عقل مرسله * والهدية تدل على عقل مهديها * والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخامس والخمسون فى العمل والكسب والصناعات والحرف وما أشبه ذلك)

أما العمل فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل العمل أدومه وان قل وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه قليل مدام عليه خير من كثير مملول * وفى التوراة حرك يدك أفتح لك باب الرزق * وكان ابراهيم بن أدهم يسقى ويرعى ويعمل بالكراء ويحفظ البساتين والمزارع ويحصد بالنهار ويصلى بالليل * وعن على رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ماينفى عنى حجة العلم قال العمل وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى * وقال الاوزاعى اذا أراد الله بقوم سوأ أعطاهم الجدل ومنعهم العمل * وأنشد يقول

وما المرء الا حيث يجعل نفسه * ففى صالح الاعمال نفسك فاجعل

وقال بعض الحكماء لاشئ أحسن من عقل زانه حلم ومن عمل زانه علم ومن حلم زانه صدق ودخل بعض الخواص على ابراهيم بن صالح وهو أمير فلسطين فقال له عظنى فقال له الولى بلغنى رحمك الله ان اعمال الاحياء تعرض على أقاربهم الموتى فانظر ماذا تعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك فبكى ابراهيم حتى سالت دموعه * وقيل من جد وجد وأنشدوا فى المعنى

انى رأيت وفى الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر

وقل من جد فى أمر يحاوله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وتقول العرب فلان وثاب على الفرص وقال بعضهم

وانى اذا باشرت أمرا أريده * تدانت أقاصيه وهان أشده

وعن أنس رضى الله عنه يتبع الميت ثلاث يرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ولا يرجع عمله * وقال بعضهم العمل سعى الاركان الى الله والنية سعى القلوب الى الله والقلب ملك والاركان جنود ولا يحارب الملك الا بالجنود ولا الجنود الا بالملك *

وقيل الدنيا كلها ظلمات الا موضع العلم * والعلم كله هباء الا موضع العمل * والعمل كله هباء الا موضع الاخلاص هذا هو العمل * وأما الكسب فقد جاء في تفسير قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم أي دروع من الحديد وذلك ان داود عليه السلام كان يدور في الصحارى فاذا رأى من لا يعرفه تحدث معه في أمر داود فاذا سمعه عابه بشئ يصلحه من نفسه فسمع يوما من يقول انى لا أجد في داود عيبا الا أنه يأكل من غير كسبه فعند ذلك صلى داود عليه السلام في محرابه وتضرع بين يدى الله تعالى وسأله ان يعلمه ما يستعين به على قوته فعلمه الله تعالى صنعة الحديد وجعله في يده كالشمع فاحترفها واستعان بها على أمره وصار يحكم منها الدروع * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل رزقى تحت رمحى فكانت حرفته الجهاد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد المحترف * وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبغض العبد الصحيح الفارغ وقال عليه السلام من اكتسب قوته ولم يسأل الناس لم يعذبه الله تعالى يوم القيامة ولو تعلمون ما أعلم من المسئلة لما سأل رجل رجلا شيأ وهو يجد قوت يومه وليس عند الله أحب من عبد يأكل من كسب يده ان الله تعالى يبغض كل فارغ من أعمال الدنيا والآخرة وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من بات كالا في طلب الحلال أصبح مغفورا له وعن الحسن رحمه الله كسب الدرهم الحلال أشد من لقاء الزحف وقيل لمحمد بن مهران ان ههنا أقواما يقولون نجلس في بيوتنا وتأتينا أرزاقنا فقال هؤلاء قوم حمقى ان كان لهم مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن فليفعلوا وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة * وقال أيضا انى لارى الرجل فيعجبنى فأقول أله حرفة فان قالوا لا سقط من عينى واشترى سليمان وسقا من طعام وهو ستون صاعا فقيل له في ذلك فقال ان النفس اذا أحرزت رزقها اطمأنت * قال بعضهم في السعى

خاطر بنفسك كى تصيب غنيمة * ان الجلوس مع العيال قبيح

وقيل ان أول من صنع لسان الميزان عبد الله بن عامر وكان الناس انما يزنون بالشاهين وعن أنس رضى الله عنه قال غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سعر لنا فقال ان الله الخالق القابض المسعر الرازق وانى لارجو ان ألقى الله تعالى وليس أحد يطلبنى بمظلمة ظلمته بها في أهل ولا مال * وأما ما جاء في العجز والتوانى فقد روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال من أطاع التوانى ضيع الحقوق ومن العجز طلب ما فات مما لا يمكن استداركه وترك ما أمكن مما تحمد عواقبه * قال الشاعر

على المرء أن يسعى ويبذل جهده * ويقضى الاله الخلق ما كان قاضيا

ومثله قوله

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

وقيل احذر مجالسة العاجز فانه من سكن الى عاجز أعداه من عجزه وأمده من جزعه وعوده قلة الصبر ونساه ما في العواقب وليس للعجز ضد الا الحزم وقال بعض العلماء من الخذلان

مسامرة الامانى ومن التوفيق بعض التوانى وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال باكروا فى طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح وقال الامام الشافعى رضى الله عنه احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فانه لا سبيل الى السلامة من ألسنة الناس وقال على رضى الله عنه التوانى مفتاح البؤس وبالعجز والكسل تولدت الفاقة ونتجت الهلكة ومن لم يطلب لم يجد وافضى الى الفساد وقال حكيم من دلائل العجز كثرة الاحالة على المقادير وقال بعض الحكماء الحركة بركة والتوانى هلكة * والكسل شؤم * وكلب طائف خير من أسد رابض * ومن لم يحترف * لم يعتلف * وقيل من العجز والتوانى نتجت الفاقة قال هلال بن العلا الرقى هذين البيتين من جملة أبيات

كأن التوانى أنكح العجز بنته * وساق اليها حين زوجها مهرا
فراشا وطيا ثم قال لها اتكى * فانكما لابد أن تلدا الفقرا

وقال آخر

توكل على الرحمن فى الامر كله * ولا ترغبن فى العجز يوما عن الطلب
ألم تر أن الله قال لمريم * وهزى اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء ان تجنيه من غير هزه * جنته ولكن كل رزق له سبب *

وسأل معاوية رضى الله عنه سعيد بن العاصى عن المروأة فقال العفة والحرفة وكان أيوب السختيانى يقول يا فتيان احترفوا فانى لا آمن عليكم ان تحتاجوا الى القوم يعنى الامراء وقال رجل للحسن انى انشر مصحفى فأقرؤه بالنهار كله فقال اقرأه بالغداة والعشى ويكون يومك فى صنعتك ومالا بد منه ومر رحمه الله باسكاف فقال يا هذا اعمل وكل فان الله يحب من يعمل ويأكل ولا يحب من يأكل ولا يعمل وقال أبو تمام

أعاذلتى ما أحسن الليل مركبا * وأحسن منه فى الملمات راكبه
ذرينى وأهوال الزمان أقاسها * فأهواله العظمى تليها رغائبه
أرى عاجزا يدعى جليد القسمة * ولو كلف التقوى لكلت مضاربه
وعفا يسمى عاجزا بعفافه * ولولا التقى ما أعجزته مذاهبه
وليس بعجز المرء اخطأه الغنى * ولا باحتيال أدرك المال كاسبه

وقال آخر

فلا تركن الى كسل وعجز * يحيل على المقادر والقضاء

وقال اعرابى العاجز هو الشاب القليل الحيلة الملازم للامانى المستحيلة ويقال فلان يخدعه الشيطان عن الحزم فيمثل له التوانى فى صورة التوكل ويريه الهوينا باحالته على القدر وقال لقمان لابنه يا بنى اياك والكسل والضجر فانك اذا كسلت لم تؤد حقا واذا ضجرت لم تصبر على حق قال أبو العتاهية

اذا وضع الراعى على الارض صدره * فحق على المعزى بأن تتبددا

فالتوانى هو الكسل وتضييع الحزم وعدم القيام على مصالح النفس وترك التسبب والاحتراف والاحالة على المقادير وهذا من أقبح الافعال * وأما التأنى فانه خلاف التوانى

وهو الرفق ورفض العجلة والنظر فى العواقب * وقد قيل من نظر فى عواقب الامور * سلم من آفات الدهور * ومما جاء فى ذلك قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من الدنيا والآخرة * وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة عليك بالرفق فان الرفق لا يخالط شيأ الازانه * ولا يفارق شيأ الاشانه * وفى التوراة الرفق رأس الحكمة * وقالوا العقل أصله التثبت وثمرته السلامة * ووجد على سيف مكتوب التأنى فيما لا يخاف فيه الفوت أفضل من العجلة فى ادراك الامل وقال بعض الحكماء اذا شككت فاجزم * واذا استوضحت فاعزم * وقالوا بيد الرفق تجنى ثمرة السلامة * وبيد العجلة تغرس شجرة الندامة * وأنشدوا فى ذلك

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقالوا التأنى حصن السلامة * والعجلة مفتاح الندامة * وقالوا اذا لم يدرك الظفر بالرفق والتأنى فمماذا يدرك وقال المهلب أناة فى عواقبها درك * خير من عجلة فى عواقبها فوت * وقالوا من تأنى نال ما تمنى * والرفق مفتاح النجاح وقال بعض الحكماء اياك والعجلة فانها تكنى أم الندامة لان صاحبها يقول قبل أن يعلم * ويجيب قبل أن يفهم * ويعزم قبل أن يفكر * ويحمد قبل أن يجرب * ولن تصحب هذه الصفة أحدا الاصحب الندامة * وجانب السلامة * وأما الصناعات والحرف وما يتعلق بها فقد روى عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل الابرار من الرجال الخياطة * وعمل الابرار من النساء الغزل * وكان صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله ويحلب شاته ويعلف ناضحه وقال سعيد بن المسيب كان لقمان الحكيم خياطا وقيل كان ادريس خياطا ووقف على بن أبى طالب كرم الله وجهه على خياط فقال له ياخياط ثكلتك الثواكل صلب الخيط * ودقق الدروز * وقارب الغروز * فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله الخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاط وخان فيه * واحذر السقاطات فان صاحب الثوب أحق بها * ولا تتخذ بها الايادى وتطلب المكافأة وقال فيلسوف ان من القبيح ان يتولى امتحان الصناع من ليس بصانع وفى الحديث اكذب أمتى الصواغون والصباغون * وكذب الدلال مثل وقالوا لكل أحد رأس مال ورأس مال الدلال الكذب وقال عبد الرحمن بن شبل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول التجار هم الفجار فقيل أليس الله تعالى قد أحل البيع قال نعم ولكن يحدثون فيكذبون ويحلفون فيحنثون وقال الفضيل بخس الموازين سواد فى الوجه يوم القيامة وانما أهلكت القرون الاولى لانهم أكلوا الربا وعطلوا الحدود ونقصوا الكيل والميزان وقال مجاهد فى قوله تعالى واتبعك الارذلون قيل هم الحاكة والاساكفة وقيل ان حائكا سأل ابراهيم الحربى ما تقول فيمن صلى العيد ولم يشتر ناطفا ما الذى يجب عليه فتبسم ابراهيم ثم قال يتصدق بدرهمين فلما مضى قال ما علينا ان نفرح المساكين من مال هذا الاحمق وقيل لرجل هل فيكم حائك قال لا قيل فمن ينسج لكم ثيابكم قال كل منا ينسج لنفسه فى بيته وكان اردشير بن بابك لا يرتضى لمنادمته ذا صناعة رديئة كحائك وحجام ولو كان يعلم الغيب مثلا وقال كعب لا تستشيروا الحاكة فان الله تعالى

سلب عقولهم ونزع البركة من كسبهم لان مريم عليها السلام مرت بجماعة من الحياكين فسألتهم عن الطريق فدلوها على غير الطريق فقالت نزع الله البركة من كسبكم

قال أبو العتاهية

الا انما التقوى هي العز والكرم * وحبك للدنيا هو الذل والسقم

وليس على عبد تقي نقيصة * اذا صحح التقوى وان حاك أو حجم

وهذا ما أردنا سياقه في هذا الباب والله الموفق للصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السادس والخمسون في شكوى الزمان وانقلابه بأهله والصبر على المكاره والتسلي عن نوائب الدهر وفيه ثلاثة فصول

(الفصل الاول في شكوى الزمان وانقلابه بأهله) روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال ما من يوم ولا ليلة ولا شهر ولا سنة الا والذي قبله خير منه سمعت ذلك من نبيكم صلى الله عليه وسلم وكان معاوية رضي الله عنه يقول معروف زماننا منكر زمان قد مضى ومنكره معروف زمان لم يأت * وكانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابي فسبقها فشق ذلك على الصحابة رضي الله عنهم فقال صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله ان لا يرفع شيأ من هذه الدنيا الا وضعه (وحكى) عن شيخ من همدان قال بعثني أهلي في الجاهلية الى ذي الكلاع الحميري بهدايا فمكثت شهرا لا أصل اليه ثم بعد ذلك أشرف اشرافة من كوة له فخر له من حول القصر سجدا ثم رأيته بعد ذلك وقد هاجر الى حمص واشترى بدرهم لحما وسمطه خلف دابته وهو القائل هذه الابيات

* أف للدنيا اذا كانت كذا * أنا منها في بلاء وأذى *

ان صفا عيش امرئ في صبحها * جرعته ممسيا كأس الردى

ولقد كنت اذا ما قيل من * أنعم العالم عيشا قيل ذا *

وقال يونس بن ميسرة لا يأتي علينا زمان الا بكينا منه ولا يتولى عنا زمان الا بكينا عليه ومن ذلك قوله

رب يوم بكيت منه فلما * صرت في غيره بكيت عليه

ومثله

وما مر يوم ارتجي فيه راحة * فأخبره الا بكيت على أمسي

ومن كلام ابن الاعرابي

عن الايام عد فعن قليل * ترى الايام في صور الليالي

وقال علي رضي الله عنه ما قال الناس لشئ طوبى الا وقد خبأ له الدهر يوم سوء وقال الشاعر

فما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التي كنت أعهد

ودخل داود عليه السلام غارا فوجد فيه رجلا ميتا وعند رأسه لوح مكتوب فيه أنا فلان ابن فلان الملك عشت ألف عام وبنيت ألف مدينة وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش ثم صار

أمرى الى أن بعثت زنبيلا من الدراهم فى رغيف فلم يوجد ثم بعثت زنبيلا من الجوهر فلم يوجد فدققت الجواهر واستفيتها فبت مكانى فمن أصبح وله رغيف وهو يحسب أن على وجه الارض أغنى منه أماته الله كاماتنى * وذكر ان عبد الرحمن بن زياد لما ولى خراسان حاز من الاموال ما قدر لنفسه انه ان عاش مائة سنة ينفق فى كل يوم ألف درهم على نفسه أنه يكفيه فرؤى بعد مدة وقد احتاج الى أن باع حلية مصحفه وأنفقها وقال هيثم بن خالد الطويل دخلت على صالح مولى منارة فى يوم شات وهو جالس فى قبة مغشاة بالسمور وجميع فروشها سمور وبين يديه كانون فضة يضرفيه بالعود ثم رأيته بعد ذلك فى رأس الجسر وهو يسأل الناس ولما قتل عامر بن اسمعيل مروان بن محمد ونزل فى داره وقعد على فرشه دخلت عليه عبدة بنت مروان فقالت يا عامر ان دهرا أنزل مروان عن فرشه وأقعدك عليه لقد أبلغ فى عظتك وقال مالك بن دينار مررت بقصر تضرب فيه الجوارى بالدفوف ويقلن

الايا دار لايدخلك حزن * ولايغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار تأوى كل ضيف * اذا ما ضاق بالضيف المكان

ثم مررت عليه بعد حين وهو خراب وبه عجوز فسألتها عما كنت رأيت وسمعت فقالت يا عبد الله ان الله يغير ولا يتغير والموت غالب كل مخلوق قد والله دخل بها الحزن وذهب باهلها الزمان وقال أبو العتاهية

لئن كنت فى الدنيا بصيرا فانما * بلاغك منها مثل زاد المسافر
اذا أبقت الدنيا على المرء دينه * فما فاته منها فليس بضائر

وقال عبد الملك بن عمير رأيت رأس الحسين رضى الله عنه بين يدى ابن زياد فى قصر الكوفة ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدى المختار ثم رأيت رأس المختار بين يدى مصعب ثم رأيت رأس مصعب بين يدى عبد الملك قال سفيان فقلت له كم كان بين أول الرؤس وآخرها قال اثنتا عشرة سنة وقال الشاعر

ان للدهر صرعة فاحذرنها * لاتبيتن قد أمنت الشرورا
قد يبيت الفتى معافى فيردى * ولقد كان آمنا مسرورا

وكان محمد بن عبد الله بن طاهر فى قصره على الدجلة ينتظر فاذا هو بحشيش فى وسط الماء وفى وسطه قصبة على رأسها رقعة فدعا بها فاذا فيها مكتوب شعرا وهو للشافعى رضى الله عنه

تاه الأعيرج واستعلى به البطر * فقل له خير ما استعملته الحذر
أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

قال فما انتفع بنفسه مدة وأعجب ما وجد فى السير خبر القاهر أحد الخلفاء وقلعه من الملك وخروجه الى الجامع فى بطانة جبة بغير ظهارة ومد يده يسأل الناس بعد ان كان ملكه لأقطار الارض فتبارك الله يعز من يشاء ويذل من يشاء وقيل كان محمد المهلبى قبل اتصاله بالسلطان حال ضعيف فبينما هو فى بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الحرث والحراث

الا

الا انه من أهل الأدب اذ أنشده يقول

ألا موت يباع فأشتريه * فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا رحم المهيمن نفس حر * تصدق بالوفاة على أخيه

قال فرثى له رفيقه وأحضر له بدرهم ما سدبه رمقه وحفظ الابيات وتفرقا ثم ترقى المهلبى الى الوزارة وأخنى الدهر على ذلك الرجل الذى كان رفيقه فتوصل الى ايصال رقعة اليه مكتوب فيها

الا قل للوزير فدته نفسى * مقالا مذكرا ما قد نسيه
أتذكر اذ تقول لضنك عيش * ألا موت يباع فاشتريه

فلما قرأها تذكر فأمر له بسبعمائة درهم ووقع تحت رقعته مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ثم قلده عملا يرتزق منه *ودخل مسلمة بن زيد بن وهب على عبد الملك بن مروان فقال له أى الزمان أدركته أفضل وأى الملوك أكمل فقال أما الملوك فلم أر الا حامدا وذاما وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع آخرين وكلهم يذكر أنه يبلى جديدهم ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ويهلك كبيرهم وقال حبيب بن أوس

لم أبك من زمن لم ارض خلته * الا بكيت عليه حين ينصرم

وقال آخر

يا معرضا عنى بوجه مدبر * ووجوه دنياه عليه مقبله
هل بعد حالك هذه من حالة * أوغاية الا انحطاط المنزله

وقال عبد الله بن عروة بن الزبير

ذهب الذين اذا رأونى مقبلا * بشوا الى ورحبوا بالمقبل
وبقيت فى خلف كأن حديثهم * ولغ الكلاب تهارشت فى المنزل

وقال آخر فى معناه

* يا منزلا عبث الزمان بأهله * فأبادهم بتفرق لا يجمع *
* أين الذين عهدتهم بك مرة * كان الزمان بهم يضر وينفع
* أيام لا يغشى لذكرك مربع * الا وفيه للمكارم مرتع
ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقى الذين حياتهم لا تنفع

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلى

وانى رأيت الدهر منذ صحبته * محاسنه مقرونة ومعايبه
اذا سرنى فى أول الامر لم أزل * على حذر من أن تذم عواقبه

وقال بعضهم

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت فى خلف يزين بعضه * بعضا ليدفع معور عن معور
حلف الزمان ليأتين بمثلهم * حنثت يمينك يا زمان فكفر

وكان يقال اذا أدبر الأمر أتى الشر من حيث يأتي الخير وكان يقال بتقلب الدهر تعرف جواهر الرجال ويقال زمام العافية بيد البلاء ورأس السلامة تحت جناح العطب وقال بعضهم نحن في زمن لا يزداد الخير فيه الا ادبارا والشر الا اقبالا والشيطان في هلاك الناس الا طمعا اضرب بطرفك حيث شئت هل تنظر الا فقيرا يكابد فقرا أو غنيا بدل نعمة الله كفرا أو بخيلا اتخذ بحق الله وفرا أو متمردا كأن بسمعه عن سماع المواعظ وقرا * وقال آخر نحن في زمان اذا ذكرنا الموتى حييت القلوب واذا ذكرنا الاحياء ماتت القلوب ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر أخيه فيقول يا ليتني مكانه ويقال لا يقاوم عز الولاية بذل العزل

(بيت)

ما من مسيء وان طالت أساءته * الا ويكفيك يوم من مساعيه

وقال الأمين

يا نفس قد حق الحذر * أين المفر من القدر
كل امرئ مما يخا * ف ويرتجيه على خطر
من يرتشف صفو الزما * ن يغص يوما بالكدر

وقال بعضهم

وقائلة ما بال وجهك قد نضت * محاسنه والجسم بان شحوبه
فقلت لها هاتي من الناس واحدا * صفا وقته والنائبات تنوبه

وللأمير أبي علي بن منقذ

اما والذي لا يملك الأمر غيره * ومن هو بالسر المكتم اعلم
لئن كان كتمان المصائب مؤلما * لاعلانها عندي أشد وأعظم
وبي كل ما يبكي العيون أقله * وان كنت منه دائما أتبسم

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وايم الله ما كان قوم قط في خفض عيش فزال عنهم الا بذنوب اقترفوها الا ان الله تعالى ليس بظلام للعبيد ولو أن الناس حين ينزل بهم الفقر ويزول عنهم الغنى فزعوا الى ربهم بصدق نياتهم لرد عليهم كل شارد وأصلح لهم كل فاسد قال الشاعر

يقولون الزمان به فساد * وهم فسدوا وما فسد الزمان

وكفى بالقرآن واعظا قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم والله أعلم

(الفصل الثاني في الصبر على المكاره ومدح التثبت وذم الجزع) قد مدح الله تعالى الصبر في كتابه العزيز في مواضع كثيرة وأمر به وجعل أكثر الخيرات مضافا الى الصبر وأثنى على فاعله وأخبر أنه سبحانه وتعالى معه وحث على التثبت في الاشياء ومجانبة الاستعجال فيها فمن ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم جعل نفسه مع الصابرين دون المصلين وقوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقوله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وبالجملة فقد ذكر

الله

الله سبحانه وتعالى الصبر فى كتابه العزيز فى نيف وسبعين موضعا وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك أخبار كثيرة فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم النصر فى الصبر وقوله عليه الصلاة والسلام بالصبر يتوقع الفرج وقوله الأناة من الله تعالى والعجلة من الشيطان فمن هداه الله تعالى بنوره توفيقه ألهمه الصبر فى مواطن طلباته والتثبت فى حركاته وسكناته وكثيرا ما أدرك الصابر مرامه او كاد وفات المستعجل غرضه أو كاد * وقال الاشعث بن قيس دخلت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فوجدته قد أثر فيه صبره على العبادة الشديدة ليلا ونهارا فقلت يا أمير المؤمنين الى كم تصبر على مكابدة هذه الشدة فما زادنى الا ان قال

اصبر على مضض الادلاج فى السحر * وفى الرواح الى الطاعات فى البكر
انى رأيت وفى الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد فى أمر يؤمله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

فحفظتها منه وألزمت نفسى الصبر فى الامور فوجدت بركة ذلك وعن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا حط الله بها من خطاياه وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا واذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط رواه الترمذى وقال حديث حسن وعن اسحق بن عبد الله بن ابى فروة عن أنس بن مالك قال قال النبى صلى الله عليه وسلم الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الاجر والصبر عند الصدمة الاولى وعظم الاجر على قدر المصيبة ومن استرجع بعد مصيبته جدد الله له أجرها كيوم أصيب بها وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال احفظوا عنى خمسا ثنتين وثنتين وواحدة لا يخافن أحدكم الا ذنبه ولا يرجو الا ربه ولا يستحيى أحد منكم اذا سئل عن شئ وهو لا يعلم ان يقول لا أعلم واعلموا ان الصبر من الامور بمنزلة الرأس من الجسد اذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد واذا فارق الصبر الامور فسدت الامور وأيما رجل حبسه السلطان ظلما فمات فى حبسه مات شهيدا فان ضربه فمات فهو شهيد وروى فى الخبر لما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه يا رسول الله كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر أليس تمرض أليس يصيبك الاذى أليس تحزن قال بلى يا رسول الله قال فهذا ما تجزون به يعنى جميع ما يصيبك من سوء يكون كفارة لك وبهذا اتضح لك ان العبد لا يدرك منزلة الاخيار الا بالصبر على الشدة والبلاء وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند الكعبة وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالأمس فقال

أبو جهل لعنه الله أيكم يقوم الى سلا الجزور فيلقيه على كتفى محمد اذا سجد فانبعث أشقى القوم فأخذه وأتى به فلما سجد صلى الله عليه وسلم وضع بين كتفيه السلا والفرث والدم فضحكوا ساعة وأنا قائم أنظر فقلت لو كان لى منعة لطرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبى صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة رضى الله عنها فجاءت فطرحته عن ظهره ثم أقبلت عليهم فسبتهم فلما قضى صلى الله عليه وسلم الصلاة رفع يديه فدعا عليهم فقال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمع القوم صوته ودعاءه ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته فقال اللهم عليك بأبى جهل وعقبة وشيبة وربيعة والوليد وأمية بن خلف فقال على رضى الله عنه والذى بعث محمدا بالحق رأيت الذين سماهم صرعى يوم بدر وكان الصالحون يفرحون بالشدة لاجل غفران الذنوب لان فيها كفارة السيآت ورفع الدرجات وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من رزقهن فقد رزق خيرى الدنيا والآخرة الرضا بالقضاء والصبر على البلاء والدعاء فى الرخاء (وحكى) ان امرأة من بنى اسرائيل لم يكن لها الا دجاجة فسرقها سارق فصبرت وردت أمرها الى الله تعالى ولم تدع عليه فلما ذبحها السارق ونتف ريشها نبت جميعه فى وجهه فسعى فى ازالته فلم يقدر على ذلك الى أن أتى حبرا من أحبار بنى اسرائيل فشكا له فقال لا أجد لك دواء الا ان تدعو عليك هذه المرأة فارسل اليها من قال لها أين دجاجتك فقالت سرقت فقال لقد آذاك من سرقها قالت قد فعل ولم تدع عليه قال وقد فجعك فى بيضها قالت هو كذلك فما زال بها حتى أثار الغضب منها فدعت عليه فتساقط الريش من وجهه فقيل لذلك الحبر من أين علمت ذلك قال لانها لما صبرت ولم تدع عليه انتصر الله لها فلما انتصرت لنفسها ودعت عليه سقط الريش من وجهه فالواجب على العبد ان يصبر على ما يصيبه من الشدة ويحمد الله تعالى ويعلم ان النصر مع الصبر وان مع العسر يسرا وان المصائب والرزايا اذا توالت أعقبها الفرج والفرج عاجلا ومن أحسن ما قيل فى ذلك من المنظوم

واذا مسك الزمان بضر * عظمت دونه الخطوب وجلت
وأتت بعده نوائب أخرى * سئمت نفسك الحياة وملت
فاصطبر وانتظر بلوغ الامانى * فالرزايا اذا توالت تولت
واذا أوهنت قواك وجلت * كشفت عنك جملة وتخلت

ولمحمد بن بشير الخارجى

ان الامور اذا انسدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل مارتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبه * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

ولزهير بن أبى سلمى

ثلاث يعز الصبر عند حلولها * ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبها * وفرقة اخوان وفقد حبيب

وقال بعضهم

عليك باظهار التجلد للعدا * ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا
أما تنظر الريحان يشمم ناضرا * ويطرح فى البيدا اذا ماتغيرا

ولابن نباتة

صبرا على نوب الزما * ن وان أبى القلب الجريح
فلكل شئ آخر * اما جميل أو قبيح

وقال أبو الاسود وأجاد

وان امرأ قد جرب الدهر لم يخف * تقلب عصريه لغير لبيب
وما الدهر والايام الا كما ترى * رزية مال أو فراق حبيب

ومن كلام الحكماء ما جوهد الهوى بمثل الرأى ولا استنبط الرأى بمثل المشورة ولا حفظت النعم بمثل المواساة ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر وما استنجحت الامور بمثل الصبر وقال نهشل

ويوم كأن المصطلين بحره * وان لم يكن نار قيام على الجمر
صبرنا له صبرا جميلا وانما * تفرج أبواب الكريهة بالصبر

وقال ابن طاهر

حذرتنى وذا الحذر * ليس يغنى من القدر
ليس من يكتم الهوى * مثل من باح واشتهر
انما يعرف الهوى * من على حزه صبر
نفس يا نفس فاصبرى * فاز بالصبر من صبر

وكان يقال من تبصر تصبر وكان يقال ان نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر وكان يقال لا دواء لداء الدهر الا بالصبر ولله در القائل

الدهر أدبنى والصبر ربانى * والقوت أقنعنى واليأس أغنانى
وحنكتنى من الايام تجربة * حتى نهيت الذى قد كان ينهانى

وما أحسن ما قال محمود الوراق

انى رأيت الصبر خير معول * فى النائبات لمن أراد معولا
ورأيت أسباب القناعة أكدت * بعرى الغنى فجعلتها لى معقلا
فاذا نبابى منزل جاوزته * وجعلت منه غيره لى منزلا
واذا غلا شئ على تركته * فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

وقال بعضهم

اذا ما أتاك الدهر يوما بنكبة * فأفرغ لها صبرا ووسع لها صدرا
فان تصاريف الزمان عجيبة * فيوما ترى يسرا ويوما ترى عسرا

وقال بعضهم

وما مسنى عسر فقوضت أمره * الى الملك الجبار الا تيسرا

وما أحسن ما قيل

الدهر لا يبقى على حالة * لابد أن يقبل أو يدبر
فان تلقاك بمكروهه * فاصبر فان الدهر لا يصبر

ونقل عن محمد بن الحسن رحمه الله تعالى قال كنت معتقلا بالكوفة فخرجت يوما من السجن مع بعض الرجال وقد زاد همي وكادت نفسي ان تزهق وضاقت على الارض بما رحبت واذا برجل عليه آثار العبادة قد أقبل على ورأى ما أنا فيه من الكآبة فقال ما حالك فاخبرته القصة فقال الصبر الصبر فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر ستر للكروب وعون على الخطوب وروى عن ابن عمه على رضي الله عنه انه قال الصبر مطية لا تدبر وسيف لا يكل وأنا أقول

ما أحسن الصبر في الدنيا وأجمله * عند الاله وأنجاه من الجزع
من شد بالصبر كفا عند مؤلمة * ألوت يداه بحبل غير منقطع

فقلت له بالله عليك زدني فقد وجدت بك راحة فقال ما يحضرني شئ عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكني أقول

أما والذي لا يعلم الغيب غيره * ومن ليس في كل الامور له كفو
لئن كان بدء الصبر مرا مذاقه * لقد يجتني من بعده الثمر الحلو

ثم ذهب فسألت عنه فما وجدت أحدا يعرفه ولا رآه أحد قبل ذلك في الكوفة ثم أخرجت في ذلك اليوم من السجن وقد حصل لي سرور عظيم بما سمعت منه وانتفعت به ووقع في نفسي انه من الابدال الصالحين قيضه الله تعالى لي يوقظني ويؤدبني ويسليني * وقيل ان رجلا كان يضرب بالسياط ويجلد جلدا بليغا ولم يتكلم ويصبر ولم يتأوه فوقف عليه بعض مشايخ الطريقة فقال له أما يؤلمك هذا الضرب الشديد فقال بلى قال لم لا تصيح فقال ان في هذا القوم الذين وقفوا على صديقا لي يعتقد في الشجاعة والجلادة وهو يرقبني بعينه فأخشى ان صحت يذهب ماء وجهي عنده ويسوء ظنه بي فانا أصبر على شدة الضرب وأحتمله لاجل ذلك قال الشاعر

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه * ويحمد منه الصبر مما يصيبه
فمن قل فيما يلتقيه اصطباره * لقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من أولي العزم من الرسل الا بالصبر ولم يكلفني الا ما كلفوا به فقال عز وجل فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل واني والله لاصبرن كما صبروا فان النبي صلى الله عليه وسلم لما صبر كما أمر أسفر وجه صبره عن ظفره ونصره وكذلك الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين هم أولوا العزم لما صبروا ظفروا وانتصروا وقد اختلف أهل العلم فيهم على أقوال كثيرة فقال مقاتل رضي الله عنه هم نوح وابراهيم واسحق ويعقوب ويونس وأيوب صلوات الله عليهم وقال قتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ويقال ما الذي صبروا عليه حتى سماهم الله تعالى أولي العزم فأقول (ذكر ما صبروا عليه) اما نوح عليه السلام فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما كان نوح عليه السلام يضرب ثم يلف في لبد ويلقى في بيته يرون انه

قدمات ثم يعود ويخرج الى قومه ويدعوهم الى الله تعالى ولما أيس منهم ومن ايمانهم جاءه
رجل كبير متوكأ على عصاه ومعه ابنه فقال لابنه يابني انظر الى هذا الشيخ واعرفه ولا يغرنك
فقال له ابنه ياأبت مكني من العصا فأخذها من أبيه وضرب بها نوحا عليه السلام شج بها
رأسه وسال الدم على وجهه فقال رب قد ترى ما يفعل بي عبادك فان يكن لك فيهم حاجة
فاهدهم والا فصبرني الى أن تحكم فأوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد
آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك قال يارب وما الفلك قال بيت من خشب
يجرى على وجه الماء أنجي فيه أهل طاعتي وأغرق أهل معصيتي قال يارب وأين الماء قال
أنا على كل شئ قدير قال يارب وأين الخشب قال اغرس الخشب فغرس الساج عشرين سنة
وكف عن دعائهم وكفوا عن ضربه الا أنهم كانوا يستهزؤن به فلما أدرك الشجر أمره ربه
فقطعها وجففها وقال يارب كيف أتخذ هذا البيت قال اجعله على ثلاث صور وبعث
الله له جبريل فعلمه وأوحى الله تعالى اليه أن عجل بعمل السفينة فقد اشتد غضبي على من
عصاني فلما فرغت السفينة جاء أمر الله سبحانه وتعالى بانتصار نوح ونجاته واهلاك قومه
وعذابهم الا من آمن معه وفار التنور وظهر الماء على وجه الارض وقذفت السماء بأمطار
كأفواه القرب حتى عظم الماء وصارت أمواجه كالجبال وعلا فوق أعلى جبل في الارض
أربعين ذراعا وانتقم الله سبحانه وتعالى من الكافرين ونصر نبيه نوحا عليه السلام وفي تمام
قصته وحديث السفينة كلام مبسوط لأهل التفسير ليس هذا موضع شرحه وبسطه فهذا
زبدة صبر نوح عليه السلام وانتصاره على قومه وأما ابراهيم عليه السلام فانه لما كسر أصنام
قومه التي كانوا يعبدونها لم يروا في قتله ونصرة آلهتهم أبلغ من احراقه فأخذوه وحبسوه
بيت ثم بنوا حائزا كالحوش طول جداره ستون ذراعا الى سفح جبل عال ونادى منادى
ملكهم أن احتطبوا للاحراق ابراهيم ومن تخلف عن الاحتطاب أحرقه فلم يتخلف منهم أحد
وفعلوا ذلك أربعين يوما ليلا ونهارا حتى كاد الحطب يساوي رؤس الجبال وسدوا أبواب
ذلك الحائز وقذفوا فيه النار فارتفع لهبها حتى كان الطائر يمر بها فيحترق من شدة لهبها ثم بنوا
بنيانا شامخا وبنوا فوقه منجنيقا ثم رفعوا ابراهيم على رأس البنيان فرفع ابراهيم عليه السلام
طرفه الى السماء ودعا الله تعالى وقال حسبي الله ونعم الوكيل وقيل كان عمره يومئذ ستة
وعشرين سنة فنزل اليه جبريل عليه السلام وقال يا ابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا فقال
جبريل سل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال الله تعالى يانار كوني بردا وسلاما على
ابراهيم فلما قذفوه فيها نزل معه جبريل عليه السلام فجلس به على الارض وأخرج الله له ماء
عذبا قال كعب ما أحرقت النار غير كتافه وأقام في ذلك الموضع سبعة أيام وقيل أكثر من ذلك
ونجاه الله تعالى ثم أهلك نمرود وقومه بأخس الاشياء وانتقم منهم وظفر ابراهيم عليه السلام
بهم فهذه ثمرة صبره على مثل هذه الحالة العظمى ولم يجزع منها وصبر وفوض أمره الى الله
تعالى في ذلك وتوكل عليه ووثق به ثم جاءته قصة ذبح ولده وأمره الله تعالى بذلك فقابل أمره
بالتسليم والامتثال * وسارع الى ذبحه من غير اهمال ولا امهال * وقصته مشهورة وتفاصيل
القصة في كتب التفسير مسطورة فلما ظهر صدقه ورضاه ومبادرته الى طاعة مولاه وصبره

على ماقدره وقضاه عوضه الله تعالى عن ذبح ولده أن فداه واتخذه خليلا من بين خلقه واجتباه وأما الذبيح صلوات الله وسلامه عليه فانه صبر على بلية الذبح وتلخيصها ان الله تعالى لما ابتلى ابراهيم عليه السلام بذبح ولده قال انى أريد أن أقرب قربانا فأخذ ولده والسكين والحبل وانطلق فلما دخل بين الجبال قال ابنه أين قربانك يا أبت قال ان الله تعالى قد أمرنى بذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين يا أبت أشدد وثاقى كى لا أضطرب واجمع ثيابك حتى لا يصل اليها رشاش الدم فتراه أمى فيشتد حزنها وأسرع امرار السكين على حلقى ليكون أهون للموت على واذا لقيت أمى فاقرأ السلام اليها فأقبل ابراهيم عليه السلام على ولده يقبله ويبكى ويقول نعم العون أنت يا بنى على ما أمر الله تعالى قال مجاهد لما أمر السكين على حلقه انقلبت السكين فقال يا أبت اطعن بها طعنا وقال الذى جعل الله حلقه كصفيحة من نحاس لا تعمل فيها السكين شيأ فلما ظهر فيهما صدق التسليم نودى ان يا ابراهيم هذا فداء ابنك فأتاه جبريل عليه السلام بكبش أملح فأخذه وأطلق ولده وذبح الكبش فلا جرم ان جعل الذبيح نبيا بصبره وامتثاله لامره وأما يعقوب عليه الصلاة والسلام فانه لما ابتلى بفراق ولده وذهاب بصره واشتداد حزنه قال فصبر جميل وكذلك يوسف صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين لما ابتلاه الله تعالى بالقائه فى ظلمة الجب وبيعه كما تباع العبيد وفراقه لابيه وادخاله السجن وحبسه فيه بضع سنين وانه تلقى ذلك كله بصبره وقبوله فلا جرم أورثهما صبرهما جمع شملهما واتساع القدرة بالملك فى الدنيا مع ملك النبوة فى الآخرة وأما أيوب عليه الصلاة والسلام فانه ابتلاه الله تعالى بهلاك أهله وماله وتتابع المرض المزمن والسقم المهلك حتى أفضى أمره الى ماتضعف القوى البشرية عن حمله ولنذكر شيأ مختصرا من ذلك وهو أن ملكا من ملوك بنى اسرائيل كان يظلم الناس فنهاه جماعة من الانبياء عن الظلم وسكت عنه أيوب عليه السلام فلم يكلمه ولم ينهه لاجل خيل كانت له فى مملكته فأوحى الله تعالى الى أيوب عليه السلام تركت نهيه عن الظلم لاجل خيلك لأطيلن بلاءك فقال ابليس لعنه الله يارب سلطنى على أولاده وماله فسلطه فبث ابليس مردته من الشياطين فبعث بعضهم الى دوابه ورعاتها فاحتملوها جميعا وقذفوها فى البحر وبعث بعضهم الى زرعه وجنانه فأحرقوها وبعث بعضهم الى منازله وفيها أولاده وكانوا ثلاثة عشر ولدا وخدمه وأهله فزلزلوها فهلكوا ثم جاء ابليس الى أيوب عليه السلام وهو يصلى فتمثل له فى صورة رجل من غلمانه فقال يا أيوب أنت تصلى ودوابك ورعاتك قد هبت عليها ريح عظيمة وقذفت الجميع فى البحر وأحرقت زرعك وهدمت منازلك على أولادك وأهلك فهلك الجميع ماهذه الصلاة فالتفت اليه وقال الحمد لله الذى أعطانى ذلك كله ثم قبله منى ثم قام الى صلاته فرجع ابليس ثانيا فقال يارب سلطنى على جسده فسلطه فنفخ فى ابهام رجله فانتفخ ولازال يسقط لحمه من شدة البلاء الى أن بقى امعاؤه تبين وهو مع ذلك كله صابر محتسب مفوض أمره الى الله تعالى وكان الناس قد هجروه واستقذروه وألقوه خارجا عن البيوت من نتن ريحه وكانت زوجته رحمة بنت يوسف الصديق قد سلمت فترددت اليه متفقدة فجاءها ابليس يوما فى صورة شيخ

ومعه سخلة وقال لها اذبح أيوب هذه السخلة على اسمي فمر أجابته فأخبرته فقال لها ان شفاني الله تعالى لأجلدنك مائة جلدة تأمريني أن أذبح لغير الله تعالى فطردها عنه فذهبت وبقي ليس له من يقوم به فلما رأى انه لا طعام له ولا شراب ولا أحد من الناس يتفقده خر ساجدا لله تعالى وقال رب اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فلما علم الله تعالى منه ثباته على هذه البلوى طول هذه المدة وهي على ماقيل ثمان عشرة سنة وقيل غير ذلك وأنه تلقى جميع ذلك بالقبول وما شكا الى مخلوق مانزل به عاد الله تعالى بألطافه عليه فقال تعالى فكشفنا مابه من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وأفاض عليه من نعمه ما نساه به بلوى نقمه ومنحه من أقسام كرمه أن أفتاه في يمينه تحلة قسمه ومدحه في نص الكتاب فقال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فلولم يكن الصبر من أعلى المراتب وأسنى المواهب لما أمر الله تعالى به رسله ذوي الحزم وسماهم بسبب صبرهم أولي العزم وفتح لهم بصبرهم أبواب مرادهم وسؤالهم ومنحهم من لدنه غاية أمرهم وما أمولهم ومرامهم فالسعد من اهتدى بهداهم واقتدى بهم وان قصر عن مداهم وقيل العسر يعقبه اليسر والشدة يعقبها الرخاء والتعب يعقبه الراحة والضيق يعقبه السعة والصبر يعقبه الفرج وعند تناهي الشدة تنزل الرحمة والموفق من رزقه صبرا وأجرا والشقي من ساق القدر اليه جزعا ووزرا ومما شنف السمع من نجيح هذه الاشارة وأتحف النفع في نهج هذه العبارة ماروي عن الحسن البصري رضي الله عنه قال كنت بواسط فرأيت رجلا كأنه قد نبش من قبر فقلت ماذهالك ياهذا فقال اكتم علي أمري حبسني الحجاج منذ ثلاث سنين فكنت في أضيق حال وأسوء عيش وأقبح مكان وأنا مع ذلك كله صابر لا أتكلم فلما كان بالأمس أخرجت جماعة كانوا معي فضربت رقابهم وتحدث بعض أعوان السجن أن غدا تضرب عنقي فأخذني حزن شديد وبكاء مفرط وأجرى الله تعالى على لساني فقلت الهي اشتد الضر ونفد الصبر وأنت المستعان ثم ذهب من الليل أكثره فأخذتني غشية وأنا بين اليقظان والنائم اذ أتاني آت فقال لي قم فصل ركعتين وقل يامن لايشغله شئ عن شئ يامن أحاط علمه بماذرأ وبرأ أنت عالم بخفيات الامور ومحصي وساوس الصدور وأنت بالمنزل الاعلى وعلمك محيط بالمنزل الادنى تعاليت علوا كبيرا يامغيث أغثني وفك أسري واكشف ضري فقد نفد صبري فقمت وتوضأت في الحال وصليت ركعتين وتلوت ماسمعته منه ولم تختلف علي منه كلمة واحدة فما تم القول حتى سقط القيد من رجلي ونظرت الى أبواب السجن فرأيتها قد فتحت فقمت فخرجت ولم يعارضني أحد فأنا والله طليق الرحمن وأعقبني الله بصبري فرجا وجعل لي من ذلك الضيق مخرجا ثم ودعني وانصرف يقصد الحجاز وفيما يروى عن الله تعالى انه أوحى الى داود عليه السلام ياداود من صبر علينا وصل الينا وقال بعض الرواة دخلت مدينة يقال لها دقار فبينما أنا أطوف في خرابها اذ رأيت مكتوبا بباب قصر خرب بماء الذهب واللازورد هذه الابيات

يامن ألح عليه الهم والفكر * وغيرت حاله الايام والغير
أما سمعت لما قد قيل في مثل * عند الاياس فأين الله والقدر

ثم الخطوب اذا أحداثها طرقت * فاصبر فقد فاز أقوام بما صبروا
وكل ضيق سيأتى بعده سعة * وكل فوت وشيك بعده الظفر

ولما حبس أبو أيوب فى السجن خمس عشرة سنة ضاقت حيلته وقل صبره فكتب الى بعض اخوانه يشكو اليه طول حبسه وقلة صبره فرد عليه جواب رقعته يقول

صبرا أبا أيوب صبر مبرح * واذا عجزت عن الخطوب فمن لها
ان الذى عقد الذى انعقدت به * عقد المكاره فيك يملك حلها
صبرا فان الصبر يعقب راحة * ولعلها أن تنجلى ولعلها

فأجابه أبو أيوب يقول

صبرتنى ووعظتنى وأنا لها * وستنجلى بل لا أقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها * كرما به اذ كان يملك حلها

فالبث بعد ذلك أياما حتى أطلق مكرما وأنشدوا

اذا ابتليت فثق بالله وارض به * ان الذى يكشف البلوى هو الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه * لا تيأسن فان الصانع الله
اذا قضى الله فاستسلم لقدرته * فما ترى حيلة فيما قضى الله

(الفصل الثالث من هذا الباب فى التأسى فى الشدة والتسلى عن نوائب الدهر)

قال الثورى رحمه الله تعالى لم يفقه عندنا من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة وقيل الهموم التى تعرض للقلوب كفارات للذنوب وسمع حكيم رجلا يقول لآخر لا أراك الله مكروها فقال كأنك دعوت عليه بالموت فان صاحب الدنيا لا بد له أن يرى مكروها وتقول العرب ويل أهون من ويلين وقال ابن عيينة الدنيا كلها غموم فما كان فيها من سرور فهو ربح وقال العتبى اذا تناهى الغم انقطع الدمع بدليل أنك لا ترى مثبورا بالبساط ولا مقدما لضرب العنق يبكى وقيل تزوج مغن بنائحة فسمعها تقول اللهم أوسع لنا فى الرزق فقال لها يا هذه انما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفى ذلك فان كان فرح دعونى وان كان حزن دعوك وقال وهب بن منبه اذا سلك بك طريق البلاء سلك بك طريق الانبياء وقال مطرف ما نزل بى مكروه قط فاستعظمته الا ذكرت ذنوبى فاستصغرته وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه يرفعه يود أهل العافية يوم القيامة ان لحومهم كانت تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب الله تعالى لأهل البلاء وروى أبو عتبة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قالوا وما اقتناه قال لا يترك له مالا ولا ولدا ومر موسى عليه السلام برجل كان يعرفه مطيعا لله عز وجل قد مزقت السباع لحمه واضلاعه وكبده ملقاة على الارض فوقف متعجبا قال أى رب عبدك ابتليته بما أرى فأوحى الله تعالى اليه انه سألنى درجة لم يبلغها بعمله فأحببت أن أبتليه لابلغه تلك الدرجة وكان عروة بن الزبير صبورا حين ابتلى حكى انه خرج الى الوليد بن يزيد فوطئ عظما فما بلغ الى دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الاطباء فأجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له اشرب مرقدا فقال ما أحب ان أغفل عما ذكر الله تعالى فأحمى له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدى ولم

يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت في عضو فقد عوفيت في اعضاء فبينما هو كذلك اذ أتاه خبر ولده انه اطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن أخذت واحدا لقد أبقيت جماعة وقدم على الوليد وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعي مالي وعيالي ولا أعلم عبسيا يزيد ماله على مالي فعرسنا في بطن واد فطرقنا سيل فذهب ما كان لي من أهل ومال وولد غير صبي صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الارض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب في بطنه وهو يأكل فيه فرجعت الى البعير فحطم وجهي برجليه فذهبت عيناي فأصبحت بلا عينين ولا ولد ولا مال ولا أهل فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم أن في الدنيا من هو أعظم مصيبة منه وقيل الحوادث الممضة مكسبة لحظوظ جليلة اما ثواب مدخر أو تطهير من ذنب أو تنبيه من غفلة أو تعريف لقدر النعمة قال البحتري يسلي محمد بن يوسف على حبسه

وما هذه الأيام الا منازل * فمن منزل رحب الى منزل ضنك

وقد هذبتك الحادثات وانما * صفا الذهب الابريز قبلك بالسبك

أما في نبي الله يوسف اسوة * لمثلك محبوس على الظلم والافك

أقام جميل الصبر في السجن برهة * فآل به الصبر الجميل الى الملك

وقال علي بن الجهم لما حبسه المتوكل

قالوا حبست فقلت ليس بضائري * حبسي وأي مهند لا يغمد

والشمس لولا انها محجوبة * عن ناظريك لما أضاء الفرقد

والنار في أحجارها مخبوأة * لا تصطلى ان لم تثرها الازند

والحبس ما لم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المتودد

بيت يجدد للكريم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحمد

لو لم يكن في الحبس الا أنه * لا تستذلك بالحجاب الأعبد

غير الليالي باديات عود * والمال عارية يعار وينفد

ولكل حي معقب ولربما * أجلى لك المكروه عما يحمد

لا يؤيسنك من تفرج نكبة * خطب رماك به الزمان الانكد

كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجا ومات طبيبه والعود

صبرا فان اليوم يعقبه غد * ويد الخلافة لا تطاول لها يد

قال وأنشد اسحق الموصلي ابراهيم بن المهدي حين حبس

هي المقادير تجري في أعنتها * فاصبر فليس لها صبر على حال

يوما تريك خسيس الاصل ترفعه * الى العلاء ويوما تخفض العالي

فما امسى حتى وردت عليه الخلع السنية من المأمون ورضي عنه وقال ابراهيم بن عيسى الكاتب في ابراهيم بن المدني حين عزل

ليهن ابا اسحق أسباب نعمة * مجددة بالعزل والعزل انبل

شهدت لقد منوا عليك وأحسنوا * لانك يوم العزل أعلى وأفضل

وقال آخر

قد زاد ملك سليمان فعاوده * والشمس تنحط فى المجرى وترتفع

وقال أبو بكر الخوارزمى لمعزول الحمد لله الذى ابتلى فى الصغير وهو المال وعافى فى الكبير وهو الجمال

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة * ولكن عارا أن يزول التجمل

وقيل المال حظ ينقص ثم يزيد وظل ينحسر ثم يعود وسئل بزرجمهر عن حاله فى نكبته فقال عولت على أربعة أشياء أولها أنى قلت القضاء والقدر لابد من جريانهما الثانى أنى قلت ان لم أصبر فما أصنع الثالث أنى قلت قد كان يجوز أن يكون أعظم من هذا الرابع أنى قلت لعل الفرج قريب والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السابع والخمسون ما جاء فى اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والفرح والسرور ونحو ذلك مما يتعلق بهذا الباب

فمما يليق بهذا الباب من كتاب الله عز وجل قوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا وقوله تعالى وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد وقوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ويروى عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو كان العسر فى حجر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه وقال عليه الصلاة والسلام عند تناهى الشدة يكون الفرج وعند تضايق البلاء يكون الرخاء وقال على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أفضل عبادة أمتى انتظارها فرج الله تعالى وقال الحسن لما نزل قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال النبى صلى الله عليه وسلم أبشروا فلن يغلب عسر يسرين ومن كلام الحكماء ان تيقنت لم يبق هم وقال أبو حاتم

اذا اشتملت على اليأس القلوب * وضاقت بما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت * وأرست فى مكامنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها * ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث * يمن به اللطيف المستجيب

وقال آخر

عسى الهم الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويغاث عان * ويأتى أهله النائى الغريب

وقال آخر

تصبر أيها العبد اللبيب * لعلك بعد صبرك ما تخيب
وكل الحادثات اذا تناهت * يكون وراءها فرج قريب

وقال ابراهيم بن العباس

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج

ضاقت

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقال آخر

لئن صدع البين المشتت شملنا * فللبين حكم في الجموع صدوع
وللنجم من بعد الرجوع استقامة * وللشمس من بعد الغروب طلوع
وان نعمة زالت عن الحر وانقضت * فان لها بعد الزوال رجوع
فكن واثقا بالله واصبر لحكمه * فان زوال الشر عنك سريع

(ولنذكر نبذة ممن حصل له الفرج بعد الشدة) روى أن الوليد بن عبد الملك كتب الى صالح بن عبد الله عامله على المدينة المنورة ان أخرج الحسن بن الحسن بن علي من السجن وكان محبوسا واضربه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة سوط فأخرجه الى المسجد واجتمع الناس وصعد صالح يقرأ عليهم الكتاب ثم نزل يأمر بضربه فبينما هو يقرأ الكتاب اذ جاء علي بن الحسين عليه السلام فأفرج له الناس حتى أتى الى جنب الحسن فقال يا ابن العم مالك ادع الله تعالى بدعاء الكرب يفرج الله عنك قال ما هو يا ابن العم فقال لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلي العظيم سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين ثم انصرف عنه وأقبل الحسن يكررها فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل قال أراه في سحنة مظلوما أخروه وأنا أراجع أمير المؤمنين في أمره فأطلق بعد أيام وأتاه الفرج من عند الله تعالى وقال الربيع لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى في المنام عليا رضي الله عنه وهو يقول يا محمد فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم قال الربيع فأرسل المهدي الي ليلا فراعني ذلك فجئته فاذا هو يقرأ هذه الآية وكان حسن الصوت فقص علي الرؤيا ثم قال ائتني بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه الى جانبه وقال يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين يقرأ علي كذا فعاهدني أن لا تخرج علي ولا على أحد من ولدي فقال والله ما ذا الذي من شأني فقال صدقت ثم قال يا ربيع اعطه ثلاثة آلاف دينار ورده الى أهله بالمدينة قال الربيع فأحكمت أمره ليلا فما أصبح الا على الطريق

وقال اسمعيل بن بشار

وكل حزن وان طالت بليته * يوما تفرج غماه وتنكشف

وقال مسلم بن الوليد كنت يوما جالسا عند خياط بازاء منزلي فرأيت انسان أعرفه فقمت اليه وسلمت عليه وجئت به الى منزلي لأضيفه وليس معي درهم بل كان عندي زوج أخفاف فارسلتهما مع جاريتي لبعض معارفي فباعهما بتسعة دراهم واشترى بهما ما قلته لها من الخبز واللحم فجلسنا نأكل واذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب واذا بانسان يسأل هذا منزل فلان ففتحت الباب وخرجت فقال أنت مسلم بن الوليد قلت نعم واستشهدت له بالخياط على ذلك فاخرج لي كتابا وقال هذا من الامير يزيد بن مزيد فاذا فيه قد بعثنا لك بعشرة آلاف درهم لتكون في منزلك وثلاثة آلاف درهم تتجمل بها القدوم علينا فادخلته الى داري وزدت في الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فأكلنا ثم وهبت لضيفي شيأ يشتري به هدية لأهله وتوجهنا الى باب يزيد بالرقة فوجدناه في الحمام فلما خرج استؤذن لي

عليه فدخلت فاذا هو جالس على كرسي و بيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فرد أحسن رد
وقال ما الذي أقعدك عنا قلت قلة ذات اليد وأنشدته قصيدة مدحته بها قال أتدري
لم أحضرتك قلت لا أدري قال كنت عند الرشيد منذ ليال أحادثه فقال لي يا يزيد من القائل
فيك هذه الابيات

سل الخليفة سيفا من بني مضر * يمضي فيخترق الاجسام والهاما
كالدهر لا ينثني عما يهم به * قد أوسع الناس انعاما وارغاما

فقلت والله لا أدري يا أمير المؤمنين فقال سبحان الله أيقال فيك مثل هذا ولا تدري من قاله
فسألت فقيل لي هو مسلم بن الوليد فأرسلت اليك فانهض بنا الى الرشيد فسرنا اليه
واستؤذن لنا فدخلنا عليه فقبلت الارض وسلمت فرد على السلام فأنشدته ما لي فيه
من شعر فأمر لي بمائتي ألف درهم وأمر ليزيد بمائة وتسعين ألف درهم وقال ما ينبغي لي أن
أساوي أمير المؤمنين في العطاء فانظر الى هذا التيسير الجسيم بعد العسر العظيم وما أحسن
ما قيل

الأمن والخوف أيام مداولة * بين الانام وبعد الضيق تتسع

ولما وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق أهل السجون ويقسم الاموال
ضيق على يزيد بن أبي مسلم فلما ولي يزيد بن عبد الملك الخلافة ولي يزيد بن أبي مسلم افريقية وكان
محمد بن يزيد واليا عليها فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن أبي مسلم وشدد في طلبه فأتى به اليه
في شهر رمضان عند المغرب وكان في يد يزيد بن أبي مسلم عنقود عنب فقال لمحمد بن يزيد حين
راه يا محمد بن يزيد قال نعم قال طالما سألت الله أن يمكنني منك فقال وأنا والله طالما سألت
الله أن يجيرني منك فقال والله ما أجارك ولا أعاذك وان سبقني ملك الموت الى قبض روحك
سبقته والله لا آكل هذه الحبة العنب حتى أقتلك ثم أمر به فكتف ووضع في النطع وقام
السياف فأقيمت الصلاة فوضع العنقود من يده وتقدم ليصلي وكان أهل أفريقية قد أجمعوا
على قتله فلما رفع رأسه ضربه رجل بعمود على رأسه فقتله وقيل لمحمد بن يزيد اذهب حيث
شئت فسبحان من قتل الامير وفك الاسير قال اسحق بن ابراهيم الموصلي رأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقول أطلق القاتل فارتعت لذلك ودعوت بالشموع
ونظرت في أوراق السجن واذا ورقة انسان ادعى عليه بالقتل وأقر به فأمرت باحضاره فلما
رأيته وقد ارتاع فقلت له ان صدقتني أطلقتك فحدثني أنه كان هو وجماعة من أصحابه
يرتكبون كل عظيمة وأن عجوزا جاءتهم بامرأة فلما صارت عندهم صاحت الله الله وغشي
عليها فلما افاقت قالت أنشدك الله في أمري فان هذه العجوز غرتني وقالت ان في هذه الدار
نساء صالحات وأنا شريفة جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمي فاطمة وأبي الحسين بن
علي فاحفظوهم في فقمت دونها وناضلت عنها فاشتد علي واحد من الجماعة وقال لا بد
منها وقاتلني فقتلته وخلصت الجارية من يده فقالت سترك الله كما سترتني وسمع الجيران
الصيحة فدخلوا علينا فوجدوا الرجل مقتولا والسكين بيدي فأمسكوني وأتوا بي اليك
وهذا أمري فقال اسحق قد وهبتك لله ولرسوله فقال وحق اللذين وهبتني لهما لا أعود

الى معصية ابدا وأمر الحجاج باحضار رجل من السجن فلما حضر أمر بضرب عنقه فقال أيها الامير أخرني الى غد قال وأى فرج لك فى تأخير يوم واحد ثم أمر برده الى السجن فسمعه الحجاج وهو راجع الى السجن يقول

عسى فرج يأتى به الله انه * له كل يوم فى خليقته أمر

فقال الحجاج والله ما أخذه الا من كتاب الله وهو قوله تعالى كل يوم هو فى شأن وأمر باطلاقه وقال بعض جلساء المعتمد كنا بين يديه ليلة نخفق رأسه بالنعاس فقال لا تبرحوا حتى أغفى سويعة فغفا ساعة ثم أفاق جزعا مرعوبا وقال امضوا الى السجن وائتونى بمنصور الجمال فجاؤا به فقال له كم لك فى السجن قال سنة ونصف قال على ماذا قال أنا جمال من أهل الموصل وضاق على الكسب ببلدى فأخذت جملى وتوجهت الى بلد غير بلدى لأعمل عليه فوجدت جماعة من الجند قد ظفروا بقوم غير مستقيمى الحال وهم مقدار عشرة أنفس وجدوهم يقطعون الطريق فدفع واحد منهم شيأ للاعوان فأطلقوه وأمسكونى عوضه وأخذوا جملى فناشدتهم الله فأبوا وبعثت أنا والقوم فأطلق بعضهم ومات بعضهم وبقيت أنا فدفع له المعتمد خمسمائة دينار وأجرى له ثلاثين دينارا فى كل شهر وقال اجعلوه على جمالنا ثم قال أتدرون ما سبب فعلى هذا قلنا لا قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول أطلق منصورا الجمال من السجن وأحسن اليه وأخذ الطاعون أهل بيت فسد بابه ففضل فيه طفل يرضع لم يشعر به أحد ففتح الباب بعد شهر فوجدوا الطفل قد عطف الله عليه كلبة ترضعه مع جروانها فسبحان القادر على كل شئ لا اله غيره ولا معبود سواه قال الشاعر

اذا تضايق أمر فانتظر فرجا * فأضيق الامر أدناه الى الفرج

وقال آخر

فلا تجزعن ان أظلم الدهر مرة * فان اعتكار الليل يؤذن بالفجر

وقال آخر

لعمرك ما كل التعاطيل ضائرا * ولا كل شغل فيه للمرء منفعه
اذا كانت الارزاق فى القرب والنوى * عليك سواء فاغتنم لذة الدعه
فان ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى * ألا رب ضيق فى عواقبه سعه

وقال الرياشى ما اعترانى هم فانشدت قول أبى العتاهية حيث قال

هى الايام والغير * وأمر الله ينتظر
أتيأس أن ترى فرجا * فأين الله والقدر

الاسرتى عنى وهبت ريح الفرج ويروى أن سلطان صقلية أرق ذات ليلة ومنع النوم فارسل الى قائد البحر وقال له أنفذ الآن مركبا الى افريقية يأتونى بأخبارها فعمد القائد الى مقدم مركب وأرسله فلما أصبحوا اذا بالمركب فى موضعه كأنه لم يبرح فقال الملك لقائد البحر أليس قد فعلت ما أمرتك به قال نعم قد امتثلت أمرك وأنفذت مركبا فرجع بعد ساعة وسيحدثك مقدم المركب فأمر باحضاره فجاء ومعه رجل فقال له الملك ما منعك أن تذهب حيث أمرت

قال ذهبت بالمركب فبينما أنا فى جوف الليل والرجال يجدفون اذا بصوت يقول يا الله يا الله يا غياث المستغيثين يكرر ها مرارا فلما استقر صوته فى أسماعنا ناديناه مرارا لبيك لبيك وهو ينادى يا الله يا الله يا غياث المستغيثين فجدفنا بالمركب نحو الصوت فلقينا هذا الرجل غريقا فى آخر رمق من الحياة فطلعنا به المركب وسألناه عن حاله فقال كنا مقلعين من افريقية فغرقت سفينتنا منذ أيام وأشرفت على الموت ومازلت أصيح حتى أتانى الغوث من ناحيتكم فسبحان من أسمع رساطانا وأرقه فى قصره لغريق فى البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحدة فسبحانه لا اله غيره ولا معبود سواه (وحكى) سيدى أبو بكر الطرطوشى فى كتابه سراج الملوك قال أخبرنى أبو الوليد الباجى عن أبى ذر قال كنت اقرأ على الشيخ ابى حفص عمر بن أحمد بن شاهين ببغداد جزأ من الحديث فى حانوت رجل عطار فبينما أنا جالس معه فى الحانوت اذ جاءه رجل من الطوافين ممن يبيع العطر فى طبق يحمله على يده فدفع اليه عشرة دراهم وقال له أعطنى بها أشياء سماها له من العطر فاعطاه اياها فاخذها فى طبقه وأراد أن يمشى فسقط الطبق من يده فانكب جميع ما فيه فبكى الطواف وجزع حتى رحمناه فقال أبو حفص لصاحب الحانوت لعلك تعينه على بعض هذه الاشياء فقال سمعا وطاعة فنزل وجمع له ماقدر على جمعه منها ودفع له ماعدم منها وأقبل الشيخ على الطواف يصبره ويقول له لا تجزع فأمر الدنيا أيسر من ذلك فقال الطواف أيها الشيخ ليس جزعى لضياع ماضاع اقد علم الله تعالى أنى كنت فى القافلة الفلانية فضاع لى هميان فيه أربعة آلاف دينار ومعها فصوص قيمتها كذلك فما جزعت لضياعها حيث كان لى غيرها من المال ولكن ولدلى ولد فى هذه الليلة فاحتجنا لامه ما تحتاج النفساء ولم يكن عندى غير هذه العشرة دراهم فخشيت أن أشترى بها حاجة النفساء فأبقى بلا رأس مال وأنا قد صرت شيخا كبيرا لا أقدر على التكسب فقلت فى نفسى أشترى بها شيأ من العطر فأطوف به صدر النهار فعسى استفضل شيأ أسد به رمق أهلى ويبقى رأس المال أتكسب به واشتريت هذا العطر فحين انكب الطبق علمت انه لم يبق لى الا الفرار منهم فهذا الذى أوجب جزعى قال أبو حفص وكان رجل من الجند جالسا الى جانبى يستوعب الحديث فقال للشيخ أبى حفص ياسيدى أريد أن تأتى بهذا الرجل الى منزلى فظننا انه يريد أن يعطيه شيأ قال فدخلنا الى منزله فأقبل على الطواف وقال له عجبت من جزعك فاعاد عليه القصة فقال له الجندى وكنت فى تلك القافلة قال نعم وكان فيها فلان وفلان فعلم الجندى صحة قوله فقال وما علامة الهميان وفى أى موضع سقط منك فوصف له المكان والعلامة قال الجندى اذا رأيته تعرفه قال نعم فأخرج الجندى له هميانا ووضعه بين يديه فحين رآه صاح وقال هذا هميانى والله وعلامة صحة قولى ان فيه من الفصوص ماهو كيت وكيت ففتح الهميان فوجده كما ذكر فقال الجندى خذ مالك بارك الله لك فيه فقال الطواف ان هذه الفصوص قيمتها مثل الدنانير وأكثر فخذها وأنت فى حل منها ونفسى طيبة بذلك فقال الجندى ما كنت لآخذ على أمانتى مالا وأبى أن يأخذ شيأ ثم دفعها للطواف جميعها فاخذها ومضى ودخل الطواف وهو من الفقراء وخرج وهو من الاغنياء اللهم أغن فقرنا ويسر أمرنا برحمتك يا أرحم الراحمين (وحكى) ان الملك ناصر الدولة من آل حمدان كان يشكو وجع القولنج حتى أعيا الاطباء دواؤه ولم

يجدوا

يجدوا له شفاء فدسوا على قتله وأرصدوا له رجلا ومعه خنجر فلما كان في بعض دهاليز القصر وثب عليه ذلك الرجل وضربه بالخنجر فجاءت الضربة أسفل خاصرته فلم تخط المعا الذي فيه القولنج فخرج ما فيه من الخلط فعافاه الله تعالى وبرئ احسن ما كان وبضد هذا ما حكاه أبو بكر الطرطوشي قال حدثنا القاضي أبو مروان الداراني بطرطوشة قال نزلت قافلة بقرية خربة من أعمال دانية فآووا الى دار خربة هنالك فاستكنوا فيها من الرياح والأمطار واستوقدوا نارهم وسووا معيشتهم وكان في تلك الخربة حائط مائل قد أشرف على الوقوع فقال رجل منهم يا هؤلاء لا تقعدوا تحت هذا الحائط ولا يدخلن أحد في هذه البقعة فأبوا الا دخولها فاعتزلهم ذلك الرجل وبات خارجا عنهم ولم يقرب ذلك المكان فاصبحوا في عافية وحملوا على دوابهم فبينماهم كذلك اذ دخل ذلك الرجل الى الدار ليقضي حاجته فخر عليه الحائط فمات لوقته قال وأخبرني أبو القاسم بن حبيش بالموصل قال لقد جرت في هذه الدار وأشار الى دار هنالك قضية عجيبة قلت وما هي قال كان يسكن هذه الدار رجل من التجار من يسافر الى الكوفة في تجارة الخز فاتفق انه حمل جميع ما معه من الخز في خرج وحمله على حماره وسار مع القافلة فلما نزلت القافلة أراد انزال الخرج عن الحمار فثقل عليه فامر انسانا هنالك فاعانه على انزاله ثم جلس يأكل فاستدعى ذلك الرجل ليأكل معه فسأله عن أمره فاخبره أنه من أهل الكوفة وانه خرج لحاجة عرضت له بغير نفقة ولا زاد فقال له الرجل كن رفيقي آنس بك وتعينني على سفري ونفقتك ومؤنتك علي فقال له الرجل وأنا أيضا أختار صحبتك وأرغب في مرافقتك فسار معه في سفره وخدمه أحسن خدمة الى أن وصلا الى تكريت فنزل الرفقة خارج المدينة ودخل الناس الى قضاء حوائجهم فقال التاجر لذلك الرجل احفظ حوائجنا حتى أدخل المدينة وأشتري ما نحتاج اليه ثم دخل المدينة وقضى جميع حوائجه ورجع فلم يجد القافلة ولا صاحبه ورحلت الرفقة ولم ير أحدا فظن انه لما رحلت الرفقة رحل ذلك الخادم معهم فلم يزل يسير ويجد السير في المشي الى أن أدرك القافلة بعد جهد عظيم وتعب شديد فسألهم عن صاحبه فقالوا ما رأيناه ولا جاء معنا ولكنه ارتحل على اثرك فظننا انك أمرته فكر الرجل راجعا الى تكريت وسأل عن الرجل فلم يجد له أثرا ولا سمع له خبرا فيئس منه ورجع الى الموصل مسلوب المال فوصلها نهارا فقيرا جائعا عريانا مجهودا فاستحيى أن يدخلها نهارا فتشمت به الاعداء نعوذ بالله من شماتتهم وخشي أن يحزن الصديق اذا رآه على تلك الحالة فاستخفى الى الليل ثم عاد الى داره فطرق الباب فقيل له من هذا قال فلان يعني نفسه فأظهروا له سرورا عظيما وحاجة اليه وقالوا الحمد لله الذي جاء بك في هذا الوقت على ما نحن فيه من الضرورة والحاجة فانك أخذت مالك معك وما تركت لنا نفقة كافية وأطلت سفرك واحتجنا وقد وضعت زوجتك اليوم والله ما وجدنا ما نشتري به شيأ للنفساء فأتنا بدقيق ودهن نسرج به علينا فلا سراج عندنا فلما سمع ذلك ازداد غما على غمه وكره أن يخبرهم بحاله فيحزنهم بذلك فاخذ وعاء للدهن ووعاء للدقيق وخرج الى حانوت أمام داره وكان فيه رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحو ذلك وكان البياع أطفأ سراجه وأغلق حانوته ونام فناداه فعرفه فاجابه وشكر الله على سلامته فقال له افتح حانوتك وأعطنا ما نحتاج

اليه من دقيق وعسل ودهن فنزل البياع الى حانوته وأوقد المصابيح ووقف يزن له ما طلب فبينما هو كذلك اذ حانت من التاجر التفاتة الى قعر الحانوت فرأى خرجه الذى هرب به صاحبه فلم يملك نفسه أن وثب اليه والتزمه وقال يا عدو الله ائتنى بمالى فقال له البياع ما هذا يا فلان والله ما علمتك متعديا وأنا أبدا ما جنيت عليك ولا على غيرك فما هذا الكلام قال هذا خرجى هرب به خادم كان يخدمنى وأخذ حمارى وجميع مالى فقال البياع والله مالى علم غير أن رجلا ورد على بعد العشاء واشترى منى عشاءه وأعطانى هذا الخرج فجعلته فى حانوتى وديعة الى حين يصبح والحمار فى دار جارنا والرجل فى المسجد نائم قال له احمل معى الخرج وامض بنا الى الرجل فرفع الخرج على عاتقه ومضى معه الى المسجد فاذا الرجل نائم فى المسجد فوكزه برجله فقام الرجل مرعوبا فقال مالك قال أين مالى يا خائن قال ها هو فى خرجك فوالله ما أخذت منه ذرة قال فاين الحمار وآلته قال هو عند هذا الرجل الذى معك فعفا عنه وخلى سبيله ومضى بخرجه الى داره فوجد متاعه سالما فوسع على أهله وأخبرهم بقصته فازداد سرورهم وفرحهم وتبركوا بذلك المولود فسبحان من لا يخيب من قصده ولا ينسى من ذكره (ولنلحق بهذا الباب ذكر شئ مما جاء فى التهنئة والبشائر) كتب بعضهم الى اخيه وقد أتاه خبر استبشر به سمعت عنك خبرا سارا كتب فى الالواح وامتزج بالارواح وعقد جملة البشائر العظام وجرى فى العروق وغشى فى العظام وكان خالد ابن عبد الله القسرى أخا هشام بن عبد الملك من الرضاع وكان يقول له انى لارى فيك آثار الخلافة ولا تموت حتى تليها فقال له ان أنا وليتها فلك العراق فلما ولى أتاه فقام بين الصفين وقال يا أمير المؤمنين أعزك الله بعزته وأيدك بملائكته وبارك لك فيما ولاك ورعاك فيما استرعاك وجعل ولايتك على أهل الاسلام نعمة وعلى أهل الشرك نقمة لقد كانت الولاية اليك أشوق منك اليها وأنت لها أزين منها لك وما مثلها ومثلك الا كما قال الاحوص هذه الابيات

وان الدر زاد حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا
وتزيدين أطيب الطيب طيبا * ان تمسيه أين مثلك أينا

ودخل على المهدى أعرابى فقال له فيم جئت قال أتيتك برسالة قال هاتها قال أتانى آت فى منامى فقال ائت أمير المؤمنين فأبلغه هذه الابيات

لكم ارث الخلافة من قريش * تزف اليكمو أبدا عروسا
الى هرون تهدى بعد موسى * تميس وما لها ان لا تميسا

فقال المهدى يا غلام على بالجواهر فحشا فاه حتى كاد ينشق ثم قال اكتبوا هذه الابيات واجعلوها فى مخانق صبياننا وقال ابراهيم الموصلى فى تهنئة الرشيد بالخلافة

ألم تر أن الشمس كانت مريضة * فلما أتى هرون أشرق نورها
تلبست الدنيا جمالا بملكه * فهرون واليها ويحيى وزيرها

وغناهما من وراء الحجاب فوصله بمائة ألف دينار ويحيى بخمسين ألفا ودخل عطاء بن أبى صيفى على يزيد بن معاوية وهو أول من جمع بين التهنئة والتعزية فقال رزئت خليفة

الله وأعطيت خلافة الله فقضى معاوية نحبه فغفر الله ذنبه ووليت الرياسة وكنت أحق بالسياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية واشكر الله على أعظم العطية ومرّ عمر بن هبيرة بعد اطلاقه من السجن بالرقة فاذا امرأة من بني سليم على سطح لها تحادث جارة لها الا وهي تقول لا والذي أسأله أن يخلص عمر بن هبيرة مما هو فيه ما كان كذا فرمى اليها بصرة فيها مائة دينار وقال قد خلص الله عمر بن هبيرة فطيبي نفسا وقري عينا والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والخمسون في ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان)

(الفصل الاول في مدح العبيد والاماء والاستيصاء بهم خيرا) عن عليّ رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يدخل الجنة شهيد وعبد أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعه ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين وكان زيد بن حارثة خادما لخديجة رضي الله عنها اشترى لها بسوق عكاظ فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أبوه يريد شراءه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رضي بذلك فعلت فسئل زيد فقال ذل الرق مع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الي من عز الحرية مع مفارقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اختارنا اخترناه فأعتقه وزوجه أم أيمن وبعدها زينب بنت جحش وعن عليّ رضي الله عنه قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بالصلاة واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم وعن أبي هريرة رضي الله عنه لا يقولنّ أحدكم عبدي وأمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي وعن ابن مسعود الانصاري قال ضربت غلاما لي فسمعت من خلفي صوتا اعلم أبا مسعود أنّ الله أقدر عليك منك عليه فالتفت فاذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله تعالى فقال اما انك لو لم تفعل للفحتك النار وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم ثم أعاد عليه فصمت فلما كانت الثالثة قال له أعفو عنه كل يوم سبعين مرة وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال حدثني أبو القاسم نبيّ التوبة صلى الله عليه وسلم من قذف مملوكه وهو بريء مما قال جلد له يوم القيامة حدا وقيل أراد رجل بيع جاريته فبكت فقال لها ما لك فقالت لو ملكت منك ما ملكت مني ما أخرجتك من يدي فأعتقها وتزوجها وقال أبو اليقظان ان قريشا لم تكن ترغب في أمهات الاولاد حتى ولدن ثلاثة هم خير أهل زمانهم عليّ بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وذلك أنّ عمر رضي الله عنه أتى ببنات يزدجرد بن شهريار بن كسرى مسبيات فأراد بيعهن فأعطاهن للدلال ينادي عليهن بالسوق فكشف عن وجه احداهن فلطمته لطمة شديدة على وجهه فصاح واعمراه وشكا اليه فدعاهن عمر وأراد أن يضربهن بالدرة فقال عليّ رضي الله عنه يا أمير المؤمنين انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكرموا عزيز قوم ذل وغنيّ قوم افتقر ان بنات الملوك لا يبعن ولكن قوموهن فقوموهنّ وأعطاه أثمانهن وقسمهنّ بين الحسن بن علي ومحمد بن

أبي بكر وعبد الله بن عمر فولدن هؤلاء الثلاثة وقيل استبق بنو عبد الملك فسبقوا مسلمة وكان ابن أمة فتمثل عبد الملك بقول عمرو العبدي

نهيتكم أن تحملوا فوق خيلكم * هجينا لكم يوم الرهان فيدرك
فتعثر كفاه ويسقط سوطه * ويخدر ساقاه فما يتحرك
وهل يستوي المرآن هذا ابن حرة * وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك

فقال له مسلمة يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ليس هذا مثلي ولكن كما قال ابن المعمر هذه الابيات

فما أنكحونا طائعين بناتهم * ولكن خطبناهم بارماحنا قسرا
فما زادنا فيها السباء مذلة * ولا كلفت خبزا ولا طبخت قدرا
وكم قد ترى فينا من ابن سبية * اذا لقي الابطال يطعنهم شزرا
ويأخذ رايات الطعان بكفه * فيوردها بيضا ويصدرها حمرا

فقبل رأسه وعينيه وقال أحسنت يا بني ذاك والله انت وأمر له بمائة ألف درهم مثل ما أخذ السابق والله أعلم

(الفصل الثاني في ذم العبيد والخدم) روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال بئس المال في آخر الزمان المماليك وقال مجاهد اذا كثرت الخدم كثرت الشياطين وقال لقمان لابنه لا تأمنن امرأة على سر ولا تطأ خادما تريدها للخدمة ووصف بعضهم عبدا فقال يأكل فارها ويعمل كارها ويبغض قوما ويحب نوما وقيل لبعضهم ألك غلام فقال

ومالي غلام فأدعو به * سوى من أبوه أخو عمتي

وقال اكثم الحر حر وان مسه الضر والعبد عبد وان ألبسته الدر ودعا بعض أهل الكوفة اخوانه وله جارية فقصرت فيما ينبغي لهم من الخدمة فقال

اذا لم يكن في منزل المرء حرة * رأى خللا فيما تولى الولائد
فلا يتخذ منهن حر قعيدة * فهن لعمر الله بئس القعائد

وكان لرجل غلام من اكسل الناس فأرسله يوما يشتري له عنبا وتينا فأبطأ عليه حتى عيل صبره ثم جاء بأحدهما فضربه وقال ينبغي لك اذا استقضيتك حاجة ان تقضي حاجتين فمرض الرجل فأمر الغلام أن يأتيه بطبيب فغاب ثم جاء بالطبيب ومعه رجل آخر فسأله عنه فقال اما ضربتني وأمرتني أن أقضي حاجتين في حاجة فجئتك بالطبيب فان شفاك الله تعالى والا حفر لك هذا قبرك فهذا طبيب وهذا حفار وقيل كان عمرو الاعجمي يلي حكم السند فكتب الى موسى الهادي ان رجلا من أشراف أهل الهند من آل المهلب بن أبي صفرة اشترى غلاما أسود فرباه وتبناه فلما كبر وشب اشتد به هوى مولاته فراودها عن نفسها فاجابته فدخل مولاه يوما على غفلة منه من حيث لا يعلم فاذا هو على صدر مولاته فعمد اليه فجب ذكره وتركه يتشحط في دمه ثم أدركته عليه رقة وندم على ذلك فعالجه الى أن برئ من علته فأقام الغلام بعدها مدة يطلب أن يأخذ ثأره من مولاه ويدبر عليه أمرا يكون فيه شفاء

غليله وكان لمولاه ابنان أحدهما طفل والآخر يافع كأنهما الشمس والقمر فغاب الرجل يوما عن منزله لبعض الامور فاخذ الاسود الصبيين فصعد بهما على ذروة سطح عال فنصبهما هنالك وجعل يعللهما بالمطعم مرة وباللعب أخرى الى أن دخل مولاه فرفع رأسه فرأى ابنيه في شاهق مع الغلام فقال ويلك عرضت ابنيّ للموت قال أجل والله الذي لا يحلف العبد باعظم منه لئن لم تجب ذكرك مثل ماجببتني لأرمين بهما فقال الله الله ياولدي في تربيتي لك قال دع هذا عنك فوالله ماهي الا نفسي واني لأسمح بها في شربة ماء فجعل يكرر عليه ويتضرع له وهو لا يقبل ذلك ويذهب الوالد يريد الصعود اليه فيدليهما من ذلك الشاهق فقال أبوهما ويلك فاصبر حتى أخرج مدية وأفعل ما أردت ثم أسرع وأخذ مدية فجب نفسه وهو يراه فلما رأى الاسود ذلك رمى الصبيين من ذلك الشاهق فتقطعا وقال ان جبك لنفسك ثاري وقتل أولادك زيادة فيه فأخذ الاسود وكتب بخبره لموسى الهادي فكتب موسى لصاحب السند عمر والاعجمي بقتل الغلام وقال ماسمعت بمثل هذا قط وأمر أن يخرج من مملكته كل أسود فماترى أردأ من العبيد ولا أقل خيرا منهم وأكثرهم رداءة المولدون لو أحسنت الى أحدهم الدهر كله بكل ماتصل يدك اليه انكره كأن لم ير منك شيأ وكلما أحسنت اليه تمرد وان اسأت اليه خضع وذل وقد جربت أنا ذلك كثيرا وما أحسن ماقيل

اذا أنت اكرمت الكريم ملكته * وان انت اكرمت اللئيم تمردا

وقيل ان العبد اذا شبع فسق وان جاع سرق وكان جدي لامي يقول شر المال تربية العبيد والمولدون منهم ألأم من الزنوج واردأ لان المولد لا يعرف له أبا وربما يعرف الزنجي أبويه ويقال في المولد بغل لانه مجنس والبغل تكون أمه فرسا وأبوه حمارا وبالعكس فلا تثق بمولد لانه قل ان يكون فيه خير وان كان فذاك نادر والنادر لاحكم له وانا استغفر الله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب التاسع والخمسون في اخبار العرب الجاهلية وأوابدهم وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب من اكاذيبهم

للعرب أوابد وعوائد كانوا يرونها فضلا وقد دل على بعضها القرآن العظيم وأكذب الله دعاويهم فيها فمن ذلك قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون * قال أهل اللغة البحيرة ناقة كانت اذا انتجت خمسة أبطن وكان الآخر ذكرا بحروا اذنها أي شقوا اذنها وامتنعوا من ذكاتها ولا تمنع من ماء ولا مرعى * وكان الرجل اذا أعتق عبدا وقال هو سائبة فلا عقد بينهما ولا ميراث * وأما الوصيلة في الغنم كانت الشاة اذا ولدت أنثى فهي لهم وان ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم فان ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم * واما الحام فالذكر من الابل كانت العرب اذا انتج من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى * وقال تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فالخمر ماخامر العقل ومنه سميت الخمر خمرا والميسر القمار والانصاب حجارة وكانت لهم يعبدونها وهي الاوثان واحدها نصب والازلام سهام كانت لهم مكتوب

على بعضها أمرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي فاذا أراد الرجل سفرا أو أمرا يهتم به ضرب بتلك القداح فاذا خرج الامر مضى لحاجته واذا خرج النهي لم يمض * ومن أوابدهم وأد البنات أي دفنهن احياء كانوا في الجاهلية اذا رزق أحدهم انثى وأدها واذا بشر بها ضاق صدره وكظم وجهه وهو قوله تعالى واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وقال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم وقد قيل انهم كانوا يقتلونهن خوف العار وبمكة جبل يقال له أبو دلامة كانت قريش تدفن فيه البنات * وقيل ان صعصعة جد الفرزدق كان يشتري البنات ويفديهن من القتل كل بنت بناقتين عشراوين وجمل وفاخر الفرزدق رجلا عند بعض خلفاء بني أمية فقال أنا ابن محيي الموتى فأنكر الرجل ذلك فقال ان الله تعالى يقول ومن أحياها فكأنما احيا الناس جميعا * واما الرفادة في الحج فكانت خرجا تخرجه قريش في كل موسم من أموالهم الى قصي فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وذلك ان قصيا فرضه على قريش فقال لهم حين أمرهم به يا معشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم وان الحجاج ضيوف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحاج حتى يصدروا عنكم ففعلوا وكانوا يخرجون ذلك كل عام من أموالهم فيدفعونه اليهم وقيل أول من أقام الرفادة عبد المطلب وهو الذي حفر بئر زمزم وكانت مطمومة واستخرج منها الغزالين الذهب اللذين عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلي وسبعة أسياف وخمسة دروع سوابغ فضرب من الاسياف باب الكعبة وجعل أحد الغزالين الذهب صفائح الذهب وجعل الاخر في الكعبة واعلم وفقني الله واياك أنه لم يسمع بعجب أعظم من عجب سعيد بن زرارة وعبد الله ابن زياد التميمي وابن سماك الاسدي الذين ضرب بهم المثل فاما سعيد بن زرارة فقيل انه مرت به امرأة فقالت له يا عبد الله كيف الطريق الى مكان كذا فقال لها يا هنتاه مثلي يكون من عبيد الله وأما عبد الله بن زياد التميمي فقيل أنه خطب الناس بالبصرة فأحسن وأوجز فنودي من نواحي المسجد كثر الله فينا مثلك فقال لقد كلفتم الله شططا وأما ابن سماك فانه أضل راحلته فالتمسها فلم توجد فقال والله لئن لم يردها علي لاصليت له أبدا فوجدت وقد تعلق زمامها ببعض أغصان الشجر فقيل له قد رد الله عليك راحلتك فصل فقال انما كانت يميني يمينا قصدا فانظر رحمك الله الى هذا العجب كيف ذهب بهم حتى افضى بهم الى الكفر وصار واحديثا مستبشعا ومثلا بين العالمين مستشنعا نعوذ بالله من الخذلان المؤدي الى النيران ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (حكي) عن الحجاج بن يوسف الثقفي أنه قيل له كيف وجدت منزلك بالعراق قال خير منزل ان الله اظفرني باناس بلغني الامل فيهم واعانني على الانتقام منهم فكنت اتقرب اليه بدمائهم فقيل له من هم فذكر هؤلاء الثلاثة وذكر حديثهم ولا محالة انها من محاسن الحجاج وان قلت في جنب سيآته والله أعلم

ذكر أديان العرب في الجاهلية كانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاعة وكانت اليهودية في حمير وبني كنانة وبني الحرث بن كعب وكندة وكانت المجوسية في بني تميم

منهم زرارة بن عدى وابنه على وكان تزوج ابنته ثم ندم ومنهم الاقرع بن حابس كان مجوسيا وكانت الزندقة فى قريش أخذوها من الحيرة وكانت بنو حنيفة اتخذوا فى الجاهلية صنما من حيس فعبدوه دهرا طويلا ثم أدركتهم مجاعة فأكلوه وقد قيل ان أول من غير الحنيفية عمرو بن لحى أبو خزاعة وهو انه رحل الى الشام فرأى العمالقة يعبدون الاصنام فأعجبه ذلك فقال ماهذه الاصنام التى أراكم تعبدونها قالوا هذه أصنام نستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال اعطونى منها صنما أسير به الى أرض العرب فيعبدونه فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه وقيل ان أول ما كانت عبادة الاحجار فى بنى اسمعيل وسبب ذلك انه كان لايظعن من مكة ظاعن منهم حتى ضاقت عليهم وتفرقوا فى البلاد وما من أحد الا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة وأفضى ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحسنوه من الحجارة ثم خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه من دين اسمعيل فعبدوا الاوثان وصاروا الى ما كانت عليه الامم قبلهم من الضلال وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر فى جوف الكعبة يقال له هبل وأيضا اتخذوا اسافا ونائلة على موضع زمزم فينحرون عندها ويطعمون وكان اساف ونائلة رجلا وامرأة فوقع اساف على نائلة فى الكعبة فمسخهما الله حجرين واتخذ أهل كل دار فى دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد الرجل سفرا تمسح به حين يركب وكان ذلك آخر ما يصنع اذا توجه الى سفره واذا قدم من سفره بدأ به قبل أن يدخل الى أهله واتخذت العرب الاصنام وانهمكوا على عبادتها وكانت لقريش وبنى كنانة العزى وكان حجابها بنى شيبة وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان حجابها بنى مغيث من ثقيف وكانت مناة للاوس والخزرج ومن دان بدينهم *وأما يغوث ويعوق ونسر فقيل انهم كانوا اسماء أولاد آدم عليه السلام وكانوا اتقياء عبادا فمات أحدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فجاءهم الشيطان وحسن لهم أن يصوروا صورته فى قبلة مسجدهم ليذكروه اذا نظروه فكرهوا ذلك فقال اجعلوه فى مؤخر المسجد ففعلوا وصوروه من صفر ورصاص ثم مات آخر ففعلوا ذلك الى أن ماتوا كلهم فصوروهم هنالك وأقام من بعدهم على ذلك الى أن تركوا الدين وحسن لهم الشيطان عبادة شئ غير الله فقالوا له من نعبد قال آلهتكم المصورة فى مصلاكم فعبدوها الى أن بعث الله نوحا عليه السلام فنهاهم عن عبادتها فقالوا ما أخبر الله عنهم لاتذرن آلهتكم ولاتذرن ودا ولاسواعا الآية ولما عم الطوفان الارض طمها وعلا عليها التراب زمانا طويلا فأخرجها الشيطان لمشركى العرب فعبدوها وذكر الواحدى فى الوسيط أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام فسول الشيطان لقومهم بعدموتهم أن يصوروا صورهم ليكون انشط لهم وأشوق للعبادة كما رأوهم ففعلوا ثم نشأ بعدهم قوم جهال بالاحوال فحسن لهم عبادتها وانه من سبقهم من قومهم عبدوها فسموها باسمائهم وقال الواقدى كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر والله تعالى أعلم أى ذلك كان

(ذكروا وابداهم) الرتم شجر معروف كانت العرب اذا خرج أحدهم الى سفر عمد الى شجرة

منه فيعقد غصنا منها فاذا عاد من سفره ووجده قد انحل قال قد خانتنى امرأتى وان وجده على حالته قال لم تخن * الرتيمة ناقة كانت العرب اذا مات واحد منهم عقلوا ناقته عند قبره وسدوا عينيها حتى تموت يزعمون أنه اذا بعث من قبره ركبها * التعمية والتفقئة كان الرجل اذا بلغت ابله ألفا قلع عين الفحل يقولون ان ذلك يدفع عنها العين فاذا زادت على الالف فقأ عينه الاخرى * العر داء يصيب الابل شبه الجرب كانوا يكوون السليمة ويزعمون أن ذلك يبرئ داء العر * ضرب الثور عن البقر كانت البقر اذا امتنعت عن الشرب ضربوا الثور يزعمون ان الجن يركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب * الهامة كانوا يزعمون ان الانسان اذا قتل ولم يؤخذ بثاره يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة وهو كالبومة فلا يزال يصيح على قبره اسقونى الى أن يؤخذ بثاره وكان للعرب مذاهب فى الجاهلية فى النفس وتنازع فى كيفياتها فنهم من زعم ان النفس هى الدم وان الروح الهواء الذى فى باطن جسم الانسان الذى منه نفسه وقالوا ان الميت لا يوجد فيه الدم وانما يوجد فى الحياة مع الحرارة والرطوبة لان كل حى فيه حرارة ورطوبة فاذا مات ذهبت حرارته وحل به اليبس والبرودة وطائفة منهم يزعمون ان النفس طائر ينشط من جسم الانسان اذا مات او قتل ولا يزال متصورا فى صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشا وفى ذلك يقول بعضهم

سلط الموت والمنون عليهم * فلهم فى صدى المقابر هام

ثم جاء الاسلام والعرب ترى صحة أمر الهام حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم لاعدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هام وزعموا ان هذا الطائر يكون صغيرا ويكبر حتى يصير كضرب من البوم ويتوحش ويصرخ ويوجد فى الديار المعطلة والنواويس ومصارع القتلى ويزعمون ان الهامة لاتزال عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبره فتخبر الميت * الصفر زعموا ان الانسان اذا جاع عض على شرسوفه الصفر وهى حية تكون فى البطن * تثنية الضربة زعموا ان الحية تموت فى أول ضربة فاذا ثنيت عاشت * الغيلان والتغول للعرب فى الغيلان والتغول اخبار وأقاويل يزعمون ان الغول يتغول لهم فى الخلوات فى أنواع الصور فيخاطبونها وتخاطبهم وزعمت طائفة من الناس ان الغول حيوان مشوم وانه خرج منفردا لم يستأنس وتوحش وطلب القفار وهو يشبه الانسان والبهيمة ويتراءى لبعض السفار فى أوقات الخلوات وفى الليل (وحكى) ان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه رآه فى سفره الى الشأم فضربه بالسيف وقال الجاحظ الغول كل شئ يتعرض للسيارة ويتلون فى ضروب من الصور والثياب وفيه خلاف وقالوا انه ذكر وأنثى الا أن أكثر كلامهم انه أنثى واما القطرب فى قولهم فهو نوع من الاشخاص المتشيطنة يعرف بهذا الاسم فيظهر فى أكناف اليمن وصعيد مصر فى أعاليه وربما انه يلحق الانسان فينكحه فيدود دبره فيموت وربما نزا على الانسان وأمسكه فيقول أهل تلك النواحى التى ذكرناها أمنكوح هو أو مذعور فان كان قد نكحه أيسوا منه وان كان قد ذعر سكن روعه وشجع قلبه واذا رآه الانسان وقع مغشيا عليه ومنهم من يظهر له فلا يكترث به لشهامته وثبات قلبه

(ذكر الهواتف) أما الهواتف فقد كانت كثرت فى العرب وكان أكثرها أيام ولد سيدنا رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم وان من حكم الهواتف ان تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئي (ومن عجيب) ما حكي من أمر الهواتف ما حكاه أبو عمرو بن العلاء قال خرجنا حجاجا فصاحبنا رجل وجعل يقول في طريقه ليت شعري هل بغت على فلما انصرفنا من مكة قالها في بعض الطريق فأجابه صوت في الظلام نعم ونا كهاجحيه * وهو رجل أحمر ضخم في قفاه كيه * فسكت الرجل فلما سرنا الى البصرة اخبرنا ذلك الرجل قال دخل جيراني يسلمون علي فاذا فيهم رجل أحمر ضخم في قفاه كية فقلت لاهلي من هذا قالت رجل كان الطف جيراننا بنا فجزاه الله خيرا فسألتها عن اسمه فقالت بجية فقلت الحق باهلك * وأما بكاء المقتول فكانت النساء لا يبكين المقتول حتى يؤخذ بثاره فاذا أخذ بثاره بكينه * واما رمي السن فكانوا يزعمون ان الغلام اذا ثغر فرمى سنه في عين الشمس بسبابته وابهامه وقال أبدليني بأحسن منها فانه يأمن على اسنانه العوج والفلج * وأما خضاب النحر فكانوا اذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد منها خضبوا صدره بدم الصيد علامة * وأما نصب الراية فكانت العرب تنصب الرايات على أبواب بيوتها لتعرف بها * وأما جز النواصي فكانوا اذا أسروا رجلا ومنوا عليه وأطلقوه جزوا ناصيته * وأما الالتفات فكانوا يزعمون ان من خرج في سفر والتفت وراءه لم يتم سفره فان التفت تطيروا له * وكانوا يقولون من علق عليه كعب الارنب لم تصبه عين ولا سحر وذلك ان الجن تهرب من الارنب لانها تحيض وليست من مطايا الجن ويزعمون ان المرأة اذا أحبت رجلا وأحبها ثم لم يشق عليها رداءه وتشق عليه برقعها فسد حبهما ويزعمون أن الرجل اذا قدم قرية فخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها ونهق كما تنهق الحمير لم يصبه وباؤها ويزعمون ان الحرقوص وهو دويبة أكبر من البرغوث تدخل في فروج الابكار فتفتضهن ويزعمون أن الرجل اذا ضل فقلب ثيابه اهتدى وكانوا يزعمون ان الناقة اذا نفرت وذكر اسم أمها فانها تسكن وكانت لهم خرزة يزعمون ان العاشق اذا حكها وشرب ما يخرج منها صبر وتسمى السلوان ونكاح المقت من سنتهم وهو ان الرجل اذا مات قام ولده الاكبر فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها فان لم يكن له بها حاجة زوجها بعض اخوته بمهر جديد فكانوا يرثون النكاح كما يرثون المال ولهم حكايات عجيبة وأحوال غريبة والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الستون في الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفأل والطيرة والفراسة والنوم والرؤية وما أشبه ذلك

أما الكهانة فكانت فاشية في الجاهلية حتى جاء الاسلام فلم يسمع فيه بكاهن وكان ذلك من معجزات النبوة وآياتها وللكهنة أخبار فمنهم سطيح ورد عليه عبد المسيح وهو يعالج الموت وأخبره على ما يزعمون بما جاء لاجله وذلك ان الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فلما اصبح اعلم كسرى بذلك فتصبر كسرى تشجعا ثم رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائه ورؤساء مملكته فلبس تاجه وقعد على سريره وجمع وزراءه ورؤساء مملكته فأخبرهم بالخبر فبينما هم كذلك اذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران وارتجاس

الايوان فازداد واغماعلى غمهم فكتب كسرى كتابا الى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه الى رجلا عالما بما أريد أن أسأله عنه فوجه اليه عبد المسيح الغسانى فقال له كسرى أعندك علم بما أريد ان أسألك عنه قال ليخبرنى الملك فان كان عندى علم منه والا أخبرته بمن يعلمه فأخبره بما رآه الموبذان فقال علم ذلك عند كاهن يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال فأته فاسأله عما سألتك وائتنى بالجواب فركب عبد المسيح * وتوجه الى سطيح * فوجده قد أشرف على الضريح * فسلم عليه وحياه ولم يخبره عبد المسيح بما جاء بسببه غير انه أنشده شعرا يذكر فيه انه جاء برسالة من قبل ملك العجم ولم يذكر له السبب فرفع رأسه وقال عبد المسيح على جمل يسيح الى سطيح بعثك ملك بنى ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت الدجلة وانتشرت فى بلادها يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوه وفاض وادى سماوه وغاضت بحيرة ساوه وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا العجم لعبد المسيح مقاما يرتفع أمر العرب واظن ان وقت ولادة محمد قد اقترب يملك منهم ملوك وملكات * بعدد الشرافات * وكل ما هو آت آت * ثم قضى سطيح مكانه فثار عبد المسيح الى راحلته وعاد فأخبر كسرى بذلك (وحكى) ان ربيعة ابن مضر اللخمى رأى مناما هاله فأراد تفسيره فقال له أهل مملكته ما يفسره لك الا شق وسطيح فأحضرهما وقال لسطيح انى رأيت مناما هالنى فان عرفته فقد أصبت تفسيره فقال رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة فأكل منها كل ذات جمجمة فقال له الملك ما اخطأت شيأ فما تفسيره قال ليهبطن بأرضك الحبش وتملك ما بين أبين الى جرش فقال الملك ان هذا الغائظ موجع فتى هو كائن أفى زمانى أم بعده قال بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين تمضى من السنين ثم يقتتلون بها أجمعين ويخرجون منها هاربين قال ومن ذا الذى يملك بعدهم قال أراه ذا يزن * يخرج عليهم من عدن * فما يترك منهم أحدا باليمن * قال الملك فيدوم ذلك أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبى زكى * يأتيه الوحى من العلى * قال وممن يكون هذا النبى * قال من ولد عدنان بن فهر بن مالك بن النضر * يكون فى قومه الملك الى آخر الدهر * قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الاولون والآخرون * ويسعد فيه المحسنون ويشقى المسيؤن * قال أوحق ما تخبر قال والشفق والقمر اذا اتسق ان ما انبأتك به لحق ثم دعا بشق فقال مثل ما قال سطيح * ومن ذلك ما حكى ان أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف الى المفاخرة فقال له هاشم أفاخرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة فرضى أمية بذلك وجعلا بينهما الخزاعى الكاهن حكما فخبآ له شيأ وخرجا اليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا قد خبأنا لك خبأ فان علمته تحاكمنا اليك وان لم تعلمه تحاكمنا الى غيرك فقال لقد خبأتم لى كيت وكيت قالوا اصدقت احكم بين هاشم ابن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس أيهما أشرف بيتا ونسبا ونفسا فقال والقمر الباهر * والكوكب الزاهر * والغمام الماطر * وما بالجو من طائر * وما اهتدى بعلم مسافر * لقد سبق هاشم أمية الى المآثر * ولأمية أواخر * فاخذ هاشم الابل ونحرها واطعمها من حضر وخرج أمية الى الشام وأقام بها عشر سنين ويقال انها أول عداوة وقعت بين بنى هاشم وبنى أمية

(وحكي) ان هند بنت عتبة بن ربيعة كانت تحت الفاكه بن المغيرة وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت ضيافة خارجا عن البيوت تغشاه الناس من غير اذن فخلا البيت ذات يوم واضطجع فيه هو وهند ثم نهض لحاجة فاقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه فلما رأى هندا رجع هاربا فلما نظره الفاكه دخل عليها فضربها برجله وقال لها من هذا الذي خرج من عندك قالت ما رأيت أحدا قط وما انتبهت حتى انبهتني قال فارجعي الى بيت أبيك وتكلم الناس فيها فقال أبوها يا بنية ان الناس قد أكثروا فيك الكلام فان يكن الرجل صادقا فادسيت عليه من يقتله لينقطع كلام الناس وان يك كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فقالت له لا والله ما هو على بصادق فقال له يا فاكه انك قد رميت ابنتي بأمر عظيم فحاكمني الى بعض كهان اليمن فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج أبوها في جماعة من بني عبد مناف ومعهم هند ونسوة فلما شارفوا البلاد قالوا غدا نرد على هذا الرجل فتغيرت حالة هند فقال لها أبوها اني أرى حالك قد تغير وما هذا الا لمكروه عندك فقالت لا والله ولكن أعرف انكم تأتون بشرا يخطئ ويصيب ولا آمنه أن يسمني بسيما تكون علي سبة فقال لها لا تخشي فسوف أختبره فصفر لفرسه حتى أدلى ثم ادخل في احليله حبة حنطة وربطه فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم فلما تغدوا قال له عتبة قد جئناك في أمر وقد خبأنا لك خبيئة نختبرك بها قال خبأتم لي ثمرة في كمرة قال اني أريد أبين من هذا قال حبة بر في احليل مهر قال فانظر في أمر هؤلاء النسوة فجعل يأتي الى كل واحدة منهن ويضرب بيده على كتفها ويقول لها انهضي حتى بلغ هندا فقال انهضي غير رسحاء ولا زانية وستلدين ملكا اسمه معاوية فنهض اليها الفاكه فأخذ بيدها فجذبت يدها من يده وقالت اليك عني فوالله اني لاحرص أن يكون ذلك من غيرك فتزوجها أبو سفيان فولدت منه أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه

وأما القيافة فهي على ضربين قيافة البشر وقيافة الاثر فاما قيافة البشر فالاستدلال بصفات اعضاء الانسان وتختص بقوم من العرب يقال لهم بنو مدلج يعرض على أحدهم مولود في عشرين نفرا فيلحقه بأحدهم (وحكي) عن بعض أبناء التجار أنه كان في بعض أسفاره راكبا على بعيره يقوده غلام اسود فمر بهؤلاء القبيلة فنظر اليه واحد منهم وقال ما أشبه الراكب بالقائد قال ولد التاجر فوقع في نفسي من ذلك شئ فلما رجعت الى أمي ذكرت لها القصة فقالت يا ولدي ان أباك كان شيخا كبيرا ذا مال وليس له ولد فخشيت أن يفوتنا ماله فمكنت هذا الغلام من نفسي فحملت بك ولولا ان هذا شئ ستعلمه غدا في الدار الآخرة لما أعلمتك به في الدنيا * وأما قيافة الاثر فالاستدلال بالاقدام والحوافر والخفاف وقد اختص به قوم من العرب أرضهم ذات رمل اذا هرب منهم هارب أو دخل عليهم سارق تتبعوا آثار قدمه حتى يظفروا به ومن العجب انهم يعرفون قدم الشاب من الشيخ والمرأة من الرجل والبكر من الثيب والغريب من المستوطن ويذكر أن في قطية وثغر البرلس اقواما بهذه الصفة وقد وقعت من قريش حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر الى الغار على صخر صلد واحجار صم ولا طين ولا تراب يتبين فيه الاقدام فحجبهم الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم

بما كان من نسج العنكبوت وما لحق القائف من الحيرة وقوله الى ههنا انتهت الاقدام هذا ومعهم الجماعة من قريش وأبصارهم سليمة ولولا أن هنالك لطيفة لا يتساوى الناس فيها يعني في علمها لما استأثر بعلم ذلك طائفة دون أخرى وقيل ان القيافة لبني مدلج في أحياء مضر واختلف رجلان من التافة في أمر بعير وهما بين مكة ومنى فقال أحدهما هو جمل وقال الآخر هي ناقة وقصدا يتبعان الاثر حتى دخلا شعب بني عامر فاذا بعير واقف فقال أحدهما لصاحبه اهو ذا قال نعم فوجداه خنثى فأصابا جميعا

ومنهم من كان يخط الرمل في الارض ويقول فيوافق قوله ما يأتي بعد وقال رجل شردت لي ابل فجئت الى خراش فسألته عنها فأمر ابنته أن تخط لي في الارض فخطت ثم قامت فضحك خراش ثم قال أتدري قيامها الاى شئ قلت لا قال قد علمت انك تجد ابلك وتتزوجها فاستحيت ثم خرجت فوجدت ابلي ثم تزوجتها وخرج عمرو بن عبد الله بن معمر ومعه مالك بن خراش الخزاعي غازيين فمرا بامرأة وهي تخط للناس في الارض فضحك منها مالك هزوا وقال ما هذا فقالت اما والله لا تخرجن من سجستان حتى تموت ويتزوج عمرو هذا زوجتك فكان كما ذكرت

وأما الزجر والعرافة فاحسنه ما روى ان كسرى ابرويز بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث زاجرا ومصورا فقال للزاجر انظر ما ترى في طريقك وعنده وقال للمصور ائتني بصورته فلما عادا اليه أعطاه المصور صورته صلى الله عليه وسلم فوضعها كسرى على وسادته ثم قال للزاجر ماذا رأيت قال ما رأيت ما أزجر به الا انه سيعلو أمره عليك لانك وضعت صورته على وسادتك وبعث صاحب الروم الى النبي صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له انظر اليه وسل الى جانبه وانظر الى ما بين كتفيه حتى ترى الخاتم والشامة فتقدم الرسول فرأى النبي صلى الله عليه وسلم على نشز عال واضعا قدميه في الماء وعن يمينه علي رضي الله عنه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له تحول فانظر ما أمرت به فنظر الرسول فلما رجع الى صاحبه أخبره الخبر فقال ليعلون أمره وليملكن ما تحت قدمي فتفاءل بالنشز العلو وبالماء الحياة * وقال المدايني وقع الطاعون بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان حين أتاها فخرج هاربا ونزل بقرية من قرى الصعيد فقدم عليه حين نزلها رسول لعبد الملك بن مروان فقال للرسول ما اسمك قال طالب بن مدرك فقال أوّاه ما أظنني أرجع الى الفسطاط فمات ولم يرجع وكانت نائلة بنت عمار الكلبي تحت معاوية فقال لفاختة بنت قرظة اذهبي فانظري اليها فذهبت ونظرت فقالت ما رأيت مثلها ولكني رأيت تحت سرتها خالا ليوضعن معه رأس زوجها في حجرها فطلقها معاوية وتزوجها بعده رجلان حبيب بن مسلمة والنعمان بن بشير فقتل أحدهما ووضع رأسه في حجرها وبينما مروان ابن محمد جالس في ايوانه يتفقد الامور اذ تصدعت زجاجة من الايوان فوقعت منها الشمس على منكب مروان وكان هنالك عرّاف وقيل قياف فقام فتبعه ثوبان مولى مروان فسأله فقال صدع الزجاج صدع السلطان ستذهب الشمس بملك مروان بقوم من الترك أو خراسان ذلك عندي واضح البرهان فما مضى غير شهرين حتى مضى ملك مروان (وروى

المدايني

المدايني ان علياً رضي الله عنه بعث معقلاً في ثلاثة آلاف ليقيم بالرقة وذلك في وقعة صفين فسار حتى نزل الحديبية فبينما هو ذات يوم جالس اذ نظر الى كبشين ينتطحان فجاء رجلان فأخذ كل واحد منهما كبشاً فذهب به فقال شداد بن أبي ربيعة الخثعمي الزاجر انكم تنصرفون من موجهكم هذا لا تغلبون ولا تغلبون اما ترى الكبشين كيف انتطحا حتى حجز بينهما فافترقا ولا فضل لاحدهما على الآخر (وحكي) أن الاسكندر ملك بعض البلاد فدخل فيها فوجد امرأة تنسج ثوباً فلما رآته قالت له أيها الملك قد أعطيت ملكاً ذا طول وعرض ثم دخل عليها بعد ذلك فقالت ستعزل من الملك قال فغضب عند ذلك فقالت له لا تغضب فانك في المرة الاولى دخلت علي والشقة بيدي ادير طولها وعرضها ودخلت علي الآن والشقة في يدي أريد قطعها لاني قد فرغت من نسجها فلا تغضب فان النفوس تعلم أشياء بعلامات قال الراوي فكان كذلك (وحكي) أن سيف بن ذي يزن لما استنجد كسرى على قتال الحبشة بعث اليه بجيش عظيم فخرج اليهم ملك الحبشة وهو مسروق ابن ابرهة في مائة ألف من الحبشة وكان بين عينيه ياقوتة حمراء بعلاقة من الذهب على تاجه تضيء كالنور وهو على فيل عظيم قال وكان في عسكر ذي يزن رجل يقال له زهير فتأمل ذلك منه ثم قال للامير اصبر لننظر ما يكون من أمره قال فتحول مسروق من الفيل الى جمل فقال اصبر فتحول بعد ذلك الى فرس ثم الى بغل ثم الى حمار وكانه انف من مقاتلتهم على شيء من ذلك الا على حمار لما انه استصغرهم واستحقرهم وتفرس ذلك الرجل فيه من الانتقال من أعلى الى ادنى وقال احملوا عليهم فان ملكهم قد ذهب فانه انتقل من كبير الى صغير فحملوا عليهم فكسروهم وقتل الملك (وحكي) انه كان عراف من الطرقيين ببغداد يخبر بما يسأل عنه فلم يخطئ فسأله رجل عن شخص محبوس هل ينطلق قال نعم ويخلع عليه قال فقلت له بأي شيء عرفت ذلك فقال انك لما سألتني التفت يميناً وشمالاً فوجدت رجلاً على ظهره قربة ماء فنزعها ثم حملها على كتفه فأولت الماء بالمحبوس وتفريغه بالانطلاق ووضعها على كتفه بالخلعة قال وكان الامر كذلك

وأما الفأل فقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل الصالح والاسم الحسن وروي أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل المدينة على كلثوم دعا غلامين له يا يسار ويا سالم فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه أبشر يا ابا بكر فقد سلمت لنا الدار وقال الاصمعي سألت ابن عون عن الفأل فقال هو أن يكون مريض فيسمع يا سالم أو طالب حاجة فيسمع يا واجد وما أشبه ذلك وأما الطيرة فقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفأل ويكره الطيرة وقيل ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من عرض له من هذه الطيرة شيء فليقل اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له وعن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر وعن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه من أتى كاهناً فصدقه فيما يقول أو أتى امرأته حائضاً أو أتى امرأته في دبرها فقد برئ مما نزل على محمد وأنشد المبرد هذه الابيات يقول

لا يعلم المرء ليلا ما يصبحه * الا كواذب ما يجرى به الفال
والفال والزجر والكهان كلهم * مضللون ودون الغيب اقفال
وقال لبيد
لعمرى ما تدرى الطوارق بالحصى * ولا زاجرات الطير ما الله صانع
وقال آخر
تعلم انه لا طير الا * على متطير وهو الثبور
بلى شئ يوافق بعض شئ * احايينا وباطله كثير
وكانت العرب تتطير باشياء كثيرة منها العطاس وسبب تطيرهم منه ان دابة يقال لها العاطوس كانوا يكرهونها وكانوا اذا أرادوا سفرا خرجوا من الغلس والطير فى أوكارها على الشجر فيطيرونها فان أخذت يمينا أخذوا يمينا وان أخذت شمالا أخذوا شمالا ومنه قول امرئ القيس
وقد أغتدى والطير فى وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل *
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل
والعرب أعظم ما يتطيرون منه الغراب فالقول فيه أكثر من أن يطلب عليه شاهد ويسمونه حاتما لانه يحتم عندهم بالفراق ويسمونه الاعور على جهة التطير اذ كان أصح الطير بصرا وفيه يقول بعضهم
اذا ما غراب البين صاح فقل له * ترفق رماك الله بالطير بالبعد
لأنت على العشاق أقبح منظر * وأبشع فى الابصار من رؤية اللحد
تصيح ببين ثم تعثر ماشيا * وتبرز فى ثوب من الحزن مسود
متى صحت صح البين وانقطع الرجا * كأنك من يوم الفراق على وعد
وأعرض بعضهم عن الغراب وتطير بالابل وسبب ذلك لكونها تحمل اثقال من ارتحل وفى ذلك قال بعضهم مفردا وأجاد
زعموا بأن مطيهم سبب النوى * والمؤذنات بفرقة الاحباب
وقالوا من تطير من شئ وقع فيه (وحكى) عن ابراهيم بن المهدى قال أرسل الى محمد بن زبيدة فى ليلة من ليالى الصيف مقمرة يقول يا عم انى مشتاق اليك فاحضر الآن عندنا فجئته وقد بسط له على سطح زبيدة وعنده سليمان بن أبى جعفر وجاريته نعيم فقال لها غنينا شيأ فقد سررت بعمومتى فغنت وهى تقول هذه الابيات
هموا قتلوه كى يكونوا مكانه * كما فعلت يوما بكسرى مرازبه
بنى هاشم كيف التواصل بيننا * وعند اخيه سيفه ونجائبه
قال فغضب وتطير وقال لها ما قصتك ويحك انتبهى وغنى ما يسرنى فغنت تقول
كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأكثر جرما منك ضرج بالدم
فقال لها ويحك ما هذا الغناء فى هذه الليلة غنى غير هذا فغنت تقول هذه الابيات
مازال يعدو عليهم ريب دهرهم * حتى تفانوا وريب الدهر عداء

تبكي فراقهم عيني فأرّقها * ان التفرق للمشتاق بكاء

قال فانتهرها وقال لها قومي الى لعنة الله فقالت والله يا مولاي لم يجر على لساني غير هذا وما ظننت الا أنك تحبه ثم انها قامت من بين يديه وكان بين يديه قدح بلور كان أبوه يحبه فأصابه طرف ردائها فانكسر قال ابراهيم بن المهدي فالتفت الي وقال يا عمي أرى ان هذا آخر أمرنا فقلت كلا بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرك فسمعت هاتفا يقول قضي الامر الذي فيه تستفتيان فقال لي اسمعت ما سمعت يا عم فقلت ما سمعت شيئا وما هذا الا توهم فاذا الصوت قد علا فقال يا عم اذهب الى بيتك فحال ان يكون بعد هذا اجتماع قال فانصرفت من عنده وكان هذا آخر عهدي به وخرج أبو الشمقمق مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد الموصل فلما أراد الدخول اليها اندق لواؤه في أول درب منها فتطير لذلك فانشده أبو الشمقمق يقول

ما كان مندق اللواء لريبة * تخشى ولا أمر يكون مبدلا

لكن هذا الرمح ضعف متنه * صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسر خالد وأمر لابي الشمقمق بعشرة آلاف درهم ودخل الحجاج الكوفة متوجها الى عبد الملك فصعد المنبر فانكسر تحت قدمه لوح فعلم انهم قد تطيروا له بذلك فالتفت الى الناس قبل ان يحمد الله تعالى فقال شاهت الوجوه وتبت الايدي وبؤتم بغضب من الله اذا انكسر عود جذع ضعيف تحت قدم أسد شديد تفاءلتم بالشؤم واني على اعداء الله تعالى لانكد من الغراب الابقع وأشأم من يوم نحس مستمر واني لاعجب من لوط وقوله لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد فاي ركن أشد من الله تعالى أو ما علمتم ما أنا عليه من التوجه الى أمير المؤمنين وقد وليت عليكم أخي محمد بن يوسف وامرته بخلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا في أهل اليمن فانه أمره أن يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقد أمرته أن يسيء الى محسنكم وان لا يتجاوز عن مسيئكم وأنا أعلم انكم تقولون بعدي لا أحسن الله له الصحابة وانا معجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم وخرج بعض ملوك الفرس الى الصيد فأول من استقبله أعور فضربه وأمر بحبسه ثم ذهب للصيد فاصطاد صيدا كثيرا فلما عاد استدعى بالاعور فامر له بمال فقال لا حاجة لي به ولكن ائذن لي في الكلام فقال تكلم فقال أيها الملك انك تلقيتني فضربتني وحبستني وتلقيتك فصدت وسلمت فأينا اشأم صباحا على صاحبه فضحك منه وامر له بصلة (وحكى) أيضا ان صاحب قرطبة أصابه وجع فأمر بعض جواريه ان تغنيه ليلهو عن وجعه فقالت مفردا

هذي الليالي علمنا ان ستطوينا * فشعشعينا بماء المزن واسقينا

قال فتطير من ذلك وأمرها بالانصراف ولم يقم بعد ذلك غير خمسة أيام ومات (وحكى) ان نور الدين محمودا وهمام الدين ركبا في يوم عيد وخرجا للتفرج فتجاولا في الكلام ثم قال محمود يا من درى هل نعيش الى مثل هذا اليوم فقال له همام الدين قل هل نعيش الى آخر هذا الشهر فان العام كثير قال فأجرى الله على منطقهما ما كان مقدرا في الازل فمات أحدهما

قبل تمام الشهر ومات الآخر قبل تمام العام

وأما الفراسة فقد قال الله تعالى ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقال على رضى الله عنه ما أضمر أحد شيأ الا ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه وقيل أشار ابن عباس رضى الله عنهما على على رضى الله عنه بشئ فلم يعمل به ثم ندم فقال يرحم الله ابن عباس كأنما ينظر الى الغيب من ستر رقيق (وحكى) أبو سعيد الخراز أنه كان فى الحرم فقير اليس عليه الا ما يستر عورته فأنفت نفسى منه فتفرس ذلك منى فقرأ واعلموا ان الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه فندمت واستغفرت الله فى قلبى فتفرس ذلك أيضا فقرأ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده (وحكى) عن الشافعى ومحمد بن الحسن انهما رأيا رجلا فقال أحدهما انه نجار وقال الآخر انه حداد فسألاه عن صنعته فقال كنت حدادا وانا الآن نجار (وحكى) ان شخصا من أهل القرآن سأل بعض العلماء مسئلة فقال له اجلس فانى اشم من كلامك رائحة الكفر فاتفق بعد ذلك انه سافر السائل فوصل الى القسطنطينية فدخل فى دين النصرانية قال من رآه ولقد رأيته متكئا على دكة وبيده مروحة يروح بها عليه فقلت السلام عليك يا فلان فسلم على وتعارفنا ثم قلت له بعد ذلك هل القرآن باق على حاله أم لا فقال له لا أذكر منه الا آية واحدة وهى قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال فبكيت عليه وتركته وانصرفت وكان الحسن ابن السقا من موالى بنى سليم ولم يكن فى الارض أحزر منه كان ينظر الى السفينة فيحزر ما فيها فلا يخطئ وكان حزره للمكيول والموزون والمعدود سواء كان يقول فى هذه الرمانة كذا كذا حبة ووزنتها كذا وكذا ويأخذ العود الآس فيقول فيه كذا وكذا ورقة فلا يخطئ وقالوا اذا رأيت الرجل يخرج بالغداة ويقول لشئ ما عند الله خير وأبقى فاعلم ان فى جواره وليمة ولم يدع اليها واذا رأيت قوما يخرجون من عند قاض وهم يقولون ما شهدنا الا بما علمنا فاعلم ان شهادتهم لم تقبل واذا قيل للمتزوج صبيحة البناء على أهله كيف ما تقدمت عليه فقال الصلاح خير من كل شئ فاعلم ان امرأته قبيحة واذا رأيت انسانا يمشى ويلتفت فاعلم انه يريد أن يحدث واذا رأيت فقيرا يعدو ويهرول فاعلم انه فى حاجة غنى واذا رايت رجلا خارجا من عند الوالى وهو يقول يد الله فوق أيديهم فاعلم انه صفع ويقال عين المرء عنوان قلبه وكانوا يقولون عظم الجبين يدل على البله وعرضه يدل على قلة العقل وصغره يدل على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة فى حجمها دليل الفطنة وحسن الخلق والمروءة والتى يطول تحديقها يدل على الحمق والتى يكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر فى الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان وكانت الفرس تقول اذا فشا الموت فى الوحوش دل على ضيقة واذا فشا فى الفار دل على الخصب واذا نعق غراب بجاوبته دجاجة عمر الخراب واذا قوقت دجاجة فجاوبها غراب خرب العمار والله أعلم بكل شئ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين

وأما النوم والسهر وما جاء فيهما فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اشراف أمتى حملة القرآن وأصحاب الليل وروى ان أم سليمان ابن داود عليهما السلام قالت له يابنى لا تكثر النوم بالليل فان صاحب النوم يجىء يوم القيامة مفلسا وكان زمعة بن صالح يصلى ليلا طويلا فاذا اسحر نادى أهله

يا أيها الركب المعرسونا * اكل هذا الليل ترقدونا

فيثبون بين باك وداع ومتضرع فاذا أصبح نادى * عند الصباح يحمد القوم السرى وانشدوا

يا ايها الراقد كم ترقد * قم ياحبيبى قد دنا الموعد
وخذ من الليل وساعاته * حظا اذا ماهجع الرقد
من نام حتى ينقضى ليله * لم يبلغ المنزل أو يجهد
قل لذوى الالباب أهل التقى * قنطرة الحشر لكم موعد

وقيل ان نومة الضحى تورث الغم والخوف ونومة العصر تورث الجنون وأنشد بعضهم مفردا

ألا ان نومات الضحى تورث الفتى * غموما ونومات العصير جنون

وعن العباس بن عبد المطلب أنه مر يوما بابنه وهو نائم نومة الضحى فوكزه برجله وقال له قم لا أنام الله عينك أتنام فى ساعة يقسم الله تعالى فيها الرزق بين العباد أوما سمعت ماقالت العرب انها مكسلة مهزلة منسية للحاجة والنوم على ثلاثة أنواع نومة الخرق ونومة الخلق ونومة الحمق فنومة الخرق نومة الضحى ونومة الخلق هى التى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بها أمته فقال قيلوا فان الشياطين لا تقيل ونومة الحمق النومة بعد العصر لا ينامها الاسكران أو مجنون وكان هشام بن عبد الملك يقول لولده لا تصطبح بالنوم فانه شؤم ونكد وقال الثورى لطبيب دلنى على شئ اذا أردت النوم جاءنى فقال ادهن رأسك واكثر من ذلك واتق الله وكان طاوس يقول لان تختلف السياط على ظهرى أحب الى من أن أنام يوم الجمعة والامام يخطب وكان شداد بن أوس يتلوى على فراشه كالحبة على المقلى ويقول اللهم ان النار منعتنى النوم وأنشدوا فى المعنى

غيرت موضع مرقدى * يوما ففارقنى السكون
قل لى فأول ليلتى * فى حفرتى أنى أكون

وأنشد أبو دلف

اما لكتى ردى على رقاديا * ونومى فقد شردته عن وساديا
اما تتقين الله فى قتل عاشق * أمت الكرى عنه فأحيا اللياليا

وأنشد أبو غانم الثقفى مفردا

رقدت رقاد الهيم حتى لوأننى * يكون رقادى مغنما لغنمت

فقيل له لمن هذا فقال لرقاد من رقاد العرب وقيل ان نوم عبود يضرب به المثل وكان عبود هذا عبدا اسود قيل انه نام اسبوعا وقيل انه تماوت على أهله وقال اندبونى لاعلم كيف تندبونى اذا أنامت فسجى ونام وندب فاذا هو قدمات

وأما الرؤيا فقد قيل فيها أقاويل وهوانهم قالوا ان النوم هو اجتماع الدم وانحداره الى الكبد ومنهم من رأى ان ذلك هو سكون النفس وهدو الروح ومنهم من زعم ان ما يجده الانسان فى نومه من الخواطر انما هو من الاطعمة والاغذية والطبائع وذهب جمهور الاطباء الى ان الاحلام من الاخلاط وان ذلك بقدر مزاج كل واحد منها وقوته فالذى يغلب عليه الصفراء يرى بحورا وعيونا ومياها كثيرة ويرى انه يسبح ويصيد سمكا ومن غلبت على مزاجه السوداء رأى فى منامه اجداثا وامواتا مكفنين بسواد وبكاء وأشياء مفزعة ومن غلب على مزاجه الدم رأى الخمر والرياحين وأنواع الملاهى والثياب المصبغة والذى يقع عليه التحقيق أن الرؤيا الصالحة كما قد جاء جزء من ستين جزأ من النبوة وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم أول ما بدئ به من الوحى الرؤيا الصالحة فكان لايرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح والرؤيا على ضربين فمنهم من يرى رؤيا فتجيء على حالها لاتزيد ولاتنقص ومنهم من يرى الرؤيا فى صورة مثل ضرب له فمن ذلك ما حكى ان النبىّ صلى الله عليه وسلم رأى فى الجنة غرفا فقال لمن هذه فقيل لابى جهل بن هشام فقال مالابى جهل والجنة والله لايدخلها أبدا قال فأتاه عكرمة ولده مسلما فتأولها به وكذلك تأول فى قتل الحسين لما رأى ان كلبا أبقع يلغ فى دمه وكان ذلك بعد رؤياه عليه الصلاة والسلام بخمسين عاما وكذلك حين قال لابى بكر رضى الله عنه انى رأيت كأنى رقيت أنا وأنت درجا فى الجنة فسبقتك بدرجتين ونصف فقال أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله أقبض بعدك بسنتين ونصف فكان كذلك ورأت عائشة رضى الله عنها سقوط ثلاثة أقمار فى حجرتها فاولها ابوها بموته وموت النبىّ صلى الله عليه وسلم وموت عمر رضى الله عنهما ودفنهم فى حجرتها فكان الامر كذلك (وحكى) ان أم الشافعىّ رضى الله عنه لما حملت به رأت كأن المشترى خرج من فرجها وانقض بمصر ثم تفرق فى كل بلد قطعة فأول بعالم يكون بمصر وينتشر علمه باكثر البلاد فكان كذلك (وحكى) أيضا ان عاملا أتى عمر رضى الله عنه فقال رأيت الشمس والقمر اقتتلا فقال له عمر مع من كنت قال مع القمر فقال مع الآية الممحوة والله لاوليت لى عملا فعزله ثم اتفق ان عليا رضى الله عنه وقع بينه وبين معاوية ما وقع فكان ذلك الرجل مع معاوية * واما من مهر فى تعبير الرؤيا فهو ابن سيرين جاءه رجل فقال له رايت كأنى اسقى شجرة زيتون زيتا فاستوى جالسا فقال ما التى تحتك قال علجة اشتريتها وفى رواية جارية وأنا اطؤها فقال أخاف أن تكون أمك فكشف عنها فوجدها أمه وجاءه رجل فقال رأيت كأن فى يدى خاتما أختم به فروج النساء وافواه الرجال فقال له أنت مؤذن تؤذن بالليل فتمنع الرجال والنساء من الاكل والوطء وجاءه رجل فقال رأيت جارة لى قد ذبحت فى بيت من دارها فقال هى امرأة نكحت فى ذلك البيت وكانت امرأة لصديق ذلك الرجل فاغتم لذلك ثم بلغه ان الرجل قدم فى تلك الليلة وجامع زوجته فى ذلك البيت وجاءه رجل ومعه جراب فقال له رايت فى النوم كأنى أسد الزقاق سدا وثيقا شديدا فقال له أنت رأيت هذا قال نعم فقال لمن حضره ينبغى ان يكون هذا الرجل يخنق الصبيان وربما يكون فى جرابه آلة الخنق فوثبوا عليه وفتشوا الجراب فوجدوا فيه أوتارا وحلقا فسلموه الى السلطان

وجاءه

وجاءته امرأة وهو يتغدى فقالت له رأيت فى النوم كأن القمر دخل فى الثريا ونادى مناد من خلفى ان ائتى ابن سيرين فقصى عليه فتقلصت يده وقال ويلك كيف رأيت هذا فأعادت عليه فقال لاخته هذه تزعم انى أموت لسبعة أيام وأمسك يده على فؤاده وقام يتوجع ومات بعد سبعة أيام وجاءه رجل فقال رأيت كأنى اخذ البيض واقشره فآكل بياضه وألقى صفاره فقال ان صدق منامك فانت نباش الموتى فكان كذلك (وحكى) ان ابن سيرين رأى الجوزاء قد تقدمت على الثريا فجعل يوصى وقال يموت الحسن وأموت بعده وهو أشرف منى فمات الحسن ومات بعده بمائة يوم (وحكى) ان رجلا رأى عيسى عليه السلام فقال له يانبى الله صلبك حق قال نعم فعبره على بعضهم فقال تكذب رؤيالك بقوله تعالى وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم ولكن هو عائد على الرائى فكان كذلك وأتى ابنة مغيث آت فى المنام فقال لها لك البشرى بولد * أشبه شئ بالاسد * اذا الرجال فى كبد * تغالبوا على بلد * كان له حظ الاسد * فولدت المختار بن أبى عبيد وذلك فى عام الهجرة وقال رجل لسعيد ابن المسيب رأيت كأنى بلت خلف المقام أربع مرات قال كذبت لست صاحب هذه الرؤيا قال هو عبد الملك فقال يلى أربعة من صلبه الخلافة وقال الشافعى رضى الله عنه رايت عليا رضى الله تعالى عنه فى المنام فقال لى ناولنى كتبك فنا ولته اياها فأخذها وبددها فأصبحت أخا كآبة فأتيت الجعد فاخبرته فقال سيرفع الله شأنك وينشر علمك وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من رآنى فى منامه فقد رآنى حقا فان الشيطان لا يتمثل بى وجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال رأيت كأن رأسى قد قطع وأنا أنظر اليه فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال باى عين كنت تنظر الى رأسك فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن توفى وأولوا رأسه بنبيه ونظره اليه باتباع سنته وقال رجل لعلى بن الحسين رأيت كأنى أبول فى يدى فقال تحتك محرم فنظروا فاذا بينه وبين امرأته رضاع وقال أبو حنيفة رضى الله عنه رأيت كأنى نبشت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضممت عظامه الى صدرى فهالنى ذلك فسالت ابن سيرين فقال ما ينبغى لاحد من أهل هذا الزمان ان يرى هذه الرؤيا قلت أنا رأيتها قال ان صدقت رؤيالك لتحيين سنة نبيك صلى الله عليه وسلم * وقال النبى صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة بشارة للمؤمن بماله عند الله من الكرامة فى الدنيا والآخرة وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال تضرعت الى ربى سنة أن يرينى أبى فى النوم حتى رأيته وهو يمسح العرق عن جبينه فسألته فقال لولا رحمة الله لهلك ابوك انه سألنى عن عقال بعير للصدقة فسمع بذلك عمر بن عبد العزيز فصاح وضرب بيده على راسه وقال فعل هذا بالتقى الطاهر فكيف بالمقترف عمر بن عبد العزيز رضى الله عنهم أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الحادى والستون فى الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر

الحيلة من فوائد الآراء المحكمة وهى حسنة مالم يستبح بها محظور وقد سئل بعض الفقهاء عن الحيل فى الفقه فقال علمكم الله ذلك فانه قال وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث

وكان صلى الله عليه وسلم اذا أراد غزوة ورى بغيرها وكان يقول الحرب خدعة ولما أراد عمر رضي الله عنه قتل الهرمزان استسقى ماء فأتوه بقدح فيه ماء فأمسكه في يده واضطرب فقال له عمر لا بأس عليك حتى تشربه فألقى القدح من يده فأمر عمر بقتله فقال أولم تؤمني قال كيف أمنتك قال قلت لا بأس عليك حتى تشربه وقولك لا بأس عليك امان ولم أشربه فقال عمر قاتلك الله أخذت مني امانا ولم أشعر وقيل كان دهاة العرب أربعة كلهم ولدوا بالطائف معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة والسائب بن الاقرع * وكان يقال الحاجة تفتح أبواب الحيل وكان يقال ليس العاقل الذي يحتال للامور اذا وقع فيها بل العاقل الذي يحتال للامور أن لا يقع فيها وقال الضحاك بن مزاحم لنصراني لو أسلمت فقال مازلت محبا للاسلام الا أنه يمنعني منه حبي للخمر فقال أسلم واشربها فلما أسلم قال له قد أسلمت فان شربتها حددناك وان ارتددت قتلناك فاختر لنفسك فاختار الاسلام وحسن اسلامه فأخذه بالحيلة وقيل دليت من السماء سلسلة في أيام داود عليه السلام عند الصخرة التي في وسط بيت المقدس وكان الناس يتحاكمون عندها فمن مد يده اليها وهو صادق نالها ومن كان كاذبا لم ينلها الى أن ظهرت فيهم الخديعة فارتفعت * وذلك ان رجلا أودع رجلا جوهرة فخبأها في مكانه في عكازة ثم ان صاحبها طلبها من الذي أودعها عنده فأنكرها فتحاكما عند السلسلة فقال المدعي اللهم ان كنت صادقا فلتدن مني السلسلة فدنت منه فمسها فدفع المدعى عليه العكازة للمدعي وقال اللهم ان كنت تعلم اني رددت الجوهرة اليه فلتدن مني السلسلة فدنت منه فمسها فقال الناس قد سوت السلسلة بين الظالم والمظلوم فارتفعت بشؤم الخديعة وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان احكم بين الناس بالبينة واليمين فبقي ذلك الى قيام الساعة وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي من دهاة ثقيف وثقيف دهاة العرب قيل انه وجه ابراهيم بن الاشتر الى حرب عبيد الله بن زياد ثم دعا برجل من خواصه فدفع اليه حمامة بيضاء وقال له ان رأيت الامر عليكم فأرسلها ثم قال للناس اني لاجد في محكم الكتاب * وفي اليقين والصواب * ان الله ممدكم بملائكة غضاب صعاب * تأتي في صور الحمام تحت السحاب * فلما كادت الدائرة تكون على أصحابه عمد ذلك الرجل الى الحمامة فارسلها فتصايح الناس الملائكة الملائكة وحملوا فانتصروا وقتلوا ابن زياد * وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خرجت امرأتان ومعهما صبيان فعدا الذئب على صبي احداهما فأكله فاختصما في الصبي الباقي الى داود عليه السلام فقال كيف أمركما فقصتا عليه القصة فحكم به للكبرى منهما فاختصما الى سليمان عليه السلام فقال ائتوني بسكين أشق الغلام نصفين لكل منهما نصف فقالت الصغرى أتشقه يانبي الله قال نعم قالت لا تفعل ونصيبي فيه للكبرى فقال خذيه فهو ابنك وقضى به لها وجاء رجل الى سليمان بن داود عليه السلام وقال يانبي الله ان لي جيرانا يسرقون أوزي فلا أعرف السارق فنادى الصلاة جامعة ثم خطبهم وقال في خطبته وان أحدكم ليسرق أوز جاره ثم يدخل المسجد والريش على راسه فمسح الرجل رأسه فقال سليمان خذوه فهو صاحبكم وخطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة وكان شابا جميلا

فأرسلت اليهما أن يحضرا عندها فحضرا وجلست بحيث تراهما وتسمع كلامهما فلما رأى المغيرة ذلك الشاب وعاين جماله علم انها تؤثره عليه فاقبل على الفتى وقال لقد أوتيت جمالا فهل عندك غير هذا قال نعم فعدد محاسنه ثم سكت فقال له المغيرة كيف حسابك مع أهلك قال مايخفى على منه شئ وانى لأستدرك منه أدق من الخردل فقال المغيرة لكنى أضع البدرة فى بيتى فينفقها أهلى على مايريدون فلا أعلم بنفادها حتى يسالونى غيرها فقالت المرأة والله لهذا الشيخ الذى لايحاسبنى أحب الى من هذا الذى يحصى على مثقال الذرة فتزوجت المغيرة وبلغ عضد الدولة ان قوما من الاكراد يقطعون الطريق ويقيمون فى جبال شامخة ولا يقدر عليهم فاستدعى بعض التجار ودفع اليه بغلا عليه صندوقين فيهما حلاوى مسمومة كثيرة الطيب فى ظروف فاخرة ودنانير وافرة وأمره ان يسير مع القافلة ويظهر ان هذه هدية لاحد نساء الامراء ففعل التاجر ذلك وسار أمام القافلة فنزل القوم فأخذوا الامتعة والاموال وانفرد أحدهم بالبغل وصعد به الجبل فوجد به الحلوى فتبع على نفسه أن ينفرد بها دون أصحابه فاستدعاهم فاكلوا على مجاعة فماتوا عن آخرهم وأخذ أرباب الاموال أموالهم وأتى لبعض الولاة برجلين قد اتهما بسرقة فأقامهما بين يديه ثم دعا بشربة ماء فجىء له بكوز فرماه بين يديه فارتاع أحدهما وثبت الآخر فقال للذى ارتاع اذهب الى حال سبيلك وقال للآخر أنت أخذت المال وتلذذت به وتهدده فاقر فسئل عن ذلك فقال ان اللص قوى القلب والبرئ يجزع ولو تحرك عصفور لفزع منه وقصد رجل الحج فاستودع انسانا مالا فلما عاد طلبه منه فجحده المستودع فأخبر بذلك القاضى اياس فقال أعلم بأنك جئتنى قال لا قال فعد الى بعد يومين ثم ان القاضى اياسا بعث الى ذلك الرجل فأحضره ثم قال له اعلم انه قد تحصلت عندى أموال كثيرة لايتام وغيرهم وودائع للناس وانى مسافر سفرا بعيدا واريد أن أودعها عندك لما بلغنى من دينك وتحصين منزلك فقال حبا وكرامة قال فاذهب وهيئ موضعا للمال وقوما يحملونه فذهب الرجل وجاء صاحب الوديعة فقال له القاضى اياس امض الى صاحبك وقل له ادفع الى مالى والا اشكونك للقاضى اياس فلما جاءه وقال له ذلك دفع اليه ماله واعتذر اليه فاخذه وأتى الى القاضى اياس فأخبره ثم بعد ذلك أتى الرجل ومعه الحمالون لطلب الاموال التى ذكرها له القاضى فقال له القاضى بعد أن أخذ الرجل ماله منه بدا لى ترك السفر امض لشانك لا أكثر الله فى الناس مثلك ولما أراد شيرويه قتل أبيه أبرويز قال ابرويز للداخل عليه ليقتله انى لادلك على شئ فيه غناك لوجوب حقك على قال وما هو قال الصندوق الفلانى فلما قتله ذهب الى شيرويه وأخبره الخبر فأخرج الصندوق فاذا فيه حق فيه حب ورقعة مكتوب فيها من تناول منه حبة واحدة افتض عشرة ابكار وكان اشيرويه غرام فى الباءة فتناول منه حبة فهلك من ساعته فكان ابرويز أول مقتول أخذ بثاره من قاتله ولما بايع الرشيد لاولاده الثلاثة بولاية العهد تخلف رجل مذكور من الفقهاء فقال له الرشيد لم تخلفت فقال عاقنى عائق فقال اقرؤا عليه كتاب البيعة فقال يا أمير المؤمنين هذه البيعة فى عنقى الى قيام الساعة فلم يفهم الرشيد ما أراد وظن انه الى قيام الساعة يوم الحشر وما أراد الرجل الا قيامه من المجلس

وقال المغيرة بن شعبة لم يخدعنى غير غلام من بنى الحارث بن كعب فانى ذكرت امرأة منهم لاتزوجها فقال أيها الامير لاخير لك فيها فقلت ولم قال رأيت رجلا يقبلها فاعرض عنها فتزوجها الفتى فلمته وقلت ألم تخبرنى انك رأيت رجلا يقبلها قال نعم رأيت أباها يقبلها وأتى رجل الى الاحنف فلطمه فقال ما حملك على هذا فقال جعل لى جعل على أن ألطم سيد بنى تميم فقال لست بسيدهم عليك بجارثة بن قدامة فانه سيدهم فمضى اليه فلطمه فقطعت يده وقال الشعبى وجهنى عبد الملك الى ملك الروم فقال لى من أهل بيت الخلافة أنت قلت لا ولكنى رجل من العرب فكتب الى عبد الملك رقعة ودفعها الى فلما قرأها عبد الملك قال لى أتدرى ما فيها قلت لا قال فيها العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف يولون أمرهم غيره قال أتدرى ما أراد بهذا قلت لا قال حسدنى عليك فاراد أن أقتلك فقلت انما كبرت عنده يا أمير المؤمنين لانه لم يرك ولم يترك شيأ الا سألنى عنه وانا أجيبه فبلغ ملك الروم ما قاله عبد الملك للشعبى فقال لله أبوه ما عدا ما فى نفسى ولما ولى عبد الملك بن مروان أخاه بشرا الكوفة وكان شابا طريفا غزلا بعث معه روح بن زنباع وكان شيخا متورعا فثقل على بشر مرافقته فذكر ذلك لندمائه فتوصل بعض ندمائه الى أن دخل بيت روح بن زنباع ليلا فى خفية فكتب على حائط قريب من مجلسه هذه الابيات

يا روح من لبنيات وارملة * اذا نعاك لاهل المغرب الناعى

ان ابن مروان قد حانت منيته * فاحتل بنفسك يا روح بن زنباع

فتخوف من ذلك وخرج من الكوفة فلما وصل الى عبد الملك أخبره بذلك فاستلقى على قفاه من شدة الضحك وقال ثقلت على بشر وأصحابه فاحتالوا لك (ومن الحيل الطريفة) ما حكى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر أعرس بصفية وفرح المسلمون جاءه الحجاج بن علاط السلمى وكان أول ما أسلم فى تلك الايام وشهد خيبر فقال يا رسول الله ان لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبة ولى مال متفرق عند تجار مكة فأذن لى يا رسول الله فى العود الى مكة عسى أسبق خبر اسلامى اليهم فانى أخاف ان علموا باسلامى أن يذهب جميع مالى بمكة فأذن لى لعلى أخلصه فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى احتاج أن أقول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل وأنت فى حل قال الحجاج فخرجت فلما انتهيت الى الثنية ثنية البيضاء وجدت بها رجالا من قريش يتسمعون الاخبار وقد بلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الى خيبر فلما أبصرونى قالوا هذا لعمر الله عنده الخبر أخبرنا يا حجاج فقد بلغنا ان القاطع يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر قال قلت انه قد سار الى خيبر وعندى من الخبر ما يسركم قال فأحدقوا حول ناقتى يقولون ايه يا حجاج قال فقلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وأسر محمد وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة فيقتلونه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم قال فصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال فقلت أعينونى على جمع مالى من غرمائى فانى أريد أن أقدم خيبر فاغنم من ثقل محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار الى هنالك فقاموا معى فجمعوا الى مالى كأحسن ما أحب فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر أقبل على

حتى

حتى وقف الى جانبى وأنافى خيمة من خيام التجار فقال ياحجاج ماهذا الخبر الذى جئت به
قال فقلت وهل عندك حفظ لما أودعه عندك من السر فقال نعم والله قال قلت استأخر عنى
حتى ألقاك على خلاء فانى فى جمع مالى كما ترى فانصرف عنى حتى اذا فرغت من جمع كل شئ
كان لى بمكة وأجمعت على الخروج لقيت العباس فقلت له احفظ على حديثى ياأبا الفضل
فانى أخشى أن يتبعونى فاكتم على ثلاثة أيام ثم قل ماشئت قال لك على ذلك قال قلت
والله ماتركت ابن أخيك الاعروسا على ابنة ملكهم يعنى صفية وقد افتتح خيبر وغنم مافيها
وصارت له ولاصحابه قال أحق ماتقول ياحجاج قال قلت اى والله ولقد أسلمت وماجئت الا
مسلما الا آخذ مالى خوفا من أن أغلب عليه فاذا مضت ثلاثة فأظهر أمرك فهو والله على ما
تحب قال فلما كان فى اليوم الرابع لبس العباس حلة له وتخلق بالطيب وأخذ عصاه ثم خرج
حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا ياأبا الفضل هذا والله هو التجلد لحر المصيبة قال
كلا والذى حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على ابنة ملكهم وأحرز أموالهم وما
فيها فأصبحت له ولأصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر قال الذى جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل
عليكم مسلما وأخذ ماله وانطلق ليلحق محمدا وأصحابه ليكون معهم قالوا انفلت عدو الله اما
والله لو علمنا به لكان لنا وله شأن قال ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك فتوصل الحجاج بفطنته
واحتياله الى تخلصه وتحصيل ماله ولما اجتمعت الاحزاب على حرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم عام الخندق وقصدوا المدينة وتظاهروا وهم فى جمع كثير وجم غفير من قريش
وغطفان وقبائل العرب وبنى النضير وبنى قريظة من اليهود ونازلوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن معه من المسلمين واشتد الأمر واضطرب المسلمون وعظم الخوف على
ماوصفه الله تعالى فى قوله تعالى اذجاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذزاغت الابصار
وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا
فجاء نعيم بن مسعود بن عامر الغطفانى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول
الله انى قد اسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم خذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى
بنى قريظة وكان نديما لهم فى الجاهلية فقال يابنى قريظة قد علمتم ودى اياكم
وخاصة مابينى وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان
ليسوا كأنتم فان البلد بلدكم وبه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على
ان تتحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم
عليه وأموالهم وأولادهم ونساؤهم بغير بلدكم وليسوا مثلكم لانهم ان رأوا فرصة اغتنموها
وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم
فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على
ان تقاتلوا معهم محمدا قالوا أشرت بالرأى ثم أتى قريشا فقال لابى سفيان بن حرب وكان اذ
ذاك قائد المشركين من قريش ومن معه من كبراء قريش قد علمتم ودى لكم وفراقى محمدا وانه
قد بلغنى أمر وأحببت أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموه على قالوا نعم قال اعلموا ان معشر

يهود بنى قريظة قد ندموا على ما فعلوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه يقولون انا قد ندمنا على نقض العهد الذى بيننا وبينك فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنسلمهم اليك فتضرب رقابهم ثم نكون معك على من بقى منهم فنستأصلهم فأرسل يقول نعم فان بعث اليكم يهود يلتمسون منكم رهائن من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورؤس بنى غطفان الى بنى قريظة يقولون لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاعتدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ فيما بيننا وبينه فأرسلوا يقولون لهم ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيأ ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان دهمتكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا به فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله ان الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا الى بنى قريظة يقولون انا لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا وقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل ان الكلام الذى ذكره نعيم بن مسعود لحق وما يريد القوم الا ان نقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك شمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم فأرسلوا الى قريش وغطفان انا لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم فخذل الله تعالى بينهم وأرسل عليهم الريح فتفرقوا وارتحلوا وكان هذا من لطف الله تعالى أن ألهم نعيم بن مسعود هذه الفتنة وهداه الى اليقظة التى عم نفعها وحسن وقعها

(وأما ما جاء فى التيقظ والتبصر فى الامور) فقد قالت الحكماء من أيقظ نفسه وألبسها لباس التحفظ أيس عدوه من كيده له وقطع عنه أطماع الماكرين به وقالوا اليقظة حارس لا ينام وحافظ لا ينام وحاكم لا يرتشى فمن تدرع بها أمن من الاختلال والغدر والجور والكيد والمكر وقيل ان كسرى انوشروان كان أشد الناس تطلعا فى خفايا الامور وأعظم خلق الله تعالى فى زمانه تفحصا وبحثا عن أسرار الصدور وكان يبث العيون على الرعايا والجواسيس فى البلاد ليقف على حقائق الاحوال ويطلع على غوامض القضايا فيعلم المفسد فيقابله بالتأديب والمصلح فيجزيه بالاحسان ويقول متى غفل الملك عن تعرف ذلك فليس له من الملك الا اسمه وسقطت من القلوب هيبته وروى عن انس بن مالك رضى الله عنه انه قال خرج امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ليلة من الليالى يطوف يتفقد أحوال المسلمين فرأى بيتا من الشعر مضروبا لم يكن قد رآه بالامس فدنا منه فسمع فيه أنين امرأة ورأى رجلا قاعدا فدنا منه وقال له من الرجل فقال له رجل من البادية قدمت الى امير المؤمنين لاصيب من فضله قال فما هذا الانين قال امرأة تتمخض قد أخذها الطلق قال فهل عندها أحد قال لا فانطلق عمر ولرجل لا يعرفه فجاء الى منزله فقال لامرأته ام كلثوم بنت على ابن أبى طالب بنت فاطمة الزهراء رضى الله عنهم هل لك فى اجر قد ساقه الله تعالى لك قالت

وما هو قال امرأة تتمخض ليس عندها احد قالت ان شئت قال فخذى معك ما يصلح للمرأة
من الخرق والدهن وائتينى بقدر وشحم وحبوب فجاءت به فحمل القدر ومشت خلفه حتى
أتى البيت فقال ادخلى الى المرأة ثم قال للرجل اوقد لى نارا ففعل فجعل عمر ينفخ النار
ويضرمها والدخان يخرج من خلال لحيته حتى أنضجها وولدت المرأة فقالت أم كلثوم رضى
الله عنها ابشر صاحبك يا أمير المؤمنين بغلام فلما سمعها الرجل تقول يا أمير المؤمنين ارتاع وخجل
وقال واخجلتاه منك يا أمير المؤمنين اهكذا تفعل بنفسك قال يا أخا العرب من ولى شيأ من أمور
المسلمين ينبغى له أن يتطلع على صغير أمورهم وكبيره فانه عنه مسؤل ومتى غفل عنها خسر
الدنيا والآخرة ثم قام عمر رضى الله عنه وأخذ القدر من على النار وحملها الى باب البيت
وأخذتها أم كلثوم وأطعمت المرأة فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم فقال عمر رضى الله
تعالى عنه للرجل قم الى بيتك وكل ما بقى فى البرمة وفى غد ائت الينا فلما أصبح جاءه فجهزه بما
أغناه به وانصرف وكان رضى الله تعالى عنه من شدة حرصه على تعرف الاحوال واقامة
قسطاس العدل وازاحة أسباب الفساد واصلاح الامة يعس بنفسه ويباشر أمور الرعية
سرا فى كثير من الليالى حتى انه فى ليلة مظلمة خرج بنفسه فرأى فى بعض البيوت ضوء سراج
وسمع حديثا فوقف على الباب يتجسس فرأى عبدا أسود قدامه اناء فيه مزر وهو يشرب
ومعه جماعة فهم بالدخول من الباب فلم يقدر من تحصين البيت فتسور على السطح ونزل
اليهم من الدرجة ومعه الدرة فلما رأوه قاموا وفتحوا الباب وانهزموا فمسك الاسود فقال له
يا أمير المؤمنين قد أخطأت وانى تائب فاقبل توبتى فقال أريد أن أضربك على خطيئتك
فقال يا أمير المؤمنين ان كنت قد اخطأت فى واحدة فأنت قد اخطأت فى ثلاث فان الله تعالى
قال ولا تجسسوا وأنت تجسست وقال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها وأنت أتيت من
السطح وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وأنت
دخلت وما سلمت فهب هذه لهذه وأنا تائب الى الله تعالى على يدك أن لا أعود فاستتوبه
واستحسن كلامه وله رضى الله عنه وقائع كثيرة مثل هذه وكان معاوية بن أبى سفيان رضى الله
عنه قد سلك طريق امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ذلك وكان زياد ابن أبيه يسلك
مسلك معاوية فى ذلك حتى نقل عنه ان رجلا كلمه فى حاجة له وجعل يتعرف اليه ويظن أن
زيادا لا يعرفه فقال أنا فلان بن فلان فتبسم زياد وقال له أتتعرف الى وأنا أعرف بك منك
بنفسك والله انى لأعرفك وأعرف أباك وأعرف أمك وأعرف جدك وجدتك وأعرف هذه
البردة التى عليك وهى لفلان وقد أعارك اياها فبهت الرجل وارتعد حتى كاد يغشى عليه ثم
جاء بعدهم من اقتدى بهم وهو عبد الملك بن مروان والحجاج ولم يسلك بعدهما ذلك الطريق
واقتفى آثار ذلك الفريق الا المنصور ثانى خلفاء بنى العباس ولى الخلافة بعد اخيه السفاح
وهى فى غاية الاضطراب فنصب العيون واقام المتطلعين وبث فى البلاد والنواحى من يكشف
له حقائق الامور والرعايا فاستقامت له الامور ودانت له الجهات واقد ابتلى فى خلافته بأقوام
نازعوه وارادوا خلعه وتمردوا عليه وتكاثروا فلولا أن الله تعالى أعانه بتيقظه وتبصره ما ثبت
له فى الخلافة قدم ولا ارتفع له مع قصد اولئك القاصدين علم لكنه بث العيون فعرف من انطوى

على خلافه فعالجه باقلاقه واطلع على عزائم المعاندين فقطع رؤس عنادهم بأسيافه وكان
بكمال يقظته يتلقى المحذور بدفعه دون رفعه ويعاجل المخوف بتفريق شمله قبل جمعه فذلت له
الرقاب ولانت للخلافة الصعاب وقرر قواعدها وأحكمها بأوثق الاسباب فمن آثار يقظته
وفطنته مانقله عنه عقبة الازدى قال دخلت مع الجند على المنصور فرآنى فلما خرج الجند
أدنانى وقال لى من أنت فقلت رجل من الازد وأنا من جند امير المؤمنين قدمت الآن مع عمر
ابن حفص فقال انى لأرى لك هيبة وفيك نجابة وانى أريدك لأمر وأنا به معنى فان كفيتنيه
رفعتك فقلت انى لأرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين فى فقال أخف نفسك واحضرفى يوم
كذا قال فغبت عنه الى ذلك اليوم وحضرت فلم يترك عنده احدا ثم قال لى اعلم ان بنى عمنا
هؤلاء قد ابوا الا كيد ملكنا واغتياله ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم
ويرسلون اليهم بصدقات أموالهم وألطاف بلادهم فخذ معك عينا من عندى وألطافا وكتبا
واذهب حتى تأتى عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب فاقدم عليه متخشعا والكتب
على ألسنة أهل تلك القرية والالطاف من عندهم اليه فاذا رآك فانه سيردك ويقول
لا أعرف هؤلاء القوم فاصبر عليه وعاوده وقل له قد سيرونى سرا وسيروا معى ألطافا وعينا
وكلما جبهك وأنكر اصبر عليه وعاوده واكشف باطن أمره قال عقبة فأخذت كتبه
والعين والالطاف وتوجهت الى جهة الحجاز حتى قدمت على عبد الله بن الحسن فلقيته
بالكتب فانكرها ونهرنى وقال ما أعرف هؤلاء القوم قال عقبة فلم أنصرف وعاودته
القول وذكرت له اسم القرية واسماء اولئك القوم وأن معى ألطافا وعينا فأنس بى واخذ
الكتب وما كان معى قال عقبة فتركته ذلك اليوم ثم سألته الجواب فقال اما كتاب فلا
أكتب الى أحد ولكن أنت كتابى اليهم فاقرأهم السلام وأخبرهم ان ابنى محمدا وابراهيم
خارجان لهذا الامر وقت كذا وكذا قال عقبة فخرجت من عنده وسرت حتى قدمت على
المنصور فاخبرته بذلك فقال لى المنصور انى أريد الحج فاذا صرت بمكان كذا وكذا وتلقانى
بنو الحسن وفيهم عبد الله فانى اعظمه واكرمه وارفعه واحضر الطعام فاذا فرغ من اكله
ونظرت اليك فتمثل بين يدى وقف قدامه فانه سيصرف وجهه عنك فدر حتى تقف من ورائه
واغمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينيه منك ثم انصرف عنه واياك أن يراك وهو يأكل ثم
خرج المنصور يريد الحج حتى اذا قارب البلاد تلقاه بنو الحسن فأجلس عبد الله الى جانبه
وحادثه فطلب الطعام للغداء فأكلوا معه فلما فرغوا أمر برفعه فرفع ثم أقبل على عبد الله
ابن الحسن وقال يا أبا محمد قد علمت أن مما اعطيتنى من العهود والمواثيق أنك لاتريدنى بسوء
ولا تكيد لى سلطانا قال فأنا على ذلك يا أمير المؤمنين قال عقبة فلحظنى المنصور بعينه فقمت
حتى وقفت بين يدى عبد الله بن الحسن فأعرض عنى فدرت من خلفه وغمزت ظهره بابهام
رجلى فرفع رأسه وملأ عينيه منى ثم وثب حتى جثى بين يدى المنصور وقال أقلنى يا أمير
المؤمنين أقالك الله فقال له المنصور لا أقالنى الله ان لم أقتلك وأمر بحبسه وجعل يتطلب ولديه
محمدا وابراهيم ويستعلم أخبارهما قال على الهاشمى صاحب غدائه دعانى المنصور يوما فاذا

بين يديه جارية صفراء وقد دعا لها بانواع العذاب وهو يقول لها ويلك اصدقيني فوالله ما أريد الا الالفة ولئن صدقتيني لاصلن رحمه ولا تابعن البر اليه واذا هو يسألها عن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهي تقول لا أعرف له مكانا فأمر بتعذيبها فلما بلغ العذاب منها اغمي عليها فقال كفوا عنها فلما رأى ان نفسها كادت تتلف قال ما دواء مثلها قالوا شم الطيب وصب الماء البارد على وجهها وأن تسقى السويق ففعلوا بها ذلك وعالج المنصور بعضه بيده فلما أفاقت سألها عنه فقالت لا أعلم فلما رأى اصرارها على الجحود قال لها أتعرفين فلانة الحجامة فلما سمعت ذلك منه تغير وجهها وقالت نعم يا أمير المؤمنين تلك في بني سليم قال صدقت هي والله امتي ابتعتها بمالي ورزقي يجري عليها في كل شهر وكسوة شتائها وصيفها من عندي سيرتها وأمرتها أن تدخل منازلكم وتحجمكم وتتعرف احوالكم وأخباركم ثم قال لها أتعرفين فلانا البقال قالت نعم يا أمير المؤمنين هو في بني فلان قال صدقت هو والله غلامي دفعت اليه مالا وامرته أن يبتاع به ما يحتاج اليه من الامتعة وأخبرني ان أمة لكم يوم كذا وكذا جاءت اليه بعد صلاة المغرب تسأله حناء وحوائج فقال لها ما تصنعين بهذا قالت كان محمد بن عبد الله بن الحسن في بعض الضياع بناحية البقيع وهو يدخل الليلة وأردنا هذا ليتخذ النساء ما يحتجن اليه عند دخول أزواجهن من المغيب فلما سمعت الجارية هذا الكلام من المنصور ارتعدت من شدة الخوف واذعنت له بالحديث وحدثته بكل ما اراد والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثاني والستون في ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات وما أشبه ذلك مرتبا على حروف المعجم

(حرف الهمزة)

(الاسد) من السباع والانثى اسدة وله اسماء كثيرة فمن اشهرها اسامة والحرث وقسورة والغضنفر وحيدرة والليث والضرغام ومن كناه ابو الابطال وابو شبل وابو العباس وهو أنواع منها ما وجهه وجه انسان وشكل جسده كالبقر وله قرون سود نحو شبر ومنها ما هو احمر كالعناب وغير ذلك وتلده أمه قطعة لحم وتستمر تحرسه ثلاثة أيام ثم يأتي ابوه فينفخ فيه فتتفرج اعضاؤه وتتشكل صورته ثم ترضعه وتستمر عيناه مغلوقة سبعة ايام ثم يفتح ويقيم على تلك الحالة بين أبيه وأمه الى ستة أشهر ثم يتكلف الكسب بعد ذلك وله صبر على الجوع والعطش وعنده شرف نفس يقال انه لا يعاود فريسته ولا يأكل من فريسة غيره ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب وفي ذلك يقول بعضهم

سأترك حبكم من غير بغض * وذاك لكثرة الشركاء فيه
اذا وقع الذباب على طعام * رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنب الاسود ورود ماء * اذا كان الكلاب ولغن فيه

واذا أكل نهش نهشا وريقه قليل جدا ولذلك يوصف بالبخر وعنده شجاعة وجبن وكرم فمن شجاعته الاقدام على الامور وعدم الاكتراث بالغير ومن جبنه أنه يفر من صوت الديك

والسنور والطست ويتصبر عند رؤية النار ومن كرمه انه لا يقرب المرأة خصوصا اذا كانت حائضا وقيل اربع عيون تضيء بالليل عين الاسد وعين النمر وعين السنور وعين الافعى وروى انه لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والنجم اذا هوى قال عتبة بن أبي لهب كفرت برب النجم يعني نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ينهشه فخرج مع أصحابه في عير الى الشام حتى اذا كانوا بمكان يقال له الزرقاء زأر الاسد فجعلت فرائصه ترتعد فقالوا له من اي شيء ترتعد فرائصك فوالله ما نحن وانت الاسواء فقال ان محمدا دعا علي ووالله ما اظلت السماء من ذي لهجة اصدق من محمد ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ثم جاء النوم فحاطوا انفسهم بمتاعهم وجعلوه بينهم وناموا فجاء الاسد يتهمس ويشمهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فضغطه ضغطة كانت اياها فسمع وهو بآخر رمق يقول ألم اقل لكم ان محمدا اصدق الناس ولبعضهم في الاسد

عبوس شموص مصلخذ مكابد * جري على الاقران للقرن قاهر

براثنه شثن وعيناه في الدجى * كجمر الغضى في وجهه الشر ظاهر

يدل بانياب حداد كانها * اذا قلص الاشداق عنها خناجر

(فائدة) اذا أقبلت على واد مسبع فقل أعوذ بدانيال والجب من شر الاسد وسبب ذلك على ما قيل أن بختنصر رأى في نومه ان هلاكه يكون على يدي مولود فجعل يأمر بقتل الاطفال فخافت أم دانيال عليه فجاءت الى بئر فألقته فيه فأرسل الله له أسدا يحرسه وقيل ان بختنصر توهم ذلك في دانيال فضرى له أسدين وجعلهما في الجب وألقاه عليهما فلم يؤذياه وصارا يبصبصان حوله ويلحسانه فأقام ماشاء الله تعالى أن يقيم ثم اشتهى الطعام والشراب فأوحى الله تعالى الى أرمياء بالشأم ان اذهب الى أخيك دانيال بجب كذا بمكان كذا قال أرمياء فسرت الى ذلك الموضع فلما وقفت على رأس ذلك الجب ناديته فعرفني فقال من أرسلك الي قلت أرسلني اليك ربك بطعام وشراب فقال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره والحمد لله الذي لا يخيب من قصده والحمد لله الذي من وثق به لا يكله الى غيره والحمد لله الذي يجزي بالاحسان احسانا وبالصبر نجاة وغفرانا والحمد لله الذي يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذي هو ثقتنا حين تسوء ظنوننا بأعمالنا والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا قال ثم صعد به أرمياء من الجب وأقام عنده مدة ثم فارقه ورجع (وحكى) ان يحيى بن زكريا عليهما السلام مر بقبر دانيال عليه السلام فسمع منه صوتا يقول سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت قال بعض الصالحين من قال هذه الكلمات استغفر له كل شيء (وحكى) ان ابراهيم بن أدهم كان في سفره ومعه رفقة فخرج عليهم الاسد فقال لهم قولوا اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا بركنك الذي لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت رجاؤنا يا الله يا الله قال فولى الاسد هاربا وقيل لما حمل نوح عليه السلام في سفينته من كل زوجين اثنين قال أصحابه كيف نطمئن ومعنا الاسد فسلط الله عليه الحمى وهي أول حمى نزلت في الارض ثم شكوا اليه العذرة فامر الله الخنزير فعطس فخرج منه الفار فلما كثر وزاد ضرره شكوا ذلك لنوح عليه السلام فأمر الله سبحانه وتعالى الاسد فعطس فخرج منه الهر فخبب الفار

عنهم ويحرم أكل السبع لنهيه عليه الصلاة والسلام عن أكل كل ذي ناب من السباع وكل
ذي مخلب من الطير (خواصه) فمن خواصه ان صوته يقتل التماسيح وشحمه من طلى به يده لم
يقربه سبع ومرارة الذكر منه تحل المعقود ولحمه ينفع من الفالج واذا وضعت قطعة من جلده
في صندوق لم يقربه سوس ولا ارضة واذا وضع على جلد غيره من السباع تساقط شعره وهو
من الحيوان الذي يعيش ألف سنة على ماذكر وعلامة ذلك كثرة سقوط أسنانه (الابل) قيل
ماخلق الله شيأ من الدواب خيرا من الابل ان حملت أثقلت وان سارت ابعدت وان حلبت
اروت وان نحرت اشبعت وفي الحديث الابل عز لاهلها والغنم بركة والخيل معقود
بنواصيها الخير الى يوم القيامة وهي من الحيوان العجيب وان كان عجبه قد سقط لكثرة
مخالطته الناس وقد أطاعها الله للآدمي وغيره حتى قيل ان قطارا كان بعض حبله دهن
فرت فأرة بجذبته فسار معها القطار بواسطة جذبها له وهي مراكب البر ولذلك قرنها الله
تعالى بالسفن فقال تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون ولما كانت مراكب البر والبر فيه ماماؤه
قليل وماماؤه كثير جعل الله تعالى له صبرا على العطش حتى قيل انه يرتفع ظمؤها الى عشر
وفي الحديث لاتسبوا الابل فانها من نفس الله تعالى أي مما وسع به على الناس حكاه
ابن سيده والذي يعرف لاتسبوا الريح فانها من نفس الرحمن قال أصحاب الكلام في طبائع
الحيوان ليس لشئ من الفحول مثل ماللجمل عند هيجانه فانه يسوء خلقه فيظهر زبده ويقل
رغاؤه فلو حمل عليه ثلاثة أضعاف عادته حمل ويقل أكله ويخرج له عند رغائه شقشقة
لاتعرف من أي شئ هي من أجزائه وهو من الاحرار حتى قيل انه لاينزو على أمه ولا على
أخته حتى قيل ان بعض العرب ستر ناقة بثوب ثم أرسل عليها ولدها فلما عرف ذلك عمد
الى احليله فأكله ثم حقد على صاحبه حتى قتله وليس له مرارة ولذلك كثر صبره وقيل يوجد
على كبده شئ رقيق يشبه المرارة ينفع الغشاوة في العين كحلا وفي معدته قوة حتى انها تهضم
الشوك وتستطيبه ويحل أكله بالنص والاجماع وأما تحريم يعقوب عليه السلام أكلها
فباجتهاد منه وذلك انه كان يسكن البوادي فاشتكى عرق النسا فلم يجد مايلائمه الا ترك
اكل لحومها فلذلك حرمها وأما انتقاض الوضوء بأكل لحمها فاختلف العلماء في ذلك فذهب
الاكثرون الى انه لاينقض وعليه الخلفاء الاربعة وابن مسعود وأبي وابن عباس وابو
الدرداء وابو طلحة وعامر بن ربيعة وأبو أمامة وجماهير التابعين وبه أخذ مالك والشافعي وأبو
حنيفة واصحابهم وخالف في ذلك احمد واسحق ويحيى بن يحيى وابن المنذر وابن خزيمة
واختاره البيهقي وهو مذهب الشافعي القديم (خواصه) قال ابن زهر وغيره اكل لحمه يزيد
في الباه وفي الانعاظ بعد الجماع وبوله يفيق السكران ووبره اذا أحرق وذر على دم سائل قطعه
وقراده اذا ربط على كم عاشق يزول عشقه (الارضة) بفتح الهمزة والراء دويبة صغيرة كنصف
العدسة تأكل الخشب والورق ولما كان فعلها في الارض أضيف اسمها اليها قال القزويني
اذا أتى على الارضة سنة نبت لها جناحان طويلان تطير بهما ويقال انها الدابة التي دلت
الجن على موت سليمان عليه السلام ومن شانها انها تبني لنفسها بيتا من عيدان تجمعها
مثل بيت العنكبوت مخروطا من أسفله الى أعلاه وله في احدى جهاته باب مربع ومنه

زعم الاوائل وضع الدواويس لموتاهم والنمل عدوها وهو أصغر منها فيأتي من خلفها ويحملها ويمشي بها الى جحره لانه اذا أتاها مستقبلا لا يغلبها (الارنب) حيوان شبه العناق قصير اليدين طويل الرجلين يطأ الارض على مؤخر قدميه وهو اسم يطلق على الذكر والانثى وله شدة شبق وربما تسفد وهي حبلى ويكون عاما ذكرا وعاما انثى ومن عجائبها انها تنام وعيناها مفتوحتان فيأتي الصياد فيظنها مستيقظة قيل من رأى أرنبا عند خروجه من بيته أول ما يخرج أو رآه عند قيامه من نومه واصطبح به لم تقض له حاجة في ذلك اليوم ومن عجيب أمره أن تحمل الانثى منه باثنين وثلاثة وأربعة ولا تلد الا تحت الارض خوفا على أولادها من الانسان وتحفر تحت الارض الحفائر القوية حتى انها تخرب الجدران وعند ولادتها تنتحل شعرها وهي تحضن الاولاد الى عشرين يوما ومن طبعه انه ابله وفيه قوة وشدة وفي سفاده حالة تزويه يصرخ الذكر والانثى كالسنانير فاذا وقع منه الانزال وقع على الارض قليل الحركة وعند سفاده تدير له وجهها فاذا املكها بعد ذلك فانها تجري به وهو راكب عليها ويجري معها (فائدة) ذكر ابن الاثير في الكامل أن صديقا له اصطاد أرنبا وله اثنيان وذكر وفرج وقيل التقطت الارنب تمرة فاختلسها الثعلب فاكلها فانطلقا يختصمان الى الضب فقالت الارنب يا أبا حسل فقال سميعا دعوت قالت أتيناك لنختصم قال عادلا حكيما قالت فاخرج الينا قال في بيته يؤتى الحكم قالت اني وجدت تمرة حلوة قال فكليها قالت قد اختلسها الثعلب قال لنفسه بغى الخير قالت فلطمته قال بحقك اخذت قالت فلطمني قال اقتص قالت فاقض بيننا قال قد قضيت فذهبت أقواله أمثالا ومن ذلك ما حكي ان عدي بن ارطاة اتى شريحا القاضي في مجلس حكمه فقال له أين أنت قال بينك وبين الحائط قال فاسمع مني قال للاستماع جلست قال اني تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين قال فشرط أهلها أن لا أخرجها من بينهم قال أوف لهم بالشرط قال فأنا أريد الخروج قال الشرط أملك قال أريد أن أذهب قال في حفظ الله قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال فعلى من قضيت قال على ابن أمك قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالك (الخواص) قال الجاحظ من علق عليه كعب أرنب لم تضره عين ولا سحر وأكل دماغه يبرئ من الارتعاش العارض من البرد وان شربت المرأة الحامل انفحة الذكر ولدت ذكرا وان شربت أنفحة الانثى ولدت انثى وان علقت عليها زبلها لم تحمل والارنب البحري من السموم فلا يحل أكله (سقنقور) دابة شكلها كالوزغة اذا أخذت وملحت وشرب منها مثقال زاد في الباه وهو من الاشياء النفيسة عند أهل الهند يقال انه يهدى اليهم فيذبحونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر فاذا وضعوا منه مثقالا على لحم أو بيض نفع نفعا عظيما (الافعى) الانثى من الحيات والذكر أفعوان وهو يعيش ألف سنة على ما يقال ويعرف بالشجاع والاسود وهو أشر الحيات وأشرها حيات وأفاعي سجستان ومن عجيب ما يحكى عنها انها لدغت انسانا في رجله فانصدعت جبهته (وحكي) انها نهشت ناقة وفصيلها يرضع فمات قبل أمه وقيل لما دخل شبيب بن شيبة على المنصور قال له يا شبيب أدخلت سجستان فقال له نعم قال صف لي أفاعيها قال يا أمير المؤمنين هي دقاق

الاعناق

الاعناق صغار الاذناب مقلصة الرؤس رقش برش كأنما كسين اعلام الحبرات كبارهن حتوف وصغارهن سيوف وقيل انها تندفن فى التراب أربعة أشهر فى البرد ثم تخرج وقد أظلمت عيناها فتمر بشجر الرازيانج وهو الشمر الاخضر فتحك عينيها به فيرجع اليها بصرها فسبحان من ألهمها ذلك وقال الزمخشرى اذا عميت الافعى بعد ألف سنة ألهمها الله تعالى ان تأتى البساتين وتلقى نفسها على هذه الشجرة وتحك عينيها بها فتبصر وقيل اذا قطع ذنبها عاد كما كان واذا قلع نابها عاد بعد ثلاثة أيام وهى أعدى عدو للانسان وقال بعضهم رأيت حية قد ابتلعت كبشا عظيم القرنين فجعلت تضرب به الحجارة يمينا ويسارا حتى كسرت القرنين وابتلعته وقرنيه والله تعالى أعلم وقيل اذا قطع ذنب الحية تعيش ان سلمت من الذر وقيل ان بالحبشة حيات لها أجنحة تطير بها وقيل ان جلدها ينسلخ عنها فى كل سنة مرة وقيل ان الجلد لا ينسلخ وانما الذى ينسلخ قشر فوق الجلد وغلاف يخلق لها كل عام وهى تبيض على عدد أضلاعها أى ثلاثين بيضة فيجتمع عليها النمل فيفسدها بقدرة الله تعالى الا نادرا ومن عجيب أمرها انها لا ترد الماء ولا تريده ولكنها اذا شمت رائحة الخمر فلا تكاد تصبر عنه مع أنه سبب هلاكها لانها اذا شربت سكرت فتعرضت للقتل والذكر لا يقيم فى الموضع وانما تقيم الانثى لاجل فراخها حتى تكتسب قوة فاذا قويت أخذتهم وانسابت فأى جحر وجدته دخلت فيه وأخرجت صاحبه منه وعينها لا تدور واذا قلعت عادت ومن عجيب أمرها انها تهرب من الرجل العريان وتفرح بالنار وتقرب منها وتحب اللبن حبا شديدا واذا دخلت بصدرها فى جحر لا يستطيع أقوى الناس اخراجها منه ولو قطعت قطعا وليس لها قوائم ولا أظفار وانما تقوى بظهرها لكثرة أضلاعها (وحكى) عمر بن يحيى العلوى قال كنا فى طريق مكة فأصاب رجلا منا استسقاء فاتفق أن العرب سرقوا منا قطار جمال على أحدها ذلك الرجل قال ثم بعد أيام جمعتنا المقادير فوجدته قد برئ فسألناه عن حاله فقال ان العرب لما أخذونى جعلونى فى أواخر بيوتهم فكنت فى حالة أتمنى فيها الموت وبينما انا كذلك اذ أتوا يوما بأفاعى اصطادوها وقطعوا رؤسها وأذنابها وشووها بعد ذلك فقلت فى نفسى هؤلاء اعتادوها فلا تضرهم فلعلى ان أكلت منها مت فاسترحت فاستطعمتهم فأطعمونى واحدة فلما استقرت فى بطنى أخذنى النوم فنمت نوما ثقيلا ثم استيقظت وقد عرقت عرقا شديدا واندفعت طبيعتى نحو مائة مرة فلما اصبحت وجدت بطنى قد ضمر وقد انقطع الالم فطلبت منهم مأكولا فأكلت وأقمت عندهم أياما فلما انشطت ووثقت من نفسى بالحركة أخذت فى الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة (فائدة) قيل ان الريحان الفارسى لم يكن قبل كسرى وانما وجد فى زمانه وسببه ان كسرى كان ذات يوم جالسا فى بعض متفرجاته اذ جاءته حية فانسابت بين يديه وتمرغت وصارت تتقلق مثل الذى يشتكى فأراد بعض الجند قتلها فمنعهم الملك ثم قال لهم انظروا أمرها فلما سمعت ذلك انسابت بين يديه فأمرهم أن يتبعوها الى المكان الذى تريده قال فجاءت الى بئر وصارت تنظر فيه قال فنظروا فاذا فيه حية عظيمة وعلى ظهرها عقرب أسود فنخسها بعضهم برمح فقتلها وتركوها ورجعوا فأخبروا الملك بذلك فلما كان الغد جاءت الحية للملك وفى فمها بزر فنثرته بين يدى

الملك وذهبت فقال الملك انها أرادت مكافأتنا اجعلوه في الارض لننظر ما يكون من أمره قال ففعلوا ذلك فطلع منه الريحان قال فلما انتهى أمره أتوا به الى الملك قال وكان به زكام فشمه فبرئ (لطيفة) من غريب ما اتفق لعماد الدولة انه لما ملك شيراز اجتمع عليه أصحابه وطلبوا منه مالا ولم يكن عنده ما يرضيهم به فاغتم لذلك ونام مستلقيا على قفاه مفكرا في ذلك واذا بحية عظيمة خرجت من سقف ذلك المجلس ودخلت في سقف آخر قال فطلب سلما وصعد لينظر المكان الذي خرجت منه فلما رآه وجد كوة فنظر في داخلها فاذا هي مطمورة فدخلها فوجد فيها صندوقا فيه خمسمائة ألف دينار فأمر باخراجه وانفاقه على عسكره ومن الطف ما اتفق له أيضا انه كان بتلك البلد خياط أطروش وكان الملك الذي قبله قد أودع عنده وديعة مال قال فطلبه عماد الدولة ليخيط له على عادته لانه هو الذي يخيط للملوك قال فتوهم الاطروش انه غمز عليه بسبب الوديعة فلما حضر بين يدي عماد الدولة قال له ان فلانا الملك لم يدع عندي سوى اثني عشر صندوقا ولم أدر ما فيها فأمر باحضارها فأحضرها فأخذها عماد الدولة ووسع بها على جنده وتعجب من هذين القضيتين فكانت هذه الاسباب من دلائل السعادة له وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الحيات بعد ان تنذر ثلاث مرات وقيل ثلاثة أيام وأما سكان البيوت فالانذار لها متعين وفي الحديث من قتل حية فكأنما قتل مشركا ومن لبس خفا فلينفضه ومن اوى الى فراشه فلينفضه (الخواص) يقال ان دمها يجلو البصر وقلبها اذا علق على انسان لايؤثر فيه السحر وضرسها اذا علق على من به وجع الضرس سكن الايمن للايمن والايسر للايسر ولحمها قال بقراط الحكيم من أكله أمن من الامراض الصعبة (الانيس) وتسميه الرماة الانيسة لانه من طيور الواجب عندهم وهو طير له لون حسن غذاؤه الفاكهة ومأواه الانهار والبساتين والغياض وله صوت حسن كالقمري (الاوز) طير يحب السباحة وفراخه تخرج من البيضة تسبح (الخواص) في جوفه حصاة تنفع المبطون ودهنه ينفع من ذات الجنب وداء الثعلب اذا طلي به واسانه ينفع لقطار البول وغذاؤه جيد الا انه بطيء الهضم (الايل) بتشديد الياء المكسورة ذكر الوعل وله اسماء باختلاف اللغات وهو يشبه بقر الوحش واذا خاف من الصياد رمى بنفسه من رأس الجبل ولا يتضرر بذلك واذا لسعته حية ذهب الى البحر فأكل السرطان فيشفى (خواصه) ان السمك يحب رؤيته وهو يحب ذلك ولذلك أكثر ما يكون بقرب البحر والصيادون يعرفون ذلك فيلبسون جلده ليراهم السمك فيأتي لهم وهو مولع بأكل الحيات وربما لسعته فتسيل دموعه تحت محاجر عينيه حتى تصير نقرتين من كثرة ذلك ثم تجمد تلك الدموع فتصير كالشمع فتؤخذ وتجعل دواء للسم وهو الذي يسمى بالبنزهير الحيواني وأجوده الاصفر وأكثر ما يكون ببلاد الهند والسند وفارس واذا وضع على لسعة الحيات أبرأها وان وضعه الملسوع في فيه نفعه وهذا الحيوان لاتنبت قرناه الا بعد سنتين وينبتان في أول الامر مستقيمين ثم بعد ذلك يحصل فيهما التشعب ولا يزال يزيد الى ست سنين فحينئذ يصيران كنخلتين ثم بعد ذلك يلقيهما في كل سنة مرة ثم ينبتان قال ارسطو وهذا النوع يصاد بالصفير والاصوات المطربة فانه يحب

الطرب والصيادون يشغلونه بذلك ويأتونه من ورائه فاذا رأوه قد استرخت اذناه وثبوا عليه وقرنه مصمت واحد له من عصب لا عظم فيه ولا لحم وهو من الحيوان الذي يزيد في السمن فاذا حصل له ذلك فرّ من مكانه خوفا من الصيادين وحكمه حل أكله (الخواص) اذا بخر بقرنه البيت طرد الهوام التي فيه واذا أحرق واستاك به الذي به صفرة الاسنان زال ذلك عنه ومن علق عليه شئ منه ذهب نومه ومن خواصه ان دمه يفتت الحصاة التي بالمثانة شربا والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(حرف الباء الموحدة)

(باز) كنيته أبو الاشعث وهو من أشد الحيوان تكبرا وأضيقها خلقا قال القزويني انه لا يكون الا أنثى وذكرها من غيرها امامن جنس الحدأة أو الشواهين ولاجل ذلك تختلف ألوانها وهو أصناف منها البازي والباشق والشاهين والبيدق والصقر والبازي أحرها مزاجا لانه لا يصبر على العطش فلذلك لا يفارق الماء والاشجار المتسعة والظل الظليل وهو خفيف الجناح سريع الطيران تكثر أمراضه من كثرة طيرانه لانه كلما طار انحط لحمه وهزل وأحسن أنواعه ماقل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما قال الشاعر

لو استضاء المرء في ادلاجه * بعينه كفته عن سراجه

ودونه الازرق الاحمر العينين والاصفر دونهما ومن صفاته المحمودة ان يكون طويل العنق عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين شديد الانحطاط من الجو غليظ الذراعين مع قصر فيهما (لطيفة) من عجيب أمره أن الرشيد خرج ذات يوم للصيد فأرسل بازا فغاب قليلا ثم أتى وفي فمه سمكة فاحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان الجو معمور بأمم مختلفة الخلق وفيه دواب تبيض وتفرخ على هيئة السمك لها اجنحة ليست بذوات ريش فأجاز مقاتلا على ذلك وأكرمه (بالة) سمكة عظيمة قال القزويني يقال ان طولها يبلغ خمسمائة ذراع وقال غيره خمسون ويقال لها العنبر وهي تظهر في بعض الاحايين لاصحاب المراكب فاذا رأوها طبلوا بالطبول حتى انها تنفر لان لها جناحين كالقناطر اذا نشرتهما أغرقتهم فاذا بغت على حيوان البحر وزاد شرها ارسل الله عليها سمكة نحو الذراع تلتصق بأذنها ولا خلاص لها منها فتنزل الى قعر البحر وتضرب رأسها به حتى تموت ثم تطفو بعد ذلك فيقذفها الريح الى الساحل فيأخذها أهله ويشقون جوفها ويستخرجون منها العنبر (ببغاء) هي أصناف كثيرة منها الاخضر والرمادي والاصفر والابيض يتخذها الملوك والرؤساء لحسن لونها وصوتها وفصاحتها (حكى) انه اهدى لمعز الدولة درة بيضاء سوداء الرجلين والمنقار ويقال ان نوعا منها يقرأ القرآن (الخواص) من أكل لسانها تفصح واذا جفف دمها وجعل بين الصديقين حصلت بينهما الخصومة وزبلها يخلط بماء الحصرم ويكتحل به ينفع من الرمد وظلمة البصر (بجع) طائر أبيض اللون يميل الى صفرة طويل المنقار كبير البطن أكثر اكله السمك (بح) طائر لطيف يأوي اطراف الماء وهو خلقة شريفة لم يوجد غالبا

الاثنين فقط (براق) هو الدابة التى ركبها النبى صلى الله عليه وسلم وهو دون البغل وفوق الحمار أبيض اللون (برذون) نوع من الخيل دون الفرس العربى وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم ركبه وكذا عمر رضى الله عنه فلما ركبه عمر جعل يتخلل به فنزل عنه وضرب وجهه وقال لا علم الله من علمك هذه الخيلاء ولم يركب برذونا قبله ولا بعده وكنيته أبو الاخطل لطول ذنبه وأنشد السراج الوراق فى ذم البراذين يقول

اصاحب الاحباس برذونة * بعيدة العهد عن القرط
اذا رأت خيلا على مربط * تقول سبحانك يا معطى
تمشى الى خلف اذا ما مشت * كأنما تكتب بالقبطى

(الخواص) اذا شربت امرأة دمه لم تحبل أبدا وزبله يخرج المشيمة والجنين الميت واذا جفف وذر منه على من به الرعاف انقطع رعافه وكذا الجرح (برغوث) تفتح منه الباء وتضم وكنيته أبو طامر وأبو عدى وأبو وثاب وهو يثب الى ورائه (وحكى) انه يعرض له الطيران كالنمل وهو يطيل السفاد ويبيض ويفرخ وأصله أولا من التراب لاسيما فى الاماكن المظلمة وسلطانه فى أواخر الشتاء وأول فصل الربيع ويقال انه على صورة الفيل وله انياب وخرطوم وقال بعضهم دبيبها من تحتى أشد من عضها وليس ذلك بدبيب ولكن البرغوث خبيث يستلقى على ظهره ويرفع قوائمه فيزغزغ بها فيظن من لا علم له انه يمشى تحت جنبه وكان أبو هريرة رضى الله عنه يفلى ثوبه فيلتقط البراغيث ويدع القمل فقال له أنس فى ذلك فقال أبدأ بالفرسان وأكر على الرجالة وأنشد أعرابى

ليل البراغيث أعيانى وأنصبنى * لا بارك الله فى ليل البراغيث
كأنهن وجلدى اذ خلون به * ايتام سوء أغاروا فى المواريث

وقال أبو الرماح الازدى

تطاول بالفسطاط ليلى ولم يكن * بوادى الغضى ليلى على يطول
تؤرقنى حدب قصار أذلة * وان الذى يؤذينه لذليل
اذا جلت بعض الليل منهن جولة * تعلقن فى رجلى حيث أجول
اذا ما قتلناهن أضعفن كثرة * علينا ولا ينعى لهن قتيل
الاليت شعرى هل أبيتن ليلة * وليس لبرغوث على سبيل

وقال ابن أيبك الصفدى

اشكو الى الرحمن ما نالنى * من البراغيث الخفاف الثقال
تعصبوا بالليل لما درروا * أنى تقنعت بطيف الخيال

ولا يسب البرغوث لما ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يسب برغوثا فقال لا تسبه فانه أيقظ نبيا الى صلاة الفجر (فائدة) سئل مالك عن البرغوث من يقبض روحه فقال أله نفس قيل نعم قال الله يتوفى الانفس حين موتها ولقد شكا عامل افريقية الى عمر بن عبد العزيز شر الهوام فكتب اليه اذا اوى احدكم الى فراشه فليقرأ ومالنا أن لا نتوكل على الله الآية وقال حنين بن اسحق الحيلة فى دفع البرغوث أن تأخذ شيأ من الكبريت

فتدخن

فتدخن به فى البيت فانها تفر من ذلك وقيل يرش البيت بماء الذباب وقيل مشاق المراكب يحرق فى البيت مع قشور النارنج (بعوض) قيل انه على خلقة الفيل الا انه أكثر أعضاء منه فان للفيل أربعة أرجل وللبعوض ستة ويزيد عليه باربعة أجنحة وله خرطوم مجوف نافذ فاذا طعن به جسد انسان استقى الدم وقذف به الى جوفه فهوله كالبلعوم والحلقوم ومما ألهمه الله تعالى انه اذا جلس على عضو انسان يتتبع مسام العروق فانها أرق وأسرع له فى اخراج الدم وعنده شره فى مصه حتى قيل انه لا يمص شيأ فيتركه باختياره الى أن ينشق أو يطار ومن عجيب أمره انه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الاربع فيتركه طريحا وقال الجاحظ من علم البعوض أن وراء جلد الجاموس دما وأن ذلك الدم غذاء لها وانها اذا طعنت فى ذلك الجلد الغليظ تنفذ فيه خرطومها مع ضعفه ولو انك طعنت فيه بسلات شديدة المتن رهيفة الحد لانكسرت فسبحان من رزقها على ضعفها بقوته وقدرته قال بعضهم

اقول لنازل البستان طوبى * لعيشك لم تشك فيه البعوض
يملاه فليس له قرار * ويخنقه فليس له نهوض
جناه قرصه وطنينه أن * يبيت وعينه فيها غموض
كانك حين تهدى بالاغانى * تكرر فى مسامعك العروض

ومن الحكم التى أودعها الله تعالى اياها ان جعل الله فيها قوة الحافظة والفكر وحاسة اللمس والبصر والشم ومنفذ الغذاء وجوفا ومخا وعروقا وعظاما فسبحان من قدر فهدى ولم يترك شيأ سدى وقال الزمخشرى فى تفسير سورة البقرة فى ذلك

يامن يرى مد البعوض جناحها * فى ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناط عروقها فى نحرها * والمخ من تلك العظام النحل
ويرى خرير الدم فى أوداجها * متنقلا من مفصل فى مفصل
ويرى وصول غذا الجنين ببطنها * فى ظلمة الاحشا بغير تمقل
ويرى مكان الوطء من أقدامها * فى سيرها وحثيثها المستعجل
ويرى ويسمع حس ماهو دونها * فى قاع بحر مظلم متهول
امنن على بتوبة تمحو بها * ما كان منى فى الزمان الاول

(بغل) معروف وكنيته أبو قوص وابو حرون وله كنى غير ذلك كثيرة وهو مركب من الفرس والحمار ولذلك صار له صلابة الحمار وعظم الخيل وهو عقيم لا نسل له روى ابن عساكر فى تاريخ دمشق عن على كرم الله وجهه أنها كانت تتناسل فدعا عليها ابراهيم الخليل لانها كانت تسرع فى نقل الحطب لنار المنجنيق فقطع الله نسلها وهو أشر الطباع لانه تجاذبه الاعراق المتضادة والاخلاق المتباينة والعناصر المتباعدة ومن العجيب ان كل عضو فرضته منه كان بين الفرس والحمار (الخواص) يقال ان حافر البغلة السوداء ينفع لطرد الفار اذا بخر به البيت واذا سحق حافره بعد حرقه وخلط بدهن الآس وجعل على رأس الاقرع نبت شعره وزبله اذا شمه المزكوم زال زكامه على ماذكر (بقر) هو حيوان شديد

القوة خلقه الله تعالى لمنفعة الانسان وهو أنواع منها الجواميس وهى أكثر البانا وكل حيوان اناثه ارق أصواتا من ذكوره الا البقر واشاه يضربها الفحل فى السنة مرة واذا اشتد شبقها تركت المرعى وذهبت واذا اطلع عليها الفحل التوت تحته انما اخطأ المجرى لشدة صلابة ذكره قال المسعودى رأيت بالرى البقر تحمل كالبعير فتبرك على ركبتيها ثم تثور بالحمل (عجيبة) حكى فى الاحياء ان شخصا كان له بقرة وكان يشوب لبنها بالماء ويبيعه فجاء السيل فى بعض الأودية وهى واقفة ترعى فجرى عليها فغرقها فجلس صاحبها يندبها فقال له بعض بنيه ياأبت لاتندبها فان المياه التى كنا نخلطها بلبنها اجتمعت فغرقتها (فائدة) ذكر ابن الفضل فى كتابه عن وهب بن منبه انه قال لما خلق الله تعالى الارض ماجت واضطربت كالسفينة فخلق الله تعالى ملكا فى نهاية العظم والقوة وأمره ان يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه فدخل وأخرج يدا من المشرق ويدا من المغرب وقبض على أطراف الارض وأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء فى وسطها سبعة آلاف ثقب تخرج من كل ثقب بحر لايعلم عظمه الا الله تعالى ثم أمر الصخرة أن تدخل تحت قدمى الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله تعالى ثورا عظيما يقال له كيوثا له أربعة آلاف عين ومثلها انوف وآذان وأفواه وألسنة وقوائم مابين كل قائمتين منها مسيرة خمسمائة عام وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة وحملها على ظهره وقرونه ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا يقال له يهموت ثم أمره الله تعالى أن يدخل تحته ثم جعل الحوت على ماء ثم جعل الماء على الهواء ثم جعل الهواء على ماء أيضا ثم جعل الماء على الثرى ثم الثرى على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق (الخواص) شحم البقر اذا خلط بزرنيخ أحمر طرد العقارب واذا طلى به اناء اجتمعت البراغيث اليه واذا شرب لبنها زاد فى الانعاظ وقرنها اذا سحق وجعل فى طعام صاحب الحمى فأكله زالت الحمى ومرارتها اذا خلطت بماء الكراث نفعت من البواسير طلاء واذا طلى به على الأثر الاسود فى البدن ازاله وخصية الفحل اذا جففت وسحقت وجعلت فى عسل وأكلت فانها تزيد فى الباه وشعرها اذا أحرق واستيك به نفع من وجع الانسان واذا خلط مع السكنجبين وشرب نفع من الطحال على ماذكر (بومة) وكنيتها أم الخراب وأم الصبيان ومن طبعها أن تدخل على كل طير فى وكره وتأكل افراخه ولمعاداة الطيور لها يجعلها الصيادون فى أشراكهم حتى يقع عليها الطير ونقل المسعودى عن الجاحظ أن البومة لاتخرج بالنهار خوفا من العين لانها تظن انها احسن ناه وهى أصناف وكلها تحب الخلوة بنفسها (الخواص) من خواصها انها تنام باحدى عينيها والأخرى مفتوحة فاذا أخذت المفتوحة وجعلت تحت فص خاتم فن لبسه لم ينم مادام فى يده وعكسها المغموضة واذا أردت معرفة ذلك فألقهما فى الماء فالراسبة للنوم والطافية لليقظة واذا أخذ قلب البومة وجعل على اليد اليسرى من المرأة وهى نائمة تحدثت بجميع مافعلته فى نومها (بوقير) طير أبيض يأتى منه فى كل سنة طائفة الى جبل بالصعيد يقال له جبل الطير فيه كوة فتدخل من تلك الكوة فيمسك منها شئ فان امسكت واحدة كان ذلك العام متوسط الخصب وان امسكت ثنتين كان كثير الخصب وان لم تمسك شيأ كانت السنة مجدبة واهل تلك

الناحية

قوله كيوثا فى تاريخ ابن خلدون وتأوليا كما فى المرجوردوح البيان والعمدة اهـ ولعجز

الناحية تعرف ذلك وهذا الجبل بالقرب من بلدة مارية أم ابراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم

(حرف التاء)

(تمساح) حيوان عجيب على صورة الضب له فم واسع وفيه ستون نابا وقيل ثمانون وبين كل نابين سن صغيرة وهي أنثى في ذكر اذا أطبق فمه على شئ لا يفلته حتى يخلعه من موضعه وله لسان طويل وظهر كالسلحفاة ولا يعمل الحديد فيه وله أربعة أرجل وذنب طويل وهو لا يوجد الا بنيل مصر وقال المسافرون انه يوجد ببحر الهند وطوله في الغالب ستة أذرع الى عشرة في عرض ذراعين أو ذراع ويقيم في البحر تحت الماء أربعة أشهر لا يظهر وذلك في زمن الشتاء ويتغوط من فيه في الغالب ويحصل في فيه الدود فيؤذيه فيلهمه الله تعالى فيخرج الى بعض الجزائر ويفتح فاه فيرسل الله تعالى له طيرا يقال له القطقاط فيدخل في فيه فيدخل ما فيه من الدود فيحصل له راحة فعند ذلك يطبق فمه على الطير ليأكله فيضربه بريشتين خلقهما الله تعالى في جناحيه كريشة الفصاد فيؤلمه فيفتح فاه فيخرج ولذلك يضرب المثل فيقال جازاه مجازاة التمساح وزعم بعض الباحثين عن أحوال التمساح أن له ستين نابا وستين عرقا ويسفد ستين مرة ويبيض ستين بيضة ويحضن ذلك ستين يوما ويعيش ستين سنة فاذا أفرخ فما صعد الجبل صار ورلا وما نزل البحر صار تمساحا وفكه الاسفل لا يستطيع تحريكه لان فيه عظما متصلا بصدره واذا أراد السفاد أخذ أنثاه وطلع بها الى البر وقلبها وجامعها فاذا قضى حاجته قلبها ثانيا لانه لو تركها على تلك الحالة بقيت حتى تموت وما ذلك الا أنها لا تستطيع الانقلاب ليبوسة ظهرها وصلابته وقد سلط الله تعالى عليه أضعف الحيوان وهو كلب الماء يقال انه يتلبط بالطين ويغافل التمساح ويقذف بنفسه في فيه فيبتلعه لنعومته فاذا حصل في جوفه ذاب ما عليه من سخونة بطنه فيعمد الى أمعائه فيقطعها ويقطع مراق بطنه فيقتله (الخواص) عينه تشد على من به رمد اليمنى لليمنى واليسرى لليسرى وشحمه اذا قطر في أذن من به صمم نفعه (تنين) ضرب من الحيات وهو طويل كالنخلة السحوق وجسده كالليل أحمر العينين لهما بريق واسع الفم والجوف يبتلع الحيوان وأول أمره يكون حية متمردة ثم تطغى وتتسلط على حيوان البر فيستغيث منها فيأمر الله تعالى ملكا فيحملها ويلقيها في البحر فتقيم فيه مدة ثم تتسلط على حيوانه أيضا فيستغيث منها الى ربه فيأمر الله تعالى بالقائها في النار فيعذب بها الكافرين وقيل يأمر الله تعالى بالقائها على يأجوج ومأجوج وروى ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يسلط الله على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ولو أن تنينا منها نفخ على الارض ما نبتت فيها خضراء

(حرف الثاء)

(ثعلب) وهو معروف ذو مكر وخديعة وله حيل في طلب الرزق فمن ذلك انه يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يظن انه مات فاذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده وحيلته هذه لا تتم على كلب الصيد ومن حيلته انه اذا تعرض للقنفذ نفش القنفذ شوكه فيسلح هو عليه

فيلم شوكه فيقبض على مراق بطنه ويأكله وسلحه انتن من سلح الحبارى ومن لطيف أمره انه اذا تسلطت عليه البراغيث حملها وجاء الى الماء وقطع قطعة من صوفه وجعلها فى فيه ونزل فى الماء والبراغيث تطير قليلا حتى تجتمع فى تلك الصوفة فيلقيها فى الماء ويخرج وفروه أدفى الفراء وفيه الابيض والرمادى وغير ذلك وذكر فى عجائب المخلوقات انه أهدى الى ابى منصور السامانى ثعلب له جناحان من ريش اذا قرب الانسان منه نشرهما واذا بعد الصقهما (لطيفة) ذكر ابن الجوزى فى آخر كتاب الاذكياء والحافظ ابو نعيم فى حلية الاولياء عن الشعبى انه قال مرض الاسد فعادته السباع والوحوش ماخلا الثعلب فنم عليه الذئب فقال الاسد اذا حضر فأعلمنى فلما حضر الثعلب أعلمه الذئب بذلك وكان قد اخبر بما قاله الذئب فقال الاسد أين كنت يا أبا الفوارس قال كنت أطلب لك الدواء قال وأى شئ أصبت قال قيل لى خرزة فى عرقوب أبى جعد قال فضرب الاسد بيده فى ساق الذئب فأدماه ولم يجد شيأ فخرج ودمه يسيل على رجله وانسل الثعلب فمر به الذئب فناداه ياصاحب الخف الاحمر اذا قعدت عند الملوك فانظر مايخرج منك فان المجالس بالامانات وقيل خرج الاسد والثعلب والذئب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وضبا وغزالا ثم جلسوا يتقسمون فقال الاسد للذئب اقسم علينا فقال حمار الوحش لى والغزال لابى الحرث والضب للثعلب فضربه الاسد فى رأسه فرضخها فقال الثعلب انا أقسم حمار الوحش لابى الحرث يتغدى به والغزال لابى الحرث يتعشى به والضب لابى الحرث يتنقل به فيما بين ذلك فقال له الاسد لله درك من فرضى ما أعلمك بالفرائض من علمك هذا قال علمنى التاج الاحمر الذى ألبسته هذا وأشار الى الذئب (وحكى) أن الثعلب مر فى السحر بشجرة فرأى فوقها ديكا فقال له أما تنزل نصلى جماعة فقال ان الامام نائم خلف الشجرة فأيقظه فنظر الثعلب فرأى الكلب فضرط وولى هاربا فناداه ما تأتى لنصلى فقال قد انتقض وضوئى فاصبر حتى أجدد لى وضوأ وأرجع ومن العجيب فى قسمة الارزاق ان الذئب يصيد الثعلب فيأكله والثعلب يصيد القنفذ فيأكله والقنفذ يصيد الافعى فيأكلها والافعى تصيد العصفور والعصفور يصيد الجراد والجراد يصيد الزنابير والزنابير تصيد النحل والنحل تصيد الذباب والذباب يصيد البعوض والبعوض يصيد النمل والنمل يأكل كل ماتيسر من صغير وكبير فتبارك الله الذى أتقن ماصنع (الخواص) رأسه اذا ترك فى برج حمام هرب الحمام منه ونابه يشد على الصبى يحسن خلقه ومرارته يجعل منها فى أنف المصروع يبرأ ولحمه ينفع من اللوقة والجذام وخصيته تشد على الصبى تنبت اسنانه وفروه أنفع شئ للمربوط ودمه اذا جعل على رأس أقرع نبت شعره اذا كان دون بلوغ وطحاله يشد على من به وجع الطحال يبرأ (ثعبان) هو الكبير من الحيات ذكرا كان أو أنثى وهو عجيب الشأن فى هلاك بنى آدم يلتوى على ساق الانسان فيكسرها وليس له عدو الا النمس ولولا النموس لاكلت الثعابين أهل مصر (لطيفة) قيل ان عبد الله بن جدعان كان فى ابتداء أمره صعلوكا وكان شريرا يفتك ويقتل وكان أبوه يعقل عنه فضجر من ذلك وأراد قتله فخرج هاربا على وجهه فتوصل لجبل فوجد فيه شقا فدخل فيه فوجد فى

صدره

صدره شيأ كهيئة الثعبان فدنا منه وقال لعله يثب على فيقتلني واستريح قال فدنا منه فوجده مصنوعا من ذهب وعيناه ياقوتتان ثم وجد من داخله بيتا فيه جثث طوال بالية على أسرة الذهب والفضة وعند رؤسهم لوح مكتوب فيه تاريخهم واذا بهم رجال من جرهم وفي وسط البيت كوم من الياقوت الاحمر والزمرد والذهب والفضة واللؤلؤ فأخذ منه قدر ما يحمل وعلم الشق وذهب الى قومه فأغناهم ورجع فلم يدر مكان الشق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنت استظل بجفنة عبد الله بن جدعان من الهجير قالت عائشة يارسول الله هل ينفعه ذلك شيأ قال لا لانه لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين

(حرف الجيم)

(جراد) حيوان معروف وليس له جهة مخصوصة وانما يكون هائماهاربا واذا أراد أن يبيض ذهب الى بعض الصخور فضربها بذنبه فتفرج له فيلقي بيضة فيها وله ستة أرجل وطرفا أرجله كالمنشار وهو ألوان عديدة وفيه خلقة عشرة من الجبابرة وجه فرس وعينا فيل وعنق ثور وقرنا أيل وصدر أسد وبطن عقرب وجناحا نسر وفخذا جمل ورجلا نعامة وذنب حية وهو من الحيوان الذي ينقاد الى رئيسه كالعسكر اذا ظعن أميره تتابع خلفه وفي الحديث ان جرادة وقعت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا مكتوب على جناحها بالعبرانية نحن جند الله الا كبر ولنا تسعة وتسعون بيضة ولوتمت لنا المائة لا كلنا الدنيا بمافيها فقال عليه الصلاة والسلام اللهم أهلك الجراد اللهم اقتل كبارها وأمت صغارها وأفسد بيضها وسد أفواهها عن مزارع المسلمين وعن معايشهم انك سميع الدعاء قال فجاءه جبريل فقال انه قد استجيب لك في بعضها وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق ألف امة ستمائة منها في البحر وأربعمائة في البر وان أول هلاك هذه الامة الجراد فاذا هلك الجراد تتابعت الامم مثل الدر اذا قطع سلكه قيل كان طعام يحيى بن زكريا عليهما السلام الجراد وقلوب الشجر وكان يقول من أنعم منك يايحيى وقد أجمع المسلمون على أكل لحمه ومن خواصه أن الانسان اذا تبخر به نفعه من عسر البول (جرو) بكسر الجيم وفتحها وضمها وهو الصغير من أولاد الكلاب والسباع وقد كان صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب وسببه أن جبريل عليه السلام وعده ليأتيه فتأخر قال فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فقال ما أخرك عن وعدك فقال ما تأخرت ولكن لا ندخل بيتافيه صورة ولا كلب فأمر بقتلها وروى مسلم والطبراني عن خولة بزيادة ولفظها ان جروا دخل تحت سرير في بيته صلى الله عليه وسلم فمات فمكث النبي صلى الله عليه وسلم أياما لا يأتيه الوحي قال لعله حدث في البيت شئ فخرج للمسجد فنزل عليه الوحي قالت خولة فقممت البيت فوجدت الكلب تحت السرير *(عجيبة)* حكي أن رجلا لم يولد له ولد فكان يأخذ أولاد الناس فيقتلهم فنهته زوجته عن ذلك وقالت يؤاخذك الله بذلك فقال لو آخذ لفعل في يوم كذا وصار يعدد أفعاله لها فقالت له ان صاعك لم يمتلئ ولو امتلا آخذك قال فخرج ذات يوم واذا بغلامين يلعبان ومعهما جرو فأخذهما الرجل ودخل البيت فقتلهما وطرد الجرو قال فطلبهما أبوهما فلم يجدهما فانطلق الى نبي لهم فأخبره بذلك فقال ألهما

لعبة كان يلعبان بها قال جروكلب قال ائتنى به فاتاه به فجعل خاتمه بين عينيه ثم قال له اذهب خلفه فأى بيت دخله ادخل معه فان أولادك فيه قال فجعل الجرو يجوز الدروب والحارات حتى دخل بيت القاتل فدخل الناس خلفه واذا بالغلامين متعفران بدمهما وهو قائم يحفر لهما مكانا يدفنهما فيه فأمسكوه وأتوا به لأبيهم فأمر بصلبه فلما رأته زوجته على الخشبة قالت ألم أحذرك هذا اليوم وتقول ماتقول الآن امتلأ صاعك وسيأتى الكلام على الكلب فى حرف الكاف ان شاء الله تعالى (جعل) دويبة معروفة تسمى أبا جعران والزعقوق يعض البهائم فى وجهها فتهرب منه وهو أكبر من الخنفساء شديد السواد فى بطنه لون حمرة للذكر قرنان يوجد كثيرا فى مراح البقر والجاموس قيل انه يتولد من أخثائهما ومن شأنه جمع الروث وادخاره ومن عجيب أمره انه اذا شم الورد مات ويعيش بعوده للروث وله جناحان لا يكادان يريان الا اذا طار وله ستة أرجل وسنام مرتفع جدا وهو يمشى القهقرى ومن طبعه أنه يحرس النيام فاذا قام أحدهم يتغوط تبعه لياكل من رجيعه وذلك من شدة شهوته للغائط

(حرف الحاء)*

(حجل) طير فوق الحمامة أغبر اللون أحمر المنقار والرجلين يسمى دجاج البر وهو صنفان نجدى وتهامى النجدى أغبر والتهامى أبيض وله شدة الطيران واذا تقاتل ذكران تبعت الانثى الغالب وله شدة شبق وأفراخه تخرج من البيض كاسية ويعمر فى الغالب عشرين سنة واذا قوى على غيره أخذ بيضه فحضنه ومن سر الله تعالى انه اذا أفرخ ذلك البيض تبع الفرخ أمه التى باضته ومن طبعه أنه يخدع غيره فى قرقرته ولذلك يتخذه الصيادون فى أشراكهم (غريبة) قيل ان أبا نصر بن مروان أكل مع بعض مقدمى الاكراد فأتى على سماطه بحجلتين مشويتين فلما رآهما ضحك فقال لم تضحك قال كنت أقطع الطريق فى عنفوان شبابى فقربى تاجر فأخذته فلما أردت قتله تضرع الى فلم أقله فلما علم أنه لابد لى من قتله التفت يمينا وشمالا فرأى حجلتين كانتا بقربنا فقال اشهدا الى أنه قاتلى ظلما فقتلته فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حمقه فى استشهاده بهما فقال أبو نصر والله لقد شهدا عليك عند من أقادك بالرجل ثم أمر به فضربت عنقه (الخواص) لحمها جيد معتدل الهضم ومرارتها تنفع الغشاوة فى العين واذا سعط بها انسان فى كل شهر مرة جاد ذهنه وقل نسيانه وقوى بصره (حدأة) بكسر الحاء وفتح الدال مع همزة أخس الطير وتبيض بيضتين وربما باضت ثلاثا وتحضن عشرين يوما ومن ألوانها الاسود والرمادى وهى لاتصيد الاخطفا وفى طبعها انها تقف فى الطيران وهى أحسن الطير مجاورة لانها اذا جاعت لاتا كل أفراخ جارها ويقال انها طرشاء وفى طبعها انها لاتخطف من الجهة اليمنى لانها عسراء وهى سنة ذكر وسنة أنثى كالارنب *(عجيبة)* روى الحافظ النسفى فى فضائل الاعمال أن عاصم بن أبى النجود شيخ القراء فى زمانه قال أصابتنى خصاصة فجئت الى بعض اخوانى فأخبرته بأمرى فرأيت فى وجهه الكراهة فخرجت من منزله الى الجبانة فصليت ماشاء الله ثم وضعت رأسى على الارض وقلت يامسبب الاسباب يافاتح الابواب ياسامع

الاصوات يامجيب الدعوات ياقاضى الحاجات اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك قال فوالله مارفعت رأسى حتى سمعت وقعة بقربى فاذا بحدأة قد طرحت كيسا أحمر فقمت فأخذته فاذا فيه ثمانون دينارا وجوهرة ملفوفة فى قطن قال فاتجرت بذلك واشتريت لى عقارا وتزوجت (الخواص) مرارتها تجفف فى الظل وتنقع فى اناء زجاج فمن لسع قطر منها فى ذلك الموضع واكتحل مخالفا لجهة اللسع ثلاثة أميال أبرأته ودسمها اذا خلط بقليل من المسك وماء الورد وشرب على الريق نفع من ضيق النفس واذا وضع فى بيت لم تدخله حية ولا عقرب (حرباء) دويبة صغيرة على هيئة السمك ورأسها تشبه رأس العجل اذا رأت الانسان انتفشت وكبرت ولها أربعة أرجل وسنام كهيئة الجمل ولها كنى كثيرة منها أم قرة ويقال لها جمل اليهود وهى أبدا تطلب الشمس فمن أجل ذلك يقال انها مجوسية وتستقبلها بوجهها وتدور معها كيفما دارت فاذا غابت الشمس أخذت فى كسبها ومعاشها ويقال ان لسانها طويل نحو ذراع وهو مطوى فى حلقها فلذلك تخطف به ما بعد عنها من الذباب وتبتلعه والانثى من هذا النوع تسمى أم حبين ويقال ان الصبيان ينادونها أم حبين انشرى برديك ان الامير ناظر اليك وضارب بسوطه جنبيك فاذا زادوا عليها انشرت جناحيها وانتصبت على رجليها فاذا زادوا عليها أيضا انشرت أجنحة أحسن من تلك ملونة واذا مشت تطأطئ برأسها وتتلون ألوانا ولذا يقال يتلون كالحرباء (حمار أهلى) معروف ليس فى الحيوان من ينزو على غير جنسه الا هو والفرس ونزوه بعد تمام ثلاثين شهرا وكنيته أبو محمود وأبو جحش وغير ذلك وهو أنواع فمنه ماهو لين الاعطاف سريع الحركة ومنه ماهو بضد ذلك ويوصف بالهداية الى سلوك الطريق *(لطيفة)* فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لما فتح خيبر أصاب حمارا أسود فكلمه فقال ما اسمك فقال يزيد بن شهاب أخرج الله تعالى من نسل جدى ستين حمارا كلها لا يركبها الا نبى ولم يبق من الانبياء غيرك وكنت أتوقعك لتركبنى وأنا عند يهودى يجيع بطنى ويضرب ظهرى وكنت أعثر به عمدا فسماه النبى صلى الله عليه وسلم يعفورا وقال له أتشتهى الاناث قال لا وكان صلى الله عليه وسلم يركبه فى حوائجه واذا أراد حاجة عند انسان أرسله اليه فيدفع الباب برأسه فيخرج صاحب البيت فيعرفه ويقضى حاجته فلما مات النبى صلى الله عليه وسلم ذهب الى بئر كانت لابى الهيثم فتردى فيها جزعا على النبى صلى الله عليه وسلم فكانت قبره وقيل هذا الحديث منكر وقد ذكره السهيلى فى التعريف والاعلام وللناس فى ذمه ومدحه أقوال متباينة بحسب الاغراض فمن مدحه أن أبا صفوان وجد راكبا على حمار فقيل له فى ذلك فقال عير من نسل الاكراد يحمل الرحل ويبلغ العقبة ويمنعنى أن أكون جبارا فى الارض وقال آخر هو أقل الدواب مؤنة وأكثرها معونة وأخفضها مهوى وأقربها مرتعا وكان حمار أبى يسارة مثلا فى الصحة والقوة وهو حمار أسود حمل الناس عليه من منى الى المزدلفة أربعين سنة وكان خالد بن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشى يختاران ركوب الحمار ويجعلان أبا يسارة قدوة لهما وحجة ومن ذمه ما نقل عن عبد الحميد الكاتب انه قال لا تركبوا الحمار فانه ان كان فارها أتعب يدك وان كان بليدا أتعب رجلك وقيل ما ينبغى لمركب

الدجال أن يكون مركبا للرجال وقال أعرابى الحمار بئس المطية ان أوقفته أدلى وان تركته ولى كثير الروث قليل الغوث سريع الى الفرار بطىء فى الغارة لا توقى به الدماء ولا تمهر به النساء ولا يحلب فى الاناء قال الزمخشرى

ان الحمار ومن فوقه * حماران شرهما الراكب

ومن العرب من لا يركبه أبدا ولو بلغت به الحاجة والجهد قيل كان لرجل بالبادية حمار وكلب وديك فالديك يوقظه للصلاة والكلب يحرسه اذا نام والحمار يحمل أثاثه اذا رحل قال فجاء الثعلب فأكل الديك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم عسى أن يكون خيرا ثم جاء الذئب فبقر بطن الحمار فقال عسى أن يكون خيرا قال ثم ان جيرانه من الحى أغير عليهم فأخذوا فأصبح ينظر الى منازلهم وقد خلت فقيل له انما أخذوا بأصوات دوابهم فقال انما كانت الخيرة فى هلاك ماعندى فمن عرف لطف الله رضى بفعله (حمام) هو أنواع كثيرة والكلام فى الذى ألف البيوت وهو قسمان أحدهما برى وهو الذى يوجد فى القرى والآخر أهلى وهو أنواع وأشكال فمنه الرواعب والمراعيش والشداد والغلاب والمنسوب ومن طبعه أنه يطلب وكره ولو كان فى مسافة بعيدة ولاجل ذلك يحمل الأخبار ومنه من يقطع عشرة فراسخ فى يوم واحد وربما صيد وغاب عن وطنه عشر سنين وهو على ثبات عقله وقوة حفظه حتى يجد فرصة فيطير ويعود الى وطنه وسباع الطير تطلبه أشد الطلب وخوفه من الشاهين أشد من غيره وهو أطير منه لكن اذا أبصره يعتريه ما يعترى الحمار اذا رأى الاسد والشاة اذا رأت الذئب والفأر اذا رأى الهر ومن طبعه أنه لا يريد الاذكر الى أن يهلك أو يفقد أحدهما ويحب الملاعبة والتقبيل ويسفد اتمام أربعة أشهر ويحمل أربعة عشر يوما ويبيض بيضتين ويحضن عشرين يوما ويخرج من احدى البيضتين ذكر والاخرى أنثى واتخاذها فى البيوت لا بأس به غير انه لا يجوز تطييرها والاشتغال بها والارتقاء بها على الاسطحة وعليه حمل أهل العلم قوله عليه الصلاة والسلام شيطان يتبع شيطانة حين رأى شخصا يتبع حمامة فان لم يحصل شىء مما ذكر جاز اتخاذها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا الحمام فى بيوتكم فانها تلهى الجن عن صبيانكم واللعب بها من عمل قوم لوط وقال النخعى من لعب بالحمام لم يمت حتى يذوق ألم الفقر ولم يوجد شىء أبله من الحمام فانه تؤخذ أفراخه فتذبح فى مكان ثم يعود فى ذلك المكان ويبيض فيه ويفرخ وقال الجاحظ وللحمام من الفضيلة والفخر ان الحمامة قد تباع بخمسمائة دينار ولم يبلغ ذلك القدر شىء من الطير غيره وهو الهادر الذى جاوز الغاية قالوا ولو دخلت بغداد والبصرة وجدت ذلك بلا معاناة ولو حدثت أن برذونا أو فرسا بيع بخمسمائة دينار لكان ذلك سمرا وقد تباع البيضة الواحدة من بيض ذلك الحمام بخمسة دنانير والفرخ بعشرين فمن كان له زوج منه قام فى الغلة مقام ضيعة وأصحابه يبنون من أثمانه الدور والحوانيت وهو مع ذلك ملهى عجيب ومنظر أنيق (الخواص) دمه ينفع الجراحات العارضة للعين والغشاوة ويقطع الرعاف ويبرئ حرق النار اذا خلط بالزيت منه وزبل الاحمر ينفع للسع العقرب اذا وضع

عليه واذا شرب منه مقدار درهمين مع ثلاثة دراهم دارصيني نفع من الحصاة

(حرف الخاء)

(الخطاف) أنواع كثيرة فمنه نوع دون العصفور رمادى اللون يسكن ساحل البحر ومنه مالونه أخضر وتسميه أهل مصر الخطار ونوع طويل الاجنحة رقيق يألف الجبال ونوع أصغر منه يألف المساجد يسميه الناس السنونو وزعم بعضهم أنه الطير الابابيل ويقال ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض حصل له وحشة فخلق الله له هذا الطير يؤنسه فلاجل ذلك لا تجدها تفارق البيوت وهى تبنى بيتها فى أعلى مكان بالبيت وتحكم بنيانه وتطينه فان لم تجد الطين ذهبت الى البحر فتمرغت فى التراب والماء وأتت فطينته وهى لا تزبل داخلا بل على حافته أو خارجا عنه وعنده ورع كثير لانه وان ألف البيوت لا يشارك أهلها فى أقواتهم ولا يلتمس منهم شيأ ولقد أحسن واصفه حيث يقول

كن زاهدا فيما حوته يد الورى * تبقى الى كل الانام حبيبا
وانظر الى الخطاف حرم زادهم * أضحى مقيما فى البيوت ربيبا

ومن شأنه أنه لا يفرخ فى عش عتيق بل يجدد له عشا وأصحاب اليرقان يلطخون أفراخه بالزعفران فيذهب فيأتى بحجر اليرقان ويلقيه فى عشه لتوهمه أن اليرقان حصل لأولاده وهو حجر صغير فيه خطوط يعرفه غالب الناس فعند ذلك يأخذه من به اليرقان ويحكه ويستعمله ومن عجيب أمره أنه يكاد يموت من صوت الرعد واذا عمى ذهب الى شجرة يقال لها عين شمس فيتمرغ فيها فيفيق من غشوته ويفتح عينيه (الطيفة) قيل ان خطافا وقف على قبة سليمان وتكلم مع خطافة وراودها عن نفسها فامتنعت فقال لها تمتنعين منى ولو شئت قلبت هذه القبة قال فسمع سليمان فدعاه وقال ما حملك على ما قلت فقال يا نبى الله ان العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم (الخواص) مرارته تسود الشعر ولحمه يورث السهر وقلبه يهيج الباه اذا أكل جافا ودمه يسكن الصداع (خفاش) طير يوجد فى الاماكن المظلمة وذلك بعد الغروب وقبل العشاء لانه لا يبصر نهارا ولا فى ضوء القمر وقوته البعوض وهذا الوقت هو الذى يخرج فيه البعوض أيضا الطالب رزقه فيأكله الخفاش فتسلط طالب رزق على طالب رزق وهو من الحيوان الشديد الطيران قيل انه يطير النهر مختين فى ساعة وهو يعمر مثل النسر وتعاديه الطيور فتقتله لانه قيل ان عيسى عليه السلام لما سأله النصارى فى طير لا عظم فيه صنع لهم ذلك باذن الله تعالى فهى تكرهه لانه مباين لخلقتها ومن طبعه الحنو على ولده حتى قيل انه يرضعه وهو طائر (خنزير) حيوان معروف وله كنى كثيرة منها أبو جهم وأبو زرعة وأبو دلف وهو مشترك بين البهيمة والسبع لانه ذوناب ويأكل العشب والعلف وهو كثير الشبق حتى قيل انه يجامع الانثى وهى سائرة فترى فى مشيها ستة أرجل فيتوهم الرائى انه حيوان بستة أرجل وليس كذلك والذكر منها يطرد الذكر مثله فمن غلب استقل بالنزو على الانثى وتحرك أذنابها فى زمن هيجانها وتطأطئ رأسها وتغير أصواتها وتحمل من نزوة واحدة وتحمل ستة أشهر وتضع عشرين ولدا وينزو الذكر اذا بلغ ستة أشهر وقيل أربعة باختلاف البلاد وقيل ثمانية واذا بلغت الانثى خمس

عشرة سنة لا تحمل وهذا الجنس أفسد الحيوان والذكر أقوى الفحول وليس لذوات الاربع ما للخنزير فى نابه من القوة حتى قيل انه يضرب به السيف والرمح فينقطع ما لاقاه واذا التقى ناباه من الطول مات لانه ما حينئذ يمنعانه من الأكل ومن عجيب أمره انه يأكل الحيات ولا يؤثر فيه سمها واذا عض كلبا سقط شعره واذا مرض وأطعم السرطان يفيق ومن عجيب أمره انه اذا ربط على ظهره حمار وبال الحمار وهو على ظهره مات ولا يسلخ جلده الا بالقلع مع شئ من لحمه على ما ذكروا (خنفساء) دويبة تتولد من عفونات الارض وبينها وبين العقرب مودة وكنيتها أم فسو لان كل من وضع يده عليها يشم رائحة كريهة (فائدة) قيل ان رجلا رأى خنفساء فقال ما يصنع الله بهذه فابتلاه الله تعالى بقرحة عجز الاطباء فيها فبينما هو ذات يوم واذا بطرقى يقول من به وجع كذا الى أن قال من به قرحة فخرج اليه ذلك الرجل فلما رأى ما به قال ائتونى بخنفساء فضحك منه الحاضرون فقال ائتوه بالذى يطلب فأتوه بها فأخذها فأحرقها وأخذ رمادها وجعل منه على تلك القرحة فبرئت فعلم ذلك المقروح أن الله تعالى ما خلق شيأ سدى وأن فى أخس المخلوقات أهم الادوية فسبحان القادر على كل شئ (الخواص) اذا قطعت رؤس الخنافس وجعلت فى برج الحمام كثر الحمام فى ذلك البرج والاكتحال بما فى جوفها من الرطوبة يحد البصر ويجلو الغشاوة والبياض واذا بخر المكان بورق الدلب هربت منه الخنافس على ما ذكر (خيل) جماعة الافراس وسميت بذلك لانها تختال فى مشيتها وهى من الحيوان المشرف ولقد مدحها الله تعالى ووصى بها النبى عليه الصلاة والسلام فقال الخير معقود بنواصى الخيل الى يوم القيامة وقال عليكم باناث الخيل فان ظهورها عز وبطونها كنز وروى عن ابن عباس أو على رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أراد الله تعالى خلق الخيل أوحى الى الريح الجنوب وقال انى خالق منك خلقا فاجتمعى فاجتمعت فأتى جبريل فأخذ منها قبضة فخلق الله منها فرسا كميتا وقال خلقتك عربيا وفضلتك على سائر البهائم فالرزق بناصيتك والغنائم تقاد على ظهرك وبصهيلك أرهب المشركين وأعز المؤمنين ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله تعالى آدم قال له يا آدم اختر أى الدابتين الفرس او البراق فقال الفرس يارب فقال الله تعالى اخترت عزك وعز أولادك وفى الحديث ما من فرس الا ويقول فى كل يوم اللهم من جعلتنى له فاجعلنى أحب أهله اليه وقيل الخيل ثلاثة فرس للرحمن وهى المغزو عليها وفرس لك وهى التى تسابق عليها وفرس للشيطان وهى التى جعلت للخيلاء وفى الحديث ان الملائكة لا تحضر شيأ من اللهو الا فى مسابقة الخيل وملاعبة الرجل أهله ولقد سابق النبى صلى الله عليه وسلم على الخيل وقيل ان الذكر من الخيل أقوى من الانثى ولا يرد علينا ركوب جبريل فى قصة موسى وفرعون الانثى لان ذلك من حكمة الله تعالى حتى تبعتها حصنتهم فاغرقوا لان الحصان اذا رأى الحجرة تبعها وقيل ان الله تعالى أمر نبيه موسى أن يعبر البحر فعبره وهو خلفه فاعمى أعينهم عن الماء فكانوا يرون بلقعا والخيل تراه ماء فلولا دخول جبريل البحر بفرسه لما دخلت خيلهم وهى أصناف منها الصافنات وهى التى اذا ربطت فى مكان وقفت على احدى رجليها وقلبت بعض الاخرى فى الوقوف وقيل غير ذلك

وكانت

وكانت الصافنات ألف فرس لسليمان عليه السلام فعرضها يوما ففاتته الصلاة قبل صلاة العصر فأمر بعقرها فعوضه الله عنها الريح فكانت فرسه وقيل انما عقرها على وجه القربى كالهدى وقيل ان الفرس لا يحب الماء الصافى ولا يضرب فيه بيده كما يضرب بها فى الماء الكدر فرحا به فانه يرى شخصه فى الماء الصافى فيفزعه ولا يراه فى الماء الكدر وقد قيل فى الحث على حب الخيل

أحبوا الخيل واصطبروا عليها * فان العز فيها والجمالا

اذا ما الخيل ضيعها اناس * ربطناها فأشركت العيالا

نقاسمها المعيشة كل يوم * ونكسبها الاباعر والجمالا

(حرف الدال)

(دابة) اسم لكل ما دب على الارض واما التى ذكرها الله تعالى فى سورة سبأ فقيل الارضة وقيل السوسة وسبب ذلك ان سليمان عليه السلام كان قد أمر الجن ببناء صرح فبنوه ودخل فيه وأراد أن يصفو له يوم واحد من دهره فدخل عليه شاب فقال له كيف دخلت من غير استئذان فقال أذن لى رب البيت فعلم سليمان أن رب البيت هو الله تعالى وان الشاب ملك الموت أرسل ليقبض روحه فقال سبحان الله هذا اليوم طلبت فيه الصفاء فقال طلبت ما لم يخلق قال وكان قد بقى من بناء المسجد الاقصى بقية فقال له يا أخى يا عزرائيل أمهلنى حتى يفرغ قال ليس فى أمر ربى مهلة قال فقبض روحه وكان من عادته الانقطاع فى التعبد شهرين وثلاثة ثم يأتى فينظر ما صنعت الجن فلما قبض كان متوكئا على عصاه واستمر ذلك مدة والجن تتوهم أنه مشرف عليها فتعمل كل يوم بقدر عشرة أيام حتى أراد الله ما أراد فسلط على العصا الارضة فأكلتها فخر ميتا فتفرقت الجن عنه وقيل ان واحدا منهم مر عليه فسلم فلم يجبه فدنا منه فلم يجد له نفسا فحركه فسقطت العصا فاذا هو ميت قال وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة والعصا التى اتكأ عليها من خرنوب قال الله تعالى فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين قال فشكرت الجن الارضة حتى قيل انهم كانوا يأتونها بالماء حيث كانت واما الدابة التى من اشراط الساعة فاختلف فى أمرها فقيل تخرج من الصفا وهو الصحيح وقيل من الطائف وقيل من الحجر وطولها ستون ذراعا ذات قوائم وهى مختلفة الالوان وذلك فى ليلة يكون الناس مجتمعين بمنى أو سائرين الى منى ومعها عصا موسى وخاتم سليمان لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب تلحق المؤمن فتضربه بالعصا فتكتب فى وجهه مؤمن وتدرك الكافر فتسمه بالخاتم وتكتب فى وجه كافر وروى انها تخرج اذا انقطع الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقل الخير (داجن) هو ما يربيه الناس فى البيوت من صغار الغنم والحمام والدجاج وغير ذلك وفى حديث الافك ما نعلم لها قضية غير انها جارية حديثة السن تعجن وتنام فتأتى الداجن فتأكل العجين (دب) من السباع وكنيته أبو جهينة وأبو جهل وغير ذلك ولا يخرج زمن الشتاء حتى يطيب الهواء واذا جاع يمص يديه ورجليه فيندفع جوعه وهو كثير الشبق وينعزل بانثاه وتضع جروا واحدا وتصعد به الى أعلى شجرة خوفا عليه من النمل لانها تضعه قطعة لحم ثم لا تزال تلحسه وترفعه فى الهواء

اياما حتى تنفرج اعضاؤه وتخشن ويصير له جلد وفى ولادتها صعوبة وربما ماتت منها وقد تلده ناقص الخلق شوقا منها للسفاد وهى من الحيوان الذى يدعو الانسان للفعل به وقيل ان الدب يتيم أولاده تحت شجرة الجوز ثم يصعد فيرمى بالجوز اليهم الى أن تشبع وربما قطع من الشجرة الغصن العتل الضخم الذى لا يقطع الا بالفأس والجهد ثم يشد به على الفارس فلا يضرب احدا الا قتله (دجاجة) وكنيتها أم ناصر الدين وأم الوليد وغير ذلك واذا هرمت لم يبق لبيضها مخ وتوصف بقلة النوم قيل ان نومها بقدر ما تتنفس وعندها خوف فى الليل ولاجل ذلك تطلب وقت الغروب مكانا عاليا وتخشى الثعلب قيل انها اذا رأته ألقت نفسها اليه من شدة الخوف ولا تخشى من بقية السباع وقيل يعرف الذكر من الانثى بامساك منقاره فان تحرك فذكر والا فانثى ومن الدجاج ما يبيض فى اليوم مرتين وهو من أسباب موتها ويستكمل خلق البيضة فى بطن الدجاجة فى عشرة أيام وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر باتخاذ الغنم للاغنياء وباتخاذ الدجاج للفقراء ومن العجيب فى صنعة الله تعالى أن خلق الفروج من البياض وجعل الصفار غذاء له كما خلق الطفل من المنى وجعل دم الحيض غذاء له فتبارك الله احسن الخالقين (الخواص) لحم الدجاج الفتى يزيد فى العقل ويصفى اللون ويزيد فى المنى ويتيم الباه والمداومة عليه تورث النقرس والبواسير على ماذ كر (دج) طير كبير أغبر يكون بساحل البحر كثيرا وبالقرب من الاسكندرية والناس يصطادونه ويأكلونه (دود) اسم جنس ومنه دود القز ويقال لها الهندية ومن عجيب أمرها أنها تكون أولا مثل بزر التين ثم تصير دودا وذلك فى أوائل فصل الربيع ويكون عند خروجه مثل الذر فى قدره ولونه ويخرج فى الاماكن الدافئة اذا كان مصرورا فى حق وربما تأخر خروجه فتجعله النساء تحت ثديهن بصرته فيخرج وغذاؤه ورق التوت الابيض قال ولا يزال يكبر حتى يصير بقدر اصبع وينتقل من السواد الى البياض وكل ذلك فى مدة ستين يوما قال ثم يأخذ فى النسج بما يخرجه من فيه الى أن ينفد ما فى جوفه ثم يخرج شيأ كهيئة الفراش له جناحان لا يسكنان من الاضطراب وعند خروجه يهيج الى السفاد ويلصق الذكر مؤخره الى مؤخر الانثى ويلتحمان مدة ثم يفترقان قال ويكون قد فرش لهما خرقة بيضاء فينثران البزر عليها ثم يموتان هذا اذا أريد منهما البزر وان أريد الحرير ترك فى الشمس بعد فراغهما من النسج فيموت وهو سريع العطب حتى انه ليخشى عليه من صوت الرعد والعطاس ومس المرأة الحائض والرجل الجنب ورائحة الدخان والحر الشديد والبرد الشديد ونحو ذلك قال أبو الفتح البستى

ألم تر أن المرء طول حياته * معنى بامر لا يزال يعالجه
كذلك دود القز ينسج دائما * ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

وقال آخر

يفنى الحريص بجمع المال مدته * وللحوادث ما يبقى وما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها * وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

(ديك) وكنيته أبو حسان وأبو حماد وغير ذلك ويسمى الانيس والمؤانس ومن طبعه

لا يألف زوجة واحدة وهو أبله الطبيعة لأنه اذا سقط من بيت أصحابه لا يهتدى الى الرجوع اليه وفيه من الخصال الجيدة مالا يحصر منها انه يساوى بين أزواجه فى الطعمة ويذكر الله تعالى فى الليل حتى قيل انه ليوقته ويقسمه وربما لا يخرم فى توقيته وفى الصحيح اذا سمعتم صياح الديك فاذكروا الله تعالى فانه يصيح بصياح ديك العرش وروى الغزالى عن ميمون ابن مهران ان لله ملكا تحت العرش على صورة الديك فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وقال ليقم المصلون فاذا مضى الثلث الثانى ضرب بجناحيه وقال ليقم الذاكرون فاذا كان السحر وطلع الفجر ضرب بجناحيه وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لله ديكا أبيض له جناحان موشحان بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورأسه تحت العرش وقوائمه فى الهواء فاذا كان ثلث الليل الاول خفق بجناحيه وقال سبحان الملك القدوس فاذا كان الثلث الثانى خفق بجناحيه وقال قدوس قدوس فاذا كان الثلث الثالث خفق بجناحيه وقال ربنا الرحمن الرحيم لا اله الا هو وروى الثعلبى باسناده عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى صوت الديك وصوت قارئ القرآن وصوت المستغفر بالاسحار وفى الحديث لا تسبوا الديك فانه يوقت للصلاة وزعم أهل التجربة ان الرجل اذا ذبح الديك الابيض الافرق لم يزل ينكب فى أهله وماله (نادرة) قيل كان لابراهيم بن مزيد ديك وكان كريما عليه فجاء العيد وليس عنده شئ يضحى عليه فأمر امرأته بذبحه واتخاذ طعام منه وخرج الى المصلى فأرادت المرأة مسكه ففر فتبعته فصار يخترق من سطح الى سطح وهى تتبعه فسألها جيرانها وهم قوم هاشميون عن موجب ذبحه فذكرت لهم حال زوجها فقالوا مارضى أن يبلغ الاضطرار بأبى اسحق الى هذا القدر فأرسل اليه هذا شاة وهذا شاتين وهذا بقرة وهذا كبشا حتى امتلأت الدار فلما جاء ورأى ذلك قال ما هذا فقصت عليه زوجته القصة فقال ان هذا الديك لكريم على الله فان اسمعيل نبى الله فدى بكبش واحد وهذا فدى بما أرى

(حرف الذال)

(ذباب) وكنيته أبو جعفر وهو أصناف كثيرة يتولد من العفونة ومن عجيب أمره انه يلقى رجيعه على الابيض يسود وعلى الاسود يبيض ولا يقعد على شجرة الدباء وفى الحديث اذا وقع الذباب فى اناء أحدكم فليغمسه فان فى احدى جناحيه دواء وفى الاخرى داء وان من طبعه أن يلقى نفسه بالجناح الذى فيه الداء (وحكى) أن المنصور كان جالسا فألح عليه الذباب حتى أضجره فقال انظروا من بالباب من العلماء فقالوا مقاتل بن سليمان فدعا به ثم قال له هل تعلم لاى حكمة خلق الله الذباب قال ليذل به الجبابرة قال صدقت ثم أجازه ومن خصائص النبى صلى الله عليه وسلم انه كان لا يقع عليه ذباب قط وقال المأمون قالوا ان الذباب اذا دلك به موضع لسعة الزنبور سكن ألمه فلسعنى زنبور فحككت على موضعه أكثر من عشرين ذبابة فما سكن له ألم فقالوا هذا كان حتفا قاضيا ولولا هذا العلاج لقتلك وقال الجاحظ من منافع الذباب انها تحرق وتخلط بالكحل فاذا اكتحلت بها المرأة كانت تعينها أحسن

ما يكون وقيل ان المواشط تستعمله ويأمرن به العرائس . وقيل ان الذباب اذا مات والقى عليه برادة الحديد عاش واذا بخر البيت بورق القرع هرب منه الذباب (ذئب) حيوان معروف وكنيته أبو جعدة وأبو جاعد وأبو ثمامة لونه رمادى وهو من الحيوان الذى ينام باحدى عينيه ويحرس بالاخرى حتى تمل فيغمضها ويفتح الاخرى كما قال بعض واصفيه

ينام باحدى مقلتيه ويتقى * باخرى المنايا فهو يقظان هاجع

واذا أراد السفاد اختفى ويطول فى سفاده كالكلب واذا جاع عوى فتجتمع الذئاب حوله فمن هرب منها اكلوه واذا خاف منه الانسان طمع فيه وليس فى الارض أسد يعض على عظم الا ويسمع لتكسيره صوت بين لحييه الا الذئب فان لسانه يبرى العظم برى السيف ولا يسمع له صوت وقيل اذا أدماه الانسان فشم الذئب رائحة الدم لا يكاد ينجو منه وان كان أشد الناس قلبا وأتمهم سلاحا كما ان الحية اذا خدشت طلبها الذر فلا تكاد تنجو منه وكالكلب اذا عض الانسان يطلبه الفأر فيبول عليه فيكون فى ذلك هلاكه فيحتال له بكل حيلة قيل ولا يعرف الالتحام عند السفاد الا فى الكلب والذئب واذا هجم الصياد على الذئب والذئبة وهما يتسافدان قتلهما كيف شاء والله أعلم

(حرف الراء)

(رخ) طير عظيم الخلقة يوجد بجزائر الصين قال أبو حامد الاندلسى ذكر لى بعض المسافرين فى البحر انهم أرسوا بجزيرة فلما أصبحوا وجدوا فى طرفها المعانا وبريقا فتقدموا اليه واذا هم بشئ مثل القبة قال فجعلوا يضربون فيه بالفوس الى أن كسروه فوجدوه كهيئة البيضة وفيه فرخ عظيم قال فتعلقوا بريشه وجروه ونصبوا القدور وخرجوا يحتطبون من تلك الجزيرة حطبا يقال له حطب الشباب فلما أكلوا ذلك الطعام اسودت لحية ولمة كل ذى شيب قال فلما أصبحوا جاءهم الرخ فوجدهم قد صنعوا بفرخه ما صنعوا فذهب وأتى فى رجليه بحجر عظيم وتبعهم بعدما ساروا فى البحر وألقاه على سفينتهم فسبقت السفينة وكانت مشرعة بتسع قلوع ووقع الحجر فى البحر فنجاهم الله تعالى منه وكان ذلك من لطف الله تعالى بهم قال وقد كان بقى معهم أصل ريشة قيل انهم كانوا يجعلون فيها الماء فتسع مقدار قربة فسبحان الخالق الاكبر (رخم) طير أغبر اصفر المنقار معروف وهو من أشر الطيور ويقال انها صماء وسبب ذلك ما قيل فى بعض الحكايات ان موسى عليه السلام لما مات تكلمت بموته وكانت تعرف مكانه فاصمها الله تعالى حتى لا ترشد أحدا الى موضعه

(حرف الزاى)

(زرافة) حيوان غريب الخلقة ولما كان مأكولها ورق الشجر خلق الله تعالى يديها أطول من رجليها وهى ألوان عجيبة يقال انها متولدة من ثلاث حيوانات الناقة الوحشية والبقرة الوحشية والضبع فينزو الضبع على الناقة فتأتى بذكر فينزو ذلك الذكر على البقرة فتتولد منه الزرافة والصحيح انها خلقة بذاتها ذكر وأنثى كبقية الحيوانات لان الله تعالى لم يخلق شيأ الا بحكمة (زنبور) حيوان فوق النحل له الوان وقد أودعه الله حكمة

فى بنيانه بيته وذلك انه يبنيه مربعا له أربعة أبواب كل باب مستقبل جهة من الرياح الاربع فاذا جاء الشتاء دخل تحت الارض ويبقى الى ايام الربيع فينفخ الله تعالى فيه الروح فيخرج ويطير وفى طبعه التهافت على الدم واللحم ومن خاصيته انه اذا وضع فى الزيت مات وفى الخل عاش والسعته تزال بعصارة الملوخية

(حرف السين)

(سعلاة) نوع من المتشيطنة قال السهيلى هو حيوان يتراءى للناس بالنهار ويغول بالليل وأكثر ما يوجد بالغياض واذا انفردت السعلاة بانسان وأمسكته صارت ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأر قال وربما صادها الذئب وأكلها وهى حينئذ ترفع صوتها وتقول أدركونى فقد أخذنى الذئب وربما قالت من ينقذنى منه وله ألف دينار وأهل تلك الناحية يعرفون ذلك فلا يلتفتون الى كلامها (سمندل) حيوان يوجد بارض الصين ومن عجيب أمره انه يبيض فى النار ويفرخ فيها ويؤخذ وبره فينسج ويجعل منه المناشف وهذه المناشف اذا اتسخت جعلت فى النار فتأكل النار وسخها ولا تحرقها (حكى) أن شخصا بل واحدة من هذه المناشف بالزيت وجعلت فى النار وأوقدت ساعة ولم تحترق (سنجاب) حيوان كهيئة الفأر يوجد فى بلاد الترك على قدر اليربوع اذا أبصر الانسان هرب منه وشعره كشعر الفأر وهو ناعم فيؤخذ ويسلخ جلده ويجعل فروا يلبس وطبعه موافق لكل طبع وأحسنه الازرق (سنور) حيوان متواضع ألوف خلقه الله تعالى لدفع الفأر والحشرات كلها وأسماؤه كثيرة (حكى) ان أعرابيا صاد سنورا فرآه شخص فقال ما تصنع بهذا القط ولقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الخيدع ولقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الخيطل ولقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الهر قال أبيعه قيل له بكم قال بمائة درهم فقال انه يساوى نصف درهم قال فرمى به وقال لعنه الله ما أكثر أسماءه وأقل قيمته وهذا الحيوان يهيج فى زمان الشتاء فى شهرين منه وتراهن يترددن صارخات فى طلب السفاد فكم من حرة تخلت وذى غيرة هاجت حميته وعزب تحركت شهوته وطيب فم السنور كطيب فم الكلب فى النكهة وقيل ان الهرة تحمل خمسين يوما وهو يجمع بين العض بالناب والخمش بالمخلاب وليس كل سبع كذلك وهو يناسب الانسان فى بعض الاحوال فيعطس ويتمطى ويغسل وجهه بلعابه ويلطخ ويرولده بلعابه حتى يصير كان الدهن يسرى فى جلده وقيل اذا بال الهر شم بوله ودفنه قيل لاجل الفأر فاذا شمه علم ان هنالك هرا فلم يخرج وأما سنور الزباد فهو بأرض الهند ويوجد الزباد تحت ابطيه وفخذيه (سوس) هو دود الحبوب والفاكهة ومن الفوائد التى تكتب فى الحبوب فلا تسوس اسماء الفقهاء السبعة الذين كانوا بالمدينة وقد نظمها بعضهم فقال

ألا كل من لا يقتدى بأئمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجه

فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجه

(حرف الشين)

(شادهوار) حيوان يوجد بارض الترك يقال ان له قرنا عليه اثنان وسبعون شعبة

في وقفة فاذا هبت الريح سمع لها صوت عجيب يكاد يدهش وربما قيل ان فيه شعبة يورث سماعها البكاء والحزن وأخرى تورث الفرح والضحك وانه أهدى الى بعض الملوك شيء من شعرها فرأى فيه ذلك ويقال ان من الحيوان شيأ يوجد بالغياض في قصبة أنفه اثنا عشر ثقبا اذا تنفس يسمع له صوت كصوت المزمار فتأتيه الحيوانات لتسمعه فتدهش فيغفل بعضها من الطرب فيثب عليه فيأخذه ويأكله وهي تعلم ذلك منه وتحترز فاذا لم يمسك منها شيأ ضاق خلقه وصاح بها صيحة فتهرب وتتركه (شاهين) طير يكون كهيئة الصقر الا انه عظيم الهامة واسع العينين ومزاجه أيبس من مزاج الصقر وحركته من العلو الى أسفل اقوى ولذلك ينقض على الطير بشدة فربما يخطئه فيضرب نفسه بالارض بشدة فيموت وقيل أول من صاد به قسطنطين وذلك انه قد جعل له الحكماء الشواهين تظله من الشمس اذا سار فاتفق في بعض الايام انه ركب فدارت الشواهين عليه وسار فطار واحد منها وانقض على صيد فأخذه فأعجب الملك ذلك وصار يتصيد به (شحرور) طير أسود فوق العصفور يصوت بأصوات عجيبة مطربة

(حرف الصاد)

(صرد) حيوان يسمى الصرصار على قدر الخنفساء له جناحان ويقال له الصوام لانه أول طير صام يوم عاشوراء (صعو) طير من صغار العصافير أحمر الرأس

(حرف الضاد)

(ضأن) نوع من الحيوانات ذوات الاربع وهو من الحيوانات المباركة تحمل الانثى منه بواحد واثنين وفيها البركة وغيرها تحمل بالسبعة والتسعة وليس فيها بركة واذا رعت زرعا نبت عوضه وذلك لبركتها بخلاف ذوات الشعر ومن عجيب أمرها انها اذا رأت الذئب تخور وتخاف منه ولا تخاف من سائر السباع قال بعض القصاص مما أكرم الله تعالى به الكبش أن خلقه مستور العورة من قبل ومن دبر ومما أهان به التيس أن خلقه مهتوك الستر مكشوف العورة من قبل ومن دبر ويقال الضأن من دواب الجنة وهي صفوة الله من البهائم ويقال في المدح هو كبش من الكباش وفي الذم هو تيس من التيوس وأهدى بعضهم الى صديقه شاة هزيلة فقال

تقول لي الاخوان حين طبختها * أتطبخ شطرنجا عظاما بلا لحم

ومن العجب انه يأتي غنم من الهند للكبش منها ألية في صدره وأليتان في كتفيه وألية على ذنبه وربما تكبر ألية الضأن حتى تمنعه من المشي ومن عجيب أمرها أنها اذا تسافدت وقت المطر لا تحمل وعند هبوب الريح ان كانت شمالية حملت ذكرا وجنوبية حملت أنثى والله أعلم (ومن خواصها) أن لحمها ينفع للسوداء ويزيد في المني والباه واذا تحملت المرأة بصوفها قطع حبلها واذا غطي اناء العسل بصوف الضأن الابيض منع وصول النمل اليه واذا دفن قرن كبش تحت شجرة كثر حملها على ما ذكر والله أعلم (ضب) حيوان يجعل جحره في الارض الصلبة وعنده بلم فربما لا يهتدي لجحره اذا خرج منه فلذلك لا يحفره الا بقرب كدية أو اشارة وهو من الحيوان الذي يعمر قيل انه يعيش سبعمائة سنة ومن طبعه انه يصبر على الماء يقال انه

لايشرب فانه يبول فى كل أربعين يوما قطرة والانثى تبيض سبعين بيضة وأكثر وتجعلها فى الارض وتتعاهدها فى كل يوم الى أربعين يوما فيخرج وبيضها قدر بيض الحمام وهذا الحيوان شديد الخوف من الآدمى ولذلك يجعل العقارب فى جحره حتى يمتنع بها ويخرج من جحره كليل البصر فيستقبل الشمس فيحصل له بذلك حدة فى بصره واذا عطش تنشق النسيم فيروى وبينه وبين الافاعى مناسبة وذلك انه لايخرج زمن الشتاء (فائدة) قيل ان أعرابيا أتى النبى صلى الله عليه وسلم وفى كمه ضب قد صاده وقال لولا أن تسمينى العرب عجولا لقتلتك وسررت الناس بقتلك فقال عمر دعنى يارسول الله أقتله فقال عليه الصلاة والسلام مهلا ياعمر أما علمت ان الحليم كاد أن يكون نبيا قال ثم أقبل الاعرابى على النبى صلى الله عليه وسلم وقال والله لا آمنت بك أو يؤمن بك هذا الضب واخرجه من كمه قال فعند ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ياضب فأجابه بلسان فصيح لبيك وسعديك يارسول رب العالمين فقال من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عذابه فقال من أنا ياضب قال رسول رب العالمين قد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك قال فقال الاعرابى عند ذلك ياويلاه ضب اصطدته بيدى من البرية يشهد لك بالرسالة أنا أولى منه بذلك هات يدك أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله حقا ولقد أتيتك وما على وجه الارض أحد أكثر بغضا منى اليك ولقد صرت الآن أذهب من عندك وما على وجه الارض أحد أكثر محبة منى اليك ولأنت الساعة أحب الى من أهلى وولدى وما ملكت يدى فقد آمن بك شعرى وبشرى وداخلى وخارجى وسرى وعلانيتى فقال النبى صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى هداك لهذا الدين الذى يعلو ولا يعلى عليه ولكن لا يقبله الله الا بصلاة ولا يقبل الصلاة الا بقراءة قال فعلمنى ياحبيبى قال فعلمه سورة الفاتحة وسورة الاخلاص وقال من قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن قال الهنا يقبل اليسير ويعفو عن الكثير ثم سأله ألك مال فقال ياحبيبى ليس فى بنى سليم أفقر منى فقال لاصحابه اعطوه فأعطوه حتى أثقلوه فقال عبد الرحمن بن عوف يارسول الله عندى ناقة عشارية أعطيها له فقال ان الله يعطيك ناقة فى الجنة من درة قوائمها من الزبرجد الاخضر وعيناها من الياقوت الاحمر وعليها هودج من السندس تخطف بك من الصراط كالبرق قال فخرج الاعرابى من عنده فتلقاه ألف فارس من المشركين كلهم يريدون قتل النبى صلى الله عليه وسلم فاخبرهم بقصته فاسلموا عن آخرهم وأمر النبى صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد عليهم وهذه القصة ذكرها الدارقطنى بتمامها والبيهقى والحاكم وابن عدى (الخواص) قلبه يذهب الحزن والخفقان وشحمه يطلى به الذكر يزيد فى الباه وكعبه يشد على وجع الضرس يبرأ واذا جعل على وجه فرس لايسبقه شئ وبعره يذهب البرص والكلف طلاء ومن أكل لحمه لايعطش زمانا طويلا (ضبع) حيوان معروف ومن كناه أم عامر ومن طبعه حب لحم الآدمى حتى قيل انه ينبش القبور واذا مر بانسان نائم حفر تحت رأسه ووثب عليه وبقر بطنه وشرب دمه (الخواص) من شرب دمه ذهب وسواسه ومن علق عليه عينه أحبه الناس واذا جعلها فى خل سبعة أيام ثم جعلها

تحت فص خاتم فكل من كان به سحر وجعل الخاتم فى قليل ماء وشربه زال سحره (ضفدع) حيوان يتولد من المياه الضعيفة الجرى ومن العفونات وعقيب الامطار وأول مايظهر مثل الحب الاسود ثم ينمو ثم تتشكل له الاعضاء واذا نق جعل فكه الاسفل فى الماء والاعلى من خارج وفى صوته حدة قال سفيان ليس من الحيوان أكثر ذكر الله تعالى من الضفدع وفى الآثار أن داود عليه السلام قال لاسبحن الله تعالى بتسبيح ماسبحه أحد قبلى فنادته ضفدعة ياداود تمن على الله تعالى بتسبيحك وأنا لى تسعون سنة ماجف لسانى عن ذكر الله تعالى قال فماتقولين فى تسبيحك قالت أقول سبحان من هو مسبح بكل لسان سبحان من هو مذكور بكل مكان فقال داود وماعسى أن أقول وقال بعضهم انها كانت تأخذ الماء بفيها وتجعله على نار ابراهيم الخليل والله أعلم

(حرف الطاء)

(طاوس) طير مليح ذو ألوان عجيبة وعنده الزهو فى نفسه والعجب ومن طبعه العفة وهو من الطير كالفرس من الحيوان والانثى تبيض حين يمضى لها من العمر ثلاث سنين وفى ذلك الاوان يكمل ريش الذكر ويتم لونه وتبيض الانثى مرة واحدة فى كل شهر ففى السنة اثناعشر بيضة أو أقل أو أكثر ويسقط الذكر فى ايام الربيع ويرمى ريشه فى ايام الخريف كالشجر فاذا ابتدا طلوع الورق طلع ريشه ومدة حضنه ثلاثون يوما (فائدة) قيل ان آدم لماغرس الكرمة جاء ابليس لعنه الله فذبح عليها طاوسا فشربت دمه فلماطلعت أوراقها ذبح عليها قردا فشربت دمه فلماطلعت ثمرتها ذبح عليها أسدا فشربت دمه فلما انتهت ثمرتها ذبح عليها خنزيرا فشربت دمه فمن أجل ذلك تجد شارب الخمر أول مايشربها وتدب فيه يزهو بنفسه ويميس عجبا كالطاوس فاذا جاء مبادى السكر لعب وصفق بيديه كالقرد فاذا قوى سكره قام وعربد كهيئة الاسد فاذا انتهى سكره انقبض كما ينقبض الخنزير ثم يطلب النوم والناس تتشاءم باقامته بالدور قيل لانه كان سببا لدخول ابليس الجنة وخروج آدم منها والله على كل شئ قدير

(حرف الظاء)

(ظبى) واحد الغزلان وهو ثلاثة أصناف الاول الآرام وهى ظباء الرمل ولونها رمادى وهى سمينة العنق والثانى العفر ولونها أحمر وهى قصيرة العنق والثالث الادم وهى طويلة العنق وتوصف بحدة البصر وقيل ان الظبى يقضم الحنظل قضما ويمضغه مضغا وماؤه يسيل من شدقيه ويرد الماء الملح فيشرب الاجاج ويغمس خرطومه فيه كما تغمس الشاة لحييها فى الماء العذب فأى شئ أعجب من حيوان يستعذب ملوحة البحر ويستحلى مرارة الحنظل (الخواص) لسانه يجفف ويطعم للمرأة السليطة تزول سلاطتها وبعره وجلده يحرقان ويسحقان ويجعلان فى طعام الصبى يزيد ذكاؤه ويصير فصيحا ذلقا حافظا (ظربان) دويبة فوق جرو الكلب منتنة الريح تزعم العرب ان من صادها وفست فى ثوبه لاتزول الرائحة منه حتى يبلى الثوب ويحكى من شؤمها انها تأتى بيت الظبى فتفسو فيه ثلاث مرات فتقتل مافيه وتأكله بعد ذلك

(حرف العين)

(عجل) حيوان معروف وهو ذكر البقر وسمى بذلك لاستعجال بنى اسرائيل بعبادته والسبب في ذلك أن موسى عليه السلام وقت الله له ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر وكان فيهم شخص يسمى موسى بن ظفر السامرى في قلبه من حب عبادة البقر شئ فابتلى الله به بنى اسرائيل فقال ائتونى بحلى قال فأتوه بجميع حليهم فصنع منه عجلا جسدا وألقى عليه قبضة من التراب الذى كان أخذه من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار له خوار كما أخبر الله تعالى فعكفوا على عبادته من دون الله تعالى وكانوا يأتون اليه ويرقصون حوله ويتواجدون فيخرج منه تصويت كهيئة الكلام فيتعجبون من ذلك و يظنون أنه تكلم وانما فعل ذلك باغواء ابليس لعنه الله حتى يطغيهم (فائدة) نقل القرطبى عن سيدى أبى بكر الطرطوسى رحمهما الله أنه سئل عن قوم يجتمعون فى مكان فيقرؤن من القرآن ثم ينشد لهم الشعر فيرقصون ويطربون ثم يضرب لهم بعد ذلك بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم حرام فقال مذهب الصوفية أن هذه بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله وأما الرقص والتواجد فاول من أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذوا العجل فهذه الحالة هى حالة عباد العجل وانما كان النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فى جلوسهم كأنما على رؤسهم الطير مع الوقار والسكينة فينبغى لولاة الامر وفقهاء الاسلام أن يمنعوهم من الحضور فى المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب الشافعى وأبى حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل رحمهم الله (عقرب) هو من الحشرات قال الجاحظ انها تلد من فيها مرتين وتحمل أولادها على ظهرها وهم كهيئة القمل كثيرو العدد وقال غيره اذا حملت تسلط عليها أولادها فأكلوا بطنها وخرجوا كهيئة الذر ثم يكبرون و يطوفون بالارض ولها ثمانية أرجل ومن عجيب أمرها انها لا تضرب النائم الا اذا تحرك شئ منه والخنافس تأوى اليها وربما لسعت التنين العظيم فقتلته (غريبة) قال ذو النون المصرى بينما أنا فى بعض سياحتى اذ مررت بشاطئ البحر فرأيت عقربا اسود قد أقبل الى أن جاء الى شاطئ البحر فظننت انه يشرب فقمت لانظر فاذا بضفدع قد خرج من الماء وأتاه فحمله على ظهره وذهب به الى ذلك الجانب قال ذو النون فأتزرت بمئزرى وعمت خلفه حتى اذا صعد من ذلك الجانب صعدت وسرت وراءه فما زال حتى جاء الى شجرة فوجدت تحتها غلاما نائما من شدة السكر وقد أقبل عليه تنين عظيم قال فلسعت العقرب برأس التنين ولسعته فقتلته ثم رجعت الى ظهر الضفدع فعبر بها الى الماء وسار بها الى المكان الذى جاءت منه قال ذو النون فتعجبت من ذلك وأنشدت

يا راقدا والجليل يحفظه * من كل سوء يكون فى الظلم
كيف تنام العيون عن ملك * يأتيك منه فوائد النعم

ثم أيقظت الغلام وأخبرته بذلك قال فلما سمع ذلك قال أشهدك على أنى قد تبت عن هذه الخصلة ثم جرينا ذلك التنين ورميناه فى البحر ولبس ذلك الغلام مسحا وساح الى أن مات رحمة الله تعالى عليه وما أحسن ما قال بعضهم

اذا لم يسالمك الزمان فحارب * وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما * تموت الافاعى من سموم العقارب
فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد * وخرب فأر قبل ذا سد مأرب
اذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من التضييع فى غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب

(فائدة) اذا لدغ أحد فاقرأ عليه هذه الكلمات وهى سلام على نوح فى العالمين وصلى الله على سيدنا محمد فى المرسلين من حاملات السم أجمعين لا دابة بين السماء والارض الا ربى آخذ بناصيتها كذلك يجزى عباده المحسنين ان ربى على صراط مستقيم نوح قال لكم من ذكرنى لا تلدغوه ان ربى بكل شئ عليم وصلى الله على سيدنا محمد الكريم وقال بعض العلماء من قال عقدت زبان العقرب ولسان الحية ويد السارق بقول اشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أمن من العقرب والحية والسارق وفى البخارى ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله ماذا لقيت من عقرب لدغتنى البارحة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أما انك لو قلت اذا أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك وروى الترمذى أن من قال حين يمسى أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاث مرات ثم قال سلام على نوح فى العالمين لم تضره الحية والعقرب والسر فى ذكر نوح دون غيره هو انه لما ركب فى السفينة سألته الحية والعقرب أن يحملهما معه فشرط عليهما أنهما لا يضران من ذكر اسمه بعد ذلك فشرطاله ذلك (الخواص) من بخر البيت بزرنيخ أحمر وشحم بقر هربت منه العقارب ومن شرب مثقالين من حب الاترج أبرأه من سمها ومن علق عليه شئ من ورق الزيتون برئ أيضا لوقته (عقعق) طير ذو لونين طويل الذنب قدر الحمامة على شكل الغراب وجناحاه أكبر من جناحى الحمامة وهو لا يأوى الا الاماكن العالية واذا باض جعل حول بيضه ورق الدلب خوفا عليه من الخفاش لا يفسده (الخواص) دمه اذا جعل على قطن وألصق على موضع النصل والشوكة الغائبة فى البدن أخرجه (علق) دود أحمر واسود يكون بالماء يعلق بالحلق والآدمى فاذا علقت بك فرش عليها ماء وملحا واذا علقت بفرس فبخره بوبر الثعلب فانها تنفصل من رائحة دخانه ومن خواصه ان البيت اذا بخر به هرب ما فيه من البق والبعوض واذا جفف وسحق وقلع الشعر وطلى به مكانه منع نباته (عنقاء) اختلف فيها فقال بعضهم هو طائر عظيم الخلقة له وجه انسان وفيه من كل حيوان لون وقال بعضهم هو طير غريب الشكل يبيض بيضا كالجبال ويبعد فى طيرانه وسميت بذلك لانه كان فى عنقها طوق أبيض قال القزوينى انها تخطف الفيلة لعظمها وكبر جثتها كما تخطف الحدأة الفأر قال وكانت فى قديم الزمان بين الناس الى أن خطفت عروسا بحليها فذهب أهلها الى نبى ذلك الزمان فشكوها اليه فدعا عليها فذهب بها الى بعض الجزائر التى خلف خط الاستواء وهى جزيرة لا يصل اليها أحد وجعل لها فيها ما تقتات به من السباع كالفيل والكركند وغير ذلك وقال أصحاب التواريخ ان هذا الطير يعمر

حتى قيل انه يعيش ألفى سنة ويتزاوج اذا مضى عليه خمسمائة (وحكى) الزمخشرى فى ربيع الابرار أن الله تعالى خلق فى زمن موسى طيرا يقال له العنقاء له وجه كوجه الانسان وأربعة أجنحة من كل جانب وخلق له انثى مثله ثم أوحى الله تعالى الى موسى انى خلقت خلقا كهيئة الطير وجعلت رزقه الوحوش والطير التى حول بيت المقدس قال فتناسلا وكثر نسلهما فلما توفى موسى عليه السلام انتقلت الى نجد والعراق فلم تزل تأكل الوحوش وتخطف الصبيان الى أن تنبأ خالد بن سنان العبسى فشكوها اليه فدعا عليها فانقطعت وانقطع نسلها وانقرضت (عنكبوت) دويبة لها ثمانية أرجل وستة عيون وهى من الحيوان الذى يصيد الذباب وولده يخرج قويا على النسج من غير تعليم ولا تلقين ويخرج أولاده دودا صغيرا ثم يتغير ويصير عنكبوتا وتكمل صورته (فائدة) قيل ان امرأة ولدت جارية ثم قالت لخادم لها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب سائلا فقال له ما ولدت سيدتك فقال بنتا فقال لا تموت حتى تبغى بألف رجل ويتزوجها خادمها ويكون موتها بالعنكبوت فقال الخادم وأنا اصبر لهذه حتى يحصل منها ما يحصل فصبر حتى قامت أمها لتقضى بعض شؤنها وعمد الى البنت فشق بطنها بسكين وهرب قال فجاءت أمها فوجدتها على تلك الحالة فدعت من يعالجها حتى شفيت فلما كبرت بغت قال ثم انها سافرت وأتت مدينة على ساحل من سواحل البحر فاقامت هناك تبغى قال وأما الرجل فانه صار من التجار وقدم الى تلك المدينة ومعه مال كثير فقال لامرأة عجوز هناك اخطبى لى امرأة حسنة أتزوج بها قال فوصفتها له وقالت ليس هنا أحسن منها ولكنها تبغى فقال للعجوز ائتنى بها قال فذهبت وأخبرتها بالقصة فقالت لها حبا وكرامة فانى قد تبت عن البغى فتزوج الرجل بها وأحبها حبا شديدا وأقام معها أياما وكان يود أن يراها متجردة فلم يمكنه ذلك حتى اذا كان فى بعض الايام خرج على عادته لقضاء أشغاله ودخلت هى الحمام وعرضت له حاجة فرجع الى الدار وصعد الى قصرها فلم يرها فسأل عنها فقيل له هى فى الحمام فدخل عليها فرآها متجردة ورأى فى بطنها أثرا كالخياطة فقال ما هذا فقالت له لا أعلم الا أن أمى أخبرتنى انه كان لنا خادم وانه يوم ولادتى غافل أمى وشق بطنى بسكين وهرب وانها حين رأتنى كذلك دعت بعض الاطباء فخاط بطنى وعالجنى حتى اندمل جرحى وشفيت وبقى هذا الاثر فقال لها انا ذلك الخادم وحكى لها السبب وان ذلك السائل أخبره انها تموت بالعنكبوت ثم انه اهتم بامرها وجمع مهندسى البلدة التى هم فيها وسألهم أن يبنوا له بناء لا ينسج عليه العنكبوت فقالوا كل بناء ينسج عليه الا أن يكون البلور ان عوهته لا ينسج عليه فأمرهم أن يصنعوا لها قصرا من البلور وبذل لهم ما أرادوا فعملوه وفرشه وأمرها ان تقيم فيه ولا تخرج منه خوفا عليها من العنكبوت قال فبينما هو ذات يوم اذ رأى عنكبوتا قد نسج فى ذلك القصر فقام اليه فرماه وقال لها هذا الذى يكون موتك منه قال فداسته بابهامها وقالت كالمستهزئة أهذا الذى يقتلنى فشدخته فتعلق بطرف ابهامها من مائه شئ فعمل بها حتى ورمت ساقها ثم وصل الورم الى قلبها فقتلها فما أفاده قصره ولا صرحه شيأ قال الله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة (فائدة) نسج العنكبوت على ثلاثة مواضع على غار النبى صلى

الله عليه وسلم وعلى غار عبد الله بن أنيس لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لخالد الهذلي فقتله وحمل رأسه ودخل به في غار خوفا من أهله ونسج على عورة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم لما صلب عريانا وقيل انها نسجت مرتين على داود حين كان جالوت يطلبه (الخواص) نسجها ان وضع على الجراح الطرية يقطع دمها ويجلوا الفضة اذا دلكت به والذي يوجد من نسجها في بيت الخلاء ينفع المحموم اذا تبخر به (ابن عرس) حيوان معروف وهو بأرض مصر كثير ويسمى العرسة وهو عدو للفار وعنده الحيل قيل انه عدا خلف فأر فصعد منه على شجرة فصعد خلفه وأمر أنثاه أن تقف تحت الشجرة ثم قطع الغصن الذي كان عليه الفأر فسقط فأخذته أنثاه ومما يحكى عنه انه يحب الذهب فيسرقه ويدل عليه (عجيبة) قيل ان رجلا اصاد فرخا من أولاده وحبسه تحت طاسة فجاء أبوه فوجده فذهب وأتى بدينار فوضعه فلم يفلته ثم ذهب وأتى بآخر ومازال كذلك حتى أتى بخمسة دنانير فلم يفلته ثم أتى بخرقة فلم يفلته فأراد ابن عرس أن يأخذ ما برطله به فلما علم الرجل ذلك فهم انه لم يبق عنده شئ فأفلته له

(حرف الغين)

(غراب) وكنيته أبو حاتم وله كنى غير ذلك وهو أنواع كثيرة منها الاكحل وغراب الزرع والازرق وهذا النوع يحكي جميع ما سمعه والعرب تتفاءل بصياح الغراب فتقول اذا صاح مرتين فشر واذا صاح ثلاثة فخير وهو كالانسان عند الجماع وفي طبعه الاستتار عن الناس عند مجامعته والانثى تبيض ثلاثا أو أربعا أو خمسا وتحضن ذلك والاب يسعى في طعمتها الى أن تفرخ فاذا فرخت خرجت أفراخها قبيحة المنظر فتتفرق منها وتتركها وتغيب فيرسل الله لها البعوض فتتغذى به ثم لاتزال تتعاهدها حتى ينبت لها الريش فتأتيها ومنه قول الحريري يارازق النعاب في عشه * وجابر العظم الكسير المهيض ومن طبعه انه لايتعاطى الصيد بل ان وجد رمة أكل منها ويقم من الارض ما وجد ويسمى بالفاسق لانه لما أرسله نوح عليه السلام ليكشف عن الماء فوجد في طريقه رمة فسقط عليها وترك ما أرسل اليه ويسمى بالبين لانه اذا رحل العرب من مكان نزل فيه وزعق في أثرهم ومن الغرائب ان بين الغراب وبين الذئب ألفة وذلك انه اذا رأى الذئب بقر بطن شاة سقط وأكل منها معه والذئب لايضره (الخواص) اذا غمس الغراب في الخل ثم جفف وسحق ريشه وطلى به الشعر سوده واذا علق منقاره على انسان زالت عنه العين وزبل الغراب الابقع ينفع الخوانيق والخنازير طلاء وان صر في خرقة على من به السعال زال (فرغر) دجاج بني اسرائيل يقال ان فرقة من بني اسرائيل كانت بتهامة فطغت وبغت وتجبرت وكفرت فعاقبهم الله تعالى بأن جعل رجالهم القردة وكلابهم الاسود وغنهم الاراك وجوزهم المقل ودجاجهم الفرغر وهو دجاج الحبشة فلا ينتفع لحمه لرائحته الكريهة وهذا مشاهد في زماننا هذا الآن على مانقل والله أعلم

(حرف الفاء)

(فاختة) طير أغبر من ذوات الاطواق بقدر الحمام لها حسن الصوت يحكى ان الحيات

تهرب من صوتها وفى طبعها الانس فن أجل ذلك تتخذ بيتها فى البيوت وهى من الحيوان الذى يعمر وقد ظهر منها ماعاش خمسا وعشرين سنة (الخواص) دمها ينفع من الآثار فى العين من ضربة أو قرحة اذا قطر فيها (فارة) وكنيتها أم خراب وغير ذلك وتسمى بالفويسقة وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم انتبه ليلة فوجدها قد جذبت الفتيلة وأحرقت طرف سجادته فقتلها وأمر بقتلها وهى التى قطعت حبل سفينة نوح واذاها لا يكاد ينحصر ومنه انها تأتى الى اناء الزيت فتشرب منه فاذا انقص صارت تشرب بذنبها فاذا لم تصل اليه ذهبت وأتت فى فيها بماء وأفرغته فيه حتى يعلو لها الزيت فتشرب وربما وضعت فيه بجرا فكسرته ويقال انها من بقايا الممسوخين الذين كانوا يهودا ومن أراد أن يعلم ذلك فليضع لها لبن ناقة فى اناء فان لم تشرب فهى منهم (الخواص) عينه تشد على الماشى يسهل تعبه واذا بخر البيت بزبل الذئب أو الكلب ذهب منه الفار (فرس البحر) حيوان يوجد بالنيل أفطس الوجه ناصيته كالفرس ورجلاه كالبقر وذنبه قصير يشبه ذنب الخنزير وجلده غليظ ووجهه أوسع من وجه الفرس يصعد البر ويرعى الزرع وربما قتل الانسان وغيره (فهد) حيوان شرس الاخلاق قال ارسطو هو متولد من الاسد والنمر وفى طبعه مشابهة بطبع الكلب ونومه ثقيل وفى طبعه الحنو على انثاه وقيل أول من صاد به كليب بن وائل وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية وأكثر من اشتهر باللعب به أبو مسلم الخراسانى (فيل) حيوان يوجد بأرض الهند وكنيته أبو الحجاج والانثى أم سبل وهو ينزو على انثاه اذا بلغ من العمر خمس سنين وتحمل انثاه سنتين ثم تضع ولا يقربها الذكر فى مدة حملها ولا بعده ثلاث سنين ولا يلقح الا بيلاده واذا أرادت الوضع دخلت النهر لان رجليها لا ينثنيان فتخاف عليه والذكر يحرسها خوفا على ولده من الحيات فانها تأكله وهو عند شدة غلمته كالجمل ويهيج فى زمن الربيع وزعم أهل الهند أن لسانه مقلوب ولولا ذلك لكان يتكلم لشدة ذكائه وقيل ان ثدييه فى صدره كالانسان وهو أضخم الحيوان وأعظمه جرما وما ظنك بخلق ربما كان نابه أكثر من ثلثمائة من وهو مع ذلك أملح وأظرف من كل خفيف الجسم رشيق وربما مر الفيل مع عظم بدنه خلف القاعد فلا يشعر برجله ولا يحس بمروره لخفة همسه واحتمال بعض جسده لبعض وأهل الهند يزعمون ان أنياب الفيل قرناه يخرجان مستبطنين حتى يخرقان وخرطوم الفيل أنفه ويده وبه يتناول الطعام الى جوفه وبه يقاتل وبه يصيح وصياحه ليس فى مقدار جرمه وقيل ان الفيل جيد السباحة واذا سبح رفع خرطومه كما يغيب الجاموس جميع بدنه الامنخريه ويقوم خرطومه مقام عنقه والخرق الذى فى خرطومه لا ينفذ وانما هو وعاء اذا ملأه من طعام أو ماء أولجه فى فيه لانه قصير العنق لا ينال ماء ولا مرعى وأهل الهند تجعله فى القتال وهو أيضا يقاتل مع جنسه فن غلب دخلوا تحت أمره وقيل جعل الله فى طبع الفيل الهرب من السنور (حكى) عن هرون مولى الازد أنه خبا معه هرا ومضى بسيفه الى الفيل فلما دنا منه رمى بالهر فى وجهه فادبر هاربا وكبر المسلمون وظنوا انه هرب منه قال أبو الشمقمق

يا قوم انى رأيت الفيل بعدكم * تبارك الله لى فى رؤية الفيل

رأيت بيتا له شيء يحركه * فكدت أذهل شيأ في السراويل

وقيل اذا اغتلم الفيل لم يكن لسواسه هم الا الهرب بأنفسهم ويتركونه ومن عجيب أمره ان سوطه الذي به يحث ويضرب محجن حديد أحد طرفيه في جبهته والآخر في يد راكبه فاذا أراد شيأ غمزه به في لحمه وأول شيء يؤدبون به الفيل يعلمونه السجود للملك قيل خرج كسرى أبرويز لبعض الاعياد وقد صفوا له ألف فيل وأحدق به ثلاثون ألف فارس فلما رأته الفيلة سجدت له فما رفعت رؤسها حتى جذبت بالمحاجن وراضتها الفيالون وتزعم أهل الهند ان جبهة الفيل تعرق كل عام عرقا غليظا سائلا اطيب من رائحة المسك ولا يعرض ذلك العرق الا في بلادها خاصة وان عظام الفيل كلها عاج الا ان جوهر نابه اكرم واثمن ولولا شرف العاج وقدره لما فخر الاحنف بن قيس على اهل الكوفة في قوله نحن اكثر منكم عاجا وساجا وديباجا وخراجا وقيل ان الفيلة لا تتسافد في غير بلادها (فائدة) من قرأ سورة الفيل الف مرة في كل يوم عشرة ايام متوالية ثم جلس على ماء جار وقال اللهم أنت الحاضر المحيط بمكنونات الضمائر اللهم عز الظالم وقل الناصر وأنت المطلع العالم اللهم ان فلانا ظلمني وأساءني ولا يشهد بذلك غيرك أنت مالكه فأهلكه اللهم سربله سربال الهوان وقصه قيص الردى اللهم اقصفه ست مرات اللهم اخفضه مرتين فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فان الله يستجيب له مالم يكن ظالما (الخواص) جلده اذا بخر به بيت هرب بقه واذا سقي انسان من وسخ أذنه نام نومة طويلة واذا علق من نابه شيء على شجرة لم تثمر واذا عمل من جلده ترس يكون أصلب من كل ترس

(حرف القاف)

(قاقم) دويبة تشبه السنجاب الا انه أبرد منه مزاجا وهو أبيض يقق وجلده أعز قيمة من السنجاب (قاوند) طير يكون بساحل البحر يبيض في الرمل ويحضن بيضه سبعة أيام ثم تخرج أفراخه بعد ذلك فيزقها بعد سبعة ايام ويقال ما يمسك الله البحر في هيجانه عن أن يفيض على الساحل الا اكراما له لانه يقال انه يبر والديه (خواصه) انه يقيم المقعد ويحلل البلاغم المزمنة وينفع الامراض الباردة وأوجاع الاعصاب (قرد) حيوان معروف وكنيته أبو خالد وغير ذلك وهو قبيح المنظر مليح الذكاء سريع الفهم يتعلم الصنائع قيل انه أهدي للمتوكل قرد خياط وآخر صائغ وأهل اليمن يعلمون القردة البيع والجلوس في الدكاكين حتى قيل انه يخرز النعل ويصر القرطاس وهو ذو غيرة وعنده لواط حتى قيل انه يعدو خلف المليح من شدة المحبة والتفت ابن الرومي يوما الى أبي الحسن الاخفش وهو يحاكي مشية القرد فقال

هنيئا يا أبا الحسن المفدى * بلغت من الفضائل كل غايه

شركت القرد في قبح ومسخ * وما قصرت عنه في الحكايه

(قنفذ) بالذال المعجمة وكنيته أبو سفيان ومن عجيب أمره انه يصعد الكرم فيرمي العنقود ثم ينزل فيأكل منه ما أطاق فان كان له افراخ تمرغ في الباقي فيتعلق بشوكه

فيذهب به الى اولاده وهو مولع باكل الافاعي فاذا لدغته لا يؤثر فيه سمها لدفع ذلك بشوكه واذا تأذى منها ذهب فأكل السعتر البري فيزول اذاها وهو من الحيوان الذي يسفد مباطنة كالرجل وله خمسة أرجل

(حرف الكاف)

(كركند) حيوان يوجد ببلاد الهند والنوبة وهو دون الجاموس وله قرن واحد عظيم لا يستطيع رفع رأسه منه لثقله وهو مصمت قوي يقاتل به الفيل فيغلبه ولا تعمل نابا شيأ معه وعرض قرنه شبران وليس بطويل جدا وهو محدد الرأس شديد الملاسة واذا نشر قرنه ظهرت في معاطفه صور عجيبة كالطواويس والغزلان وأنواع الطير والشجر وبني آدم ولذلك يتخذ منه صنائع الاسرة والمناطق للملوك ويتغالون في ثمنها بحيث تبلغ المنطقة اربعة آلاف او اكثر والانثى تحمل ثلاث سنين ويخرج ولدها نابت الاسنان والقرون قوي الحافر ويقال انها اذا قاربت الوضع اخرج الولد راسه من بطنها وصار يرعى اطراف الشجر فاذا شبع ادخل رأسه بطن امه ويزعم أهل الهند انه اذا كان ببلاد لم يدع فيها من الحيوان شيأ حتى يكون بينها وبينه مائة فرسخ من جميع الجهات هيبة له وهربا منه ويسمى الحمار الهندي وهو شديد العداوة للانسان يتبعه اذا سمع صوته فيقتله ولا يأكل منه شيأ (كروان) طير معروف لا ينام غالب الليل خصوصا في القمر وعنده ذكاء قيل انه يتكلم بجميع ما يبصره ولا يحتمل المغابنة (كركي) طير محبوب للملوك وله مشتى ومصيف فمشتاه بارض مصر ومصيفه بارض العراق وهو من الحيوان الرئيس قيل انه اذا نزل بمكان اجتمع حلقة ونام وقام عليه واحد يحرسه وهو يصوت تصويتا لطيفا حتى يفهم انه يقظان فاذا تمت نوبته أيقظ غيره لنوبته قال القزويني واذا مشى وطئ الارض باحدى رجليه وبالاخرى قليلا خوفا من أن يحس به واذا طار سار سطرا يتقدمه واحد كهيئة الدليل ثم تتبعه البقية (كلب) معروف وهو نوعان أهلي وسلوقي وهذان النوعان سواء الا أن أنثى السلوقي أسرع في التعلم من ذكره وهذا الحيوان حليم وعنده رياضة وفي طبعه اكرام الاجلاء من الناس (حكي) أن رجلا عزم جماعة فتخلف شخص منهم في منزله ودخل على زوجة صاحب المنزل فضاجعها فوثب الكلب عليهما فقتلهما فرجع صاحب المنزل فوجدهما قتيلين فانشد يقول

وما زال يرعى ذمتي ويحوطني * ويحفظ عهدي والخليل يخون
فوا عجبا للخل يهتك حرمتي * ووا عجبا للكلب كيف يصون

(وحكي) أبو عبيدة قال خرج رجل الى الجبانة ومعه أخوه وجاره لينظروا الى الناس فتبعه كلب له فضربه ورماه بحجر فلم ينته ولم يرجع فلما قعد ربض الكلب بين يديه فجاء عدو له في طلبه فلما رآه خاف على نفسه فاذا ببئر هناك قريبة القعر فنزل فيها وأمر أخاه وجاره أن يهيلا عليه التراب ثم ذهب أخوه وجاره الى سبيلهما وصار الكلب ينبح حوله فلما انصرف العدو أتاه الكلب فما زال يبحث في التراب الى أن كشفه عن رأسه فتنفس الرجل ومر به اناس فتناولوه وردوه الى أهله فلما مات ذلك الكلب عمل له قبرا ودفنه فيه وجعل عليه قبة

وسمى ذلك قبر الكلب وفى ذلك قيل

تفرق عنه جاره وشقيقه * وماحاد عنه كلبه وهو ضاربه

(ومن ذلك ماحكى) أن رجلا قتل ودفن وكان معه كلب فصار يأتى كل يوم الى الموضع الذى دفن فيه وينبح وينبش ويتعلق برجل هناك فقال الناس ان لهذا الكلب شأنا فكشفوا عن ذلك وحفروا ذلك الموضع فوجدوا قتيلا فقبضوا على ذلك الرجل الذى ينبح عليه الكلب وضربوه فأقر بقتله فقتل وهو من الحيوان الذى يعرف الحسنة وقيل ان الانثى تحيض فى كل شهر سبعة أيام وأكثر ماتضع اثناعشر جروا وذلك فى النادر والغالب خمسة أوستة وربما ولدت واحدا ويعيش الكلب فى الغالب عشر سنين وربما بلغ عشرين سنة ووصف للمتوكل كلب بارمينية يفترس الاسد فأرسل من جاء به اليه فجوع أسدا وأطلقه عليه فتهارشا وتواثبا حتى وقعا ميتين وقيل كلب الصياد يشبه به الفقير المجاور للغنى لانه يرى من نعمته وبؤس نفسه مايفتت كبده وقيل لرجل مابال الكلب يرفع رجله اذا بال قال يخاف أن يلوث ذراعيه قيل أولالكلب ذراعان قال هو يتوهم ذلك (فائدة) حكى أن الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه سمع أن شخصا من وراء النهر يروى أحاديث مثلثة فسار اليه ودخل عليه فوجده يطعم كلبا وهو مشتغل به قال الامام أحمد فأخذت فى نفسى وأضمرت ان أرجع اذلم يلتفت الرجل الى ثم قال حدثنى أبو الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة وان أرضنا هذه ليست بأرض كلاب وقد قصدنى هذا الكلب فخشيت ان أقطع رجاءه قال فقال الامام أحمد رحمه الله هذا الحديث يكفينى ثم رجع قافلا الى أهله (فائدة أخرى) قال الترمذى لما أهبط الله تعالى آدم الى الارض سلط عليه ابليس السباع وكان أشدها الكلب قال فنزل عليه جبريل عليه السلام وأمره أن يضع يده عليه ففعل واطمأن اليه وألفه وصار يحرسه وبقيت الالفة فيه لاولاده الى يوم القيامة وقيل ان أول من اتخذ الكلب بعد آدم نوح عليهما السلام وذلك لان قومه كانوا يعمدون بالليل فيفسدون ماصنعه فى السفينة بالنهار فأمره الله أن يتخذ كلبا حارسا ففعل قال فكان الكلب اذا أتاه مفسد قام عليه فيتيقظ نوح عليه السلام فيدفعه (فائدة) قيل كان كلب أهل الكهف أحمر واسمه قطمير وقيل أصفر وقيل خلنجى اللون وليس فى الحيوان مايدخل الجنة الا هو وكبش اسمعيل وناقة صالح وحمار العزير وبراق النبى صلى الله عليه وسلم (فائدة أخرى) اذا نبح عليك كلب وخفت منه فاقرأ يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لاتنفذون الابسلطان وقل بعد ذلك لا اله الا الله فانك تكفاه

(حرف اللام)

(اللغلغ) طير معروف قيل انه من طيور الفواخت ويأتى الى أرض مصر فى أيام الشتاء فيأكل ماقسم الله له من الرزق ويأكل منه من له فيه رزق ثم يرحل الى بلاده

(حرف الميم)

(مالك الحزين) طير يوجد بالضحضاح غذاؤه السمك وسمي بذلك لانه قيل انه لايشرب حتى يروى خوفا من أن ينقص الماء واذا انشف الضحضاح حزن لانه لايستطيع العوم ونظيره دويبة بأرض فارس معروفة عندهم يقال ان غذاءها التراب فاذا أكلت لاتشبع خوفا من أن يفرغ

(حرف النون)

(نمل) قال عليه الصلاة والسلام ألا تنظرون الى صغير ما خلق الله كيف أحكم خلقه وأتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر انظروا الى النملة فى صغر جثتها ولطافة هيئتها لاتكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على الارض وسعت فى مناكبها وطلبت رزقها تنقل الحبة الى جحرها تجمع فى حرها لبردها وفى وردها لصدرها لايغفل عنها المنان ولا يحرمها الديان ولو فكرت فى مجارى أكلها فى علوها وسفلها ومافى الجوف من شراسيف بطنها ومافى الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجبا وللقيت من وصفها تعبا فتعالى الذى اقامها على قوائمها وبناها على دعائمها لم يشركه فى فطرتها فاطر ولم يعنه على خلقها قادر لا اله الا هو ولا معبود سواه وقيل اذا خافت على حبها أن يعفن أخرجته الى ظهر الارض ليجف وقيل انها تفلق الحبة نصفين خوفا من أن تنبت فتفسد الا الكزبرة فانها تفلقها أربعا لانها من دون الحب ينبت نصفها وليس كل أرباب الفلاحة يعرف هذا فسبحان من ألهمها ذلك وقيل انها تشم رائحة الشئ من بعيد ولو وضعته على أنفك لم تجد له رائحة واذا عجزت عن حمل شئ استعانت برفقتها فيحملونه جميعا الى باب جحرها وقيل اذا انفتح باب قرية النمل فجعلت فيه زرنيخا أو كبريتا هجرتها والله أعلم (نحل) حيوان ليس له نظر فى العواقب وله معرفة بفصول السنة وأوقاتها وأوقات المطر وفى طبعه الطاعة لأميره والانقياد له ومن شأنه فى تدبير معاشه انه يبنى له بيتا من الشمع شكلا مسدسا لايوجد فيه اختلاف كالقطعة الواحدة واذا طار ارتفع فى الهواء وحط على الاماكن النظيفة وأكل نوار الزهر والاشياء الحلوة وشرب من الماء الصافى وأتى فأخرج ذلك فأول مايخرج الشمع ليكون كالوعاء ثم العسل وقيل انه يقسم الاعمال فبعضه يعمل البيوت وبعضه يعمل الشمع وبعضه يعمل العسل وفى طبعه النظافة فيجعل رجيعه خارج الخلية ومامات منه أخرجه ورماه وعنده الطرب فيحب الاصوات اللذيذة وله آفات تقطعه كالظلمة والغيم والريح والمطر والدخان والنار وكذلك المؤمن له آفات تقطعه منها ظلمة الغفلة وغيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام ونار الهوى (فائدة) قيل مرض شخص فقال ائتونى بماء وعسل فأتوه بذلك فخلط الجميع وشربه فشفى وروى ان شخصا شكا للنبى صلى الله عليه وسلم بطن أخيه فأمره بشرب العسل فشربه ثم جاء ثانيا فأمره بشربه ثم جاء فى الثالثة فقال يارسول الله ان بطنه لم يزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه الثالثة فشفى (نادرة) قيل ان بعضهم حضر مجلس المنصور فقال بعض الحاضرين المراد من قوله تعالى يخرج من بطونها شراب

مختلف ألوانه فيه شفاء للناس أهل البيت فانهم النحل والشراب القرآن فقال له بعض من حضر من الظرفاء جعل الله طعامك وشرابك مايخرج من بطون بني هاشم فضحك الحاضرون عليه وأبهتوه (الخواص) اذا خلط العسل الخالص بعسل خالص واكتحل به نفع من نزول الماء في العين والتلطخ به يقتل القمل ولعقه علاج لعضة الكلب والمطبوخ منه نافع للمسموم (نسر) هو سيد الطيور وهو معمر طويل العمر قيل انه يعيش ألف سنة وله قوة على الطيران حتى قيل انه يقطع من المشرق الى المغرب في يوم وجثته عظيمة حتى قيل انه يحمل أولاد الفيلة وله قوة حاسة الشم حتى قيل انه يشم رائحة الجيفة من مسيرة أربعمائة فرسخ واذا سقط على جيفة تباعدت عنها الطيور هيبة له حتى يفرغ من الاكل وعنده شره قيل انه يأكل حتى يضعف عن الحركة بحيث ان أضعف الناس لو أراد امساكه في تلك الحالة أمسكه واذا باض ذهب وأتى بورق الدلب فجعله في عشه خوفا من الخفاش أن يفسد بيضه وهو لا يحضن البيض وانما يبيض في الاماكن العالية ويلقيه في الشمس فتكون حرارتها له بمنزلة الحضن ومن طبعه انه لو شم الطيب مات وعنده الحزن على فراق الفه حتى قيل انه ليموت كمدا ويقال للانثى منه أم قشعم وفي الحديث أتاني جبريل عليه السلام فقال يا محمد لكل شيء سيد فسيد البشر آدم وسيد ولد آدم أنت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيد الطيور النسر وسيد الشهور رمضان وسيد الايام الجمعة وسيد الكلام العربي وسيد العربي القرآن وسيد القرآن سورة البقرة (الخواص) اذا أخذ قلب النسر وجعل في جلد ذئب وعلق على شخص كان مهابا عند الناس مقضي الحاجة واذا عسر على المرأة الوضع جعل تحتها من ريشه يسهل وضعها (نعام) يذكر ويؤنث وتسمى الانثى بأم البيض والذكر بالظليم ومن عجيب أمرها انها تبيض بيضا طوالا متساوية القدر وتجعلها أثلاثا ثلثا للحضن وثلثا تأكله في حضنها وثلثا تكسره وتفتحه فيتعفن ويدود فيكون منه غذاء أولادها وعندها الحمق يقال انها تخرج من حضنها فتجد بيض غيرها فتحضنه وتترك بيض نفسها (فائدة) روى كعب الاحبار رضي الله عنه أن الله تعالى لما خلق القمح وأنزله على آدم كان على قدر بيض النعام وقال له هذا رزقك ورزق أولادك قم فاحرث وازرع قال ولم يزل الحب على ذلك مدة ثم نزل الى بيض الدجاجة ثم الحمامة ثم النبق وكان في زمن العزيز على قدر الحمص وقيل كل حيوان اذا كسرت رجله مشى بالاخرى الا النعام فانه يبرك الى أن يموت وخلق الله تعالى له قوة الشم البليغ حتى قيل انه يشم رائحة القناص من مسيرة نصف ميل وهي لا تشرب الماء كالضب ويقال ان القناص اذا أدركها أدخلت رأسها في شيء أما شعب أو جحر تظن انها قد استترت منه ولها معدة قوية تقطع الحديد والصوان والحجر وفي طبعها الاذى يقال انها تخطف الحلق من أذن الصغير وقيل ان الذئب لا يتعرض لبيض النعام وأفراخه مادام الابوان حاضرين لانهما اذا رأياه ركضه الذكر الى أن يسلمه الى الانثى فتركضه الى أن تسلمه الى الذكر ولا يزالان به حتى يقتلاه أو يعجزهما هربا وقيل أشد ما يكون عدوها اذا استقبلت الريح وتقول العرب صنفان من الحيوان أصمان لا يسمعان النعام والافاعي وسأل

أبو عمرو والشيباني بعض العرب عن الظليم هل يسمع فقال يعرف بعينيه وأنفه ولا يحتاج معهما الى سمع (غر) حيوان أغبر وكنيته أبو الصعب وهو صنفان صنف عظيم الجثة صغير الذنب والآخر بالعكس قال الجاحظ وهو يحب الشراب وعنده شراسة في خلقه ويقال ان اناثه لا تدع ولدها الا مطوقا بحية ولا يضره نهشها وذلك لاجل الصياد حتى لا يظفر به واذا مرض أكل الفأر فيبرأ وفي طبعه عداوة الاسد وعنده شرف في نفسه يقال انه لا يأكل جيفة ولا يأكل من صيد غيره ولا يملك نفسه عند الغضب وأدنى وثبته عشرون ذراعا وأكثرها أربعون (الخواص) من حمل من جلده شيأ صار مهابا عند الناس ومن كان به بواسير فجلس على جلده زالت بواسيره

(حرف الهاء)

(هدهد) طير معروف وهو من رسل سليمان عليه السلام وعنده حدة البصر حتى قيل انه يرى الماء تحت الارض وسبب غيابه عن خدمة سليمان عليه السلام حين سأل عنه ولم يجده هو أن هدهدا من سبأ أخبره أن عرش بلقيس صفته كذا وكذا فذهب لينظاره فدخلت الشمس من مكانه فرآها سليمان عليه السلام فتفقده وطلبه فلما حضر قال يانبي الله انى رأيت كمت وكمت وقص عليه القصة ويقال انه قال لسليمان عليه السلام لما أراد تعذيبه يانبي الله اذكر وقوفك بين يدى الله تعالى فارتعد سليمان من هذا الكلام وأطلقه (الخواص) اذا بخر البيت بريشه طرد الهوام عنه وعينه اذا علقت على صاحب النسيان ذكر مانسيه وريشه اذا حمله انسان وخاصم غلب خصمه وقضيت حاجته وظفر بما يريد ولحمه اذا أكل مطبوخا نفع من القولنج وان بخر بمخه برج حمام لم يقربه شئ يؤذيه ومن علق عليه لحيه الاسفل أحبه الناس والله أعلم

(حرف الواو)

(ورشان) طير يتولد بين الحمام والفاختة وهو حسن شديد الحنو يقال انه يكاد يقتل نفسه اذا أمسك القناص أولاده من شدة حنوه قال بعضهم انه يقول في صياحه لدوا للموت وابنوا للخراب* والهدهد يقول اذا نزل القضاء عمى البصر والفاختة تقول ليت هذا الخلق ماخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا وليتهم عملوا بما علموا والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه عند ربكم والحمامة تقول سبحان ربي الاعلى والبازي يقول سبحان ربي وبحمده والسرطان يقول سبحان المذكور بكل لسان والدراج يقول الرحمن على العرش استوى والعقاب يقول البعد عن الناس رحمة ومن الطيور من يقرأ الفاتحة كالدرة ويمد صوته في الضالين كالقارئ

(حرف الياء)

(يأجوج ومأجوج) سموا بذلك لكثرتهم وقيل بل هو اسم أعجمي غير مشتق قال مقاتل هم ولد يافث بن نوح عليه السلام وقول من قال ان آدم نام فاحتلم فالتصق منيه بالتراب فتولد منه هذا الحيوان مردود بعدم احتلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفي الحديث يأجوج ومأجوج أمة عظيمة لا يموت أحدهم حتى يرى من صلبه ألف نسمة اه وهم أصناف منهم

ماطوله عشرون ذراعا وماطوله ذراع وأقل وأكثر وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ان لهم مخالب الطير وأنياب السباع وتداعى الحمام وتسافد البهائم ولهم شعور تقيهم الحر والبرد واذا مشوا في الارض كان أولهم بالشام وآخرهم بخراسان يشربون مياه المشرق الى بحيرة طبرية ويمنعهم الله تعالى من دخول مكة والمدينة وبيت المقدس ويأكلون كل شئ يمرون به ومن مات منهم أكلوه ويقال ان صنفا منهم له اذنان احداهما صلدة والاخرى وبرة فهو يلتحف باحداهما ويفترش الاخرى وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام سئل هل بلغتهم الدعوة فقال عليه السلام دعوتهم ليلة أسري بي فلم يجيبوا فهم خلق النار وفي الحديث أيضا ان الله عز وجل اذا كان يوم القيامة قال يا آدم أرسل بعث النار فيقول يارب وما بعث النار فيقول الله تعالى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون للنار وواحد للجنة قال فاشتد الامر على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا فان من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم واحد وفي الحديث ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بالردم فقال صفه فقال يارسول الله انطلقت الى أرض ليس لاهلها الا الحديد يعملونه فدخلت في بيت فلما كان وقت الغروب سمعت ضجة عظيمة أفزعتني فارتعدت منها قال فقال صاحب البيت لا بأس عليك ان هذه الضجة أصوات قوم يذهبون هذه الساعة من خلف هذا الردم أتريد أن تنظر اليه فاذا لبنه مثل الصخرة ومساميره مثل جذوع النخل كله من حديد كأنه البرد المحبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى من رأى الردم فلينظر هذا الرجل قال المفسرون وهذا هو السد الذي بناه ذو القرنين وهذه الامة خلقه تطلب المجيء الى هذه الجهة تنقبه كل يوم فيعيده الله كما كان الى أن يقضي الله أمره ثم يسلط الله عليهم بعد ذلك دودا يطلع في حلاقيمهم فيهلكهم الله به والاخبار في ذلك كثيرة (يحمور) دابة وحشية لها قرنان طويلان كأنهما منشاران تنشر بهما الشجر وقيل هو كالايل يلقي قرنيه في كل سنة وهما صامتان وقال الجوهري هو الحمار الوحشي (نادرة) قيل ترافق رجلان في طريق فلما قربا من مدينة من المدن قال أحدهما للآخر قد صار لي عليك حق واني رجل من الجان ولي اليك حاجة قال وما هي قال اذا وصلت الى المكان الفلاني من هذه المدينة فهناك عجوز عندها ديك فاشتره منها واذبحه فقال له الآخر وأنا أيضا الي اليك حاجة قال وما هي قال اذا ركب الجني انسانا مايعمل له قال تشد ابهاميه بسير من جلد اليحمور وتقطر في أذنيه من ماء السذاب في اليمنى أربعا وفي اليسرى ثلاثا فان الراكب له يموت ثم تفرقا ودخل الانسي ففعل ما أمره به الجني من شراء الديك وذبحه فلم يشعر بعد أيام الا وقد أحاط به أهل صبية من تلك البلدة وقالوا له أنت ساحر ومن حين ذبحت الديك سلبت من صبية عندنا عقلها فلا نفلتك الا الى صاحب المدينة قال فقلت لهم ائتوني بسير من جلد اليحمور وقليل من ماء السذاب ودخلت على الصبية فربطت ابهاميها وقطرت ماء السذاب في أذنيها فسمعت صوتا يقول آه علمتك على نفسي ثم مات من ساعته وشفى الله تلك الشابة

(فصل

(فصــل فى خواص الطير والحيوان على الاجمال) الضب والخنزير لا يلقيان شيأ من أسنانهما أبدا وكل حيوان يعوم بالطبع الا الانسان والقرد وكل ذى عين فان اهداب عينه فى الجهة العليا فقط الا الانسان فانه من الجهتين والفرس لا طحال له والبعير لا مرارة له والظليم لا مخ لعظمه والحيات لا ألسنة لها والسمكة لا رئة لها لانها تتنفس من كبدها وكل حيوان لا حافر له فله قرن وما لا قرن له فله حافر والحيوان المتهم باللواط القرد والخنزير والحمار والسنور والعيون التى تضىء بالليل عين الاسد والنمر والافعى والسنور والذى يدخر القوت من الحيوان الانسان والفأر والغراب والنحل والنمل والذى يحيض من الحيوان الانسان والفرس والكلاب والارنب والضبع والخفاش ويقال أيضا الرعاد من السمك فتبارك الله أحسن الخالقين وهذا آخر ما قصدت ايراده فى هذا الباب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

(الباب الثالث والستون فى ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم)

ذكر المسعودى فى كتابه عن بعض العلماء أن الله سبحانه وتعالى خلق فى الارض قبل آدم ثمانى وعشرين أمة على خلق مختلفة وهى أنواع منها ذوات أجنحة وكلامهم قرقعة ومنها ماله أبدان كالاسود ورؤس كالطير ولهم شعور وأذناب وكلامهم دوى ومنها ماله وجهان واحد من قبله والآخر من خلفه وأرجل كثيرة ومنها ما يشبه نصف الانسان بيد ورجل وكلامهم مثل صياح الغرانيق ومنها ما وجهه كالآدمى وظهره كالسلحفاة وفى رأسه قرن وكلامهم مثل عوى الكلاب ومنها ماله شعر أبيض وذنب كالبقر ومنها ماله أنياب بارزة كالخناجر وآذان طوال ويقال ان هذه الامم تناكحت وتناسلت حتى صارت مائة وعشرين أمة ولم يخلق الله تعالى أفضل ولا أحسن ولا أجمل من الانسان وقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه خلق الله تعالى ألف أمة وعشرين أمة منها ستمائة فى البحر وأربعمائة وعشرون فى البر وفى الانسان من كل خلق فلذلك سخر الله له جميع الخلق واستجمعت له جميع اللذات وعمل بيده جميع الآلات وله النطق والضحك والبكاء والفكرة والفطنة واختراعات الاشياء واستنباط جميع العلوم واستخراج المعادن وعليه وقع الامر والنهى والوعد والوعيد والنعيم والعذاب واياه خاطب وله قرب وخلق الله تعالى اسرافيل عليه السلام على صورة الانسان وهو أقرب الملائكة اليه وفى الحديث لا تضربوا الوجوه فانها على صورة اسرافيل وآيات الله تعالى فى البشر أكثر من ان تحصر فتبارك الله أحسن الخالقين وقال الشيخ عبد الله صاحب كتاب تحفة الالباب دخلت الى باشقرد فرأيت قبور عاد فوجدت سن أحدهم طوله أربعة أشبار وعرضه شبران وكان عندى فى باشقرد نصف ثنية أخرجت لى من فك أحدهم الاسفل فكان نصف الثنية شبرين ووزنها ألفا ومائتى مثقال وكان دورفك ذلك العادى سبعة عشر ذراعا وطول عظم عضد أحدهم ثمانية أذرع وعرض كل ضلع من أضلاعهم ثلاثة أشبار كلوح الرخام قال ولقد رأيت فى بلغار سنة ثلاثين وخمسمائة من نسل عاد رجلا طويلا طوله أكثر من سبعة وعشرين

ذراعا كان يسمى دنتى أودبتى كان يأخذ الفرس تحت ابطه كما يأخذ الانسان الولد الصغير وكان من قوته يكسر بيده ساق الفرس ويقطع جلده وأعضاءه كما يقطع باقة البقل وكان صاحب بلغار قد اتخذ له درعا تحمل على عجلة وبيضة عادية لرأسه كأنها قطعة من جبل وكان يأخذ في يده شجرة من البلوط كالعصا لو ضرب بها الفيل لقتله وكان خيرا متواضعا كان اذا لقيني يسلم على ويرحب بي ويكرمني وكان رأسي لا يصل الى ركبته رحمة الله تعالى عليه ولم يكن في بلغار حمام يمكنه دخولها الا حمام واحدة وكانت له أخت على طوله ورأيتها مرات في بلغار وقال لى قاضي بلغار يعقوب بن النعمان ان هذه المرأة العادية قتلت زوجها وكان اسمه آدم وكان أقوى أهل بلغار قيل انها ضمته اليها فكسرت أضلاعه فمات من ساعته وروى عن وهب بن منبه في عوج بن عنق أنه كان من أحسن الناس وأجملهم الا أنه كان لا يوصف طوله قيل انه كان يخوض في الطوفان فلم يبلغ ركبتيه ويقال ان الطوفان علا على رؤس الجبال أربعين ذراعا وكان يجتاز بالمدينة فيتخطاها كما يتخطى أحدكم الجدول الصغير وعمره الله دهرا طويلا حتى أدرك موسى عليه السلام وكان جبارا في أفعاله يسير في الارض برا وبحرا ويفسد ما شاء ويقال انه لما حصر بنو اسرائيل في التيه ذهب فأتى بقطعة من جبل على قدرهم واحتملها على رأسه ليلقيها عليهم فبعث الله طيرا في منقاره حجر مدور فوضعه على الحجر الذى على رأسه فانثقب من وسطه وانخرق في عنقه وأخبر الله عز وجل نبيه موسى عليه السلام بذلك فخرج اليه وضربه بعصاه فقتله ويقال ان موسى عليه السلام كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع وقفز في الهواء عشرة أذرع وضربه فلم يصل الى عرقوبه فتبارك الله أحسن الخالقين ومن ذلك ما قيل عن أمه عنق بنت آدم عليه السلام وكانت مفردة بغير أخ وكانت مشوهة الخلقة لها رأسان وفى كل يد عشر أصابع ولكل اصبع ظفران كالمخلبين وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه هى أول من بغى في الارض وعمل الفجور وجاهر بالمعاصى واستخدم الشياطين وصرفهم في وجوه السحر وكان قد أنزل الله تعالى على آدم عليه السلام أسماء عظيمة تطيعها الشياطين وأمره أن يدفعها الى حواء لتحترز بها فغافلتها عنق وسرقتها واستخدمت بها الشياطين وتكلمت بشئ من الكهانة فدعا عليها آدم وأمنت على ذلك حواء فأرسل الله عليها أسدا أعظم من الفيل فهجم عليها وقتلها وذلك بعد ولادتها عوجا بسنتين ومن ذلك ما حكى عن بعض فقهاء الموصل انه شاهد ببلاد الاكراد الحمدية في جبل من جبال الموصل انسانا طوله تسعة أذرع وهو صبي لم يبلغ الحلم وكان يأخذ بيده الرجل القوى ويرميه خلف ظهره فأراد صاحب الموصل استخدامه فقيل له في عقله خبل فتركه وروى عن الامام الشافعي رضى الله عنه انه قال دخلت بلدة من بلاد اليمن فرأيت بها انسانا من وسطه الى أسفله بدن واحد ومن وسطه الى أعلاه بدنان مفترقان برأسين ووجهين وأربع أيد وهما يأكلان ويشربان ويقتتلان ويتلاطمان ويصطلحان قال ثم غبت عنهما قليلا ورجعت فقيل لى أحسن الله عزاءك في أحد الشقين فقلت وكيف صنع به فقيل ربط في أسفله حبل وثيق وترك حتى ذبل ثم قطع ورأيت الجسد الآخر بالسوق ذاهبا وراجعا

ومنه

ومنه ما أرسله بطارقة الارمن الى ناصر الدولة وهو رجلان فى جسد واحد فأحضر الاطباء
وسألهم عن انفصال أحدهما عن الآخر فسألوهما هل تجوعان معا وتعطشان معا قالا نعم
فقالوا انه لا يمكن فصالهما ويقال انه أحضر أباهما فسأله عن حالهما فأخبر أنهما يختصمان فى
بعض الاحيان وأنه يصلح بينهما ومن ذلك ما ذكر أنه أهدى الى أبى منصور السامانى فرس
له قرنان وثعلب له جناحان اذا قرب منه انسان نشرهما واذا ابعد الصقهما وذكر القاضى
عياض رحمه الله تعالى عليه انه ولد له مولود على أحد جنبيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول
الله وهذا لا يبعد فانه يوجد كثيرا فى السنور الدبركى وذكر أنه ولد بالقاهرة غلام له أربعة أرجل
ومثلها أيد وذكر أنه كان ببعض ولاة مصر مملوك يدعى طقطو فولاه قوص من أعمال
الصعيد فتزوج بها وولد له ولد ثم انقلب امرأة فتزوج بها وولدت ولدين وما كبش بأربعة
قرون ودجاجة بأربع أرجل وحيوان برأسين والمخرج واحد فكثير وعجائب الله تعالى
فى مصنوعاته غير متناهية فلله الحمد على ما أنعم به علينا لا نحصى ثناء عليه ومن ذلك انسان الماء
وهو حيوان يشبه الآدمى وفى بعض الاوقات يطلع ببحر الشام شيخ بلحية بيضاء ويستبشر
الناس برؤيته فى تلك السنة بالخصب ومن ذلك بنات الماء وهم أمة ببحر الروم يشبهن النساء
ذوات شعور وثدى وفروج وهن حسان ولهن كلام لا يفهم وضحك ولعب ولهن رجال من
جنسهن ويقال ان الصيادين يصطادونهن ويجامعونهن فيجدون لذة عظيمة لا توجد فى غيرهن
من النساء ثم يعيدونهن فى البحر ثانيا ويقال ان هذا الصنف يوجد بالبراس ورشيد على
ما ذكر (وحكى) عن الشيخ أبى العباس الحجازى قال حدثنى بعض التجار أنه فى سنة من السنين
خرجت اليه سمكة عظيمة فنقبوا أذنها وجعلوا فيها الحبال وأخرجوها فانفتحت أذنها فخرجت
جارية حسناء جميلة بيضاء سوداء الشعر حمراء الخدين كحلاء العينين من أحسن ما يكون من
النساء ومن سرتها الى نصف ساقيها شئ كالثوب يستر قبلها ودبرها ودائر عليها كالازار فأخذها
الرجال الى البر فصارت تلطم وجهها وتنتف شعرها وتعض يدها وتصيح كما تصيح النساء
حتى ماتت فى ايديهم فألقوها فى البحر فتبارك الله أحسن الخالقين (وحكى) القزوينى
عن بعض البحريين أن الريح ألقتهم على جزيرة ذات أشجار وأنهار فأقاموا بها مدة وكانوا
اذا جاء الليل يسمعون بها همهمة وأصواتا وضحكا ولعبا فخرج من المركب جماعة وكمنوا
فى جانب البحر فلما جاء الليل خرج بنات الماء على عادتهن فوثبوا عليهن فأخذوا منهن ثنتين
فتزوج بهما شخصان فأما أحدهما فوثق بصاحبته فأطلقها فوثبت فى البحر وأما الآخر فبقى
مع صاحبته زمانا وهو يحرسها حتى ولدت له ولدا كأنه القمر فلما طاب الهواء وركبوا البحر
وثق بها فأطلقها فأغفلته وألقت نفسها فى البحر فتأسف عليها تأسفا عظيما فلما كان بعد أيام
ظهرت من البحر ودنت من المركب وألقت لصاحبها صدفا فيه در وجوهر فباعه وصار من
التجار * ونظير هذه الحكاية ما ذكره ابن زولاق فى تاريخه أن رجلا من الاندلس من الجزيرة
الخضراء اصطاد جارية منهن حسناء الوجه سوداء الشعر حمراء الخدين نجلاء العينين كأنها
البدر ليلة التمام كاملة الاوصاف فأقامت عنده سنين وأحبها حبا شديدا وأولدها ولدا

ذكرا وبلغ من العمر أربع سنين ثم انه أراد السفر فاستصحبها معه ووثق بها فلما توسطت البحر أخذت ولدها وألقت نفسها الى البحر فكاد أن يلقى نفسه خلفها حسرة عليها فلم يمكنه أهل المركب من ذلك فلما كان بعد ثلاثة أيام ظهرت له وألقت له صدفا كثيرا فيه در ثم سلمت عليه وتركته فكان ذلك آخر العهد بها فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه وما لم نشاهده ونسمع به أكثر فسبحان القادر على كل شئ لا اله الا هو ولا معبود سواه فالعاقل يعرف الجائز والمستحيل ويعلم أن كل مقدور بالاضافة الى قدرة الله تعالى قليل واذا سمع عجبا جائزا استحسنه ولم يكذب قائله والجاهل اذا سمع ما لم يشاهده قطع بتكذيب قائله وتزييف ناقله وذلك لقلة عقله وقد وصف الله تعالى الجاهل بعدم العقل بقوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون وقد أودع الله تعالى من عجائب المصنوعات فى الآفاق والسموات مايدل عليه قوله تعالى وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فلا تكن منكرا العجائب فكل الاشياء من آياته

فيا عجبا كيف يعصى الاله * ام كيف يجحده الجاحد
وفى كل شئ له آية * تدل على أنه الواحد

ومن شاهد حجر المغناطيس وجذبه للحديد وكذلك حجر الماس الذى يعجز عن كسره الحديد ويكسره الرصاص ويثقب الياقوت والفولاذ ولا يقدر على ثقب الرصاص يعلم أن الذى أودعه هذا السر قادر على كل شئ فلا تكن مكذبا بما لا تعلم وجه حكمته فان الله تعالى قال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله قال صاحب تحفة الالباب ان فى بلاد السودان أمة لا رؤس لهم وقد ذكرهم الشعبى فى كتاب سير الملوك وذكر أن فى بلاد المغرب أمة من ولد آدم كلهم نساء ولا يعيش فى أرضهم ذكر وان هؤلاء النساء يدخلن فى ماء عندهن فيحبلن من ذلك الماء وتلد كل امرأة منهن بنتا ولا يلدن ذكرا أبدا وقيل ان ولد تبع اليمانى وصل اليهم لما أراد أن يصل الى الظلمات التى دخلها ذو القرنين وأن ولد تبع هذا كان اسمه افريقش وهو الذى بنى افريقية وسماها باسمه وانه وصل الى وادى السبت وهو واد يجرى فيه الرمل كما يجرى السيل لا يمكن أن يدخل فيه حيوان الا هلك فلما رآه استعجل الرجوع وذو القرنين لما وصل اليه أقام الى يوم السبت فسكن جريانه فعبره الى أن وصل الى الظلمات فيما يقال والله تعالى أعلم وتلك الامة التى لا رؤس لهم أعينهم فى مناكبهم وأفواههم فى صدورهم وهم كثيرون كالبهائم يتناسلون ولا مضرة على أحد منهم وأما الملك العظيم والعدل الكثير والنعم الجزيلة والسياسة الحسنة والرخاء والامن الذى لا خوف معه ففى بلاد الهند وبلاد الصين وأهل الهند أعلم الناس بعلم الطب وعلم النجوم والهندسة والصناعات العجيبة التى لا يقدر أحد سواهم على أمثالها وفى بلادهم وجزائرهم ينبت العود وشجر الكافور وجميع أنواع الطيب كالقرنفل والسنبل والدارصينى والكبابة والبسباسة وأنواع العقاقير والادوية وعندهم حيوان المسك وهو حيوان كالغزال يجتمع المسك فى سرته وعندهم حيوان الزباد وهو حيوان كالسنور يخرج منه عرق كالقطران أسود ثخين يسيل من جسده وتزيد رائحته بالتغرب بحيث تكون أذكى

من المسك الأذفر ويخرج من بلادهم أنواع اليواقيت وأكثرها في جزيرة سرنديب وعلى جبلها نزل آدم عليه السلام من الجنة فيما يقال (وحكى) أنه كان ببابل سبع مدائن كل مدينة فيها أعجوبة كان في احداها تمثال الارض فاذا التوى على الملك بعض أهل مملكته وامتنعوا عن القيام بالخراج خرق أنهارها عليهم في التمثال فلا يطيق أهل تلك الناحية سد الماء حتى يعتدلوا ومالم يسد في التمثال لا يسد في ذلك البلد وفي الثانية حوض اذا أراد الملك أن يجمعهم لطعامه أتى كل واحد بما أحب من الشراب فصبه في ذلك الحوض فاختلطت الاشربة فكل من سقى من ذلك الحوض كان شرابه الذي جاء به وفي الثالثة طبل اذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب عن أهله قرعوه فان كان حيا سمع له صوت وان كان ميتا لم يسمع له صوت وفي الرابعة مرآة اذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب نظروا فيها فأبصروه على أي حالة هو عليها كأنهم يشاهدونه وفي الخامسة اوزة من نحاس فاذا دخل الغريب صوتت الاوزة صوتا يسمعه أهل المدينة وفي السادسة قاضيان جالسان على الماء فيأتي الخصمان فيمشي المحق على الماء حتى يجلس مع القاضيين ويقع المبطل في الماء وفي السابعة شجرة ضخمة لا تظل الاساقها فان جلس تحتها أحد أظلته الى ألف شخص فاذا زادوا على الالف واحدا جلسوا في الشمس كلهم ولو بسطت المقال في ذلك لاتسع المجال وقد اقتصرت في ذلك على ما ذكرت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والستون في خلق الجان وصفاتهم)

روى عن الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب أنه قال قرأت في بعض الكتب المتقدمة المأثورة عن العلماء رحمهم الله تعالى أن الله تعالى لما أراد أن يخلق الجان خلق نار السموم وخلق من مارجها خلقا سماه جانا كما قال الله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم وقال تعالى في موضع آخر وخلق الجان من مارج من نار وقيل ان الله تعالى خلق الملائكة من نور النار والجان من لهبها والشياطين من دخانها وقد جاء في بعض الاخبار ان نوعا من الجن في قديم الزمان قبل خلق آدم عليه السلام كانوا سكانا في الارض قد طبقوها برا وبحرا سهلا وجبلا وكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة وكانوا يطيرون الى السماء ويسلمون على الملائكة ويستعلمون منهم خبر مافي السماء وكثرت نعم الله عليهم الى أن بغوا وطغوا وتركوا وصايا أنبيائهم فأرسل الله تعالى عليهم جندا من الملائكة فحصل بينهم مقتلة عظيمة وغلبوا الجن وطردوهم الى أطراف البحار وأسروا منهم أمما كثيرة وذكر المسعودي أن الفرس واليونان قالوا كان الجن بالارض قبائل منهم من يسترق السمع ومنهم من ينط مع لهب النار ومنهم من يطيروا لكل قبيلة ملك وكان من جملتهم ابليس لعنه الله ثم بعد خمسة آلاف سنة افترقوا وملكوا عليهم ملوكا وأقاموا على ذلك مدة طويلة ثم تحاسدوا على الملك وأغار بعضهم على بعض وجرت بينهم وقائع وحروب وكان ابليس لعنه الله يصعد الى السماء ويختلط بالملائكة فبعثه الله تعالى بجيوش من الملائكة فهزم الجن وقتلهم وتملك الارض مدة طويلة الى أن خلق آدم عليه السلام واتفق له معه ما اتفق وأهبط آدم الى

الارض وعظم شأنه فعند ذلك انتقل ابليس الى البحر المحيط وسكن هنالك ثم ألقى عليه قوة شهوة السفاد فهو لا يلد لكنه يلقح كالطير ويبيض ويفرخ قيل انه يخرج من كل بيضة ستون ألف شيطان فيسلطهم على الخلق وأقربهم اليه وأدناهم منه ومن مجلسه أكثرهم ايذاء للخلق وفى الحديث ان ابليس لعنه الله قال يارب أنزلتنى الى الارض وطردتنى وجعلتنى رجيما فاجعل لى مسكنا قال مسكنك الاسواق قال فاجعل لى طعاما قال مالم يذكر اسمى عليه قال فاجعل لى شرابا قال كل مسكر قال فاجعل لى مؤذنا قال المزامير قال فاجعل لى صيدا أو قال مصايد قال النساء

(فصل فى مكايده لعنه الله) منها أنه كان فى بنى اسرائيل عابد يدعى برصيصا وله جارة لها بنت فحصل لها مرض فقال له جيرانه لو حملتها الى جارك برصيصا ليدعو لها قال فجاء ابليس الى العابد وقال ان لجارك عليك حق الجوار وان له بنتا مريضة فان امرتك لو جعلتها عندك فى جانب البيت ودعوت الله لها عقب عبادتك فعسى أن تشفى من مرضها قال فلما أتاه جاره بالبنت قال له العابد دعها وانصرف قال فتركها عنده مدة حتى شفيت فجاءه ابليس ووسوس له حتى وطئها فحملت منه فلما حملت جاءه ابليس لعنه الله فقال له اقتلها لئلا تفتضح قال فقتلها ودفنها قال فعند ذلك ذهب الشيطان الى أهلها وأعلمهم بذلك فجاؤا الى العابد وكشفوا عن قضيته ثم أخذوه ومضوا ليقتلوه فعارضه ابليس اللعين فى الطريق فقال له ان سجدت لى خلصتك منهم فسجد له فعند ذلك تبرأ منه ومات الرجل كافرا اللهم اعصمنا من مكايد الشيطان برحمتك يا أرحم الراحمين ومن ذلك ما اتفق أن بنى اسرائيل اتخذوا شجرة وصاروا يعبدونها فجاء بعض عبادهم بفاس ليقطعها فعارضه ابليس لعنه الله وقال له تركت عبادتك وجئت لشئ لا يعود عليك نفعه ولم يزل به حتى تقاتل معه فصرعه العابد وجلس على صدره ثم رجع ولم يزل يعمل معه ذلك فى كل يوم الى ثلاثة أيام فلما رآه لا يرجع قال له اترك قطعها وأنا أجعل لك فى كل يوم دينارين تستعين بهما على نفقتك وعبادتك وعاهده على ذلك فرجع قال فجعل له تحت وسادته دينارين ثم دينارين ثم دينارين ثم قطع ذلك عنه فأخذ العابد الفاس وذهب الى قطع الشجرة فعارضه ابليس فى الطريق وتحاوره معه وتجاذبا فصرعه ابليس وجلس على صدره وقال له ان لم ترجع عن قطعها والا ذبحتك فقال له العابد خل عنى وأخبرنى كيف غلبتنى فقال له لما غضبت لله غلبتنى ولما غضبت لنفسك غلبتك ومنها أشياء كثيرة ليس هذا محل استيفائها قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا

(فصل فى المتشيطنة وهم أنواع كثيرة) منها الولهان يوجد فى جزائر البحار على صورة الانسان (حكى) بعض المسافرين أنه عرض لمركب وهو راكب على نعامة يريد أخذ المركب وصاح بهم صيحة عظيمة خروا منها على وجوههم وأخذ بعض من فى المركب ومنها السعلاة يحكى أن صنفا منها يتزيا بزى النساء ويتراءى للرجال (ويحكى) أن بعضهم تزوج امرأة منهن وهو لا يعلم فأقامت معه مدة وولدت منه أولادا ذكورا واناثا فلما

كان ذات ليلة صعدت معه السطح فنظرت فرأت نارا من بعد عند الجبانة فاضطربت وقالت ألم تر نيران السعالى وتغير لونها وقالت بنوك وبناتك أوصيك بهم خيرا ثم طارت ولم تعد اليه ومنها نوع يقال له المذهب يخدم العباد ومقصوده بذلك أن يعجبوا بأنفسهم (حكى) أن بعض العباد نزل صومعة يتعبد فيها فأتاه شخص بسراج وطعام فتعجب العابد من ذلك فقال له شخص بالصومعة انه المذهب يريد أن يخيل لك أن ذلك من كرامتى والله انى لاعلم انه شيطان وقال بعض الصوفية المذهب أصناف منهم من يحمل الفانوس بين يدى الشيخ ومنهم من يأتيه بالطعام والشراب وغير ذلك ومنهم من ينشد الشعر وقال بعض المسافرين أبق لى غلام فخرجت فى اثره فاذا أنا باربعة يتناشدون شعر الفرزدق وجرير قال فدنوت منهم وسلمت عليهم فقالوا ألك حاجة قلت لا فقال بعضهم تريد غلامك قلت وما أعلمك بغلامى قال كعلى بجهلك قلت أوجاهل أنا قال نعم وأحمق قال ثم غاب وأتانى بالغلام مقيدا فلما رأيته غشى على فلما أفقت قال انفخ فى يده ففعلت فانفرج القيد عنه وصرت لا أنفخ فى شئ من ذلك ولا فى وجع من الاوجاع الا برئ وخاص صاحبه ومنها نوع يقال له العفريت يختطف النساء يقال ان رجلا اختطفت ابنته فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال بعض المسافرين بينما نحن سائرون ذات ليلة اذ عرض لى قضاء الحاجة فانفردت عن رفقتى وضللت عنهم فبينما أنا سائر فى اثرهم اذ رأيت نارا عظيمة وخيمة فجئت الى جانبها واذا أنا بجارية جميلة جالسة فيها فسألتها عن حالها فقالت أنا من فزارة اختطفنى عفريت يقال له ظليم وجعلنى ههنا فهو يغيب عنى بالليل ويأتينى بالنهار فقلت لها امضى معى فقالت أهلك أنا وأنت فانه يتبعنا ويأتينا فيأخذنى ويقتلك فقلت لا يستطيع أخذك ولا قتلى ومازلت أرددها الحديث حتى رضيت فانخت لها ناقتى فركبتها وسرت بها حتى طلع الفجر فالتفت فاذا أنا بشخص عظيم مهول قد أقبل ورجلاه تخطان فى الارض فقالت ها هو قد أتانا فأنخت ناقتى وخططت حولها خطا وقرأت آيات من القرآن وتعوذت بالله العظيم فتقدم وأنشأ يقول

يا ذا الذى للحين يدعوه القدر * خل عن الحسناء رسلا ثم سر
وان تكن ذا خبرة فينا اصطبر

قال فأجبته

يا ذا الذى للحين يدعوه الحمق * خل عن الحسناء رسلا وانطلق
ما أنت فى الجن باول من عشق

قال فتبدى لى فى صورة أسد وجاذبنى وجاذبته ساعة فلم يظفر أحد منا بصاحبه فلما أيس منى قال هل لك فى جز ناصيتى أو احدى ثلاث خصال قلت وما هن قال مائتان من الابل أو أخدمك أيام حياتى أو ألف دينار الساعة وخل بينى وبين الجارية فقلت لا أبيع دينى بدنياى ولا حاجة لى بخدمتك فاذهب من حيث أتيت قال فانطلق وهو يتكلم بكلام لا أفهمه وسرت بالجارية الى أهلها وتزوجت بها وجاءنى منها أولاد وقيل لما سخر الله تعالى الجن لسليمان عليه السلام نادى جبريل عليه السلام أيها الجن والشياطين اجيبوا نبى الله سليمان بن دود باذن الله تعالى قال فخرجت الجن والشياطين من الجبال والكهوف

والغيران والاودية والفلوات والآجام وهم يقولون لبيك لبيك والملائكة تسوقهم سوق الراعي للغنم حتى حشرت بين يدي سليمان عليه السلام طائعة ذليلة وكانوا اذ ذاك أربعا وعشرين فرقة فنظر الى ألوانها فاذا هي سود وشقر ورقط وبيض وصفر وخضر وعلى صور جميع الحيوانات ومنهم من رأسه رأس الاسد وبدنه بدن الفيل ومنهم من له خرطوم وذنب ومنهم من له قرون وحوافر وغير ذلك من الانواع قال فعند ذلك تعجب نبي الله سليمان عليه السلام من هذه الاشكال وسجد شكرا لله تعالى وقال الهي ألبسني هيبة من عندك وجعل يسألهم عن طباعهم وعن طعامهم وشرابهم وهم يجيبونه ثم فرقهم في الصنائع من قطع الصخور والاحجار والاشجار والغوص في البحار وأبنية الحصون وفي استخراج المعادن والجواهر قال الله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ولنكتف من ذلك بهذا القدر اليسير والله المسؤل في تيسير كل عسير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الخامس والستون في ذكر البحار وما فيها من العجائب وذكر الانهار والآبار وفيه فصول

(الفصل الاول في ذكر البحار) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لما أراد الله تعالى أن يخلق الماء خلق ياقوتة خضراء لا يعلم طولها وعرضها الا الله سبحانه وتعالى ثم نظر اليها بعين الهيبة فذابت وصارت ماء فاضطرب الماء فخلق الريح ووضع عليها الماء ثم خلق العرش ووضعه على متن الماء وعليه قوله تعالى وكان عرشه على الماء واعلم أن بحر الظلمات لا يدخله شمس ولا قمر وأن بحر الهند خليج منه وبحر اللاذقية خليج منه وبحر الصين خليج منه وبحر الروم خليج منه وبحر فارس خليج منه وكل هذه البحار التي ذكرتها أصلها من البحر الاسود الذي يقال له البحر المحيط وأما بحر الخزر وبحر خوارزم وبحر أرمينية والبحر الذي عند مدينة النحاس وغير ذلك من البحار الصغار فهي منقطعة عن البحر الاسود ولذلك ليس فيها جزر ولا مد وقيل سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الجزر والمد فقال هو ملك عال قائم بين البحرين ان وضع رجله في البحر حصل له المد واذا رفعها حصل له الجزر وقيل انما سمي البحر الاسود لان ماءه في رأي العين كالحبر الاسود فان أخذ منه الانسان في يده شيأ رآه أبيض صافيا الا أنه أمر من الصبر مالح شديد الملوحة فاذا صار ذلك الماء في بحر الروم تراه أخضر كالزنجار والله تعالى يعلم لاي شيء ذلك وكذلك يرى في بحر الهند خليج أحمر كالدم وبحر أصفر كالذهب وخليج أبيض كاللبن تتغير هذه الالوان في هذه المواضع والماء في نفسه أبيض صاف وقيل ان تغير الماء بلون الارض * وأما ما يخرج من البحر من السمك وغيره فقد روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ساحل البحر وأمر علينا أبا عبيدة رضي الله عنه نتلقى عير قريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة نمصها ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا الى الليل فأشرفنا على ساحل البحر فرأينا شيأ كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فاذا هو دابة من دواب البحر تدعى العنبر فأقمنا شهرا نأكل منها

ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد رأيتنا نغترف من الدهن الذى فى وقب عينيها بالقلال ونقطع منه
القطعة كالثور ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم فى وقب عينها وأخذ ضلعا
من أضلاعها فأقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمها فلما قدمنا المدينة
ذكرنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شئ من
لحمها فتطعمونا فأرسلنا اليه منه فأكله وقيل يخرج من البحر سمكة عظيمة فتتبعها سمكة أخرى
أعظم منها لتأكلها فتهرب منها الى مجمع البحرين فتتبعها فيضيق عليها مجمع البحرين لعظمها
وكبرها فترجع الى البحر الاسود وعرض مجمع البحرين مائة فرسخ فتبارك الله رب العالمين وقال
صاحب تحفة الالباب ركبت فى سفينة مع جماعة فدخلنا الى مجمع البحرين فخرجت سمكة عظيمة
مثل الجبل العظيم فصاحت صيحة عظيمة لم أسمع قط أهول منها ولا أقوى فكاد قلبى ينخلع
وسقطت على وجهى أنا وغيرى ثم ألقت السمكة نفسها فى البحر فاضطرب البحر اضطرابا شديدا
وعظمت أمواجه وخفنا الغرق فنجانا الله بفضله وسمعت الملاحين يقولون هذه سمكة تعرف
بالبغل قال ورأيت فى البحر سمكة كالجبل العظيم ومن رأسها الى ذنبها عظام سود كاسنان
المنشار كل عظم أطول من ذراعين وكان بيننا وبينها فى البحر أكثر من فرسخ فسمعت الملاحين
يقولون هذه السمكة تعرف بالمنشار اذا صادفت أسفل السفينة قصمتها نصفين ولقد سمعت أنا
من يقول ان جماعة ركبوا سفينة فى البحر فأرسوا على جزيرة فخرجوا الى تلك الجزيرة
فغسلوا ثيابهم واستراحوا ثم أوقدوا نارا ليطبخوا فتحركت الجزيرة وطلبت البحر واذا بها
سمكة فسبحان القادر على كل شئ لا اله الا هو ولا معبود سواه وقيل ان فى البحر سمكة تعرف
بالمنارة لطولها يقال انها تخرج من البحر الى جانب السفينة فتلقى نفسها عليها فتحطمها
وتهلك من فيها فاذا أحس بها أهل السفينة صاحوا وكبروا وضجوا وضربوا الطبول ونقروا
الطسوت والسطول والاخشاب لانها اذا سمعت تلك الاصوات ربما صرفها الله تعالى عنهم
بفضله ورحمته وقال الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب كنت يوما فى البحر على صخرة فاذا
أنا بذنب حية صفراء منقطة بسواد طولها مقدار باع فطلبت أن تقبض على رجلى فتباعدت
عنها فاخرجت رأسها كأنه رأس أرنب من تحت تلك الصخرة فسللت خنجرا كبيرا كان
معى فطعنت به رأسها فغار فيه فلم أقدر على خلاصه منها فأمسكت نصابه بيدى جميعا
وجعلت أجره حتى ألصقتها بباب الجحر فتحركت الجحر وخرجت من تحت الصخرة فاذا
هى خمس حيات فى رأس واحد فتعجبت من ذلك وسألت من كان هناك عن اسم هذه
الحية فقال هذه تعرف بام الحيات وذكروا أنها تقبض على الآدمى فى الماء فتمسكه حتى
يموت وتأكله وأنها تعظم حتى تكون كل حية أكثر من عشرين ذراعا وانها تقلب الزوارق
وتأكل من قدرت عليه من أصحابها وان جلدها أرق من جلد البصل ولا يؤثر فيها الحديد
شيأ قال ورأيت مرة فى البحر صخرة عليها شئ كثير من النارنج الاحمر الطرى الذى كأنه
قطع من شجره فقلت فى نفسى هذا قد وقع من بعض السفن فذهبت اليه فقبضت منه نارنجة
فاذا هى ملتصقة بالحجر فجذبتها فاذا هى حيوان يتحرك ويضطرب فى يدى فلففت يدى بكم ثوبى

وقبضت عليه وعصرته فخرج من فيه مياه كثيرة وضمر فلم أقدر أن أقلعه من مكانه فتركته عجزا عنه وهو من عجائب خلق الله تعالى وليس له عين ولا جارحة الا الفم والله سبحانه وتعالى أعلم لاى شئ يصلح ذلك قال ولقد رأيت يوما على جانب البحر عنقود عنب أسود كبيرا لحب أخضر العرجون كأنما قطف من كرمه فاخذته وكان ذلك فى أيام الشتاء وليس فى تلك الارض التى كنت فيها عنب فرمت ان آكل منه فقبضت على حبة منه وجذبتها فلم أقدر أن أقلعها من العنقود حتى كأنها من الحديد قوة وصلابة فجذبتها جذبة أقوى من الاولى فانقشرت قشرة من تلك الحبة كتقشر العنب وفى داخلها عجم كعجم العنب فسألت عن ذلك فقيل لى هذا من عنب البحر ورائحته كرائحة السمك وفى البحر أيضا حيوان رأسه يشبه رأس العجل وله أنياب كأنياب السباع وجلده له شعر كشعر العجل وله عنق وصدر وبطن وله رجلان كرجلى الضفدع وليس له يدان يعرف بالسمك اليهودى وذلك انه اذا غابت الشمس ليلة السبت يخرج من البحر ويلقى نفسه فى البر ولا يتحرك ولا يأكل ولو قتل ولا يدخل البحر حتى تغيب الشمس ليلة الاحد فحينئذ يدخل البحر ولا تلحقه السفن لخفته وقوته وجلده يتخذ منه نعال لاصحاب النقرس فلا يجد له ألما ما دام ذلك الجلد عليه وهو من العجائب وقيل ان فى بحر الروم سمكا طويلا طول السمكة مائة ذراع وأكثر وله أنياب كأنياب الفيل تؤخذ وتباع فى بلاد الروم وتحمل الى سائر البلاد وهى أحسن وأقوى من أنياب الفيل واذا شق الناب منها يظهر فيه نقوش عجيبة ويسمونه الجوهر ويتخذون منه نصبا للسكاكين وهو مع قوته وحسن لونه ثقيل الوزن كالرصاص وفى البحر أيضا سمك يسمى الرعاد اذا دخل فى شبكة فكل من جر تلك الشبكة أو وضع يده عليها أو على حبل من حبالها تأخذه الرعدة حتى لا يملك من نفسه شيأ كما يرعد صاحب الحمى فاذا رفع يده زالت عنه الرعدة فان أعادها عادت اليه الرعدة وهذا أيضا من العجائب فسبحان الله جلت قدرته وقال صاحب تحفة الالباب حدثنى الشيخ أبو العباس الحجازى قال حدثنى رجل يعرف بالهارونى من ولد هرون الرشيد أنه ركب سفينة فى بحر الهند فرأى طاوسا قد خرج من البحر احسن من طاوس البر وأجمل ألوانا قال فكبر ناحسنه فجعل يسبح وينظر لنفسه وينشر أجنحته وينظر الى ذنبه ساعة ثم غاص فى البحر وفى البحر دابة يقال لها الدرفين تنجى الغريق لانها تدنو منه حتى يضع يده على ظهرها فيستعين بالاتكاء عليها ويتعلق بها فتسبح به حتى ينجيه الله بقدرته فسبحان من دبر هذا التدبير اللطيف واحكم هذه الحكمة البالغة وزعموا ان السمك يحب نحو الغناء والصوت الحسن ويصبو لسماعه وربما قيل ان بعض الصيادين يحفرون فى البحر حفائر ثم يجلسون فيضربون بالمعازف وآلات الطرب فيجتمع السمك ويقع فى تلك الحفائر وقيل ان الدرفين وانواع السمك اذا سمعت صوت الرعد هربت الى قعر البحر وقيل ان خيل البحر توجد بنيل مصر وهى صفة خيل البر وقيل انها تأكل التماسيح وربما خرجت فرعت الزرع واذا رأى أهل مصر أثر حوافرها حكموا ان ماء النيل ينتهى فى طلوعه الى ذلك المكان وقيل ان فى البحر المحيط شيأ يتراءى كالحصون فيرتفع على وجه الماء ويظهر منه صور كثيرة ويغيب ومن عجيب ما حكى ان فيه جزيرة فيها ثلاث مدن عامرة وهى

كثيرة الامطار وأهلها يحصدون زرعها قبل جفافه لقلة طلوع الشمس عندهم ويجعلونه في بيت ويوقدون حوله النيران حتى يجف وعجائبه لا تحصى ولا يمكن حصرها ويقال ان الاسكندر لما سار الى بحر الظلمات مرّ بجزيرة بها أمة رؤسهم مثل رؤس الكلاب يخرج من أفواههم مثل لهب النار وخرجوا الى مراكبه وحاربوه ثم تخلص منهم وسار فرأى صورا متلونة بألوان شتى وسمكا طوله مائة ذراع وأكثر وأقل فسبحان الله تعالى ما أكثر عجائب خلقه ويقال انه مرّ في بعض الجزائر على قصر مصنوع من البلور على قلعة محكمة البناء وحولها قناديل لا تطفأ ومن جزائر البحر جزيرة القمر يقال ان بها شجرا طول الشجرة مائتا ذراع ودور ساقها مائة وعشرون ذراعا وبها طوائف من السودان عرايا الابدان يلتحفون بورق الشجر وهو ورق يشبه ورق الموز لكنه أسمك وأعرض وأنعم ويقال ان هذه الجزيرة بالقرب من نيل مصر وان هذه الامة التي بها يتمذهبون بمذهب الامام الشافعي رضي الله عنه وهم في غاية اللطافة من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالقرب منهم معدن الذهب والياقوت وبها الفيلة البيض وحيوانات مختلفة الاشكال من الوحوش وغيرها وبها العود القماري والابنوس والطواويس وبها مدن كثيرة ومنها جزيرة الواق خلف جبل يقال له اصطفيون داخل البحر الجنوبي ويقال ان هذه الجزيرة كانت ملكتها امرأة وان بعض المسافرين وصل اليها ودخلها ورأى هذه الملكة وهي جالسة على سرير وعلى رأسها تاج من ذهب وحولها أربعمائة وصيفة كلهن أبكار وفي هذه الجزيرة من العجائب شجر يشبه شجر الجوز وخيار الشنبر ويحمل حملا كهيئة الانسان فاذا انتهى سمع له تصويت ينهم منه واق واق ثم يسقط وهذه الجزيرة كثيرة الذهب حتى قيل ان سلاسل خيلهم ومقاود كلابهم وأطواقها من الذهب ومنها جزيرة الصين يقال ان بها ثلثمائة مدينة ونيفا سوى القرى والاطراف وأبوابها اثنا عشر بابا وهي جبال في البحر بين كل جبلين فرجة وهذه الجبال تمر بها المراكب مسيرة سبعة أيام واذا جاوزت السفينة الابواب سارت في ماء عذب حتى تصل الى الموضع الذي تريده وفيها من الاودية والاشجار والانهار ما لا يمكن وصفه فتبارك الله رب العالمين وقيل ان الاسكندر لما فرغ من بناء سدّه حمد الله تعالى واثنى عليه ثم نام واذا بحيوان عظيم صعد من البحر الى أن علا وسد الافق فظن من حول الملك انه يريد ابتلاعهم ففزعوا فانتبه فقال ما لكم فقالوا له انظر ما حل بنا فقال ما كان الله ليأخذ نفسا قبل انقضاء أجلها وقد منعني من العدو فلا يسلط علىّ حيوانا من البحر قال فاذا بالحيوان قد دنا من الملك وقال أيها الملك أنا حيوان من هذا البحر وقد رأيت هذا السد بني وخرب سبع مرات ولم يزد على ذلك ثم غاب في البحر فتبارك من له هذا الملك العظيم لا اله الا هو العزيز الحكيم وقيل ان بجزيرة القسناس باليمن مدينة بين جبلين وليس لها ما يدخل فيها الا من المطر وطولها نحو ستة فراسخ وهي حصينة ذات كروم ونخيل وأشجار وغير ذلك واذا أراد انسان الدخول فيها حثى في وجهه التراب فان أبي الا الدخول خنق أو صرع وقيل انها معمورة بالجان وقيل بخلق من القسناس ويقال انهم من بقايا عاد الذين أهلكهم الله بالريح العقيم وكل واحد منهم شق انسان ونقل

عن بعض المسافرين انه قال بينما نحن سائرون اذ أقبل علينا الليل فبتنا بواد فلما أصبح الصباح سمعنا قائلا يقول من الشجرة يا أبا بجير الصبح قد أسفر والليل قد أدبر والقناص قد حضر فالحذر الحذر قال فلما ارتفع النهار أرسلنا كلبين كانا معنا نحو الشجرة فسمعت صوتا يقول ناشدتك قال فقلت لرفيقي دعهما قال فلما وثقلمنا نزلاها ربين فتبعهما الكلبان وجدا في الجري فأمسكا شخصا منهما قال فأدركناه وهو يقول

الويل لي مما به دهاني * دهري من الهموم والاحزان
قفا قليلا أيها الكلبان * الى متى الى تجريان *

قال فأخذناه ورجعنا فذبحه رفيقي وشواه فعفته ولم آكل منه شيأ فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه لا اله الا هو ولا معبود سواه

(الفصل الثاني في ذكر الانهار والآبار والعيون) قال الله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض قال المفسرون هو المطر ومعنى سلكه أدخله في الارض وجعله عيونا ومسايل ومجاري كالعروق في الجسد فمن الانهار ما هو من الامطار المجتمعة ولهذا ينقطع عند فراغ مادته ومنها ما ينبع من الارض وأطول ما يكون من الانهار ألف فرسخ وأقصره عشرة فراسخ الى اثنين وثلاثة وبين ذلك وكلها تبتدئ من الجبال وتنتهي الى البحار والبطائح وفي ممرها تسقي المدن والقرى وما فضل منها ينصب في البحر الملح ويختلط به ولا يمكن استيفاء عددها لكنا نشير الى بعضها فنقول * النيل المبارك ليس في الانهار أطول منه لانه مسيرة شهرين في بلاد الاسلام وشهرين في بلاد النوبة وأربعة في الخراب وقيل ان مسافته من منبعه الى أن ينصب في البحر الرومي ألف وسبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخا قال ذلك صاحب مباهج الفكر ومناهج العبر واختلف في زيادته فقيل ان الانهار والعيون تمده في الوقت الذي يريده الله تعالى وفي الحديث انه من أنهار الجنة وقال أهل الاثر ان الانهار التي من الجنة تخرج من أصل واحد من قبة في أرض الذهب ثم تمر بالبحر المحيط وتشق فيه قالوا ولولا ذلك لكانت أحلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور * نهر الفرات يوجد بأرض أرمينية فضائله كثيرة والنيل أصدق حلاوة منه وبه من السمك الابيض ما تكون الواحدة قنطارا بالدمشقي وطول هذا النهر من حين يخرج من عند ملطية الى أن يأتي الى بغداد ستمائة وثلاثون فرسخا وفي وسطه مدن وجزائر تعد من أعمال الفرات * جيحون نهر عظيم تتصل به أنهار كثيرة ويمر على مدن كثيرة حتى يصل الى خوارزم ولا ينتفع به شيء من البلاد سوى خوارزم لانها مستفلة عنه ثم ينصب في بحيرة بينها وبين خوارزم ستة أيام وهو يجمد في الشتاء خمسة أشهر والماء يجري من تحت الجمد فيحفر أهل خوارزم منه لهم أماكن ليستقوا منها واذا اشتد جموده مروا عليه بالقوافل والعجل المحملة ولا يبقى بينه وبين الارض فرق ويعلوه التراب ويبقى على ذلك شهرين * سيحون نهر عظيم قيل ان مبدأه من حدود الترك ويجري حتى يتصل ببلاد الفرغانة وربما يجتمع مع جيحون في بعض الاماكن * الدجلة نهر بغداد وله أسماء غير ذلك وماؤه أعذب المياه بعد النيل وأكثرها نفعا قيل مقداره ثلثمائة فرسخ وفي بعض

الاوقات يفيض حتى قيل انه يخشى على بغداد الغرق منه وهو نهر مبارك كثيرا ما ينجو غريقه (حكى) أنه وجد به غريق فيه الروح فلما أفاق سألوه عن حاله فأخبرهم أنه لما غلب على نفسه رأى كأن أحدا يحمله ويصعد به وروى فى الاثر أن الله تعالى أمر دانيال عليه السلام أن يحفر لعباده ما يسقون منه وينتفعون به فكان كلما مر بأرض ناشده أهلها أن يحفر ذلك عندهم الى أن حفر دجلة والفرات * وأما الانهار الصغار فكثيرة ولكنا نذكر منها طرفا فنقول * نهر حصن المهدى قال صاحب تحفة الالباب انه بين البصرة والاهواز وانه يرتفع منه فى بعض الاوقات شئ يشبه صورة الفيل ولا يعرف أحد شأنه * نهر اذربيجان قيل ان بالقرب منه نهرا يجرى فيه الماء سنة ثم ينقطع ثمان سنين ثم يعود فى التاسعة وقيل انه ينعقد حجرا ويستعمل منه اللبن ويبنى به وقيل ان فى تلك الارض بحيرة تجف فلا يوجد فيها ماء ولا سمك ولا طين سبع سنين ثم يعود الماء والسمك والطين فتبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير * نهر صقلاب يجرى فيه الماء يوما واحدا فى كل أسبوع ثم ينقطع ستة أيام * نهر العاصى بأرض حماة وقيل بحمص وهو نهر معروف وفيه يقول بعضهم

مدينة حمص كعبة القصف أصبحت * يطوف بها الدانى ويسعى لها القاصى
بها روضة من حسنها استندست * تعلق فى أكناف أذيالها العاصى

* نهر العمود بأرض الهند عليه شجرة نابتة من حديد وقيل من نحاس وتحتها عمود من نحاس وقيل من حديد طوله من فوق الماء نحو عشرة أذرع وعرضه ذراع وعلى رأسه ثلاث شعب مسنونة محدودة وعنده رجل يقرأ كتاب الله ويقول يا عظيم البركة طوبى لمن صعد هذه الشجرة وألقى بنفسه على هذا العمود فيدخل الجنة وقال أهل تلك الناحية من يريد ذلك فيصعد على تلك الشجرة ويلقى نفسه فيتقطع * نهر باليمن قال صاحب تحفة الالباب انه عند طلوع الشمس يجرى من المشرق الى المغرب وعند غروبها يجرى من المغرب الى المشرق * نهر ببلاد الحبشة والسودان يجرى الى المشرق يشبه النيل فى زيادته ونقصانه وأرضه بها الخصب والبركة وبها شجر كالاراك يحمل ثمرا كالبطيخ داخله شئ يشبه القند فى الحلاوة لكن فيه بعض حموضة وهذا النهر يجرى فى بلادهم ثمانية أشهر ثم ينصب فى البحر المحيط فسبحان من دبر هذا التدبير وأحكم هذه الصنعة لا اله الا هو الحكيم الخبير

(الفصل الثالث فى ذكر الآبار) قال مجاهد كنت أحب أن أرى كل شئ غريب فسمعت أن ببابل بئر هاروت وماروت فسرت اليها فلما وصلت الى ذلك المكان وجدت عنده بيوتا فدخلت فى بعضها فوجدت شخصا فسلمت عليه فرحب بى وسألنى عن حاجتى فذكرت له غرضى فأمر يهوديا يذهب معى فيوقفنى على البئر ويطلعنى على الملكين قال فسرنا الى البئر ففتح سردابا ونزلنا فامرنى أن لا أذكر اسم الله تعالى قال فلما رأيت الملكين رأيت شيأ كالجبلين العظيمين منكسين على رؤسهما وعليهما الحديد من أعناقهما الى ركبهما قال مجاهد فلما رأيت ذلك ذكرت الله تعالى قال فاضطربا اضطرابا شديدا حتى كادا يقطعان السلاسل قال ففر اليهودى فتعلقت به فقال أما أمرتك أن لا تذكر اسم الله تعالى كدنا والله نهلك * بئر برهوت بقرب حضرموت وهى التى قال النبى صلى الله عليه وسلم انها تجمع أرواح الكفار

قال علي كرم الله وجهه أبغض البقاع الى الله تعالى بئر برهوت ماؤها أسود منتن تأوى اليها أرواح الكفار والموكل بها ملك يسمى دومة * بئر عسفان ماؤها يستشفى به قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما كنا نغسل المريض منها فيعافى وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ منها * بئر معروفة بأرض حلب خاصيتها أنها اذا شرب منها المكلوب زال كلبه مالم يجاوز الاربعين * وبنيسابور آبار كثيرة وهي معادن الفيروزج وانما يمنع الناس عنها كثرة عقاربها * وبأرض فارس بئر ينبع منها ماء في وقت من السنة فيرتفع على وجه الارض لمحة واحدة ويجرى فينتفع به في سقي الزرع ثم يعود الى ما كان وعجائب الله كثيرة لا تكاد تنحصر لا اله الا هو ولا معبود سواه

الباب السادس والستون في ذكر عجائب الارض ومافيها من الجبال والبلدان وغرائب البنيان وفيه فصول

(الفصل الاول في ذكر الارض ومافيها من العمران والخراب) روى وهب بن منبه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران في الخراب الا كخردلة في كف أحدكم وقال رواة الاثر ان الله عز وجل دابة في مرج من مروجه في غامض علمه رزقها في كل يوم بقدر رزق العالم بأسره وجميع مدائن الدنيا أربعة آلاف مدينة وخمسمائة وست وخمسون مدينة وقيل غير ذلك وأقاليم الارض سبعة الاقليم الاول الهند الثاني الحجاز الثالث اقليم مصر الرابع اقليم بابل الخامس اقليم الروم والشام السادس اقليم الترك السابع اقليم الصين وأوسط الاقاليم اقليم بابل وهو أعمرها وفيه جزيرة العرب وفيه العراق الذي هو سرة الدنيا وبغداد في وسط هذا الاقليم فلاعتداله اعتدلت ألوان أهله فسلموا من شقرة الروم وسواد الحبشة وغلظ الترك وجفاء أهل الجبال ودمامة أهل الصين والممالك المشهورة التي ضبطت عدتها في زمن المأمون ثلثمائة وثلاث وأربعون مملكة أوسعها ثلاثة أشهر وأضيقها ثلاثة أيام وقال أهل الهيئة انه يكون عند خط الاستواء ربيعان وصيفان وخريفان وشتاآن في سنة واحدة وانه يكون في بعض البلاد ستة أشهر ليل وستة أشهر نهار وبعضها حر وبعضها برد فسبحان من خلق كل شئ فأتقنه لا اله الا هو ولا معبود سواه

(الفصل الثاني في ذكر الجبال) قيل ان الله تعالى لما خلق الارض ماجت واضطربت فخلق الجبال وأرساها بها فاستقرت ومجموع ماعرف بالاقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلا فمنها ماطوله عشرون فرسخا ومنها ماطوله مائة فرسخ الى ألف فرسخ ولنذكر منها ماهو مشهور معروف بين الناس فمن أعجبها (جبل سرنديب) وطوله مائتان ونيف وستون ميلا وفيه أثر قدم آدم عليه السلام حين أهبط وحوله الياقوت وفي أوديته الماس الذي يقطع به الصخور ويثقب به اللؤلؤ وفيه العود والفلفل ودابة المسك ودابة الزباد (جبل الروم) الذي فيه السد طوله سبعمائة فرسخ وينتهي الى بحر الظلمات (جبل أبي قبيس) سمي بذلك لان آدم عليه السلام كان بذلك حين اقتبس

منه النار التى بين أيدى الناس وقيل غير ذلك (جبل القدس) جبل شريف مبارك فيه غار يضىء بالليل من غير سراج و يزوره الناس (جبل اروند) بهمذان برأسه عين تخرج من صخرة أياما معدودة فى السنة تقصد من كل وجه يستشفى بها (جبل بالشام) لونه أسود كالفحم وترابه أبيض تبيض به الثياب (جبل الاندلس) فيه غار اذا دهنت فتيلة وأدخلتها فيه أوقدت وبها جبل به عينان احداهما باردة والاخرى حارة والمسافة التى بينهما مقدار شبر وجبل به معدن الكبريت والزئبق والزنجفر (جبل سمرقند) يقطر منه ماء فى الصيف يصير جلدا وفى الشتاء يحرق من حرارته (جبل الصور) بكرمان يكسر حجره فيخرج منه كصور الآدميين قائمين وقاعدين ومضطجعين واذا سحق وطرح فى الماء يرى كذلك (جبل الارجان) بطبرستان يقطر منه ماء كل قطرة تصير حجرا مسدسا أو مثمنا (جبل هرمز) ينزل منه ماء الى وهدة فان صاح انسان صيحة وقف فان نى جرى (جبل الطير) باقليم الصعيد يجتمع عنده الطير فى كل سنة مرة ويدخل فى كوة هناك فتمسك الكوة على واحدة وتطير البقية ويكون ذلك علامة الخصب فى تلك السنة ولنقتصر على ذلك ومن أراد الوقوف على جميعها فعليه بتاريخ مرآة الزمان

(الفصل الثالث فى ذكر المبانى العظيمة وغرائبها وعجائبها) قال أهل التواريخ ونقلة الاخبار ان أول بناء بنى على وجه الارض الصرح الذى بناه نمروذ الاكبر بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام وبقعته بكوثى من أرض بابل و به الى عصرنا أثر ذلك البناء كأنه جبال شاهقات قالوا وكان طوله خمسة آلاف ذراع بناه بالحجارة والرصاص والشمع واللبان ليمتنع هو وقومه من طوفان ثان فأخرب الله تعالى ذلك الصرح فى ليلة واحدة بصيحة فتبلبلت بها ألسنة الناس فسميت أرض بابل (ارم ذات العماد) التى لم يخلق مثلها فى البلاد (حكى) الشعبى فى كتاب سير الملوك أن شداد بن عاد ملك جميع الدنيا وكان قومه قوم عاد الاولى زادهم الله بسطة فى الاجسام وقوة حتى قالوا من أشد منا قوة قال الله تعالى أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وأن الله تعالى بعث اليهم هودا نبيا عليه السلام فدعاهم الى الله تعالى فقال له شداد ان آمنت بالهك فماذا لى عنده قال يعطيك فى الآخرة جنة مبنية من ذهب و يواقيت ولؤلؤ وجميع أنواع الجواهر قال شداد أنا أبنى مثل هذه الجنة ولا أحتاج الى ما تعدنى به قال فأمر شداد ألف أمير من جبابرة قوم عاد أن يخرجوا و يطلبوا أرضا واسعة كثيرة الماء طيبة الهواء بعيدة من الجبال ليبنى فيها مدينة من ذهب قال فخرج أولئك الامراء ومع كل أمير ألف رجل من خدمه وحشمه فساروا فى الارض حتى وصلوا الى جبل عدن فرأوا هناك أرضا واسعة طيبة الهواء فأعجبتهم تلك الارض فأمروا المهندسين والبنائين فخطوا مدينة مربعة الجوانب دورها أربعون فرسخا من كل جهة عشرة فراسخ فحفروا الاساس الى الماء وبنوا الجدران بحجارة الجزع اليمانى حتى ظهر على وجه الارض ثم أحاطوا به سورا ارتفاعه خمسمائة ذراع وغشوه بصفائح الفضة المموهة بالذهب فلا يكاد يدركه البصر اذا أشرقت الشمس وكان شداد قد بعث الى جميع معادن الدنيا فاستخرج منها الذهب واتخذه لبنا ولم يترك فى يد أحد من الناس فى جميع الدنيا شيأ

من الذهب الاغصبه واستخرج الكنوز المدفونة ثم بنى داخل المدينة مائة ألف قصر بعدد
رؤساء مملكته كل قصر على عمد من أنواع الزبرجد واليواقيت معقودة بالذهب طول كل
عمود مائة ذراع وأجرى فى وسطها أنهارا وعمل منها جداول لتلك القصور والمنازل وجعل
حصاها من الذهب والجواهر واليواقيت وحلى قصورها بصفائح الذهب والفضة وجعل على
حافات الانهار أنواع الاشجار جذوعها من الذهب وأوراقها وثمرها من أنواع الزبرجد
واليواقيت واللآلى وطلى حيطانها بالمسك والعنبر وجعل فيها جنة مزخرفة له وجعل أشجارها
الزمرذ واليواقيت وسائر أنواع المعادن ونصب عليها أنواع الطيور المسموعة الصادح والمغرد
وغير ذلك ثم بنى حول المدينة مائة ألف منارة برسم الحراس الذين يحرسون المدينة فلما كمل
بناؤها أمر فى مشارق الارض ومغاربها أن يتخذوا فى البلاد بسطا وستورا وفرشا من أنواع
الحرير لتلك القصور والغرف وأمر باتخاذ أوانى الذهب والفضة فاتخذوا جميع ما أمر به فلما
فرغوا من ذلك جميعه خرج شداد من حضرموت فى أهل مملكته وقصد مدينة ارم ذات العماد
فلما أشرف عليها ورآها قال قد وصلت الى ما كان هود يعدنى به بعد الموت وقد حصلت عليه
فى الدنيا فلما أراد دخولها أمر الله تعالى ملكا فصاح بهم صيحة الغضب وقبض ملك الموت
أرواحهم فى طرفة عين فخروا على وجوههم صرعى قال الله تعالى وأنه أهلك عادا الاولى وذلك
قبل هلاك عاد بالريح العقيم وأخفى الله تعالى تلك المدينة عن أعين الناس فكانوا يرون بالليل
فى تلك البرية التى بنيت فيها معادن الذهب والفضة واليواقيت تضىء كالمصابيح فاذا وصلوا
اليها لم يجدوا هنالك شيا وقد نقل أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له
عبد الله بن قلابة الانصارى دخل اليها وذلك أنه ضلت له ابل فخرج فى طلبها فوصل اليها فلما
رآها دهش وبهت ورأى ما أذهله وحيره وقال فى نفسه هذه تشبه الجنة التى وعد الله بها
عباده المتقين فى الآخرة فقصد بابا من أبوابها فلما وصل اليه أناخ راحلته ودخل المدينة
فرأى تلك القصور والانهار والاشجار ولم ير فى المدينة أحدا فقال أرجع الى معاوية
وأخبره بهذه المدينة وما فيها ثم حمل معه شيأ من تلك الجواهر واليواقيت فى وعاء وجعله
على راحلته وعلم على المدينة علامة وقال قربها من جبل عدن كذا ومن الجهة الفلانية
كذا ثم انصرف عنها بعدما ظفر بابله ثم دخل على معاوية رضى الله تعالى عنه بدمشق
وأخبره بجميع ما رآه فقال له معاوية فى اليقظة رأيتها أم فى المنام قال بل فى اليقظة
وقد حملت معى من حصبائها وأخرج له شيأ مما حمله من الجواهر واليواقيت فتعجب
معاوية من ذلك ثم أرسل الى كعب الاحبار رضى الله عنه فلما دخل عليه قال له معاوية
يا أبا اسحق هل بلغك ان فى الدنيا مدينة من ذهب قال نعم يا أمير المؤمنين وقد ذكرها الله عز
وجل فى القرآن لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله عز من قائل ألم تر كيف فعل ربك بعاد
ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وقد أخفاها الله تعالى عن أعين الناس وسيدخلها
رجل من هذه الامة يقال له عبد الله بن قلابة الانصارى ثم التفت فرأى عبد الله بن
قلابة فقال هاهو يا أمير المؤمنين وصفته واسمه فى التوراة ولا يدخلها أحد بعده الى يوم

القيامة

القيامة وقيل ان ذلك كان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وان الرجل الذى دخلها حكى ذلك لعمر بن الخطاب فلم ينكره ولا من كان حاضرا بل قال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخلها بعض أمتى والله تعالى أعلم (ومن المبانى العجيبة الخورنق) الذى بناه النعمان بن امرئ القيس وهو النعمان الاكبر بناه فى عشرين سنة فلما انتهى أعجبه فخشى أن يبنى لغيره مثله فأمر أن يلقى بانيه من اعلاه فألقوه فتقطع واسم بانيه سنمار فصارت العرب تضرب به المثل يقولون جزاه جزاء سنمار قال الشاعر

جازى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وحسن فعل كما يجزى سنمار

ومن المبانى العجيبة (حائط العجوز) واسمها دلوك القبطية وسبب بنائها لذلك أنها ولدت ولدا وأخذت له الرصد فقيل لها يخشى عليه من التمساح فلما شب الغلام خافت عليه فبنت الحائط وجعلته من العريش الى أسوان شاملا لكورة مصر من الجانب الشرقى وقيل بنته خوفا على مصر وأهلها بعد غرق فرعون أن يطمع الملوك فيها وقد قيل انها أرادت أن تخوف ولدها من التمساح حتى لا ينزل البحر فصورت له صورة التمساح فرآه شكلا مهولا فأذهله وأخذه الفزع والهم فضعف وانسل الى أن مات لامرد من قضاء الله تعالى ومن المبانى العجيبة (الاهرام) وهى بالجانب الغربى من مصر مشاهدة فى زماننا هذا قيل ان دور الهرم الاكبر من الثلاثة ألفا ذراع من كل جهة خمسمائة ذراع وعلوه خمسمائة ذراع وقد ذهب المأمون الى مصر حتى شاهدها على ماذكر وفتح منها هرما وتعجب من بنيانها وصفتها قيل ان كل حجر من حجارتها ثلاثون ذراعا فى عرض عشرة أذرع وقد أحكم الصانع نحته وتسويته ولا يقدر النجار الصانع أن يتخذ من خشب صندوقا صغيرا على احكامه وهى من عجائب الدنيا قال بعضهم

أين الذى الهرمان من بنيانه * ماقومه مايومه ما المصرع

تتخلف الآثار عن سكانها * حينا ويدركها الفناء فتصرع

وزعم قوم أن الاهرام الموجودة بمصر قبور لملوك عظام أرادوا أن تميزوا بها عن الناس بعد مماتهم كما تميزوا عنهم فى حياتهم ورجوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخى العصور ولما وصل المأمون الى مصر أمر بنقبها فنقب أحدها بعد جهد شديد وعناء طويل فوجد داخله مزالق ومهاوى يهول أمرها ويعسر السلوك فيها ووجد فى أعلاه بيت وفى وسطه حوض من رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يوجد فيه الارمة بالية فعند ذلك أمر المأمون بالكف عما سواه ويقال ان الذى بناها اسمه سوريد بن سهراق بن سرياق لرؤيا رآها وهى آفة تنزل من السماء وهى الطوفان فقالوا انه بناها فى ستة أشهر وقال قل لمن يأتى بعدنا يهدمها فى ستمائة سنة والهدم أيسر من البنيان وكسوناها الديباج الملون فليكسها حصرا والحصر أهون من الديباج والامر فيها عجيب جدا والله تعالى أعلم ومن المبانى العجيبة (منارة الاسكندرية) التى بناها ذو القرنين قيل انها كانت مبنية بحجارة مهندمة مغموسة فى الرصاص فيها نحو من ثلثمائة بيت تصعد الدابة بحملها الى كل بيت وللبيوت طاقات تطل على البحر ويقال ان طولها كان ألف ذراع وفى أعلاها

تماثيل من نحاس منها تمثال رجل قد أشار بيده الى البحر فاذا صار العدو على نحو ليلة منه سمع له تصويت يعلم به أهل المدينة مجيء العدو فيستعدون له ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة صوت صوتا مطربا ويقال انه كان بأعلاها مرآة من الحديد الصيني عرضها سبعة أذرع كانوا يرون فيها المراكب بجزيرة قبرس وقيل كانوا يرون فيها من يخرج من البحر من جميع بلاد الروم فان كانوا أعداء تركوهم حتى يقربوا من المدينة فاذا مالت الشمس للغروب أداروا المرآة مقابلة الشمس واستقبلوا بها السفن فيقع شعاعها بضوء الشمس على السفن فتحرق في البحر ويهلك كل من فيها وكانت الروم تؤدى الخراج ليأمنوا بذلك من احراق السفن ولم تزل كذلك الى زمن الوليد بن عبد الملك قال المسعودي قيل ان ملكا من الروم تحيل على الوليد وأظهر أنه يريد الاسلام وأرسل اليه تحفا وهدايا وأظهر له بواسطة حكماء كانوا عنده أن ببلاده دفائن وأرسل له بذلك قسيسين من خواصه وأرسل معهم اموالا قيل انهم حفروا بقرب المنارة ودفنوا تلك الاموال وقالوا للوليد ان تحت المنارة كنوزا لا تنفد وبازائها خبية بها كذا كذا ألف دينار فأمرهم باستخراج ما بالقرب من المنارة فان كان ذلك حقا استخرجوا ما تحت المنارة بعد هدمها فحفروا واستخرجوا ما دفنوه بأيديهم فعند ذلك أمر الوليد بهدم المنارة واستخراج ما تحتها فهدموها فلم يجدوا تحتها شيأ وهرب أولئك القسيسون فعلم الوليد أنها مكيدة عليه فندم على ذلك غاية الندم ثم أمر ببنائها بالآجر ولم يقدروا أن يرفعوا اليها تلك الحجارة فلما أتموها نصبوا عليها المرآة كما كانت فصدئت ولم يروا فيها شيأ مثل ما كانوا يرون أولا وبطل احراقها فندموا على ما فعلوا وفاتهم من جهلهم وطمعهم نفع عظيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد عملت الجن لسليمان بن داود عليهما السلام في الاسكندرية مجلسا على أعمدة من الجزع اليماني المصقول كالمرآة اذا نظر الانسان اليها يرى من يمشي خلفه اصفائها وفي وسط ذلك المجلس عمود من الرخام طوله مائة واحدى عشرة ذراعا وفي تلك الاعمدة عمود واحد يتحرك شرقا وغربا بطلوع الشمس وغروبها يشاهد الناس ذلك ولا يعلمون ما سببه وفي مدينة حمص مدينة أخرى تحت المدينة المسكونة العليا فيها من عجائب البنيان والبيوت والغرف والماء الجاري في كل طريق من طرقها ما لا يعلمه الا الله تعالى وعند حوران مدينة عظيمة يقال لها اللجاة فيها من البنيان ما يعجز عن وصفه ألسنة العقلاء كل دار منها مبنية من الصخر المنحوت ليس في الدار خشبة واحدة بل أبوابها وغرفها وسقوفها وبيوتها من الصخر المنحوت الذي لا يستطيع أحد أن يعمله من الخشب وفي كل دار بئر وطاحون وكل دار مفردة لا يلاصقها دار أخرى وكل دار كالقلعة الحصينة اذا خاف أهل تلك النواحي من العدو دخلوا الى تلك المدينة فينزل كل انسان في دار بجميع عياله وخيله وغنمه وبقره ويغلق بابه ويجعل خلف الباب حصاة فلا يقدر أحد على فتح ذلك الباب لاحكامه وفي هذه المدينة أكثر من مائتي ألف دار فيما يقال ولا يعلم أحد من بناها وسمتها العرب اللجاة لانهم يلجؤن اليها عند الخوف (ومن المباني العجيبة ايوان كسرى أنوشروان) بناه سابور ذو الاكتاف في نيف وعشرين سنة وطوله مائة ذراع في عرض خمسين بناه بالآجر والجص وجعل طول

كل

كل شرافة من شرار يفه خمس عشرة ذراعا ولما ملك المسلمون المدائن أحرقوا هذا الايوان فأخرجوا منه ألف ألف دينار ذهبا (وحكى) أن المنصور لما أراد بناء بغداد عزم على هدمه وأن يجعل آلته فى بنائه فقيل له ان نقضه يتكلف بقدر العمارة فلم يسمع وهدم شرافة وحسب ما أنفق عليها فوجد الامر كذلك وقيل ان بعض رؤساء مملكته قال له لما أراد هدمه هو آية الاسلام فلا تهدمه (وحكى) انه كان بمدينة قيسارية كنيسة بها مرآة اذا اتهم الرجل امرأته بزنا نظر فى تلك المرآة فيرى صورة الزانى فاتفق أن بعض الناس قتل غريمه فعمد أهله اليها فكسروها والله أعلم وقد اقتصرت من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والستون فى ذكر المعادن والاحجار وخواصها)

المعادن لا تكاد تحصى لكن منها مايعرفه الناس ومنها مالا يعرفونه وهى مقسومة الى مايذوب والى مالا يذوب والذى اشتهر بين الناس من المعادن سبعة وهى الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والاسرب والخارصينى ولنبدأ أولا بذكر الذهب فقيل طبعه حار لطيف واشتد اختلاط أجزائه المائية بالترابية قيل ان النار لا تقدر على تفريق أجزائه فلا يحترق ولا يبلى ولا يصدأ وهو لين براق حلو الطعم أصفر اللون فالصفرة من ناريته واللين من دهنيته والبراقة من صفائه مائه خواصه يقوى القلب ويدفع الصرع تعليقا ويمنع النزع والخفقان ويقوى العين كحلا ويجلوها اذا كان ميلا ويحسن نظرها واذا ثقبت به الاذن لم تلتحم واذا كوى به لم ينفط ويبرأ سريعا وامساكه فى الفم يزيل البخر (الفضة) قريبة منه وتصدأ وتحترق وتبلى بالتراب واذا أصابتها رائحة الرصاص والزئبق تكسرت أورائحة الكبريت اسودت ومن خواصها أنها تزيل البخر من الفم اذا وضعت فيه واذا أذيبت مع الزئبق وطلى بها البدن نفع ذلك من الحكة والجرب وعسر البول (النحاس) قريب منها لكنه أيبس وأغلظ فى الطبع ومن خواصه اذا صدئ وطلى بالحامض زال صدؤه والاكل فى آنيته يولد أمراضا لادواء لها (الحديد) كثير الفائدة اذ مامن صنعة الاوله فيها مدخل ومن خواصه أنه يمنع غطيط النائم اذا علق عليه وحمله يقوى القلب ويزيل الخوف والافكار والاحلام الرديئة ويسر النفس وصدؤه ينفع أمراض العين كحلا والبواسير تحملا (القصدير) صنف من الفضة دخل عليه آفات من الارض ومن خواصه انه اذا ألقى فى قدر لم ينضج مافيها (الاسرب) هو الرصاص ومن خواصه أنه يكسر الماس ومن خواص الماس الدخول فى كل شئ واذا شد من الرصاص قطعة على الخنازير والغدد أبرأتها (الخارصينى) حجر لونه أسود يعطى حمرة ومن خواصه اذا عمل منه مرآة ونظر فيها فى الظلمة نفعت للقوة واذا نتف الشعر بملقاط منه لم ينبت

(الاحجار الجوهرية) أصل الجوهر وهو الدر على ماقيل ان حيوانا يصعد من البحر على ساحله وقت المطر ويفتح أذنه يلتقط بها المطر ويضمها ويرجع الى البحر فينزل الى قراره ولا يزال طابقا أذنه على مافيها خوفا أن يختلط بأجزاء البحر حتى ينضج مافيها ويصير درا فان كانت القطرة صغيرة كانت الدرة صغيرة وان كانت كبيرة فكبيرة

فان كان فى بطن هذا الحيوان شئ من الماء المر كانت الدرة كدرة وان لم يكن كانت صافية وقيل غير ذلك والدر نوعان كبير وصغير قيل انه تصل الواحدة الى مثقال خواصه أنه يفرح القلب ويبسط النفس ويحسن الوجه ويصفى دم القلب واذا خلط مع الكحل شد عصب العين (الياقوت) سيد الاحجار وأصول ألوانه أربعة الاحمر والاصفر والازرق والاسمانجونى ويتولد منها ألوان كثيرة وأعدلها الاحمر الخالص الرمانى الشبيه بحب الرمان الاحمر ودونه الاحمر المشرب ببياض ثم الوردى ثم الخمرى ثم العصفرى وأردؤه الازرق الذى لونه يشبه زهر السوسن وأقله قيمة الابيض خواصه أنه لايعمل فيه الفولاذ ولا حجر الماس ولا تدنسه النار ويورث لابسه مهابة ووقارا ويسهل قضاء الحوائج ويدر الريق فى الفم ويقطع العطش ويدفع السم ويقوى القلب وجميعه ينفع للمصروع تعليقا والابيض منه يبسط النفس ويوجد من الاصفر ما وزنه ثلاثون مثقالا على ما قيل (البلخش) هو مقارب للياقوت فى القيمة ودونه فى الشرف ومن خواصه أنه يورث قبض النفس وسوء الخلق والحزن وهو ألوان أحمر وأخضر وأصفر (البنفش) أصناف أحمر مفتوح اللون صاف وأحمر قوى الحمرة وأسود يعلوه حمرة مطوسة بزرقة خفيفة ثم أصفر مفتوح اللون (عين الهر) حجر يكون من معدن الياقوت والغالب عليه البياض الناصع باشراق مفرط ومائيته رقيقة شفافة وفى مائيته سر اذا حركت عينا تحركت يسارا وبالعكس ومن خواصه اذا علق على العين أمن عليها من الجدرى على ما قيل (الماس) يوجد بواد بالهند يقال انه مشحون بالحيات فيأتى من يريد استخراجه من ذلك الوادى فيضع فى الوادى مرآة كبيرة فتأتى الحيات فتنظر الى خيالها فى المرآة فتفر من ذلك الجانب فينزل فيأخذ ماله فيه رزق وقيل انهم ينحرون الجزر ويلقون لحمها فى ذلك الوادى فيلتصق الماس وغيره باللحم فتأتى الطير فتختطف اللحم وتصعد به الى الجبال فتأكل اللحم وتترك الحجر فيأخذه صاحب اللحم وقيل ان الحيات لها مشتى ستة أشهر فى مكان ومصيف ستة أشهر فى مكان آخر فاذا ذهبت الى مشتاها ومصيفها أخذ الحجر فى غيبتها والله أعلم بصحة ذلك ومن عجيب أمره انه اذا أريد كسره جعل فى انبوبة قصب وضرب فانه يتفتت وكذا اذا جعل فى شمع أو قار واذا جعل عليه دم تيس وقرب من النار ذاب ومن خواصه أن الملوك يتخذونه عندهم لشرفه وهو من السموم القاتلة القطعة الصغيرة منه اذا حصلت فى الجوف ولو بقدر السمسمة خرقت الامعاء ومن خواصه الجليلة انه يعرق عند وجود السم أو الطعام المسموم (الزمرذ) ويسمى الزبرجد وهو ألوان أخضر وزنجارى وصابونى ويكون الحجر منه خمسة مثاقيل واقل ومن خواصه أنه يدفع العين ويفرح القلب ويقوى البصر ويصفى الذهن وينشط النفس (الفيروزج) نوعان اسحاقى وخلنجى وأجوده الاسحاقى الازرق الصافى خواصه النظر فيه يجلو البصر ويقويه وينشط النفس ولا يصيب المتختم به آفة من قتل أو غرق وقال جعفر الصادق رضى الله عنه ماافتقرت يد تختمت بفيروزج واذا مضى له بعد خروجه من معدنه عشرون سنة نقص لونه ولايزال كذلك حتى ينطفئ (العقيق) معدن بأرض صنعاء باليمن وهو ألوان ويوجد عليه غشاوة ويحمى عليه بعر الابل ثم يبرد ويكسر وقيل يوجد

بالهند

بالهند ولكن اليمنى أجود خواصه التختم به وحمله يورث الحلم والاناة وتصويب الرأى و يسر النفس ويكسب حامله وقارا وحسن خلق و يسكن الحدة عند الخصومة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تختم بالعقيق لم يزل فى بركة (الجزع) هو حجر أيضا يؤتى به من اليمن والصين وألوانه كثيرة والناس يكرهونه لانه يورث الهم والاحلام الرديئة وسوء الخلق وتعسر قضاء الحوائج ويكثر بكاء الصبى وسيلان لعابه ويثقل اللسان اذا سحق وشرب ماؤه واذا وضع بين قوم لاعلم لهم به حصلت بينهم العداوة ولكنه يسهل الولادة تعليقا (البلور) هو صنف من الزجاج يحكى أن ببلاد كيسان جبلين أحدهما بلور واذا أريد قطع البلور فى ذلك الموضع قطع فى الليل لانه فى النهار يكون له شعاع عظيم خواصه النظر فيه يشرح القلب و يبسط النفس ويسكن وجع الضرس (المرجان) هو واسطة بين النبات والمعدن لانه يتشجر يشبه النبات و بتحجره يشبه المعدن ولايزال لينا فى معدنه فاذا فارقه تحجر و يبس خواصه النظر فيه يشرح الصدر ويبسط النفس ويفرح القلب ويذهب بالداء المحتبس فى العين و يسكن الرمد وسحاقته المخلوطة بالخل تجلو قلح الاسنان واذا وضع على الجرح منعه من الانتفاخ وانواعه كثيرة أحمر وأزرق وأبيض وأصله من البحر قيل انه شجر ينبت وقيل انه من حيوانه (حجر الماطليس) هو حجر هندى لايعمل فيه الحديد والبيت الذى يكون فيه لايدخله السحر ولا الجن ولاجل ذلك كان الاسكندر يجعله فى عسكره (الحجر الماهانى) من تختم به أمن من الروع والهم والحزن والغم ولونه أبيض وأصفر ويوجد بأرض خراسان (حجر مراد) يوجد بناحية الجنوب وخاصيته أن الجن تتبع حامله وتعمل له ما أراد (الدهنج) خاصيته انه اذا سقى انسان من محكه يفعل فعل السم واذا سقى شارب السم منه نفعه واذا مسح به موضع اللدغ سكن و ينفع من خفقان القلب واذا طلى بحكاكته بياض البرص أزاله وان علق على انسان غلب عليه الباه (السبج) خواصه انه يقوى النظر الضعيف من الكبر أو نزول الماء ولبسه ينفع عسر البول وادمان النظر فيه يحد البصر وسحاقته تجلو البصر واذا علق على من به صداع زال عنه (المغناطيس) يوجد فى بحر الهند وهناك لايتخذ فى السفن حديد ويوجد ببلاد الاندلس أيضا وأجود أنواعه ما كان أسود يضرب الى حمرة خواصه الاكتحال بسحاقته يورث ألفة بين المكتحل وبين من يحبه ويسهل الولادة تعليقا ومن تختم به كانت حاجته مقضية وتعليقه فى العنق يزيد فى الذهن واذا سحق وشرب من سحاقته من به سم بطل سمه واذا أصابته رائحة الثوم بطلت خاصيته واذا غسل بالخل عاد الى حالته وأجوده ما جذب نصف مثقال من الحديد (حجر الخطاف) الخطاف يوجد فى عشه حجران أحدهما أحمر والآخر أبيض فالاحمر اذا علق على من يفزع فى نومه زال فزعه والابيض اذا علق على من به صرع زال عنه (حجر الزاج) اذا دخن البيت بسحاقته هرب منه الفأر والذباب (حجر الزنجفر) أصله من الزئبق واسحال وخاصيته انه يدمل الجراحات وينبت اللحم (حجر الملح) هو أنواع وأجوده ما يوجد بأرض سدوم بالقرب من بحر لوط وقد جعله الله قواما للدنيا ومن خاصيته انه يحسن الذهب ويزيد فى صفرته وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يا على ابدأ بالملح واختم به فان فيه شفاء من سبعين داء (حجر النطرون) قال ارسطو ينفع الارحام التى غلبت عليها الرطوبة ينشفها ويقويها واذا ألقى

فى العجين طيبه و يبيضه و نشفه وهو نوعان أبيض وأحمر (حجر اللازورد) مشهور وقال ارسطو من تختم به عظم فى أعين الناس و ينفع من السهر والله أعلم ومن أراد التعمق فى ذلك فعليه بالكتب الموضوعة له ولكن قد ذكرنا ما هو معروف والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثامن والستون فى الاصوات والالحان وذكر الغناء واختلاف الناس فيه ومن كرهه ومن استحسنه

وما ذكرت ذلك الالانى كرهت أن يكون كتابى هذا بعد اشتماله على فنون الادب والتحف والنوادر والامثال عاطلا من هذه الصناعة التى هى مراد السمع ومرتع النفس وربيع القلب ومجال الهوى ومسلاة الكئيب وأنس الوحيد وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس

* (فصل فى الصوت الحسن) * قال بعض أهل التفسير فى قوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء هو الصوت الحسن وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أتدرون متى كان الحداء قالوا الا بأبينا أنت وأمنا يارسول الله قال ان أباكم مضر خرج فى طلب مال له فوجد غلاما له قد تفرقت ابله فضربه على يده بالعصا فعدا الغلام فى الوادى وهو يصيح وايداه فسمعت الابل صوته فعطفت عليه فقال مضر لو اشتق من الكلام مثل هذا لكان كلاما تجتمع عليه الابل فاشتق الحداء وقال النبى صلى الله عليه وسلم لابى موسى الاشعرى رضى الله عنه لما أعجبه حسن صوته لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود وقيل ان داود عليه السلام كان يخرج الى صحراء بيت المقدس يوما فى الاسبوع وتجتمع عليه الخلق فيقرأ الزبور بتلك القراءة الرخيمة وكان له جاريتان موصوفتان بالقوة والشدة فكانتا يضبطان جسده ضبطا شديدا خيفة أن تنخلع أوصاله مما كان ينتحب وكانت الوحوش والطير تجتمع لاستماع قراءته قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى بلغنا أن الله تعالى يقيم داود عليه السلام يوم القيامة عند ساق العرش فيقول يا داود مجدنى اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم وقال سلام الحادى للمنصور وكان يضرب المثل بحدائه مر يا أمير المؤمنين بان يظمئوا ابلا ثم يوردوها الماء فانى آخذ فى الحداء فترفع رؤسها وتترك الشرب وزعم أهل الطب أن الصوت الحسن يجرى فى الجسم مجرى الدم فى العروق فيصفو له الدم وتنمو له النفس ويرتاح له القلب وتهتز له الجوارح وتخف له الحركات ولهذا كرهوا للطفل أن ينام على أثر البكاء حتى يرقص ويطرب وزعمت الفلاسفة أن النغم فضل بقى من النطق لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحنت اليه الروح ألا ترى الى أهل الصناعات كلها اذا خافوا الملالة والفتور على أبدانهم ترنموا بالالحان واستراحت اليها أنفسهم وليس من أحد كائنا من كان الا وهو يطرب من صوت نفسه ويعجبه طنين رأسه ولو لم يكن من فضل الصوت الحسن الا أنه ليس فى الارض لذة تكتسب من مأكل ولا مشرب ولا ملبس ولا نكاح ولا صيد الا وفيها معاناة على البدن وتعب على الجوارح ما خلا السماع فانه لا معاناة فيه على البدن ولا تعب على الجوارح

وقد يتوصل بالالحان الحسان الى خيرى الدنيا والآخرة فمن ذلك انها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف وصلة الارحام والذب عن الاعراض والتجاوز عن الذنوب وقد يبكى الرجل بها على خطيئته ويتذكر نعيم الملكوت ويمثله فى ضميره ولاهل الرهبانية نغمات وألحان شجية يحمدون الله تعالى بها ويبكون على خطاياهم ويتذكرون نعيم الآخرة وكان أبو يوسف القاضى يحضر مجلس الرشيد وفيه الغناء فيجعل مكان السرور به بكاء كأنه يتذكر نعيم الآخرة وقد تحن القلوب الى حسن الصوت حتى الطير والبهائم وكان صاحب الفلاحات يقول ان النحل أطرب الحيوان كله على الغناء قال الشاعر

والطير قد يسوقه للموت * اصغاؤه الى حنين الصوت

وزعموا أن فى البحر دواب ربما زمرت أصواتا مطربة ولحونا مستلذة يأخذ السامعين الغشى من حلاوتها فاعتنى بها وضعة الالحان بأن شبهوا بها أغانيهم فلم يبلغوا وربما يغشى على سامع الصوت الحسن للطافة وصوله الى الدماغ وممازجته للقلب ألا ترى الى الام كيف تناغى ولدها فيقبل بسمعه على مناغاتها ويتلهى عن البكاء والابل تزداد فى نشاطها وقوتها بالحداء فترفع آذانها وتلتفت يمنة ويسرة وتتبختر فى مشيتها وزعموا أن السماكين بنواحى العراق يبنون فى جوف الماء حفائر ثم يضربون عندها بأصوات شجية فيجتمع السمك فى الحفائر فيصيدونه وقد نبهت على ذلك فى باب ذكر البحار ومافيها من العجائب والراعى اذا رفع صوته ونفخ فى يراعته تلقته الغنم بآذانها وجدت فى رعيها والدابة تعاف الماء فاذا سمعت الصفير بالغت فى الشرب وليس شئ مما يستلذ به أخف مؤنة من السماع قال افلاطون من حزن فليسمع الاصوات الحسنة فان النفس اذا حزنت خمدت نارها فاذا سمعت مايطربها ويسرها اشتعل منها ماخمد ومازالت ملوك فارس تلهى المحزون بالسماع وتعالل به المريض وتشغله عن التفكر ومنهم أخذت العرب حتى قال ابن غيلة الشيبانى

وسماع مسمعة يعللنا * حتى ننام تناوم العجم

(وحكى) أن البعلبكى مؤذن المنصور رجع فى اذانه ليلة وجارية تصب الماء على يد المنصور فارتعدت حتى وقع الابريق من يدها فقال له المنصور خذ هذه الجارية فهى لك ولا تعد ترجع هذا الترجيع وقال عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عمارة فى قينة

ألم ترها لا أبعد الله دارها * اذا رجعت فى صوتها كيف تصنع

تدير نظام القول ثم ترده * الى صلصل من صوتها يترجع

وبعد فهل خلق الله شيأ أوقع بالقلوب وأشد اختلاسا للعقول من الصوت الحسن لاسيما اذا كان من وجه حسن كما قال الشاعر

رب سماع حسن * سمعته من حسن

مقرب من فرح * مبعد من حزن

لا فارقانى أبدا * فى صحة من بدن

وهل على الارض من جبان مستطار الفؤاد يغنى بقول جرير

قل للجبان اذا تأخر سرجه * هل أنت من شرك المنية ناجى

الاشاش وشجعت نفسه وقوى قلبه أم هل على الارض من بخيل قد انقبضت أطرافه يوما يغنى بقول حاتم الطائى

يرى البخيل سبيل المال واحدة * ان الجواد يرى فى ماله سبلا

الا انبسطت أنامله ورشحت أطرافه واختلف الناس فى الغناء فأجازه عامة أهل الحجاز وكرهه عامة أهل العراق فمن حجة من أجازه ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لحسان شن الغطاريف على بنى عبد مناف فوالله لشعرك عليهم أشد من وقع السهام فى غلس الظلام واحتجوا فى اباحة الغناء واستحسانه بقول النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها أهديتم الفتاة الى بعلها قالت نعم قال فبعثتم معها من يغنى قالت لم نفعل قال أوما علمت أن الانصار قوم يعجبهم الغزل ألا بعثتم معها من يقول

أتيناكم أتيناكم * فحيونا نحييكم * ولولا الحبة السمرا * علم تحلل بواديكم

ولا بأس بالغناء اذا لم يكن فيه أمر محرم ولا يكره السماع عند العرس والوليمة والعقيقة وغيرها فان فيه تحريكا لزيادة سرور مباح أو مندوب ويدل عليه ماروى من انشاد النساء بالدف والالحان عند قدوم النبى صلى الله عليه وسلم حيث قلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا * مادعا لله داع

أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

ويدل عليه ماروى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه وأنا أنظر الى الحبشة يلعبون فى المسجد الحرام حتى أكون أنا التى أسأمه ويدل عليه أيضا ماروى فى الصحيحين من حديث عقيل عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ان أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى يدففان و يضربان والنبى صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبى صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد وعن قرة بن خالد بن عبد الله بن يحيى قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للنابغة الجعدى أسمعنى بعض ما عفا الله لك عنه من هناتك فأسمعه كلمة فقال له وانك لقائلها قال نعم قال طالما غنيت بها خلف جمال الخطاب وعن عبد الله بن عوف قال أتيت باب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسمعته يغنى بالركابية يقول

فكيف ثوائى بالمدينة بعدما * قضى وطرا منها جميل بن معمر

وكان جميل بن معمر من أخصاء عمر قال فلما استأذنت عليه قال لى اسمعت ماقلت قلت نعم قال انا اذا خلونا قلنا ما يقول الناس فى بيوتهم وقد أجازوا تحسين الصوت فى القراءة والاذان فان كانت الالحان مكروهة فالقراءة والاذان أحق بالتنزيه عنها وان كانت غير مكروهة فالشعر أحوج اليها لاقامة الوزن وماجعلت العرب الشعر موزونا الا لمد

الصوت والدندنة ولولا ذلك لكان الشعر المنظوم كالخبر المنثور ومن حجة من كره الغناء أنه قال انه ينفر القلوب ويستفز العقول ويبعث على اللهو ويحض على الطرب وهذا باطل فى أصله وتأولوا فى ذلك قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزؤا وأخطأ من أول هذا التأويل انما نزلت هذه الآية فى قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السير والاحاديث القديمة ويضاهون بها القرآن ويقولون انها أفضل منه وليس من سمع الغناء يتخذ آيات الله هزؤا وقال رجل للحسن البصرى ما تقول فى الغناء يا أبا سعيد فقال نعم العون على طاعة الله تعالى يصل الرجل به رحمه ويواسى به صديقه قال ليس عن هذا أسألك قال وعم سألتنى قال أن يغنى الرجل قال وكيف يغنى فجعل الرجل يلوى شدقيه ويفتح منخريه فقال الحسن والله يا ابن أخى ما ظننت أن عاقلا يفعل بنفسه هذا أبدا فلم ينكر الحسن عليه الا تشويه وجهه وتعويج فمه وسمع ابن المبارك سكران يغنى هذا البيت

أذلنى الهوى فأنا الذليل * وليس الى الذى أهوى سبيل

قال فأخرج دواة وقرطاسا وكتب البيت فقيل له أتكتب بيت شعر سمعته من رجل سكران فقال أما سمعتم المثل رب جوهرة فى مزبلة وكان لابى حنيفة جار من الكيالين مغرم بالشراب وكان يغنى على شرابه بقول العرجى

أضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

قال فأخذه العسس ليلة وحبسه ففقد أبو حنيفة صوته واستوحش له فقال لاهله ما فعل جارنا الكيال قالوا أخذه العسس وهو فى الحبس فلما أصبح أبو حنيفة توجه الى عيسى بن موسى فاستأذن عليه فأسرع اذنه وكان أبو حنيفة قليلا ما يأتى أبواب الملوك فأقبل عليه عيسى ابن موسى وسأله عما جاء بسببه فقال أصلح الله الامير ان لى جارا من الكيالين أخذه عسس الامير ليلة كذا فوقع فى حبسه فأمر عيسى بن موسى باطلاق كل من فى الحبس اكراما لابى حنيفة فأقبل الكيال على أبى حنيفة يتشكر له فلما رآه أبو حنيفة قال له هل أضعناك يا فتى يعرض له بشعره الذى ينشده قال لا والله ولكنك بررت وحفظت وكان عروة بن أذينة ثقة فى الحديث روى عنه مالك بن أنس وكان شاعرا مجيدا لبقا غزلا وكان يصوغ ألحان الغناء على شعره وينحلها للمغنين قيل انه وقفت عليه امرأة يوما وحوله التلامذة فقالت له أنت الذى يقال فيك الرجل الصالح وأنت تقول

اذا وجدت أوار الحب فى كبدى * عمدت نحو سقاء القوم أبترد

هبنى بردت ببرد الماء ظاهره * فمن لنار على الاحشاء تتقد

وكان عبد الملك الملقب بالقس عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبى رباح فى العبادة قيل انه مر يوما بسلامة وهى تغنى فأقام يسمع غناءها فرآه مولاها فقال له هل لك أن تدخل وتسمع فأبى فلم يزل به حتى دخل فغنته فأعجبته ولم يزل يسمعها ويلاحظها النظر حتى شغف بها فلما شعرت بلحظه اياها غنته

رب رسولين لنا بلغا * رسالة من قبل أن نبرحا

الطرف للطرف بعثناهما * فقضيا حاجا وما صرحا

قال فأغمى عليه وكاد يهلك فقالت له انى والله أحبك قال وأنا والله أحبك قالت وأحب أن أضع فى على فمك قال وأنا والله كذلك قالت فما يمنعك من ذلك قال أخشى أن تكون صداقة ما بينى وبينك عداوة يوم القيامة أما سمعت قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ثم نهض وعاد الى طريقته التى كان عليها وأنشأ يقول

قد كنت أعذل فى السفاهة أهلها * فاعجب لما تأتى به الايام

فاليوم أعذرهم وأعلم انما * سبل الضلالة والهدى أقسام

وقدم عبد الله بن جعفر على معاوية بالشأم فأنزله فى دار عياله وأظهر من اكرامه ما يستحقه فغاظ ذلك فاختة بنت قرظة زوج معاوية فسمعت ذات ليلة غناء عند عبد الله بن جعفر فجاءت الى معاوية فقالت هلم فاسمع ما فى منزل الذى جعلته من لحمك ودمك وأنزلته بين حرمك فجاء معاوية فسمع شيأ حركه وأطربه فقال والله انى لاسمع شيأ تكاد الجبال أن تخر له ثم انصرف فلما كان فى آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله بن جعفر وهو قائم يصلى فنبه فاختة وقال لها اسمعى مكان ما أسمعتنى هؤلاء قومى ملوك بالنهار ورهبان بالليل ثم ان معاوية أرق ذات ليلة فقال لخادمه اذهب فانظر من عند عبد الله بن جعفر وأخبره انى قادم عليه فذهب وأخبره فأقام عبد الله كل من كان عنده فلما جاء معاوية لم ير فى المجلس غير عبد الله فقال مجالس من هذا قال عبد الله هذا مجلس فلان يا أمير المؤمنين فقال معاوية مره فليرجع الى مجلسه حتى لم يبق الا مجلس رجل واحد قال مجالس من هذا قال مجالس رجل يداوى الآذان يا أمير المؤمنين قال ان أذنى عليلة فمره ان يرجع الى مجلسه وكان مجالس بديح المغنى فأمره عبد الله بن جعفر فرجع الى موضعه فقال له معاوية داو أذنى من علتها فتناول العود وغنى وقال

ودع سعاد فان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل

قال فحرك عبد الله بن جعفر رأسه فقال له معاوية لم حركت رأسك يا ابن جعفر قال أريحية أجدها يا أمير المؤمنين لو لاقيت لابليت ولو سئلت لاعطيت وكان معاوية قد خضب قال فقال ابن جعفر لبديح هات غير هذا وكان عند معاوية جارية أعز جواريه عليه وكانت تتولى خضابه فغنى بديح وقال

أليس عندك شكر للتى جعلت * ما ابيض من قادمات الرأس كالحمم

وجددت منك ما قد كان أخلقه * صرف الزمان وطول الدهر والقدم

فطرب معاوية طربا شديدا وجعل يحرك رجله فقال له ابن جعفر يا أمير المؤمنين انك سألتنى عن تحريك رأسى فأجبتك وأخبرتك وأنا أسألك عن تحريك رجلك فقال كل كريم طروب ثم قام وقال لا يبرح احد منكم حتى يأتى له اذنى ثم ذهب فبعث الى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاصة كسوته والى كل رجل منهم بالف دينار وعشرة أثواب وحدث ابن الكلبى والهيثم بن عدى قالا بينما عبد الله بن جعفر فى بعض أزقة المدينة اذ سمع غناء فأصغى اليه فاذا صوت رقيق لقينة تغنى وتقول

قل للكرام ببابنا يلجوا * ما فى التصابى على الفتى حرج

فنزل عبد الله عن دابته ودخل على القوم بلا اذن فلما رأوه قاموا اجلالا له ورفعوا مجلسه فاقبل عليه صاحب المجلس وقال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدخل مجلسنا بلا اذن وليس هذا من شأنك فقال عبد الله لم أدخل الا باذن قال ومن أذن لك قال قينتك هذه سمعتها تقول

قل للكرام ببابنا يلجوا * فولجنا فان كنا كراما فقد أذن لنا وان كنا لئاما أخرجنا مذمومين فقابل صاحب المنزل يده وقال جعلت فداك والله ما أنت الا من أكرم الناس فبعث عبد الله الى جارية من جواريه فحضرت ودعا بثياب وطيب فكسا القوم وطيبهم ووهب الجارية لصاحب المنزل وقال هذه أحذق بالغناء من جاريتك وسمع سليمان بن عبد الملك مغنيا في عسكره فقال اطلبوه فجاؤا به فقال أعد علي ما غنيت به فغنى واحتفل وكان سليمان أغير الناس فقال لاصحابه كأنها والله جرجرة الفحل في الشول وما أظن أنثى تسمع هذا الا صبت اليه ثم أمر به فخصي

(أصل الغناء ومعدنه) قال أبو المنذر هشام الغناء على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج فأما النصب فغناء الفتيان والركبان وأما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات وأما الهزج فالخفيف كله وهو الذي يستفز القلوب ويهيج الحليم وقيل كان أصل الغناء ومعدنه في أمهات القرى فاشيا ظاهرا وهي المدينة والطائف وخيبر وفدك ووادي القرى ودومة الجندل واليمامة وهذه القرى مجامع أسواق العرب ويقال ان أول من صنع العود لامك بن قاين ابن آدم وبكى به على ولده ويقال ان صانعه بطليوس صاحب الموسيقى وهو كتاب اللحون الثمانية والله أعلم بحقيقة ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب التاسع والستون في ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم ونوادر الجلساء في مجالس الرؤساء

قيل ان أول من غنى في العرب قينتان للنعمان يقال لهما الجرادتان ومن غنائهما

ألا يا قين ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما

وانما غنتا هذا حين حبس الله عنهم المطر وقيل أول من غنى في الاسلام الغناء الرقيق طويس وهو الذي علم ابن سريج والدلال نوبة الضحى وكان يكنى أبا عبد النعيم ومن غنائه وهو أول صوت غنى به في الاسلام هذا البيت

قد براني الشوق حتى * كدت من وجدي أذوب

ثم نجم بعد طويس ابن طنبورة وأصله من اليمن وكان أهزج الناس وأخفهم غناء ومن غنائه

وقينان على شرب جميعا * دلفت لهم بباطية هدور

فلا تشرب بلا طرب فاني * رأيت الخيل تشرب بالصفير

ومنهم حكم الوادي ومن غنائه

امدح الكاس ومن أعملها * واهج قوما قتلونا بالعطش

انما الراح ربيع باكر * فاذا ما وافت المرء انتعش

وكان لهرون الرشيد جماعة من المغنين منهم ابراهيم الموصلي وابن جامع السهمي

وغيرهما وكان له زامر يقال له برصوما وكان ابراهيم أشدهم تصرفا فى الغناء وابن جامع أحلاهم بغمة فقال الرشيد يوما لبرصوما ما تقول فى ابن جامع قال يا أمير المؤمنين وما أقول فى العسل الذى من حيثما ذقته فهو طيب قال فابراهيم الموصلى قال بستان فيه جميع الازهار والرياحين وكان ابن محرز يغنى كل انسان بما يشتهيه كانه خلق من قلب كل انسان وغنى رجل بحضرة الرشيد بهذه الابيات

وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى * على كبدى من خشية أن تصدعا
فليست عشيات الحمى برواجع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا
بكت عينى اليسرى فلما نهيتها * عن الجهل بعد الحلم اسبلتا معا

قال فاستخف الرشيد الطرب فأمر له بمائة ألف درهم وحدث ابن الكلبى عن أبيه قال كان ابن عائشة من أحسن الناس غناء وأنبههم فيه وكان من أضيق الناس خلقا اذا قيل له غن قال لمثلى يقال غن على عتق رقبة ان غنيت يومى هذا فلما كان فى بعض الايام سال وادى العقيق فلم يبق فى المدينة مخبأة ولا مخدرة ولا شاب ولا كهل الا خرج يبصره وكان فيمن خرج ابن عائشة المغنى وهو معتجر بفضل ردائه فنظر اليه الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وكان الحسن فيمن خرج الى العقيق وبين يديه عبدان أسودان كأنهما ساريتان يمشيان أمام دابته فقال لهما أقسم بالله ان لم تفعلا ما آمركما به لأنكلن بكما فقالا يا مولانا قل ما تأمرنا به فلو أمرتنا أن نقتحم النار فعلنا قال اذهبا الى ذلك الرجل المعتجر بفضل ردائه فامسكاه فان لم يفعل ما آمره به والا فاقذفا به فى العقيق قال فمضيا والحسن يقفوهما فلم يشعر ابن عائشة الا وهما آخذان بمنكبيه فقال من هذا فقال له الحسن أنا هذا يا ابن عائشة فقال لبيك وسعديك بأبى أنت وأمى قال اسمع منى ما أقول لك واعلم أنك مأسور فى أيديهما وقد أقسمت ان لم تغن مائة صوت لبطرحانك فى العقيق قال فصاح ابن عائشة واويلاه واعظم مصيبتاه فقال له الحسن دعنا من صياحك وخذ فيما ينفعنا قال اقترح واقم من يحصى ثم أقبل يغنى فترك الناس العقيق وأقبلوا عليه فلما تمت أصواته مائة كبر الناس بلسان واحد تكبيرة ارتجت لها أقطار الارض وقالوا للحسن صلى الله على جدك حيا وميتا فما اجتمع لاحد من أهل المدينة سرور قط الا بكم أهل البيت فقال له الحسن ما فعلت هذا بك يا ابن عائشة الا لاخلاقك الشرسة فقال ابن عائشة والله ما مرت بى شدة أعظم من هذه لقد بلغت أطراف أعضائى فكان ابن عائشة بعد ذلك اذا قيل له ما أشد يوم مر عليك يقول يوم العقيق وحدث أبو جعفر البغدادى قال حدثنى عبد الله بن محمد كاتب بغداد عن أبى عكرمة قال خرجت يوما الى المسجد الجامع فمررت بباب أبى عيسى بن المتوكل فاذا على بابه المشدود وهو أحذق خلق الله تعالى بالغناء فقال أين تريد يا أبا عكرمة قلت المسجد الجامع لعلى أستفيد حكمة أكتبها فقال ادخل بنا الى أبى عيسى قلت أمثل أبى عيسى فى قدره وجلالته يدخل عليه بلا اذن فقال للحاجب أعلم أمير المؤمنين بمكان أبى عكرمة فما لبث الا ساعة حتى خرج الغلمان الى فحملونى حملا فدخلت الى دار ما رأيت أحسن منها بناء ولا أظرف منها هيئة فلما نظرت الى أبى عيسى قال لى يا بغيض من يحتشم اجلس

فجلست فأتينا بطعام كثير فلما انقضى أتينا بشراب وقامت جارية تسقينا شرابا كالشعاع في زجاجة كأنها كوكب دري فقلت أصلح الله الامير وأتم عليه نعمه ولا سلبه ما وهبه فقال فدعا أبو عيسى بالمغنين وهم المشدود ودبيس ورقيق ولم يكن في ذلك الزمان أحذق من هؤلاء الثلاثة بالغناء فابتدأ المشدود وغنى يقول

لما استقل بأرداف تجاذبه * واخضر فوق بياض الدر شاربه
وأشرق الورد من نسرين وجنته * واهتز أعلاه وارتجت حقائبه
كلمته بجفون غير ناطقة * فكان من رده ما قال حاجبه

ثم سكت وغنى دبيس

* الحب حلو أمرته عواقبه * وصاحب الحب صب القلب ذائبه
أستودع الله من بالطرف ودعني * يوم الفراق ودمع العين ساكبه
ثم انصرفت وداعي الشوق يهتف بي * ارفق بقلبك قد عزت مطالبه

ثم سكت وغنى رقيق

بدر من الانس حفته كواكبه * قد لاح عارضه واخضر شاربه
ان يوعد الوعد يوما فهو مخلفه * أو ينطق القول يوما فهو كاذبه
عاطيته كدم الاوداج صافية * فقام يشدو وقد مالت جوانبه

ثم سكت وابتدأ المشدود يقول

يا دير حنة من ذات الاكيراح * من يصح عنك فاني لست بالصاحي

ثم سكت وغنى دبيس

دع البساتين من آس وتفاح * واعدل هديت الى شيخ الاكيراح
واعدل الى فتية ذابت لحومهم * من العبادة الا نضو أشباح
وخمرة عتقت في دنها حقبا * كأنها دمعة في جفن سياح

ثم سكت وغنى رقيق

لا تحفلن بقول اللائم اللاحي * واشرب على الورد من مشمولة الراح
كأسا اذا انحدرت في حلق شاربها * أغناه لألاؤها عن كل مصباح
ما زلت أسقي نديمي ثم ألثمه * والليل ملتحف في ثوب أمساح
فقام يشدو وقد مالت سوالفه * يا دير حنة من ذات الاكيراح

ثم أقبل أبو عيسى على المشدود وقال له غن لي شعري فغناه

يا لجة الدمع هل للغمض مرجوع * أم الكرى من جفون العين ممنوع
ما حيلتي وفؤادي هائم دنف * بعقرب الصدغ من مولاي ملسوع
لا والذي تلفت نفسي بفرقته * فالقلب من فرق الاحزان مصدوع
ما أرق العين الا حب مبتدع * ثوب الجمال على خديه مخلوع

قال أبو عكرمة فوالله لقد حضرت من المجالس ما لا يحصي عدده الا الله تعالى فما حضرت مثل ذلك المجلس ولولا أن أبا عيسى قطعهم ما انقطعوا (وحكي) عن الرشيد انه قال يوما

للفضل بن الربيع من بالباب من الندماء قال جماعة فيهم هاشم بن سليمان مولى بنى أمية وأمير المؤمنين يشتهى سماعه قال فأذن له وحده فدخل فقال هات ياهاشم فغناه من شعر جميل حيث يقول

اذا ماتراجعنا الذى كان بيننا * جرى الدمع من عينى بثينة بالكحل

فياويح نفسى حسب نفسى الذى بها * وياويح عقلى ما اصيبت به أهلى

خليلى فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلى

قال فطرب الرشيد طربا شديدا وقال أحسنت لله أبوك ثم قلده عقدا نفيسا فلما رآه هاشم ترقرقت عيناه بالدموع فقال له الرشيد ما يبكيك ياهاشم فقال ياأمير المؤمنين ان لهذا العقد حديثا عجيبا ان أذن لى أمير المؤمنين حدثته به قال قد أذنت لك قال ياأمير المؤمنين قدمت يوما على الوليد وهو على بحيرة طبرية ومعه قينتان لم ير مثلهما جمالا وحسنا فلما وقعت عينه على قال هذا أعرابى قد ظهر من البوادى ادعوا به انسخر به فدعانى فصرت اليه ولم يعرفنى فغنت احدى الجاريتين بصوت هو لى فأخطأته الجارية فقلت لها اخطأت ياجارية فضحكت ثم قالت ياأمير المؤمنين ألم تسمع ما يقول هذا الاعرابى يعيب علينا غناءنا فنظر الى كالمنكر فقلت ياأمير المؤمنين أنا أبين لك الخطأ فلتصلح وتر كذا وتترك كذا ففعلت وغنت شيأ ما سمع منها الا فى هذا اليوم فقامت الجارية مكبة على وقالت أستاذى هاشم ورب الكعبة فقال الوليد أهاشم بن سليمان أنت قلت نعم ياأمير المؤمنين وكشفت عن وجهى وأقمت معه بقية يومنا فأمر لى بثلاثين ألف درهم فقالت الجارية ياأمير المؤمنين أتأذن لى فى بر أستاذى فقال الوليد ذلك اليك فخلت ياأمير المؤمنين هذا العقد من عنقها ووضعته فى عنقى وقالت هو لك ثم قربوا اليه السفينة ليرجع الى موضعه فركب فى السفينة وطلعت معه احدى الجاريتين واتبعتها صاحبتى فارادت أن ترفع رجلها وتطلع السفينة فسقطت فى الماء فغرقت لوقتها وطلبت فلم يقدر عليها فاشتد جزع الوليد عليها وبكى بكاء شديدا وبكيت أنا عليها أيضا بكاء شديدا فقال لى ياهاشم ما نرجع عليك بما وهبناه لك ولكن يجب أن يكون هذا العقد عندنا نتذكرها به فبعنى اياه فعوضنى عنه ثلاثين ألف درهم فلما وهبتنى العقد ياأمير المؤمنين تذكرت قضيته وهذا سبب بكائى فقال الرشيد لا تعجب فان الله كما ورثنا مكانهم ورثنا أموالهم وقال على بن سليمان النوفلى غنى دحمان الاشقر عند الرشيد يوما فأنشده

اذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا * كفى لمطايانا بريّاك هاديا

ذكرتك بالديرين يوما فأشرفت * بنات الهوى حتى بلغن التراقيا

اذا ما طواك الدهر ياأم مالك * فشأن المنايا القاضيات وشانيا

قال فطرب الرشيد طربا شديدا واستعاده منه مرات ثم قال له تمن على قال أتمنى الهنىء والمرىء وهما ضيعتان غلتهما أربعون ألف دينار فى كل سنة فأمر له بهما فقيل له ياأمير المؤمنين ان هاتين الضيعتين من جلالتهما يجب أن لا يسمح بمثلهما فقال الرشيد لا سبيل الى استرداد ما أعطيت ولكن احتالوا فى شرائهما منه فساوموه فيهما حتى وقفوا

معه على مائة ألف دينار فرضي بذلك فقال الرشيد ادفعوها له فقالوا يا أمير المؤمنين في اخراج مائة ألف دينار من بيت المال طعن ولكن نقطعها له فكان يوصل بخمسة آلاف وثلاثة آلاف حتى استوفاها ومن ذلك ما حكى اسحق الموصلي قال كان الواثق بن المعتصم أعلم الناس بالغناء وكان يضع الالحان العجيبة ويغني بها شعره وشعر غيره فقال له يوما يا أبا محمد لقد فقت أهل العصر في كل شيء فغنني شعرا أرتاح اليه وأطرب عليه يومي هذا قال اسحق فغنيته هذه الابيات

ما كنت أعلم ما في البين من حرق * حتى تنادوا بأن قد جيء بالسفن
قامت تودعني والدمع يغلبها * فهمهمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت الي وضمتني لترشفني * كما يميل نسيم الريح بالغصن
وأعرضت ثم قالت وهي باكية * يا ليت معرفتي اياك لم تكن

قال فخلع علي خلعة كانت عليه وأمر لي بمائة ألف درهم قال وغنيته يوما

قفي ودعينا يا سعاد بنظرة * فقد حان منا يا سعاد رحيل
فيا جنة الدنيا ويا غاية المنى * ويا سؤل نفسي هل اليك سبيل
وكنت اذا ما جئت جئت لعلة * فأفنيت علاتي فكيف أقول
فما كل يوم لي بأرضك حاجة * ولا كل يوم لي اليك وصول

فقال والله لا سمعت يومي غيره وألقى علي خلعة من ثيابه وأمر لي بصلة مثل ما أمر لي قبلها بمثلها (ومن حكايات الخلفاء ومكارم أخلاقهم) ما حكي عن ابراهيم بن المهدي قال قال جعفر ابن يحيى يوما لبعض ندمائه اني قد استأذنت أمير المؤمنين في الخلوة غدا فهل من مساعد فقلت جعلت فداك أنا أسعد بمساعدتك وأسر بمشاهدتك فقال بكر بكور الغراب قال فأتيته عند الفجر فوجدت الشموع قد أوقدت بين يديه وهو ينتظرني في المعاد فأزلنا في أطيب عيش الى وقت الضحى فقدمت الينا موائد الاطعمة عليها من أفخر الطعام وأطيبه فأكلنا وغسلنا أيدينا ثم خلعت علينا ثياب المنادمة وضمخنا بالخلوق وانتقلنا الى مجالس الطرب ومدت الستائر وغنت القينات فظللنا بأنعم يوم ثم انه دا خله الطرب فدعا بالحاجب وقال له اذا أتى أحد يطلبنا فأذن له ولو كان عبد الملك بن صالح بنفسه فاتفق بالامر المقدر أن عم الرشيد عبد الملك بن صالح قدم علينا في ذلك الوقت وكان صاحب جلالة وهيبة ورفعة وعنده من الورع والزهد والعبادة ما لا مزيد عليه وكان الرشيد اذا جلس مجلس لهو لا يطلعه على ذلك لشدة ورعه فلما قدم دخل به الحاجب علينا فلما رآينا رمينا ما في أيدينا وقمنا اجلالا له نقبل يده وقد داخلنا الذل وخجلنا وزادنا الحياء فقال لا بأس عليكم كونوا على ما أنتم عليه ثم صاح بغلام فدفع له ثيابه ثم أقبل علينا وقال اصنعوا بنا ما صنعتم بأنفسكم قال فما كان بأسرع من أن طرحت عليه ثياب خز ملون وقدمت اليه موائد الطعام والشراب فطعم وشرب الشراب لساعته ثم قال خففوا عني فانه شيء والله ما فعلته قط قال فتهلل وجه جعفر ثم التفت الى عبد الملك فقال له جعلت فداك قد علوت علينا وتفضلت فهل من حاجة تبلغها مقدرتي وتحيط بها نعمتي فأقضيها لك مكافأة لك

على ماصنعت قال بلى ان فى قلب أمير المؤمنين بعض تغير على فتساله الرضا عنى فقال جعفر قد رضى عنك أمير المؤمنين قال وعلى عشرة آلاف دينار فقال جعفر هى حاضرة لك من مالى ولك من مال أمير المؤمنين مثلها قال وأريد أن أشد ظهر ابنى ابراهيم بمصاهرة من أمير المؤمنين قال قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال وأحب أن تخفق الالوية على رأسه قال وقد ولاه أمير المؤمنين مصر فانصرف عبد الملك بن صالح وبقيت متعجبا من اقدام جعفر على ذلك من غير استئذان وقلت عسى أن يجيبه أمير المؤمنين الى ماسأله من الولاية والمال والرضا عنه الا المصاهرة قال فلما كان من الغد بكرت الى باب الرشيد لانظر مايكون من أمرهم فدخل جعفر فلم يلبث أن دعى بأبى يوسف القاضى ثم بابراهيم بن عبد الملك بن صالح فخرج ابراهيم وقد عقد نكاحه بالغالية بنت الرشيد وعقد له على مصر والرايات والالوية تخفق على رأسه وخرج كل من فى القصر معه الى بيت عبد الملك بن صالح قال ثم بعد ذلك خرج الينا جعفر وقال أظن أن قلوبكم تعلقت بحديث عبد الملك بن صالح وأحببتم سماع ذلك قلنا هو كما ظننت قال لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه قال كيف كان يومك ياجعفر بالامس فقصصت عليه القصة حتى بلغت الى دخول عبد الملك بن صالح فكان متكئا فاستوى جالسا وقال لله أبوك ماسألك قلت سألنى رضاك عنه ياأمير المؤمنين قال بم أجبته قلت قد رضى عنك أمير المؤمنين قال قد رضيت عنه ثم ماذا قلت وذكر أن عليه عشرة آلاف دينار قال فبم أجبته قلت قد قضاها عنك أمير المؤمنين قال وقد قضيتها عنه ثم ماذا قلت ورغب أن يشد أمير المؤمنين ظهر ولده ابراهيم بمصاهرة منه قال فبم أجبته قلت قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال قد أجبته الى ذلك ثم ماذا قلت قال وأحب أن تخفق الالوية على رأسه قال فبم أجبته قلت قد ولاه أمير المؤمنين مصر قال قد وليته اياها ثم نجز له جميع ذلك من ساعته قال ابراهيم بن المهدى فوالله ماأدرى أى الثلاثة أكرم وأعجب فعلا ماابتدأه عبد الملك بن صالح من المنادمة ولم يكن فعل ذلك قط أم اقدام جعفر على الرشيد أم امضاء الرشيد جميع ماحكم به جعفر فهكذا تكون مكارم الاخلاق (وحكى) أبو العباس عن عمر الرازى قال أقبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير فى جد من الارض فسمعت غناء لم أسمع مثله فقلت والله لاتوصلن اليه فاذا هو عبد أسود فقلت له أعد على ماسمعت فقال والله لو كان عندى قرى أقريكه لفعلت ولكنى أجعله قراك فانى والله ربما غنيت بهذا الصوت وأنا جائع فأشبع وربما غنيته وأنا كسلان فأنشط أو عطشان فأروى ثم اندفع يغنى ويقول

وكنت اذا ماجئت سعدى أزورها * ارى الارض تطوى لى ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ودجليسها * اذا ماانقضت احدوثة لوتعيدها

قال عمر فحفظته منه ثم تغنيت به على الحالات التى وصفها لى فاذا هى كما ذكر والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السبعون فى ذكر القينات والاغانى)

(حكى) على بن الجهم قال لما أفضت الخلافة الى أمير المؤمنين المتوكل أهدى اليه عبد الله

ابن طاهر من خراسان جارية يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطائف فبرعت فى الجمال والادب وأجادت قول الشعر وحذاقة الغناء فشغف بها أمير المؤمنين المتوكل حتى كانت لا تفارق مجلسه ساعة واحدة ثم انه حصل منه عليها بعد ذلك جفاء فهجرها قال على بن الجهم فبينما أنا نائم عنده ذات ليلة اذ أيقظنى فقال يا على قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال قد رأيت الليلة فى منامى كأنى رضيت على محبوبة وصالحتها فقلت خيرا رأيت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك انما هى جاريتك والرضا والجفاء بيدك فوالله انا لفى حديثها اذ جاءت وصيفة فقالت يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة فقال قم بنا يا على ننظر ما تصنع فنهضنا حتى أتينا حجرتها فاذا هى تضرب بالعود وتقول

ادور فى القصر لا أرى أحدا * أشكو اليه ولا يكلمنى
كأننى قد أتيت معصية * ليس لها توبة تخلصنى
فهل شفيع لنا الى ملك * قد زارنى فى الكرى وصالحنى
حتى اذا ما الصباح لاح انا * عاد الى هجره وصارمنى

قال فصاح أمير المؤمنين فلما سمعته تلقته وأكبت على رجليه تقبلهما فقال ما هذا قالت يا مولاى رأيت فى منامى هذه الليلة كانك قد رضيت عنى فانشدت ما سمعت قال وأنا والله رأيت مثل ذلك ثم قال يا على هل رأيت أعجب من هذا الاتفاق ثم أخذ بيدها ومضى الى حجرتها وكان من أمرهما ما كان قيل وكان أمير المؤمنين الواثق اذا شرب رقد فى موضعه الذى شرب فيه ومن كان معه من ندمائه وشرب رقد ولم يخرج فشرب يوما وخرج من كان عنده الا مغنيا واحدا أظهر التراقد فترك وكانت مغنية من حظايا الخليفة نائمة فلما خلا المجلس كتب المغنى رقعة ورمى بها اليها فاذا فيها

انى رأيتك فى المنام ضجيعتى * مسترشفا من ريق فمك البارد
وكأن كفك فى يدى وكأننا * بتنا جميعا فى لحاف واحد
ثم انتبهت ومنكباك كلاهما * فى راحتى وتحت خدك ساعدى
فقطعت يومى كله متراقدا * لأراك فى نومى ولست براقد

فكتبت اليه على ظهرها تقول

خيرا رأيت وكل ما أملته * ستناله منى برغم الحاسد
وتبيت بين خلاخلى ودمالجى * وتحل بين مراشفى ونواهدى
ونكون أنعم عاشقين تعاطيا * ملح الحديث بلا مخافة راصد

فلما مدت يدها لترمى اليه بالرقعة رفع الواثق رأسه فاخذها من يدها وقال ما هذا فحلفا له انه لم يجرى بينهما قبل ذلك كلام ولا كتاب ولا رسول الا أن العشق قد خامرهما قال فاعتقها من وقتها وزوجها به وقال خذها ولا تقربنا بعد اليوم وكان لاسماء بنت المهدى جارية يقال لها كاعب وكانت بكرا ناهدا بنت ثلاث عشرة سنة قال فتلاعب عليها أبو نواس فتمنعت فوقع فى قلبه منها ما وقع وأحبته هى ايضا فجعل ابو نواس كلما امسكها تمنعت فظفر بها ليلة من الليالى فى ناحية من القصر فامسكها فبكت وقالت له يا سيدى الموت

دون ذلك فقال أبو نواس هذا جزع الابكار فاتفق انه خرج يوما من القصر وقد ترقرق الدجا فوجدها نائمة فى سبدلة وهى سكرى لا تفيق فتقرب منها وحل سراويلها ووقع عليها فاذا هى خالية من البكارة فارتاع وظن أن يكون أتاها دم فلم يجد فقام عنها وندم على ما كان منه وأنشد يقول

وناهدة الثديين من خدم القصر * سرقت الحدين ليلة الشهر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها * طويلا وصاحب الكواعب من أمرى
فمازلت بالاشعار حتى خدعتها * وروضتها والشعر من خدع السحر
أطالبها شيأ فقالت بعبرة * أموت ولا هذا ودمعتها تجرى
فلما تعارضنا توسطت لجة * غرقت بها ياقوم فى لجج البحر
فصحت أغثنى ياغلام فجاءنى * وقد زلقت رجلى وصرت الى الصدر
ولولا صياحى بالغلام وانه * تداركنى بالحبل صرت الى القعر
فأقسمت عمرى لاركبت سفينة * ولا سرت طول الدهر الاعلى ظهر

* ومن ذلك ما حدث الشيبانى قال كان عند رجل بالعراق قينة وكان أبو نواس يختلف اليها وكانت تظهر له أنها لا تحب غيره وكان كلما دخل اليها وجد عندها شابا يجالسها ويحادثها فقال فيها هذه الابيات

ومظهرة لخلق الله ودا * وتلقى بالتحية والسلام
أتيت ابابها أشكو اليها * فلم أخلص اليه من الزحام
فيامن ليس يكفيها خليل * ولا ألفا خليل كل عام
أراك بقية من قوم موسى * فهم لا يصبرون على طعام

وقال أبو سويد حدثنى أبو زيد الاسدى قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو جالس فى ايوان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاخضر فى وسط بستان ملتف قد أثمر وأينع وعلى رأسه وصائف كل واحدة منهن أحسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الاطيار فتجاوبت وصفقت الرياح على الاشجار فتمايلت فقلت السلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته وكان مطرقا فرفع رأسه وقال أبا زيد فى مثل هذا الحين تصاحبنا فقلت أصلح الله الامير أوقامت القيامة قال نعم على أهل المحبة ثم اطرق مليا ورفع رأسه وقال ابا زيد ما يطيب فى يومنا هذا قلت اصلح الله الامير قهوة حمراء فى زجاجة بيضاء تناولها غادة هيفاء مضمومة لفاء أشربها من كفها وأمسح فى بخدها فأطرق سليمان مليا لا يرد جوابا تنحدر من عينيه عبرات بلا شهيق فلما رأت الوصائف ذلك تنحين عنه ثم رفع رأسه فقال أبا زيد حضرت فى يوم فيه انقضاء أجلك ومنتهى مدتك وتصرم عمرك والله لاضربن عنقك أو لتخبرنى ما أثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم أصلح الله الامير كنت جالسا عند دار أخيك سعيد بن عبد الملك فاذا أنا بجارية قد خرجت من باب القصر كأنها غزال انفلت من شبكة صياد عليها قميص سكب اسكندرانى يبين منه بياض بدنها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفى رجليها نعلان صفراوان قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعليها بذؤابتين

تضربان الى حمرة يهما الهاء صدغان كأنهما نونان وحاجبان قد قوسا على محاجر عينيها وعينان علوتان سحرا وأنف كأنه قصبة بلور وفم كأنه جرح يقطر دما وهي تقول عباد الله من لي بدواء ما لا يشتكى وعلاج ما لا يسمى طال الحجاب وأبطأ الجواب والقلب طائر والعقل عازب والنفس والهة والفؤاد مختلس والنوم محتبس رحمة الله على قوم عاشوا تجلدا وماتوا كمدا ولو كان الى الصبر حيلة أو الى ترك الغرام سبيل لكان أمرا جميلا ثم اطرقت طويلا ورفعت رأسها فقلت لها أيتها الجارية انسية أنت ام جنية سماوية أنت أم أرضية فقد أعجبني ذكاء عقلك وأذهلني حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كأنها لم ترني ثم قالت اعذر أيها المتكلم فما أوحش الساعد بلا مساعد والمقاساة لصب معاند ثم انصرفت فوالله ما أكلت طعاما طيبا الا غصصت به لذكرها ولا رايت حسنا الا سمج في عيني لحسنها فقال سليمان ابا زيد كاد الجهل يستفزني والصبا يعاودني والحلم يعزب عني لشجو ما سمعت اعلم يا ابا زيد ان تلك التي رايتها هي الذلفاء التي قيل فيها

انما الذلفاء ياقوتة * اخرجت من كيس دهقان

شراؤها على اخي الف الف درهم وهي عاشقة لمن باعها والله ان مات ما يموت الا بحبها ولا يدخل القبر الا بغصتها وفي الصبر سلوة وفي توقع الموت نهية قم ابا زيد في دعة الله تعالى ثم قال ياغلام نفله ببدرة فاخذتها وانصرفت قال فلما افضت الخلافة اليه صارت الذلفاء اليه فامر بفسطاط فاخرج على دهناء الغوطة وضرب في روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق بهجة تحتها انواع الزهر ما بين اصفر فاقع وأحمر ساطع وابيض ناصع وكان لسليمان مغن يقال له سنان به يأنس واليه يسكن فامره ان يضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك المتنزه فلم يزل سنان يومه ذلك عند سليمان في اكمل سرور واتم حبور الى ان انصرف من الليل الى فسطاطه فنزل به جماعة من اخوانه فقالوا له نريد قرانا اصلحك الله قال وما قراكم قالوا اكل وشرب وسماع قال اما الاكل والشرب فمباحان لكم وأما السماع فقد عرفتم شدة غيرة امير المؤمنين ونهيه عنه الا ما كان في مجلسه قالوا لا حاجة لنا بطعامك وشرابك ان لم تسمعنا قال فاختاروا صوتا واحدا اغنيكموه قالوا غننا صوت كذا فرفع صوته يغني بهذه الابيات

محجوبة سمعت صوتي فارقها * من آخر الليل لما نبه السحر

في ليلة البدر ما يدري مضاجعها * اوجهها عنده ابهى ام القمر

لم يحجب الصوت احراس ولا غلق * فدمعها لطروق الصوت منحدر

لو مكنت لمشت نحوي على قدم * تكاد من لينها في المشي تنفطر

قال فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت الى صحن الفسطاط تسمع فجعلت لا تسمع شيأ من حسن خلق ولطافة قد الا رات ذلك كله في نفسها وهيئتها فحرك ذلك ساكنا من قلبها فهملت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحالة فقال ماهذا ياذلفاء فقالت

الارب صوت رائع من مشوه * قبيح المحيا واضع الاب والجد

يروعك منه صوته ولعله * الى امة يعزى معا والى عبد

فقال سليمان دعني من هذا فوالله لقد خامر قلبك منه ما خامر ثم قال ياغلام على بسنان فدعت الذلفاء خادما لها فقالت له ان سبقت رسول امير المؤمنين الى سنان فحذرته فلك عشرة آلاف درهم وانت حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول امير المؤمنين سليمان فلما اتى به قال ياسنان الم انهك عن مثل هذا قال يا امير المؤمنين حلني على ذلك حلمك وانا عبد امير المؤمنين وغرس نعمته فان رأى امير المؤمنين ان يعفو عن عبده فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن اما علمت ان الفرس اذا صهل ودقت له الحجرة وان الفحل اذا هدر ضبعت له الناقة وان الرجل اذا تغنى اصغت له المراة اياك واياك والعود الى ما كان منك فيطول غمك (وحكى) أن الرشيد قصد يوما فارسلت اليه بعض حظاياه قدحا فيه شراب مع وصيفة لها حسنة الوجه جميلة الطلعة بديعة المحيا وغطته بمنديل مكتوب عليه هذه الابيات

قصدت عرفاتبتغي صحة * البسك الله به العافية
فاشرب بهذا الكاس ياسيدي * واهنأ به من كف ذي الجاريه
واجعل لمن انفذه خلوة * تحظى بها في الليلة الآتيه

قال فنظر الرشيد الى الوصيفة التي جاءت بالقدح فاستحسنها فافتضها ثم ارسلها فاعلمت مولاتها بذلك فكتبت اليه رقعة تقول فيها هذه الابيات

بعثت الرسول فابطا قليلا * على الرغم مني فصبرا جميلا
وكنت الخليل وكان الرسول * فصرت الرسول وصار الخليلا
كذا من يوجه في حاجة * الى من يحب رسولا جميلا

قال فاستحسن الرشيد ذلك منها وارسل اليها انا عندك الليلة واهدى داود بن روح المهلبي الى المهدي جارية فخطيت عنده فواعدته المبيت عنده ليلة فمنعها الحيض فكتب اليها يقول

لاهجرن حبيبا خان موعده * وكان منه اصفو العيش تكدير

فارسلت اليه تجيبه

لاتهجرن حبيبا خان موعده * ولاتذمن وعدا فيه تأخير
ما كان حبسي الا من حدوث اذى * لايستطاع له بالقول تفسير

وقال محمد بن مروان يصف جارية له

امست تباع ولو تباع بوزنها * درا بكى اسفا عليها البائع

وكان للمأمون جويرية من احسن الناس واسبقهم الى كل نادرة فخطيت عنده فحسدها الجواري وقلن لاحسب لها فنقشت على خاتمها حسبي حسني فازداد بها المأمون عجبا فسمتها الجواري فماتت فجزع عليها المأمون جزعا شديدا وقال

اختلست ريحانتي من يدي * ابكي عليها آخر الأبد
كانت هي الانس اذا استوحشت * نفسي من الاقرب والابعد

وروضة كان بها مرتعي * ومنهل كان بها موردي
كانت يدي كان بها قوتي * فاختلس الدهر يدي من يدي

وللمتوكل في قينة

أمازحها فتغضب ثم ترضى * فكل فعالها حسن جميل
فان غضبت فأحسن ذي دلال * وان رضيت فليس لها عديل

وحدث أبو عبد الله بن عبد البر قال حدثني اسحق بن ابراهيم عن الهيثم بن عدي قال كان في المدينة رجل من بني هاشم وكان له قينتان يقال لاحداهما ارشا وللاخرى جوذر وكان بالمدينة رجل مضحك لا يكاد يغيب عن مجلس المستظرفين فأرسل الهاشمي اليه ذات يوم ليسخر به فلما اتاه قال له اصلحك الله انك اني لذتك ولا اذة لي قال وما الذتك قال تحضر لي نبيذا فانه لا يطيب لي عيش الا به فامر الهاشمي باحضار نبيذ وأمر أن يطرح فيه سكر العشر فلما شربه المضحك تحرك عليه بطنه فتناوم الهاشمي وغمز جاريتيه عليه فلما ضاق عليه الامر واضطر الى التبرز قال في نفسه ما أظن هاتين المغنيتين الا يمانيتين وأهل اليمن يسمون الكنف بالمراحيض فقال لهما يا حبيبتي أين المرحاض فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنياني

رحضت فؤادي فخليتني * أهيم من الحب في كل واد

فاندفعتا تغنيانه فقال في نفسه والله ما أظنهما فهمتا عني وما أظنهما الا مكيتين وأهل مكة يسمونها المخارج فقال يا حبيبتي أين المخرج فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنياني

خرجت لها من بطن مكة بعدما * أقام المنادي بالعشي فأعتما

فاندفعتا يغنيانه فقال في نفسه لم يفهما عني وما أظنهما الا شاميتين وأهل الشام يسمونها المذاهب فقال يا حبيبتي أين المذهب فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول حبيبنا قالت يقول غنياني

ذهبت من الهجران في كل مذهب * ولم يك حقا كل هذا التجنب

فغنتاه الصوت فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لم يفهما عني وما أظن القحبتين الا مدنيتين وأهل المدينة يسمونها بيت الخلاء فقال يا حبيبتي أين بيت الخلاء فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنياني

خلا على بقاع الارض اذ ظعنوا * من بطن مكة واسترعاني الحزن

قال فغنتاه فقال انا لله وانا اليه راجعون ما أظن الفاسقتين الا بصريتين وأهل البصرة يسمونها الحشوش فقال يا حبيبتي أين الحشوش فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنياني

أوحشوني وعز صبري فيهم * ما احتيالي وما يكون فعالي

قال فاندفعتا تغنيانه فقال ما أراهما الا كوفيتين وأهل الكوفة يسمونها الكنف فقال لهما يا حبيبتي أين الكنيف فقالت احداهما لصاحبتها ايش سيدنا ما رأيت أكثر اقتراحا من هذا

الرجل قالت ما يقول قالت يسأل أن تغني له

تكنفني الهوى طفلا * فشيبني وما اكتهلا

فقال واويلاه واعظم مصيبتاه هذا والهاشمي يتقطع ضحكا فقال لهما بازانيتان ان لم تعلماني به أنا أعلمكما ثم رفع ثيابه وسلح عليهما وعلى الفراش فانتبه الهاشمي وقد غشي عليه من شدة الضحك وقال ويلك ما هذا تسلح على وطائي فقال الرجل حياة نفسي أعز علي من وطائك وقيل انه لما قيل له ويلك ما هذا قال المضحك هذه الابيات

تكنفني الملاح وأضجروني * على ما بي بنيات الزواني

فلما قل عن ذاك اصطباري * قذفت به على وجه الغواني

قال فانبسط الهاشمي ودفع اليه مالا ومضى الى سبيله * وقال علي بن الجهم قلت لقينة

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدني اليك فان الحب أقصاني

قالت تأتي من باب الذهب وأنشدت

اجعل شفيعك منقوشا تقدمه * فلم يزل مدنيا من ليس بالداني

وكان أشعث يختلف الى قينة بالمدينة فجلس عندها يوما يطارحها الغناء فلما أراد الخروج قال لها ناوليني خاتمك أذكرك به قالت انه ذهب وأخاف أن تذهب ولكن خذ هذا العود فلعلك أن تعود وناولته عودا من الارض وكان بعض القينات من الجمال والحسن بجانب ثم أصابتها علة فتغير حالها فكانت تنشد

ولي كبد مقروحة من يبيعني * بها كبدا ليست بذات قروح

اباها على الناس لا يشترونها * ومن يشتري ذا علة بصحيح

وكان المعتصم يحب قينة من حظاياه فاتفق انه خرج الى مصر وتركها فذكرها في بعض الطريق فاشتاق اليها فغلبه الوجد فدعا مغنيا له وقال ويحك قد ذكرت جاريتي فلانة فقلقني الشوق اليها فعسى أن تغنيني شيأ في معنى ما ذكرته لك فأطرق مليا ثم غناه شعرا

وددت من الشوق المبرح انني * أعار جناحي طائر فأطير

فما النعيم ليس فيه بشاشة * وما السرور ليس فيه سرور

وان امرأ في بلدة نصف قلبه * ونصف باخرى غيرها الصبور

والحكايات في معنى ذلك كثيرة ولو أردت بسطها لاحتجت الى مجلدات ولكن ما قل ودل خير من كثير عل وفيما ذكرته كفاية والله المسؤل أن يمدني منه باللطف والعناية ونسأله التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الحادي والسبعون في ذكر العشق ومن بلي به والافتخار بالعفاف وأخبار من مات بالعشق وما في معنى ذلك وفيه فصول

(الفصل الاول في وصف العشق) قال الجاحظ العشق اسم لما فضل عن المحبة كما أن السرف اسم لما جاوز الجود وقال أعرابي العشق خفي أن يرى وجلي أن يخفى فهو كامن ككمون النار في الحجر ان قدحته أورى وان تركته توارى وقيل أول العشق النظر وأول الحريق الشرر وكان العشاق فيما مضى يشق الرجل برقع حبيبته والمرأة تشق

رداء حبيبها ويقولون انهما اذا لم يفعلا ذلك عرض البغض بينهما وقال عبد بنى الحسحاس

وكم قد شققنا من رداء محبر * ومن برقع عن طفلة غير عانس
اذا شق برد شق بالبرد برقع * من الحب حتى كلنا غير لابس

وقيل لاعرابى ما بلغ من حبك لفلانة قال انى لاذكرها وبينى وبينها عقبة الطائف فأجد من ذكرها رائحة المسك وقيل رأى شبيب أخو بثينة جميلا عندها فوثب عليه وآذاه ثم ان شبيبا أتى مكة وجميل فيها فقيل لجميل دونك شبيبا فخذ بثارك منه فقال

وقالوا يا جميل أتى أخوها * فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

وأنشد الاخفش الحداد يقول

مطارق الشوق منها فى الحشى أثر * يطرقن سندان قلب حشوه الفكر
ونار كور الهوى فى الجسم موقدة * ومبرد الحب لا يبقى ولا يذر *

وفى الجليس الانيس لابى العالية الشامى قال سأل أمير المؤمنين المأمون يحيى بن اكثم عن العشق ماهو فقال هو سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه وقال ثمامة العشق جليس ممتع وأليف مؤنس وصاحب ملك مسالكه ضيقة ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة ملك الابدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها وأعطى عنان طاعتها وقوة تصريفها توارى عن الابصار مدخله وخفى فى القلوب مسلكه وكان شيخ بخراسان له أدب وحسن معرفة بالامور قال لسليمان بن عمرو ومن معه أنتم ادباء وقد سمعتم الحكمة ولكم حداء ونغم فهل فيكم عاشق قالوا لا قال اعشقوا فان العشق يطلق اللسان ويفتح حيلة البليد والبخيل ويبعث على التلطف وتحسين اللباس وتطييب المطعم ويدعو الى الحركة والذكاء وتشريف الهمة وقال المجنون

قالت جننت على ذكرى فقلت لها * الحب اعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون فى الحين

قال ذو الرياستين ان بهرام جور كان له ابن وكان قد رشحه للامر من بعده فنشا الفتى ناقص الهمة ساقط المروأة خامل النفس سيء الادب فغمه ذلك فوكل به من المؤدبين والمنجمين والحكماء من يلازمه ويعلمه وكان يسألهم عنه فيحكون له ما يغمه من سوء فهمه وقلة ادبه الى ان سأل بعض مؤدبيه يوما فقال له المؤدب قد كنا نخاف سوء ادبه فحدث من أمره ما صيرنا الى الرجاء فى فلاحه قال وما ذاك الذى حدث قال رأى ابنة فلان المرزبان فعشقها فغلبت عليه فهو لا يهدأ الا بها ولا يتشاغل الا بها فقال بهرام الآن رجوت فلاحه ثم دعا بأبى الجارية فقال له انى مسر اليك سرا فلا يعدونك فضمن له ستره فاعلمه ان ابنه قد عشق ابنته وانه يريد ان ينكحها اياه وامره ان يأمرها باطماعه فى نفسها ومراسلته من غير ان يراها وتقع عينه عليها فاذا استحكم طمعه فيها تجتنبه وتهجره فان استعلمها اعلمته انها لا تصلح الا لملك ثم لتعلمنى خبرها وخبره ولا تطلعهما على ما أسررته اليك فقبل ابوها ذلك منه ثم قال للمؤدب الموكل بأدبه حضه وشجعه على مراسلة المرأة ففعل ذلك وفعلت المرأة كما

امرها ابوها فلما انتهت الى التجني عليه وعلم الفتى السبب الذي كرهته لاجله اخذ في الادب وطلب الحكمة والعلم والفروسية والرماية وضرب الصولجان حتى مهر في ذلك ثم رفع الى ابيه انه محتاج الى الدواب والآلات والمطاعم والملابس والندماء وما أشبه ذلك فسر الملك بذلك وامر له بما طلب ثم دعا مؤدبه فقال له ان الموضع الذي وضع به ابني نفسه من خبر هذه المرأة لايدرى به فتقدم اليه ومره أن يرفع امرها الى ويسألني ان ازوجه اياها ففعل المؤدب ذلك فرفع الفتى ذلك لابيه فدعا بأبيها وزوجه اياها وامر بتعجيلها اليه وقال له اذا اجتمعت انت وهي فلا تحدث شيأ حتى اصير اليك فلما اجتمعا صار اليه فقال يابني لايضعن قدرها عندك مراسلتها اياك وليست في خبائك فاني امرتها بذلك وهي اعظم الناس منة عليك بما دعتك اليه من طلب الحكمة والتخلق بأخلاق الملوك حتى بلغت الحد الذي تصلح معه للملك من بعدي فزدها من التشريف والاكرام بقدر ماتستحق منك ففعل الفتى وعاش مسرورا بالجارية وعاش ابوه مسرورا به واحسن ثواب ابيها ورفع منزلته لصيانة سره واحسن جائزة المؤدب لامتثال ما امره به وكان عبد الله بن عبيدة الريحاني يهوى جارية فزارته يوما فأقام يحدثها ويشكو اليها الم الفراق فحان وقت الظهر فناداه انسان الصلاة ياابا الحسن فقال له رويدا حتى تزول الشمس اي حتى تقوم الجارية وقالت ليلى العامرية في قيسها

لم يكن المجنون في حالة * الا وقد كنت كما كانا
لكنه باح بسر الهوى * وانني قد ذبت كتمانا

وقال احمد بن عثمان الكاتب

واني ليرضيني المرّ ببابها * واقنع منها بالشتيمة والزجر

وقال الفتح بن خاقان صاحب المتوكل

ايها العاشق المعذب صبرا * فخطايا اخي الهوى مغفوره
زفرة في الهوى احط لذنب * من غزاة وحجة مبروره

وقال عمر بن أبي ربيعة كنت بين امرأتين هذه تساررني وهذه تعضني فما شعرت بعضة هذه من لذة هذه وانشد شيبان العذري يقول

لو حز بالسيف راسي في محبتها * لطار يهوي سريعا نحوها راسي

وقال يحيي بن معاذ الرازي لو امرني الله ان اقسم العذاب بين الخلق ماقسمت للعاشقين عذابا

(الفصل الثاني من هذا الباب فيمن عشق وعف والافتخار بالعفاف) روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فمات فهو شهيد وقال صلى الله عليه وسلم عفوا تعف نساؤكم وقال بعضهم رأيت امرأة مستقبلة البيت في غاية الضعف والنحافة رافعة يديها تدعو فقلت لها هل من حاجة فقالت حاجتي ان تنادي في الموقف بقولي

تزود كل الناس زادا يقيهم * ومالي زاد والسلام على نفسي

فناديت كما أمرتني واذا بفتى نحيل الجسم قد اقبل الى فقال انا الزاد فضيت به اليها فما زاد
على النظر والبكاء ثم قالت له انصرف بسلام فقلت ما علمت ان لقاء كما يقتصر على هذا فقالت
أمسك يا هذا أما علمت ان ركوب العار ودخول النار شديد قال ابراهيم بن محمد
المهلبي

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني * منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن اهوى فيقنعني * منه الفكاهة والتأنيس والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن اجالسهم * وليس لى فى حرام منهم وطر
كذلك الحب لا اتيان معصية * لا خير فى لذة من بعدها سقر

وقال بعض بنى كلاب

ان اكن طامح اللحاظ فانى * والذى يملك الفؤاد عفيف

ونحو ذلك قول القائل

فقالت بحق الله الا أتيتنا * اذا كان لون الليل شبه الطيالس
فجئت ومافى القوم يقظان غيرها * وقد نام عنها كل واش وحارس
فبتنا بليل طيب نستلذه * جميعا ولم أقلب لها كف لامس

ونزل رجل على صديق له مستترا خائفا من عدوله فأنزله فى منزله وتركه فيه وسافر لبعض
حوائجه وقال لامرأته أوصيك بضيفى هذا خيرا فلما عاد بعد شهر قال لها كيف ضيفنا قالت
ما أشغله بالعمى عن كل شئ وكان الضيف قد أطبق عينيه فلم ينظر الى امرأة صاحبه ولا الى
منزله الى أن عاد من سفره وكان عمر بن أبى ربيعة عفيفا يصف ويعف ويحوم ولا يرد ودخلت
بثينة على عبد الملك بن مروان فقال لها يا بثينة ما أرى فيك شيأ مما كان يقوله جميل فقالت
يا أمير المؤمنين انه كان يرنو الىّ بعينين ليستا فى رأسك قال فكيف رأيتيه فى عشقه قالت كان
كما قال الشاعر

لا والذى تسجد الجباه له * مالى بما تحت ذيلها خبر
ولا بفيها ولا هممت بها * ما كان الا الحديث والنظر

وقد قدمت هذين البيتين فى الجزء الاول فيما جاء فى الكناية على سبيل الرمز وعن أبى سهل
الساعدى قال دخلت على جميل وبوجهه آثار الموت فقال لى يا أبا سهل ان رجلا يلقى الله
ولم يسفك دما ولم يشرب خمرا ولم يأت فاحشة أفترجو له الجنة قلت اى والله فمن هو قال انى
لأرجو أن أكون ذلك فذكرت له بثينة فقال انى لفى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من
الآخرة لانالتنى شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ان كنت حدثت نفسى بريبة قط وعن
عبد الله بن عبد المطلب أبى النبى صلى الله عليه وسلم انه دعته بغى الى نفسها وبذلت له
مالا وكانت تتكهن وتسمع باتيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت جميلة فأرادت
أن تخدع عبد الله رجاء أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم منها للنور الذى رأته بين عينيه فأبى
وقال

أما الحرام فالحمام دونه * والحل لا نابى ونستدينه

فكيف بالامر الذى تبغينه * يحمى الكريم عرضه ودينه

وقال آخر

وأحور مخضوب البنان محجب * دعانى فلم أعرف الى مادعا وجها
بخلت بنفسى عن مقام يشينها * ولست مريدا اذا الطوع اولا كرها

وراود شاب ليلى الاخيلية عن نفسها فاشمأزت وقالت

وذى حاجة قلنا له لاتبح بها * فليس اليها ماحييت سبيل
لنا صاحب لاينبغى أن نخونه * وأنت لاخرى صاحب وخليل

وقال ابن ميادة

موانع لايعطين حبة خردل * وهن دوان فى الحديث أوانس
ويكرهن أن يسمعن فى اللهو ريبة * كما كرهت صوت اللجام الشوامس

وقال آخر

حور حرائر ماهممن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام فواسقا * ويصدهن عن الخنى الاسلام

وكان الاصمعى يستحسن بيتى العباس بن الاحنف

أتأذنون لصب فى زيارتكم * فعندكم شهوات السمع والبصر
لايظهر الشوق ان طال الجلوس به * عف الضمير ولكن فاسق النظر

واختفى ابراهيم بن المهدى فى هربه من المأمون عند عمته زينب بنت أبى جعفر فوكلت بخدمته جارية لها اسمها ملك وكانت واحدة زمانها فى الحسن والادب طلبت منها بخمسمائة ألف درهم فهويها ابراهيم وكره أن يراودها عن نفسها فغنى يوما وهى قائمة على رأسه

ياغزالا لى اليه * شافع من مقلتيه
أنا ضيف وجزاء الضيف احسان اليه

ففهمت الجارية ماأراد فحكت ذلك لمولاتها فقالت اذهبى اليه فأعلميه انى قد وهبتك له فعادت اليه فلما رآها أعاد البيتين فأكبت عليه فقال لها كفى فلست بخائن فقالت قد وهبتنى لك مولاتى وانا الرسول فقال أما الآن فنعم وأنشد المبرد

ماان دعانى الهوى لفاحشة * الانهانى الحياء والكرم
فلا الى فاحش مددت يدى * ولامشت بى لزلة قدم

وقال آخر

يقولون لاتنظر فذلك بلية * بلى كل ذى عينين لابد ناظر
وهل باكتحال العين بالعين ريبة * اذا عف فيما بينهن السرائر

وكان بعض الخلفاء قد نذر على نفسه أن لا ينشد شعرا ومتى أنشد بيت شعر فعليه عتق رقبة قال فبينما هو فى الطواف يوما اذ نظر الى شاب يتحدث مع شابة جميلة الوجه فقال له ياهذا اتق الله أفى مثل هذا المكان فقال ياأمير المؤمنين والله ماذا الخنى ولكنها ابنة عمى وأعز الناس

على وان أباها منعني من تزوجها الفقري وفاقني وطلب مني مائة ناقة ومائة أوقية من الذهب ولم أقدر على ذلك قال فطلب الخليفة أباها ودفع اليه ما اشترطه على ابن أخيه ولم يقم من مقامه حتى عقد له عليها ثم دخل الخليفة الى بيته وهو يترنم ببيت من الشعر فقالت له جارية من حظاياه اراك اليوم يا مولاى تنشد الشعر أفنسيت ما نذرت ام نراك قد هويت فأنشد هذه الابيات يقول

تقول وليدتى لما رأتنى * طربت وكنت قد اسليت حينا
اراك اليوم قد احدثت عهدا * وأورثك الهوى داء دفينا
بحقك هل سمعت لها حديثا * فشاقك اورأيت لها جبينا
فقلت شكا الى اخ محب * كمثل زماننا اذ تعلمينا
وذو الشجو القديم وان تعزى * محب حين يلقى العاشقينا

ثم عد الابيات فاذا هى خمسة ابيات فأعتق خمس رقاب ثم قال لله درك من خمسة اعتقت خمسة وجمعت بين رأسين فى الحلال وروى عن عثمان الضحاك قال خرجت اريد الحج فنزلت بخيمة بالابواء فاذا بجارية جالسة على باب الخيمة فأعجبنى حسنها فتمثلت بقول نصيب

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب * وقل لا تملينا فما ملك القلب

فقالت يا هذا اتعرف قائل هذا البيت قلت بلى هو نصيب فقالت اتعرف زينبه قلت لا قالت انا زينبه قلت حياك الله وحياك قالت اما والله ان اليوم موعده وعدنى العام الاول بالاجتماع فى هذا اليوم فلعلك ان لا تبرح حتى تراه قال فبينما هى تكلمنى اذا انا براكب قالت ترى ذلك الراكب قلت نعم قالت انى لاحسبه اياه فأقبل فاذا هو نصيب فنزل قريبا من الخيمة ثم اقبل فسلم ثم جلس قريبا منها فسألته ان ينشدها فأنشدها فقلت فى نفسى محبان قد طال التنائى بينهما فلابدان يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة فقمت الى بعيرى لاشد عليه فقال على رسلك انى معك فجلست حتى نهض معى فسرنا وتسامرنا فقال لى اقلت فى نفسك محبان التقيا بعد طول تناء فلابد ان يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة قلت نعم قد كان ذلك قال ورب هذا البيت منذ احببتها ما جلست منها مجلسا هو اقرب من مجلسى هذا فتعجبت لذلك وقلت والله هذه هى العفة فى المحبة وعن محمد بن يحيى المدنى قال سمعت بعض المدنيين يقول كان الرجل اذا احب الفتاة يطوف حول دارها حولا يفرح أن يرى من يراها فان ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الاشعار واليوم هو يشير اليها وتشير اليه ويعدها وتعده فان التقيا لم يتشاكيا حبا ولم يتناشدا شعرا بل يقوم اليها ويجلس بين شعبتيها كانه أشهد على نكاحها اباهريرة وقال الاصمعى قلت لاعرابية ما تعدون العشق فيكم قالت الضمة والغمزة والقبلة ثم انشأت تقول

ما الحب الا قبلة * وغمز كف وعضد
ما الحب الا هكذا * ان نكح الحب فسد

ثم قالت كيف تعدون أنتم العشق قلت نمسك بقرنيها ونفرق بين رجليها قالت لست بعاشق انت طالب ولد ثم أنشأت تقول

قد فسد العشق وهان الهوى * وصار من يعشق مستعجلا

* يريدان ينكح احبابه * من قبل أن يشهد أو يحملا

وقيل لرجل وقد زفت عشيقته على ابن عم لها أيسرك أن تظفر بها الليلة قال نعم والذى امتعنى بحبها وأشقانى بطلبها قيل فما كنت صانعا بها قال كنت أطيع الحب فى لثمها وأعصى الشيطان فى اثمها ولا أفسد عشق عشرين سنة بما يبقى ذميم عاره وينشر قبيح أخباره الى اذن لئيم لم يلد فى كريم ومر سيدنا عمر رضى الله عنه ليلة فى بعض سكك المدينة فسمع امرأة تقول

ألا طال هذا الليل وازور جانبه * وليس الى جنبى خليل ألاعبه

فوالله لولا الله تخشى عواقبه * لحرك من هذا السرير جوانبه

مخافة ربى والحياء يعفنى * واكرام بعلى أن تنال مراتبه

قال فسأل عمر رضى الله عنه عنها فقيل له انها امرأة فلان وله فى الغزاة ثمانية أشهر فأمر عمر رضى الله عنه أن لا يغيب الرجل عن امرأته أكثر من أربعة أشهر ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزى فى كتاب تلقيح فهوم الاثر عن محمد بن عثمان بن أبى خيثمة السلمى عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطوف ذات ليلة فى سكك المدينة اذ سمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فأشربها * أم من سبيل الى نصر بن حجاج

الى فتى ماجد الاعراق مقتبل * سهل المحيا كريم غير ملجاج

تنميه اعراق صدق حين تنسبه * أخى وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر رضى الله عنه لا أرى معى بالمدينة رجلا تهتف به العواتق فى خدورهن على بنصر ابن حجاج فلما أصبح أتى بنصر بن حجاج فاذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لتاخذن من شعرك فأخذ من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كانهما شقتا قمر فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينيه فقال له عمر والله لا تساكننى فى بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ما ذنبى قال هو ما أقول لك ثم سيره الى البصرة وخشيت المرأة التى سمع منها عمر ما سمع أن يبدر من عمر اليها شئ فدست اليه المرأة أبياتا وهى

قل للامام الذى تخشى بوادره * مالى وللخمر أو نصر بن حجاج

لا تجعل الظن حقا أن تبينه * ان السبيل سبيل الخائف الراجى

ان الهوى زم بالتقوى فتحبسه * حتى يقر بالجام واسراج

قال فبكى عمر رضى الله عنه وقال الحمد لله الذى زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الاذان والاقامة متعرضة لعمر فاذا هو قد

خرج في ازار ورداء وبيده الدرة فقالت له يا أمير المؤمنين والله لأقفن أنا وانت بين يدى الله تعالى وليحاسبنك الله أيبيتن عبد الله وعاصم الى جنبيك وبيني وبين ابني الفيافي والاودية فقال لها ان ابني لم تهتف بهما العواتق في خدورهن ثم أرسل عمر الى البصرة بريدا الى عتبة ابن غزوان فأقام أياما ثم نادى عتبة من أراد ان يكتب الى أمير المؤمنين فليكتب فان البريد خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد فاسمع مني هذه الابيات

لعمرى لئن سيرتني أو حرمتني * وما نلت من عرضي عليك حرام

فأصبحت منفيا على غير ريبة * وقد كان لي بالمكتين مقام

لئن غنت الذلفاء يوما بغنية * وبعض أماني النساء غرام

ظننت بي الظن الذى ليس بعده * بقاء ومالي جرمة فألام

فيمنعني مما تقول تكرمي * وآباء صدق سالفون كرام

ويمنعها مما تقول صلاتها * وحال لها في قومها وصيام

فهاتان حالانا فهل أنت راجعي * فقد جب مني كاهل وسنام

قال فلما قرأ عمر رضي الله عنه هذه الابيات قال أما ولي السلطان فلا وأقطعه دارا بالبصرة في سوقها فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة والله تعالى أعلم

(الفصل الثالث من هذا الباب في ذكر من مات بالحب والعشق) حدث أبو القاسم بن اسمعيل بن عبد الله المأمون قال حدثني أبي قال كانت بالمدينة قينة من أحسن الناس وجها وأكملهم عقلا وأكثرهم أدبا قد قرأت القرآن وروت الاشعار وتعلمت العربية فوقعت عند يزيد بن عبد الملك فأخذت بمجامع قلبه فقال لها ذات يوم ويحك أما لك قرابة أو أحد تحبين أن أضيفه وأسدى اليه معروفا قالت يا أمير المؤمنين اما قرابة فلا ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا اصدقاء لمولاى واحب أن ينالهم خير مما صرت اليه فكتب الى عامله بالمدينة في احضارهم اليه وان يدفع الى كل واحد منهم عشرة آلاف درهم فلما وصلوا الى باب يزيد استؤذن لهم في الدخول عليه فأذن لهم وأكرمهم غاية الاكرام وسألهم عن حوائجهم فأما اثنان منهم فذكرا حوائجهما فقضاها وأما الثالث فسأله عن حاجته فقال يا أمير المؤمنين مالي حاجة قال ويحك أولست أقدر على حوائجك قال بلى يا أمير المؤمنين ولكن حاجتي ما أظنك تقضيها فقال ويحك فاسألني فانك لا تسألني حاجة أقدر عليها الا قضيتها قال فلي الامان يا أمير المؤمنين قال نعم قال ان رأيت يا أمير المؤمنين أن تأمر جاريتك فلانة التي اكرمتنا بسببها ان تغني ثلاثة اصوات أشرب عليها ثلاثة ارطال فافعل قال فتغير وجه يزيد ثم قام من مجلسه فدخل على الجارية فأعلمها فقالت وما عليك يا امير المؤمنين فأمر بالفتى فأحضر وامر بثلاثة كراسي من ذهب فنصبت فقعد يزيد على احدها والجارية على الآخر والفتى على الثالث ثم دعا بصنوف الرياحين والطيب فوضعت ثم امر بثلاثة ارطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك فقال تأمرها يا أمير المؤمنين ان تغني بهذا

الشعر

لا أستطيع سلوا عن مودتها * او يصنع الحب بى فوق الذى صنعا
ادعو الى هجرها قلبى فيسعدنى * حتى اذا قلت هذا صادق نزعا

فأمرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم امر بالارطال فملئت وقال للفتى سل حاجتك فقال مرها يا امير المؤمنين ان تغنى بهذا الشعر

تخيرت من نعمان عود اراكة * لهند ولكن من يبلغه هندا
الا عرجابى بارك الله فيكما * وان لم تكن هند لارضكما قصدا

فامرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم امر بالارطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك قال تأمرها يا امير المؤمنين ان تغنى بهذا الشعر

منى الوصال ومنكم الهجر * حتى يفرق بيننا الدهر
والله لا اسلوكمو ابدا * مالاح بدر أو بدا الفجر

فأمرها فغنت قال فلم تتم الابيات حتى خر الفتى مغشيا عليه فقال يزيد للجارية قومى انظرى ماحاله فقامت اليه فحركته فاذا هو ميت فقال لها يزيد ابكيه فقالت لا ابكيه يا أمير المؤمنين وانت حى فقال لها ابكيه فوالله لو عاش ما انصرف الابك فبكت الجارية وبكى أمير المؤمنين وامر بالفتى فجهز ودفن واما الجارية فلم تمكث بعده الا اياما قلائل وماتت (وحكى) عن عبد الله بن جعفر بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه انه قدم على عبد الملك بن مروان فجلس ذات ليلة يسامره فتذاكرا الغناء والجوارى المغنيات والعشق فقال عبد الملك لعبد الله حدثنى بأعجب ما مر لك فى هذه الاغانى ومارأيت من الجوارى قال نعم يا أمير المومنين اشتريت جارية مولدة بعشرة آلاف درهم وكانت حاذقة مطبوعة فوصفت ليزيد بن معاوية فكتب الى فى شأنها فكتبت اليه والله لا تخرج منى ببيع ولا هبة فأمسك عنى فكانت عندى على تلك الحالة لا ازداد فيها الا حبا فبينما انا ذات ليلة اذ اتتنى عجوز من عجائزنا فذكرت لى ان بعض اعراب المدينة يحبها وتحبه ويراها وتراه وانه يجىء كل ليلة متنكرا فيقف بالباب فيسمع غناءها ويبكى شغفا وحبا فراعيت ذلك الوقت الذى قالت عليه العجوز فاذا به قد اقبل مقنعا رأسه وقعد مستخفيا فلم ادع بها فى تلك الليلة وجعلت اتأمل موضعها وموضعه فاذا بها تكلمه ويكلمها ولم ار بينهما الا عتبا ولم يزل كذلك حتى ابيض الصبح فدعوت بها وقلت لقيمة الجوارى اصلحى فلانة بما يكملك فأصلحتها وزينتها فلما جاءت بها قبضت على يديها وفتحت الباب وخرجت فجئت الى الفتى فحركته فاتيته مذعورا فقلت لا بأس عليك ولا خوف هى هبة منى اليك فدهش الفتى ولم يجبنى فدنوت الى اذنه وقلت قد اظفرك الله تعالى ببغيتك فقم وانصرف بها الى منزلك فلم يرد جوابا فحركته فاذا هو ميت فلم أر شيأ قط كان اعجب من امره قال عبد الملك لقد حدثتنى بعجب فما صنعت الجارية قلت ماتت والله بعده بايام بعد نحول عظيم وتعليل وماتت كمدا ووجدا على الغلام وقيل ان عبد الله ابن عجلان الهندى رأى اثر كف عشيقته فى ثوب زوجها فمات وذكر محمد بن واسع الهيتى ان عبد الملك بن مروان بعث كتابا الى الحجاج بن يوسف الثقفى يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم

من

من عند عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف أما بعد فاذا ورد عليك كتابي هذا وقرأته فسير لي ثلاث جوار مولدات ابكارا يكون اليهن المنتهى في الجمال واكتب لي بصفة كل جارية منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين وأمرهم بما أمره به أمير المؤمنين وأمرهم أن يسيروا الى أقصى البلاد حتى يقعوا بالغرض وأعطاهم المال وكتب لهم كتبا الى كل الجهات فساروا يطلبون ما أراد أمير المؤمنين فلم يزالوا من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم حتى وقعوا بالغرض ورجعوا الى الحجاج بثلاث جوار مولدات ليس لهن مثيل قال وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر الى كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها فوجدهن لا يقام لهن بقيمة وأن ثمنهن ثمن واحدة منهن ثم كتب كتابا الى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلني كتاب أمير المؤمنين أمتعني الله تعالى ببقائه يذكر فيه انى أشترى له ثلاث جوار مولدات أبكارا وأن أكتب له صفة كل واحدة منهن وثمنها فأما الجارية الاولى أطال الله تعالى بقاء أمير المؤمنين فانها جارية عيطاء السوالف عظيمة الروادف كحلاء العينين حمراء الوجنتين قد أنهدت نهداها والتفت فخذاها كأنها ذهب شيب بفضة وهي كما قيل

بيضاء فيها اذا استقبلتها دعج * كأنها فضة قد شابها ذهب

وثمنها يا أمير المؤمنين ثلاثون ألف درهم وأما الثانية فانها جارية فائقة في الجمال معتدلة القد والكمال تشفي السقيم بكلامها الرخيم وثمنها يا امير المؤمنين ستون ألف درهم وأما الثالثة فانها جارية فاترة الطرف لطيفة الكف عميمة الردف شاكرة للقليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كأنها خشف الغزال وثمنها يا أمير المؤمنين ثمانون ألف درهم ثم أطنب في الشكر والثناء على أمير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ودعا النخاسين فقال لهم تجهزوا للسفر بهؤلاء الجواري الى أمير المؤمنين فقال أحد النخاسين أيد الله الامير انى رجل كبير ضعيف عن السفر ولي ولد ينوب عني أفتأذن لي في ذلك قال نعم فتجهزوا وخرجوا ففي بعض مسيرهم نزلوا يوما ليستريحوا في بعض الاماكن فنامت الجواري فهبت الريح فانكشف بطن احداهن وهي الكوفية فبان نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر اليها ابن النخاس وكان شابا جميلا فافتتن بها الساعة فأتاها على غفلة من أصحابه وجعل يقول

أمكتوم عيني لا تمل من البكا * وقلبي بأسهام الأسى يترشق

أمكتوم كم من عاشق قتل الهوى * وقلبي رهين كيف لا أتعشق

فاجابته تقول

لو كان حقا ما تقول لزرتنا * ليلا اذا هجعت عيون الحسد

قال فلما جن الليل انتضى الفتى ابن النخاس سيفه وأتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنتظر قدومه فأخذها وأراد أن يهرب ففطن به أصحابه فأخذوه وكتفوه وأوثقوه بالحديد ولم يزل مأسورا معهم الى أن قدموا على عبد الملك بن مروان فلما مثلوا بالجواري بين يديه أخذ

الكتاب ففتحه وقرأه فوجد الصفة ووافقت اثنتين من الجوارى ولم توافق الثالثة ورأى فى وجهها صفرة وهى الجارية الكوفية فقال للنخاسين ما بال هذه الجارية لم توافق حليتها التى ذكرها الحجاج فى كتابه وما هذا الاصفرار الذى بها والانتحال فقالوا يا أمير المؤمنين نقول ولنا الامان قال ان صدقتم أمنتم وان كذبتم هلكتم فخرج أحد النخاسين وأتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدى أمير المؤمنين بكى بكاء شديدا وأيقن بالعذاب ثم أنشأ يقول

أمير المؤمنين أتيت رغما * وقد شدت الى عنقى يديا

مقرا بالقبيح وسوء فعلى * ولست بما رميت به بريا

فان تقتل فنوق القتل ذنبى * وان تعفو فمن جود عليا

فقال عبد الملك يا فتى ما حملك على ما صنعت استخفاف بنا أم هوى الجارية قال وحق رأسك يا أمير المؤمنين وعظم قدرك ما هو الاهوى الجارية فقال هى لك بما أعددته لها فأخذها الغلام بكل ما أعده لها أمير المؤمنين من الحلى والحلل وسار بها فرحا مسرورا الى نحو أهله حتى اذا كان ببعض الطريق نزلا بمرحلة ليلا فتعانقا وناما فلما أصبح الصباح وأراد الناس المسير نبهوهما فوجدوهما ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما بالطريق ووصل خبرهما الى عبد الملك فبكى عليهما وتعجب من ذلك ومن ذلك ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أخرج خالد بن الوليد المخزومى رضى الله عنه الى مشركى خزاعة قال خالد فأخرجنى اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والبأس قال فجددنا المسير اليهم فسبق اليهم الخبر فخرجوا الينا فقاتلناهم قتالا شديدا حتى تعالى النهار وطار الشرار وهاجت الفرسان وتلاحمت الاقران فلولا أن الله تعالى أيدنا بنصره لكادت الدائرة أن تكون علينا ولكن تداركنا الله برحمة منه فهزمناهم وقتلناهم قتلا ذريعا ولم ندع لهم فارسا الاقتلناه ثم طلبنا البيوت فنهبنا وسبينا فلما هدأ القتال والنهب أمرت أصحابى بجمع السبايا لنقدم بهن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خرجنا وأحصيناهم خرج منهم غلام لم يراهق الحلم ولم يجر عليه القلم وهو ماسك بشابة جميلة فقلنا له يا غلام انعزل عن النساء فصاح صيحة مزعجة وهجم علينا فوالله لقد قتل منا فى بقية نهارنا مائة رجل قال خالد فرأيت أصحابى قد كرهوا قتاله وتأخروا عنه فخلك منهم جوادا وعلا على ظهره ونادى البراز يا خالد قال فبرزت اليه بنفسى بعد أن أنشدت شعرا فوالله لم يمهلنى حتى أتم شعرى بل حمل على فتطاعنا حتى تكسرت القنا وتضاربنا بالسيوف حتى تفللت فوالله لقد اقتحمت الاهوال ومارست الابطال فما رأيت أشد من حملاته ولا أسرع من هجماته فبينما نحن نعترك اذ كبا به فرسه فصار بين قوائمه فوثبت عليه وعلوت على صدره وقلت له افد نفسك بقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأنا أردك من حيث جئت قال يا خالد ما أنصفتنى اتركنى حتى أجد من نفسى القوة قال خالد فتركته وقلت لعله أن يسلم ثم شددته وثاقا وصفدته بالحديد وأنا ابكى اشفاقا على حسن شبابه ثم أوثقته على بعير لى فلما علم أن لا خلاص له قال يا خالد سألتك بحق الهك الا ما شددت ابنة عمى على ناقة أخرى الى جانبى قال خالد فأخذتها وشددتها على ناقة

أخرى الى جانبه ووكلت بهما جماعة من أشد القوم بالقواضب والرماح وسرنا فلما استقامت مطايا هما جعل الغلام والجارية يتناشدان الاشعار و يبكيان الى آخر الليل فسمعته يذكر قصيدة يسب فيها الاسلام ويذكر أن لا يسلم أبدا فأخذت السيف وضربته فرميت رأسه فصاحت الجارية وأكبت صارخة تحرّكته فوجدتها ميتة فأبركنا الاباعر وحفرنا ودفناهما فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلنا نحدثه بعجيب ما رأينا مع الغلام فقال لا تحدثوني شيأ أنا أحدثكم به فقلنا من أعلمك به يارسول الله قال أخبرني جبريل عليه السلام وتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من موافقتهما وموافقة أجلهما ومن ذلك ما حكاه الثورى قال حدثني جبلة بن الاسود ومارأيت شيخا أصبح ولا أوضح منه قال خرجت في طلب ابل لى ضلت فمازلت في طلبها الى أن أظلم الظلام وخفيت الطريق فصرت أطوف وأطلب الجادة فلا أجدها فبينما أنا كذلك اذ سمعت صوتا حسنا بعيدا وبكاء شديدا فشجاني حتى كدت أسقط عن فرسى فقلت لأطلبن الصوت ولو تلفت نفسى فمازلت أقرب اليه الى أن هبطت واديا فاذا راع قد ضم غنماله الى شجرة وهو ينشد ويترنم

وكنت اذا ما جئت سعدى ازورها * أرى الارض تطوى لى ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ودّ جليسها * اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

قال فدنوت منه وسلمت عليه فردّ علىّ السلام وقال من الرجل فقلت منقطع به المسالك أتاك يستجير بك ويستعينك قال مرحبا وأهلا انزل على الرحب والسعة فعندى وطاء وطىء وطعام غير بطىء فنزلت فنزع شملته وبسطها تحتى ثم أتانى بتمر وزبد ولبن وخبز ثم قال اعذرنى فى هذا الوقت فقلت والله ان هذا لخير كثير فقال الى فرسى فربطه وسقاه وعلفه فلما أكلت توضأت وصليت واتكأت فانى لبين النائم واليقظان اذ سمعت حس شئ واذا بجارية قد أقبلت من كبد الوادى فضحت الشمس حسنا فوثب قائما اليها ومازال يقبل الارض حتى وصل اليها وجعلا يتحادثان فقلت هذا رجل عربى ولعلها حرمة له فنمنا ومت ومابى نوم فمازالا فى أحسن حديث ولذمع شكوى وزفرات الأنم مالايهم أحدهما لصاحبه بقبيح فلما طلع الفجر عانقها وتنفسا الصعداء وبكى وبكت ثم قال لها يا ابنة العم سألتك بالله لاتبطئى عنى كما ابطأت الليلة قالت يا ابن العم أما علمت انى انتظر الواشين والرقباء حتى يناموا ثم ودّعته وسارت وكل واحد منهما يلتفت نحو الآخر ويبكى فبكيت رحمة لهما وقلت فى نفسى والله لا أنصرف حتى استضيفه الليلة وأنظر مايكون من أمرهما فلما أصبحنا قلت له جعلنى الله فداك الاعمال بخواتيمها وقد نالنى أمس تعب شديد فأحب الراحة عندك اليوم فقال على الرحب والسعة لو أقمت عندى بقية عمرك ماوجدتنى الا كما تحب ثم عمد الى شاة فذبحها وقام الى نار فأججها وشواها وقدمها الىّ فأكلت وأكل معى الا أنه أكل من لا يريد الا كل فلم أزل معه نهارى ذلك ولم أر أشفق منه على غنمه ولا ألين جانبا ولا أحلى كلاما الا انه كالواله ان ولم أعلمه بشئ مما رأيت فلما أقبل الليل وطأت وطائى فصليت وأعلمته انى أريد الهجوع لما مرّبى من التعب بالامس فقال لى نم هنيأ فأظهرت النوم ولم أنم فأقام ينتظرها الى هنيهة من الليل فأبطأت عليه فلما حان وقت مجيئها قلق قلقا شديدا وزاد عليه الامر فبكى ثم

جاء نحوى فحركنى فأوهمته انى كنت نائما فقال يا أخى هل رأيت الجارية التى كانت تتعهدنى وجاءتنى البارحة قلت قد رأيتها قال فتلك ابنة عمى وأعز الناس على وانى لها محب ولها عاشق وهى أيضا محبة لى أكثر من محبتى لها وقد منعنى أبوها من تزويجها الى لفقرى وفاقتى وتكبر على فصرت راعيا بسببها فكانت تزورنى فى كل ليلة وقد حان وقتها التى تأتى فيه واشتغل قلبى عليها وتحدثنى نفسى أن الاسد قد افترسها ثم أنشأ يقول

مابال مية لاتأتى كعادتها * أعاقها طرب أم صدها شغل
نفسى فداؤك قد أحللت بى سقما * تكاد من حره الاعضاء تنفصل

قال ثم انطلق فغاب عنى ساعة وأتى بشئ فطرحه بين يدى فاذا هى الجارية قد قتلها الاسد وأكل أعضاءها وشوه خلقتها ثم أخذ السيف وانطلق فأبطأ هنيهة وأتى ومعه رأس الاسد فطرحه ثم أنشأ يقول

ألا أيها الليث المدل بنفسه * هلكت لقد جريت حقا لك الشرا
وخلفتنى فردا وقد كنت آنسا * وقد عادت الايام من بعدها غبرا

ثم قال بالله يا أخى الا ما قبلت ما أقول لك فانى أعلم أن المنية قد حضرت لا محالة فاذا أنا مت فخذ عباءتى هذه فكفنى فيها وضم هذا الجسد الذى بقى منها معى وادفنا فى قبر واحد وخذ ثويباتى هذه وجعل يشير اليها فسوف تأتيك امرأة عجوز هى والدتى فأعطها عصاى هذه وثيابى وثويباتى وقل لها مات ولدك كمدا بالحب فانها تموت عند ذلك فادفنها الى جانب قبرنا وعلى الدنيا منى السلام قال فوالله ما كان الا قليل حتى صاح صيحة ووضع يده على صدره ومات لساعته فقلت والله لأصنعن له ما أوصانى به فغسلته وكفنته فى عباءته وصليت عليه ودفنته ودفنت باقى جسدها الى جانبه وبت تلك الليلة باكيا حزينا فلما كان الصباح أقبلت امرأة عجوز وهى كالولهانة فقالت لى هل رأيت شابا يرعى غنما فقلت لها نعم وجعلت أتلطف بها ثم حدثتها بحديثه وما كان من خبره فأخذت تصيح وتبكى وانا ألاطفها الى أن أقبل الليل ومازالت تبكى بحرقة الى أن مضى من الليل برهة فقصدت نحوها فاذا هى مكبة على وجهها وليس لها نفس يصعد ولا جارحة تتحرك فحركتها فاذا هى ميتة فغسلتها وصليت عليها ودفنتها الى جانب قبر ولدها وبت الليلة الرابعة فلما كان الفجر قمت فشددت فرسى وجمعت الغنم وسقتها فاذا أنا بصوت هاتف يقول

كنا على ظهرها والدهر يجمعنا * والشمل مجتمع والدار والوطن
ففرق الدهر بالتفريق ألفتنا * وصار يجمعنا فى بطنها الكفن

قال فأخذت الغنم ومضيت الى الحى لبنى عمهم فأعطيتهم الغنم وذكرت لهم القصة فبكى عليهم أهل الحى بكاء شديدا ثم مضيت الى أهلى وأنا متعجب مما رأيت فى طريقى ومن ذلك ما حكى أن زوج عزة أراد أن يحج بها فسمع كثير الخبر فقال والله لأحجن لعلى أفوز من عزة بنظرة قال فبينما الناس فى الطواف اذ نظر كثير لعزة وقد مضت الى جمله تحييه ومسحت بين عينيه وقالت له حييت يا جمل فبادر ليلحقها ففاتته فوقف على الجمل وقال

حيتك عزة بعد الحج وانصرفت * فحى ويحك من حياك يا جمل

لو كنت حييتها ما كنت ذا سرف * عندي ولا مسك الادلاج والعمل

قال فسمعه الفرزدق فتبسم وقال له من تكون يرحمك الله قال أنا كثير عزة فمن أنت يرحمك الله قال أنا الفرزدق بن غالب التميمي قال أنت القائل

رحلت جمالهم بكل أسيلة * تركت فؤادي هائما مخبولا

لو كنت أملكهم اذا لم يرحلوا * حتى أودع قلبي المتبولا

ساروا بقلبي في الحدوج وغادروا * جسمي يعالج زفرة وعويلا

فقال الفرزدق نعم فقال كثير والله لولا أني بالبيت الحرام لأصيحن صيحة أفزع هشام بن عبد الملك وهو على سرير ملكه فقال الفرزدق والله لأعرفن بذلك هشاما ثم تواد عاوافترقا فلما وصل الفرزدق الى دمشق دخل الى هشام بن عبد الملك فعرفه بما اتفق له مع كثير فقال له اكتب اليه بالحضور عندنا لنطلق عزة من زوجها ونزوجه اياها فكتب اليه بذلك فخرج كثير يريد دمشق فلما خرج من حيه وسار قليلا رأى غرابا على بانة وهو يفلي نفسه وريشه يتساقط فاصفر لونه وارتاع من ذلك وجد في السير ثم انه مال ليسقي راحلته من حي بني فهد وهم زجرة الطير فبصر به شيخ من الحي فقال يا ابن أخي أرأيت في طريقك شيأ فراعك قال نعم يا عم رأيت غرابا على بانة يتفلى وينتف ريشه فقال له الشيخ أما الغراب فانه اغتراب والبانة بين والتفلي فرقة فازداد كثير حزنا على حزنه لما سمع من الشيخ هذا الكلام وجد في السير الى أن وصل الى دمشق ودخل من أحد أبوابها فرأى الناس يصلون على جنازة فنزل وصلى معهم فلما قضيت الصلاة صاح صائح لا اله الا الله ما أغفلك يا كثير عن هذا اليوم فقال ما هذا اليوم يا سيدي فقال ان هذه عزة قد ماتت وهذه جنازتها فخر مغشيا عليه فلما أفاق أنشأ يقول

فما أعرف الفهدي لا در دره * وأزجره للطير لا عز ناصره

رأيت غرابا قد علا فوق بانة * ينتف أعلى ريشه ويطايره

فقال غراب اغتراب من النوى * وبانة بين من حبيب تعاشره

ثم شهق شهقة فارقت روحه الدنيا ومات من ساعته ودفن مع عزة في يوم واحد (وحكى) الاصمعي قال بينما أنا أسير في البادية اذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت

أيا معشر العشاق بالله خبروا * اذا حل عشق بالفتى كيف يصنع

فكتبت تحته

يداري هواه ثم يكتم سره * ويخشع في كل الامور ويخضع

ثم عدت في اليوم الثاني فوجدت مكتوبا تحته

فكيف يداري والهوى قاتل الفتى * وفي كل يوم قلبه يتقطع

فكتبت تحته

اذا لم يجد صبرا لكتمان سره * فليس له شئ سوى الموت أنفع

ثم عدت في اليوم الثالث فوجدت شابا ملقى تحت ذلك الحجر ميتا فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد كتب قبل موته

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا * سلامي على من كان للوصل يمنع

(وحكى) أيضا عن الاصمعي رحمه الله تعالى أنه قال بينما أنا نائم في بعض مقابر البصرة اذ رأيت جارية على قبر تندب وتقول

بروحي فتى أوفى البرية كلها * وأقواهم في الحب صبرا على الحب

قال فقلت لها يا جارية بم كان أوفى البرية وبم كان أقواها فقالت يا هذا انه ابن عمي هويني فهويته فكان ان أباح عنفوه وان كتم لاموه فأنشد بيتي شعر ومازال يكررهما الى أن مات والله لا ندبنه حتى أصير مثله في قبر الى جانبه فقلت لها يا جارية فما البيتان قالت

يقولون لي ان بحت قد عزك الهوى * وان لم أبح بالحب قالوا تصبرا
فما لامرئ يهوى ويكتم أمره * من الحب الا أن يموت فيعذرا

ثم انها شهقت شهقة فارقت روحها الدنيا رحمة الله تعالى عليها والحكايات في ذلك كثيرة وفي الكتب مشهورة ولولا الاطالة والخوف من الملالة لجمعنا في هذا المعنى أشياء كثيرة ولكن اقتصرنا على هذه النبذة اليسيرة والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثاني والسبعون في ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت وكان وكان والموشحات والزجل والحماق والقومة والالغاز ومدح الاسماء والصفات وما أشبه ذلك وفيه فصول

(الفصل الاول في الشعر) قد قسم الناس الشعر خمسة أقسام مرقص كقول أبي جعفر طلحة وزير سلطان الاندلس

والشمس لا تشرب خمر الندى * في الروض الا من كؤس الشقيق

ومطرب كقول زهير

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذي أنت سائله

ومقبول كقول طرفة بن العبد

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

ومسموع مما يقام به الوزن دون أن يتبعه الطبع كقول ابن المعتز

سقى المطيرة ذات الظل والشجر * ودير عبدون هطال من المطر

ومتروك وهو ما كان كلا على السمع والطبع كقول الشاعر

تقلقلت بالهم الذي قلقل الحشى * قلاقل هم كلهن قلاقل

وقد قسم الناس فنون الشعر الى عشرة أبواب حسبما بوب أبو تمام في الحماسة وقال عبد العزيز بن أبي الاصبع الذي وقع لي أن فنون الشعر ثمانية عشر فنا وهي غزل ووصف وفخر ومدح وهجاء وعتاب واعتذار وأدب وزهد وخمريات ومراث وبشارة وتهاني ووعيد وتحذير وتحريض وملح وباب مفرد للسؤال والجواب وانذكر ان شاء الله تعالى من ذلك ما تيسر على سبيل الاختصار ونبدأ من ذلك بذكر (الغزل المذكر)

ابن نباتة

أأغصان بان ما أرى أم شمائل * وأقمار تم ما تضم الغلائل

وبيض

وبيض رقاق أم جفون فواتر * وسمر دقاق أم قدود قواتل
وتلك نبال أم لحاظ رواشق * لها هدف منى الحشى والمقاتل
بروحى أفدى شادنا قد ألفته * غدوت وبى شغل من الوجد شاغل
أمير بجمال والملاح جنوده * يجور علينا قده وهو عادل
له حاجب عن مقلتى يحجب الكرى * وناظره الفتان فى القلب عامل
رفعت اليه قصة الدمع شاكيا * فوقع يجرى فهو فى الخد سائل
شكوت فما ألوى وقلت فما صغى * وجد بقلبى حبه وهو هازل
طويل التوانى دله متواتر * مديد التجنى وافر الحسن كامل
أطارحه بالنحو يوما تعللا * فيبدو وللاعراب فيه دلائل
ويرفع وصلى وهو مفعول فى الهوى * وينصب هجرى عامدا وهو فاعل
تفقهت فى عشقى له مثل ما غدا * خبيرا بأحكام الخلاف يجادل
فيا مالكى ماضر لو كنت شافعى * بوصلك فافعل بى كما أنت فاعل
فانى حنيفى الهوى متحنبل * بعشقك لا أصغى وان قال قائل

كمال الدين بن النبيه

الله أكبر كل الحسن فى العرب * كم تحت لمة ذا التركى من عجب
صبح الجبين بليل الشعر منعقد * والخد يجمع بين الماء واللهب
تنفست عن عبير الراح ريقته * وافتر مبسمه الشهدى عن حبب
لا فى العذيب ولا فى بارق غزلى * بل فى جنى فمه أو ريقه الشنب
كأنه حين يرمى عن حنيته * بدر رمى عن هلال الافق بالشهب
يا جاذب القوس تقريبا لوجنته * والهائم الصب منها غير مقترب
أليس من نكد الايام يحرمها * فمى ويلثمها سهم من الخشب
من لى بأغيد قاسى القلب مبتسم * لا عن رضا معرض عنى بلا غضب
فكم له فى وجود الذنب من سبب * وليس لى فى قيام العذر من سبب
تميل أعطافه تيها بطرته * كما تميل رماح الخط بالعذب
أشار نحوى وجنح الليل معتكر * بمعصم بشعاع الكاس مختضب
بكر جلاها أبوها قبل ما جليت * فى جرة الدن أو فى قشرة العنب

البهاء زهير

يعاهدنى لا خاننى ثم ينكث * وأحلف لا كلمته ثم أحنث
وذلك دأبى لا يزال ودأبه * فيا معشر العشاق عنا تحدثوا
أقول له صلنى يقول نعم غدا * ويكسر جفنا هازئا بى ويعبث
وما ضر بعض الناس لو كان زارنى * وكنا خلونا ساعة نتحدث
أمولاى انى فى هواك معذب * وحتام ابقى فى الغرام وأمكث
فخذ مرة روحى ترحنى ولا أرى * أموت مرارا فى النهار وأبعث

فانى لهـذا الضيم منـك لحامل * ومنتظر لطفا من الله يحـدث
أعيذك من هذا الجفاء الذى بدا * خلائقك الحسنى أرق وأدمث
تردد ظـن الناس فى فأكثروا * أحاديث فيها مايطيب ويخبث
وقـد ذكرمت فى الحب منى شمائل * ويسأل عـنى مـن أراد و يبحث

النابلسى

ما كنت أعـلم والضمائر تصدق * أن المسامع كالنواظر تعشق
حـتى سمعت بذكركم فهو يتكم * وكذاك أسـباب المحبة تعلق
ولقـد قنعت من اللقاء بساعة * ان لم يكن لى للـدوام تطـرق
قد ينعش العطشان بلة ريقـه * و يغص بالماء الكثير و يشرق
فعسى عيونى أن ترى لك سيدى * وجها يكاد الحسن فيه ينطق

أبو الحسن الجزار

فى خـده من بقايا اللثم تخميش * وبى لتشويش ذاك الصدغ تشويش
ظبى من الترك أغنته لواحظـه * عما حوته من النبـل التراكيش
اذا انثنى فقلب الغصن منكسر * وان تبـدى فطرف البدر مدهوش
ياعاذلى ان تكن عن حسن صورته * أعمى فانى عما قلت اطـروش
كم ليـلة بات يسقينى المدام على * روض له بثياب الغيم تر قيش
والغيث كالجيش يرتج الوجود له * والـبرق رايتـه والرعـد جاويش
فى مجلس ضحكت أرجاؤه طربا * لانه بـبـديع الزهـد مفـروش

سيدى أبو الفضل بن أبى الوفاء

ترى متى من فتور اللحظ ينتشـط * من قلبـه بحبال الشعر مرتبط
قد رق لى خصره المضنى فناسبنى * فقلت خير الامور الانسب الوسط
وقـد خفى الردف عنى من تثاقله * فقلت هذا على ضعفى هو الشطط
وصدره الرحب قد عانقته سحرا * والقلب منبعث الآمال منبسط
وفيـه تلك النهود المشتهاة ترى * رمانهـا فيـه قالبى أمره فرط
ان الصواب لتعجيل السرور فقم * قبل الفوات فأوقات الهنا غلط

القاضى مجد الدين بن مكانس

اهـدى تحيته وجاد بوعده * أفـديه من قمـر بدا فى سعده
بدر جرى ماء الحياة بثغره * وترددت فضـــــلاته فى خده
اسكنته قلبى فأعدت خـده * نيران أحشائى عليه ووجـده
من لى به حلو الشمائل أهيف * روت العوالى عن مثقف قـده
ياعاذلى فى حبـه لو أبصرت * عيناك فوق الردف مسبل جعده
لعذرت كل متيم فى حبـه * وعلمت أن ضلاله فى رشـده
فوحق موتى فى هواه صبابة * وحياة مبسمـه الشهى وبرده

ماجادغيث الدمع الا عن هوى * خلع القلوب ببرقه وبرعده
قم يارسول وابلغ العشاق ما * ألقاه من جور الحبيب وبعده
واذا سألتك أن تؤدى فى الهوى * خبرى فصف فعل الغرام وأبده

عز الدين الموصلى

نفس عن الحب ما أعفت وما غفلت * بأى ذنب وقالت الله قد قتلت
دعها ومدمعها الجارى لقد لقيت * ما قدمت من أسى قلبى وما عملت
أفديك من ناشط الاجفان فى تلفى * والسحر يوهم طرفى انها كسلت
وأوضح الحسن لو شاءت ذوائبه * فى الافق وصل دجا الظلماء لاتصلت
معسل بنعاس فى لواحظه * أماراتها الى كل القلوب حلت
من لى بألحاظ ظبى يدعى كسلا * وكم شباب ضنى حاكت وكم غزلت
وحمرة فوق خديه ومرشفه * هذى محاسنها تزهو وذى ذبلت
أما كفانى تكحيل الجفون أسى * حتى المراشف منه باللمى كحلت
أستودع الله اعطافا شوت كبدى * وكلما رمت تجديد الوصال قلت
ومهجة لى كم ألقت بمسمعها * الى الملام ولا والله ما قبلت

غيره للفاضل

شرخ الشباب بحبكم أفنيته * والعمر فى كلف بكم قضيته
وأنا الذى لومر بى من نحوكم * داع وكنت بحفرتى لبيته
كيف التعرض للسلو وحبكم * حب بأيام الشباب شريته
لله داء فى الفؤاد أجنه * يزداد نكسا كلما داويته
قالوا حبيبك فى التجنى مسرف * قاس على العشاق قلت فديته
أأروم من كلفى عليه تخلصا * لا والذى بطعام مسكة بيته
ولو استطعت بكل اسم فى الورى * من لذة الذكرى به سميته

للشيخ بدر الدين الدمامينى

سل سيفا من الجفون صقيلا * مذ تصدى جلاه رحت قتيلا
صح عن جفنه حديث فتور * وهو مازال من قديم عليلا
مر أبدى لنا من الخصر ردفا * فأرانا مع الخفيف ثقيلا
ذو قوام كأنه الغصن لكن * بالهوى نحو وصلنا لن يميلا
كامل الحسن وافر ظل وجدى * فيه ياعاذلى مديدا طويلا
فاتك الجفن ذو جمال كثير * أتلف العاشقين الاقليلا
قلت اذ لاح طرفه ولماه * فاتر اللحظ بكرة وأصيلا
كيف حالى وهل لصب اليه * من سبيل فقال لى سل سبيلا

وقال آخر

لو أن قلبك لى يرق ويرحم * ما بت من ألم الجوى أتألم

ومن العجائب انى لاسهم لى * من ناظريك وفى فؤادى أسهم
ياجامع الضدين فى وجناته * ماء يرق عليه نار تضرم
عجبى لطرفك وهو ماض لم يزل * فعلام يكسر عند ما تتكلم
ومن المروأة أن تواصل مدنفا * والدهر سمح والحوادث نوم

وقال آخر

تصدق بوعد ان دمعى سائل * وزود فؤادى نظرة فهو راحل
فخدك موجود به التبر دائما * وحسنك معدوم لديه المماثل
أيا قمرا من شمس طلعة وجهه * وظل عذاريه الدجا والاصائل
تنقلت من طرف لقلب مع الهوى * وهاتيك للبدر المنير منازل
جعلتك للتمييز نصبا لخاطرى * فهلا رفعت الهجر والهجر فاعل

وقال ابن صابر

قبلت وجنته فألفت جيده * خجلا ومال بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكى الطل فوق الآس
فكأننى استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من أنفاسى

وقال آخر

وغزال كل من شبهه * بهلال أو ببدر ظلمه
قال اذ قبلت وهما فمه * قد تعديت وأسرفت فمه

وقال آخر

بأبى غلام لست غير غلامه * مذ جادلى بسلامه وكلامه
ذو حاجب ما ان رأيت كنونه * أبدا وصدغ ما رأيت كلامه

وقال جمال الدين بن مطروح

ذكر الحمى فصبا وكان قد ارعوى * صب على عرش الغرام قد استوى
تجرى مدامعه ويخفق قلبه * مهما جرى ذكر العقيق مع اللوى
* واذا تألق بارق من بارق * فهناك ينشر من هواه ما انطوى
خذوا أحاديث الهوى عن صادق * ماضل فى شرع الغرام وما غوى
وبمهجتى رشأ اطاعت عذلى * فيه الملام وقد حوى ما قد حوى
قالوا أفيه سوى رشاقة قده * وفتور عينيه وهل مولى سوى
ما أبصرته الشمس الا واكتست * خجلا ولا غصن النقا الا التوى
يروى الاراك محاسنا عن ثغره * يا طيب ما نقل الاراك وما روى

وقال آخر

عبث النسيم بقده فتأودا * وسرى الحياء بخده فتوردا
رشأ تفرد فيه قلبى بالهوى * لما غدا بجماله متفردا
قاسوه بالغصن الرطيب جهالة * تالله قد ظلم المشبه واعتدى

حسن الغصون اذا اكتست أوراقها * وتراه أحسن ما يكون مجردا

وقال غيره

يا حسنا مالك لم تحسن * الى قلوب فى الهوى متعبه
رقت بالورد وبالسوسن * صفحة خد بالسنا مذهبه
وقد أبى خدك أن أجتنى * منه وقد ألسعنى عقربه
يا حسنه اذ قال ما أحسنى * ويالذاك اللفظ ما أعذبه
قلت له كلك عندى سنا * وكل ألفاظك مستعذبه
ففوق السهم ولم يخطنى * ومذ رآنى ميتا أعجبه
وقال كم من عاشق حبنى * وحبه اياى قد أتعبه
يرحمه الله على أننى * قتلى له لم أدر ما أوجبه

وقال آخر

مليح يغار الغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه
فما فيه معنى ناقص غير خصره * وما فيه شئ بارد غير ريقه

وقال يحيى بن أكثم

دنا هاجرى نحوى بمقلته الكحلا * فلما رأى ذلى ثنى عطفه دلا
فتيمنى شوقا وأنحلنى أسى * وأفقدنى صبرا وأعدمنى عقلا
شكوت فما ألوى ولى وما لوى * وأعرض مزورا فسل الحشى سلا
اذا ما دعاه فرط سقمى لزورة * يناديه فرط العجب من عطفه كلا

وقال أيضا

بأبى غزالا غازلته مقلتى * بين العذيب وبين شطى بارق
وسألت منه زورة تشفى الجوى * فأجابنى عنها بوعد صادق
بتنا ونحن من الدجا فى خيمة * ومن النجوم الزهر تحت سرادق
عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الذكى لناشق
وضممته ضم الكمى لسيفه * وذؤابتاه حمائل فى عاتقى
حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته عنى وكان معانقى
أبعدته عن أضلع تشتاقه * كى لا ينام على فراش خافق
لما رأيت الليل آخر عمره * قد شاب فى لممه ومفارق
ودعت من أهوى وقلت تأسفا * صعب على بأن أراك مفارقى

وقال ابن نباتة

بدا وورنت لواحظه دلالا * فما أبهى الغزالة والغزالا
وأسفر عن سنا قمر منير * ولكن قد وجدت به الضلالا
صقيل الخد أبصر من رآه * سواد العين فيه تخال خالا
وممنوع الوصال اذا ابتدى * وجدت له من الألفاظ لالا

عجبت لثغره البسام أبدى * لنا درّا وقد سكن الزلالا
شهدت بشهد ريقته لأنى * رأيت على سوالفه نمالا
فيا عجبا لحسن قد حواه * وقد أهدى الى قلبى الوبالا
سأشكو الحسن ما بقيت حياتى * واشكر من صنائعه الجمالا

القاضى فخر الدين بن مكانس

يا غصنا فى الرياض مالا * حملتنى فى هواك مالا
يا رائحا بعد أن سبانى * حسبك رب السما تعالى

وله أيضا

أجارك الله قد رثت لى * مما ألاقى عدا وحسد
وعاذلى مذ رأى ضلوعى * تعدّ سقما بكى وعدّد

ابن رفاعة

يقولون هل من الحبيب بزورة * ومنا كم المطلوب قلنا لهم منا
فقالوا لنا غوصوا على قده وما * يحاكى اذا ما اهتز قلنا لهم غصنا

الشيخ برهان الدين القيراطى

وورد خده نرجسى لواحظ * مشايخ علم السحر عن لحظه رووا
وواوات صدغيه حكين عقاربا * من المسك فوق الجلنار قد التووا
ووجنته الحمرا تلوح كجمرة * عليها قلوب العاشقين قد اكتووا
وودى له باق ولست بسامع * لقول حسود والعواذل اذ عووا
ووالله ما أسلو ولو صرت رمة * فكيف واحشائى على حبه انطووا

وللشيخ برهان الدين القيراطى أيضا

شبه السيف والسنان لعينى * من لقتلى بين الانام استحلا
فأبى السيف والسنان وقالا * حد نادون ذاك حاشى وكلا

وله ايضا

بابى أهيف المعاطف لدن * خسد الاسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلاما * كلمتنى سيوفهن بحده

وقال آخر

تملك رقى شادن قد هويته * من الهند معسول اللمى أهيف القد
أقول لصحبى حين يرنو بطرفه * خذوا حذركم قد سل صارمه الهندى

ومما قيل فى الغزل المؤنث للشيخ شمس الدين بن البديرى

خيال سلى من الاجفان لم يغب * وطيفها عن عيانى غير محتجب
وذكرها أنس روحى وهى نائية * والقلب مازال عنها غير منقلب
لم أصغ فيها للاح راح يعذلنى * ولا لواش خلى بات يلعب بى
عذابها فى الهوى عذب ألذبه * ومر هجرانها أحلى من الضرب

فان نات أودنت وجدى كما علمت * تشيب فيه الليالى وهو لم يشب
دعها فأمر هوى المحبوب متبع * وغير طاعته فى الحب لم يجب

وقال عفا الله عنه

سقى طللا حلته سلمى معاهد * وحياه من دمعى مذاب وجامد
فربع به سلمى مصيف ومربع * وأرض نأت عنها اقفار جلامد
وحيث ثوت أرضا فأعذب مورد * ولو كدرت منها على الموارد
رعى الله دهرا سالمتنى صروفه * وظلت لياليه بسلمى تساعد
وقد غفل الواشون عنى ولم أزل * ويقظان طرف البين عنى راقد
وأيامنا بالقرب بيض أزاهر * وأوقاتنا بالوصل خضر أمالد
وأرواحنا ممزوجة وقلوبنا * ونحن كأنا فى الحقيقة واحد
وكم قد مرجنا فى مروج صبابة * ولم يطرد فينا من البين طارد
نجرّ ذيول اللهو فى قص الهوى * تلوح علينا للغرام شواهد
ولم يخطر التفريق منا بخاطر * ولم نحسب الايام فينا تعاند
فهل أنت يا سلمى وقد حكم الهوى * كما كنت لى أم حاد بالقلب حائد
وهل ودنا باق والا تغيرت * على عادة الايام منك العوائد
وهل محيت آثار رسم حديثنا * وأنساك حفظ الود هذا التباعد
وهل تذكرين العهد اذ نحن باللوى * وقولك لا عاش الخؤن المعاهد
وهل أنت غيرت الذى أنا حافظ * وهل أنت أحللت الذى أنا عاقد
وهل بدلت منك المودة بالجفا * وفيك يقينى بالوفا منك شاهد
وانى ما بدلت عهدك فى الهوى * ولا اختلفت فيما علمت العوائد
ولا بت مسرورا وعيشك ليلة * وكيف سلوى والحبيب مباعد
فان كنت حبل الود صرمت طرفه * فودى طريف فى هواك وتالد
وان قلت ان الحب غيره النوى * لعمرى وجدى بالحشاشة واقد
وان أوردوا يوما صبابة عاشق * فبى يضرب الامثال من هو وارد
فما شئت كونى اننى بك مدنف * صبور على البلوى شكور وحامد
ومنك تساوى عندى الوصل والجفا * وفيك لقد هانت على الشدائد
ولو رمت ألوى عن هواك أعنتى * لقادزمامى نحو حبك قائد
نصبت شراك الحب صدت حشاشتى * فكيف خلاصى والهوى منك صائد
بعدت وقلت البين يسلى أخا الهوى * وهل يسلى ذا الاشجان هذا التباعد
وما غير التفريق ما نعهدينه * وسوق سلوى فى المحبين كاسد
وجل تمناى القرب منك وانما * اذا عظم المطلوب قل المساعد

وقال عفا الله عنه

تهددنى بتبريح وبين * وتوعدنى بتفريق وصد

ويحلف لي لتلبسني سقاما * تهي جلدي به وتذيب جلدي
وترميني بنبل من جفون * فتضنيني وتصميني وتردي
وتحرقني بنار الصد حتى * تذيب حشاشتي كمدا وكبدي
فقلت لها ودمعي في انسكاب * يفيض دما على صفحات خدي
ومن لي أن يقال قتيل وجد * واذكر في هواك ولو بصد

وقال عفا الله عنه

سلوى عنك شئ ليس يروى * وحبي فيك سار مع الركاب
ولم يمرر سواك على ضميري * ووجدي فيك أيسره عذابي
ومالك عن سواد العين يوما * ومال سواد قلبي من حجاب
وما اخضرت دواعي الشوق الا * هززت اليك أجنحة التصابي

وقال عفا الله عنه

قفا نبك دارا شط عنا مزارها * وانحلنا بعد البعاد اذكارها
وعوجا باطلال محتها يد النوى * فأظلم بالنأى المشت نهارها
فقدنا بها ريما من الانس ان رنت * بمقلتها يصبي القلوب احورارها
تصيد قلوب العاشقين أنيسة * ويحسن منها صدها ونفارها
ويهزأ بالاغصان لين قوامها * اذا مال فوق الغصن منها خمارها
وليس لبدر التم قامة قدها * وما هو الا حجلها وسوارها
منازلها مني الفؤاد وان نأى * عن العين مثواها ففي القلب دارها
يمثلها بالوهم فكرى لناظرى * وأكثر مايضني النفوس افتكارها
وهيج دمعي حر نار صبابتي * وما خمدت بالدمع مني نارها
وساعدني بالايك ليلا حمائم * تهاتف شجوا لا يقر قرارها
بكين ولم تسفح لهن مدامع * وعيني فاضت بالدموع بحارها

ولمؤلفه رحمه الله تعالى وهو قول ضعيف على قدر حاله لكنه يسأل الواقف عليه من افضاله ستر ما يراه من عيوبه وأن يدعو له بمغفرة ذنوبه

نسيم الصبا بلغ سليمى رسائلي * بلطف وقل عن حال صب بلك سائلي
فقد صار بالاسقام صبا معذبا * قريح جفون من دموع هوامل
صبورا على حر الغرام وبرده * حليف الضنى لم يصغ يوما لعاذل
يبيت على جمر الغضى متقلبا * يئن غراما فارحميه وواصلي
الا يا سليمى قد أضر بي الهوى * وهاجت تباريح الغرام بلابلي
رميت بسهم من لحاظك قاتل * فلم يخط قلبي والحشى ومقاتلي
كتمت غرامي في هواك ولم أبح * بسر فباحت أدمعي برسائلي
سليمى سلي ماقد جرى لي من النوى * فقد عادلي حال له رق عاذلي
لعل تجودي للكئيب وتسمحي * بوعد وبعد الوعد ان شئت ماطلي

عسى تنطفى بالوعد نارى وأشتفى * فبالسقم اعضائى وهت ومفاصلى
خفيت عن العواد لولا تأوهى * وعظم أنينى لا يرانى مسائلى
فرق فقد رقت عداى لذلتى * وفاضت على حالى عيون عواذلى
قطعت زمانى فى عسى ولعلها * ومافزت فى الايام منك بطائل
فما آن أن ترضى على وترحمى * ضنى جسدى فالوجد لاشك قاتلى
توسلت بالمختار فى جمع شملنا * نبى له فضل على كل فاضل

ولهرحمه الله تعالى

ياربة الحسن من بالصد او صاكى * حتى قتلت بفرط الهجر مضناكى
ويا قناة بقتان القوام سبت * من فى الورى يا ترى بالقتل أفتاكى
لقد جننت غراما مذرأى نظرى * فى النوم طيف خيال من محياكى
ومذرآه جفا طيب المنام وقد * أضحى عليه لاحزنا لم يزل باكى
عذبتنى بالتجنى وهو يعذب لى * فهل ترى تسمحى يوما برؤياكى
ان كنت لم تذكرينا بعد فرقتنا * فالله يعلم أنا ما نسيناكى
ما آن ان تعطفى جودا على فقد * أضحى فؤادى أسير اللحظ عيناكى
ما كنت أحسب ان العشق فيه ضنى * ولا عذاب نفوس قبل اهواكى
حتى تولع قلبى بالغرام فما * أمسى أسيرا سوى فى حسن معناكى
رقى لعبدك جودا واعطفى وذرى * ولا تطيلى بحق الله جفواكى
ياهند رفقا بقلب ذاب فيك أسى * ومهجة تلفت ياهند ما أقساكى
رق العذول لحالى فى الهوى ورثا * وانت ياهند لاترثى لمضناكى
والله لومت ما اسلاك يا أملى * ولو فنيت غراما لست انساكى

وقال آخر

كأن فؤادى يوم سرت دليل * يسير أمام العيس وهو ذليل
فصرت عقيب الظاعنين لكى أرى * فؤادى سرى فى الركب وهو عجول
وقائلة لى كيف حالك بعدنا * لتعلم ما هذا اليه يؤل
فقلت لها قدمت قبل ترحلى * فمن باب أولى أن يجد رحيل
وقلت فلى طال هما فانشدت * ومازال ليل العاشقين طويل
فقلت وجسمى لم يزل متر جفا * فقالت وجسم العاشقين نحيل
فقلت لها لو كنت أدرى فراقنا * بيوم وداع ما اليه سبيل *
قلعت لعينى فى هواك باصبعى * لكى لا أرى يوما على ثقيل

وقال الوأواء الدمشقى عفا الله عنه

يامن نفت عنى لذيذ رقادى * مالى ومالك قد أطلت سهادى
فبأى ذنب أم بأية حالة * أبعدتنى ولقد سكنت فؤادى
وصددت عنى حين قد ملك الهوى * روحى وقلبى والحشى وقيادى

ملكت لحاظك مهجتي حتى غدا * قلبي أسيرا ماله من فادى
لاغرو أن قتلت عيونك مغرما * فلكم صرعت بها من الآساد
يامن حوت كل المحاسن في الورى * والحسن منها عاكف في بادى
رفقا بمن أسرت عيونك قلبه * ودعى السيوف تقرّ في الاغماد
وتعطفي جودا على بقبلة * فيهيم مبسمك في شفاء الصادى
ماتت أطال الله عمرك سلوتي * ولقد فني صبري وعاش سهادى
ومن المنى لودام لى فيك الضنى * ياحبذا لا زالك من عوادى
وأجيل منك نواظرى في ناضر * من خدك المترقرق الوقاد
وأقول ماشئت اصنعي يامنيتي * مالى سواك ولوحرمت مرادى
الامديح المصطفى هو عمدتي * وبه سألقى الله يوم معادى

وقال البها زهير

اذا جن ليلى هام قلبي بذكركم * أنوح كما ناح الحمام المطوق
وفوقي سحاب يمطر الهم والاسى * وتحتي بحار بالجوى تتدفق
سلوا ام عمرو كيف بات اسيرها * تفك الاسارى دونه وهو موثق
فلا أنا مقتول ففي القتل راحة * ولا أنا ممنون عليه فيعتق

مجنون ليلى

وقد خبروني أن تيماء منزل * لليلى اذا ما الليل ألقى المراسيا
فهذى شهور الصيف عنا ستنقضى * فما للنوى يرمي بليلى المراميا
أعد الليالى ليلة بعد ليلة * وقد عشت دهرا لا أعد اللياليا
وأخرج من بين البيوت لعلني * أحدث عنك النفس بالليل خاليا
ألا أيها الركب اليمانون عرجوا * علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
يمينا اذا كانت يمينا فان تكن * شمالا ينازعنى الهوى عن شماليا
أصلي فما أدرى اذا ماذكرتها * أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا
خليلي لا والله لا أملك الهوى * اذا علم من أرض ليلى بداليا
خليلي لا والله لا أملك الذى * قضى الله في ليلى ولا ماقضى ليا
قضاها لغيرى وابتلاني بحبها * فهلا بشئ غير ليلى ابتلانيا
ولو أن واش باليمامة داره * وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا
وددت على حبي الحياة لو انه * يزاد لها في عمرها من حياتيا
على انني راض بان أحمل الهوى * وأخلص منه لا على ولا ليا
اذا ماشكوت الحب قالت كذبتني * فمالى أرى الاعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشى * وتخرس حتى لاتجيب المناديا

وقال آخر

قالت لطيف خيال زارني ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد

فقال خلفته لومات من ظما * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت عهدت الوفا والصدق شيمته * يابرد ذاك الذى قالت على كبدى

كمال الدين بن النبيه

أما وبياض مبسمك النقى * وسمرة مسكة اللعس الشهى
ورمان من الكافور تعلو * عليه طوالع الند الندى
وقد كالقضيب اذا تثنى * خشيت عليه من ثقل الحلى
لقد أسقمت بالهجران جسمى * وأعطشنى وصالك بعد رى
الى كم أكتم البلوى ودمعى * يبوح بمضمر السر الخفى
وكم أشكو للاهية غرامى * فويل للشجى من الخلى

صفى الدين الحلى

أبت الوصال مخافة الرقباء * وأتتك تحت مدارع الظلماء
أصفتك من بعد الصدود مودة * وكذا الدواء يكون بعد الداء
أحيت بزورتها النفوس وطالما * ضنت بها فقضت على الاحياء
أمت بليل والنجوم كأنها * در بباطن خيمة زرقاء
أمست تعاطينى المدام وبيننا * عتب غنيت به عن الصهباء
آبت الى جسدى لتنظر ما انتهت * من بعدها فيه يد البرحاء
ألفت به وقع الصفاح فراعها * جزعا وما نظرت جراح حشائى
أمصيبة منا بنبل لحاظها * ما أخطأته أسنة الاعداء
أعجبت مما قد رأيت وفى الحشا * أضعاف ما عاينت فى الاعضاء
أمسى ولست بسالم من طعنة * نجلاء أو من مقلة نجلاء

وله رحمه الله تعالى

قفى ودعينا قبل وشك التفرق * فما أنا من يحيا الى حين نلتقى
قضيت وما أودى الحمام بمهجتى * وشبت وما حل البياض بمفرقى
قنعت أنا بالذل فى مذهب الهوى * ولم تفرقى بين المنعم والشقى
قرنت الرضا بالسخط والقرب بالنوى * ومزقت شمل الوصل كل ممزق
قبلت وصايا الهجر من غير ناصح * وأحببت قول الهجر من غير مشفق
قطعت زمانى بالصدود وزرتنى * عشية زمت للترحل أينقى
قضى الدهر بالتفريق فاصطبرى له * ولا تذممى أفعاله وترفقى *

وقال عفا الله عنه

جاءت لتنظر ما أبقت من المهج * فعطرت سائر الارجاء بالارج
جلت علينا محيا لو جلته لنا * فى ظلمة الليل أغنتنا عن السرج
جورية الخد تحمى ورد وجنتها * بحارس من نبال الغنج والدعج
جزت اساءة أفعالى بمغفرة * فكان غفرانها يغنى عن الحجج

جادت اعرافنها الى المريض بها * فما على اذا أذنبت من حرج
جست يدى لترى مابى فقلت لها * كفى فذاك جوى لولاك لم يهج
جفوتنى فرأيت الصبر أجمل بى * واصمت فى الحب أولى بى من اللهج
جارت لحاظك فينا غير راحمة * ولذة الحب جور الناظر الغنج

وقال ابن نباتة

رقت لنا حين هم السفر بالسفر * وأقبلت فى الدجى تسعى على حذر
راض الهوى قلبها القاسى بجادلنا * وكان أبخل من تموز بالمطر
رات غداة النوى نار الكليم وقد * شبت فلم تبق من قلبى ولم تذر
رشيقة لو رآها عندما سفرت * والبدر ساه اليها سهو معتذر
رأيت بدرين من وجه ومن قمر * فى ظل جنحين من ليل ومن شعر
رشفت درا لجيا من مقبلها * اذ نبهتنى اليها نسمة السحر
رنت نجوم الدجى نحوى فما نظرت * من يرشف الراح قبلى من فم القمر
راق العتاب وأبدت لى سرائرها * فى ليلة الوصل بل فى غرة القمر

وقال ابن الساعاتى

قبلتها ورشفت خمرة ريقها * فوجدت نار صبابة فى كوثر
ودخلت جنة وجهها فأباحنى * رضوانها المرجو شرب المسكر

وقال آخر

بكت للفراق وقد راعها * بكاء المحب لبعد الديار
كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار

الوأوا الدمشقى تضمين

قالت متى الظعن ياهذا فقلت لها * اما غدا زعموا أولا فبعد غد
فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

لابن نباتة

عذولى لست أسمع منه قولا * على غيداء مثل البدر تما
لها طرف ضرير عن سناها * ولى أذن عن الفحشاء صما

وقال آخر

ورب ليال فى هواها سهرتها * أراعى نجوم الليل فيها الى الفجر
حديثى عال فى السهاد لاننى * رويت أحاديث السهاد عن الزهر

السراج الوراق

يالائمى فى هواها * أسرفت فى اللوم جهلا
مايعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

وقال آخر

وعدت

وعدت أن تزور ليلا فألوت * وأتت فى النهار تسحب ذيلا
قلت هلا صدقت فى الوعد قالت * كيف صدقت أن ترى الشمس ليلا

لعز الدين الموصلى

قد سلونا عن الغزال بخود * ذات وجه بها الجمال تفنن
ورجعنا عن التهتك فيه * ودفعناه بالتى هى أحسن

وقال آخر

قالت وناولتها سواكا * ساد بفيها على الاراك
سواى ماذاق طعم ريقى * قلت لها ذاقه سواكى

وقال آخر

سألتها أن تعيد لفظا * قالت محب دعوه يعذر
حديثها سكر شهى * وأحسن السكر المكرر

ابن نباتة

وملولة فى الحب لما أن رأت * أثر السقام بجسمى المتهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم * أنا بالسقام وأنت بالاعراض

وقال أبو الطيب المتنبى

بأبى الشموس الجانحات غواربا * اللابسات من الحرير جلاببا
الناهبات عيوننا وقلوبنا * وجناتهن الناهبات الناهبا
الناعمات القاتلات المحييا * ت المبديات من الدلال غرائبا
حاولن تفديتى وخفن مراقبا * فوضعن أيديهن فوق ترائبا
وبسمن عن برد خشيت أذيبه * من حر أنفاسى فكنت الذائبا
ياحبذا المتحملون وحبذا * وادلثمت به الغزالة كاعبا
كيف الرجاء من الخطوب تخلصا * من بعد أن انشبن فى مخالبا

وله أيضا من جملة قصيدة

ولما التقينا والنوى ورقيبنا * غفولان عنا ظلت أبكى وتبسم
فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها * ولم تر قبلى ميتا يتكلم

الشريف الرضى

وتميس بين مزعفر ومعصفر * ومعنبر وممسك ومصندل
هيفاء ان قال الشباب لها انهضى * قالت روادفها اقعدى وتمهلى
واذا سألت الوصل قال جمالها * جودى وقال دلالها لا تفعلى

ابن اسرائيل

وعدت بوصل والزمان مسوّف * حوراء ناظرها حسام مرهف
نشوانة خصباه منهل ثغرها * درّ وريقتها سلاف قرقف

وتخال بين البدر منها والنقا * غصنا يميس به النسيم مهفهف
لا تحسبن الخلف شيمة مثلها * وعدت ولكن الزمان يسوف
يابانة قد أطلعت أغصانها * وردا جنيا باللواحظ يقطف
وغزالة يحكي الغزالة وجهها * ويعير ناظرها الحسام الاوطف
ما تأمرين لمغرم تسطو به * أجفانك المرضى ولا تستعطف
قسما بوجهك وهو صبح مشرق * وسواد شعرك وهو ليل مسدف
وبهز غصن البان منك على النقا * مالي الى أحد سواك تشوف

ولنذكر ان شاء الله تعالى في هذا الباب نبذة من ملح النظم ورقائق الشعر من غير تبويب ولا ترتيب

للشيخ شمس الدين بن البديوي

ولما نأت سلمى وشط بها النوى * وأيقنت أني بالغرام أذوب
علقت بأخرى غيرها متلاهيا * ليطفئ ضرام في الحشا ولهيب
وكان هيامي والهوى وصبابتي * لمن هو في الاولى الي حبيب

وله في المعنى

تلاهيت عنها في الغرام بغيرها * وقلت لقلبي هذه هي زينب
وقبلت فاها مبردا لصبابتي * فأضرمت نارا في الحشى تتلهب
فكنت كمن أضحى غريقا بلجة * تمسك بالموج الذي يتقلب

وقال أيضا

سألت القلب هل ميل لليلى * وهل عند الفؤاد لها التفات
فقال الآن لا لكن تأنى * فقلت الحب فيه تقلبات
فان الحب يهجم بعد يأس * ويعتاد المحب تغيرات
فلا تظهر لها يوما سلوا * فتفضحك التصابي الواردات
وترمى بالصدود وبالتجني * وتخلك الوعود الكاذبات
فكن جلدا ولا تك ذا لجاج * فما يغنيك ان فات الفوات

وقال البيطار

يقولون هذي أم عمرو قريبة * دنت بك أرض نحوها وسماء
الا انما قرب الحبيب وبعده * اذا هو لم يوصل اليه سواء

وقال غيره

وقالوا بع حبيبك وابغ عنه * حبيبا آخرا تحيا سعيدا
اذا كان القديم هو المصافي * وخان فكيف آتمن الجديدا

وقال آخر

لم انس اذ قلت من وجدي لها غلطا * ووجهها مشرق في حندس الظلم
سلوت عنك فقالت وهي ضاحكة * لتقرعن على السن من ندم

وقال

وقال آخر

أمن المروأة أن أبيت مسهدا * قلقا أبل ملابسي بدموعي
وتبيت ريان الجفون من الكرى * وأبيت منك بليلة الملدوع

وقال آخر

لي الله أشكو جور أهيف شادن * وقعت فمالي من يديه خلاص
جرحت بعيني خده وهو جارح * بعينيه قلبي والجروح قصاص

وقال آخر

قد كنت أسمع بالهوى فأكذب * وأرى المحب ومايقول فأعجب
حتى رميت بحلوه وبمره * من كان يتهم الهوى فيجرب

وقال آخر

سألتها التقبيل من خدها * عشرا ومازاد يكون احتساب
فمذ تلاقينا وقبلتها * غلطت في العد وضاع الحساب

وقال آخر

يامن سقامي من سقام جفونه * وسواد حظي من سواد عيونه
قد كنت لاأرضى الوصال وفوقه * واليوم أقنع بالخيال ودونه

وقال آخر

صبحته عند المساء فقال لي * تهزا بقدري اوتريد مزاحا
فأجبته اشراق وجهك غرني * حتى توهمت المساء صباحا

أبو عبد الله الغواص

من عذيري من عذولي في رشا * قامر القلب هواه فقمر
قمر لم يبق مني حسنه * وهواه غير مقلوب قمر

وقال آخر

جاذبتها والريح تجذب برقعا * من فوق خد مثل قلب العقرب
وطفقت ألثم ثغرها فتحجبت * وتسترت عني بقلب العقرب

وقال آخر

لومت من كثرة الاشواق وانبدلت * مدامعي بدم من كثرة السهر
مااخترت عنك سلوا الاولا نظرت * عيني لغير محيا وجهك القمر

ابراهيم بن العباس

تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضى * ويصرع قلبي اذ يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وانما * هوى كل نفس أين حل حبيبها

وقال النوفلي

اذا اختلجت عيني رأت من تحبه * فدام لعيني ماحييت اختلاجها
وماذقت كاسا مذ علقت بحبها * فأشربه الاودمعي مزاجها

وقال آخر رحمه الله تعالى

ياذا الذى زار ومازارا * كأنه مقتبس نارا
قام بباب الدار من تيهه * ماضره لودخل الدارا

وقال آخر

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت منى ظاهرى لجليسى
فالكل منى للجليس مؤانس * وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

ابن نباتة

أناشده الرحمن فى جمع شملنا * فيقسم هذا لايكون الى الحشر
اذا ماغدا مثل الحديد فؤاده * فوالعصر ان العاشقين لفى خسر

أمين الدين بن أبى الوفاء

يانازلا منى فؤادا راحلا * ومن العجائب نازلا فى راحل
أضرمت قلب متيم أهلكته * وسكنته والنار مثوى القاتل

وقال آخر

ياعاذلى فى هواه * اذابدا كيف اسلو
يمر بى كل وقت * وكلما مر يحلو

الحاجبى

ملأت فؤادى من محبة فاتن * أميل اليه وهو كالظبى رائغ
وقلت لقلبى قم لتعشق شادنا * سواه فقال القلب ماأنافارغ

وقال ديك الجن

ولى كبد حرى ونفس كأنها * بكف عدو مايريد سراحها
كأن على قلبى قطاة تذكرت * على ظما وردا فهزت جناحها

وقال عبد الله بن طاهر

أقام ببلدة ورحلت عنه * كلانا بعد صاحبه غريب
أقل الناس فى الدنيا سرورا * محب قدنأى عنه الحبيب

وقال آخر

ما اخترت ترك وداعكم يوم النوى * والله لاملا ولا لتجنب
لكن خشيت بأن أموت صبابة * فيقال أنت قتلته فتعذبى

وقال ابن المعتز

هب لعينى رقادها * وانف عنها سهادها
وارحم المقلة التى * كنت فيها سوادها
كن صلاحا لها كما * كنت دهرا فسادها

وقال آخر

وقالوا ادع مراقبة الثريا * ونم فالليل مسود الجناح

فقلت وهل أفاق القلب حتى * أفرق بين ليلى والصباح

وقال آخر

ولي فؤاد اذا طال النزاع به * طار اشتياقا الى لقيا معذبه
يفديك بالنفس صب لو يكون له * أعز من نفسه شيء فداك به

وقال آخر

وما هجرتك النفس يا مي أنها * قلتك ولا أن قل منك نصيبها
ولكنهم يا أحسن الناس أولعوا * بقول اذا ما جئت هذا حبيبها .

وقال المحاربي

اذا أنت لم تؤذن بما صنع الهوى * بأهل الهوى فافقد حبيبا وجرب
ترى حرقات يلدغ القلب حرها * بأنضج من كي الغضى المتلهب

وقال الاقرع بن معاذ

أقول لمفت ذات يوم لقيته * بمكة والانضاء ملقى رحالها
بحقك أخبرني أما تأثم التي * أضر بجسمي منذ مر خيالها
فقال بلى والله أوسيصيبها * من الله بلوى في الزمان تنالها
فقلت ولم أملك سوابق عبرة * سريع على جيب القميص انهمالها
عفا الله عنها كل ذنب وقيت * مناها وان كانت قليلا نوالها

وقال آخر

بالله ربكما عوجا على سكني * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بي وقولا في حديثكما * ما ضر لو بوصال منك تسعفه
فان تبسم قولا عن ملاطفة * ما بال عبدك بالهجران تتلفه
وان بدا لكما من سيدي غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وقال عبد الله بن أبي الشيص

ومعرضة تظن الهجر فرضا * تخال لحاظها للضعف مرضى
كأني قد قتلت لها قتيلا * فما مني بغير الهجر ترضى

وقال الحسين بن الضحاك

بعضي بنار الهجر مات حريقا * والبعض أضحى بالدموع غريقا
لم يشك عشقا عاشق فسمعته * الا ظننتك ذلك المعشوقا

وقال آخر

وأجيل فكري في هوا * ك بلا لسان ناطق
ادعو عليك بحرقة * من غير قلب صادق

وقال آخر

يا ويح من خبل الاحبة قلبه * حتى اذا ظفروا به قتلوه
عزوا ومال به الهوى فأذله * ان العزيز على الذليل يتيه

انظر الى جسد أضربه الهوى * لولا تقلب طرفه دفنوه
من كان خلوا من تباريح الهوى * فانا الهوى وحليفه وأخوه

وقال أحمد بن طاهر

تقول العاذلات تسل عنها * وداو غليل صبرك بالسلو
فكيف ونظرة منها اختلاسا * ألذ من الشماتة بالعدو

وقال اسحق مولى المهلب

هبيني يا معذبتي أسأت * وبالهجران قبلكم بدأت
فأين الفضل منك فدتك نفسي * علي اذا أسأت كما أسأت

وقال أبو العتاهية

يقول أناس لو نعت لنا الهوى * ووالله ما أدري لهم كيف أنعت
سقام على جسمي كثير موسع * ونوم على عيني قليل مفوت
اذا اشتد ما بي كان أفضل حيلتي * له وضع كفي فوق خدي وأسكت

وقال بشار

يا قرة العين اني لا أسميك * أكني بأخرى أسميها وأعنيك
أخشى عليك من الجارات حاسدة * أو سهم عيران يرميني ويرميك
لولا الرقيبان اذ ودعت غادية * قبلت فاك وقلت النفس تفديك
يا أطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة أطراف المساويك
قد زرتنا مرة في الدهر واحدة * بالله لا تجعليها بيضة الديك

وقال آخر

ألم تعلمي يا أحسن الناس أنني * أحبك حبا مستمكنا وباديا
أحبك مالو كان بين قبائلي * من الناس أعداء لجرّ التصافيا

وقال آخر

أقول لشادن في الحسن أضحى * يصيد بطرفه قلب الكمي
ملكت الحسن أجمع في نصاب * فأد زكاة منظرك البهي
وذاك بأن تجود لمستهام * برشف من مقبلك الشهي
فقال أبو حنيفة لي امام * يرى أن لا زكاة على الصبي

وقال آخر

سقى الله ربعا كنت أخلو بوجهكم * وثغر الهوى في روضة الحسن ضاحك
أقمنا زمانا والعيون قريرة * وأصبحت يوما والجفون سوافك

وقال آخر

ألم تعلمي يا عذبة الماء أنني * أظل اذا لم أسق ماءك صاديا
ومازلت بي يا بين حتى لو انني * من الوجد أستبكي الحمام بكى ليا

أبو العباس الشهير بالنفيس

يا راحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقياك يتفق
ما أنصفتك جفونى وهى دامية * ولا وفى لك قلبى وهو يحترق

الوزير ظهير الدين الملقب بابى شجاع

لأعذبن العين غير مفكر * فيها بكت بالدمع او فاضت دما
ولأهجرن من الرقاد لذيذه * حتى يعود على الجفون محرما
هى اوقعتنى فى حبائل فتنة * لو لم تكن نظرت لكنت مسلما
سفكت دمى فلأسفحن دموعها * وهى التى بدأت فكانت أظلما

وقال العتبى

أضحت بخدى للدموع رسوم * أسفا عليك وفى الفؤاد كلوم
والصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

الرفاء الاندلسى

ومهفهف كالغصن الا أنه * تحير الالباب عند لقائه
أضحى ينام وقد تكلل خده * عرقا فقلت الورد رش بمائه

وقال آخر

اخضر واصفر لاعتلال * فصار كالنرجس المضعف
كأن نسرين وجنتيه * بشعر أصداغه مغلف
يرشح منه الجبين ماء * كأنه لؤلؤ منصف

وقال آخر

مازال ينهل من صرف الطلا قرى * حتى غدت وجنتاه البيض كالشفق
وقام يخطر والأرداف تقعده * طورا وحاول أن يسعى فلم يطق
فعاتل فعلت فعل الشمول به * فعل النسيم بغصن البانة الورق
جاذبته لعناقى فانثنى خجلا * وكللت وجنتاه الحمر بالعرق
وقال لى بفتور من لواحظه * ان العناق حرام قلت فى عنقى

وقال آخر

يا ركان هذا البيت انى لطائف * وفى الكون اسرار وفيه لطائف
رعى الله أياما وناسا عهدتهم * جيادا ولكن الليالى صيارف
وبى ذهبى اللون صيغ لمحنتى * يريد امتحانا لى وما أنا زائف
يذيب فؤادا وهو لا غش عنده * فيا ذهبى اللون انك حائف

وقال آخر

أسنى ليالى الدهر عندى ليلة * لم أخل فيها الكاس من اعمالى
فرقت فيها بين جفنى والكرى * وجمعت بين القرط والخلخال

ومما قيل فى الرقباء

لو أن لى فى الحب أمرا نافذا * وملكت بسط الأمر فى التعذيب

لقطعت ألسنة العواذل كلها * ولكنت أقلع عين كل رقيب

وقال أعرابي

بسهم الحب كلم في فؤادي * ولا كالكلم من عين الرقيب
تمكن ناظراه به وأضحى * مكان الكاتبين من الذنوب
ومن حذر الرقيب اذا التقينا * نسلم كالغريب على الغريب
ولولاه تشاكينا جميعا * كما يشكو المحب الى الحبيب

وقال آخر

من عاش في الدنيا بغير حبيب * فحياته فيها حياة غريب
عين الرقيب غرقت في بحر العمى * لا أنت لا بل عين كل رقيب

وقال أحمد بن أبي سلمة

يعذلني فيه جميع الورى * كأنني جئت بأمر عجيب
أظن نفسي لو تعشقتها * بليت فيها بملام الرقيب
وأنا الغريب فلا ألام على البكا * ان البكا حسن بكل غريب

وقال آخر

وما فارقت سعدى عن قلاها * ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل الف * اذا بانت حبيبته بكاها

وقال آخر

وقائلة ما بال دمعك أبيض * فقلت لها يا عاء لو هذا الذي بقي
ألم تعلمي أن البكا طال عمره * فشابت دموعي عندما شاب مفرقي
وعما قليل لا دموع ولا دما * ولم يبق الا لوعتي وتحرقي *

وقال آخر

ولم أرمثلي غار من طول ليله * عليه لان الليل يعشقه معي *
وما زلت أبكي في دجا الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعي

وقال آخر

ر. وت طيف خيال * وكيف لي بهجوع
والذاريات جفوني * والمرسلات دموعي

وقال آخر

يا نازح الطيف من نومي بعاودني * فقد بكيت لفرط النازحين دما
أوجبت غسلا على عيني بأدمعها * فكيف وهي التي لم تبلغ الحلما

وقال آخر

ارحم رحمت للوعتي * وابعث خيالك في الكرى
ودموع عيني لا تسل * عن حالها يا ما جرى

وقال اخر

أملت أن تتعطفوا بوصالكم * فرأيت من هجرانكم مالا أرى
وعلمت أن فراقكم لابد أن * يجرى به دمعى دما وكذا جرى

وقال آخر

ان عينى مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد فى كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادى * لاتسل ماجرى على الخد منها

وقال آخر

يقولون لى والدمع قرح مقلتى * بنار أسى من حبة القلب تقدح
أدمعك جمر قلت لاتعجبوا * فكل وعاء بالذى فيه ينضح

وقال البدر الذهبى

قالوا اتباكى بالدموع وما بكى * بدم على عيش تصرم وانقضى
فأجبتهم هو من دمى لكنه * لما تصاعد صار يقطر أبيضا

وقال ابن مطروح فى الغيرة

ولو أمسى على تلفى مصرا * لقلت معذبى بالله زدنى
ولا تسمح بوصلك لى فانى * أغار عليك منك فكيف منى

وقال آخر

أغار عليك من نظرى ومنى * ومنك ومن مكانك والزمان
ولو أنى خبأتك فى جفونى * الى يوم القيامة ما كفانى

المظفر بن عمر الآمدى

قلت للذين جنونى اذ لهجت بهم * دون الانام وخير القول أصدقه
أحبكم وهلاكى فى محبتكم * كعابد النار يهواها وتحرقه

وقال غيره

لم أنس أيام الصبا والهوى * لله أيام الصبا والصباح
ذاك زمان مر حلوا الجنى * ظفرت فيه بحبيب وراح

الشريف الرضى

عللانى بذكركم واسقيانى * وامزجا لى دمعى بكأس دهاق
وخذا النوم من جفونى فانى * قد خلعت الكرى على العشاق

وقال آخر

قالوا أترقد مذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعى على بصرى
ماحق طرف هدانى نحو حسنكم * أنى اعذبه بالدمع والسهر

عز الدين الموصلى

فسدت لطول بعادكم أحلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منام
والطيف قد وعد الجفون بزورة * ياحبذا ان صحت الاحلام

ومما قيل فى السهر وطول الليل ونحو ذلك قال الشاعر

عز الدين الموصلي

لئن شبه الساقي المدام بعسجد * فقد مال بالتشبيه عن صيغة الادب
ولكن رآها جوهرا سميت طلا * فيزما قد حلت الكاس بالذهب

يزيد بن معاوية

وشمسة كرم برجها قعر دنها * وطلعتها الساقي ومغربها فمي
مدام كتبر في اناء كفضة * وساق كبدر مع ندامى كأنجم

وقال آخر

كأن الندامى والسقاة ودننا * وكاساتنا في الروض تملي وتشرب
شموس وأقمار وفلك وأنجم * ونور ونوار وشرق ومغرب

وقال آخر

فكأنها وكأن حامل كأسها * اذ قام يجلوها على الندماء
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها * بدر الدجا بكواكب الجوزاء

وقال كشاجم

صدح الديك في الدجى فاسقنيها * خمرة تترك الحليم سفيها
لست أدري من رقة وصفاء * هي في الكاس أم هو الكاس فيها

كمال الدين بن النبيه

قم يا غلام ودع مقالة من نصح * فالديك قد صدع الدجى لما صدح
خفيت تباشير الصباح فاسقني * ما ضل في الظلماء من قدح القدح
صهباء ما لمعت بكف مديرها * لمقطب الا تهلل وانشرح
تالله ما مزج المدام بمائها * لكنه مزج المسرة بالفرح
هي صفوة الكرم الكريم فاسرت * سرآؤها في باخل الا سمح
من كف فتان اللحاظ بوجهه * عذر لمن خلع العذار أو افتضح

وقال غيره

وليلة أوسعتني * حسنا ولهوا وأنسا
ما زلت ألثم بدرا * بها وأشهد شمسا

عبد الله بن محمد العطار وقيل يزيد بن معاوية

وكاس يرينا آية الصبح في الدجى * فاولها شمس وآخرها بدر
مقطبة ما لم يزرها مزاجها * فان جاءها جاء التبسم والبشر
فيا عجبا للدهر لم يخل مهجة * من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

وقال ابن تميم

وليلة بت أسقى من غياهبها * راحا تسل شبابي من يد الهرم

. ماذات أشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

ابن مكانس

نزل الطل بكرة * وتوالى تجـــــددا
والندامى تجمعوا * فاجل كاسى على الندا

الشيخ شهاب الدين الحجازى

كاسنا ياصاح صرفا * جليت بين الندامى
لم نجد ماء المزج * فقنعنا بالندامى

صفى الدين الحلى

كيف لا تخضع العقول لديها * وهى سلطان سائر المسكرات
ألفوا فى الكؤس اذ مزجوها * بين ماء الحيا وماء الممات

غيره

صبها فى الكاس صرفا * غلبت ضوء السراج
ظنها فى الكاس نارا * فطفاها بالمزاج

مجد الدين بن تميم

نديمى لا تسقنى * سوى الصرف فهو الهنى
ودع كاسها أطلسا * ولا تسقنى مع دنى

تقى الدين بن حجة

حبابها عاصرها فى كاسها * مشرقة باسمة كالثغر
وقال هذى تحفة فى عصرنا * قلت اسقنيها ياامام العصر

أبو الطيب المتنبى

ياصاحبى امزجا كاس المدام لنا * كيما يضىء لنا من افقها الغسق
خمرا اذا ماانديمى هم بشربها * أخشى عليه من اللألاء يحترق
لو راح يحلف أن الشمس ماغربت * فى فيه كذبه فى وجهه الشفق

وقال آخر

بنت كرم يتموها أمها * وأهانوها بدوس بالقدم
ثم داروا حكموها فيهم * ويلهم من جور مظلوم حكم

وقال آخر

عناقيد على قضب تدلت * حكى منظومها عقد اللآلى
اذا عصرت بدا فى الكاس منها * دوالى قد تربت فى دوالى

برهان الدين بن المعمار

باكر لكرم العنب المجتنى * واستجنه من عند عنابه
واعصره واستخرج لنا ماءه * لكى تزيل الهم عنابه

جولان العاذلى

اذا ما الخمر فى الكاسات صبت * رأيت لها شموسا فى بروج
وان جليت على الندمان يوما * تراجعت الهموم على الخروج

وقال فى الشراب المطبوخ

يامن يعذب ماء الكرم يحرقه * بالنار فى أى شئ تظلم العنبا
ان التى طبختها الشمس أنفع لى * واست أخسر لاقدرا ولا حطبا

وقال أيضا

وعتيقة رقت وراق مزاجها * لطفا وأنحلها الزمان الغابر
لم يبق منها غير نور ساطع * لا يستطيع يجول فيه الناظر
ترنو اليك من الحباب بأعين * خلقت ولم يخلق لهن محاجر

وقال غيره

لا تعصرن زبيبا واعتصر عنبا * فبين هذين فرق فيه تصريح
هذا من الحى للاحياء معتصر * وذاك يعصر من جسم بلا روح

وقال غيره

عابوا على مداما * أخرتها الصبوحى
واستنكروها وقالوا * تحللت قلت روحى

وقال آخر فى الشراب على الرعد والبرق

أما ترى الرعد بكى فاشتكى * والبرق قد أومض فاستضحكا
فاشرب على غيم كصبغ الدجى * أضحك وجه الروض لما بكا
وانظر لماء النيل فى مده * كأنه صندل أو مصطكا

وقال آخر

ياليلة جمعت لنا الاحبابا * لو شئت دام لنا النعيم وطابا
بتنا بها نسقى سلافا قرقفا * يذر الصحيح بعقله مرتابا
من كف غانية كأن بنانها * من فضة قد قمعت عنابا

وقال آخر

أما ترى الغيث كالباكى بادمعه * والارض تضحك والازهار فى فرح
فقم فديتك نشكو ما نكابده * من الزمان وما نلقى الى القدح

ابن نباتة

أما ترى الليل قد ولت غياهبه * وعارض الفجر بالاشراق قد طلعا
فاشرب على وردة وردية قدمت * كأنها خد ريم ريم فامتنعا

ومن شعر عضد الدولة

طربت الى الصبوح مع الصباح * وشرب الراح والغر الملاح

وكان

وكان الثلج كالكافور نثرا * ونارى بين نارنجى وراحى
فشمومى ومشروبى وناري * وثلجى والصباح مع الصباح
لهيب فى لهيب فى لهيب * صباح فى صباح فى صباح

ابن وكيع

وصفراء من ماء الكروم كأنها * فراق عدو أو لقاء صديق
كأن الحباب المستدير بطوقها * كواكب در فى سماء عقيق
صببت عليها الماء حتى تعوضت * قميص بهار من قميص شقيق

وقال آخر

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * أتت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

وقال آخر

اذا الكروان صاح على الرمال * وحل البدر فى برج الكمال
وجعد وجه بركتنا هبوب * تمر به الجنوب مع الشمال
وحركت الغصون فشابهتها * قدود ستقاتنا فى كل حال
فهات الكاس مترعة ودعنى * أبادر لذتى قبل ارتحالى
فكل جماعة لا شك يوما * يفرق بينهم صرف الليالى

وقال آخر فى الشراب على الغيم

أرى غيما تؤلفه جنوب * ويوشك أن يوافقنا بهطل
فوجه الرأى أن تدعو برطل * فتشربه وتدعو لى برطل

وقال آخر

فيا بكر باكر بكرة بكر كرمة * تفز بيكور باكرتك بها بكر
وداوى خمار الخمر بالخمر انما * دواء خمار الخمر من دائها الخمر

الصنوبرى

لا تبكين على الاطلال والدمن * ولا على منزل أقوى من السكن
وقم بنا نصطبح صهباء صافية * تنفى الهموم ولا تبقى على الحزن
بكرا معتقة عذراء واضحة * تبدو فتخبرنا عن سالف الزمن
حمراء مروقة صفراء فاقعة * كأنما مزجت من طرفك الوسن
يسعى بها غنج فى خده ضرج * فى ثغره فلج يغنى الى اليمن
فى ريقه عسل قلبى به خبل * فى مشيه ميل أربى على الغصن
كأنه قمر ما مثله بشر * فى طرفه حور يرنو فيجرحنى
سبحان خالقه يا ويح عاشقه * يهدى لرامقه صنفا من الشجن
فى روضة زهرت بالنبت قد حسنت * كأنما فرشت من وجهه الحسن

باطيب مجلسنا والطير يطربنا * والعود يسعدنا مع منشد لسن

كمال الدين بن النبيه

طاب الصبوح لنا فهاك الذوهات * واشرب هنيئا يا أخا اللذات
كم ذا التوانى والزمان مساعد * والدهر سمح والحبيب موانى
قم واغتبق من شمس كاسك واصطبح * بكواكب طلعت من الكاسات
حمراء صافية توقد نورها * فعجبت للنيران فى الجنات
يذسل فى قار الظروف حبابها * والدر مجتاب من الظلمات
عذراء واقعها المزاج أما ترى * منديل عذرتها بكف سقاتى
يسعى بها عبل الروادف اهيف * خنث الشمائل شاطر الحركات
يهوى فتسبقه ذوائب شعره * ملتفة كأساود الحيات
لو قسمت أرزاقنا بيمينه * عدل الزمان على ذوى الحاجات

وقال أيضا

باكر صبوحك أهنى العيش باكره * فقد ترنم فوق الايك طائره
والليل تجرى الدرارى فى مجرته * كالروض تطفو على نهر أزاهره
وكوكب الصبح نجاب على يده * مخلق تملأ الدنيا بشائره
فانهض الى ذوب ياقوت لها حبب * تنوب عن ثغر من تهوى جواهره
حمراء من وجنة الساقى لها شبه * فهل جناها مع العنقود عاصره
ساق تكون من صبح ومن غسق * فابيض خداه واسودت غدائره
بيض سوالفه لعس مراشفه * نعس نواظره خرس أساوره
مفلج الثغر معسول اللمى غنج * مؤنث الجفن فحل اللحظ شاطره
مهفهف القد يبدى جسمه ترفا * مخصر الخصر عبل الردف وافره
* تعلمت بانة الوادى شمائله * وزورت سحر عينيه جآذره
كانه بسواد اللحظ مكتحل * وركبت فوق صدغيه محاجره
فلو رأت مقلتاها روت آيته الكبرى لآمن بعد الكفر ساحره
خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما * وأنت ناه لهذا الدهر آمره
فالعمر كالكاس تستحلى أوائله * لكنه ربما مرت أواخره
واجسر على فرص اللذات محتقرا * عظيم ذنبك ان الله غافره

وقال آخر

شربنا بالبواطى ثم رحنا * نعلل بالكؤس وبالقنانى
ولولا ضيقة الاجرام قلنا * لساقيها أدرها بالدنان

برهان الدين القيراطى

أرى جرار الخمر تغلو وقد * عزت وبالافلاس حالى عجيب

جئنا لخمار وقلنا له * احمل الينا جرة كى نطيب
قال زبيبا تريدون أم * خمرا فان الكل منى قريب
قلنا له خمرا فنادى زنوا * فى جرة عشرين قلنا الزبيب

وقال أيضا

صرف الزبيب لصرف همى * نص على نفعه طبيبى
آها على سكرة لعلى * أن أخلط الهم بالزبيب

وقال

قالوا اترك الخمر واجتنبها * لا تتعد الحرام حدا
قلت أراها للروح قوتا * وطالب القوت ما تعدى

ومما قيل فى شرب الفقهاء

يحمون بالفقه عرض الدين من سفه * علما بتصريف احوال وتحقيق
وبعضهم يكرع الصهباء مغتنما * تحت الظلام بأفواه الأباريق

فيمن يطيل الحديث والكاس فى يده

وشادن نطقه جار اذا شفعت * فى مجلس الشرب كاسات بطاسات
يظل يحكى وكاس الراح فى يده * حكاية عرضها عرض السموات

ومما قيل فى كريم السكر لئيم الصحو

اذا هز اللئيم السكر يوما * بدا فى بذل مال فمه ضنا
يجود بماله فى الشرب سكرا * ويأكل كفه فى الصحو حزنا

وقيل فى شجاع السكر

اذا شرب الجبان الخمر يوما * أعارته الشجاعة باللسان
وعند الصحو تلقاه جزوعا * اذا اشتد اللقا يوم الطعان

وفيه أيضا

يقول جبان القوم فى حال سكره * وقد شرب الصهباء هل من مبارز
وأين الخيول الاعوجيات فى الوغى * أناقل فيها كل ليث مناهز
ومن لى بحرب ليس يخمد نارها * لعمرى انى لست فيها بعاجز
ففى السكر قيس وابن معدى وعامر * وفى الصحو تلقاه كبعض العجائز

وقال فى شرب الثلاثة

ثلاثة فى مجلس طيب * وعيشهم ما فيه تكدير
هذا يغنى ذا وهذا لذا * يسقى وذا بالشرب مسرور

وقيل فى شرب الاربعة

الا انما خير المجالس مجلس * به وله صفو الزمان مساعد
فتاة وساق والمغنى وصاحب * وخامسهم هم على الكل زائد

وقيل فى شرب الستة

خير المجالس خمسة أو ستة * أو سبعة وعلى الكثير ثمانيه
فاذا تعدى صار شغلا شاغلا * وتكسرت بين الرجال الآنيه
فاهرب اذا ما كنت تاسع مجلس * ولئن أتيت به فامك زانيه

ومما قيل فى الشرب مع التجار

شربت مع التجار وكان يوما * جعلت حضورنا فيه وداعا
فذاك يقول كم أطلقت بيعا * ووفيت الذى بعت الذراعا
وهذا قال عندى كل شئ * ولكن لا أبيع ولا أباعا
فلا تجعلهمو أبد اندامى * فتكسب من مجالسهم صداعا

فيمن أكل على الشراب

وندمان اذا ما الكاس دارت * بغير الاكل ارتعدت يداه
نديم دأبه فى السكر أكل * فلا يبقى على شئ يراه

وقيل فى قدح

غرامى ووجدى بالذى كان فى الثرى * مهانا فأضحى فى المجالس حاكما
قضى ما عليه من رود جهنم * فصار لجنات النعيم ملازما

محمد بن جعفر الانصارى يستدعى بعض أصدقائه الى الشراب

بساط الارض مسك أو عبير * وزهر الروض وشى أو حرير
وقد صفى الدنان الخمر حتى * لقد عادت لدينا وهى نور
ومن يرد السرور يعش هنيئا * اذا العيش الهنئ هو السرور
وعندى اليوم فتيان كرام * وهم شموس أو بدور
وقطب الامر أنت وهل لأمر * بغير القطب فيه رحى تدور
فرأيك فى الحضور لحق يومى * عليك وقد دعاك له الحضور

وقال آخر

باكر صبوحك واشربها مشعشعة * واهنأ بعيش حميد غير مذموم
حمراء من بعد ما احمرت موردة * طافت علينا فسرت كل مهموم
كأن فى كاسها والماء يقرعها * أكارع النمل أو نقش الخواتيم
لا اصاحبتنى يد لم تغن ألف يد * ولم ترد القنا حمر الخياشيم
بادر بجودك بادر قبل عائقه * فان خلف الفتى عندى من اللوم

سيف الدولة بن حمدان فى ساق

وساق صبيح للصبوح دعوته * فقام وفى أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كانجم * فما بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدى النجوم مطارفا * على الجو دكنا والحواشى على الارض
يطرزها قوس السماء بأصفر * على أحمر فى أخضر تحت مبيض

كأذيال خود أقبلت فى غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

ابن نباتة

سقى وواعدنى وصلا ألذبه * عند المنام ولا والله ما وصلا
قبله الله من ساق مواعده * كانت مواعيد عرقوب لها مثلا

وقال آخر فى ساق

وساق كالهلال سعى بكاس * لربه نرجس فسقى وحيا
فقلت تأملوا بدرا منيرا * سقى شمسا وحيا بالثريا

وفيه لابن النبيه

ساق صحيفة خده ما سودت * عبثا بلام عذاره ونونه
جد الذى بيمينه فى خده * وجرى الذى فى خده بيمينه

فى جارية ساقية

نديمتى جارية ساقيه * ونزهتى ساقية جاريه
جارية أعينها جنة * وجنة أعينها جاريه

فيمن حبس الكاس فى يده

قالوا الذى تهواه يحبس كاسه * فى كفه من غير ذنب موجب
فاجبتهم كفوا الملام فانه * قمر ينزه طرفه فى كوكب

وقال آخر فى مجلس أنس

ومجلس راق من واش يكدره * ومن رقيب له باللوم ايلام
ما فيه ساع سوى الساقى وليس له * على الندامى سوى الريحان نمام

صفى الدين الحلى فى عود

وعود به عاد السرور لانه * حوى اللهو قدما وهو ريان ناعم
يغرّب فى تغريده فكأنه * يعيد لنا ما لقنته الحمائم

وقال آخر فى زامرة

وناطقة بالنفخ عن روح ربها * تعبر عما دوننا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فاطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

ومما قيل فى فانوس لابن تميم

انظر الى الفانوس تلق متيما * ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو تلهب جسمه لنحوله * وتعد من تحت القميص ضلوعه

وفيه لابن قزل

وكأنما الفانوس فى غسق الدجى * دنف براه شوقه وسهاده
أضلاعه خفيت ورق أديمه * وجرت مدامعه وذاب فؤاده

ولبعضهم فى شمعة

حكتني وقد أودى بي السقم شمعة * وان كنت صبا دونها متوجعا
ضنى وسهادا واصفرارا ورقة * وصبرا وصمتا واحترافا وأدمعا

وما قيل في الربيع والرياض والبساتين والمياه والنواعير ونحو ذلك قال الشاعر

هذا الربيع وهذه أزهاره * متجاوب في أيكه أطياره
وبدا البنفسج والشقائق مونق * والورد يضحك بينها وبهاره
فاشرب على وجه الحبيب وغن لي * هذا هواك وهذه آثاره

وقال غيره

غدونا على الروض الذي طله الندى * سحيرا وأوداج الاباريق تسفك
فلم نر شيأ كان أحسن منظرا * من النور يجري دمعه وهو يضحك

وقال آخر

أما ترى الارض قد أعطتك زهرتها * بخضرة واكتسى بالنور عاريها
فللسماء بكاء في جوانبها * وللربيع ابتسام في نواحيها

غيره

ان السماء اذا لم تبك مقلتها * لم تضحك الارض عن شئ من الزهر
والارض لا تنجلي أنوارها أبدا * الا اذا رمدت من شدة المطر

وقال ابن قرناص

أيا حسنها من رياض غدا * جنونى فنونا بافنانها
مشى الماء فيها على رأسه * لتقبيل أقدام أغصانها

وقال آخر

انظر الى الاغصان كيف تعانقت * وتفارقت بعد التعانق رجعا
كالصب حاول قبلة من الفه * فرأى المراقب فانثنى متوجعا

وقال ابن تميم

وحديقة ينساب فيها جدول * طرفي برونق حسنها مدهوش
يبدو خيال غصونها في مائه * فكأنما هو معصم منقوش

وقال أيضا عفا الله عنه

لم لا أهيم الى الرياض وحسنها * واظل منها تحت ظل ضافي
والزهر حياني بثغر باسم * والماء وافاني بقلب صافي

وقال آخر

قد سعينا بغي زيارة دوح * قد حبانا باللطف والاكرام
ناولتنا أيدي الغصون ثمارا * أخرجتها لنا من الاكمام

وما قيل في الازهار والثمار قال بعضهم في الورد

يا راقدا ونسيم الصبح منتبه * في روضة القصف والاطيار تنتحب

الورد ضيف فلا تجهل كرامته * فهاتها قهوة فى الكاس تلتهب
سقياله زائر تحيا النفوس به * يجود بالوصل شهرا ثم يحتجب

وقال آخر فيه

طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحا * مادام للورد أنوار وازهار
واستقبلا عيشنا بالكاس مترعة * لاطولت للئام الناس أعمار

وقال آخر

اشرب على الورد من حمراء صافية * شهرا وعشرا وخمسا بعدها عددا
واستوف بالكاس من لهو ومن طرب * فلست تأمن صرف الحادثات غدا

وقال آخر

اشرب على ورد الخدود فانها * أيام ورد والصبوح يطيب
ما الورد أحسن منظرا من وجنة * حمراء جاد بها عليك حبيب

وقال بعضهم

ولقد رأيت الورد يلطم خده * ويقول وهو على البنفسج يحنق
لاتقربوه وان تضوع نشره * من بينكم فهو العدو الازرق

ومما قيل فى البنفسج

قال ابن المعتز

ولازوردية وافت بزورتها * بين الرياض على زرق اليواقيت
كأنها فوق طاقات صففن بها * أوائل النار فى أطراف كبريت

وقال آخر

اشرب على زهر البنفسج قهوة * تهدى السرور لكل صب مكمد
فكأنه قرص بخد مهفهف * أو أعين زرق كحلن باثمد

ولبعضهم فى الورد

للورد فضل على زهر الربيع سوى * أن البنفسج أزكى منه فى المهج
كأنه وعيون الناس ترمقه * آثار قرص يد فى خد ذى غنج

وقال آخر

يامهديا لى بنفسجا أرجا * يرتاح صدرى له وينشرح
بشرنى عاجلا مصحفه * بأن ضيق الامور ينفسح

وقال غيره فى النرجس

وقضب زمرد تعلو عليها * عيون لم تذق طعم الغماض
توهمت الغمام لها رقيبا * فنكست الرؤس الى الرياض

وقال آخر فيه

أنت يانرجس روض * لزهور الارض ست
ودليل القول فيك * أن أوراقك ست

وقال آخر فيه

أقول وطرف النرجس الغض شاخص * الى وللنمام حولى المام
أيارب حتى فى الحدائق أعين * علينا وحتى فى الرياحين نمام

وقال أيضا فيه

لما تمادى الورد فى زهره * وراح من اعجابه يرأس
تلون المنثور مما به * واصفر من غيظ به النرجس

ومما قيل فى اللينوفر لابن المعز المصرى

وبركة تزهو بلينوفر * نسيمه يشبه نشر الحبيب
مفتح الاجفان فى نومه * حتى اذا الشمس دنت للمغيب
أطبق جفنيه على خده * وغاص فى البركة خوف الرقيب

وقال تميم بن المعز المصرى

رأيت فى البركة لينوفرا * فقلت ماشأنك وسط البرك
فقال لى غرقت فى أدمعى * وصادنى ظبى الفلا بالشرك
فقلت ما بال اصفرار بدا * فيك وماهذا الذى غيرك
فقال لى ألوان أهل الهوى * صفر ولو ذقت الهوى صفرك

ومما قيل فى البان

قد أقبل الصيف وولى الشتا * وعن قليل تسأم الحرا
أما ترى البان بأغصانه * قد قلب الفروالى برا

وقال آخر فيه

أما ترى البان الذى يزهو على * كل الغصون بقده المياس
وافى يبشر بالربيع وقربه * يختال فى السنجاب والبرطاس

وقال فى الشقيق

حييته بشقائق فى مجلس * ورأى الرقيب فشق ذاك عليه
فاحمر من خجل فأنبت خده * اضعاف ما حملت يداى اليه

وقال آخر

لولم أعانق من أحب بروضة * أحداق نرجسها الينا تنظر
ما انشق جيب شقيقها حسدا ولا * بات النسيم بذيله يتعثر

وقيل ان ابن الرومى الشاعر زار قبر أخيه يوما فوجد الشقائق قد نبتت على قبره فأنشد يقول

قالت شقائق قبره * ولرب أخرس ناطق
فارقته ولزمته * فانا الشقيق الصادق

ومما قيل فى المنثور

تخال منثورها فى الدوح منتثرا * كأنما صيغ من در وعقيان

والطير ينشد فى أغصانه سحرا * هذا هو العيش الا انه فانى
وقال آخر
قد أقبل المنثور يا سيدى * كالدر والياقوت فى نظمه
شانك لا زال كأنفاسه * وعمّ من يشناك مثل اسمه
ولبعضهم فيه
ولقد خلوت مع الاحبة مرة * فى روضة للزهر فيها معرك
مابين منثور وأقام ونرجس * مع اقحوان وصفه لا يدرك
هذا يشير باصبع وعيون ذا * ترنو اليه وثغر هذا يضحك
ومما قيل فى الياسمين
والارض تبسم عن ثغور رياضها * والافق يسفر تارة ويقطب
وكأن مخضر الرياض ملاءة * والياسمين لها طراز مذهب
وقال آخر
رأيت الفأل بشرنى بخير * وقد أهدى الىّ الياسمين
فلا تحزن فان الحزن شين * ولا تيأس فان اليأس مين
ومما قيل فى السوسن للأخطل الاهوازى
سقيا الارض اذا ماغت نبهنى * بعد الهدو بها قرع النواقيس
كأن سوسنها فى كل شارقة * على الميادين أذناب الطواويس
ومما قيل فى الاقحوان لعبد القادر بن مهنا المغربى
أفدى الذى زارنى سرًّا فأتحفنى * بأقحوان يحاكى ثغر مبتسم
فبت من فرحى أفنى مقبله * لثما وأرشف من ريق له شبم
ولبعضهم فيه
ان فاه ثغر الاقاحى فى تشبهه * بثغر حبك واستولى به الطرب
فقل له عندما يحكيه مبتسما * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب
ومما قيل فى الجلنار
وجلنار مشرق * على أعالى شجره
كأنه فى غصنه * أحمره وأصفره
قراضة من ذهب * فى خرقة معصفره
ومما قيل فى الآس
أهديت مشبه قدك المياس * غصنا نضيرا ناعما من آس
فكأنما يحكيك فى حركاته * وكأنما تحكيه فى الانفاس
ومما قيل فى الريحان
وغصن من الريحان أخضر ناضر * نما بين غصنى نرجس وشقائق

يريك اذا كف الصبا عبثت به * شمائل معشوق وذلة عاشق

وفيه أيضا

وريحان يميس بحسن قد * يلذ بشمه شرب الكؤس
كسودان لبسن ثياب خز * وقد قاموا مكاشيف الرؤس

وقال آخر

قضيب من الريحان شاكل لونه * اذا ما بدا للعين لون الزبرجد
فشبهته لما بدا متجعدا * عذار بدى فى سوالف أغيد

(ومما قيل فى الفواكه والثمار على اختلافهما) فى الاترج قال ابن الرومى

كل الخلال التى فيكم محاسنكم * تشابهت منكم الاخلاق والخلق
كأنكم شجر الاترج طاب معا * حملا ونشرا وطاب العود والورق

ولبعضهم فيه

حمالة من تهوى بأترجة * ناعمة مقدودة غضه
لجلدها من ذهب أصفر * وجسمها الناعم من فضه

وقال آخر

ياحبذا أترجة * تحدث للنفس الطرب
كأنها كافورة * لها غشاء من ذهب

فى الليمون قول أبى الحسن رئيس الرؤساء

ياحسن ليمونة حبابها قمر * حلو المقبل ألمى بارد الشنب
كأنها أكرة من فضة خرطت * واستودعوها غلافا صيغ من ذهب

وفيه أيضا

وصاحب ناديته * والطير لم يغرد
انهض الى الراح ولا * ترضى بعيش نكد
واشرب سلافا قرقفا * من كف ساق اغيد
قد اكتست تلهبا * من خده المورد
ولا تدع مجتهدا * لذة يوم لغد
أما ترى الليمون فى * غصن من الزبرجد
كأكرة من فضة * مملوأة من عسجد

فى النارنج لعبد الله بن المعتز

نظرت الى نارنجة فى يمينه * كجمرة نار وهى باردة اللمس
فقربها من خده فتألفت * فشبهتها المريخ فى دارة الشمس

وقال آخر

ونارنجة بين الرياض نظرتها * على غصن رطب كقامة أغيد

اذا

اذا ميلتها الريح مالت كأكرة * بدت ذهبا فى صولجان زبرجد

وقال آخر

ونارنج يلوح على غصون * ومنه ماترى كالصولجان
أشبهها ثديا ناهدات * غلائلها صبغن بزعفران

وقال آخر

وأشجار نارنج كأن ثمارها * حقاق عقيق قد ملئن من الدر
تطالعها بين الغصون كأنها * قدود عذارى فى ملاحفها الخضر
أتت كل مشتاق بريا حبيبه * فهاجت له الاشجان من حيث لايدرى

فى التفاح لبعضهم

ولما بدا التفاح احمر مشرقا * دعوت بكأسى وهى ملأى من الشفق
وقلت لساقيها أدرها فعندنا * خدود الاغانى قد جمعن على طبق

وقال آخر فى تفاحة

وتفاحة من سندس صيغ نصفها * ومن جلنار نصفها وشقائق
كأن الهوى قد ضم من بعد فرقة * بها خد معشوق الى خد عاشق

ولبعضهم فيه

تفاحة كسيت لونين خلتهما * خد المحب ومحبوب قد التصقا
تعانقا فبدا واش فراعهما * فاحمر ذا خجلا واصفر ذا فرقا

وقال آخر

وتفاحة وردية ذهبية * تجلى عن المهموم ليل همومه
كأن سلاف الخمر روى أديمها * بخمر جنات باحمرار أديمه
تذكرنى شكل الحبيب وحسنه * وتوريد خديه وطيب نسيمه

وقال آخر

حمرة التفاح فى خضرته * أشبه الالوان من قوس قزح
فعلى التفاح فاشرب قهوة * واسقنيها بنشاط وفرح

وفيه أيضا

أهدى لنا التفاح من كفه * من لم يزل يجنيه من خده
وخط بالمسك على بعضها * قد عطف المولى على عبده

وقيل فى السفرجل

حاز السفرجل لذات الورى فغدا * على الفواكه بالتفضيل مشهورا
كالراح طعما وشم المسك رائحة * والتبر لونا وشكل البدر تدويرا

وقال آخر

سفرجلة صفراء تحكى بلونها * محبا شجاه للحبيب فراق

اذا شمها المشتاق شبه ريحها * بريح حبيب لذ منه عناق
وطيبة عند المذاق فطعمها * كريق حبيب طاب منه مذاق

وقال آخر

سفرجلة جمعت أربعا * فكان لها كل معنى عجيب
صفار النضار وطعم العقار * ولون المحب وريح الحبيب

وقيل فى الكمثرى

وكمثرى لذيذ الطعم حلو * شهى جاء من دوح الجنان
مناقير الطيور اذا اقتلنا * مغبرة بلون الزعفران

ابن برغش متغزلا

وكمثرى سبانى منه طعم * كطعم الشهد شيب بماء ورد
لذيذ خلقه لما اتانا * نهود السمر فى معنى وقد

ومما قيل فى المشمش

بدا مشمش الاشجار يذكو شهابه * على غض اغصان من الروض ميد
حكى وحكت أشجاره فى اخضراره * جلاجل تبر فى قباب زبرجد

ماقيل فى الاجاص

انظر الى شجر الاجاص قد حملت * أغصانه ثمرا ناهيك من ثمر
تراه فى أخضر الاوراق مستترا * كما اختبى الزنج فى خضر من الازر

ماقيل فى الخوخ

أهدى الى الصديق خوخا * منظره منظر أنيق
من كل مخصوصة بحسن * معناه فى مثلها دقيق
حمراء صفراء مستعير * بهجتها التبر والعقيق
كوجنة مسها خلوق * فزال عن بعضها الخلوق

ماقيل فى الفستق

تفكرت فى معنى الثمار فلم أجد * لها ثمرا يبدو بحسن مجرد
سوى الفستق الرطب الجنى فانه * زها بمعان زينت بتجرد
غلالة مرجان على جسم فضة * واحشاء ياقوت وقلب زبرجد

ماقيل فى البندق

ولقد شربت مع الحبيب مدامة * حمراء صافية بغير مزاج
فتفضل الظبى البهى ببندق * شبهته ببنادق من ساج
فكسرته فوجدت ثوبا احمرا * قد لف فيه بنادق من عاج

ومما قيل فى النبق

وسدرة كل يوم * من حسنها فى فنون
كأنما النبق فيها * وقد حلا فى العيون

جلاجل من نضار * قد علقت فى الغصون

وعما قيل فى اللوز

ومهدى البنا لوزة قد تضمنت * لمبصرها قلبين فيها تلاصقا
كأنهما حبان فازا بخلوة * على رقبة فى مجلس فتعانقا

فى العنب لبعضهم

هدية شرفتنا من أخ ثقة * نعم الهدية اذ وافتك من يده
نوعان من عنب جاآ على طبق * كأن طيبهما من طيب محتده
فابيض العين يحكى لون أبيضه * وأسود العين يحكى لون أسوده

فى قصب السكر

ورماح لغير طعن وضرب * بل لأكل ومص لب ورشف
كالات فى استوائها واستقامت * باعتدال وحسن قد والطف

وعما قيل فى البطيخ الاصفر

أتانا غلام فاق حسنا على الورى * ببطيخة صفراء فى لون عاشق
فشبهته بدر بايديه أهلة * من الشمس ما بين النجوم بيارق

وقال آخر

وبطيخة وافى بها فوق كفه * الينا غلام فاق كل غلام
نخيل لى شمس الاصيل أهلة * يقطعها بالبرق بدر تمام

وعما قيل فى البطيخ الاخضر

وظبى أتى فى الكف منه بهدية * وقد لاح فى خديه شبه شقيق
فمال الى بطيخة ثم شقها * وفرقها ما بين كل صديق
فشبهتها لما بدت فى أكفهم * وقد علت فيهم كؤس رحيق
صفائح بلور بدت فى زبرجد * مرصعة فيها فصوص عقيق

وقال آخر

وبطيخة خضراء فى كف أغيد * أتانا بها فارتاح ذو الهم وابتهج
وأقبل يفريها بمديته وقد * فرى طرفه الساجى القلوب مع المهج

وعما قيل فى القثاء

انظر اليها أنابيبا منضدة * من الزمرد خضرا ما لها ورق
اذا قلبت اسمها بانت ملاحتها * وصار فى عكسه انى بكم أثق

وعما قيل فى الباذنجان

وكأنما الابذنج سود حمائم * أوكاره خمل الربيع المبكر
نقرت مناقره الزمرد سمسما * فاستودعته حواصلا من عنبر

وعما قيل فى الانهار والبرك والنواعير

أما ترى البركة الغراء قد كسيت * نورا من الشمس فى حافاتها طلعا
والنهر من فوقه يلهيك منظره * شهب سماوية فارتج والتمعا
كأنه السيف مصقولا يقلبه * كف الكمى الى ضرب الكماة سعى
وقال آخر فى بركة .
يا من يرى البركة الحسناء رؤيتها * والآنسات اذا لاحت معانيها
فلو تمر بها بلقيس عن عرض * قالت هى الصرح تمثيلا وتشبيها
كأنما الفضة البيضاء سائلة * من السبائك تجرى فى مجاريها
اذا علتها الصبا ابدت لها حبكا * مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها * ورونق الغيث احيانا يباكيها
اذا النجوم تراءت فى جوانبها * ليلا حسبت سماء ركبت فيها
وقال آخر
وبركة للعيون تبدو * فى غاية الحسن والصفاء
كأنها اذ صفت وراقت * فى الارض جزء من السماء
وقال محمد بن سارة المغربى
النهر قد رقت غلالة صبغه * وعليه من صبغ الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كأنها * عكن الخصور تهزها الاعجاز
وقال آخر
يوم لقانا النيل مختصر * ولكل وقت مسرة قصر
فكأنما أمواجه عكن * وكأنما داراته سرر
وقال آخر فى نهر يسبح فيه الغلمان
خليج كالحسام له صقال * ولكن فيه للرائى مسره
رأيت به الملاح تجيد عوما * كأنهم نجوم فى المجره
وقال آخر فى النيل
النيل قال وقوله * اذ قال ملء مسامعى
فى غيظ من طلب العلا * عم البلاد منافعى
وعيونهم بعد الوفا * قلعتها بأصابعى
وقال آخر
كأن النيل ذو فهم ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتى عند حاجتهم اليه * ويمضى حين يستغنون عنه
وقال آخر فيه
وفت أصابع نيلنا * وطغت وطافت فى البلاد
وأتت بكل مسرة * ماذى أصابع ذى أياد

وقال

وقال آخر

سد الخليج بكسره جبر الورى * طرا فكل قد غدا مسرورا
والماء سلطان فكيف تواترت * عنه البشائر اذ غدا مكسورا

وقال آخر

ونهر خالف الاهواء حتى * غدت طوعا له فى كل أمر
اذا عصفت على الاغصان القت * اليه بها فيأخذها ويجرى

وقال آخر فى ناعورة

وكريمة سقت الرياض بدرها * فغدت تنوب عن الغمام الهامع
بلسان محزون ومدمع عاشق * ومسير مشتاق وانة جازع

وقال آخر

وناعورة قالت وقد حال لونها * وأضلعها كادت تعد من السقم
أدور على قلبى لانى فقدته * وأما دموعى فهى تجرى على جسمى

وفيها أيضا

وحنانة من غير شوق ولا وجد * يفيض لها دمع كمنتثر العقد
أحن اذا حنت وأبكى اذا بكت * فليس لنا من ذلك الفعل من بد
ولكنها تبكى بغير صبابة * وابكى بافراد الصبابة والوجد
وأدمعها من جدول مستعارة * ودمعى من عينى يفيض على خدى

وفيها أيضا قال الخطيرى

رب ناعورة كأن حبيبا * فارقته فقد غدت لى تحكى
أبدا هكذا تئن بشجو * وعلى الفها تدور وتبكى

ابن تميم

تأمل الى الدولاب والنهر اذ جرى * ودمعهما بين الرياض غدير
كأن نسيم الجو قد ضاع منهما * فأصبح ذا يجرى وذاك يدور

(فصل فى ذكر أرباب الصنائع والحرف والاسماء وما أشبه ذلك)

لابن عفيف فى قاضى مليح

ورب قاض لنا مليح * يعرب عن منطق لذيذ
اذا رنا لى بسهم لحظ * قلنا له دائم النفوذ

وقال فى فقيه مليح

وبمهجتى ظبيا غدا متفقها * وهو المهذب فى الرشاقة والحور
أمسى بسيط الشعر منه مطولا * لكن وجيز الخصر منه المختصر

وقال فى محدث مليح

علقته محدثا * شرد عن جفنى الوسن

حديثه ووجهه * كلاهما عندى حسن

وقال فى امام

جاء يسعى الى الصلاة بوجه * يخجل البدر فى ليالى السعود
فتمنيت أن وجهى أرض * حين يومى بوجهه للسجود

ابن الرومى واجاد

بى عرونى مليح * موتتى فيه حياة
عاذلاتى فى هواه * فاعلات فاعلات

فى مؤذن مليح

ومؤذن أضحى كريما وجهه * لكنه بالوصل أى شحيح
أبدا أموت بهجره لكننى * من بعد ذاك أعيش بالتسبيح

لابن عربى

وبنفسى مؤذن قد سبانى * لم يفدنى شكوى الغرام اليه
كيف أصغى لما يقول حبيب * واضع اصبعيه فى أذنيه

وقال آخر فى مريد

مرادقلبى مريد * مخبأ فى الزوايا
وليس ذا بعجيب * ففى الزوايا خبايا

وفى فقير مليح

بى فقير تغنى * بسنا وجه منير
لا تلمنى فى افتضاحى * فغرامى بالفقير

فى أمير شكار لابن دانيال

بى من أمير شكار * وجد يذيب الجوارح
لما حكى الظبى حسنا * حنت اليه الجوارح

فى مليح مغن

أضحى يخزلوجهه قمر الدجا * وغدا يلين لحسنه الجلمود
فاذا بدا فكأنما هو يوسف * واذا شدا فكأنه داود

فى مليح عواد

غنى على العود ظبى سهم ناظره * أمسى به قلبى المضنى على خطر
دنا الى وجست كفه وترا * فراحت الروح بين السهم والوتر

فى مليح كاتب

بروحى كاتبا كالبدر حسنا * بديعا ما رأينا منه أجمل
على ريحان عارضه المفدى * بوجنته غدا دمعى مسلسل

غيره

وراقنا ذا المفدى * فيه تزايد عشقى
فلو يجود بوصل * لكان مالك رقى

وفيه أيضا

يا حسن وراق أرى خده * قد راق فى التقبيل عندى ورق
تميل فى الدكان أعطافه * ما أحسن الاغصان بين الورق

للسيد الشريف صلاح الدين الاسيوطى فيه أيضا

فديتك أيها الوراق قلبى * لمطلك بالوصال يكاد يبلى
وقد طلب الوفاء وغير بدع * محب يسأل الوراق وصلا

فى مليح صيرفى

يا سائلا عن حالتى ما حال من * أمسى بعيد الدار فاقد الفه
بى صيرفى لا يرق لحالتى * قد مت من جور الزمان وصرفه

فى مليح بخانق

تسلطن فى الملاح بخانقى * ولا يرضى ببدر التم نائب
وقد صفت له الاتراك جندا * وأصبح راكبا تحت العصائب

فى مليح فراء

قلت لفراء فرى أدمعى * وزاد صدا وطال هجرا
قد فر نومى وفر صبرى * فقال لما عشقت فرا

سيدى أبو الفضل بن أبى الوفا فى مزين

حبى المزين وافى * بعد البعاد بنشطه
ومص دمل قلبى * بكأس راح وبطه

فى مليح قصاص

أشكو الى الله قصاصا يجرعنى * بالهجر والصد أنواعا من الغصص
ان تحسن القص عيناه فقلته * أيضا تقص علينا أحسن القصص

فى مليح صياد

ومولع بفخاخ * يمدها وشراك
قالت له العين ماذا * تصيد قال كراكى

فى مليح رامى بندق

وأهيف القد ذى دلال * طائر قلبى عليه واجب
كالشمس فى كفه هلال * يرمى الى البدر بالكواكب

وقال آخر فى راع

أفديه من راع كبدر الدجى * قوامه فاق الغصون الرشاق
ضيعنى بالجدى ناديته * ما القصد يا مولاى الا العناق

القيراطى فى مليح طحان

حسن طحان سبانى * بلحاظ وبقامه
خاف من واش فاضحى * يجعل الغمز علامه

القاضى بدر الدين البلقينى فى تراب

رب تراب مليح * أورث القلب عذابا
قلت لما أن بدالى * ليتنى كنت ترابا

وقال آخر فى مليح عوام

يا حسن عوام كغصن النقا * يبخل بالوصل لمن هاما
وتقنع العشاق منه بان * يريهم الارداف ان عاما

ابن نباتة فى مليح حبشى

بروحى مشروطا على الخد أسمرا * دنا وونى بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلا تزد * فقبلته ألفا على ذلك الشرط

وله أيضا

ومن عجب تدعى للطفك سنبلا * ونشرك كافور وذكرك عنبر
وسعدك اقبال وحسنك مرشد * وخلقك ريحان وافظك جوهر

وقال آخر فيمن به صفرة

قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ماذا الذى من عيب به نزلا
عيناه مطلوبة فى ثأر من قتلت * فلست تلقاه الا خائفا وجلا

للشيخ شهاب الدين بن حجر فى مليح اسمه زائد

وزائر قال قلبى * للطرف يا طرف شاهد
مدحته فتجنى * تيها على بزائد

وقال آخر فى مليح أرمد

شكا رمدا فقلت الآن كانت * لواحظه من الفتكات فينا
وقالوا سيف مقلته تصدى * فقلت نعم لقتل العاشقينا

لمجد الدين بن مكانس فيه

تورمت مقلة المحبوب من رمد * وبات يشكو لهيب القلب والألما
وبات يرمى محبيه بأسهمه * فياله من حبيب قد شكا ورما

لابن أبى حجلة فى أعور

ما شان من أهواه عين أصبحت * مقلوعة بمحاسن متزايده
لولا استخف العالمين بأسرهم * ما ظل ينظرهم بعين واحده

وقال آخر فى مليح راهب

رأيته يضرب الناقوس قلت له * من علم البدر ضربا بالنواقيس

وقالت للنفس أي الضرب يؤلمكي * ضرب النواقيس أم ضرب النوى قيسي

القيراطي في مليح اسمه بدر

سموه بدرا وذاك لما * أن فاق في حسنه وتما

وأجمع الناس اذ رأوه * بأنه اسم على مسمى

آخر في مليح اسمه حمزة

متى يبدو لحمزة ما بقلبي * ويرثي لي وينظر في بلائي

وأشفي بالمبرد من لماه * وأجمع بين حمزة والكسائي

وقال آخر

كلفت به ولم أبلغ مرادي * غزال قد تحكم في قيادي

فتصحيف اسمه في وجنتيه * وفي معشوقه فيه وفي فؤادي

في مليح سروجي

فتنت به سروجيا بديعا * به قد ذبت وجدا من فجيجي

اذا جذب الغرام له عناني * يلذ لي الركوب على السروج

وقال آخر في مليح محموم

قالوا حبيبك محموم فقلت لهم * أنا الذي كنت في حمائه السببا

عانقته ولهيب النار في كبدي * فأثرت فيه تلك النار فالتهبا

لابي نواس في مليح ألثغ

ومهفهف دنف الصبا ذي لثغة * تصبو اليه ذوو العقول الرجح

قبلت فاه فقال لي متخوفا * من كاشح متـدللا بالشا اتقى

وقال في مليح خباز

ان خبازنا المليح المفدى * في حشا الصب من جفاه كلوم

خلت دكانه البديع سماء * وهو بدر والخبز فيه نجوم

وقال في مليح حائك

وحائك يا صاح أبصرته * كالبدر في كفيه ماسوره

فلم أرح الا وروحي لما * عاينت في كفيه ماسوره

وقال في مليح لاعب شطرنج

لعبت بالشطرنج مع أهيف * رشاقة الاغصان من قده

أحل عقد البند من خصره * وألثم الشامات من خده

وفيه أيضا قال

تلاعبت بالشطرنج مع من أحبه * فنادمني حتى سكرت من الوجد

وانشدني مالي أراك مفكرا * تدور على الشامات وهي على الخد

في مليح خياط

خياطنا الفاتن المفدى * بديع حسن فريد شكل
فصل للجسم ثوب سقم * لما جفانى وكف وصلى

وقال غيره

فتنت بخياط بديع ملاحة * له طلعة أبهى ضياء من الشمس
تراه على الكرسى للثوب خائطا * فتقسم حقا انه آية الكرسى

الصفى الحلى فى مليح قلع ضرسه

لحا الله الطبيب لقد تعدى * وجاء لقلع ضرسك بالمحال
أعاق الظبى فى كلتا يديه * وسلط كلبتين على غزال

وقال فى مليح سلم عليه

تنبافيك قلبى فاسترابت * به قوم وعمهم الضلال
وصدهم الهوى أن يؤمنوا بى * وقالوا ان معجزه محال
ومذ سلمت سلمت البرايا * الى وقيل كلمه الغزال

وقال فى مليح يرمى بالسهام

وظبى بشعر فوق طرف مفوق * بقوس رمى فى النقع وحشا بأسهم
كبدر بأفق فوق برق بكفه * هلال رمى فى الليل جنا بانجم

وقال فى مليح يضرب بالعود

فتن الانام بعوده وبشدوه * شاد تجمعت المحاسن فيه
حتى كأن لسانه بيمينه * وكأن ما بيمينه فى فيه

وقال أيضا فيه

وأغن قد أبدى لنا من عوده * نغما أصح به القلوب وأمرضا
بيد اذا سخطت على أوتاره * نال الرفاق بسخطها عين الرضا

وقال فى مليح مشبب

يا نافخ الصور بل يا باعث الصور * من رقدة السكر لا من رقدة الحفر
قرنت حسنك بالاحسان فيه لنا * فكان فيك مراد السمع والبصر
ضمنت للصحب اقبال السرور كما * ضمنت نايك ناى الهم والفكر
صوت بسيط به أرواحنا انبسطت * اذ جئت فى اللفظ والمعنى على قدر

وقال فى مليح ساق

وساق من بنى الاتراك طفل * أتيه به على جمع الرفاق
أملكه قيادى وهو رقى * وأفديه بعينى وهو ساقى

وقال أيضا فى رسول مليح أتاه من عند من يحبه

من كنت أنت رسوله * كان الجواب قبوله
يا طلعة الشمس الذى * جاء الصباح دليله

لم يبد وجهك قبلة * الا ارتقبت وصوله
فلذاك اذ واجهتنى * بل الفؤاد غليله

في مليح قارئ

نفسي الفداء لشادن شاهدته * يوم الزيارة قارئا فى المصحف
فتن الانام ببهجة وبلهجة * تسبى وتضنى كل صب مدنف
فتلا مليا جل سورة يوسف * وجلا محيا مثل صورة يوسف

وقال آخر فى مليح مكتمل العذار

وكامل العارض قبلته * فصدنى وازور من قبلتى
وقال كم أنهاك عن مثل ذا * وأنت ما تفكر فى لحيتى

وقال آخر فى مليح حجام

كلفت بحجام تحكم طرفه * فغدا على سفك الدماء يواطى
أضحى كثير الاشتطاط ولم تكن * منه اللحاظ كاملة المشراط

(فصـــــل فى الالغاز)

فى غزال

اسم من قد هويته * ظاهر فى صروفه
فاذا زال ربعه * زال باقى حروفه

فى كوز فقاع

ومحبوس بلا ذنب جناه * له فى السجن ثوب من رصاص
اذا أطلقته وثب ارتفاعا * يقبل فاك من فرح الخلاص

فى زرموزة

مطية فارسها راجل * تحمله وهو لها حامل
واقفة بالباب مزبولة * لا تشرب الدهر ولا تاكل

وقال فى طاحون

ومسرعة فى سيرها طول دهرها * تراها مدى الايام تمشى ولا تتعب
وفى سيرها ما تقطع الاكل ساعة * وتأكل مع طول المدى وهى لا تشرب
وما قطعت فى السير خمسة أذرع * ولا ثلث ثمن من ذراع ولا أقرب

فى دواة

ومرضعة أولادها بعد ذبحهم * لها لبن ما لذ قط لشارب
وفى بطنها السكين والثدى رأسها * وأولادها مدخورة للنوائب

فى دواة أيضا

وما أم يجامعها بنوها * وليس عليهم تجب الحدود
كأنهم اذا ولجوا حشاها * أفاعى فى أماكنها رقود

في قلم

وأهيف مذبوح على صدر غيره * يترجم عن ذي منطق وهو أبكم
تراه قصيرا كلما طال عمره * ويضحى بليغا وهو لا يتكلم

وفيه أيضا

بصير بما يوحى اليه وماله * لسان ولا قلب ولا هو سامع
كأن ضمير القلب باح بسره * اليه اذا ما حركته الاصابع

وفيه أيضا

وأصفر عار أنحل السقم جسمه * يشتت شمل الخطب وهو جموع
حمى الجيش مغطوما كما كان تحتمى * به الاسد في الغابات وهو رضيع

وفيه أيضا

وذي نحول راكع ساجد * أعمى بصير دمعه جاري
ملازم الخمس لاوقاتها * مجتهد في طاعة الباري

في مرملة

معشوقة لذوات العز قد صنعت * حزينة ما تراها قط تبتسم
كأنها من صروف الدهر خائفة * تبكي دما على ما سطر القلم

في كتاب

وذي أوجه لكنه غير بائح * بسر وذو الوجهين للسر يظهر
تناجيك بالاسرار أسرار وجهه * فتسمعها بالعين ما دمت تبصر

في سلطان حسن لابن أبي حجلة

ما اسم محبب للقلوب لانه * حسن الحروف يجود بالاحسان
تصحيفه أمسى حبيبا كلما * صحفت أحرفه بحسن بيان
لو جاد لي يوما برؤية وجهه * نلت المراد وعشت بالسلطان

في شبابة

وما صفراء شاحبة ولكن * تزينها النضارة والشباب
* مكتبة وليس لها بنان * منقبة وليس لها نقاب *
تصيح لها اذا قبلت فاها * أحاديث تلذ وتستطاب
ويعلوا المدح والتشبيب فيها * وليست لاسعاد ولا الرباب

وفيها أيضا

ومقروحة الاجفان مثلي شجية * تناءت عن الاهلين أسقمها البعد
* تزوجها عشر وذلك محرم * ولا حرج كلا ولا وجب الحد
اذا ما وطئها القوم تصرخ صرخة * يلين اليها القلب لو أنه صلد

وفيها أيضا

منقبة مهما خلت مع محبها * يزودها اللثم وينظرها شزرا

وتصحيفها في كف حاملها فقل * اذا شئت في اليمنى وان شئت في اليسرى

في دملج

الى النساء يلتجى * وعندهن يوجد
الجسم منه فضة * والقلب منه جلمد

في خلخال

أيا عجبا من صابر صامت ولم * يفه بكلام قط في ساعة الضرب
أقام ولم يبرح مكانا ثوى به * على أنه أضحى يدور على الكعب

في شعر اللعبة

وذى عدد كالرمل سام محله * جميل على كل الملاح له حق
يحاذر من موسى ويرهب باسمه * وفي قلب هرون له الهلك والمحق

في التين

أى شئ لذ طعما * ناعم اللمس ولين
كيف لا يبدو مفتوحا * وهو في التصحيف بين

في الموز

ما اسم لشئ حسن شكله * تلقاه عند الناس موزونا
تراه معدودا فان زدته * واوا ونونا صار موزونا

في حمزة

من لي بمعتدل القوام مهفهف * أزرى بغصن البان لينة قده
في فيه تصحيف اسمه وبخده * وبقلب عاشقه لشدة صده

وفيه أيضا

اسم الذى أنا اهواه وأعشقه * وطول دهرى أخشى من تجنيه
تصحيفه في فؤادى دائما أبدا * يبدو وفي خده أيضا وفي فيه

في ساقية

وجارية لولا الحوافر ماجرت * أشاهدها تجرى وليس لها رجل
وترضع أطفالا ولا هي امهم * وليس لها ثدى وليس لها بعل

وفيها ايضا

وجارية تبكى اذا الليل جنها * بلا ألم فيها ولا ضرب ضارب *
عليها رجال شنقوا بعد حرقهم * وما كان شنق القوم الا بواجب

في زر وعروة

وما أخت يجامعها أخوها * وليس عليهما فيه جناح
ترى بجوازه الحكام طرا * وفي أعناقهم ذاك النكاح

في راوية

وسوداء تشرب من رأسها * وان شئت تسقيك من نرديد
ولون لها مثل لون أختها * وثنتاهما واحد فى العدد
وتحبل فى الوقت هى وأختها * وفى ساعة يضمان الولد

فى شطرنج

ياذا النهى ما اسم له حالة * يحار فيها الذهن والفكر
له حروف خمسة انما * ثلاثة منها له شطر

فى فيل

أيما اسم تركيبه من ثلاث * وهو ذو أربع تعالى الاله
حيوان والقلب منه نبات * لم يكن عند جوعه يرعاه
فيك تصحيفه ولكن اذا ما * رمت عكسا يكون لى ثلثاه

فى بجع

ما طائر فى قلبه * يلوح للناس عجب
منقاره فى بطنه * والعين منه فى الذنب

فى نار

وما اسم ثلاثى به النفع والضرر * له طلعة تغنى عن الشمس والقمر
وليس له وجه وليس له قفا * وليس له سمع وليس له بصر
يمد لسانا يختشى الرمح باسه * ويهزأ يوم الضرب بالصارم الذكر
يموت اذا ما قت تسقيه عامدا * ويا كل ما يلقى من النبت والشجر
فيا قارئ الابيات دونك شرحها * والا فنم عنها ونبه لها عمر

وفيها أيضا

وآكلة بغير فم وبطن * لها الاشجار والحيوان قوت
اذا أطعمتها انتعشت وعاشت * وان أسقيتها ماء تموت

فى يد الهاون

قل لى فما شئ يرى ناعما * منتصب القامة طول الزمان
أطول من شبر له حزة * مفيشل الرأس قوى الجنان
يسمع فى القعر له رنة * ويظهر الصفق باعلى مكان

وفيه أيضا

خبرونى أى شئ * أوسع ما فيه فمه
وابنه فى بطنه * يرفسه ويلكمه
وقد علا صياحه * ولم يجد من يرحمه

فى خشخاش

وما قبة مبنية فوق شاهق * لها علم يحكى الملاحة بالطرف

وأولادها فى بطنها فى جماعة * يكونون ألفا أو يزيدون عن ألف
ويأخذها الطفل الصغير بجهله * ويقلبها عسفا على راحة الكف

فى كوز زير

وذى أذن بلا سمع * له قلب بلا لب
اذا استولى على صب * فقل ماشئت فى الضب

فى اسم على

اسم الذى أعشقه * أوله فى ناظره
ان فاتنى أوله * فان لى فى آخره

فى موسى للصفدى

وماشئ له حد وخد * يكلم من يلامسه بحقه
وكل حلقه من تحت راس * وهذا الرأس صارت تحت حلقه

فى حلب لابن الفارض

مابلدة بالشام قلب اسمها * تصحيفه أخرى بارض العجم
وثلثه ان زال من قلبه * وجدته طيرا شجى النغم

وقال فى سمرقند

ومااسم سداسى اذاما محته * ترى فيه أجزاء تذم وتشكر
له ثلث يأتى به الموت فجاءة * وثلث مع الكتاب يطوى وينشر
وثلث رعاك الله ياصاحبى له * على مدد الايام نشر معطر
وفى نصفه لماتحرك بعضه * حديث شهى فى الليالى يذكر
وفى نصفه الثانى اذاما أعدته * الى النار للتحليل والعقد سكر
فقسر لنا اذا اللغزان كنت ذاحجى * فليس على ذى العقل لغز معسر

وقال فى كمون

ياأيها العطار أعرب لنا * عن اسم شئ قل فى سومك
تراه بالعين فى يقظة * كما ترى بالقلب فى نومك

وقال فى قالب الطوب

وما آكل فى قعدة ألف لقمة * ولقمته أضعاف أضعاف وزنه
اذا نزل المأكول جنبيه لم يقم * سوى لحظة أو لحظتين ببطنه

فى العين

وباسطة بلاعصب جناحا * وتسبق مايطير ولاتطير
اذا ألقمتها الحجر اطمأنت * وتجزع أن يباشرها الحرير

ويكفى من ذلك ماأشرت اليه ومانبهت من هذا الفن عليه وقد مضى القول من الفنون السبعة على فن الشعر القريض ومافيه من الفنون المتقدم ذكرها وانذكر ان شاء الله تعالى

بقية الفنون السبعة على وجه الاختصار والفنون السبعة المذكورة عند الناس هى الشعر القريض والموشح والدوبيت والزجل والمواليات والكان وكان والقوما ومنهم من جعل الحماق من السبعة وفى ذلك اختلاف وعند جميع المحققين أن هذه الفنون السبعة منها ثلاثة معربة أبدا لا يغتفر اللحن فيها وهى الشعر القريض والموشح والدوبيت ومنها ثلاثة ملحونة أبدا وهى الزجل والكان وكان والقوما ومنها واحد وهو البرزخ بينهما يحتمل الاعراب واللحن وهو المواليا وقيل لا يكون البيت منه بعض ألفاظه معربة وبعضها ملحونة فان هذا من أقبح العيوب التى لا تجوز وانما يكون المعرب منه نوعا بمفرده ويكون الملحون فيه ملحونا لا يدخله الاعراب وقد أوضح قاعدة الجميع وأمثلتها صفى الدين أبو المحاسن الحلى فى ديوانه وسماه بالعاطل الحالى * والمرخص الغالى ولو بسطت المقال لاتسع المجال وكثر القال ولكن الاختصار يذهب الاوجال والحمد لله رب العالمين على كل حال

فصـــــل فى بيان الفن الثانى وهو الموشح

لابن المبارك

قد أنحل الجسم أسمر أكحل * وأوحل القلب فيه مذ حل

دور

أميل له فلا يميل

يحول وعنه لا أحول

أقول اذا زادنى النحول

أما حل عقد الصدر دينحل * ويرحل عن نجم المزحل

دور

كم أبعد وكم أبيت مكمد

ويعمد بهجره لا أقصد

وأجهد لارتصاد من قد

تمحل والحاسدون رحل * تمحل والوعد منه ماحل

دور

متوج بالحسن هذا الابلج

مدبج عذاره البنفسج

مفلج وطرفه ذا الادعج

مكحل وثغره منحل * مخلخل بعنبر مجبل

دور

برغمى من يستحل ظلمى

ويرمى بهجره لسلمى

وجسمى من الغرام سقمى

منحل وقد غدا مرتحل * من حل سفك دمى وما حل

دور

قلانى واشتط ذا القلانى

غزانى بطرفه اليمانى

ترانى أنشد لمن يرانى

قد أنحل الجسم أسمر أكحل * وأوحل القلب فيه مذ حل

لابن سناء الملك

كالى يا سحب تيجان الربا بالحلى * واجعلى سوارك المنعطف الجدول

دور

يا سما فيك وفى الارض نجوم وما

كلما أخفيت نجما أظهرت أنجما

وهى ما تمطل الا بالطلى والدما

فاهطلى على قطوف الكرم كى تمتلى * وانقلى للدن طعم الشهد والقرنفل

دور

تتقد كالكوكب الدرى للمرتصد

يعتقد فيها المجوسى بما يعتقد

فاتئد يا ساقى الراح بها واعتمد

واملى لى حتى ترانى عنك فى معزل * قل لى فالراح كالعشق ان يزد يقتل

دور

لا ألم فى شرب صهبا وفى عشق ريم

فالنعيم عيش جديد ومدام قديم

لا اهيم الا بهذين فقم يا نديم

واجل لى من أكوس صيرت من فوفل * ألذ لى من نكهة العنبر والمندل

دور

خذهنى واعطنى كاسى مثل كاسك هنى

واسقنى على رضاب القطن الالسن

والهنى ببعض ماصيغ من الالسن

لو تلى مدح سناء مع رشا أكحل * لذلى على سنا الصهباء والسلسل

دور

أزهرت ليلتنا بالوصل مذ أسفرت

أصدرت بزورة المحبوب اذ بشرت

أخرت فقلت للظلماء مذ قصرت

طولى ياليلة الوصل ولا تنجلى * واسبلى بسترك فالمحبوب فى منزلى .

دور

من ظلم فى دولة الحسن اذا ما حكم
فالالم يجول فى باطنه والندم
والقلم يكتب فيه عن لسان الامم .

من ولى فى دولة الحسن ولم يعدل * يعزى لالحاظ الرشا الاكحل

وله ايضا

ترى هل يشتفى منك الغليل * ويشفى من صبابته العليل

دور

لقد أسرفت فى هجرى وصدى
بلا سبب سوى كلفى ووجدى
وماذا فى سلوى عنك يجدى

خضاب الوجد ليس له نصول * وأسياف الهوى فينا تصول

دور

لئن شحت عينى بالسلام
وطيفك قد جفا الجفا المنام
فقد جادت بأربعة سجام

جفون بالبكا كادت تحول * على خد أسف به النحول

دور

لقد أرسلت فى طى النسيم
حديث هوى عن الوجد القديم
فعادت وهى عاطرة الشميم

تخبر أن ظعنهم نزول * بدار لايلم بها نزيل

دور

تلقته الموالى والموالى
بألحاظ وزرق من نصال
وأعطاف وسمر من عوالى

فكم بطل هناك وكم قتيل * بسيف من لواحظه قتيل

وله أيضا

شمس الحميا أم القمر * أم بارق الثغر بابتسم
أم إبهاحفه الخفر * بطرز خديك مستطر

سلسلة

قم تباها بما نباها ولا تلاها

قفلة

فكل أحبابنا احضروا * والعود يشجيك والوتر

الدور

أفديك بالسمع والبصر * ياأهيف وصله وطرى

بدر بدا فى دجى الشعر * قد لذ فى حبه سهرى

سلسلة

اذا تجلى وقد تحلى عليك يجلى

قفلة

تحير فى وصفه الفكر * والعقل والسمع والنظر

الدور

فهاك حدث عن الطرب * وعن سلاف ابنة العنب

اذا سقاها مع الضرب * بدر بأفق الجمال ربى

سلسلة

فى ظل بان على المثانى من غير ثانى

قفلة

الا الندامى اذا سكروا * والروض والماء والشجر

وقال رحمه الله تعالى

وانسيم السحر هل لك خبر * عن عريب هم بالمنحنى

فارقونى ولم أقض الوطر * من لقاهم ولا نلت المنى

قلت ياقلب صبرا ما صبر * والنبى ما الهوى الا عنا

ما كتمت الهوى الاظهر * من شهود المدامع والضنى

دور

ايش تمنع وصالك ياحبيب * عن محبك ولا يعشق سواك

راقب الله وارجع من قريب * قبل يبلى جسمه فى هواك

است ألقى لدائى من طبيب * غير رشفى حبيبى من لماك

لو رأى حالى العاذل عذر * حينما ينظر جمالك والسنا

دور

ياقمر فوق غصن من نقا * أنحلتنا مطالك والصدود

يارعى الله لو بلات اللقا * ليتها ياخل يوما لى تعود

ليلة السعد ما فيها اشقا * كيف تشقى وطالعها سعود

صفوها الايمازجه كدر * بالمسرات وأوقات الهنا

غيره

حلت مذ سارت الحمول * وجدا مضى العمر وهو باقى

دور

ساروا وسار الفؤاد لكن

جسمى مقيم على المساكن

وعينى الحب صار ظاعن

مالى الى وصله وصول * لو سرت بالبرق والبراق

دور

وغادة كالقضيب قدا

والورد والياسمين خدا

كأنها البدر اذ تبدا

وشعرها أسود طويل * كأنه ليلة الفراق

دور

هونا أتتنا تميل ميلا

سحابة كالسحاب ذيلا

فقلت شمس تزور ليلا

وما درى كاشح عذول * فذا لعمرى من أعجب اتفاق

دور

وسدتها ساعدى لسعدى

وبت أرعى رياض ورد

وخمر ريق كذوب شهد

لو ذاقها مدنف عليل * لعاش والروح فى التراقى

دور

لما رأتنى أذوب سقما

ومن ورود الرضاب أظما

قالت كلمت الخدود لثما

ما يشتفى منك ذا الغليل * بغير نومى وشيل ساقى

فصـــــــل فى الفن الثالث وهو الدوبيت

لسيدى شرف الدين بن الفارض رحمه الله

أهوى قمرا له المعانى رق * من صبح جبينه أضاء الشرق

تدرى بالله ما يقول البرق * ما بين ثناياه وبينى فرق

وقال ايضا

أهوى رشا كل الاسى لى بعثا * مذعاينه تصبرى ما لبثا
ناديت وقد فكرت فى خلقته * سبحانك ما خلقت هذا عبثا

وقال ايضا

عرج بطويلع فلى ثم هوى * واذكر خبر الغرام واسنده الى
واقصص قصصى عليهم وابك على * قل مات ولم يحظ من الوصل بشى

وقال ايضا

روحى لك يازائرا فى الليل فدا * يامؤنس وحدتى اذا الليل هدا
ان كان فراقنا مع الصبح بدا * لا أسفر بعد ذاك صبح أبدا

وقال آخر

ياشمس ضحى جبينه وضاح * ساعات وصالك كلها أفراح
عشاقك لو فعلت ماشئت بهم * ماتوا كمدا وبالهوى ماباحوا

وقال آخر

أهواه مهفهفا ثقيل الردف * كالبدر يجل حسنه عن وصف
ما أحسن واو صدغه حين بدت * يارب عسى تكون واو العطف

وقال التلعفرى

قلبى ذهبت لبعدكم راحته * ما الصبر على بعادكم عادته
بنتم فرنى لحاله شامته * لا كان فراقكم ولا ساعته

وقال المنشد

احسانك طول الدهر لا أنساه * لا أذكر بعد خالقى الاهو
ان أبعدك الزمان عنى حسدا * مولاى خليفتى عليك الله

وقال آخر

ان جئت ربا الحمى ولاحت نجد * فاذكر ولهى وما جناه البعد
قد كنت أقاسى الصد حتى رحلوا * ياليتهم عادوا وعاد الصد

فصل فى الفن الرابع وهو الزجل

زجل للغبارى

قل لغزلان وادى مصر والشام يقصروا اذا النفار
لهم أجعل حشاشتى مرعى وفؤادى قفار

دور

مصر والشام فيها ملاح أقمار بالمحاسن تسود
ذا أبيض وذا أحمر وذا مليح أسمر لو عيون نجل سود
وذا غزال صار يفوق على الغزلان ويصيد الاسود
وذا غصن بان أهيف قوام قدو قد الاغصان جهار

وذا بدر الكمال قد ظهر فى الليل   وذا شمس النهار

دور

تدر بالله ايش قالت مليح الشام   بعد ذاك الصدود
قد سمينا بصحة الابدان   واعتدال القدود
وتخضب تفاحنا الاحمر   فوق بياض الخدود
وأنتم يا عشاق اكم قلنا   والحسود راح بنار
أنتم التفاح وما نقصد   منكم الا الخيار

دور

وملاح مصر قالت احنا أصحاب   الوجوه الملاح
والحلاوه وطيبة الاخلاق   فى الخلائق مباح
احنا أقمار واحنا بدور الليل   وشموس الصباح
وفى الالفاظ والظرف والمعنى   ليس لنا احتصار
وورثنا الحسن من يوسف   واكتسبنا الفخار

دور

حسن حبى الفرارجى فرحه   بدر فى السعد لاح
فرخ ناجب خرج من القشره   فاق ملاح الملاح
كلما أعمل على رضاه يفسد   بجفاه الصلاح
ومن البيضه قد خرج نافر   رد جفنى بنار
وجفانى وخد بياض جسمى   خلطو بالصفار

دور

وقع الطل خط بالابيض   فى اخضرار الطروس
قم يا ساقى على بساط زهرى   تحت ظل الغروس
هاتها شمس راح شمول قرقف   بكر عذرا عروس
عروس لها صفو النسيم ولطف الما   وابتهاج الثمار
قد جلوها فى كاس زجاج أبيض   فاكتسى باحمرار

دور

خمر فيه سر لو جعل اشياف   رد الاعمى بصير
اقطع القطف أسود يحاكى الليل   شفق احمر يصير
يا ترى ذا السر فى كرمه   أو يكون فى العصير
وترى النور داعليه يلمع   ذا الثمن ايش استنار
وكذا الكاس يحاكى ياسمير   من كساه جلنار

دور

فهو عطار عندو شراب هندى وبرانى جفاه
كل من مص من لسانو ريقو يلتقى فيه شفاه
ورد خدو وحبتو سودا شبه خال فى صفاه
جبل آس عارضو وأسر قلبى والكبار والصغار
فى المحبه غاروا على حسنو وكل من حب غار

دور

دوّرونى الملاح على كعبى ونصوا نصوص
بلا دعوى النف لف اليسير فى هوا هم خصوص
وعلما صار نقشهم قاعد مثل نقش الفصوص
والبساط انطوى وحين مارأوا خافيله همه ولو اضطبار
قرونى فى عشق هذا القمر والمحبه قمار

دور

لحبيبى ثغر من جوهر والشفيفات عقيق
وعوارض ماضرهم عارض غير نبات الشقيق
وخدود ورد من غير غش ووصفنا عن حقيق
يحرس الورد خال عنبر تحت اهداب غزار
فى صفا وجهو أنزه طرفى عند خلع العذار

دور

فى رياض صفوف من الازهار قابلتها صفوف
كيف لا ترقص والنسيم بها موصول وورقها دفوف
وأعجب من النهر اذ صفق لو من الموج كفوف
والغيوم نقطت وحين جا النسيم طار أ على مطار
باختلاف الالحان سحر فى الروض صاح على عود وطار

دور

أشرف الخلق بين الاسلام والهدى والضلال
والشرايع والحق والباطل والحرام والحلال
نبى من بين أصابعه تحقيق نبع الماء الزلال
ولو أن النبات جميعه أقلام والمداد البحار
والخلايق تكتب مديحو تاه كل كاتب وحار

دور

خاف استاد فى الفن ما ينطاق ذاق عداه المنون
ما يعيبو فى الفن غير ناقص عقل زايد جنون

شيخ مصدر لبيب قيم في جميع الفنون
بانضا ومع الصغار مرفوع فوق روس الكبار
واهل الفنون تجرى وما تلحق للغبارى غبار

غيره لناصر الغيطلي

كنز روضى طالبو يسعد ياخليع قم في دجى الاسحار
تلتقى درّ الندى يرهج فوق فصوص غرائب النوار

دور

* كنز روضى نزهة الطالب جوهرو بين الندى يرهج
* وبين الما بيتكسر ياخليع هيا تعا اتفرج
* بين عنابر تلتقى الخليع كل حد مع الفو يتدرج
وامش في عرض الرياض وارتع بين اغصان وماوا طيار
فوق بساط زهر ذو قضبان كل وردة احكت انا دينار

دور

* وترى الياسمين بحال فضه ضربت لاهل النزه صلبان
* والشجار يرلابسين اسود وقلانس كنهم رهبان
* وكذا الكتان وهو أصفر بعمائم زرق للناس بان
وانجلت بين القسوس في الحان وعلينا دارها الخمار
والقطيع الراهبي يحكى لشماس لابس الزنار

دور

الفراق نار والوصال جنه والخلائق بعضهم يعشق
داحبيب قلبو عليه رانى وداحبو بو عليه يشفق
ولهيب الهجر يتوقد والوصال من الملاح يشتق
والمليح عندى وانا مطمن وسط روضا زهرها معطار
في نعيم مع حور ومع ولدان والعذول مسكين صبح في نار

دور

وعمل في الروض سماع باكر بين الاغصان والزهور انقام
والنسيم شبب والغدير صفق والخليع من كثر وجدو هام
والنخيل بأكمامها ترقص واقبل الريحان بحال اعجام
والعصافير شيخهم زيق لوطريق بين الازاهر طار
والبلبل بالغنا يشجى فكأنو ناى أو مزمار

دور

ناصر الغيطلي يا اخلاّ يا صحبت انسان انكر الصحبة وعادانى

ويغضنى

وبغضبي حين بقيت مسمى والاله بالفضل أسمانى
فى بلاد قبلى وارض الشام بشكرونى سائر اقرانى
والشجيع الشاطر المذكور فى جميع الارض لو تذكار
والبلاط لو قبع لو تعلق مايحصل شئ مع الشطار

للغبارى

جارحبيبى فقلت ذا الحجاج جايجور أو يزيد
لو عدل عشت بوسرور و يكون الرشيد

دور

أقلع القلب فى هوى العشاق والدموع فى انحدار
وبحور الهوى اذا هاجت ليس لها من قرار
كنت أحسب قلبى معو يبس غرتوا ذا البحار
صحت لما وحلت باالمحبوب بحر عشقك يزيد
خفت فيه الغرق فقال افرح من غرق مات شهيد

دور

انا يوم فى الغبوق باتفرج على شط الغدير
اذ رأيت عالشط واحد واقف شب صياد صغير
نظرت مقلتى الى منظر ما الحسن و نظير
قلت ياعين ان غزلك الصياد بالجمال المصيد
يوقعك فى نخاخ شبابك عشقو وكراكى يصيد

دور

من محبو جديد حبيب قلبى يوم صدفتو صدف
قلت لين يا قاسى لمن دمعو سال وحالو وقف
دار وقال لى ما الاسم بالانجيل قلت اسمى خلف
قال علينا يكذب ومن يسمع دا الكلام يستفيد
فى الحقيقه من لا يكون داود ما يلين لو الحديد

دور

لك عوارض فى الخد مرقومه ليس لها من مثال
وجفالك صار حماق وباب وصالك كان وكان ياغزال
وأنت دوبيت موشح القاما ياعزيز الدلال
ولك الفاظ صارت مواليا بالزجل والنشيد
وبشعرك متوج القاما وأنت بيت القصيد

دور

* عن محرم شرابنا صمنا ونفطر بالثمار
* حين وجدنا سفرجل البستان يذهب الاصفرار
* وغنا الطير به الجماد يطرب وكذا الجلنار
* فى ربيع حين رأى الثمر قاعد فيه تعاليق عقيد
حسب الروض النضر من شعبان صار بقيد فيه وقيد

دور

من لهيب مدمعى جرى الطوفان للهيب ماطفى
وانا هو الغبارى فى العشاق ماجرى لى كفى
حين عليا بالصد والهجران والابعاد والجفا
* جار حبيبى فقلت ذا الحجاج جايجور أو يزيد
* لو عدل عشت بو مسرور ويكون الرشيد

غيره

حين سكنت القلب ياعيسى امسى من بعدك الحزين فرحان
وتقدس بك ولكنو ماجرت فيه يا ابن عين سلوان

دور

عارضو لما عشق خدو غرت من وجدى بقيت حاير
جيت الى طرفو وناديت لو احرسو وكون عليه ناظر
بعد حين نظرت فى خدو النقى العارض وهو داير
وعليه قد دب بالسرقه جيت لطرفو قلت يا كسلان
هكذا فى عادة الحراس قال لى اعذرنى انا نعسان

دور

* بدر شعبان منيتى لما فى بروج السعد لاح نجمو
* قلت لو أقضى بفيض دمعى اطلقو واجراه على رسمو
* قلت لودام الله اطلاقك فالحزين قلبو المشوم قسمو
ايش قد اذنب حين قطرتو داع غلط قول بالبهتان
قال لى صوم عن الوصال ناديت ليش أصوم يابدر فى شعبان

دور

حين تدبج احمرار خدو باخضرار العارض اسبانى
ضحك فابيض وانبسم واسوداد شعرى وأبكانى
وحين أضحيت باصفرار لونى أشعث اغبر فى هواه عانى
قال لى لونك قد صبح حايل وقد ابصر مدمعى طوفان
ذقت تبريح الغرام ناديت فى هوالك ذقت الهوان الوان

دور

دور

قلت لو حين عني تخلف لله كن لي يا رشيد مهدي
قد تلون دمعي من بعدك وتجري اليوم على خدي
دار إلى انسان مقلتي قال لو أنت ما عندك نظر بعدي
ما ترى ما قد جرى منك على الخدود قال يا فتان
جرى المانحت من بعدك راقب الله فينا يا انسان

دور

ذا الغزال النافر الانسي للغزاله قد اعار النور
كسر قلبي كسير جفنو فاعجبوا للكاسر المكسور
وبخمر الدن قد عربد وادعى اني انا المخمور
وابتسم لي عن نقا ثغرو وخطر والبشر فينا بان
صحت يا قلبي صفا وردك أنت ما بين النقا والبان

للصفي الحلي

أنت يا قبلة الكرام زينة المال والبنين
الله يعطيك فوق ذا المقام ويعيدك على السنين

دور

أنت شاما بين الانام الله يحرس شمائلك
ويزيدك بالدوام كي نعيش في فواضلك
ما ينطوي ذكر الكرام لما تنشر فضائلك
ونهنيك لكل عام والخلائق تقول آمين
قد بقينا بك في امان الله يحييك طول السنين

دور

ما رأينا تحت ذا الفلك من ندى كفك أعم
كل من جا يسألك ليس تقول له سوى نعم
أملك أنت أو ملك ضاعف الله لك النعم
أنت في الجود كالغمام وسماك فوق ماردين
در غيثك في انسجام عم كل السائلين

دور

لا عدمنا كل صوم ذا السحور فيك والهنا
كل ليلة وكل يوم ينشر الذكر والثنا
الله يحييك من خير قوم بالغ القصد والمنى

حتى تقضى ذا الصيام ويليه باقى السنين
وتعيش ياذا الهمام بين ولدان وعين

غيره ·

خال عبد الرحيم نقطة حبر من غير قاف ولام وميم
ثغر معشوقى الفتان نون وعين وميم
شال السعد فوق راسو عين ولام وميم
دا اللى قد هواه قلبى صاد وبا ويا
مليح ما رأيت مثله ظا وبا ويا
ما احلاه عندما يلبس قاف وبا ويا
ذقت من صدود حبى غين وصاد وصاد
لما رأيت صبرى نون وقاف وصاد
النوم من جفون عينى خاء ولام وصاد
واصبحت وجود فكرى عين ودال وميم
قلت يوم لمن كان لى سين ونون ودال
اعدل فى الذى صبرو نون وفا ودال
ولا تهجر العشاق با وعين ودال
ما أفلح قط ياناس من ظا ولام وميم

حمل فى الالغاز

المطلع فى العين

وما طير أكلوا الجر باكرام * وجوهر حبابه يفسد أهل الصلاح
ولبس الحرير يؤذيه وريش النعام * يصول بين جناحين سود كبيض الصفاح

دور فى السراج

وما بحر ماهو ما وفى الليل يزيد * وينقص ولا هو خوض ولا هو غريق
وفيه شئ صفات حبه بلا وكرا ستفيد * اما جوهره فى نفعها يارفيق
بلاشك ينظره القريب والبعيد * ويخفى ويظهر كل يوم عن حقيق
يغيب فى النهار لكن اذا ما الظلام * تشوفو يضى بين الوجوه الصباح
ويسهر بحال عاشق حليف الغرام * قتيل الهوى بين الربا والبطاح

دور فى جوزة الكنافة

وماهى التى تركب على ستين ألف * وما مثل ذالك فسر انا ياخبير
مليحه رقيقه وتلبس ترف * وتحمل وتوضع كل يوم فى السعير
لها عشرة أعوان حالهم مختلف * يشيلوا أودها الكبير والصغير

. لها لخل يحذمها عليـه السلام * يحادى سراها فى الجى والرواح
وأكثر تعبها فى ليالى الصيام * وذا اللغز قلته ومن غير مزاح

دو رفى الغربال

وماهو الذى ياسعد كله عيون * ولا يعتلم ضوء الظلام والضيا
وهو بين خشب مصلوب لتلك الفنون * وميت وهو يحيي اصول الحيا
اذا غاب عن أهله فرديوم مايهون * ولا احـد يعوض موضعه لو عيا
وكم من وقيص فى صنعته باهتمام * مكابد عجاجه فى المسا والصباح
ويحتاج له الناس كل يوم فى الدوام * على شان فنونه دول فنون ملاح

الفن الخامس فى المواليا وله وزن واحد وأربع قوافى فى تلك الاربعة واحدة

اصفى الدين الحلى

ياطاعن الخيـل والابطال قد غارت * والمخصب الربع والامواه قد غارت
هواطل السحب من كفيك قد غارت * والشهب مذ شاهدت أضواء ذهنه غارت

وقال ايضا

سل مقلتيك الكحال عمن سلا سلها * ومر شفيك من رشف منها سلاسلها
وعارضيك التى مدت سلاسلها * كم من أسود ضوارى فى سلاسلها

وقال آخر

قد أوعدونا الغضايا اننا نخلو * فى ظل بستان حافف بالتمر نخلو
والطل من فوقنا قد بلنا نخلو * ومن كلام الاعادى قط مانخلو

وقال آخر

قسما وبالله مفرقها وجامعها * ومن أمرنا بمسجدها وجامعها
لوحل مع بغيتى عابد وجامعها * كان افتتن فى محاسنها وجامعها

ومن اثنين واثنين قال آخر

قوم اسقنى ماتبقى فى أباريقو * أماترى الصبح قد لاحت أباريقو
مع شادن كلما دريات شقاريقه * سقى المداما وان عزت سقى ريقو

وقال

البارحه ريت بعينى فى الدجاجيين * اثنين مثل البدوره فى الدجى جيين
ناديتهم فين كنتم ياخفاجيين * قالوا لمن قد وعـدنا فى الخفاجيـين

وقال

قد زدت هجرك فجد بالعفو عن صبك * وارحم خضوعى وخف فى قتلتى ربك
يكفيك تهجر تكد رقلب من حبك * ماظن فى الناس أقسى قلب من قلبك

غيره خمرى عاطل

كاس الطلا لطلا هاطال لماسر * وصار لماحوى خمرا مكلل در

مدام لو طعم كله حلو ما هو مر * ما حل مملوك الا صار ما انشحر

غيره حربي

لك يا امام الورى في كل موقع حرب * سماع يطرب له السامع وينفي الكرب
هذا ولك كلما دارت رحاة الحرب * سيوف تفني وكفك لايمل الضرب

الصفي الحلي في المدح

أغنت وأفنت كفوفك في الندى والحرب * في القرب والبعد من في شرقها والغرب
وفيض جودك وسيفك بالعطا والضرب * ذا الكرب فرج وهذا قدرمى في الكرب

وقال أيضا

من قال جودة كفوفك والحيا مثلين * اخطا القياس وفي قوله جمع ضدين
ماجدت الا وثغرك مبتسم يازين * وذاك ماجاد الا وهو باكي العين

وقال في التهنئة

رأيت ذا العيد أول يوم في عصرك * وريت ذا اليوم مع ذا الشهر في نصرك
وديت ذا الشهر مع ذا العام طوع أمرك * والكل بالكل أول مبتدا عمرك

في المعاتبة

عني تسليت وأسياف الجفا سليت * ومذ توليت عن طرق الوفا وليت
لما تمليت بالاعمال لي مليت * اذا تخليت تعرف قدر من خليت

وقال أيضا

ياقلب ان غدروا فاغدر وان خانوا * نحن وان هم قسوا فاقسا وان لانوا
فلن وان قربوا فاقرب وان بانوا * فبن وكن لي معاهم كيفما كانوا

وقال آخر

حلف علينا جكاره أن يقاطعني * وصدعني وأقسم مايطاوعني
كم ذا يصد وكم يرجع يصدعني * ان كنت أناهو المطلق لايراجعني

وقال آخر هجو

قطع قفا ابن أخت خالك وابن اخو عمك * والحق يصفع أبو بنتك أو ابن أمك
وان تكلمت تصفع تايسيل دمك * وان كنت تسكت يبول الكلب في فمك

وقال آخر

ان ردت تسلم بطول الدهر ماتبرح * لاتيأسن ولا تقنط ولا تمرح
واستعمل الصبر لاتحزن ولا تفرح * وان ضاق صدرك ففكر في ألم نشرح

وقال آخر

ان كنت عاقل وربك بالتقى برك * ادفع اذا الدوهات خيرك ودع شرك
وان تعدى حسودك والحسد ضرك * ناديه يا أيها الانسان ماغرك

وقال

وقال آخر

ياقلب ان خانك المحبوب لاتدبر * عنه وعن قصة السلوان لاتخبر
واستعمل الصبر دائم للعدا تقهر * فان والله ماخاب الذى يصبر

(الفن السادس كان وكان) وله وزن واحد وقافية واحدة ولكن الشطر الاول من البيت اطول من الثانى فمنه هذه الوعظيات

ياقاسى القلب مالك تسمع وماعندك خبر
ومن حرارة وعظى قد لانت الاحجار
أفنيت مالك وحالك فى كل مالا ينفعك
ليتك على ذى الحاله تقلع عن الاصرار
تحضر ولكن قلبك غايب وذهنك مشتغل
فكيف يامتخلف تحسب من الحضار
ويحك تنبه فتى وافهم مقالى واستمع
فى المجالس محاسن تحجب عن الابصار
يحصى دقائق فعلك وغمز لحظك يعلمه
وكيف تعزب عنه غوامض الاسرار
تلوت قولى ونصحى لمن تدبر واستمع
مافى النصيحه فضيحه كلا ولا انكار

وقال ايضا

صرح بذكر الحبه مافى المعمى فائده
وقل نعم أناعاشق صادق بلا توريه
ودع حديث العواذل ليس الخبر مثل النظر
أناعاشق لحبيب كل المعانى فيه
من أين للبدر حسن يحكيه أوشمس الضحى
حاشى لذاك المحيا من مشبه يحكيه
ان غبت فهو أنيسى وان حضرت نديمى
وان شربت مدامى فالكاس هو ساقيه
فمنه روحى وراحى اذا سكرت وراحتى
وفيه عزى وذلى بمهجتى افديه
قولوا لمن يلحانى فى الحب قصر واعتبر
هذا الذى قد عشقته قدحار وصفى فيه

الصفى الحلى

شاهدت فى الليل طيرى وقفت حتى انصب شرك

ما كل صيد يحصل يفرح الصياد
طيرى الذى كان الفى لوردت مثله ماحصل
وهو على معوّد وأنا عليه معتاد
قد كان شرطى وخلقى لبرج غيرى ماعرف
كاننا فى الصحبه جيناعلى ميعاد
من قبل ما ابصبص له يجى ويدخل مصورى
وانا ارصده فى مطاره خايف عليه ينصاد

وقال آخر

ماذقت عمرى جرعه أمرّ من طعم الهوى
الله يصبر قلبى على الذى يهواه
الناس تعلم منى حال الجلاده والقوى
وما أطيق التجلد على أليم جفاه
لى حب مثل الخوخه لولون وطعم وريحه
ما أكثر مغابن حبيبى وما اقل وفاه
انا عرفت وحظى وكل ما احسن لو يسى
لو كنت أعشق ظلى ما كنت قط أراه

وله فى الفراقيات

ياسادة هجرونى وهم نزول بخاطرى
لا أوحش الله منكم فى سائر الاوقات
أوحشتم العين منى وانسكم فى خاطرى
والقلب فى النور منكم والعين فى ظلمات
قد انتهى الصبر منى ومابقى فيارمق
هيهات انى أحيا من بعدكم هيهات
لم يبق غير خيالى يلوح كالشبح الخفى
اعد بين الاحيا وانا مع الاموات
ودعتمونى وسرتم والقلب يتبع ركبكم
ايش ضر لو كان جسمى من جملة التبعات
مامر ماريت ضدى يقول لى من فرحته
هنا انشق المرارير وتسكب العبرات
لولم اسلى روحى وارض نفسى بالمنى
لكان قلبى تقطع من بعدكم حسرات
وقفت لما رحلتم حيران بين اظعانكم

اخفض جناح المذله وارفع الاصوات
طول الليالى أساهر كي أريد الكيميا
أقطر الدمع منى واصعد الزفرات
ما اطول ليالى جفاكم ساعاتها مثل السنه
وما اقصر ايام وصلى كانها ساعات
مالى أرى حسناتى بالسيآت تبدلت
وسيآت الاعادى انبدلت حسنات
خالفتمونى وعمرى مازلت أتبع أمركم
كذا العبيد تتابع أوامر السادات
أسكت وأصبر عنكمو ويفعل الله مايشا
والدهر من عاداته يقلب الحالات

(الفن السابع فن القوما) قيل أول من اخترعه ابن نقطة برسم الخليفة الناصر والصحيح أنه مخترع من قبله وكان الناصر يطرب له وكان لابن نقطة ولد صغير ماهر فى نظم القوما فلما مات أبوه أراد أن يعرف الخليفة بموت أبيه ليجريه على مفروضه فتعذر عليه ذلك فصبر الى دخول شهر رمضان ثم أخذ أتباع والده من المسحرين ووقف أول ليلة من الشهر تحت الطيارة وغنى القوما بصوت رقيق فأصغى الخليفة اليه وطرب له فكان أول ما قاله

قوله

ياسيد السادات * لك بالكرم عادات
أنا بنى ابن نقطه * تعيش أبويا مات

فاعجب الخليفة منه هذا الاختصار فاستحضره وخلع عليه وفرض له ضعفى ما كان لابيه

ومنها للصفى الحلى

من كان يهوى البدور * ووصل بيض الخدور
بالبيض والصفر يسخو * وقد جلس فى الصدور
من حب بيض الخدور * ورام لزوم الصدور
يسمح والا فيبقى * من بينهم مهدور
كم بين حجف الخدور * من عاشق مصدور
يرعى الكواكب لعلو * يرى جمال البدور
بين الحال والخدور * وجوه مثل البدور
اشراقها فى المعاجز * وغربها فى الصدور
قد كنت فوق الصدور * بين الظبا والبدور
فصرت أحسد من ابصر * خيامهم والخدور

نوائب المقدور * مثل الكواكب تدور
من بعد طيب الخواطر * يقضى بضيق الصدور
غيرى يلازم الصدور * وانا عليكم أدور
واصطلى الصندوانا * من بينهم مهدور
وقال أيضا
حال الهوى مخبور * يريد جلد صبور
يصون سره والا * يبقى من اهل القبور
من كان هواه مستور * يحظى برفع الستور
ومن هتك سر حبو * يمحى من الدستور
ابذل لبيض النحور * أموال مثل البحور
ان ردت تملك وتظفر * ولدانهم والحور
قم فابذل المدخور * وفى العطا لاتجور
تريد هذى المحبه * قلوب مثل الصخور
كم حول تلك الخدور * من عاشق مغدور
مثل الدواليب تجرى * دموعها وتدور
من يركب المحذور * هو فى الهوى معذور
يظفر بحبه ويبلغ * قصده ويوفى النذور
كن بالهوى مسرور * ولا تبيت مغرور
واجعل تراب اعتابهم * لاجفان عينك درور
طرق المحبة وعور * كم بينها مذعور
من فتك بيض السوالف * على سواد الشعور
كم عاشق مذعور * فى حب بيض الثغور
يغار قلبه ولكن * مدامعه ماتغور
كم بينهم يعفور * كالظبى انس نفور
من أهل بدر فديته * ايش ما عمل مغفور
ومن ذلك مانظمه بعضهم لمسحر بعض الخلفاء فى رمضان
لازال سعدك جديد * دائم وجدك سعيد
ولابرحت مهنى * بكل صوم وعيد
فى الدهر أنت الفريد * وفى صفاتك وحيد
والخلق شعر منقح * وأنت بيت القصيد
يامن جنابه شديد * ولطف رأيه سديد
ومن يلاقى الشدائد * بقلب مثل الحديد
لازلت فى تأييد * فى الصوم والتعييد

ولا برحت مهنى * بكل عام جديد
نحن لذكرك نشيد * بقولنا والنشيد
ونبعث اوصاف مدحك * على خيول البريد
ظلالك علينا مديد * مافوق جودك مزيد
وكم غمرت بفضلك * قريبنا والبعيد
لازلت فى كل عيد * تحظى بجد سعيد
عمرك طويل وقدرك * وافر وظلك مديد
لازال قدرك مجيد * وظل جودك مديد
ولا برحت موقى * كما يوقى الوليد
مازال برك يزيد * على أقل العبيد
ومابرح جود كفك * منا كحبل الوريد
لازال برك مزيد * دائم وبأسك شديد
ولاعدمنا نوالك * فى صوم فطر وعيد

وممّا قيل فى فن الحماق

أنا ما عبورى الحمام * لجسمى لكى ينظف
الا لدمع جارى * على المنا ولا يوقف
وديك المجارى تجرى * ودمعى يسابقها
تقول الانام فى الحمام * له احباب فارقها

وقال آخر

ترى كل من نعشقو * علينا يقسم أنفه
فأسلاه واترك هواه * وسد الطريق خلفه
وان زاد على عشقو * وزادنى الهوى والذل
تركتو ولو كان يحيى * لاهل القبور الكل

وقد انتهى الكلام فيما شرت اليه من الفنون السبعة وذكرت منها ماتبتهج به النفوس وتقربه العيون واختصرت ذلك الى الغاية فجاء بتوفيق الله فى الحسن نهاية وأسأل الله التوفيق بمنه وكرمه والمزيد من بره ونعمه وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثالث والسبعون فى ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن وطلاقهن ومايحمد ويذم من عشرتهن وفيه فصول

(الفصل الاول فى النكاح وفضله والترغيب فيه) قال الله تعالى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع الآية وقال تعالى وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقال تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر الشباب من

استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار عندكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم سوداء ولود خير من حسناء عقيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن النساء بركة أحسنهن وجها وأرخصهن مهرا فينبغى للرجل اذا أراد أن يتزوج أن يرغب فى ذات الدين وأن يختار الشرف والحسب كما حكى أن نوح بن مريم قاضى مرو أراد أن يزوج ابنته فاستشار جارا له مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وأنت تستفتينى قال لابد أن تشير على قال ان رئيسنا كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الحسب والنسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر أنت بأيهم تقتدى وقال رجل للحسن ان لى ابنة فمن ترى ان أزوجها له قال زوجها ممن يتقى الله عز وجل فان أحبها أكرمها وان أبغضها لم يظلمها وقيل لرجل من الحكماء فلان يخطب فلانة فقال أموسر من عقل ودين فقالوا نعم قال فزوجوه اياها ويستحب أن يختار البكر لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالابكار فانهن أطيب أفواها وأنتق أرحاما وقالوا أشهى المطى مالم يركب وأحب اللآلى مالم يثقب وأنشد بعضهم

قالوا نكحت صغيرة فأجبتهم * أشهى المطى الى مالم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة * نظمت وحبة لؤلؤ لم تثقب

فأجابته امرأة

ان المطية لا يلذ ركوبها * حتى تذلل بالزمام وتركبا
والدر ليس بنافع أربابه * حتى يؤلف بالنظام ويثقبا

قال خالد بن صفوان

عليك اذا ما كنت فى الناس ناكحا * بذات الثنايا الغر والاعين النجل

وقيل استشار رجل داود عليه السلام فى التزويج فقال له سل سليمان وأخبرنى بجوابه فصادفه ابن سبع سنين وهو يلعب مع الصبيان راكبا قصبة فسأله فقال عليك بالذهب الاحمر أو الفضة البيضاء واحذر الفرس لا يضربك فلم يفهم الرجل ذلك فقال له داود عليه السلام الذهب الاحمر البكر والفضة البيضاء الثيب الشابة ومن وراء هما كالفرس الجموح وقال صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم وقال صلى الله عليه وسلم انظر فى أى شئ تضع ولدك فان العرق دساس وقال عليه الصلاة والسلام اياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء وأنشدوا فيه

اذا تزوجت فكن حاذقا * واسأل عن الغصن وعن منبته

وقال بعضهم

وأول خبث الماء خبث ترابه * وأول خبث القوم خبث المناكح

وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء فان اللبن يعدى وقيل ان جعفر بن سليمان بن على عاب يوما على أولاده وأنهم ليسوا كما

يحب فقال له ولده أحمد بن جعفر انك عمدت الى فاسقات مكة والمدينة واماء الحجاز فأوعيت فيهن نطفك ثم تريد أن يهجين وانما نحن كصاحبات الحجاز هلا فعلت فى ولدك ما فعل أبوك فيك حين اختار لك عقيلة قومها فزوجها منك وأنشدوا

صفات من يستحب الشرع خطبتها * جلوتها الاولى الالباب مختصرا
صبية ذات دين زانه أدب * بكر ولو دحكت فى حسنها القمرا
غريبة لم تكن من أهل خاطبها * تلك الصفات التى اجلوا لمن نظرا
فيها أحاديث جاءت وهى ثابتة * أحاط علما بها من فى العلوم قرا

وقال آخر

مطيات السرور فويق عشر * الى العشرين ثم قف المطايا
فان جزت المسير فسر قليلا * وبنت الاربعين من الرزايا

وقال آخر

فاياك اياك العجوز ووطاها * فما هو الامثل سم الاراقم

واعلم أن العيش كله مقصور على الحليلة الصالحة والبلاء كله موكل بالقرينة السوء التى لاتسكن النفس الى عشرتها ولاتقر العيون برؤيتها وفى حكمة سليمان بن داود عليه السلام المرأة العاقلة تعمر بيت زوجها والمرأة السفيهة تهدمه وروى انه لما حضر أبو طالب نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر خطب فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخى من لايوزن به رجل من قريش الا رجح به برا وفضلا وكرما ومجدا ونبلا فان كان فى المال قل فالمال ظل زائل ورزق حائل وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالى كذا وكذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل ولما خطب عمرو بن حجر الكندى الى عوف بن محلم الشيبانى ابنته أم اياس واجابه الى ذلك أقبلت عليها أمها ليلة دخوله بها توصيها فكان مما أوصتها به أن قالت أى بنية انك مفارقة بيتك الذى منه خرجت وعشك الذى منه درجت الى رجل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكونى له أمة ليكون لك عبدا واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخرا فاما الاولى والثانية فالرضا بالقناعة وحسن السمع له والطاعة وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لمواقع عينيه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولايشم أنفه منك الا أطيب الريح وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه ومنامه فان شدة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبه وأما السابعة والثامنة فالاحراز لماله والارعاء على حشمه وعياله وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصى له أمرا ولاتفشى له سرا فانك ان خالفت أمره أوغرت صدره وان افشيت سره لم تأمنى غدره واياك ثم اياك والفرح بين يديه اذا كان مهتما والكآبة لديه اذا كان فرحا فقبلت وصية أمها فنجبت وولدت له الحرث بن عمرو جد امرئ القيس الملك

الشاعر وعن الهيثم بن عدى الطائى عن الشعبى قال لقينى شريح فقال لى ياشعبى عليك بنساء
بنى تميم فانى رأيت لهن عقولا فقلت ومارأيت من عقولهن قال أقبلت من جنازة ظهرا فمررت
بدورهن واذا أنا بعجوز على باب دار والى جانبها جارية كأحسن مارأيت من الجوارى
فعدلت اليها واستسقيت ومابى عطش فقالت لى أى الشراب أحب اليك قلت ماتيسر قالت
ويحك ياجارية ائتيه بلبن فانى أظن الرجل غريبا فقلت للعجوز ومن تكون هذه الجارية منك
قالت هى زينب بنت جرير احدى نساء بنى حنظلة قلت هى فارغة أم مشغولة قالت بل فارغة
قلت أتزوجينيها قالت ان كنت كفأ ولم تقل كفؤا وهى لغة بنى تميم فتركتها ومضيت الى
منزلى لأقيل فيه فامتنعت منى القائلة فلما صليت الظهر أخذت بيد اخوانى من العرب
الاشراف علقمة والاسود والمسيب ومضيت أريد عمها فاستقبلنا وقال ماشأنك أباأمية قلت
زينب ابنة أخيك قال مابها عنك رغبة فزوجنيها فلما صارت فى حبالى ندمت وقلت أى شئ
صنعت بنساء بنى تميم وذكرت غلظ قلوبهن فقلت أطلقها ثم قلت لا ولكن أدخل بها فان رأيت
ماأحب والا كان ذلك فلوشهدتنى ياشعبى وقد أقبلت نساؤها يهدينها حتى أدخلت على فقلت
ان من السنة اذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم ويصلى ركعتين ويسأل الله تعالى من
خيرها ويتعوذ من شرها فتوضأت فاذا هى تتوضأ بوضوئى وصليت فاذا هى تصلى بصلاتى فلما
قضيت صلاتى أتتنى جواريها فأخذن ثيابى وألبسننى ملحفة قد صبغت بالزعفران فلما خلا
البيت دنوت منها فمددت يدى الى ناصيتها فقالت على رسلك أباأمية ثم قالت الحمد لله أحمده
وأستعينه وأصلى على محمد وآله أما بعد فانى امرأة غريبة لاعلم لى باخلاقك فبين لى ماتحب
فآتيه وماتكره فأجتنبه فانه قد كان لك منكح فى قومك ولى فى قومى مثل ذلك ولكن اذا قضى
الله أمرا كان مفعولا وقد ملكت فاصنع ماأمرك الله تعالى به اماامساك بمعروف أوتسريح
باحسان أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولك ولجميع المسلمين قال فأحوجتنى والله
ياشعبى الى الخطبة فى ذلك الموضع فقلت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى على محمد وآله أما بعد
فانك قد قلت كلاما ان ثبت عليه يكن ذلك حظالى وان تدعيه يكن حجة عليك أحب كذا
وأكره كذا ومارأيت من حسنة فابثيها ومارأيت من سيئة فاستريها فقالت كيف محبتك
لزيارة الاهل قلت ماأحب أن يملنى اصهارى قالت فمن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له
ومن تكرهه أكرهه قلت بنوفلان قوم صالحون وبنوفلان قوم سوء قال فبت معها ياشعبى
بأنعم ليلة ومكثت معى حولا لاأرى منها الاماأحب فلما كان رأس الحول جئت من مجلس
القضاء واذا أنا بعجوز فى الدار تأمر وتنهى قلت من هذه قالوا فلانة أم حليلتك قلت مرحبا
وأهلا وسهلا فلما جلست أقبلت العجوز فقالت السلام عليك ياأباأمية فقلت وعليك السلام
ومرحبابك وأهلا قالت كيف رأيت زوجتك قلت خير زوجة وأوفق قرينة لقد
أدبت فأحسنت الادب وريضت فأحسنت الرياضة فجزاك الله خيرا فقالت أباأمية
ان المرأة لاترى اسوأ حالا منها فى حالتين قلت وماهما قالت اذا ولدت غلاما أوحظيت عند
زوجها فان رابك مريب فعليك بالسوط فوالله ماحاز الرجال فى بيوتهم أشر من الروعاء
المدللة فقلت والله لقد أدبت فأحسنت الادب وريضت فأحسنت الرياضة قالت كيف

تحب

تحب أن يزورك أصهارك قلت ماشاؤا فكانت تأتيني في رأس كل حول فتوصيني بتلك الوصية فكثت معي ياشعبي عشرين سنة لم أعب عليها شيأ وكان لي جار من كندة يفزع امرأته ويضربها فقلت في ذلك

رأيت رجالا يضربون نساءهم * فشلت يميني يوم تضرب زينب
أأضربها من غير ذنب أتت به * فما العدل مني ضرب من ليس يذنب
فزينب شمس والنساء كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وخطب الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن جعفر ابنته ام كلثوم على ألفي ألف في السر وخمسمائة ألف في العلانية فأجابه الى ذلك وحملها الى العراق فأقامت عنده ثمانية أشهر فلما خرج عبد الله ابن جعفر الى عبد الملك بن مروان وافدا نزل بدمشق فأتاه الوليد بن عبد الملك على بغلة ومعه الناس فاستقبله ابن جعفر بالترحيب فقال له الوليد لكنك أنت لامرحبا بك ولا أهلا قال مهلا يا ابن أخي فلست أهلا لهذه المقالة منك قال بلى والله وبشر منها قال وفيم ذلك قال لانك عمدت الى عقيلة نساء العرب وسيدة نساء بني عبد مناف فعرضتها عبد ثقيف يتفخذها قال وفي هذا عتبت علي يا ابن أخي قال نعم فقال عبد الله والله ما أحق الناس أن لا يلومني في هذا الا أنت وأبوك لان من كان قبلكم من الولاة يصلون رحمي ويعرفون حقي وانك وأباك منعتماني رفدكما حتى ركبني الدين أما والله لو أن عبدا حبشيا مجدعا أعطاني بها ما أعطاني عبد ثقيف لزوجتها منه انما فديت بها رقبتي فما راجعه كلمة حتى عطف عنانه ومضى حتى دخل على عبد الملك فقال مالك يا أبا العباس قال انك سلطت عبد ثقيف وملكته حتى تفخذ نساء بني عبد مناف فأدركت عبد الملك غيرة فكتب الى الحجاج يقسم عليه ان لا يضع كتابه من يده حتى يطلقها ففعل قال ولم يكن يقطع الحجاج عنها رزقا ولا كرامة يجريها عليها حتى خرجت من الدنيا ومازال واصلا لعبد الله بن جعفر حتى مات وما كان يأتي عليه حول الا وعنده عير مقبلة من عند الحجاج عليها أموال وكسوة وتحف (وحكي) أن المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة سار الى دير هند بنت النعمان وهي فيه عمياء مترهبة فاستأذن عليها فقالت من أنت قال المغيرة بن شعبة الثقفي قالت ما حاجتك قال جئت خاطبا قالت انك لم تكن جئتني لجمال ولا مال ولكنك أردت أن تتشرف في محافل العرب فتقول تزوجت بنت النعمان بن المنذر والا فأي خير في اجتماع عمياء وأعور (و) كان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قد تزوج عاتكة بنت عمرو بن نفيل وكانت من اجمل نساء قريش وكان عبد الرحمن من أحسن الناس وجها وأبرهم بوالديه فلما دخل بها غلبت على عقله وأحبها حبا شديدا فثقل ذلك على أبيه فمر به أبو بكر يوما وهو في غرفة له فقال يا بني اني أرى هذه المرأة قد أذهلت رأيك وغلبت على عقلك فطلقها قال لست أقدر على ذلك فقال أقسمت عليك الا طلقتها فلم يقدر على مخالفة أبيه فطلقها فجزع عليها جزعا شديدا وامتنع من الطعام والشراب فقيل لابي بكر أهلكت عبد الرحمن فمر به يوما وعبد الرحمن لا يراه وهو مضطجع في الشمس ويقول هذه الابيات

فوالله لاأنساك ماذرشارق * وماناح قمرى الحمام المطوق

فلم أرمثلى طلق اليوم مثلها * ولا مثلها فى غير شئ يطلق

لها خلق عف ودين ومحتد * وخلق سوى فى الحياء ومنطق

فسمعه أبوه فرق له وقال له راجعها يابنى فراجعها وأقامت عنده حتى قتل عنها يوم الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه سهم فقتله فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت ترثيه

فاآليت لاتنفك نفسى حزينة * عليك ولا ينفك جلدى أغبرا

فتى طول عمرى ماأرى مثله فتى * أكر وأحمى فى الهياج وأصبرا

اذا شرعت فيه الاسنة خاضها * الى القرن حتى يترك الرمح أحمرا

ثم تزوجها بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته ودعا الناس الى وليمته فأتوه فلما فرغ من الطعام وخرج الناس قال له على بن ابى طالب رضى الله عنه ياأمير المؤمنين ائذن لى فى كلام عاتكة حتى أهنيها وأدعو لها بالبركة فذكر عمر ذلك لعاتكة فقالت ان أبا الحسن فيه مزاح فأذن له ياأمير المؤمنين فاذن له فرفع جانب الخدر فنظر اليها فاذا مابدا من جسدها مضمخ بالخلوق فقال لها ياعاتكة الست القائلة

فاآليت لاتنفك نفسى حزينة * عليك ولا ينفك جلدى أغبرا

وقيل ان عمر لما قتل عنها جزعت عليه جزعا شديدا وتزوجت بعده الزبير بن العوام وكان رجلا غيورا وكانت تخرج الى المسجد كعادتها مع أزواجها فشق ذلك عليه وكان يكره ان ينهاها عن الخروج الى الصلاة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتمنعوا اماء الله مساجد الله فعرض لها ليلة فى ظهر المسجد وهى لاتعرفه فضرب بيده عجيزتها ثم انصرف فقعدت بعد ذلك عن الخروج الى المسجد وكان يقول لها ألاتخرجين ياعاتكة فتقول كنا نخرج اذ الناس ناس ومابهم من باس وأما الآن فلا ثم قتل عنها الزبير قتله عمرو بن جرموز بوادى السباع وهو نائم ثم تزوجها بعده محمد بن أبى بكر فقتل عنها بمصر فقالت لاأتزوج بعده أبدا انى لاحسبنى أنى لو تزوجت جميع اهل الارض لقتلوا عن آخرهم (وحكى) عن الحرث بن عوف بن أبى حارثة أنه قال لخارجة بن سنان أترى انى أخطب الى أحد فيردنى قال نعم قال ومن هو قال أوس بن حارثة بن لام الطائى قال اركب بنا اليه فركبنا اليه حتى أتينا أوس بن حارثة فى بلاده فوجدناه فى فناء منزله فلما رأى الحرث بن عوف قال مرحبا بك ياحارث قال ماجاء بك قال جئت خاطبا قال لست هناك فانصرف ولم يكلمه فدخل اوس على امرأته مغضبا فقالت له من الرجل الذى سلم عليك فلم تطل معه الوقوف ولم تكلمه فقال ذلك سيد العرب الحرث بن عوف فقالت فمالك لاتستنزله قال انه استحمقنى قالت وكيف قال لانه جاءنى خاطبا قالت ألست تزعم أنه سيد العرب قال نعم قالت اذالم تزوج سيد العرب فى زمانه فمن تزوج قال قد كان ذلك قالت فتدارك ماكان منك قال فبماذا قالت بأن تلحقه فترده قال وكيف وقد فرط منى اليه مافرط قالت تقول له انك لقيتنى وأنا مغضب لامر فلك المعذرة فيما فرط منى فارجع ولك عندى كل ماطلبت قال فركب فى اثرهما قال خارجة بن سنان

فوالله انا لنسير اذ حانت مني التفاتة فرأيته فقلت للحرث وهو ما يكلمني هذا اوس في اثرنا فقال ما أصنع به فلما رآنا لانتف قال يا حارث اربع علي فوقفنا له وكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا قال خارجة بن سنان فبلغني ان أوسا لما دخل منزله قال لزوجته ادعي لي فلانة أكبر بناته فاتته فقال لها أي بنية هذا الحرث بن عوف سيد من سادات العرب جاءني خاطبا وقد أردت ان أزوجك منه فما تقولين قالت لا تفعل قال ولم قالت لان في خلقي رداءة وفي لساني حدة ولست بابنة عمه فيراعي رحمي ولا هو بجارك في البلد فيستحي منك ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون علي بذلك مسبة قال لها قومي بارك الله فيك ثم دعا بنته الاخرى فقال لها مثل قوله لاختها فاجابته بمثل جوابها فقال لها قومي بارك الله فيك ثم دعا بالثالثة وكانت أصغرهن سنا فقال لها مثل ما قال لاختيها فقالت له أنت وذاك فقال لها اني عرضت ذلك على أختيك فأبتاه ولم يذكر لها ما قالتاه فقالت له والله اني الجميلة وجها الرفيعة خلقا الحسنة رأيا فان طلقني فلا أخلف الله عليه فقال لها بارك الله فيك ثم خرج اليه فقال زوجتك يا حارث بابنتي هنيسة قال قد قبلت نكاحها وأمر أمها أن تهيئها له وتصلح شأنها ثم أمر ببيت فضرب له وأنزله اياه ثم بعثها اليه فلما دخلت عليه لبث هنيهة ثم خرج الي فقلت له أفرغت من شأنك قال لا والله قلت وكيف ذلك قال لما مددت يدي اليها قالت مه أعند أبي واخوتي هذا والله لا يكون ثم أمر بالرحلة فارتحلنا بها معنا وسرنا ما شاء الله ثم قال لي تقدم فتقدمت فعدل عن الطريق فما لبث ان لحقني فقلت أفرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم قال قالت تفعل بي كما يفعل بالامة السبية الاخيذة لا والله حتى تنحر الجزر والغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل مثلك لمثلي فقلت والله اني لارى همة وعقلا فقال صدقت قال وأرجو الله أن تكون المرأة النجيبة فوردنا الى بلادنا فأحضر الابل والغنم ونحر وأولم ثم دخل عليها وخرج الي فقلت افرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم ذاك قال دخلت عليها أريدها فقلت لها قد احضرت من المال ما تريدين قالت والله لقد ذكرت من الشرف بما ليس فيك قلت ولم ذاك قالت أتستفرغ لنكاح النساء والعرب يقتل بعضها بعضا وكان ذلك في أيام حرب قيس وذبيان قلت فماذا تقولين قالت اخرج الى القوم فأصلح بينهم ثم ارجع الى أهلك فلن يفوتك ما تريد فقلت والله اني لارى عقلا ورأيا سديدا قال فاخرج بنا فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى ثم تؤخذ الدية فحملنا عنهم الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير فانصرفنا بأجمل ذكر ثم دخل عليها فقالت له أما الآن فنعم فاقامت عنده في ألذ عيش وأطيبه وولدت له بنين وبنات وكان من أمرهما ما كان والله أعلم بالصواب

(وحكى) الفضل أبو محمد الطيبي قال حدثنا بعض أصحابنا ان رجلا من بني سعد مرت به جارية لامية بن خالد بن عبد الله بن أسد ذات ظرف وجمال وكان شجاعا فارسا فلما رآها قال طوبى لمن كان له امرأة مثلك ثم أتبعها رسولا يسألها ألها زوج ويذكره لها وكان جميلا فقالت للرسول وما حرفته فأبلغه الرسول ذلك فقال ارجع اليها وقل لها شعر

وسائلة ما حرفتي قلت حرفتي * مقارعة الابطال في كل شارق

اذا عرضت خيل لخيل رأيتني * أمام رعيل الخيل أحمي حقائقي

اصبرنفسي حين لم أرصابرا * على ألم البيض الرقاق البوارق

فلحقها الرسول فأنشدها ما قال فقالت له ارجع اليه وقل له أنت أسد فاطلب لك لبوة فلست من نسائك وأنشدته تقول

الا انما أبغي جوادا بماله * كريما محياه كثير الصدائق

فتى همه مذ كان خود خريدة * يعانقها في الليل فوق النمارق

وحدث يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن عبد الحكم عن الامام الشافعي رضي الله عنه قال تزوج رجل امرأة جديدة على امرأة قديمة فكانت جارية الجديدة تمر على بيت القديمة فتقول

وما يستوي الرجلان رجل صحيحة * وأخرى رمى فيها الزمان فشلت

ثم تعود وتقول

وما يستوي الثوبان ثوب به البلى * وثوب بأيدي البائعين جديد

فمرت جارية القديمة على باب الجديدة يوما وقالت

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاول منزل

وقال عمرو بن العلاء وكان أعلم الناس بالنساء

فان تسألوني بالنساء فانني * بصير بأدواء النساء طبيب

اذا شاب رأس المرء أوقل ماله * فليس له في ودهن نصيب

وسئل المغيرة بن شعبة عن صفة النساء فقال بنات العم أحسن مواساة والغرائب أنجب وماضرب رؤس الاقران مثل ابن السوداء وقال عبد الملك بن مروان من أراد أن يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية ومن أراد أن يتخذها للولد فليتخذها فارسية ومن أراد أن يتخذها للخدمة فليتخذها رومية قال الشاعر

لاتشتمن امرأ ممن يكون له * أم من الروم أوسوداء عجماء

فانما أمهات القوم أوعية * مستودعات وللانساب آباء

وقال الاصمعي أتاني رجل من قريش يستشيرني في امرأة يتزوجها فقلت يا ابن أخي أقصيرة النسب أم طويلته فلم يفهم عني فقلت يا ابن أخي أما القصيرة النسب فالتي اذا ذكرت أباها اكتفت به والطويلة النسب فهي التي لاتعرف حتى تطيل في نسبها فاياك ان تقع مع قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم فتضيع نسبك فيهم وخرج رجل من أهل الكوفة في غزاة فكسب جارية وفرسا وكان مملكا على ابنة عمه فكتب اليها يغيرها ويقول

ألا بلغوا أم البنين بأننا * غنينا وأغنتنا الغطارفة النجد

بعيدة مناط المنكبين اذا جرى * وبيضاء كالتمثال زينها العقد

فهذا الايام العدو وهذه * لحاجة نفسي حين ينصرف الجند

فلما ورد عليها كتابه وقرأته قالت يا غلام هات الدواة وكتبت جوابه تقول

ألا فاقره مني السلام وقل له * غنينا واغنتنا غطارفة المرد

اذا شئت أغنانى غلام مرجل * ونازعته فى ماء معتصر الورد
وان شاء منهم ناشئ مدكفه * الى عكن ملساء أو كفل نهد
فما كنتم تقضون حاجة أهلكم * شهودا فتقضوها على النأى والبعد
فعجل الينا بالسراح فانه * مناناو لاندعو لك الله بالرد
فلا قفل الجند الذى أنت فيهم * وزادك رب الناس بعدا على بعد

فلما ورد عليه كتابها لم يزد على أن ركب الفرس وأردف الجارية خلفه ولحق بابنة عمه فكان أول شئ بدأها به بعد السلام أن قال لها بالله عليك هل كنت فاعلة ذلك فقالت له الله فى قلبى أعظم وأجل وأنت فى عينى أذل وأحقر من أن أعصى الله فيك فكيف ذقت طعم الغيرة فوهب لها الجارية وانصرف الى الغزاة والله تعالى أعلم بالصواب

(الفصل الثانى فى صفات النساء المحمودة) كتب الحجاج الى الحكم بن أيوب أن اخطب لعبد الملك بن مروان امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة فى قومها ذليلة فى نفسها مؤاتية لبعلها فكتب اليه قد أصبتها لولا عظم ثدييها فكتب اليه لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثدياها فتدفى الضجيع وتروى الرضيع وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان صف لى أحسن النساء قال خذها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين ردماء الكعبين ناعمة الساقين ضخماء الركبتين لفاء الفخذين ضخمة الذراعين رخصة الكفين ناهدة الثديين حمراء الخدين كحلاء العينين زجاء الحاجبين لمياء الشفتين بلجاء الجبين شماء العرنين شنباء الثغر محلولكة الشعر غيداء العنق مكسرة البطن فقال ويحك وأين توجد هذه قال تجدها فى خالص العرب وفى خالص فارس وقال حكيم عليكم بمن تربت فى النعيم ثم أصابتها فاقة فأثرها الغنى وأدبها الفقر وقال رجل لخاطب ابغ لى امرأة لا تؤنس جارا ولا توطن دارا يعنى لاتدخل على الجيران ولا تدخل الجيران عليها وفى مثل هذه قال الشاعر

هيفاء فيها اذا استقبلتها صلف * عيطاء غامضة الكعبين معطار
خود من الخفرات البيض لم برها * بساحة الدار لابعل ولا جار

وقال الاعشى

لم تمش ميلا ولم تركب على جمل * ولم تر الشمس الا دونها الكلل

وكانت امرأة عمران بن حطان من أجمل الناس وجها وكان هو من أقبح الناس وجها فقال لها يوما أنا واياك فى الجنة ان شاء الله تعالى فقالت له وكيف ذلك فقال لانى أعطيت مثلك فشكرت وأعطيت مثلى فصبرت والصابر والشاكر فى الجنة وقال بعضهم رأيت فى طريق مكة أعرابية ما رأيت أحسن منها وجها فقعدت انظر اليها وأتعجب من جمالها فجاء شيخ قصير فأخذ بردائها وسار بها ومضى فلقيتها مرة أخرى فقلت لها من هذا الشيخ قالت زوجى قلت كيف يرضى مثلك بمثله فانشدت

أيا عجبا للخود يجرى وشاحها * تزف الى شيخ بأقبح تمثال

دعانى اليه أنه ذو قرابة * يعز علينا من بنى العم والخال

وسمع بعضهم قائلا يقول شعرا

ومن لا يرد مدحى فان مدائحى * نوافق عند الاكرمين نوام
نوافق عند المشترى الحمد بالندى * نفاق بنات الحرث بن هشام

فقال يا ابن أخى ما بلغ من نفاق بنات الحرث بن هشام قال كانوا من أجمل الناس وجوها وكان أبوهن اذا زوجهن يسوقهن ومهورهن الى بعولتهن فقال يا ابن أخى لو فعل هذا ابليس ببناته لتنافست فيهن الملائكة المقربون وقال عبد الملك لابن أبى الرقاع كيف علمك بالنساء قال أنا والله أعلم الناس بهن وجعل يقول

قضاعية الكعبين كندية الحشا * خزاعية الاطراف طائية الفم
لها حكم لقمان وصورة يوسف * ومنطق داود وعفة مريم

وقالوا الوجه الحسن أحمر وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث فى الكن والتضمخ بالطيب وقالوا ان الوجه الرقيق البشرة الصافى الاديم اذا خجل يحمر واذا فرق يصفر ومنه قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته قال على بن زيد فى وصفه

حمرة خلط صفرة فى بياض * مثل ما حاك حائك ديباجا

وقال على بن عبد ربه

بيضاء يحمر خداها اذا خجلت * كما جرى ذهب فى صفحتى ورق

وقالوا ان الجارية الحسناء تتلون بتلون الشمس فهى بالضحى بيضاء وبالعشى صفراء وقال ذو الرمة

بيضاء صفراء قد تنازعها * لونان من فضة ومن ذهب

قالوا ليس المرأة الجميلة التى تاخذ بصرك جملة على بعد فاذا دنت منك لم تكن كذلك بل الجميلة التى كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقالوا ان أردت أن يحب ولدك فأغضبها ثم قع عليها

قال الشاعر

ممن حملن به وهن عواقد * حبك النطاق فعاش غير مهبل
حملت به فى ليلة مزؤودة * كرها وعقد نطاقها لم يحلل

(الفصل الثالث فى صفة المرأة السوء نعوذ بالله تعالى منها) فى حكمة داود عليه السلام ان المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها الا من رضى الله تعالى عنه وقيل المرأة السوء غل يلقيه الله تعالى فى عنق من يشاء من عباده وقيل لاعرابى كان ذا تجربة للنساء صف لنا شر النساء فقال شرهن النحيفة الجسم القليلة اللحم المحياض الممراض المصفرة الميشومة العسرة المبشومة السلطة البطرة النفرة السريعة الوثبة كأن لسانها حربة تضحك من غير عجب وتبكى من غير سبب وتدعو على زوجها بالحرب أنف فى السماء واست فى الماء عرقوبها حديد منتفخة الوريد كلامها وعيد وصوتها

شديد تدفن الحسنات وتفشي السيئات تعين الزمان على بعلها ولا تعين بعلها على الزمان ليس في قلبها عليه رأفة ولا عليها منه مخافة ان دخل خرجت وان خرج دخلت وان ضحك بكت وان بكى ضحكت كثيرة الدعاء قليلة الارعاء تأكل لما وتوسع ذمّا ضيقة الباع مهتوكة القناع صبيها مهزول وبيتها مزبول اذا حدثت تشير بالاصابع وتبكي في المجامع بادية من حجابها نباحة عند بابها تبكي وهي ظالمة وتشهد وهي غائبة قد دلى لسانها بالزور وسال دمعها بالفجور ابتلاها الله بالويل والثبور وعظائم الامور ويقال ان المرأة اذا كانت مبغضة لزوجها فان علامة ذلك أن تكون عند قربها منه مرتدة الطرف عنه كأنها تنظر الى انسان غيره من ورائه وان كانت محبة له لا تقلع عن النظر اليه قال بعضهم

لقد كنت محتاجا الى موت زوجتي * ولكن قرين السوء باق معمر
فياليتها صارت الى القبر عاجلا * وعذبها فيه نكير ومنكر

وقال زيد بن عمير

أعاتبها حتى اذا قلت أقلعت * أبى الله الا خزيها فتعود
فان طمثت قادت وان طهرت زنت * فهاتيك تزني دائما وتقود

وقال داود عليه السلام المرأة السوء على بعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير والمرأة الصالحة كالتاج المرصع بالذهب كلما رآها قرت عينه برؤيتها والله أعلم

(الفصل الرابع في مكر النساء وغدرهن وذمهن ومخالفتهن) في حكمة داود عليه السلام وجدت في الرجال واحدا في ألف ولم أجد واحدة في جميع النساء وقيل ان عيسى عليه السلام لقي ابليس وهو يسوق أربعة أحمرة عليها أحمال فسأله فقال أحمل تجارة وأطلب مشترين فقال ما أحدها قال الجور قال من يشتريه قال السلاطين قال فما الثاني قال الحسد قال فمن يشتريه قال العلماء قال فما الثالث قال الخيانة قال فمن يشتريها قال التجار قال فما الرابع قال الكيد قال فمن يشتريه قال النساء وقال حكيم النساء شر كلهن وشر مافيهن قلة الاستغناء عنهن وقالت الحكماء لا تثق بامرأة ولا تغتر بمال وان كثر وقال النساء حبائل الشيطان قال الشاعر

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن * جزوعا اذا بانت فسوف تبين
وخنها وان كانت تفي لك انها * على قدم الايام سوف تخون
وان هي اعطتك اللسان فانها * لغيرك من طلابها ستلين
وان حلفت ان ليس تنقض عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين
وان سكبت يوم الفراق دموعها * فليس لعمر الله ذلك يقين

وقال ابن بشار

رأيت مواعيد النساء كأنها * سراب لمرتاد المناهل حافل
ومنتظر الموعد منهن كالذي * يؤمل يوما ان تلين الجنادل

وقال بعض الحكماء لم تنه المرأة عن شيء قط الا فعلته وقال الغنوي

ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واقع لابد مفعول

وقال النخعي من اقتراب الساعة طاعة النساء ويقال من أطاع عرسه فقد أضاع نفسه وقال علي رضي الله عنه اياك ومشاورة النساء فان رأيهن الى أفن وعزمهن الى وهن اكفف أبصارهن بالحجاب فان شدة الحجاب خير لهن من الارتياب وليس خروجهن بأضر من دخول من لا يوثق به عليهن فان استطعت ان لا يعرفن غيرك فافعل قال السمعاني

لا تأمنن على النساء ولو أخا * ما في الرجال على النساء أمين

ان الامين وان تحفظ جهده * لابد أن بنظرة سيخون

وقال غيره

لا تركنن الى النسا * ولا تثق بعهودهن

فرضاؤهن جميعهن معلق بفروجهن

وقال علي رضي الله عنه لا تطلعوا النساء على حال ولا تأمنوهن على مال ولا تذروهن الا لتدبير العيال ان تركن وما يردن أوردن المهالك وأفسدن الممالك ينسين الخير ويحفظن الشر يتهافتن في البهتان ويتمادين في الطغيان وقال أبو بكر رضي الله عنه ذل من اسند أمره الى امرأة وقيل ان صيادا أتى أبرويز بسمكة فأعجبه حسنها وسمنها فامر له بأربعة آلاف درهم فخطأته سيرين زوجته فقال لها ماذا أفعل فقالت له اذا جاءك فقل له أذكرا كانت أم أنثى فان قال لك ذكر فاطلب منه الانثى وان قال لك أنثى فاطلب منه الذكر فلما أتاه سأله فقال كانت أنثى فقال اتتني بذكرها فقال عمر الله الملك كانت بكرا لم تتزوج فقال زه وأمر له بثمانية آلاف درهم وقال اكتبوا في الحكمة الغدر وطاوعة النساء يؤديان الى الغرم الثقيل وقال حكيم اعص النساء وهواك وافعل ما شئت وقال عمر رضي الله عنه أكثروا لهن من قول لا فان نعم تغريهن على المسئلة وقال استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر (ومما قيل في الباءة) ذكر الجماع عند الامام مالك بن أنس رضي الله عنه قال هو نور وجهك ومع ساقك فأقلل منه أو أكثر وقال معاوية رضي الله عنه ما رأيت نهما في النساء الا عرفت ذلك في وجهه وخلا غلام بجارية له فعجز عنها فقال ما أوسع حرك فانشأت تقول

أنت الفداء لمن قد كان يملؤه * ويشتكي الضيق منه حين يلقاه

وقال آخر

شفاء الحب تقبيل ولمس * وسحب بالبطون على البطون

ورهز تذرف العينان منه * وأخذ بالمناكب والقرون

وقالت امرأة من أهل الكوفة دخلت على عائشة بنت طلحة فسألت عنها فقيل هي مع زوجها في القيطون فسمعت شهيقا وشخيرا لم أسمع مثله ثم خرجت الي وجبينها يتصبب عرقا

فقلت لها ماظننت حرة تفعل هذا بنفسها فقالت ان الخيل تشرب بالصفير وعاتبت امرأة زوجها على قلة اتيانه افأجابها يقول

أنا شيخ ولى امرأة عجوز * تراودنى على مالا يجوز
وقالت رق أيرك مذ كبرنا * فقلت بلى قد اتسع القفيز

وكان لرجل امرأة تخاصمه وكلما خاصمته قام اليها فواقعها فقالت ويحك كلما تخاصمنى تأتينى بشفيع لا أقدر على رده وأتى رجل الى على بن أبى طالب رضى الله عنه وقال ان لى امرأة كلما غشيتها تقول قتلتنى فقال اقتلها بهذه القتلة وعلى اثمها وقالوا من قل جماعه فهو أصح بدنا وأنقى جلدا وأطول عمرا ويعتبر ذلك بذكور الحيوان وذلك أنه ليس فى الحيوان أطول أعمارا من البغال ولا أقصر أعمارا من العصافير وهى أكثرها سفادا والله تعالى أعلم بالصواب

(الفصل الخامس فى الطلاق وماجاء فيه) عن عبد الرحمن بن محمد ابن أخى الاصمعى قال قال عمى للرشيد فى بعض حديثه ياأمير المؤمنين بلغنى أن رجلا من العرب طلق فى يوم واحد خمس نسوة قال وكيف ذلك وانما لايجوز للرجل غير أربعة قال ياأمير المؤمنين كان متزوجا بأربعة فدخل عليهن يوما فوجدهن متنازعات وكان شريرا فقال الى متى هذا النزاع ماأظن هذا الامن قبلك يافلانة لامرأة منهن اذهبى فأنت طالق فقالت له صاحبتها عجلت عليها بالطلاق ولو أدبتها بغير ذلك لكان أصلح فقال لها وأنت أيضا طالق فقالت له الثالثة قبحك الله فوالله لقد كانتا اليك محسنتين فقال لها وأنت أيضا أيتها المعددة أياديهما طالق فقالت الرابعة وكانت هلالية ضاق صدرك الا أن تؤدب نساءك بالطلاق فقال لها وانت طالق أيضا فسمعته جارة له فأشرفت عليه وقالت له والله ماشهدت العرب عليك ولا على قومك بالضعف الالما بلوه منكم ووجدوه فيكم أبيت الا طلاق نسائك فى ساعة واحدة فقال وأنت أيتها المتكلمة فيما لايعنيك طالق ان أجازنى بعلك فأجابه زوجها قد أجزت ذلك فعجب الرشيد من ذلك وطلق رجل امرأته فلما أرادت الارتحال قال لها اسمعى وليسمع من حضر أنى والله اعتمدتك برغبة وعاشرتك بمحبة ولم أجد منك زلة ولم يدخلنى عنك ملة ولكن القضاء كان غالبا فقالت المرأة جزيت من صاحب ومصحوب خيرا فما استقللت خيرك ولا شكوت ضيرك ولا تمنيت غيرك ولا أجد لك فى الرجال شبيها وليس لقضاء الله مدفع ولا من حكمه علينا ممنع وقال رجل لابن عباس رضى الله عنه ماتقول فى رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء فقال يكفيه من ذلك عدد نجوم الجوزاء (ذكر من طلق امرأته فتبعتها نفسه) قال الهيثم بن عدى كانت تحت ابن العريان بن الاسود بنت عم له فطلقها فتبعتها نفسه فكتب اليها يعرض لها بالرجوع فكتبت اليه تقول

ان كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلا * ان الغزال الذى ضيعت مشغول

فكتب اليها يقول

ان كان ذا شغل فالله يكلؤه * فقد لهونا به والحبل موصول

وقد قضينا من استطرافه وطرا * وفى الليالى وفى أيامها طول

وطلق الوليد بن يزيد زوجته سعدى فلما تزوجت اشتد ذلك عليه وندم على ما كان منه فدخل عليه أشعب فقال له هل لك أن تبلغ سعدى عنى رسالة ولك عشرة آلاف درهم قال أقبضنيها فأمر له بها فلما قبضها قال له هات رسالتك قال ائتها فأنشدها

اسعدى هل اليك لنا سبيل * ولا حتى القيامة من تلاق

بلى ولعل دهرا أن يؤاتى * بموت من خليلك أو فراق

قال فأتاها أشعب فاستأذن عليها فأذنت له فدخل فقالت له ما بدا لك فى زيارتنا يا أشعب فقال يا سيدتى أرسلنى اليك الوليد برسالة ثم أنشدها الشعر فقالت لجواريها عليكن بهذا الخبيث فقال يا سيدتى انه دفع الى عشرة آلاف درهم فهى لك وأعتقينى لوجه الله فقالت والله لأعتقنك أو تبلغ اليه ما أقول لك قال يا سيدتى فاجعلى لى جعلا قالت لك بساطى هذا قال قومى عنه فقامت فأخذه وألقاه على ظهره وقال هاتى رسالتك فقالت

أتبكى على سعدى وأنت تركتها * فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع

فلما بلغه الرسالة ضاقت عليه الارض بما رحبت وأخذته كظمة فقال لاشعب اخترمنى احدى ثلاث اما أن أقتلك واما أن أطرحك من هذا القصر واما ان ألقيك الى هذه السباع فتفترسك فتحير أشعب وأطرق مليا ثم قال يا سيدى ما كنت لتعذب عينا نظرت الى سعدى فتبسم وخلى سبيله ومن طلق امرأته فتبعتها نفسه الفرزدق الشاعر طلق النوار ثم ندم على طلاقها وقال

ندمت ندامة الكسعى لما * غدت منى مطلقة نوار

فأصبحت الغداة ألوم نفسى * بأمر ليس لى فيه اختيار

وكانت جنتى فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار

ولو أنى ملكت بها يمينى * لكان على للقدر الخيار

وممن طلق امرأته فتبعتها نفسه فندم قيس بن ذريح وكان أبوه أمره بطلاقها فطلقها وندم على ذلك فأنشد يقول

فنى صبرى وعاودونى رداعى * وكان فراق لبنى كالخداع

تكنفنى الوشاة فأزعجونى * فيا للناس للواشى المطاع

فأصبحت الغداة ألوم نفسى * على أمر وليس بمستطاع

كمغبون يعض على يديه * تبين غبنه عند البياع

وحدث العتبى قال جاء رجل بامرأة كأنها برج من فضة الى عبد الرحمن بن الحكم وهو على الكوفة فقال ان امرأتى هذه شجتنى فسألها عبد الرحمن فقالت نعم يا مولاى غير متعمدة لذلك كنت أعالج طيبا فوقع الفهر من يدى على رأسه وليس عندى علم ولا يقوى بدنى على القصاص فقال للرجل علام تمسكها وقد فعلت بك ما أرى فقال يا مولاى ان صداقها

على

على أربعة آلاف درهم ولا تطيب نفسي بفراقها قال فان أعطيتك الاربعة آلاف درهم تفارقها قال نعم قال هي لك قال فهي اذن طالق فقال لها عبد الرحمن احتبسي علينا نفسك وانشأ يقول

ياشيخ ياشيخ من دلالك بالغزل * قد كنت ياشيخ عن هذا بمعتزل
رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها * فاعمد لنفسك نحو القرح الذلل

والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والسبعون في تحريم الخمر وذمها والنهي عنها)

قد أنزل الله تعالى في الخمر ثلاث آيات الاولى قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الآية فكان من المسلمين من شارب ومن تارك الى أن شرب رجل فدخل في الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر رضي الله عنه فأخذ بلحي بعير وشج به رأس عبد الرحمن بن عوف ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الاسود بن يعفر يقول

وكائن بالقليب قليب بدر * من الفتيان والعرب الكرام
أيوعدني ابن كبشة أن سنحيا * وكيف حياة أصداء وهام
أيعجز أن يرد الموت عني * وينشرني اذا بليت عظامي
ألا من مبلغ الرحمن عني * باني تارك شهر الصيام
فقل لله يمنعني شرابي * وقل لله يمنعني طعامي *

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مغضبا يجر رداءه فرفع شيأ كان في يده فضربه به فقال أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فأنزل الله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا انتهينا ومن الاخبار المتفق عليها في تحريمها قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة مدمن خمر وقوله صلى الله عليه وسلم أول مانهاني ربي بعد عبادة الاوثان عن شرب الخمر وملاحاة الرجال وممن تركها في الجاهلية عبد الله بن جدعان وكان جوادا من سادات قريش وذلك انه شرب مع أمية بن أبي الصلت الثقفي فضربه على عينه فاصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهاب فقال له عبد الله مابال عينك فسكت فألح عليه فقال ألست ضاربها بالامس فقال أو بلغ مني الشراب ماأبلغ معه الى هذا الا أشربها بعد اليوم ثم دفع له عشرة آلاف درهم وقال الخمر على حرام لاأذوقها بعد اليوم أبدا وممن حرمها في الجاهلية أيضا قيس بن عاصم وذلك انه سكر ذات ليلة فقام لابنته أو لاخته فهربت منه فلما أصبح سأل عنها فقيل له أوما علمت ماصنعت البارحة فاخبر بالقصة فحرم الخمر على نفسه وممن حرمها في الجاهلية أيضا العباس بن مرداس وقيس بن عاصم وذلك ان قيسا شرب ذات ليلة فجعل يتناول القمر

ويقول والله لا أبرح حتى أنزله ثم يثب الوثبة بعد الوثبة و يقع على وجهه فلما أصبح وفاق قال مالى هكذا فاخبروه بالقصة فقال والله لا أشربها أبدا وقيل للعباس بن مرداس لم تركت الشراب وهو يزيد فى سماحتك فقال أكره أن أصبح سيد قومى وأمسى سفيههم ودخل نصيب على عبد الملك بن مروان فانشده فأعجبه انشاده وشعره ووصله ثم دعا بالطعام فطعم منه فقال له عبد الملك يانصيب هل لك فيما ينادم عليه قال ياأمير المؤمنين جلدى اسود وخلقى مشوه ووجهى قبيح وتكفينى مجالستك ومؤاكلتك ولم يوصلنى ذلك الاعقلى وانا أكره أن يدخل عليه ما ينقصه فاعجبه كلامه ووصله وقال الوليد بن عبد الملك للعجاج فى وفدة وفدها عليه هل لك فى الشراب فقال ياامير المؤمنين لاخلاف لما أمرت ولكن أنا أمنع أهل عملى منه وأكره أن امنعهم عن شئ ولا امتنع منه وقد قال الله تعالى وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وقال تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقيل لاعرابى لم لاتشرب النبيذ فقال لا أشرب مايشرب عقلى وقال الضحاك بن مزاحم لرجل ماتصنع بشرب النبيذ قال يهضم طعامى قال أما انه يهضم من دينك وعقلك أكثر وقال ابن أبى أوفى لقومه حين نهاهم عن الخمر

ألا يالقومى ليس فى الخمر رفعة * فلا تقربوا منها فلست بفاعل
فانى رأيت الخمر شينا ولم يزل * أخو الخمر دخالا لشر المنازل

وقال الحسن لو كان العقل يشترى لتغالى الناس فى ثمنه فالعجب ممن يشترى بماله مايفسده وقال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة والنساء حبائل الشيطان والخمر داعية الى كل شر وقال بعضهم

بلوت نبيذ الخمر فى كل بلدة * فليس لاخوان النبيذ حفائظ
اذا دارت الارطال أرضوك بالمنى * وان فقدوها فالوجوه غلائظ

وقال حكيم اياك واخوان النبيذ فبينما أنت متوج عندهم مخدوم مكرم معظم اذ زلت بك القدم فجرّوك على شوك السلم فاحفظ قول القائل فيه

وكل أناس يحفظون حريمهم * وليس لاصحاب النبيذ حريم
فان قلت هذا لم أقل عن جهالة * ولكننى بالفاسقين عليم

وللاعرج الطائى

تركت الشعر واستبدلت منه * اذا داعى صلاة الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك * وودعت المدامة والندامى

وقال الصفدى

دع الخمر فالراحات فى ترك راحها * وفى كأسها للمرء كسوة عار
وكم ألبست نفس الفتى بعد نورها * مدارع قار فى مدار عقار

(نكتة) اجتمع نصرانى ومحدث فى سفينة فصب النصرانى خمرا من زق كان معه فى شربة وشرب ثم صب فيها وعرض على المحدث فتناولها من غير فكر ولا مبالاة فقال النصرانى

جعلت فداك انما هى خمر قال من أين علمت أنها خمر قال اشتراها غلامى من يهودى وحلف انها خمر فشربها المحدث على عجل وقال للنصرانى يا أحمق نحن أصحاب الحديث نضعف مثل سفيان بن عيينه ويزيد بن هرون أفنصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودى والله ما شربتها الا لضعف الاسناد ومن المجون فى ذلك ما حكى ان سكرانا استلقى على طريق فجاء كلب فلحس شفتيه فقال خدمك بنوك ولا عدموك فبال على وجهه فقال وماء حارا أيضا بارك الله فيك وقيل حالة السكارى ثلاثة قرد حرك راسه فرقص وكلب هارش فنبح وحية زويت فنامت ومرعقال الناسك بعرداس بن خدام الاسدى فاستسقاه لبنا فصب له خمرا وعلاه بلبن فشربه وسكر ولم يتحرك ثلاثة أيام فقال

سقيت عقالا بالعشية شربة * فمالت بعقل الكاهلى عقالى
قرعت بأم الخل حبة قلبه * فلم ينتعش منها ثلاث ليال

ويقال الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور اللهم تب علينا وعلى العصاة والمذنبين برحمتك يا أرحم الراحمين آمين

الباب الخامس والسبعون فى المزح والنهى عنه وما جاء فى الترخيص فيه والبسط والتنعم وفيه فصول

(الفصل الاول فى النهى عن المزاح) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المزاح استدراج من الشيطان واختلاع من الهوى وعن على ما مزح أحد مزحة الامج الله من عقله مجة وعنه اياك أن تذكر من الكلام ما يكون مضحكا وان حكيت ذلك عن غيرك وكتب عمر رضى الله عنه الى عماله امنعوا الناس من المزاح فانه يذهب بالمروأة ويوغر الصدور وقال بعض الحكماء تجنب سوء المزح ونكد الهزل فانهما بابان اذا فتحا لم يغلقا الا بعد غم وقال آخر لكل شئ بذر وبذر العداوة المزاح وعن محمد بن المنكدر قال قالت لى أمى لا تمازح الصبيان تهن عندهم وخرج اعرابى بالليل فاذا بجارية جميلة فراودها فقالت امالك زاجر من عقلك اذا لم يكن لك واعظ من دينك فقال والله ما يرانا الا الكواكب فقالت له يا هذا وأين مكوكبها فأخجله كلامها فقال لها انما كنت مازحا فقالت

* فاياك اياك المزاح فانه * يجرى عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورث بعد العز صاحبه ذلا

وقال الاحنف كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزاح تذهب المروأة ومن لزم شيأ عرف به ومما روى عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم كانوا يتحادثون ويتناشدون الاشعار فاذا جاء ذكر الله انقلبت حماليقهم كأنهم لم يعرفوا أحدا

(الفصل الثانى فيما جاء فى الترخيص فى المزاح والبسط والتنعم) لا باس بالمزح مالم يكن سفها والله تعالى وعد فى اللمم بالتجاوز والعفو فقال الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقيل ان يحيى بن زكريا لقى عيسى عليه السلام فقال مالى

أراك لاهيا كأنك آمن فقال له عيسى مالي أراك عابسا كأنك آيس فقال لا نبرح حتى ينزل علينا الوحي فأوحى الله اليهما ان أحبكما الى أحسنكما ظنا بي وروى ان أحبكما الى الطلق البسام وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجارية خلقني خالق الخير وخلقك خالق الشر فبكت الجارية فقال عمر لا بأس عليك فان الله تعالى خالق الخير والشر قال الشاعر

ان الصديق يريد بسطك مازحا * فاذا رأى منك الملالة يقصر

وترى العدو اذا تيقن أنه * يؤذيك بالمزح العنيف يكثر

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا فمن مزحه صلى الله عليه وسلم أنه جاءه رجل فقال يا رسول الله احملني على جمل فقال عليه السلام لا أحملك الا على ولد الناقة فقال يا رسول الله انه لا يطيقني فقال له الناس ويحك وهل الجمل الا ولد الناقة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الانصار الحقي زوجك ففي عينيه بياض فسعت الى زوجها مرعوبة فقال لها ما دهاك قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي ان في عينيك بياضا فقال نعم والله وسوادا وأتته أيضا عجوز أنصارية فقالت يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال لها يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المرأة تبكي فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لها أما قرأت قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها سابقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما كثر لحمي سابقته فسبقني فضرب بكتفي وقال هذه بتلك وعنها أيضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل وأنا ألعب مع صويحباتي ولا يعيب علي وسئل النخعي هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي وكان نعيمان الصحابي من أولع الناس بالمزاح والضحك قيل انه يدخل الجنة وهو يضحك فمن مزحه أنه مر يوما بمخرمة ابن نوفل الزهري وهو ضرير فقال له قدني حتى أبول فاخذ بيده حتى أتى به الى المسجد فأجلسه في مؤخره فصاح به الناس انك في المسجد فقال من قادني قالوا نعيمان قال لله علي نذر أن أضربه بعصاي هذه ان وجدته فبلغ ذلك نعيمان فجاء اليه وقال له يا أبا المنور هل لك في نعيمان قال نعم قال ها هو قائم يصلي وأخذ بيده وجاء به الى عثمان بن عفان وهو يصلي وقال هذا نعيمان فعلاه بعصاه فصاح الناس أمير المؤمنين فقال من قادني قالوا نعيمان فقال والله لا تعرضت له بسوء بعدها وقال عطاء بن السائب كان سعيد بن جبير يقص علينا حتى يبكينا وربما لم يقم حتى يضحكنا وكان رجل يسمى تاج الوعظ يعظ الناس ويقص عليهم حتى يبكيهم ثم لم يقم حتى يضحكهم ويبسط آمالهم فمن لطائفه انه حكى يوما بعد ما فرغ من ميعاده قال سمعت الناس يتكلمون في التصحيف وكنت لا أعرفه فوقع في قلبي أن أتعلمه فدخلت في سوق الكتبية واشتريت كتابا في التصحيف فاول ما تصفحته وجدت فيه سكباج تصحيفه شك تاج فرميت الكتاب من يدي وحلفت اني لا أشتغل به أبدا فضحك

الناس حتى غشى عليهم ودخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان فوجده يتأوه فقال يا أمير المؤمنين لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب ويباسطك استرحت فقال لست بصاحب لهو فقال ما الذى تشكوه يا أمير المؤمنين قال هاج بى عرق النسا فى ليلتى هذه فبلغ منى ما ترى فقال ان بديحا مولاى أرقى الخلق منه فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال له عبد الملك يا بديح ارق رجلى فقال يا مولاى أنا أرقى الناس لها ثم وضع يده عليها وجعل يقول ما لا يسمع فقال عبد الملك قد وجدت راحة بهذه الرقية أين فلانة ائتونى بها تكتبها لئلا يهيج بى الوجع بالليل فقال بديح الطلاق يلزمه ما أكتبها الا بتعجيل جائزتى فأمر له بأربعة آلاف درهم فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما أكتبها حتى تحمل جائزتى الى بيتى قال تحمل فحملت فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما رقيت رجلك الا مباسطة بقول نصيب حيث قال

ألا ان ليلى العامرية أصبحت * على البعد منى ذنب غيرى تنقم

فقال ويلك ما تقول فقال الطلاق يلزمه ما رقيتك الا بها فقال اكتبها على فقال كيف وقد سارت بها الركبان الى أخيك بمصر فضحك حتى فحص برجليه وأعجبه هذا البسط وروى أن ابن سيرين كان ينشد قول الشاعر

أنبئت ان فتاة كنت أخطبها * عرقوبها مثل شهر الصوم فى الطول

ثم يضحك حتى يسيل لعابه (ومما جاء فى الشطرنج واللعب به والنهى عنه والترخيص فيه) اما النهى عنه فقد قيل ان عليا كرم الله وجهه مر بقوم يلعبون بالشطرنج فقال لهم ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون وكان أبو القاسم الكسروى يقول لا ترى شطرنجيا غنيا الا بخيلا ولا فقيرا الا طفيليا ولا تسمع نادرة باردة الا على الشطرنج واحتضر شطرنجى فصار يقول شاه مات شاه مات مكان الشهادتين حتى مات وأما الترخيص فيه فقد سئل الشعبى عن اللعب بالشطرنج فقال لا بأس به اذا لم يكن هناك تقامر وتبادل وقال بعضهم كنا فى السجن مع ابن سيرين فكان يرانا ونحن نلعب بالشطرنج فيقوم فيأتى ويقول ارفع الفرس ارفع كذا افعل كذا ولا يعيب علينا وعن سعيد بن المسيب قال كنت ألعب بالشطرنج مع صديقى فى بيته حين خفت الحجاج ومما قيل لعلى بن الجهم فى الشطرنج وقيل للمأمون

أرض مربعة حمراء من أدم * ما بين حرين معروفين بالكرم
تذكرا الحرب فاحتالا لها فطنا * من غير أن يأثما فيها بسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على * هذا يغير وعين الحزم لم تنم
فانظر الى همم جاشت بمعركة * فى عسكرين بلا طبل ولا علم

قالوا ان سبب وضع الشطرنج ان ملوك الهند ما كانوا يرون بقتال فاذا تنازع ملكان فى كورة أو مملكة تلاعبا بالشطرنج فيأخذها الغالب من غير قتال وقيل انه كان لبعض ملوك الفرس شطرنج من ياقوت أحمر وأصفر القطعة منه بثلاثة آلاف دينار (ومما جاء فى لعب الغلمان) ما حكى ان غلمانا من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة وأسقف البحرين

قاعد فوقعت الاكرة على صدره فأخذها فجعلوا يطلبونها منه فأبى فقال غلام منهم سألتك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الارددتها علينا فأبى لعنه الله وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلوا عليه بصوالجهم فمازالوا يخبطونه حتى مات لعنة الله عليه فرفع ذلك الى عمر رضى الله عنه فوالله مافرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلمان لذلك الاسقف وقال الآن عز الاسلام ان أطفالا صغارا شتم نبيهم فغضبوا له وانتصروا وأهدر دم الاسقف والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السادس والسبعون فى النوادر وفيه فصول)

(الفصل الاول من هذا الباب فى نوادر العرب) خرج المهدى يتصيد فعار به فرسه حتى وقع فى خباء أعرابى فقال يا أعرابى هل من قرى فأخرج له قرص شعير فأكله ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم أتاه بنبيذ فى ركوة فسقاه فلما شرب قال أتدرى من انا قال لا قال أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال بارك الله لك فى موضعك ثم سقاه مرة أخرى فشرب فقال يا أعرابى أتدرى من أنا قال زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال لا أنا من قواد أمير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه الثالثة فلما فرغ قال يا أعرابى أتدرى من أنا قال زعمت انك من قواد أمير المؤمنين قال لا ولكنى أمير المؤمنين قال فأخذ الاعرابى الركوة فوكأها وقال اليك عنى فوالله لو شربت الرابعة لادعيت أنك رسول الله فضحك المهدى حتى غشى عليه ثم أحاطت به الخيل ونزلت اليه الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابى فقال له لا بأس عليك ولا خوف ثم أمر له بكسوة ومال جزيل ووجد أعرابى يأكل ويتغوط ويفلى ثوبه فقيل له فى ذلك فقال أخرج عتيقا وأدخل جديدا وأقتل عدوا وقيل لبعض الاعراب ان شهر رمضان قدم فقال والله لابددنه بالاسفار وسمع أعرابى قارئا يقرأ القرآن حتى أتى على قوله تعالى الاعراب أشد كفرا ونفاقا فقال لقد هجانا ثم بعد ذلك سمعه يقرأ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال لا بأس هجا ومدح هذا كما قال شاعرنا

هجوت زهيرا ثم انى مدحته * ومازالت الاشراف تهجى وتمدح

وحضر أعرابى على مائدة يزيد بن مزيد فقال لاصحابه أفرجوا لاخيكم فقال الاعرابى لا حاجة لى بافراجكم ان أطنابى طوال يعنى سواعده فلما مد يده ضرط فضحك يزيد فقال يا أخا العرب أظن ان طنبا من أطنابك قد انقطع وروى أعرابى يغطس فى البحر ومعه خيط وكلما غطس غطسة عقد عقدة فقيل له ما هذا قال جنابات الشتاء أقضيها فى الصيف وسرق أعرابى غاشية من على سرج ثم دخل المسجد يصلى فقرأ الامام هل أتاك حديث الغاشية فقال يا فقيه لا تدخل فى الفضول فلما قرأ وجوه يومئذ خاشعة قال خذوا غاشيتكم ولا يخشع وجهى لا بارك الله لكم فيها ثم رماها من يده وخرج وحضر أعرابى مجلس قوم فتذاكروا قيام الليل فقيل له يا أبا امامة اتقوم الليل فقال نعم قالوا ما تصنع قال أبول وأرجع أنام وسرق اعرابى صرة فيها دراهم ثم دخل المسجد يصلى وكان اسمه موسى فقرأ الامام وما تلك بيمينك يا موسى فقال الاعرابى والله انك لساحر ثم رمى الصرة وخرج (وحكى) الاصمعى

قال ضلت لى ابل فخرجت فى طلبها وكان البرد شديدا فالتجأت الى حى من أحياء العرب واذا بجماعة يصلون وبقربهم شيخ ملتف بكساء وهو يرتعد من البرد وينشد

ايارب ان البرد أصبح كالحا * وأنت بحالى ياالهى أعلم
فان كنت يوما فى جهنم مدخلى * ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم

قال الاصمعى فتعجبت من فصاحته وقلت له ياشيخ أما تستحى تقطع الصلاة وأنت شيخ كبير فأنشد يقول

أيطمع ربى أن أصلى عاريا * ويكسو غيرى كسوة البرد والحر
فوالله لاصليت ماعشت عاريا * عشاء ولا وقت المغيب ولا الوتر
ولا الصبح الا يوم شمس دفيئة * وان غيمت فالويل للظهر والعصر
وان يكسنى ربى قميصا وجبة * أصلى له مهما أعيش من العمر

قال فاعجبنى شعره وفصاحته فنزعت قميصا وجبة كانا على ودفعتهما اليه وقلت له البسهما وقم فصل فاستقبل القبلة وصلى جالسا وجعل يقول

اليك اعتذارى من صلاتى جالسا * على غير طهر مومئا نحو قبلتى
فمالى ببرد الماء يارب طاقة * ورجلاى لاتقوى على ثنى ركبتى
ولكننى أستغفر الله شاتيا * وأقضيكها يارب فى وجه صيفتى
وان أنالم أفعل فأنت محكم * بما شئت من صفعى ومن نتف لحيتى

قال فعجبت من فصاحته وضحكت عليه وانصرفت * وصلى اعرابى مع قوم فقرأ الامام قل أرأيتم ان أهلكنى الله ومن معى أو رحمنا فقال الاعرابى أهلكك الله وحدك ايش كان ذنب الذين معك فقطع القوم الصلاة من شدة الضحك * وقيل دخلت أعرابية على قوم يصلون فقرأ الامام فانكحوا ماطاب لكم من النساء وجعل يرددها فجعلت الاعرابية تغدو وهى هاربة حتى جاءت لاختها فقالت يا أختاه مازال الامام يامرهم أن ينكحونا حتى خشيت أن يقعوا على * وصلى اعرابى خلف امام فقرأ الامام ألم نهلك الاولين وكان فى الصف الاول فتأخر الى الصف الآخر فقرأ ثم نتبعهم الآخرين فتأخر فقرأ كذلك نفعل بالمجرمين وكان اسم البدوى مجرما فترك الصلاة وخرج هاربا وهو يقول والله ما المطلوب غيرى فوجده بعض الاعراب فقال له مالك يامجرم فقال ان الامام أهلك الاولين والآخرين وأراد أن يهلكنى فى الجملة والله لارأيته بعد اليوم * وجلس بعض الاعراب يشرب مع ندمائه فاحتاج الى بيت الخلاء فدلوه عليه فلما دخل جعل يضرط ضراطا شنيعا فضحكوا عليه فأنشد يقول

اذا ماخلا الانسان فى بيت غائط * تراخت بلاشك مصاريع فقحته
فمن كان ذا عقل فيعذر ضارطا * ومن كان ذا جهل ففى وسط لحيته

*وكان لسابور ملك فارس نديم مضحك يسمى مرزبان فظهر له من الملك جفوة فلما زاد ذلك عليه تعلم نبيح الكلاب وعوى الذئاب ونهيق الحمير وصهيل الخيل وصوت البغال ثم احتال حتى دخل موضعا بقرب خلوة الملك وأخفى أمره فلما خلا الملك بنفسه نبح نبيح الكلاب فلم يشك

الملك فى انه كلب فقال انظروا ماهذا فعوى عوى الذئاب فنزل الملك عن سريره فنهق نهيق الحمير فضى الملك هاربا ومضت الغلمان يتبعون الصوت فلما دنوا منه صهل صهيل الخيل فاقتحموا عليه وأخرجوه عريانا فلما وصلوا به الى الملك ورآه مرزبان ضحك الملك ضحكا شديدا وقال له ماحملك على ماصنعت قال ان الله عز وجل مسخنى كلبا وذئبا وحمارا وفرسا لما غضب على الملك قال فأمر الملك أن يخلع عليه وأن يرد الى مرتبته الاولى * ومن الملح قول بعض الشعراء

أيا من فاق حسنا واعتدالا * وولج فى عطيته الشبابا
أما فى مال رفدك من زكاة * فتدخل فيه لى هذا النصابا

(وحكى) الاصمعى أن عجوزا من الاعراب جلست فى طريق مكة الى فتيان يشربون نبيذا فسقوها قدحا فطابت نفسها فتبسمت فسقوها قدحا آخر فاحمر وجهها وضحكت فسقوها ثالثا فقالت خبرونى عن نسائكم بالعراق أيشربن النبيذ قالوا نعم قالت زنين ورب الكعبة والله ان صدقتم مافيكم من يعرف أباه وصلى أعرابى خلف امام فقرأ انا أرسلنا نوحا الى قومه ثم وقف وجعل يرددها فقال الاعرابى أرسل غيره يرحمك الله وأرحنا وأرح نفسك وصلى آخر خلف امام يقرأ فلن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى ووقف وجعل يرددها فقال الاعرابى يافقيه اذا لم يأذن لك أبوك فى هذا الليل نظل نحن وقوفا الى الصباح ثم تركه وانصرف ولزم أعرابى سفيان بن عيينة مدة يسمع منه الحديث فلما أن جاء ليسافر قال له سفيان ياأعرابى ماأعجبك من حديثنا قال ثلاثة أحاديث حديث عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يحب الحلوى والعسل وحديثه عليه الصلاة والسلام اذا وضع العشاء وحضرت الصلاة فابدؤا بالصلاة وحديث عائشة عنه أيضا ليس من البر الصوم فى السفر وقيل لاعرابية ماصفة الابر عندكم قالت عصبة ينفخ فيها الشيطان فلا يرد أمرها وانفرد الرشيد وعيسى بن جعفر ومعه الفضل بن يحيى فاذا هو بشيخ من الاعراب على حمار وهو رطب العينين فقال له الفضل هل أدلك على دواء لعينيك قال ماأحوجنى الى ذلك قال خذ عيدان الهواء وغبار الماء فصيره فى قشر بيض الذر واكتحل به ينفعك فانحنى الشيخ وضرط ضرطة قوية وقال خذ هذه فى لحيتك اجرة وصفتك وان زدت زدناك فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهر دابته وخرج معن بن زائدة فى جماعة من خواصه للصيد فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا فى طلبه وانفرد معن خلف ظبى حتى انقطع عن أصحابه فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شيخا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه فقال من أين والى أين قال أتيت من أرض لى لها عشرون سنة مجدبة وقد أخصبت فى هذه السنة فزرعتها مقثأة فطرحت فى غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته وقصدت به معن بن زائدة لكرمه المشكور * وفضله المشهور * ومعروفه المأثور * واحسانه الموفور * قال وكم أملت منه قال ألف دينار قال فان قال لك كثير قال خمسمائة قال فان قال لك كثير قال ثلثمائة قال فان قال لك كثير قال مائة قال فان قال لك كثير قال خمسين قال فان قال لك كثير قال فلا أقل من الثلاثين قال فان قال لك كثير قال

ادخل قوائم حمارى فى حرامه وأرجع الى أهلى خائبا فضحك معن منه وساق جواده حتى لحق بأصحابه ونزل فى منزله وقال لحاجبه اذا أتاك شيخ على حمار بقثاء فادخله على فأتى بعد ساعة فلما دخل عليه لم يعرفه لهيبته وجلالته وكثرة حشمه وخدمه وهو متصدر فى دسته والخدم والحفدة قيام عن يمينه وشماله وبين يديه فلما سلم عليه قال ما الذى أتى بك أخا العرب قال أملت الامير وأتيته بقثاء فى غير أوان فقال كم أملت فينا قال ألف دينار قال كثير فقال والله لقد كان ذلك الرجل ميشوماً على ثم قال خمسمائة دينار قال كثير فما زال الى أن قال خمسين دينارا فقال له كثير فقال لا أقل من الثلاثين فضحك معن فعلم الاعرابى أنه صاحبه فقال ياسيدى ان لم تجب الى الثلاثين فالحمار مربوط بالباب وهامعن جالس فضحك معن حتى استلقى على فراشه ثم دعا بوكيله فقال أعطه ألف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائة دينار وخمسين دينارا وثلاثين دينارا ودع الحمار مكانه فتسلم الاعرابى المال وانصرف

(الفصل الثانى فى نوادر القراء والفقهاء) عن محمد بن عبد الله قال كنا فى دهليز عثمان بن شيبة نخرج الينا فقال ن والقلم فى أى سورة ومر بعضهم بقارئ يقرأ الم غلبت الترك فى أدنى الارض. فقال له الروم فقال له كلهم أعداؤنا قاتلهم الله وكان جماعة يجلسون الى أبى العيناء وفيهم رجل لا يتكلم فقيل له يوما كيف علمك بكتاب الله قال أنا عالم به فقيل له هذه الآية فى أى سورة الحمد لله لاشريك له فقال له فى سورة الحمد فضحكوا عليه وجاء رجل الى فقيه فقال أفطرت يوما فى رمضان فقال اقض يوما مكانه قال قضيت وأتيت أهلى وقد عملوا مأمونية فسبقتنى يدى اليها فأكلت منها فقال اقض يوما آخر مكانه قال قضيت وأتيت أهلى وقد عملوا هريسة فسبقتنى يدى اليها فقال أرى أن لا تصوم الا ويدك مغلولة الى عنقك وجاء رجل الى بعض الفقهاء فقال له أنا أعبد الله على مذهب ابن حنبل وانى توضأت وصليت فبينما أنا فى الصلاة اذ أحسست ببلل فى سراويلى يتلزق فشممته فاذا رائحته كريهة خبيثة قال الفقيه عافاك الله خربت بإجماع المذاهب وجاء رجل الى فقيه قال أنا رجل أفسو فى ثيابى حتى تفوح روائحى فهل يجوز لى أن أصلى فى ثيابى قال نعم لكن لا كثر الله فى المسلمين مثلك وقع بين الاعمش وبين امرأته وحشة فسأل بعض أصحابه من الفقهاء أن يرضيها ويصلح بينهما فدخل اليها وقال ان أبا محمد شيخ كبير فلا يزهدنك فيه عمش عينيه * ودقة ساقيه * وضعف ركبتيه * ونتن ابطيه * وبخر فيه * وجمود كفيه * فقال له الاعمش قم قبحك الله فقد أريتها من عيوبى مالم تكن تعرفه وسكن بعض الفقهاء فى بيت سقفه يقرقع فى كل وقت فجاءه صاحب البيت يطلب الاجرة فقال له أصلح السقف فانه يقرقع قال لا تخف فانه يسبح الله تعالى قال أخشى أن تدركه رقة فيسجد

(الفصل الثالث فى نوادر القضاة) كان لبعض القضاة بغلة فقرأ يوما فى المصحف وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها فقال لغلامه أطلق البغلة ورزقها على الله فصارت البغلة تدور لاسواق والأزقة وتأكل قشور الباذنجان وقشور الرمان وقشور البطيخ وقمامات الطريق

فماتت فأمر الغلام باحضار المشاعلية ليحملوها الظاهر المدينة فاحضرهم فطلبوا من القاضي عشرة دراهم أجرة حملها وقالوا ليس لنا شئ نرتزق منه الامن مثل هذا وسيدنا رجل غني وله أشياء كثيرة العدالة والتزويج والعقود والوراقة والسجن والاطلاق وجامكية الحكم وأجرة اليمين والتدريس والاوقاف فقال لهم القاضي ألمثلي يقال هذا وأنتم لكم اثناعشر بابا من المنافع منها الوسخ والزفر والهلع والولع وبيت النبذة وشركة النفوس وجباية الاسواق وحرق النار وسلب الشطار ولكم الصباح وثمن الاصلاح وماتر وحوا من هذه البغلة بلاشئ جلدها للدباغين وذنبها للغرابلية ومعرفتها للشعار وتطبيقتها للبيطار قال فتقدم أحدهم اليه وقال بحق من تاب عليك وردعاقبتك الى خير وأراحك من هذا المعاش تصدق علينا بشئ ولاتدعنا نروح بلاش تفسير هذه الالفاظ الزفر النساء الزانيات والوسخ المراحيض والهلع جباية الاسواق والولع القمار وبيت النبذة محل المزر وشركة النفوس كل من حمل ميتا ولحقوه قبل أن يخرج من باب البلد كانوا شركاءه وسلب الشطار كل من شنقوه لهم سلبه * وولى يحيى بن أكثم قاضيا على أهل جبلة فبلغه ان الرشيد انحدر الى البصرة فقال لاهل جبلة اذا اجتاز الرشيد فاذكروني عنده بخير فوعدوه بذلك فلما جاء الرشيد تقاعدوا عنه فسرح القاضي لحيته وكبر عمته وخرج فرأى الرشيد في الحراقة ومعه أبو يوسف القاضي فقال ياأمير المؤمنين نعم القاضي قاضي جبلة عدل فينا وفعل كذا وكذا وجعل يثني على نفسه فلما رآه أبو يوسف عرفه فضحك فقال له الرشيد مم تضحك فقال ياأمير المؤمنين المثني على القاضي هو القاضي فضحك الرشيد حتى فحص برجله الارض ثم أمر بعزله فعزل وأحضر رجل ولده الى القاضي فقال يامولانا ان ولدي هذا يشرب الخمر ولايصلي فأنكر ولده ذلك فقال أبوه ياسيدي أفتكون صلاة بغير قراءة فقال الولد اني اقرأ القرآن فقال له القاضي اقرأ حتى أسمع فقال

علق القلب الربابا * بعدماشابت وشابا

ان دين الله حق * لااري فيه ارتيابا

فقال ابوه انه لم يتعلم هذا الا البارحة سرق مصحف الجيران وحفظ هذا منه فقال القاضي وأنا الآخر احفظ آية منها وهي

فارحمي مضني كئيبا * قدرأى الهجرعذابا

ثم قال القاضي قاتلكم الله يتعلم أحدكم القرآن ولايعمل به وتقدم اثنان الى ابي صمصامة القاضي فادعى أحدهما على الآخر طنبورا فأنكر فقال للمدعي ألك بينة فقال لي شاهدان فأحضر رجلين شهدا له فقال المدعى عليه سلهما ياسيدي عن صناعتهما فاخبر أحدهما أنه نباذ وقال الآخر انه قواد فالتفت القاضي الى المدعى عليه وقال أتريد على طنبور أعدل من هذين ادفع اليه طنبوره وتحاكم الرشيد وزبيدة الى أبي يوسف القاضي في الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب فقال أبو يوسف أنا لاأحكم على غائب فامر الرشيد

باحضارهما وقدما بالايدى أبى يوسف فجعل يأكل من هذا مرة ومن هذا مرة حتى نصف الجامين ثم قال يا أمير المؤمنين ما رأيت أعدل منهما كلما أردت أن أحكم لاحدهما أتى الآخر بحجته واتى بعض المجان لبعض القضاة فقال ياسيدى ان امرأتى تحبانا فقال له القاضى طلقها فقال عشقانا فقال قودهانا وادعى رجل عند قاض على امرأة حسناء بدين فجعل القاضى يميل اليها بالحكم فقال الرجل أصلح الله القاضى حجتى أوضح من هذا النهار فقال له القاضى اسكت ياعدو الله فان الشمس أوضح من النهار قم لاحق لك عليها فقالت المرأة جزاك الله عن ضعفى خيرا فقد قويته فقال الرجل لاجزاك الله عن قوتى خيرا فقد أوهيتها ورفعت امرأة زوجها الى القاضى تبغى الفرقة وزعمت أنه يبول فى الفراش كل ليلة فقال الرجل للقاضى ياسيدى لاتعجل على حتى أقص عليك قصتى انى أرى فى منامى كانى فى جزيرة فى البحر وفيها قصر عالى وفوق القصر قبة عالية وفوق القبة جمل وأنا على ظهر الجمل وان الجمل يطاطئ برأسه ليشرب من البحر فاذا رأيت ذلك بلت من شدة الخوف فلما سمع القاضى ذلك بال فى فراشه وثيابه وقال ياهذه أنا قد أخذنى البول من هول حديثه فكيف بمن يرى الامر عيانا (وحكى) أن تاجرا عبر الى حمص فسمع مؤذنا يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن أهل حمص يشهدون أن محمدا رسول الله فقال والله لأمضين الى الامام وأسأله فجاء اليه فرآه قد أقام الصلاة وهو يصلى على رجل ورجله الاخرى ملوثة بالعذرة فمضى الى المحتسب ليخبره بهذا الخبر فسأل عنه فقيل انه فى الجامع الفلانى يبيع الخمر فمضى اليه فوجده جالسا وفى حجره مصحف وبين يديه باطية مملوأة خمرا وهو يحلف للناس بحق المصحف ان الخمرة صرف ليس فيها ماء وقد ازدحمت الناس عليه وهو يبيع فقال والله لأمضين الى القاضى وأخبره فجاء الى القاضى فدفع الباب فانفتح فوجد القاضى نائما على بطنه وعلى ظهره غلام يفعل فيه الفاحشة فقال التاجر قلب الله حمص فقال القاضى لم تقول هذا فأخبره بجميع ما رأى فقال ياجاهل أما المؤذن فان مؤذننا مرض فاستأجرنا يهوديا صيتا يؤذن مكانه فهو يقول ماسمعت وأما الامام فانهم لما أقاموا الصلاة خرج مسرعا فتلوثت رجله بالعذرة وضاق الوقت فأخرجها من الصلاة واعتمد على رجله الاخرى ولما فرغ غسلها وأما المحتسب فان ذلك الجامع ليس له وقف الا كرم وعنبه ما يؤكل فهو يعصره خمرا ويبيعه ويصرف ثمنه فى مصالح الجامع وأما الغلام الذى رأيته فان أباه مات وخلف مالا كثيرا وهو تحت الحجر وقد كبر وجاء جماعة شهدوا عندى أنه بلغ فأنا أمتحنه فخرج التاجر من البلد وحلف أنه لايعود اليها أبدا

(الفصل الرابع فى نوادر النحاة) وقف نحوى على بياع يبيع أرزا بعسل وبقلا بخل فقال بكم الأرز بالأعسل والأخلل بالأبقل فقال بالاصفع فى الاروس والاضرط فى الاذقن ووقع نحوى فى كنيف فجاءه كناس ليخرجه فصاح به الكناس ليعلم أهو حى أم لا فقال له النحوى اطلب لى حبلا دقيقا وشدنى شدا وثيقا واجذبنى جذبا رفيقا فقال الكناس امرأته طالق ان أخرجتك منه ثم تركه وانصرف وكان لبعضهم ولد نحوى يتقعر فى كلامه فاعتل أبوه علة شديدة أشرف منها على الموت فاجتمع عليه أولاده وقالوا له ندعو لك فلانا

أخانا قال لا ان جاءني قتلني فقالوا نحن نوصيه أن لا يتكلم فدعوه فلما دخل عليه قال له يا أبت قل لا اله الا الله تدخل بها الجنة وتفوز من النار يا أبت والله ما أشغلني عنك الا فلان فانه دعاني بالامس فأهرس وأعدس واستبذح وسكبج وطهيج وأفرج ودجج وأبصل وأمضر ولوزج وافلوذج فصاح أبوه غمضوني فقد سبق ابن الزانية ملك الموت الى قبض روحي وجاء نحوي يعود مريضا فطرق بابه فخرج اليه ولده فقال كيف وجدت أباك قال يا عم ورمت رجليه قال لا تلحن قل رجلاه ثم ماذا قال ثم وصل الورم الى ركبتاه قال لا تلحن قل الى ركبتيه ثم ماذا قال مات وأدخله الله في بظر عيالك وعيال سيبويه ونفطويه وحشويه ودعا بعضهم نحويا فقال ما الذي تشكوه قال حمى جاسية نارها حاميه منها الاعضاء واهيه والعظام باليه فقال له لا شفاك الله بعافيه ياليتها كانت القاضية

(الفصل الخامس في نوادر المعلمين) قال الجاحظ مررت بمعلم صبيان وعنده عصا طويلة وعصا قصيرة وصولجان وكرة وطبل وبوق فقلت ما هذه فقال عندي صغار أوباش فأقول لاحدهم اقرأ لوحك فيصفر لي بضرطة فأضربه بالعصا القصيرة فيتأخر فأضربه بالعصا الطويلة فيفر من بين يدي فاضع الكرة في الصولجان وأضربه فأشجه فتقوم الى الصغار كلهم بالالواح فأجعل الطبل في عنقي والبوق في في وأضرب الطبل وأنفخ في البوق فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون الي ويخلصوني منهم (وحكى) الجاحظ أيضا قال مررت على خربة فاذا بها معلم وهو ينبح نبيح الكلاب فوقفت انظر اليه واذا بصبي قد خرج من دار فقبض عليه المعلم وجعل يلطمه ويسبه فقلت عرفني خبره فقال هذا صبي لئيم يكره التعليم ويهرب ويدخل الدار ولا يخرج وله كلب يلعب به فاذا سمع صوتي ظن أنه صوت الكلب فيخرج فأمسكه وجاءت امرأة الى المعلم بولدها تشكوه فقال لها اما أن تنتهي والافعلت بأمك فقالت يا معلم هذا صبي ما ينفع فيه الكلام فافعل ما شئت لعله ينظر بعينه ويتوب فقام وفعل بها امام ولدها وقال الجاحظ رأيت معلما في الكتاب وحده فسألته فقال الصغار داخل الدرب يتصارعون فقلت أحب أن أراهم فقال ما أشير عليك بذلك فقلت لا بد قال فاذا جئت الى رأس الدرب اكشف رأسك لئلا يعتقدوك المعلم فيصفعونك حتى تعمى وقال بعضهم رأيت معلما وقد جاء صغيران يتماسكان فقال أحدهما هذا عض أذني فقال الآخر لا والله يا سيدنا هو الذي عض أذن نفسه فقال المعلم يا ابن الزانية هو كان جمل يعض اذن نفسه وقال بعضهم رأيت معلما وهو يصلي العصر فلما ركع أدخل رأسه بين رجليه ونظر الى الصغار وهم يلعبون وقال يا ابن البقال قد رأيت الذي عملت وسوف أكافئك اذا فرغت من الصلاة (وحكى) عن الجاحظ أنه قال ألفت كتابا في نوادر المعلمين وما هم عليه من التغفل ثم رجعت عن ذلك وعزمت على تقطيع ذلك الكتاب فدخلت يوما مدينة فوجدت فيها معلما في هيئة حسنة فسلمت عليه فرد علي أحسن رد ورحب بي فجلست عنده وباحثته في القرآن فاذا هو ماهر فيه ثم فاتحته في الفقه والنحو وعلم المعقول وأشعار العرب فاذا هو كامل الآداب فقلت هذا والله مما يقوي عزمي على تقطيع الكتاب

قال

قال فكنت اختلف اليه وأزوره فجئت يوما لزيارته فاذا باب الكتاب مغلق ولم أجده فسألت عنه فقيل مات له ميت فحزن عليه وجلس فى بيته للعزاء فذهبت الى بيته وطرقت الباب فخرجت الى جارية وقالت ماتريد قلت سيدك فدخلت وخرجت وقالت باسم الله فدخلت اليه واذا به جالس فقلت عظم الله أجرك لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة كل نفس ذائقة الموت فعليك بالصبر ثم قلت له هذا الذى توفى ولدك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فأخوك قال لا قلت فزوجتك قال لا فقلت وما هو منك قال حبيبتى فقلت فى نفسى هذه أول المناحس فقلت سبحان الله النساء كثير وستجد غيرها فقال أتظن أنى رأيتها قلت وهذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لم تر فقال اعلم انى كنت جالسا فى هذا المكان وانا أنظر من الطاق اذ رأيت رجلا عليه برد وهو يقول

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة * ردى على فؤادى أينما كانا

لا تأخذين فؤادى تلعبين به * فكيف يلعب بالانسان انسانا

فقلت فى نفسى لولا ان أم عمرو هذه ما فى الدنيا أحسن منها ما قيل فيها هذا الشعر فعشقتها فلما كان منذ يومين مر ذلك الرجل بعينه وهو يقول

لقد ذهب الحمار بأم عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت أنها ماتت فحزنت عليها وأغلقت المكتب وجلست فى الدار فقلت يا هذا انى كنت ألفت كتابا فى نوادركم معشر المعلمين وكنت حين صاحبتك عزمت على تقطيعه والآن قد قويت عزمى على ابقائه وأول ما أبدأ أبدأ بك ان شاء الله

(الفصل السادس فى نوادر المتنبئين) ادعى رجل النبوة فى أيام الرشيد فلما مثل بين يديه قال له ما الذى يقال عنك قال انى نبى كريم قال فأى شئ يدل على صدق دعواك قال سل عما شئت قال أريد أن تجعل هذه المماليك المرد القيام الساعة بلحى فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال كيف يحل أن أجعل هؤلاء المرد بلحى وأغير هذه الصور الحسنة وانما أجعل أصحاب هذه اللحى مردا فى لحظة واحدة فضحك منه الرشيد وعفا عنه وأمر له بصلة وتنبأ انسان فطالبوه بحضرة المأمون بمعجزة فقال أطرح لكم حصاة فى الماء فتذوب قالوا رضينا فأخرج حصاة معه وطرحها فى الماء فذابت فقالوا هذه حيلة ولكن نعطيك حصاة من عندنا ودعها تذوب فقال لستم أجل من فرعون ولا أنا أعظم حكمة من موسى ولم يقل فرعون لموسى لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندى تجعلها ثعبانا فضحك المأمون وأجازه وتنبأ رجل فى أيام المعتصم فلما حضر بين يديه قال أنت نبى قال نعم قال والى من بعثت قال اليك قال أشهد انك لسفيه أحمق قال انما يبعث الى كل قوم مثلهم فضحك المعتصم وأمر له بشئ وتنبأ رجل فى أيام المأمون وادعى أنه ابراهيم الخليل فقال له المأمون ان ابراهيم كانت له معجزات وبراهين قال وما براهينه قال أضرمت له نار وألقى فيها فصارت عليه بردا وسلاما ونحن نوقد لك نارا ونطرحك فيها فان كانت عليك كما كانت عليه آمنا بك قال أريد واحدة أخف من هذه قال فبراهين موسى قال وما براهينه قال ألقى عصاه فاذا هى حية تسعى

وضرب بها البحر فانفلق وأدخل يده في جيبه فأخرجها بيضاء قال وهذه علىّ أصعب من الاولى قال فبراهين عيسى قال وماهى قال احياء الموتى قال مكانك قد وصلت أنا أضرب رقبة القاضى يحيى بن أكثم وأحييه لكم الساعة فقال يحيى أنا أول من آمن بك وصدق وتنبا آخر فى زمن المأمون فقال المأمون أريد منك بطيخا فى هذه الساعة قال أمهلنى ثلاثة أيام قال ما أريده الا الساعة قال ما أنصفتنى يا أمير المؤمنين اذا كان الله تعالى الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ما يخرجه الا فى ثلاثة أشهر فما تصبر أنت على ثلاثة أيام فضحك منه ووصله وتنبا آخر فى زمن المأمون فلما مثل بين يديه قال له من أنت قال أنا أحمد النبىّ قال لقد ادعيت زورا فلما رأى الاعوان قد أحاطت به وهو ذاهب معهم قال يا أمير المؤمنين أنا أحمد النبىّ فهل تذمه أنت فضحك المأمون منه وخلى سبيله وتنبأ آخر فى زمن المتوكل فلما حضر بين يديه قال له أنت نبىّ قال نعم قال فما الدليل على صحة نبوتك قال القرآن العزيز يشهد بنبوتى فى قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح وأنا اسمى نصر الله قال فما معجزتك قال ائتونى بامرأة عاقر أنكحها تحبل بولد يتكلم فى الساعة ويؤمن بى فقال المتوكل لوزيره الحسن بن عيسى اعطه زوجتك حتى تبصر كرامته فقال الوزير أما أنا فأشهد أنه نبىّ الله وانما يعطى زوجته من لا يؤمن به فضحك المتوكل وأطلقه وادعى رجل النبوة فى زمن خالد بن عبد الله القسرى وعارض القرآن فأتى به الى خالد فقال له ما تقول قال عارضت القرآن قال بماذا قال قال الله تعالى انا أعطيناك الكوثر الآية وقلت انا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر ولا تطع كل ساحر فأمر به خالد فضرب عنقه وصلب فمر به خلف بن خليفة الشاعر فضرب بيده على الخشبة وقال انا أعطيناك العود فصل لربك من قعود وأنا ضامن لك أن لا تعود وأتى المأمون برجل ادعى النبوة فقال له ألك علامة قال علامتى انى أعلم ما فى نفسك قال وما فى نفسى قال فى نفسك انى كاذب قال صدقت ثم أمر به الى السجن فأقام فيه أياما ثم أخرجه فقال هل أوحى اليك بشئ قال لا قال ولم قال لان الملائكة لا تدخل الحبوس فضحك منه وخلى سبيله وأتى بامرأة تنبأت فى أيام المتوكل فقال لها أنت نبية قالت نعم قال أتؤمنين بمحمد قالت نعم قال فانه صلى الله عليه وسلم قال لا نبىّ بعدى قالت فهل قال لا نبية بعدى فضحك المتوكل وأطلقها وتنبأ رجل يسمى نوحا وكان له صديق نهاه فلم يقبل فأمر السلطان بقتله فصلب فمر به صديقه فقال له يا نوح ما حصلت من السفينة الا على الصارى

(الفصل السابع فى نوادر السؤال) وقف أعرابى بباب يسأل فقال له صغير من باب الدار بورك فيك فقال قبح الله هذا الفم لقد تعلمت الشر صغيرا ووقف سائل على باب فقال يا أصحاب المنزل فبادر صاحب الدار قبل أن يتم كلامه وقال فتح الله عليك فقال السائل يا قرنان كنت تصبر على حتى أدعوك الى الوليمة وقال أبو عثمان الجاحظ وقف سائل بقوم فقال انى جائع فقالوا له كذبت فقال جربونى برطلين من الخبز ورطلين من اللحم ووقف سائل على باب فقالوا يفتح الله لك فقال كسرة فقالوا ما نقدر عليها قال فقليل من بر أو فول أو شعير قالوا لا نقدر عليه قال فقطعة دهن أو قليل زيت أو لبن قالوا لا

نجده قال فشربة ماء قالوا وليس عندنا ماء قال فاجلوسكم ههنا قوموا فاسألوا فأنتم أحق مني بالسؤال

(الفصل الثامن في نوادر المؤذنين) قيل لمؤذن ما نسمع أذانك فلو رفعت صوتك فقال اني اسمع صوتي من مسيرة ميل وقال بعضهم رأيت مؤذنا أذن ثم عدا يهرول فقلت له الى أين فقال أحب أن أسمع أذاني أين بلغ واختصم رجلان في جارية فأودعاها عند مؤذن فلما أصبح وفرغ من الاذان قال لا اله الا الله ذهبت الامانة من الناس فقالوا له كيف ذهبت الامانة من الناس قال هذه الجارية التي وضعت عندي قيل انها بكر فلما أتيتها وجدتها ثيبا وسمع مؤذن حمص يقول في شهر رمضان تسحروا فقد أمرتكم وعجلوا في أكلكم قبل ان أؤذن فيسخم الله وجوهكم * وشوهد مؤذن يؤذن من رقعة فقيل له ما تحفظ الاذان فقال سلوا القاضي فأتوه فقالوا السلام عليكم فأخرج دفترا وتصفحه وقال وعليكم السلام فعذروا المؤذن وسمعت امرأة مؤذنا يؤذن بعد طلوع الشمس ويقول الصلاة خير من النوم فقالت النوم خير من هذه الصلاة ومر سكران بمؤذن رديء الصوت فجلد به الارض وجعل يدوس بطنه فاجتمع اليه الناس فقال والله ما بي رداءة صوته ولكن شماتة اليهود والنصارى بالمسلمين

(الفصل التاسع في نوادر النواتية) حكي أن بعض النواتية تولى أحد الكراسي السلطانية لمساعدة الزمان فبينما هو جالس في داره اذ سمع صوتا وراء الباب فقال لزوجته اني أسمع غاغة في البر حلي قلوعي واعملي اسفيرتي على جاموري وقدمي الى اسقالة الرجل وقيمي بدرة فامتثلت كلامه فنزل وجلس على مصطبته وقد علت مرتبته واصطفت المقدمون بين يديه ووقفت الحبرتية حواليه واذا بشيخ قد أقبل وثيابه مقطعة وعمامته في حلقه والدم نازل من أنفه وهو يصيح بصوت عال انا بالله وبالوالي فقال له تعال يا شيخ مالي أرى أرطمونك في حلقك وشابورتك مكسورة وأنت بترلع ماء متغير ونقيم الهلبلا في الساحل دخل عليك شرد غربي والا دخلت على بواجي فقال الشيخ والله ياسيدي بعض نواتية البحر عمل بي هذا فقال يا أولاد جيبوا غريمي بجنسوا عدته وقشطوا ظهره وجروه على مقدمه فامتثلوا كلام الامير وجاؤا بالغريم فلما مثل بين يديه قال له ويلك هو أنت بغنوس بسفر البحر أنت الذي قطعت القلس وخرجت في الشعت حتى لقيت هذا الرجل نطعت مخططمته وكسرت اسقالته لو انصلح كنت عملتك في بدراوة وعلقتك في الصاري فلما سمع الرجل كلام الوالي علم أنه من أولاد المعيشة فقال له بهمترة النواتية والله يا خوند هو كارزني في معاشي اجصطن على الوحسة وأنا عايم في الليل الا وشرد جاني من الشرق كابس هز أطرافي وكسر شابورتي وقطع لباني وها هو بحمد الله على بر السلامة وان كان انصلح فيه شيء فانا برسوم الامير أجيب له القلفاط أسد فتحه وأعيد له وسقه وأخليه يروح في طريقه فقال له الوالي أنت بتقذف في وجهي وتطرح مقاذيفك حتى نعبر على الجر يا رجالة الصاري سلسلوا أطرافه وعروا مقاذيفه وبلوا شيبتة اللبان وانزلوا عليه وأوسقوا الجنبين والظهر حتى تلعب الميه على بطونسته هيا قوام ملك خلوا

جنب برا وجنب بحر اقدام الحن وراء الصارى فأكل عاقدة من كعبه الى أذنه فقالت النواتية ياخوند اهو خنفست عليه الطمية البحرية قال مدراتين وقموه فلما أقاموه باس يد الامير وقال ياخوند سألتك بهبوب الرياح وطيب النسيم الربى لا يليك بحر اللبان فى الحلافى وأنت حافى فى الصيافى ويكفيك شر الاربعيفيات قال فرق عليه قلب الامير وقال له وحق من ضرب القلع باللبان الحلفاء عند بجنة الريح وفروغ الزاد بعيد من البلاد وعياط الركاب عند قيام الموجه وبعد البرفى أيام النيل لولا شفاعة الركاب لكنت أهدادقالتك واقعد فى زوايدك حتى أخلى ظهرك جيفة فقال له والله ياخوند مابق جنبي يحمل هذا الوسق العظيم ولكن ان عدت اعبر اهذا الوجه اخسف من أضلاعى لوح رغرقنى بالقايم فقال له الامير احمد الله على السلامه واخرج فى دى الطيابة وكتب له مرسوم وعلم عليه علامة الرياس البحرية للنواتية الله لك الله لى يا عملاتك على أبوس

(الفصل العاشر فى نوادر جامعة) سمعت امرأة فى الحديث ان صوم يوم عاشوراء كفارة سنة فصامت الى الظهر ثم أفطرت وقالت يكفيني كفارة ستة أشهر منها شهر رمضان واسلم مجوسى فى شهر رمضان فثقل عليه الصيام فنزل الى سرداب وقعد يأكل فسمع ابنه حسه فقال من هذا فقال أبوك الشقى يأكل خبز نفسه ويفزع من الناس وسئل بعض القصاص عن نصرانى قال لا اله الا الله لا غير اذا مات أين يدفن قال يدفن بين مقابر المسلمين والنصارى ليكون مذبذبا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وأهدى الى سالم القصاص خاتم بلا فص فقال ان صاحب هذا الخاتم يعطى فى الجنة غرفة بلا سقف وبنى بعض المغفلين نصف دار وبنى رجل آخر النصف الآخر فقال المغفل يوما قد عولت على بيع النصف الذى لى وأشترى به النصف الآخر لتكمل لى الدار كلها وسئل جامع الصيدلانى عن عمر ابنته فقال لا أدرى الا أن أمها ذكرت أنها ولدتها فى أيام البراغيث وقيل لطفيلى أى سورة تعجبك فى القرآن قال المائدة قال فأى آية قال ذرهم يأكلوا ويتمتعوا قيل ثم ماذا قال آتنا غداءنا قيل ثم ماذا قال ادخلوها بسلام آمنين قيل ثم ماذا قال وما هم منها بمخرجين وقيل لعثمان بن دراج الطفيلى يوما كيف تصنع بدار العرس اذا منعت منها قال أنوح على بابهم فيتطيرون من ذلك فيدخلونى وقيل له أتعرف بستان فلان قال اى والله انه الجنة الحاضرة فى الدنيا قيل لم لا تدخله وتأكل من ثماره وتستظل باشجاره وتسبح فى أنهاره قال لان فيه كلبا لا يتمضمض الا بدماء عراقيب الرجال وقيل له يوما ما هذه الصفرة التى فى لونك قال من الفترة من المضغ وقال مرت بنا جنازة يوما ومعى ابنى ومع الجنازة امرأة تبكى وتقول الآن يذهبون بك الى بيت لا فراش فيه ولا غطاء ولا وطاء ولا خبز ولا ماء فقال ابنى يا أبت الى بيتنا والله يذهبون (وحكى) عن هرون الرشيد أنه أرق ذات ليلة ارقا شديدا فقال لوزيره جعفر بن يحيى البرمكى انى أرقت فى هذه الليلة وضاق صدرى ولم أعرف ما أصنع وكان خادمه مسرور واقفا امامه فضحك فقال له ما يضحكك استهزاء بى أم استخفافا فقال وقرابتك من سيد المرسلين ما فعلت ذلك عمدا ولكن خرجت بالامس أتمشى بظاهر القصر الى أن جئت الى جانب الدجلة فوجدت الناس مجتمعين فوقفت فرأيت رجلا واقفا يضحك الناس يقال له

له

له ابن المغازلى فتذكرت الآن فى شئ من حديثه وكلامه فضحكت والعفو ياأمير المؤمنين
فقال له الرشيد انى أشتهى الساعة به نخرج مسرور ومسرعا الى أن جاء الى ابن المغازلى فقال له
أجب أمير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فقال له بشرط انه اذا أنعم عليك بشئ يكون لك
منه الربع والبقية لى فقال له بل اجعل لى النصف ولك النصف فأبى فقال الثلث لى ولك
الثلثان فأجابه الى ذلك بعد جهد عظيم فلما دخل على الرشيد سلم فأبلغ وترجم فأحسن
ووقف بين يديه فقال له أمير المؤمنين ان أنت أضحكتنى أعطيتك خمسمائة دينار وان لم تضحكنى
اضربك بهذا الجراب ثلاث ضربات فقال ابن المغازلى فى نفسه وما عسى أن تكون ثلاث
ضربات بهذا الجراب وظن فى نفسه ان الجراب فارغ فوقف يتكلم ويتمسخر وفعل افعالا
عجيبة تضحك الجلود فلم يضحك الرشيد ولم يتبسم فتعجب ابن المغازلى وضجر وخاف فقال له
الرشيد الآن استحقيت الضرب ثم انه أخذ الجراب ولفه وكان فيه أربع زلطات كل واحدة
وزنها رطلان فضربه ضربة فلما وقعت الضربة فى رقبته صرخ صرخة عظيمة وافتكر
الشرط الذى شرطه عليه مسرور فقال العفو ياأمير المؤمنين اسمع منى كلمتين قال قل مابدالك
قال ان مسرورا شرط على شرطا واتفقت أنا واياه على مصلحة وهو أن ماحصل لى من
الصدقات يكون له فيه الثلثان ولى فيه الثلث وما أجابنى الى ذلك الا بعد جهد عظيم وقد
شرط على أمير المؤمنين ثلاث ضربات فنصيبى منهم واحدة ونصيبه اثنان وقد أخذت
نصيبى وبقى نصيبه قال فضحك الرشيد ودعا مسرورا فضربه فصاح وقال ياأمير المؤمنين قد
وهبت له مابقى فضحك الرشيد وأمر لهما بألف دينار فأخذ كل واحد منهما خمسمائة ورجع ابن
المغازلى شاكرا والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والسبعون فى الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصول)

(الفصل الاول فى الدعاء وآدابه) قال الله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب
دعوة الداعى اذا دعانى اختلف فى سبب نزولها فقال مقاتل ان عمر بن الخطاب رضى الله
عنه واقع امرأته بعد ماصلى العشاء فى رمضان فندم على ذلك وبكى وجاء الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ورجع مغتما وكان ذلك قبل الرخصة فنزلت هذه الآية واذا
سألك عبادى عنى فانى قريب وروى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال قالت اليهود
كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم ان بيننا وبين السماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء مثل
ذلك فنزلت هذه الآية وقال الحسن ان قوما قالوا للنبى أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه
فنزلت هذه الآية قوله تعالى أجيب دعوة الداع اذا دعان أى أقبل عبادة من عبدنى
فالدعاء بمعنى العبادة والاجابة بمعنى القبول وقال قوم ان الله تعالى يجيب كل الدعاء فاما
ان يعجل الاجابة فى الدنيا واما أن يكفر عن الداعى واما أن يدخر له فى الآخرة لما رواه أبو
سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم
ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله بها احدى ثلاث اما أن يعجل له دعوته واما أن يدخر له ثوابها
واما أن يكف عنه من السوء مثلها وروى أنه اذا كان يوم القيامة واستقر أهل الجنة فى
الجنة فبينما العبد المؤمن فى قصره واذا ملائكة من عند ربه يأتونه بتحف من عند الله فيقول

ماهذا أليس الله قد أنعم علي وأكرمني فيقولون ألست كنت تدعو الله في الدنيا هذا دعاؤك الذي كنت تدعوه قد ادخره لك واعلم أن اجابة الدعاء لابد لها من شروط فشرط الداعي أن يكون عالما بان لاقادر الا الله وان الوسايط في قبضته ومسخرة بتسخيره وان يدعو بنية صادقة وحضور قلب فان الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب لاه وان يكون متجنبا لاكل الحرام ولا يمل من الدعاء ومن شروط المدعو فيه أن يكون من الامور الجائزة الطلب والفعل شرعا كما قال عليه السلام مالم يدع باثم أو قطيعة رحم فيدخل في الاثم كل ما يأثم به من الذنوب ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم قال ابن عطاء الله ان للدعاء أركانا واجنحة وأسبابا وأوقاتا فان وافق أركانه قوى وان وافق أجنحته طار الى السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق أسبابه نجح فاركانه حضور القلب والخشوع واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار وأسبابه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومن شروط الدعاء أن يكون سليما من اللحن كما قال بعضهم

ينادي ربه باللحن ليث * كذاك اذا دعاه لايجاب

وقيل ان الله تعالى لا يستجيب دعاء عريف ولا شرطي ولا جاب ولا عشار ولا صاحب عرطبة وهي الطنبور ولا صاحب كوبة وهي الطبل الكبير الضيق الوسط * ومن آداب الدعاء أن يدعو الداعي مستقبل القبلة ويرفع يديه لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ربكم حيي كريم يستحيي من عبده اذا رفع يديه اليه أن يردهما صفرا وأن يمسح بهما وجهه بعد الدعاء لما روى عن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وأن لا يرفع بصره الى السماء لقوله صلى الله عليه وسلم لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عند الدعاء أو ليخطفن الله أبصارهم وان يخفض الداعي صوته بالدعاء لقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وعن أبي عبد الرحمن الهمداني قال صليت مع أبي اسحق الغداة فسمع رجلا يجهر في الدعاء فقال كن كزكريا اذ نادى ربه نداء خفيا وينبغي للداعي أن لا يتكلف وأن يأتي بالكلام المطبوع غير المصنوع لقوله صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وقيل ادعوا بلسان الذلة والاحتقار ولا تدعوا بلسان الفصاحة والانطلاق وكانوا لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فما دونها كما في آخر سورة البقرة وعن سفيان بن عيينة لا يمنعن أحدكم من الدعاء مايعلم من نفسه فقد أجاب الله دعاء شر الخلق ابليس اذ قال رب أنظرني الى يوم يبعثون وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سأل أحدكم مسئلة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عليه من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال وعن سلمة بن الاكوع قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا قال سبحان ربي الاعلى الوهاب وعن أبي سليمان الداراني من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينبغي للمؤمن أن يجتهد في الدعاء وأن يكون على رجاء من الاجابة ولا يقنط من رحمة الله لانه يدعو كريما وللدعاء أوقات وأحوال يكون الغالب فيها الاجابة

وذلك

وذلك وقت السحر ووقت الفطر وما بين الاذان والاقامة وعند جلسة الخطيب بين الخطبتين الى ان يسلم من الصلاة وعند نزول الغيث وعند التقاء الجيش فى الجهاد فى سبيل الله تعالى وفى الثلث الاخير من الليل لما جاء فى الحديث ان فى الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيأ الا أعطاه وفى حالة السجود لقوله عليه الصلاة والسلام أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء وما بين الظهر والعصر فى يوم الاربعاء وأوقات الاضطرار وحالة السفر والمرض هذا كله جاءت به الآثار قال جابر بن عبد الله رضى الله عنه دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد الفتح ثلاثة أيام يوم الاثنين ويوم الثلاثاء واستجيب له يوم الاربعاء بين الصلاتين فعرفت السرور فى وجهه قال جابر ما نزل بى أمر مهم غليظ الا توخيت تلك الساعة فأدعو فيها فأعرف الاجابة وفى بعض الكتب المنزلة ياعبدى اذا سألت فاسألنى فانى غنى واذا طلبت النصرة فاطلبها منى فانى قوى واذا افشيت سرك فأفشه الىّ فانى وفىّ واذا أقرضت فأقرضنى فانى ملىّ واذا دعوت فادعنى فانى حفى وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له وقال وهب بن منبه بلغنى ان موسى مرّ برجل قائم يبكى ويتضرع طويلا فقال موسى يارب أما تستجيب لعبدك فأوحى الله تعالى اليه ياموسى لو انه بكى حتى تلفت نفسه ورفع يديه حتى بلغ عنان السماء ما استجبت له قال يارب لم ذلك قال لان فى بطنه الحرام ومرّ ابراهيم بن ادهم بسوق البصرة فاجتمع الناس اليه وقالوا ياأبا اسحق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ماتت بعشرة أشياء الاول انكم عرفتم الله فلم تؤدوا حقه الثانى زعمتم انكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تركتم سنته الثالث قرأتم القرآن ولم تعملوا به الرابع أكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها الخامس قلتم ان الشيطان عدوكم ووافقتموه السادس قلتم ان الجنة حق فلم تعملوا لها السابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها الثامن قلتم ان الموت حق فلم تستعدوا له التاسع انتبهتم من النوم واشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم العاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم وكان يحيى بن معاذ يقول من أقرّ لله باساءته جاد الله عليه بمغفرته ومن لم يمن على الله بطاعته أوصله الى جنته ومن أخلص لله فى دعوته منّ الله عليه باجابته وقال على رضى الله عنه ارفعوا أفواج البلايا بالدعاء وعن أنس رضى الله عنه يرفعه لا تعجزوا عن الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد

(الفصل الثانى فى الادعية وما جاء فيها) كان من دعاء شريح رحمه الله اللهم انى اسألك الجنة بلا عمل عملته وأعوذ بك من النار بلا ذنب تركته ودعت اعرابية عند البيت فقالت الهى لك أذل وعليك ادل وكان من دعاء بعض الصالحين اللهم ان كنا عصيناك فقد تركنا من معاصيك ابغضها اليك وهو الاشراك وان كنا قصرنا عن بعض طاعتك فقد تمسكنا بأحبها اليك وهو شهادة أن لا اله الا أنت وان رسلك جاءت بالحق من عندك ومن دعاء سلام بن مطيع اللهم ان كنت بلغت احدا من عبادك الصالحين درجة ببلاء فبلغنيها

بالعافية وقيل لفتح الموصلي ادع الله لنا فقال اللهم هبنا عطاءك ولا تكشف عنا غطاءك وكان من دعاء بعض السلف اللهم لا تحرمني خير ما عندك لشر ما عندي فان لم تقبل تعبي ونصبي فلا تحرمني اجر المصاب على مصيبته اللهم لا تكلنا الى أنفسنا ولا الى الناس فنضيع وقال الحسن من دخل المقابر فقال اللهم رب الارواح الفانية والاجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة أدخل عليها روحا من عندك وسلاما مني كتب الله له بعدد من مات من لدن آدم الى أن تقوم الساعة حسنات (وحكى) عن معروف القاضي ان الحجيج كانوا يجتهدون في الدعاء وفيهم رجل من التركمان ساكت لا يحسن أن يدعو فخشع قلبه وبكى فقال بلغته اللهم انك تعلم اني لا أحسن شيأ من الدعاء فاسألك ما يطلبون منك عبادك فرأى بعض الصالحين في منامه ان الله قبل حج الناس بدعوة ذلك التركماني لما نظر الى نفسه بالفقر والفاقة وقال الاصمعي حسدت عبد الملك على كلمة تكلم بها عند الموت وهي اللهم ان ذنوبي وان كثرت وجلت عن الصفة فانها صغيرة في جنب عفوك فاعف عني وركب ابراهيم بن ادهم في سفينة فهاجت الريح وبكى الناس وأيقنوا بالهلاك وكان ابراهيم نائما في كساء فاستوى جالسا وقال أريتنا قدرتك فأرنا عفوك فذهب الريح وسكن البحر وقال الثوري كان من دعاء السلف اللهم زهدنا في الدنيا ووسع علينا فيها ولا تزوها عنا ولا ترغبنا فيها وكان بعض الاعراب اذا أوى الى فراشه قال اللهم اني أكفر بكل ما كفر به محمد وأومن بكل ما آمن به ثم يضع رأسه وسمعت بدوية تقول في دعائها يا صباح يا مماح يا مطعم يا عريض الجفنة يا أبا المكارم فزجرها رجل فقالت دعني أصف ربي وأمجد الهي بما تستحسنه العرب وقال الزمخشري في كتابه ربيع الابرار سمعت انا من يدعو من العرب عند الركن اليماني يا أبا المكارم يا أبيض الوجه وهذا ونحوه منهم انما يقصدون به الثناء على الله بالكرم والنزاهة عن القبيح على طريق الاستعارة لانه لا فرق عندهم بين الكريم وأبي المكارم ولا بين الجواد والعريض الجفنة ولا بين المنزه والابيض الوجه وقيل لاعرابي أتحسن أن تدعو ربك قال نعم ثم قال اللهم انك أعطيتنا الاسلام من غير أن نسالك فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك وذكر لعبد السلام بن مطيع ان الرجل تصيبه البلوى فيدعو فتبطئ عنه الاجابة فقال بلغني ان الله تعالى يقول كيف ارحمه من شئ به ارحمه وقال طاوس بينما انا في الحجر ذات ليلة اذ دخل علي علي بن الحسين فقلت رجل صالح من أهل بيت الخير لأسمعن دعاءه فسمعته يقول عبيدك بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك بفنائك فما دعوت بهما في كرب الا فرج عني ودعا أعرابي فقال اللهم ان لبات نعمتك وقال ابن المسيب سمعت من يدعو بين القبر والمنبر اللهم اني أسألك عملا بارا ورزقا دارا وعيشا قارا فدعوت بها فما وجدت الا خيرا ودعت أعرابية بالموقف فقالت أسألك سترك الذي لا تزيله الرياح ولا تخرقه الرماح وقيل اتقوا مجانيق الضعفاء أي دعواتهم ودعا اعرابي فقال اللهم امح ما في قلبي من كذب وخيانة واجعل مكانه صدقا وأمانة وصلى رجل الى جنب عبد الله بن المبارك وبادر القيام فجذب ثوبه وقال أما لك الى ربك حاجة وقال سفيان الثوري سمعت أعرابيا يقول اللهم ان كان

رزقى فى السماء فأنزله وان كان فى الارض فأخرجه وان كان بعيدا فقربه وان كان قريبا فيسره وان كان قليلا فكثره وان كان كثيرا فبارك لى فيه

وقال أبو نواس

أحببت من شعر بشار لكثرته * بيتا لهجت به من شعر بشار

يا رحمة الله حلى فى منازلنا * وجاورينا فدتك النفس من جار

وكان بشار يعنى بذلك جارية بصرية كان يحبها ويتغزل فيها ويعنى بها هنا رحمة الله التى وسعت كل شئ وسمع على بن أبى طالب رضى الله عنه رجلا يقول وهو متعلق بأستار الكعبة يامن لايشغله سمع عن سمع ولاتغلطه المسائل ولا يبرمه الحاح الملحين اذقنى برد عفوك وحلاوة مغفرتك فقال على والذى نفسى بيده لوقلتها وعليك مل‌ء السموات والارض من الذنوب لغفر لك ومن دعائه رضى الله عنه اللهم صن وجهى باليسار ولا تبدل جاهى بالاقتار فأسترزق طالبا رزقك من غيرك وأستعطف شرار خلقك وأبتلى بحمد من أعطانى وأفتتن بذم من منعنى وأنت من وراء ذلك كله ولى الاجابة والمنع وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ماانتهيت الى الركن اليمانى قط الا وجدت جبريل قد سبقنى اليه يقول قل يامحمد اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر والفاقة وهى من مواقف الخزى وهبط جبريل على يعقوب فقال يايعقوب ان الله تعالى يقول لك قل ياكثير الخير يادائم المعروف رد على ابنى فقالها فأوحى الله تعالى اليه وعزتى لو كانا ميتين لنشرتهما لك وكان أبو مسلم الخراسانى اذا نابه أمر قال يامالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين وقال جعفر بن محمد ما المبتلى الذى اشتد بلاؤه باحق بالدعاء من المعافى الذى لايأمن وقوع البلاء وكان الزهرى يدعو بعد الحديث بدعاء جامع فيقول اللهم انى أسألك من خير ماأحاط به علمك فى الدنيا والآخرة وأعوذ بك من شر ماأحاط به علمك فى الدنيا والآخرة وعن عقبة بن عبد الغافر دعوة فى السر أفضل من سبعين دعوة فى العلانية واعلم ان التوحيد والدعاء عند نوازل الملمات هو سفينة النجاة من الحوادث المهلكات وعن أبى الدرداء قال صلى بنا رسول الله العصر فتربنا كاب فما بلغت يده رجله حتى وقع ميتا فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته قال من الداعى على الكاب آنفا قال رجل من القوم انا يارسول الله قال لقد دعوت الله باسمه الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى كيف دعوت الله قال قلت اللهم انى أسألك بأن لك الحمد لااله الا أنت المنان بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام وقيل انه دخلت أذن رجل من أهل البصرة حصاة فعالجها الاطباء فلم يقدروا عليها حتى وصلت الى صماخه فأتى الى رجل من أصحاب الحسن فشكا له ماأصابه من الحصاة فدعا له بدعاء العلاء بن الحضرمى وهو ياعلى ياعظيم ياحليم ياعليم قال الراوى فما برحنا حتى خرجت الحصاة من أذنه ولها طنين حتى ضربت الحائط وعن أنس اذا قال العبد يارب يارب يقول الله عز وجل لبيك عبدى وعنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل وهو يقول ياأرحم الراحمين

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سل حاجتك فقد نظر الله اليك . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا فتح الله على عبد الدعاء فليكثر فان الله يستجيب له وروى عن على بن أبى زفر عن أخ له وكان فاضلا صالحا فقال دعوت الله أن يريني الاسم الاعظم الذى اذا دعى به أجاب فقمت ليلة أصلى فسمعت قعقعة فى سقف البيت ثم هبط نور حتى صار تلقاء وجهى واذا مكتوب بالنور فقرأته يا ألله يا رحمن ياذا الجلال والاكرام ومن دعاء الكرب ماروى عن وهب ان ابن عباس رضى الله عنهما قال له هل تجد فيما تقرأ من الكتب دعاء تدعو به عند الكرب قال نعم اللهم انى أسألك يامن يملك حوائج السائلين ويعلم ضمير الصامتين فان لكل مسئلة منك سمعا حاضرا وجوابا عتيدا ولكل صامت منك علما ناطقا محيطا أسألك بمواعيدك الصادقة وأياديك الفاضلة ورحمتك الواسعة أن تفعل بى كذا وكذا فقال ابن عباس هذا دعاء علمته فى النوم ما كنت أرى ان أحدا يحسنه وعن وهب أيضا قال لما أهبط الله تعالى آدم من الجنة الى الارض استوحش لفقد أصوات الملائكة فهبط اليه جبريل وقال يا آدم هل أعلمك شيأ تنتفع به فى الدنيا والآخرة قال بلى قال قل اللهم أتم النعمة حتى تهنيني المعيشة اللهم اختم لى بخير حتى لا تضرنى ذنوبى اللهم اكفنى مؤنة الدنيا وكل هول فى القيامة حتى تدخلنى الجنة معافى وعن معروف الكرخى قال اجتمعت اليهود أخزاهم الله على قتل عيسى بزعمهم وأهبط الله تعالى عليه جبريل وفى باطن جناحيه مكتوب اللهم انى أدعوك باسمك الاجل الاعز وأدعوك اللهم باسمك الاحد الصمد وأدعوك اللهم باسمك العظيم الوتر وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعالى الذى ملأ الاركان كلها أن تكشف عنى ضر ما أصبحت وأمسيت فيه فأوحى الله عز وجل الى جبريل أن ارفع عبدى الى فقال رسول الله لاصحابه عليكم بهذا الدعاء ولا تستبطؤا الاجابة فان ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون اسناد هذا متصل الى معروف الكرخى ثم هو منقطع ولو لم يكن فيه من البركة الا رواية معروف لكان كافيا فى قبوله والعمل به * حدث عبد الله بن أبان الثقفى رضى الله عنه قال وجهنى الحجاج بن يوسف فى طلب أنس بن مالك فظننت أنه يتوارى عنى فأتيته بخيلى ورجلى فاذا هو جالس على باب داره مادا رجليه فقلت له أجب الامير فقال أى الامراء فقلت أبو محمد الحجاج فقال غير مكترث به قد أذله الله ما أرانى أعزه لان العزيز من عز بطاعة الله والذليل من ذل بمعصية الله وصاحبك قد بغى وطغى واعتدى وخالف كتاب الله والسنة والله لينتقم الله منه فقلت له أقصر عن الكلام وأجب الامير فقام معنا حتى حضر بين يدى الحجاج فقال له أنت أنس بن مالك قال نعم قال أنت الذى تدعو علينا وتسبنا قال نعم قال وم ذاك قال لانك عاص لربك مخالف لسنة نبيك تعز أعداء الله وتذل أولياء الله فقال له أتدرى ما أريد أن أفعل بك قال لا قال أريد أن أقتلك شر قتلة قال أنس لو علمت ان ذلك بيدك لعبدتك من دون الله قال الحجاج ولم ذاك قال لان رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنى دعاء وقال من دعا به فى كل صباح لم يكن لاحد عليه سبيل وقد دعوت به فى صباحى هذا فقال الحجاج علمنيه فقال معاذ الله أن أعلمه لاحد مادمت أنت فى الحياة فقال الحجاج خلوا سبيله فقال الحاجب أيها الامير لنا فى طلبه كذا وكذا يوما حتى أخذناه فكيف

نخلى سبيله قال رأيت على عاتقه أسدين عظيمين فاتحين افواههما ثم ان انسا رضى الله
عنه لما حضرته الوفاة علم الدعاء لإخوانه وهو بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله خير
الاسماء بسم الله الذى لا يضر مع اسمه أذى بسم الله الكافى بسم الله المعافى بسم الله
الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم بسم الله على نفسى
ودينى بسم الله على أهلى ومالى بسم الله على كل شئ أعطانيه ربى الله أكبر الله أكبر الله
أكبر أعوذ بالله مما أخاف وأحذر الله ربى لا أشرك به شيئا عز جارك وجل ثناؤك
وتقدست أسماؤك ولا اله غيرك اللهم انى أعوذ بك من شر كل جبار عنيد وشيطان مريد
ومن شر قضاء السوء ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم
* وهذا دعاء مشهور الاجابة وله شرح طويل تركناه لطوله وهو اللهم كما لطفت فى عظمتك
دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك
وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر فى علمك وانقاد كل
شئ لعظمتك وخضع كل ذى سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك لا بيد
غيرك اجعل لى من كل هم وغم أصبحت أو أمسيت فيه فرجا ومخرجا انك على كل شئ
قدير اللهم ان عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى وسترك عن قبيح عملى أطمعنى أن
أسألك ما لا أستوجبه منك مما قصيته لى أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا لا خائفا ولا وجلا
لانك أنت المحسن الى وأنا المسىء الى نفسى فيما بينى وبينك تتودد الى بالنعم مع غناك عنى
وأتبغض اليك بالمعاصى مع فقرى اليك فلم أر مولى كريما أعطف منك على عبد لئيم
مثلى لكن الثقة بك حملتنى على الجراءة على الذنوب فاسألك بجودك وكرمك واحسانك
وطولك أن تصلى على محمد وآله وأن تفتح لى باب الفرج بطولك وتحبس عنى باب الهم
بقدرتك ولا تكلنى الى نفسى طرفة عين فأعجز ولا الى الناس فأضيع برحمتك
يا أرحم الراحمين وروى الحافظ النسفى باسناده عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة
قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل ساجد وهو يقول فى سجوده اللهم انى أستغفرك
وأتوب اليك من مظالم كثيرة لعبادك قبلى فأيما عبد من عبادك أو أمة من امائك كانت
له قبلى مظلمة ظلمتها اياه فى مال أو بدن أو عرض علمتها أو لم أعلمها ولم أستطع أن أتحللها فأسألك
أن ترضيه عنى بما شئت وكيف شئت ثم تهبها لى من لدنك انك واسع المغفرة ولديك
الخير كله يارب ما تصنع بعذابى ورحمتك وسعت كل شئ فلتسعنى رحمتك فانى لا شئ
واسألك يارب ان تكرمنى برحمتك ولا تهنى بذنوبى وما علمك أن تعطينى الذى سألتك
يارب يا الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفع رأسك فقد غفر الله لك ان
هذا دعاء أخى شعيب عليه السلام وقال صالح المزنى قال لى قائل فى منامى اذا أحببت أن
يستجاب لك فقل اللهم انى أسألك باسمك المخزون المكنون المبارك الطيب الطاهر المطهر
المقدس فما دعوت بها فى شئ الا تعرفت الاجابة وقيل ان هذا الدعاء فيه اسم الله
الاعظم وهو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انى أسألك بالعزة التى لا ترام والملك الذى لا يضام
والعين التى لا تنام والنور الذى لا يطفأ وبالوجه الذى لا يبلى وبالديمومية التى لا تفنى

وبالحياة التى لاتموت وبالصمدية التى لاتقهر وبالربوبية التى لاتستبدل أن تجعل لنا فى أمورنا فرجا ومخرجا حتى لانرجو غيرك ياأرحم الراحمين وقال سعيد بن المسيب دخلت المسجد فى ليلة مقمرة وأظن انى قد أصبحت واذا الليل على حاله فقمت أصلى وجلست أدعو واذا بهاتف يهتف من خلفى ياعبد الله قل قلت ماأقول قال قل اللهم انى أسألك بانك ملك وأنت على كل شئ قدير وماتشاء من أمر يكون قال سعيد فمادعوت به قط فى شئ الارأيت نجحه وعن الشيخ كمال الدين الدميرى قال روينا عن قاضى القضاة عزالدين بن جماعة قال أنبأنا الشيخ شرف الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم ابن مفاع الفزارى خطيب دمشق قال أنبأنا الشيخ زين الدين أبو البقا خالد بن يوسف النابلسى بقراءتى عليه قال أنبأنا الحافظ بهاء الدين ناصر السنة محمد ابن الامام أبى محمد ابن الحافظ أبى القاسم على بن الحسين بن هبة الله بن عساكر قراءة عليه وانا أسمع قال رويت بالاسناد وذكر اسناده الى الامام الحجة التابعى الجليل محمد بن سيرين قال نزلنا بنهر تيرا فأتانا أهل ذلك المنزل فقالوا انما ارحلوا فانه لم ينزل هذا المنزل أحد الا أخذ متاعه فرحل أصحابى وتخلفت فلما أمسينا قرأت آيات فنمت حتى رأيت أقواما قد أقبلوا وجاؤا الى جهتى أكثر من ثلاثين نفرا وقد جردوا سيوفهم فلم يصلوا الى فلما أصبحت رحلت فلقينى شيخ على فرس ومعه قوس عربية فقال لى ياهذا انسى أنت أم جنى فقلت بل أنا من بنى آدم قال فما بالك لقد أتيناك فى هذه الليلة أكثر من سبعين مرة وفى كل ذلك يحال بيننا وبينك بسور من حديد قلت حدثنى ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ فى ليلة ثلاثا وثلاثين آية لم يضره فى تلك الليلة لص طار ولاسبع ضار وعوفى فى نفسه وأهله وماله حتى يصبح فنزل عن فرسه وكسر قوسه وأعطى الله تعالى عهدا أن لايعود لهذا الامر وهذه الآيات وهى أن تقرأ بعد الفاتحة الم ذلك الكتاب الى قوله المفلحون وآية الكرسى الى قوله وهم فيها خالدون وآمن الرسول الى آخر السورة وان ربكم الله الذى الى قوله المحسنين وقل ادعوا الله أوادعوا الرحمن الى آخر السورة والصافات صفا الى قوله تعالى لازب ويامعشر الجن والانس ان استطعتم الى قوله فلا تنتصران لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا الى آخرها وأنه تعالى جد ربنا الى قوله شططا زاد البونى الى قوله شهابا رصدا والله من ورائهم محيط الى قوله محفوظ قال محمد بن سيرين فذكرت هذا الحديث لشعيب بن حرب فقال كنا نسميها آيات الحرز ويقال ان فيها شفاء من مائة داء وعدوا منها الجذام وغير ذلك قال محمد بن على قرأتها على شيخ لنا قد أفلج فاذهب الله تعالى عنه ذلك الفالج قال البونى هذه الآيات شرفها مشهور وفضلها مذكور لاينكرها الاغبى أوغيور وقد جربها المشايخ وعرف سرها من له فى العلم قدم راسخ وقدر شامخ وهى على مارويناه بل مارأيناه أولها الفاتحة ثم أول البقرة الى آخر الآيات وقال أبو العباس أحمد القسطلانى سمعت الشيخ أباعبد الله القرشى يقول سمعت أبازيد القرطبى يقول فى بعض الآثار ان من قال لااله الاالله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار فعملت ذلك رجاء بركة الوعد ففعلت منها للاهل وعملت أعمالا ادخرتها للنفس وكان

اذ ذاك بيت معنا شاب يكاشف بالجنة والنار وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه وكان فى قلبى منه شئ فاتفق أن استدعانا بعض الاخوان الى منزله فنحن نتناول الطعام والشاب معنا اذ صاح صيحة منكرة واجتمع فى نفسه وهو يقول ياعم هذه أمى فى النار ويصيح بصياح عظيم لايشك من سمعه انه عن أمر فلما رأيت مابه من الانزعاج قلت اليوم أجرب صدقه فالهمنى الله تعالى السبعين ألفا ولم يطلع على ذلك الا الله تعالى فقلت فى نفسى الاثر حق والذين رووه لنا صادقون اللهم ان هذه السبعين ألفا فداء أم هذا الشاب من النار فما استتممت هذا الخاطر فى نفسى أن قال ياعم هذه أمى أخرجت من النار والحمد لله فحصل عندى فائدتان امتحانى لصدق الاثر وسلامتى من الشاب وعلمى بصدقه ومن خاف انسانا فليصل ركعتين بعد صلاة المغرب ثم يضع جبهته على التراب ويقول ياشديد المحال ياعزيز اذللت بعزتك جميع من خلقت صل على محمد وآله وا كفنى فلانا بما شئت كفاه الله تعالى شره وروى الثقفى رحمه الله تعالى باسناده الى محمد بن على بن الحسين رضى الله عنه انه كان يقول لولده يابنى من أصابته مصيبة فى الدنيا أونزلت به نازلة فليتوضأ وليحسن الوضوء وليصل أربع ركعات أو ركعتين فاذا انصرف من صلاته يقول ياموضع كل شكوى وياسامع كل نجوى وياشاهد كل بلوى ويامنجى موسى والمصطفى محمد والخليل ابراهيم عليهم السلام ادعوك دعاء من اشتدت فاقته وضعفت حركته وقلت حيلته دعاء الغريب الغريق الفقير الذى لايجد لكشف ماهو فيه الا أنت ياارحم الراحمين لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين قال على بن الحسين رضى الله عنهما لايدعو به مبتلى الافرج الله عنه وقيل الاسم الاعظم هو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انى اسألك يامؤنس كل وحيد ياقريبا غير بعيد ياشاهدا غير غائب ياغالبا غير مغلوب ياحى ياقيوم يابديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم الذى لاتأخذه سنة ولانوم وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذى عنت له الوجوه وخشعت له الاصوات ووجلت له القلوب أن تصلى على محمد وعلى آله وان تعطينى كذا وكذا انك على كل شئ قدير وهذه أبيات الفرج لاحمد بن حمزة البونى قيل ان فيها اسم الله الاعظم وهى هذه

انى لارجو عطفة الله ولا * أقول ان قيل متى ذاك متى
لابد ان ينشر ما كان طوى * جودا وأن يعطر ما كان خوى
وربما ينشر ما كان زوى * وربما قدر ما كان لوى
وكل شئ ينتهى الى مدى * والشئ يرجى كشفه اذا انتهى
لطائف الله وان طال المدى * كلمحة الطرف اذا الطرف رمى
كم فرج بعد اياس قد أتى * وكم سرور قد أتى بعد الاسى
من لاذ بالله نجا فمن نجا * من كل ما يخشى ونال مارجا
سبحان من نعفو ويعفو دائما * ولم يزل مهما هفا العبد عفا

يعطي الذي يخطي ولا يمنعه * جلاله من العطا لذي الخطا

ومن المنظوم أيضا

يا من يرى ما في الضمير ويسمع * أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها * يا من اليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه في قول كن * امنن فان الخير عندك أجمع
مالي سوى فقري اليك وسيلة * فبالافتقار اليك فقري أدفع
مالي سوى قرعي لبابك حيلة * فلئن رددت فأي باب أقرع
ومن الذي ادعو واهتف باسمه * ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا * الفضل أجزل والمواهب أوسع
ثم الصلاة على النبي وآله * خير الانام ومن به يتشفع

وقال آخر

يا خالق الخلق يا رب العباد ومن * قد قال في محكم التنزيل أدعوني
اني دعوتك مضطرا فخذ بيدي * يا جاعل الامر بين الكاف والنون
نجيت أيوب من بلواه حين دعا * بصبر أيوب يا ذا اللطف نجيني
واطلق سراحي وامنن بالخلاص كما * نجيت من ظلمات البحر ذا النون

ثم يقرأ وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين قال بعضهم

يارب مازال لطف منك يشملني * وقد تجدد بي ما أنت تعلمه
فاصرفه عني كما عودتني كرما * فمن سواك لهذا العبد يرحمه

وقال آخر

يا من تحل بذكره * عقد النوائب والشدائد
يا من اليه المشتكى * واليه أمر الخلق عائد
يا حي يا قيوم يا * صمد تنزه عن مضادد
أنت الرقيب على العبا * د وأنت في الملكوت واحد
أنت المعز لمن أطا * عك والمذل لكل جاحد
اني دعوتك والهمو * م جيوشها نحوي تطارد
فافرج بحولك كربتي * يا من له حسن العوائد
فخفي لطفك يستعا * ن به على الزمن المعاند
* أنت الميسر والمسبب والمسهل والمساعد
يسر لنا فرجا قريـ * ـبا يا الهي لا تباعد
كن راحمي فلقد يئسـ * ـت من الاقارب والاباعد

ثم

ثم الصلاة على النبي وآله الغر الاماجد

وعلى الصحابة كلهم * ماخر للرحمن ساجد

دعاء عظيم مأثور

اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى الى بغيض يتجهمنى أو الى قوى ملكته أمرى ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن يحل بى غضبك أو ينزل بى سخطك فلك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة لنا الا بك يارب العالمين

ومما جاء فى أدعية الناس بعضهم لبعض دعا رجل لآخر فقال سرك الله بما ساءك ولا ساءك فيما سرك ودعا رجل لآخر فقال لا أخلاك الله تعالى من شاء صادق باق ودعاء صالح واق ودعا أعرابى لآخر فقال رحب واديك وعز ناديك ولا ألم بك ألم ولا طاف بك عدم وسلمك الله ولا أسلمك وسمعت بعض العرب يدعو لرجل ويقول سلمك الله تعالى من الرهق والوهق وعافاك الله تعالى من الوحل والزحل وسلمك الله من الشاردات والواردات وسلمك الله بين الاعنة والأسنة ودعا أعرابى لعبد الله بن جعفر رضى الله عنه فقال لا ابتلاك الله تعالى ببلاء يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك وأبقاك ماتعاقب الليل والنهار وتناسخت الظلم والانوار ودعا بعضهم لآخر فقال زودك الله تعالى الامن فى مسيرك والسعد فى مصيرك ولا أخلاك من شهر تستجده وخير من الله تستمده وعزى شبيب بن شبة يهوديا فقال أعطاك الله على مصيبتك أفضل ما أعطى أحدا من أهل ملتك

(ومما جاء فى الدعاء على الاعداء والظلمة ونحوهم) دعا أعرابى على ظالم فقال لاترك الله لك شفرا ولا ظفرا أى عينا ولا يدا ومن دعاء العرب فته الله فتا وحته حتا وجعل أمره شتى وخرج أعرابى الى سفر وكانت له امرأة تكرهه فأتبعته نواة وقالت شط نواك ونأى سفرك ثم أتبعته روثة وقالت رثثت أهلك وورث خيرك ثم أتبعته حصاة قالت حاص رزقك وحص اثرك ودعا اعرابى على آخر فقال اطفأ الله ناره وخلع نعليه أى جعله أعمى مقعدا ودعا اعرابى على آخر فقال سقاه الله دم جوفه أى قتل ابنه وأخذ ديته فشرب لبنها ودعا أعرابى على آخر فقال بعث الله عليه سنة قاشورة تحلقه كما يحلق الشعر بالنورة ودعا رجل على أمير فقال

أزال الله دولته سريعا * فقد ثقلت على عنق الليالى

وقالت امرأة من بنى ضبة فى زوجها

ومادعوت عليه حين ألعنه * الا وآخر يتلوه بآمين

فليته كان أرض الروم منزله * وليتنى قبله قد صرت للصين

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبته يوم الاحزاب اللهم كل سلاحهم واضرب

وجوههم ومزقهم فى البلاد تمزيق الريح للجراد ودعا رجل فقال اللهم اكفنا أعداءنا ومن أرادنا بسوء فليحط به ذلك السوء احاطة القلائد بترائب الولائد ثم ارسخه على هامته كرسوخ السجيل على هام أصحاب الفيل وحسبنا الله ونعم الوكيل ولنختم هذا الباب بهذا الدعاء المبارك وهو اللهم انك عرفتنا بربوبيتك وغرقتنا فى بحار نعمتك ودعوتنا الى دار قدسك ونعمتنا بذكرك وأنسك الهى ان ظلمة ظلمنا النفوس قد عمت وبحار الغفلة على قلوبنا قد طمت والعجز شامل والحصر حاصل والتسليم أسلم وأنت بالحال أعلم الهى ما عصيتك جهلا بعقابك ولا تعرضا لعذابك ولكن سولتها نفوسنا واعانتنا شقوتنا وغرنا سترك علينا وأطمعنا فى عفوك برك بنا فالآن من عذابك من ينقذنا وبحبل من نعتصم ان قطعت حبلك عنا واخجلتاه غدا من الوقوف بين يديك وافضيحتاه ان عرضت فعالنا القبيحة عليك اللهم اغفر ما علمت ولا تهتك ما سترت الهى ان كنا عصيناك بجهل فقد دعوناك بعقل حيث علمنا أن لنا ربا يغفر لنا ولا يبالى الهى تحرق بالنار وجها كان لك مصليا ولسانا كان لك ذاكرا وداعيا لا بالذى دلنا عليك وأمرنا بالخشوع بين يديك وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم أنبيائك وسيد أصفيائك فان حقه علينا أعظم الحقوق بعد حقك كما أن منزلته لديك أشرف المنازل سيد خلقك ومعدن أسرارك صل يارب على محمد وآله وأصحابه وارحم عبادا غرهم طول امهالك وأطمعهم كثرة افضالك فقد ذلوا لعزك وجلالك ومدوا أكفهم لطلب نوالك ولولا ذلك لم يصلوا الى ذلك اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(الباب الثامن والسبعون فى القضاء والقدر وأحكامه والتوكل على الله عز وجل)

اعلم أن كل ما يجرى فى العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكل بقضاء الله وقدره وكذلك فلا طائر يطير بجناحيه ولا حيوان يدب على بطنه ورجليه ولا تطن بعوضة ولا تسقط ورقة الا بقضائه وقدره وارادته ومشيئته كما لا يجرى شئ من ذلك الا وقد سبق علمه به واعلم ان كل ما قضاه الله تعالى وقدره فهو كائن لا محالة كما ان ما فى علم الله تعالى يكون فهو كائن قريب وما قدر الله وصوله اليك بعد الطلب فهو لا يصل اليك الا بالطلب والطلب أيضا من القدر فان تعسر شئ فبتقديره وان اتفق شئ فبتيسيره فمن رام أمرا من الامور ليس الطريق فى تحصيله انه يغلق بابه عليه ويفوض أمره لربه وينتظر حصول ذلك الامر بل الطريق أن يشرع فى طلبه على الوجه الذى شرعه له فيه وقد ظاهر النبى صلى الله عليه وسلم بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة حين تحزبت عليه الاحزاب يحترس به من العدو وأقام الرماة يوم أحد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان يلبس لأمة الحرب ويهيئ الجيوش ويأمرهم وينهاهم لما فيه مصالحهم واسترقى وأمر بالرقية وتداوى وأمر بالمداواة وقال الذى أنزل الداء أنزل الدواء فان قيل قد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من استرقى أو اكتوى فهو برئ من التوكل قلنا أليس قد قال اعقلها وتوكل فان قيل فما الجمع بين ذلك قلنا معناه من استرقى أو اكتوى متكلا على الرقية أو الكى

وان البرّ من قبلهما خاصة فهذا يخرجه عن التوكل وانما يفعله كافر يضيف الحوادث الى غير الله وقد أمرنا بالكسب والتسبب الا ترى ان الله قال لمريم عليها السلام وهزى اليك بجذع النخلة فهلا أمرها بالسكون وحمل الرطب الى فيها وأنشدوا فى ذلك

ألم تر أن الله قال لمريم * وهزى اليك الجذع يساقط الرطب
ولوشاء أن تجنيه من غير هزها * جنته ولكن كل شئ له سبب

وقد تقدم هذا الشعر فى باب الكسب والتسبب ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فلم يدع حمل أرزاقها اليها فى أوكارها بل ألهمها طلبه بالغدوّ والرواح وقد جمعوا بين الطلب والقدر فقالوا انهما كالعدلين على ظهر الدابة ان حمل فى واحد منهما أرجح مما فى الآخر سقط حمله وتعب ظهره وثقل عليه سفره وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره وتمت بغيته وضربوا فيه مثالا عجيبا فقالوا ان أعمى ومقعدا كانا فى قرية بفقر وضر لا قائد للأعمى ولا حامل للمقعد وكان فى القرية رجل يطعمهما قوتهما فى كل يوم احتسابا لله تعالى فلم يزالا بنعمة الى أن هلك ذلك الرجل فلبثا بعده أياما واشتد جوعهما وبلغ الضرمنهما جهده فاجمع رأيهما على أن الاعمى يحمل المقعد فيدله المقعد على الطريق ببصره فاشتغل الاعمى بحمل المقعد ويدور به ويرشده الى الطريق وأهل القرية يتصدقون عليهما فنجح أمرهما ولولا ذلك لهلكا فكذلك القدر سببه الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه ألا ترى أن من طلب الرزق والولد ثم قعد فى بيته لم يطأ زوجته ولم يبذر أرضه معتمدا فى ذلك على الله واثقابه أن تلد امرأته من غير مواقعة وان ينبت الزرع من غير بذر كان عن المعقول خارجا ولأمر الله كارها قال الغزالى أما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوت سنة ونهى أم أيمن وغيرها ان تدخر شيأ وقال أنفق يابلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا وقال عبد الله ابن الفرج اطلعت على ابراهيم بن أدهم وهو فى بستان بالشام فوجدته مستلقيا على قفاه واذا حية فى فيها باقة نرجس فما زالت تذب عنه حتى انتبه فحسبك توكل يؤدى الى هذا وعن عبد الله الهروى قال كنا مع الفضيل بن عياض على جبل أبى قبيس فقال لو أن رجلا صدق فى توكله على الله ثم قال لهذا الجبل اهتز لاهتز فوالله لقد رأيت الجبل اهتز وتحرك فقال له الفضيل رحمه الله تعالى لم أعنك رحمك الله فسكن وفى الاسرائيليات أن رجلا احتاج الى أن يقترض ألف دينار فجاء الى رجل من المتمولين فسأله فى ذلك وقال له تمهل على بدينك الى أن أسافر الى البلد الفلانى فان لى مالا آتيك به وأوفيك منه وتكون مدة الاجل بينى وبينك كذا وكذا فقال له هذا غرر فانا ما أعطيك مالى الا أن تجعل لى كفيلا ان لم تحضر طلبته منه فقال الرجل الله كفيل بمالك وشاهد على أن لا أغفل عن وفائك فان رضيت فافعل فداخل الرجل خشية الله تعالى وحمله التوكل على ان دفع المال للرجل فأخذه ومضى الى البلد الذى ذكره فلما قرب الاجل الذى بينه وبين صاحبه جهز المال وقصد

السفر في البحر فعسر عليه وجود مركب ومضت المدة وبعدها أيام وهو لا يجد مركبا فاغتم لذلك وأخذ الالف دينار وجعلها في خشبة وسمرعليها ثم قال اللهم انى جعلتك كفيلا بايصال هذه الى صاحبها وقد تعذر على وجود مركب وعزمت على طرحها فى البحر وتوكلت عليك فى ايصالها اليه ثم نقش على الخشبة رسالة الى صاحبها بصورة الحال وطرحها فى البحر بيده وأقام فى البلد مدة بعد ذلك الى أن جاءت مركب فسافر فيها الى صاحب المال فابتدأه وقال أنت سيرت الالف دينار فى خشبة صفتها كيت وكيت وعليها منقوش كذا وكذا قال نعم قال قد أوصلها الله تعالى الى والله نعم الكفيل فقال فكيف وصلت اليك قال لما مضى الاجل المقدر بيني وبينك بقيت أتردد الى البحر لاجد لك أو أجد من يخبرني عنك فوقفت ذات يوم الى الشط واذا بالخشبة قد استندت الى ولم أر لها طالبا فأخذها الغلام ليجعلها حطبا فلما كسرها وجد ما فيها فاخبرني بذلك فقرأت ما عليها فعلمت أن الله تعالى حقق أملك لما توكلت عليه حق التوكل وقيل ان سبب بداية ذى النون المصرى رحمه الله تعالى أنه رأى طيرا أعمى بعيدا عن الماء والمرعى فبينما هو يتفكر فى أمر ذلك الطائر فاذا هو بسكرجتين برزتا من الارض احداهما ذهب والاخرى فضة هذه فيها ماء والاخرى فيها قمح فلقط القمح وشرب الماء ثم غابا بعد ذلك فذهل ذوالنون وانقطع الى الله تعالى من ذلك الوقت (وحكى) أن رجلا من أبناء الناس كانت له يد فى صناعة الصياغة وكان أوحد أهل زمانه فساء حاله وافتقر بعد غناه فكره الاقامة فى بلده فانتقل الى بلد آخر فسأل عن سوق الصاغة فوجد دكانا لمعلم السلطنة وتحت يده صناع كثيرة يعملون الاشغال للسلطنة وله سعادة ظاهرة ما بين مماليك وخدم وقماش وغير ذلك فتوصل الصائغ الغريب الى أن بقى من أحد الصناع الذين فى دكان هذا المعلم وأقام يعمل عنده مدة وكلما فرغ النهار دفع له درهمين من فضة وتكون اجرة عمله تساوى عشرة دراهم فيكسب عليه ثمانية دراهم فى كل يوم فاتفق أن الملك طلب المعلم وناوله فردة سوار من ذهب مرصعة بفصوص فى غاية من الحسن قد عملت فى غير بلاده كانت فى يد احدى محاظيه فانكسرت فقال له الحمها فأخذها المعلم وقد اضطرب عليه فى عملها فلما أخذها وأراها للصناع الذين عنده وعند غيره فما قال له أحد انه يقدر على عملها فازداد المعلم لذلك غما ومضت مدة وهى عنده لا يعلم ما يصنع فاشتد الملك على احضارها وقال هذا المعلم نال من جهتنا هذه النعمة العظيمة ولا يحسن أن يلحم سوارا فلما رأى الصائغ الغريب شدة ما نال المعلم قال فى نفسه هذا وقت المروأة أعملها ولا آخذه بجهله على وعدم انصافه ولعله يحسن الى بعد ذلك فحط يده فى درج المعلم وأخذها وفك جواهرها وسبكها ثم صاغها كما كانت ونظم عليها جواهرها فعادت أحسن ما كانت فلما رآها المعلم فرح فرحا شديدا ثم مضى بها الى الملك فلما رآها استحسنها وادعى المعلم انه صنعته فأحسن اليه وخلع عليه خلعة سنية نجاء وجلس مكانه فبقى الصائغ يرجو مكافأته عما عامله به فما التفت اليه المعلم ولما كان النهار مازاده على الدرهمين شيأ فما مضت الايام قلائل واذا الملك اختار أن يعمل زوجين أساور على تلك الصورة فطلب المعلم ورسم له بكل ما يحتاج اليه وأكد عليه فى تحسين الصفة وسرعة العمل وجاء الى الصائغ وأخبره بما قال

الملك فامتثل مرسومه ولم يزل منتصبا الى ان عمل الزوجين وهو لا يزيده شيئا على الدرهمين في كل يوم ولا يشكره ولا يعده بخير ولا يتجمل معه فرأى المصلحة أن ينقش على زوج منهما أبياتا يشرح فيها حاله ليقف عليها الملك فنقش في باطن أحدهما هذه الابيات نقشا خفيا يقول

مصائب الدهر كفي * ان لم تكفي فعفي
خرجت اطلب رزقي * وجدت رزقي توفي
فلا برزقي احظى * ولا بصنعة كفي
كم جاهل في الثريا * وعالم متخفي

قال وعزم الصانع على أنه ان ظهرت الابيات للمعلم شرح له ماعنده وان غم عليه ولم يرها كان ذلك سبب توصله الى الملك ثم لفهما في قطن وناولهما للمعلم فرأى ظاهرهما ولم ير باطنهما لجهله بالصنعة ولما سبق له في القضاء فأخذهما المعلم ومضى بهما فرحا الى الملك وقدمهما اليه فلم يشك الملك في انهما صنعته فخلع عليه وشكره ثم جاء فجلس مكانه ولم يلتفت الى الصانع ومازاده في آخر النهار شيئا على الدرهمين فلما كان اليوم الثاني خلا خاطر الملك فاستحضر الخطية التي عمل لها السوارين الذهب فحضرت وهما في يديها فاخذهما ليعيد نظره فيهما وفي حسن صنعتهما فقرأ الابيات فتعجب وقال هذا شرح حال صانعهما والمعلم يكذب فغضب عند ذلك وأمر باحضار المعلم فلما حضر قال له من عمل هذين السوارين قال أنا أيها الملك قال فما سبب نقش هذه الابيات قال لم يكن عليهما أبيات قال كذبت ثم اراه النقش وقال ان لم تصدقني الحق لاضربن عنقك فأصدقه الحق فأمر الملك باحضار الصانع فلما حضر سأله عن حاله فحكى له قصته وماجرى له مع المعلم فرسم الملك بعزل المعلم وأن تسلب نعمته وتعطى للصانع وان يكون عوضا عنه في الخدمة ثم خلع عليه خلعة سنية وصار مقدما سعيدا فلما نال هذه الدرجة وتمكن عند الملك تلطف به حتى رضي عن المعلم الاول وصارا شريكين ومكثا على ذلك الى آخر العمر ورحم الله من قال

اذا كان سعد المرء في الدهر مقبلا * تدانت له الاشياء من كل جانب

وقال آخر

ماسلم الله هو السالم * ليس كما يزعم الزاعم
تجرى المقادير التي قدرت * وانف من لا يرتضي راغم

وقال كعب بن زهير

لو كنت اعجب من شئ لاعجبني * سعي الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لامور ليس يدركها * والنفس واحدة والهم منتشر
والمرء ماعاش ممدود له أمل * لا ينتهي ذاك حتى ينتهي العمر

وروى في الاسرائيليات ان نبيا من الانبياء عليهم السلام مر بفخ منصوب واذا بطائر قريب منه فقال له الطائر يانبي الله هل رأيت اقل عقلا ممن نصب هذا الفخ ليصيدني به وأنا أنظر اليه

قال فذهب عنه ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع واذا بالطائر في الفخ فقال له عجبا لك ألست القائل كذا وكذا آنفا فقال يا نبي الله اذا جاء الحين لم يبق اذن ولا عين ويروى ان رجلا قال لبزرجمهر تعال نتناظر في القدر قال وما تصنع بالمناظرة قال رأيت شيأ ظاهرا استدللت به على الباطن رأيت جاهلا مبرورا وعالما محروما فعلمت أن التدبير ليس للعباد ولما قدم موسى بن نصير بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك قال له يزيد بن المهلب أنت ادهى الناس واعلمهم فكيف طرحت نفسك في يد سليمان فقال ان الهدهد ينظر الى الماء في الارض على ألف قامة ويبصر القريب منه والبعيد على بعد في التخوم ثم ينصب له الصبي الفخ بالدودة أو الحبة فلا يبصره حتى يقع فيه وأنشدوا في ذلك

واذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

وقال آخر

أقام على المسير وقد أنيخت * مطاياه وغرد حاديا ها
وقال أخاف عادية الليالي * على نفسي وان التي رداها
مشيناها خطا كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بأرض * فليس يموت في أرض سواها

ولما قتل كسرى بزرجمهر وجد في منطقته كتاب فيه اذا كان القضاء حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر في الناس طباعا فالثقة بكل أحد عجز واذا كان الموت بكل أحد نازل فالطمانينة الى الدنيا حمق وقال ابن عباس وجعفر بن محمد في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما انما كان الكنز لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالرزق كيف ينصب وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يوقن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله (وحكى) الطرطوشي رحمه الله تعالى في كتابه سراج الملوك قال من عجيب ما اتفق بالاسكندرية ان رجلا من خدم نائب الاسكندرية غاب عن خدمته اياما في بعض الايام قبض عليه صاحب الشرطة وحمله الى دار النائب فانفلت في بعض الطرق وترامى في بئر والمدينة اذ ذاك مسردبة بسرداب يمشي الماشي فيه قائما فما زال الرجل يمشي الى أن لاحت له بئر مضيئة فطلع منها فاذا البئر في دار النائب فلما طلع أمسكه النائب وأدبه فكان فيه المثل السائر الفار من القضاء الغالب كالمتقلب في يد الطالب وأنشدوا فيه

قالوا انقيم وقد اتا * ك العدو ولا تفر
لا نلت خيرا ان بقيـ * ـت ولا عداني الدهر شر
ان كنت أعلم أن غيـ * ـر الله ينفع أو يضر

(الباب التاسع والسبعون في التوبة والاستغفار)

قد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة وأمر الله تعالى

بالتوبة

بالتوبة فقال وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ووعد بالقبول فقال تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده وفتح باب الرجاء فقال ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وروى فى الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ياأيها الناس توبوا الى الله تعالى فانى أتوب الى الله تعالى فى اليوم مائة مرة وروى أحمد ابن عبد الرحمن السلمانى قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يقبل التوبة من عبده قبل أن يموت بيوم فقال الثانى أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبته قبل أن يموت بنصف يوم فقال الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبة العبد قبل موته بضحوة اوقال بضجعة فقال الرابع أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر وفى الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لله افرح بتوبة عبده من رجل نزل بأرض دوية مهلكة معه راحلته فنام واستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا أدركه الموت قال أرجع الى المكان الذى ضللتها فيه وأموت فاتى مكانه فغلبته عينه فاستيقظ واذا راحلته عند رأسه فيها طعامه وشرابه وزاده ومايصلحه فالله اشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلته وزاده وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم اكثر من سبعين مرة رواه البخارى وعن أبى موسى عبد الله بن قيس الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه رواه مسلم وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الارض فدل على راهب فأتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة قال لافقتله وكمل به المائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فأتاه وقال له انه قد قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحل بينك وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم ولاترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى كان نصف الطريق أدركه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاءنا تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك فى صورة آدمى فحكموه بينهم فقال قيسوا مابين الارضين فالى ايتهما كان أدنى فهو أقرب لها فقاسوه فوجدوه أدنى الى الارض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة متفق عليه وفى الصحيحين فكان ادنى الى أرض التوبة الصالحة بشبر فجعل من

أهلها وعن أبي نجيد بضم النون وفتح الجيم عمران بن الحصين الخزاعي رضي الله عنه ان امرأة من جهينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حبلى من الزنا فقالت يا رسول الله أصبت حدا فأقمه على فدعا نبي الله وليها فقال أحسن اليها فاذا وضعت فائتني بها ففعل فأمر بها فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال عمر يا رسول الله تصلي عليها وقد زنت قال لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل من جادت بنفسها لله عز وجل رواه مسلم وعن ابي نصرة قال لقيت مولى لابي بكر رضي الله عنه فقلت له سمعت من أبي بكر شيأ قال نعم سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر ولو عاد الى الذنب في اليوم سبعين مرة (وحكي) أن نبهان التمار وكنيته ابو مقبل أتته امرأة حسناء تشتري تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها الى بيته وضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأنزل الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخر الآية وعن اسماء بن الحكم الفزاري قال سمعت عليا يقول اني كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله حديثا نفعني الله منه بما شاء ينفعني واذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته فاذا حلف لي صدقته وانه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر انه سمع رسول الله يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ويصلي ثم يستغفر الله الا غفر له وروى في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أذنب العبد ذنبا فقال يارب أذنبت ذنبا فاغفره لي قال الله عز وجل علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب و يأخذ به فغفر له ثم اذا مكث ماشاء الله وأصاب ذنبا آخر فقال يارب أذنبت ذنبا فاغفره لي قال ربه علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليفعل ماشاء وكان قتادة رضي الله عنه يقول القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما داؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار وكان علي رضي الله عنه يقول العجب لمن هلك ومعه كلمة النجاة قيل وما هي قال الاستغفار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عشرا حين يصبح وحين يمسي استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه وأسأله التوبة والمغفرة من جميع الذنوب غفرت ذنوبه ولو كانت مثل رمل عالج ومن قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوأ فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت غفرت ذنوبه ولو كانت مثل دبيب النمل وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك من الذنوب مثل عدد القطر وزبد البحر محيت عنك اذا استغفرت بهذا الاستغفار وهو هذا اللهم اني اسألك واستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه واستغفرك من كل ما وعدتك من نفسي ثم لم اوف لك به واستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك واستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك يقول الله عز وجل لملائكته ويح ابن آدم يذنب الذنب ثم يستغفرني فاغفر له ثم يذنب الذنب فيستغفرني فاغفر له لا هو يترك الذنب من مخافتي ولا ييأس من مغفرتي اشهدكم يا ملائكتي اني قد غفرت له وقال بشر الحافي بلغني ان العبد اذا عمل الخطيئة أوحى الله تعالى الى الملائكة الموكلين ترفقوا عليه سبع ساعات فان استغفرني فلا تكتبوها وان لم يستغفرني فاكتبوها (نكتة) قيل انقطع الغيث عن

بنى اسرائيل فى زمن موسى عليه السلام حتى احترق النبات وهلك الحيوان فخرج موسى
عليه السلام فى بنى اسرائيل وكانوا سبعين رجلا من نسل الانبياء مستغيثين الى الله تعالى
قد بسطوا أيدى صدقهم وخضوعهم وقربوا قربان تذللهم وخشوعهم ودموعهم تجرى على
خدودهم ثلاثة أيام فلم تمطر لهم فقال موسى اللهم أنت القائل ادعونى أستجب لكم وقد
دعوناك وعبادك على ماترى من الفاقة والحاجة والذل فاوحى الله تعالى اليه ياموسى ان فيهم
من غذاؤه حرام وفيهم من يبسط لسانه بالغيبة والنميمة وهؤلاء استحقوا أن أنزل عليهم غضبى
وأنت تطلب لهم الرحمة كيف يجتمع موضع الرحمة وموضع العذاب فقال موسى ومن هم يارب
حتى نخرجهم من بيننا فقال الله تعالى ياموسى لست بهتاك ولا نمام ولكن ياموسى توبوا كلكم
بقلوب خالصة فعساهم يتوبوا معكم فاجود بانعامى عليكم فنادى منادى موسى فى بنى اسرائيل
ان اجتمعوا فاجتمعوا فاعلمهم موسى عليه السلام بما أوحى اليه والعصاة يسمعون فذرفت أعينهم
ورفعوا مع بنى اسرائيل أيديهم الى الله عز وجل وقالوا الهنا جئناك من أوزارنا هاربين ورجعنا
الى بابك طالبين فارحمنا يا أرحم الراحمين فما زالوا كذلك حتى سقوا بتوبتهم الى الله تعالى
اللهم تب علينا وعلى سائر العصاة والمذنبين يارب العالمين أوحى الله الى داود عليه السلام ياداود
لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ورفقى بهم وشوقى الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الىّ
وتقطعت أوصالهم من محبتى ياداود هذه ارادتى فى المدبرين عنى فكيف ارادتى بالمقبلين علىّ
ولقد أحسن من قال

أسىء فيجزى بالاساءة افضالا * وأعصى فيوليني برا وامهالا
فحتى متى أجفوه وهو يبرنى * وأبعد عنه وهو يبذل ايصالا
وكم مرة قد زغت عن نهج طاعة * ولا حال عن ستر القبيح ولا زالا

وهذا آخر ما يسره الله تعالى فى هذا الباب والله أعلم بالصواب

الباب الثمانون فيما جاء فى ذكر الامراض والعلل والطب والدواء وما جاء فى السنة من العيادة وما أشبه ذلك وفيه فصول

(الفصل الاول فى الامراض والعلل وما جاء فى ذلك من الاجر والثواب) روى عن
عبد الله بن أنيس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ايكم يحب أن يصح
جسمه فلا يسقم فقالوا كلنا يارسول الله قال اتحبون أن تكونوا كالحمير الصوالة الا تحبون
أن تكونوا أصحاب بلايا وأصحاب كفارات والذى بعثنى بالحق نبيا ان الرجل لتكون له
الدرجة فى الجنة فلا يبلغها بشئ من عمله فيبتليه الله تعالى ليبلغ درجة لا يبلغها بعمله وقال
صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يمرض مرضا الا حط الله من خطاياه كما تحط الشجر ورقها وكان
يقول لاتزال الاوصاب والمصائب بالعبد حتى تتركه كالفضة البيضاء النقية المصفاة
وقيل ان الناس قد حموا فى فتح خيبر فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها
الناس ان الحمى رائد الموت وسجن الله فى الارض وقطعة من النار فاذا وجدتم ذلك فبردوا لها
الماء فى الشنان ثم صبوا عليكم بين المغرب والعشاء ففعلوا ذلك فزالت عنهم وعن أنس

رضى الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على شاب وهو فى الموت فقال له كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبى فقال عليه الصلاة والسلام هما لا يجتمعان فى قلب عبد فى هذا المواطن الا أعطاه الله ما يرجو وامنه مما يخاف وعن عفيرة بنت الوليد البصرية العابدة الزاهدة رحمها الله تعالى انها سمعت رجلا يقول ما أشد العمى على من كان بصيرا فقالت له يا عبد الله عمى القلب عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا والله لوددت ان الله وهب لى كنه معرفته ولم يبق منى جارحة الا أخذها وكتب مبارك لاخيه سفيان الثورى يشكو اليه ذهاب بصره فكتب اليه أما بعد فقد فهمت كتابك فيه شكاية ربك فاذكر الموت يهن عليك ذهاب بصرك والسلام وقيل لعطاء فى مرضه ما تشتهى قال ما ترك خوف جهنم فى قلبى موضعا للشهوة وأصاب ابن أدهم بطن فتوضأ فى ليلة سبعين مرة وقيل لاعرابى فى مرضه ما تشتهى قال الجنة فقيل أفلا ندعو لك طبيبا قال طبيبى هو الذى أمرضنى

الفصل الثانى من هذا الباب فى ذكر العلل كالبخر والعرج والعمى والصمم والرمد والفلج وغير ذلك نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة قيل تسارر أبخر واصم فقال له الاصم قد فهمت ثم فارقه فسأله رجل فقال والله لا أدرى غير انه فسا فى أذنى وقيل ان عبد الملك بن مروان كان أبخر فعض يوما على تفاحة ورمى بها الى زوجته فدعت بسكين فقال ما تصنعين بها قالت أميط الاذى عنها فشق عليه ذلك منها فطلقها وسارر أبو الاسود الدؤلى سليمان بن عبد الملك وكان أبو الاسود أبخر فستر سليمان انفه بكمه فعبر أبو الاسود وهو يقول لا يصلح للخلافة من لا يقدر على مناجاة الشيوخ البخر وقيل طول انطباق الفم يورث البخر وكل رطب الفم سائل اللعاب سالم منه وقيل ان الزنج أطيب الناس أفواها والسباع موصوفة بالبخر والمثل مضروب بالاسد والصقر فى البخر والكلب من بينهما طيب الفم وليس فى البهائم أطيب أفواها من الظباء (وحكى) أن أبخر تزوج بامرأة فلما ضاجعها عافته وولت عنه بوجهها ثم أنشدت تقول

يا حب والرحمن ان فاكا * أهلكنى فولنى قفاكا
اذا غدوت فاتخذ مسواكا * من عرفطان لم تجد أراكا
لا تقربنى بالذى سواكا * انى أراك ماضغا خراكا

وفى ديوان المنثور كم من ذى عرج فى درج المعالى عرج وكم من صحيح قدم ليس له فى الخير قدم وقيل ان من الصم من يسمع السر فاذا رفعت اليه الصوت لم يسمعه ورأيت من العمش من لا ينظر صورة الانسان من قريب ولكن يقرأ الخط الرقيق الحواشى وقيل ان طريفا الشاعر مدح عمرو بن هداب وكان أبرص فلما انتهى الى قوله أبرص فياض اليدين مهذب صاح به الناس وقالوا قطع الله لسانك فقال عمرو مه ان البرص مما تتفاخر به العرب أما سمعتم قول سهل حيث قال

أيشتمنى زيد بان كنت أبرصا * وكل كريم لا أبالك أبرص

وقال

كفى حزنا انى أعاشر معشرا * يخوضون فى بعض الحديث وأمسك
وماذاك من عى ولا من جهالة * ولكنه ما فى للصوت مسلك
فان سد منى السمع فالله قادر * على فتحه والله للعبد أملك *

وما جاء فى العمى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من عدم احدى كريمتيه ضمنت له على الله الجنة وكان أبو عبد الرحمن بن حارث بن هشام يطعم الطعام وكان أعور فجعل أعرابى يطيل النظر اليه حابسا نفسه عن طعامه فكلمه المغيرة فى ذلك فقال له والله انى ليعجبنى طعامك وتريبنى عينك قال فما يريبك من عينى قال أعور وأراك تطعم الطعام وهذه صفة الدجال فقيل له ان عينه أصيبت فى فتح الروم فقال ان الدجال لاتصاب عينه فى سبيل الله وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من قاد أعمى أربعين خطوة لم تمسه النار وقال على كرم الله وجهه ربما أخطأ البصير قصده وأصاب الاعمى رشده وقال أبو على البصير

لئن كان يهدينى الغلام لوجهتى * ويقتادنى فى السير اذ أنا راكب
لقد يستضىء القوم بى فى وجوههم * ويخبو ضياء العين والقلب ثاقب

وقال

اذا عدمت طلابة العلم مالها * من العلم الا ما تسطر فى الكتب
غدوت بتشمير وجد عليهم * ومحبرتى سمعى وها دفترى قلبى

وقال

ان يأخذ الله من عينى نورهما * ففى لسانى وسمعى منهما نور
فهمى ذكى وقلبى غير ذى غفل * وفى فمى صارم كالسيف مشهور

وقال

عزاءك أيها العين السكوب * وحقك انها نوب تنوب
وكنت كريمتى وسراج وجهى * وكانت لى بك الدنيا تطيب
على الدنيا السلام فما لشيخ * ضرير العين فى الدنيا نصيب
يموت المرء وهو يعد حيا * ويخلف ظنه الامل الكذوب
اذا ما مات بعضك فابك بعضا * فان البعض من بعض قريب

(وحكى) أن ربيعة رمدت عينه فارسل الى امراة كان يحبها ثم أنشد يقول

عينا ربيعة رمدا وان فاحتسبى * بنظرة منك تشفيه من الرمد
ان تكحل بك عيناه فلا رمد * على ربيعة يخشى آخر الامد

وعن عبد الرحمن بن قيس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال داء الانبياء الفالج واللقوة قال الجاحظ ومن المفاليج سيدنا ادريس عليه السلام وأكثر ما يعترى المتوسطين من الناس لان الشاب كثير الحرارة والشيخ كثير اليبس وقيل ان أبان بن عثمان كان

أفلج حتى صار مثلا ذكانت الناس تقول لا رمالك الله بفالج ابن عثمان وكان معاوية الوقص وعبد الملك بن مروان أبخر وحسان أعمى وابن سيرين أصم وممن فلج ابن أبي دواد قاضي قضاة المعتصم كان من الشرف والكرم بمنزلة عظيمة قد ضرب المثل بفالجه قال الشاعر في رجل ضرب غلامه

أتضرب مثله بالسوط عشرا * ضربت بفالج ابن أبي دواد

وشجة عبد الحميد كانت مثلا في الحسن وهو عبد الحميد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم وكان بارعا في الحسن والجمال فزادته حسنا الى حسنه حتى ان النساء كن يخططن في وجوههن شجة عبد الحميد وكان يقال لعمر بن عبد العزيز أشج بني أمية وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ان من ولدي رجلا بوجهه أثر في جبهته قال أصبغ الله أكبر هذا أشج بني أمية يملأ الارض عدلا وقال أعور لابي الاسود ما الشئ ونصف الشئ ولا شئ فقال أما الشئ فالبصير كأنا وأما لا شئ فالاعمى وأما نصف الشئ فانت يا أعور اللهم اكفنا شر العاهات برحمتك ومنك وكرمك آمين

الفصل الثالث من هذا الباب في التداوي من الامراض والطب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تداووا فان الذي أنزل الداء أنزل الدواء وقال صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدواء والرقى هل يردان شيأ من قضاء الله تعالى قال هما من قدر الله تعالى وقال عبد الله ابن عكرمة عجبت لمن يحتمي من الطعام خوف الداء ولا يحتمي من الذنوب خوف النار وقيل ان الربيع بن خيثم لما مرض قالوا له ألا ندعو لك طبيبا فقال لهم ان مرضي من الطبيب وانه متى أراد عافاني ولا حاجة لي بطبيبكم وأنشد

فاصبحت لا أدعو طبيبا لطبه * ولكنني أدعوك يا منزل القطر

وعاد الفرزدق مريضا فقال

يا طالب الطب من داء تخوفه * ان الطبيب الذي أبلاك بالداء

فهو الطبيب الذي يرجى لعافية * لا من يذيب لك الترياق بالماء

قال ولما مرض بشر الحافي رحمه الله تعالى قالوا ندعو لك طبيبا فقال اني بعين الطبيب يفعل بي ما يريد فالح عليه أهله وقالوا لابد أن ندفع ماءك الى الطبيب فقال لاخته ادفعي اليهم الماء في قارورة وكان بالقرب منهم رجل ذمي وكان حاذقا في الطب فأتوه بمائه في القارورة فلما رآه قال حركوه فحركوه ثم قال ضعوه ثم قال ارفعوه فقالوا والله ما بهذا وصفت لنا قال وبم وصفت لكم قالوا بالحذق والمعرفة قال هو كما تقولون غير أن هذا الماء ان كان ماء نصراني فهو راهب قد فتت كبده العبادة وان كان مسلما فهو ماء بشر الحافي فانه اوحد أهل زمانه في السلوك مع الله تعالى فقالوا هو ماء بشر الحافي فأسلم النصراني وقطع زناره فلما رجعوا الى بشر قال لهم أسلم الطبيب قالوا ومن أعلمك قال لما خرجتم من عندي هتف بي هاتف وقال يا بشر ببركة مائك أسلم الطبيب وصار من أهل الجنة وفلج الربيع بن خيثم

فقيل

فقيل له هلا تداويت فقال قد عرفت أن الدواء حق ولكن عاد وثمود وقرون بين ذلك كثيرا كانت فيهم الاوجاع كثيرة والاطباء أكثر فلم يبق المداوى ولا المداوى وقد أبادهم الموت ثم قال هذا المفرد

هلك المداوى والمداوى والذى * جلب الدواء وباعه والمشترى

وقيل لجالينوس حين نهكته العلة أما تعالج فقال اذا كان الداء من السماء بطل الدواء من الارض واذا نزل قضاء الرب بطل حذر المربوب ومر قوم بماء من مياه العرب فوصف لهم ثلاث بنات متطببات وهن من أجمل الناس فأحبوا أن يروهن فحكوا ساق أحدهم حتى أدموها ثم قصدوهن فقالوا هذا جريح مريض فهل من طبيب فخرجت صغراهن وهى كأنها الشمس الطالعة فلما رأت جرحه قالت ليس هو بمريض بل خدشه عود بالت عليه حية فاذا طلعت الشمس مات فكان الامر كما قالت وقيل دواء كل مريض بعقاقير أرضه فان الطبيعة تتطلع لهوائها وقالوا من قدم الى أرض غير أرضه وأخذ من ترابها وجعله فى مائها وشربه لم يمرض فيها وعوفى من وبائها واحتمى أحمد بن العدل لعلة أصابته فبرئ فقال الحمية طالع الصحة لأهل الدنيا تبرئهم من المرض ولاهل الآخرة تبرئهم من النار وقيل ان الابدان المعتادة بالحمية آفتها التخليط والمعتادة بالتخليط آفتها الحمية لان الحكماء تقول عودوا كل جسد بما اعتاد وكان كسرى أنوشروان يمسك عما تميل اليه شهوته ولا ينهمك عليه ويقول تركنا ما نحبه لنستغنى عن العلاج بما نكرهه وقال لقمان لا تطيلوا الجلوس على الخلاء فانه يورث الباسور وكانت هذه الحكمة مكتوبة على أبواب الحشوش أى الكنف وقيل كفى بالمرء عارا أن يكون صريع مأكله وقتيل أنامله فكم أكلة أكلت نفس حر وكم أكلة جلبت كل ضر وقيل من غرس الطعام أثمر الاسقام وعن بعض أهل البيت النبوى عليهم السلام انه كان اذا أصابته علة جمع بين ماء زمزم والعسل واستوهب من مهر أهله شيأ وكان يقول قال الله تعالى وأنزلنا من السماء ماء مباركا وقال تعالى فيه شفاء للناس وقال عليه الصلاة والسلام ماء زمزم لما شرب له وقال تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فمن جمع بين ما بورك فيه وبين ما فيه شفاء وبين الهنئ المرئ يوشك أن يلقى العافية وقيل خمسة من المهلكات دخول الحمام على الشبع والمجامعة على الشبع وأكل القديد وشرب الماء البارد على الريق ومجامعة المرأة العجوز وقالوا لا تنكح العجوز ولا تخرج الدم وأنت مستغن عن اخراجه وقال الامام على رضى الله عنه

توق مدى الايام ادخال مطعم * على مطعم من قبل هضم المطاعم
وكل طعام يعجز السن مضغه * فلا تقربنه فهو شر المطاعم
ووفر على الجسم الدماء فانها * لقوة جسم المرء خير الدعائم
واياك أن تنكح طواعن سنهم * فان لها سما كسم الاراقم
وفى كل أسبوع عليك بقيئة * تكن آمنا من شر كل البلاغم

ومما يورث الهزال النوم على غير وطاء وكثرة الكلام برفع الصوت وقال النظام رحمه الله

تعالى ثلاثة تخرب العقل طول النظر فى المرآة وكثرة الضحك والنظر الى النجوم وفى
الحديث احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أم مغيث وهى وسط الرأس وكان صلى
الله عليه وسلم يحتجم فى الاخدعين ونهى عن الحجامة فى نقرة القفا فانها تورث النسيان
وأمر بالاستنجاء بالماء البارد فانه أمان من الباسور وخطب المأمون بمسجد مروان فوجد
غالب اهل المسجد يشكون من السعال فقال فى آخر خطبته من كان يشكو سعالا فليتداو
بالخل ففعلوا فعافاهم الله وقال بعض الحكماء اياك أن تطيل النظر فى عين أرمد واياك
أن تسجد على حصير جديدة قبل أن تمسها بيدك فرب شظية حقيرة قلعت عينا خطيرة وقيل
كانت الادوية تنبت فى محراب سليمان عليه السلام ويقول كل دواء يا نبى الله أنا دواء لكذا
وكذا وقال جالينوس البطنة تقتل الرجال وتورث الفالج والاسهال الذريع والاقعاد
وصنفا من الجذام يقال له الفهد لا يسمع صاحبه ولا يبصر نسأل الله العفو والعافية
وقيل البطنة تورث الصداع والكمنة فى العينين والضربان فى الاذنين والقولنج فى البطن
فعليك أيها الانسان بالطريقة الوسطى واتق الليل وطعامه جهدك وقال جالينوس
الغم المفرط يميت القلب ويجمد الدم فى العروق فيهلك صاحبه والسرور المفرط يذهب
حرارة الدم حتى يغلب الحرارة الغريزية فيهلك صاحبه وقيل انه وضع على مائدة المأمون
فى يوم عيد أكثر من ثلاثين لونا فكان يصف وهو على المائدة منفعة كل لون ومضرته فقال
يحيى بن أكثم يا أمير المؤمنين ان خضنا فى الطب فأنت جالينوس فى معرفته أو فى النجوم
فأنت هرمس فى صناعته أو فى الفقه فأنت على بن أبى طالب رضى الله عنه فى علمه أو فى السخاء
فانت حاتم فى كرمه أو فى الحديث فانت أبو ذر فى صدق لهجته أو فى الوفاء فأنت السموأل
ابن عادياء فى وفائه فسر بكلامه وقال يا أبا محمد انما فضل الانسان على غيره بالعقل
ولولا ذلك لكانت الناس والبهائم سواء وقال طبيب الهند ان منفعة الحقنة للجسد كمنفعة
الماء للشجر وقال سفيان بن عيينة أجمع أطباء فارس على أن الداء ادخال الطعام على الطعام
وقالوا ادخال اللحم على اللحم يقتل السباع فى البر وقيل الشرب فى آنية الرصاص أمان
من القولنج وعرض رجل على طبيب قارورته فقال له ماهى قارورتك لانه ماء ميت
وأنت حى تكلمنى فما فرغ من كلامه حتى خر الرجل ميتا وقيل ان ملكا من الملوك حصل
عنده صداع فى رأسه فاحضر الطبيب فامره أن يضع قدميه فى الماء الحار وكان عنده خصى
فقال أين القدمان من الرأس فقال له الطبيب وأين وجهك من خصيتيك نزعتا فذهبت
لحيتك وقيل ان المأمون حصل له صداع بطرسوس فأحضر طبيبا كان عنده فلم
ينفعه علاجه فبلغ قيصر فأرسل اليه قلنسوة وكتب له بلغنى صداعك فضعها على رأسك
يزل ما بك فخاف أن تكون مسمومة فوضعها على رأس القاصد فلم يصبه بها شئ ثم انه
أحضر رجلا به صداع فوضعها على رأسه فزال ما به فتعجب المأمون ثم انه فتحها فوجد
فيها رقعة مكتوبا فيها بسم الله الرحمن الرحيم كم من نعمة لله تعالى فى عرق ساكن وغير
ساكن حمعسق لا يصدعون عنها ولا ينزفون من كلام الرحمن خمدت النيران ولا
حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقال على رضى الله عنه ادهنوا بالبنفسج فانه حار

فى

فى الشتاء بارد فى الصيف وقال أيضا رضى الله عنه عليكم بالزيت فانه يذهب البلغم ويشد العصب ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب الغم وعنه رضى الله عنه ان لم يكن فى شئ شفاء ففى شرطة حاجم أوشربة من عسل وقال الحجاج لطبيبه أخبرنا بجوامع الطب فقال لاتنكح الافتاة ولاتأكل من اللحم الاقتيا واذا تغديت فنم واذا تعشيت فامش ولو على الشوك ولاتدخلن بطنك طعاما حتى تستمرى مافيه ولاتأوى الى فراشك حتى تدخل الخلاء وكل الفاكهة فى اقبالها وذرها فى ادبارها وأوصى حكيم خليفته وصية ووعده انه اذا لازمها لايمرض الامرض الموت فقال اياك أن تدخل طعاما على طعام ولاتمش حتى تعيا ولاتجامع عجوزا ولاتدخل حماما على شبع واذا جامعت فكن على حال وسط من الغذاء وعليك فى كل أسبوع بقيئة ولاتأكل الفاكهة الافى أوان نضجها ولاتأكل القديد من اللحم واذا تغديت فنم واذا تعشيت فامش أربعين خطوة ونم على يسارك لتقع الكبد على المعدة فيهضم مافيها وتستريح الكبد من حرارة المعدة ولاتنم على يمينك فيبطئ الهضم ولاتأكل بشهوة عينيك بعد الشبع ولاتنم ليلا حتى تعرض نفسك على الخلاء ان احتجت الى ذلك أولم تحتج واقعد على الطعام وأنت تشتهيه وقم عنه وأنت تشتهيه قال بعضهم

شره النفوس على الجسوم بلية * فتعوذوا من كل نفس تشره
مامن فتى شرهت له نفس وان * نال الغنى الارأى مايكره

وقال أبو الفيض القضاعى يمدح الفضل وقد فصد

أرقت دما لوتسكب المزن مثله * لاصبح وجه الارض أخضر زاهيا
دماطيبا لويطلق الشرع شربه * لكان من الاسقام للناس شافيا

(الفصل الرابع فيما جاء فى العيادة وفضلها) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة فى ظل العرش عائد المريض ومشيع الموتى وطائع والديه وفى رواية ومعزى الثكلى ومن السنة تخفيف الجلوس فى العيادة * مرض بكر بن عبد الله المزنى فعاده أصحابه فاطالوا الجلوس عنده فقال المريض يعاد والصحيح يزار قال الشاعر

يعدن مريضا هن هيجن داءه * ألا انما بعض العوائد دائيا

وقيل اذا دخل العواد على الملك فحقهم أن لايسلموا عليه فيحوجوه الى رد السلام ويتعبوه فاذا علموا أنه لاحظ لهم دعوا له وانصرفوا * قيل مرض انسان فكتب اليه بعض أصدقائه كشف الله عنك مابك من السقم وطهرك بالعلة من الخطايا ومتعك بانس العافية وأعقبك دوام الصحة * ومرض انسان فكتب اليه صديقه

باخوانك الادنين لابك كل ما * شكوت الى اليوم من ألم الورد
فكل امرئ منهم بقدر احتماله * وان عجزوا عنه تحملته وحدى

وقال آخر

بى السوء والمكروه لابك كلما * أراد الله كانا بى وكان لك الاجر

وقال عبدالله بن مصعب

مالى مرضت فلم يعدنى عائد * منكم ويمرض كلبكم فاعود

فسمى بعد ذلك عائد الكلاب وعاد مالك بن أنس رضى الله عنه بعض المرضى فقال

عادنى مالك فلست ابالى * بعد من عادنى ومن لم يعدنى

وقال على بن الجهم

أأرقد الليل مسرورا وعدمت اذا * عيشى واحد يرعى ليله وصبا

الله يعلم أنى قد نذرت له * صيام شهر اذا ما أحمد ركبا

وقال آخر

اذا مرضتم أتيناكم نعودكمو * وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

وقال آخر

اعاذك الله من أشياء أربعة * الموت والعشق والافلاس والجرب

وقيل ان حق العيادة يوم بعد يوم أو يوم بعد يومين وعلى الاول قول الشاعر

قالت مرضت فعدتها فتبرمت * فهى الصحيحة والعليل العائد

والله لو أن القلوب كقلبها * مارق للولد الصغير الوالد

وعلى الثانى قول بعضهم

حق العيادة يوم بعد يومين * وجلسة مثل خلس اللحظ بالعين

لا تبرمن عليلا فى مساءلة * يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

وفضل العيادة مشهور وشرفها مذكور وبها تعظم الاجور وهذا ما انتهى الينا من هذا الباب والله الموفق للصواب

الباب الحادى والثمانون فى ذكر الموت وما يتصل به من القبر وأحواله

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات لاحدكم ميت فحسنوا كفنه وعجلوا انجاز وصيته وأعمقوا له فى قبره وجنبوه جار السوء قيل يارسول الله وهل ينفع الجار الصالح فى الآخرة قال وهل ينفع فى الدنيا قالوا نعم قال وكذلك فى الآخرة ومن وصية على رضى الله عنه لابى ذر زر القبور تذكر بها الآخرة ولا تزرها بالليل وغسل الموتى يتحرك قلبك وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فان الحزين فى ظل الله تعالى ويقال جزعك فى مصيبة صديقك أحسن من صبرك وصبرك فى مصيبتك أحسن من جزعك ونظر فيلسوف الى ميت يحمل الى قبره فقال حبيب تحمله أهله الى حبس الابد ودخل عمرو بن العاصى رضى الله عنه على معاوية فى مرضة مرضها فقال له أعائد أنت أم شامت فقال له عمرو لم تقول هذا والله ما كلفتنى رهقا ولا أصعدتنى زلقا ولا جرعتنى علقا فلم استطل حياتك ولم استبطئ وفاتك فأنشد معاوية يقول

فهل من خالدين اذا هلكنا * وهل فى الموت بين الناس عار

ولما مرض معاوية رضي الله عنه مرضه الذي مات فيه وفد اليه الناس يعودونه فقال لأهله مهدوا الى فراشا وأسندوني وأوسعوا رأسي دهانا ثم اكحلوا عيني بالاثمد ثم ائذنوا للناس يدخلوا ويسلموا على قياما ولا تجلسوا عندي أحدا ففعلوا ذلك فلما خرجوا من عنده أنشد يقول

وتجلدي للشامتين أريهم * أني لريب الدهر لا أتضعضع
واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقيل لما دنا منه الموت تمثل بهذا البيت

هو الموت لا منجى من الموت والذي * نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

قال ثم رفع يديه وقال اللهم أقل العثرة واعف عن الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولا يثق الا بك فانك واسع المغفرة وليس لذي خطيئة منك مهرب ومات رحمه الله تعالى *وذكر أبو العباس الشيباني قال وفد على أبي دلف عشرة من أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في العلة التي مات فيها فأقاموا ببابه شهرا لا يؤذن لهم لشدة العلة التي أصيب بها ثم أفاق فقال لخادمه بشر ان قلبي يحدثني أن بالباب قوما لهم الينا حوائج فافتح الباب ولا تمنعن أحدا قال فكان أول من دخل آل علي رضي الله عنه فسلموا عليه ثم ابتدأ الكلام رجل منهم من ولد جعفر الطيار فقال اصلحك الله انا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفينا من ولده وقد حطمتنا المصائب وأجحفت بنا النوائب فان رأيت أن تجبر كسيرا وتغني فقيرا لا يملك قطميرا فافعل فقال لخادمه خذ بيدي وأجلسني ثم أقبل معتذرا اليهم ودعا بدواة وقرطاس وقال ليكتب كل منكم بيده انه قبض مني ألف دينار قالوا فبقينا والله متحيرين فلما أن كتبنا الرقاع ووضعناها بين يديه قال لخادمه علي بالمال فوزن لكل واحد منا ألف دينار ثم قال لخادمه يا بشر اذا أنا مت فادرج هذه الرقاع في كفني فاذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم في القيامة كانت حجة لي أني قد أغنيت عشرة من ولده ثم قال يا غلام ادفع لكل واحد منهم ألف درهم ينفقها في طريقه حتى لا ينفق من الالف دينار شيأ حتى يصل الى موضعه قال فأخذناها ودعونا له وانصرفنا ثم مات رحمه الله وقيل لما دفن عمر بن عبد العزيز نزل عند دفنه مطر من السماء فوجدوا بردة مكتوبا فيها بالنور بسم الله الرحمن الرحيم أمان لعمر بن عبد العزيز من النار وقيل لاعرابي انك تموت قال والى أين أذهب قالوا الى الله تعالى فقال لا أكره أن أذهب الى من لا أرى الخير الا منه وبكى الخولاني عند موته فقيل له ما يبكيك قال ابكي لطول السفر وقلة الزاد وقد سلكت عقبة ولا أدري الى أين أهبط والى أي مكان أسقط ودخل ملك الموت على داود عليه السلام فقال له من أنت قال أنا الذي لا يهاب الملوك ولا تمتنع منه القصور ولا يقبل الرشا فقال اذن أنت ملك الموت واني لم استعد بعد فقال له يا داود أين فلان جارك أين فلان قريبك قال مات قال اما كان لك في موت هؤلاء عبرة لتستعد بها ثم قبضه رحمه الله تعالى وفي الخبر من حديث حميد الطويل عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة

تكشف العبد وتجنبه ولولا ذلك لكان يعدو في الصحراء والبراري من شدة سكرات الموت
وقد أجمعت الأئمة على ان الموت ليس له زمن معلوم فليكن المرء على أهبة من ذلك وقيل
بينما حسان جالس وفي حجره صبي يطعمه الزبد بالعسل اذ شرق الصبي فمات فقال

اعمل وأنت صحيح مطلق فرح * مادمت ويحك يا مغرور في مهل

يرجو الحياة صحيح ربما كمنت * له المنية بين الزبد والعسل

وقيل ان المأمون لما قربت وفاته دخل عليه بعض اصدقائه فوجده قد فرش له جلد دابة
وبسط عليه الرماد وهو يتمرغ فيه ويقول يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه ولما
احتضر عمرو بن العاصي دعا بغل وقيد وقال ألبسوني اياهما فاني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان التوبة مقبولة مالم يغرغر ابن آدم بنفسه ثم استقبل القبلة وقال
اللهم انك أمرتنا فعصينا ونهيتنا فارتكبنا وهذا مقام العائذ بك فان تعفو فأنت أهل العفو
وان تعاقب فبما قدمت يداي لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ثم مات وهو
مغلول مقيد فبلغ ذلك الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فقال استسلم الشيخ
ولعلها تنفعه ولما احتضر المعتصم جعلوا يهونون عليه فقال هان على النظارة ما يمر
بظهر المجلود وسمع ابو الدرداء رجلا في جنازة يقول من هذا فقال أنت فان كرهت
فأنا وقيل مات عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما وكثير عزة في يوم واحد فقال رجل
اللهم كما جمعتهما في زيارة القبور فلا تفرق بينهما يوم النشور فما بقي في المدينة أحد
الا استحسن كلامه ولما احتضر ابراهيم الخليل عليه السلام قال هل رأيت خليلا
يقبض روح خليله فأوحى الله اليه هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله قال فاقبض روحي
الساعة وقيل اذا قضى الله لرجل أن يموت بارض جعل له اليها حاجة فيسيره اليها

وقال بعضهم

اذا ما حمام المرء كان ببلدة * دعته اليها حاجة فيطير

(حكي) ان شابا تقيا من بني اسرائيل كان يجتمع مع سليمان عليه السلام ويحضر مجالسه
فبينما هو عند سليمان في مجلسه اذ دخل ملك الموت عليه فلما رآه الشاب اصفر لونه
وارتعدت فرائصه وقال يا نبي الله اني خفت من هذا الرجل فمر الريح أن تذهب بي الى الهند
فامر سليمان الريح فذهبت به فما كان الا قليلا حتى دخل ملك الموت على سليمان وهو
متعجب فقال له سليمان مم تعجب قال أعجب اني أمرت بقبض روح الشاب الذي كان عندك
بأرض الهند ودخلت عليك فوجدته عندك فصرت متعجبا ثم توجهت الى الهند فرأيته
هنالك وقبضت روحه فهذا عجبي فقال له سليمان انه لما رآك خاف وانزعج وطلب مني أن
تحمله الريح الى الهند فأمرتها فحملته وفي ذلك المعنى قال محمد بن الحسن

ومتعب الروح مرتاح الى بلد * والموت يطلبه في ذلك البلد

وقيل ان الانسان يحصل له عند الموت قوة حركة نحو ما يحصل للسراج عند انطفائه
من حركة سريعة وضياء ساطع وتسميها الاطباء النعشة الاخيرة والله أعلم وقيل ان

الرشيد ماتت له جارية وكانت من خواص محاظيه فجزع عليها جزعا شديدا فقال لبعض اصدقائه اماترى ماابتليت به ما احببت أحدا الاماتت فقال يا أمير المؤمنين أحببني فقال ويحك ان الحب ليس هو شيء يصنع انما هو شيء يقع في القلب تسوقه الاسباب فقال قل أنا أحبك قال ثم أنا أحبك قال فخر من وقته ومات وفي الحديث المرفوع كسر عظم الميت ككسره في حياته وقال يزيد بن اسلم لقد كان يمضي في الزمن الاول اربعمائة سنة مايسمع فيها بجنازة وعن ميمون بن مهران قال شهدت جنازة ابن عباس رضي الله عنه بالطائف فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر ابيض حتى وقف على أكفانه ثم دخل فيها فالتمسناه فلم نجده ولما سوينا عليه التراب سمعنا من يسمع صوته ولا يرى شخصه يقول يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك الآية وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان قبر آدم عليه السلام بمسجد الخيف بمنى وقال عطاء بلغني ان قبره تحت المنارة التي وسط الخيف وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى مالا يبكيه عند ذكر الجنة والنار فقيل له في ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر أول منازل الآخرة فان نجا العبد منه فما بعده ايسر منه وعن معاذ بن رفاعة الزرقي قال اخبرني رجل من رجال قومي ان جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جوف الليل معتجرا بعمامة من استبرق فقال يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر ثوبه مبادرا الى سعد بن معاذ رضي الله عنه فوجده قد قبض وقال الحسن رضي الله عنه ما من يوم الا وملك الموت يتصفح وجوه الناس خمس مرات فمن رآه على لهو ولعب أو معصية أو ضاحكا حرك رأسه وقال له مسكين هذا العبد غافل عما اريد به ثم يقول له اعمل ماشئت فان لي فيك غمزة اقطع بها وتينك وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لرجاء بن حيوة يا رجاء اذا وضعت في لحدي فاكشف الثوب عن وجهي فان رأيت خيرا فاحمد الله وان رأيت غير ذلك فاعلم ان عمر قد هلك قال رجاء فلما دفناه كشفت عن وجهه فرأيت نورا ساطعا فحمدت الله تعالى أن قد صار الى خير وقال أيضا دخلت على عمر بن عبد العزيز وهو محتضر فقال يا رجاء اني أرى وجوها كراما ليست بوجوه انس ولا جان وهو يقلب طرفه يمينا وشمالا ثم رفع يده فقال اللهم أنت ربي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت فان غفرت فقد مننت وان عاقبت فما ظلمت ألا اني أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك المصطفى ونبيك المرتضى بلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الأمة فعليه السلام والرحمة ثم قضى نحبه رحمه الله وعن أسماء بنت عميس قالت كنت عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعدما ضربه ابن ملجم اذ شهق شهقة بعد أن أغمي عليه ثم أفاق وقال مرحبا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فقيل له ماترى قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا اخي جعفر وعمي حمزة وأبواب السماء مفتحة والملائكة ينزلون علي يبشروني بالجنة وهذه فاطمة قد أحاط بها وصائفها من الحور العين وهذه منازلي لمثل هذا فليعمل العاملون ولما احتضر عبد الملك

ابن مروان قال لابنه الوليد اذا أنامت اياك أن تجلس وتعصر عينيك كالمرأة الوكعاء لكن ائتزر وشمر والبس جلد النمر وضعني فى حفرتى وخلنى وشأنى وعليك شأنك وادع الناس الى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل له بسيفك هكذا ثم بعث الى محمد وخالد ابنى يزيد بن معاوية فقال هل عندكما ندامة فى بيعة الوليد فقالوا لانعرف أحدا أحق منه بالخلافة فقال أما انكما لو قلتما غير هذا لضربت الذى فيه أعينكما ثم رفع كار فراشه فاذا تحته سيف مسلول تحت يمينه كل هذا وروحه تتردد فى حنجرته وهو يقول الحمد لله الذى لا يبالى أصغيرا أخذ أم كبيرا لا اله الا الله محمد رسول الله ثم بعد ساعة نفذت روحه فدخل عليه الوليد ومعه بناته يبكون فتمثل بقول الشاعر

ومستخبر عنا يريد بنا الردى * ومستخبرات والعيون سواكب

وقال محمد بن هرون

كأنى باخوانى على جنب حفرتى * يهيلون فوقى والعيون دما تجرى

فيا أيها المذرى على دموعه * ستعرض فى يومين عنى وعن ذكرى

عفا الله عنى أنزل القبر ثاويا * أزار فلا أدرى وأجفى فلا أدرى

وكان يزيد الرقاشى يقول من كان الموت موعده والقبر بيته والثرى مسكنه والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفزع الاكبر كيف تكون حالته ثم يبكى حتى يغشى عليه فيجب على العاقل ان يحاسب نفسه بنفسه على مافرط من عمره ويستعد لعاقبة امره صالح العمل ولا يغتر بالأمل فان من عاش مات ومن مات فات وكل ماهو آت آت نسأل الله أن يلهمنا رشدنا ويوفقنا الاتباع أوامره واجتناب نواهيه وأن يجعل الموت خير غائب ننتظره وأن يختم لنا بالخير وأن يتغمدنا برحمته انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثانى والثمانون فى الصبر والتأسى والتعازى والمراثى ونحو ذلك وفيه فصول

(الفصل الاول فى الصبر) قال الله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقال صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يصاب بمصيبة وان قدم عهدها فأحدث استرجاعا الا أحدث الله له مثله وأعطاه مثل أجره ذلك يوم أصيب بها وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح حزينا أصبح ساخطا على ربه ومن أصبح يشكو مصيبة فكأنما يشكو الله ومن تواضع لغنى سأله مافى يده أحبط الله ثلثى عمله ومن أعطى القرآن ولم يعمل به وتهاون به حتى دخل النار أبعده الله عن رحمته لانه هو الذى فعل ذلك بنفسه حيث لم يعرف حرمة القرآن وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من مات له ثلاثة من الولد لم يلج النار الا تحلة القسم يعنى قوله تعالى وان منكم الا واردها وعن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله انا لله وانا اليه

راجعون

راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأعقبني خيرا منها الافعل الله به ذلك وروى أنه لما مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه فقال له عبد الرحمن بن عوف يارسول الله ألم تنه عن البكاء قال انما نهيت عن الغناء والصوتين الاحمقين والندب ولكن هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوبنا ومن لا يرحم لا يرحم فان القلب يخشع والعين تدمع وانا بك يا ابراهيم لمحزونون ولا نقول الا ما يرضى الله ربنا انا لله وانا اليه راجعون وقال ابن عباس رضى الله عنهما أول شئ كتبه الله في اللوح المحفوظ انى أنا الله لا اله الا أنا محمد عبدى ورسولى من استسلم لقضائى وصبر على بلائى وشكر نعمائى كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضائى ولم يصبر على بلائى ولم يشكر نعمائى فليتخذ ربا سواى وقال ابن المبارك ان المصيبة واحدة فاذا جزع صاحبها فهما اثنتان لان احداهما المصيبة بعينها والثانية ذهاب أجره وهو أعظم من المصيبة وعن العلاء بن عبد الرحمن ان النبى صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة بكت فاطمة فقال لا تبكى يا بنتاه قولى اذا مت انا لله وانا اليه راجعون فان لكل انسان مصيبة معوضة قالت ومنك يارسول الله قال ومنى وعن عطاء بن أبى رباح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته بى فانها من أعظم المصائب وعن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال من أخذت حبيبتاه يعنى عينيه فصبر واحتسب أدخله الله الجنة وقيل ان امرأة أيوب عليه السلام قالت له لو دعوت الله تعالى أن يشفيك فقال لها ويحك كنا في النعماء سبعين عاما أفلا نصبر على الضراء مثلها فلم يلبث الا يسيرا أن عوفى وقيل الصبر مفتاح الظفر والتوكل على الله تعالى رسول النجاح وقيل من لم يلق نوائب الدهر بالصبر طال عتبه عليه وقيل ان معاوية رضى الله عنه خرج يوما ومعه عبد العزيز بن زرارة الكلابى وكان ذا منصب وشرف وعقل وأدب فقال له معاوية يا عبد العزيز أتانى نعى سيد شباب العرب فقال له ابنى أو ابنك قال بل ابنك قال للموت تلد الوالدة ومما قيل اصبر لحكم من لا تجد معولا الا عليه ولا مفزعا الا اليه وقال سويد السدوسى

فأوصيكما يابنى سدوس كلاكما * بتقوى الذى أعطاكما وبراكما
بشكر اذا ما أحدث الله نعمة * وصبر لامر الله فيما ابتلاكما

وقال

أيا صاحبى ان رمت ان تكسب العلا * وترقى الى العلياء غير مزاحم
عليك بحسن الصبر في كل حالة * فما صابر فيما يروم بنادم

وقال آخر

هو الدهر قد جربته وبلوته * فصبرا على مكروهه وتجلدا

وحدث الزبير قال قامت عائشة بعد ما دفن أبوها أبو بكر الصديق فقالت نضر الله وجهك وشكر صالح سعيك فقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها وللآخرة معزا باقبالك عليها ولئن كان رزؤك أعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكبر الاحداث بعده فان

كتاب الله تعالى قد وعدنا بالثواب على الصبر فى المصيبة وأنا تابعة له فى الصبر فاقول انا لله وانا اليه راجعون ومستعيضة باكثر الاستغفار لك فسلام الله عليك توديع غير قالية لحياتك ولا رازئة على القضاء فيك * ولما مات ذر الهمدانى جاء أبوه فوجده ميتا وكان موته فجاءة وعياله يبكون عليه فقال مالكم والله ما ظلمنا ولا قهرناه ولا ذهب لنا بحق ولا أصابنا فيه ما أخطأ من كان قبلنا فى مثله ولما وضعه فى حفرته قال رحمك الله يا بنى وجعل أجرى فيك لك والله ما بكيت عليك وانما بكيت لك فوالله لقد كنت بى بارا ولى نافعا وكنت لك محبا ومابى اليك من وحشة ومابى الى أحد غير الله من فاقة وما ذهبت لنا بعزة وما أبقيت لنا من ذل ولقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك يا ذر لولا هول المطلع لتمنيت ما صرت اليه فليت شعرى ماذا قلت وماذا قيل لك ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم انك وعدت الصابرين على المصيبة ثوابك ورحمتك اللهم وقد وهبت ما جعلت لى من الاجر الى ذر صلة منى له فلا تحرمنى ولا تعرفه قبيحا وتجاوز عنه فانك رحيم بى وبه اللهم قد وهبت لك اساءته لى فهب لى اساءته اليك فانك أجود منى واكرم اللهم انك قد جعلت لك عليه حقا وجعلت لى عليه حقا قرنته بحقك فقلت اشكر لى ولوالديك الى المصير اللهم انى قد غفرت له ما قصر فيه من حقى فاغفر له ما قصر فيه من حقك فانك أولى بالجود والكرم فلما أراد الانصراف قال يا ذر قد انصرفنا وتركناك ولو أقمنا عندك ما نفعناك * وفى الحديث اذا مات ولد العبد يقول الله تعالى للملائكة ماذا قال عبدى عند قبض روح ولده وثمرة فؤاده فيقولون الهنا حمدك واسترجع فيقول الله تعالى أشهدكم يا ملائكتى انى بنيت له بيتا فى الجنة وسميته بيت الحمد وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه دفن ابناله وضحك عند قبره فقيل له أتضحك عند القبر قال أردت أن أرغم أنف الشيطان فينبغى للعبد أن يتفكر فى ثواب المصيبة فتسهل عليه فاذا أحسن الصبر استقبله يوم القيامة ثوابها حتى يود لو أن أولاده وأهله وأقاربه ماتوا قبله لينال ثواب المصيبة وقد وعد الله تعالى فى المصيبة ثوابا عظيما اذا صبر صاحبها واحتسب وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقال تعالى ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الآية اللهم رضنا بقضائك وصبرنا على بلائك واغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين يارب العالمين

(الفصل الثانى من هذا الباب فى التعازى والتاسى) روى الترمذى فى كتاب السنن للبيهقى عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من عزى مصابا فله مثل أجره وروينا فى كتاب الترمذى أيضا بسند متصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من عزى ثكلى كسى برداء فى الجنة وروينا فى سنن ابن ماجه والبيهقى باسناد حسن عن عمرو بن حزم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبته الا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة واعلم ان التعزية هى التصبير وذكر ما يسلى صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته وهى مستحبة فانها مشتملة على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهى ايضا داخلة فى قوله تعالى وتعاونوا على البر

والتقوى

والتقوى وهى من أحسن ما يستدل به فى التعزية وثبت فى الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم قال والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه واعلم ان التعزية مستحبة قبل الدفن وبعده وتكره بعد ثلاثة أيام لان التعزية لتسكين قلب المصاب والغالب سكونه بعد ثلاثة أيام فلا يجدد الحزن هكذا قال الجماهير من أصحاب الشافعى رضى الله عنه وقيل انها لا تفعل بعد ثلاثة أيام الا فى صورتين وهما اذا كان المعزى أو صاحب المصيبة غائبا حال الدفن فاتفق رجوعه بعد الثلاثة وأما لفظ التعزية فلا حجر فيه فبأى لفظ عزاه حصلت واستحب أصحاب الشافعى ان يقول فى تعزية المسلم بالمسلم عظم الله أجرك وأحسن عزاءك وغفر لميتك وفى المسلم بالكافر أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك وفى الكافر بالكافر أخلف الله عليك ولا نقص لك عدد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم فقد بعض أصحابه فسأل عنه فقالوا يارسول الله بنيه الذى رأيته هلك فلقيه النبى صلى الله عليه وسلم فسأل عن بنيه فقال يارسول الله هلك فعزاه فيه ثم قال يافلان أيما كان أحب اليك أن تمتع به عمرك أولا تأتى غدا بابا من أبواب الجنة الا وجدته وقد سبقك اليه فيفتحه لك فقال يارسول الله سبقه الى باب الجنة أحب الى من التمتع به فى دار الدنيا قال ذلك لك وروى البيهقى باسناده فى مناقب الشافعى رحمهما الله ان الشافعى قد بلغه ان عبد الرحمن بن مهدى مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فبعث اليه الشافعى رحمه الله يقول يا أخى عز نفسك بما تعزى به غيرك واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك واعلم ان امض المصائب فقد سرور وحرمان أجر فكيف اذا اجتمعا مع اكتساب وزر ألهمك الله عند المصائب صبرا وأجزل لنا ولك بالصبر أجرا وروى عن ابن المبارك قال مات لى ابن فمر بى مجوسى وقال ينبغى للعاقل أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام فقال اكتبوها منه وعن معاذ ابن جبل انه قال مات لى ابن فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل سلام عليكم فانى أحمد الله الملك الذى لا اله الا هو أما بعد فعظم الله لك الاجر وألهمك الصبر ورزقنا واياك الشكر ثم اعلم أن أنفسنا وأموالنا وأهلنا وأولادنا من مواهب الله تعالى الهنية وعواريه المستودعة يمتعنا بها الى أجل معدود ويقبضها لوقت معلوم ثم فرض الله تعالى علينا الشكر اذا أعطى والصبر اذا ابتلى وكان ابنك من مواهب الله الهنية وعواريه المستودعة متعك الله به فى غبطة وسرور وقبضه باجر كبير ان صبرت واحتسبت فاصبر واحتسب واعلم ان الجزع لا يرد ميتا ولا يطرد حزنا وروى ان أبا بكر رضى الله عنه كان اذا عزى مرزأ قال ليس مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة والموت أشد مما قبله وأهون مما بعده فاذكر مصيبتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تهن عليك مصيبتك وعزى الامام الشافعى رضى الله عنه صديقا له فقال

انا نعزيك لا انا على ثقة * من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزى بباق بعد ميته * ولا المعزى ولو عاشا الى حين

وكتب بعضهم الى أخ له يعزيه أنت يا أخى أعزك الله عالم بالدنيا وما خلقت له من الفناء وانها

لم نعط الا أخذت ولم تسر الا أحزنت وان الموت سبيل محتوم على الاولين والا آخرين لادافع عنه ولا مؤخر لما قضى الله عز وجل منه وانا لله وانا اليه راجعون وعزى رجل بعض الخلفاء بابن له فكتب اليه يقول

تعز أمير المؤمنين فانه * لما قد ترى يغذو الصغير ويولد

هل الابن الا من سلالة آدم * لكل على حوض المنية مورد

وكتب بعضهم الى صديق له وقد ماتت ابنته فقال

الموت أخفى سوأة للبنات * ودفنها يروى من المكرمات

أما رأيت الله سبحانه * قد وضع النعش بجنب البنات

وكتب بعضهم الى صديق له يعزيه بأخيه ويسليه ماتصنع يا أخي والقضاء نازل والموت حكم شامل وان لم تلذ بالصبر فقد اعترضت على مالك الامر وأنت تعلم ان نوائب الدهر لاتدفع الابعزائم الصبر فاجعل بين هذه اللوعة الغالبة والدمعة الساكبة حاجبا من فضلك وحاجزا من عقلك ودافعا من دينك ومانعا من يقينك فان المحن اذا لم تعالج بالصبر كانت كالنعم اذا لم تقابل بالشكر فصبرا صبرا ففحول الرجال لاتستفزها الايام بخطوبها كما أن متون الجبال لاتهزها العواصف بهبوبها فعزيز على أن أخاطب مولاى معزيا وأكاتبه مسليا عن كبير أو صغير مما يتعلق بخدمته أو ينتمى الى جملته فكيف بالصنو الاكرم والذخر الاعظم والركن الاشد والسهم الاسد والشهاب الاسطع والحسام الاقطع لكن التعزية سنة سائرة وسنة ماضية غابرة وقدر الله هو المقدر وأجل الله اذا جاء لايؤخر ولولا أن الذكرى تنفع والتعزية يستوى فيها الأشرف والاوضع لأجللت مولاى أن أفاتحه معزيا وأخاطبه مسليا ولكن بحمد الله العالم لايعلم والسابق لايتقدم فبمولاى يقتدى فى الصبر على النوائب وبنوره يهتدى فى مشكلات المذاهب وكل ما كان من الرزء أوجع كان الاجر عليه أوسع جعل الله مولاى من الصابرين على المصيبة وأعظم أجره وجعل الجنة نصيبه * وعزى رجل فتى عن أبيه فلم يجده كما أحب فقال يابنى سوء الخلف أشر علينا من فقد السلف * ومات لبعض ملوك كندة ابنة فوضع بين يديه بدرة من المال وقال من بالغ فى تعزيته فهى له فدخل عليه أعرابى وقال عظم الله أجر الملك كفيت المؤنة وسترت العورة ونعم الصهر القبر فقال قد أبلغت وأوجزت ثم دفعها له * وعزت اعرابية قوما فقالت جافى الله عن ميتكم الثرى واعانه على طول البلى وآجركم ورحمه * وكان لعلى ابن الحسين جليس مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فعزاه على بن الحسين رحمه الله ووعظه فقال يا ابن رسول الله انه ابنى كان مسرفا على نفسه فقال لاتجزع فان من ورائه ثلاث خلال أولاهن شهادة أن لا اله الا الله وأن سيدنا محمدا رسول الله والثانية شفاعة جدى صلى الله عليه وسلم والثالثة رحمة الله التى وسعت كل شئ فاين يخرج ابنك عن واحدة من هذه الخلال * وقال سليمان بن عبد الملك عند موت ابنه لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة ان فى كبدى جمرة لايطفئها الا عبرة فقال عمر اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك بالصبر فنظر الى رجاء كالمستريح مشورته فقال رجاء افضها يا أمير المؤمنين فما بذلك من باس لقد دمعت

عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم وقال ان العين لتدمع وان القلب ليخشع ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون فارسل سليمان عينيه حتى قضى أربه ثم أقبل عليهم وقال لولا نزفت هذه العبرة لانصدع كبدي ثم انه لم يبك بعدها * وكتب الاسكندر الى أمه قبل وفاته بقليل اذا وصل اليك كتابي هذا فاجمعي أهل بلدك وأعدي لهم طعاما وكلي بالابواب من يمنع من أصابته مصيبة في أم أو أب أو أخ أو أخت أو ولد ففعلت فلم يدخل اليها أحد فعلمت أن الاسكندر عزاها في نفسه ولما قتل الفضل بن سهل دخل المأمون على أمه يعزيها فيه فقال لها يا أماه لا تحزني على الفضل فأنا خلف منه فقالت كيف لا أحزن على ولد عوضني عنه خليفة مثلك فعجب المأمون من جوابها وكان يقول ما سمعت قط أحسن منه ولا أجلب للقلوب فقال لها عليك بالصبر فان فيه مزيد الاجر * وممن جزع على ولده جعفر بن علبة لما قتله الحارث قام نساء الحي يبكون عليه وقام أبوه الى ولد كل شاة وناقة فذبحه وألقاها بين أيديها وقال لها ابكين معي على جعفر فمازالت النوق ترغو والشياه تيعر والنساء يصرخن ويبكين وهو يبكي معهن فلم يرداتم كان اوجع منه * وقال يحيى بن خالد التعزية بعد ثلاثة أيام تجديد الحزن والتهنئة بعد سبعة تجديد الفرح *(ومما قيل في التأسي والتسلي بالخلف عن السلف)* قيل عزى بعض الشعراء يزيد بن معاوية في والده فقال

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر الهك من بالملك حاباكا
لا رزء أصبح في الايام نعرفه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

وقال آخر

لابد من فقد ومن فاقد * هيهات ما في الناس من خالد

وقال آخر

تصبر فلو أن البكا رد هالكا * على أحد فاكثر بكاك على عمرو

وكتب بعضهم الى أولاد صديقه يعزيهم ويسليهم في والدهم فقال

فلو كان فيض الدمع ينفع باكيا * لعلمت غرب الدمع كيف يسيل
فان غاب بدر فالنجوم طوالع * ثوابت لا يقضى لهن أفول
يغاث بها في ظلمة الليل حائر * ويسري عليها بالرفاق دليل

ودخل عبد الملك بن صالح على الرشيد وقد مات له ولد وولد له في تلك الليلة ولد فقال سرك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجمع لك بين أجر الصابر وثواب الشاكر وقال بعضهم

أليس لهذا اصاو آخر أمرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تعجبي يا نفس مما ترينه * فكل أمور الناس هذا مصيرها

وسئل الاصمعي عن قول الخنساء في نعيها صخرا حين مات ونعته فقالت

يذكرني طلوع الشمس صخرا * وأندبه لكل غروب شمس

فقالوا له لماذا انها خصت الشمس دون القمر والكواكب فقال لكونه كان يركب عند طلوع الشمس يشن الغارات وعند غروبها يجلس مع الضيفان فذكرته بهذا مدحا لانه كان يغير على أعدائه ويتقيد بضيفه وقد رثته بعد البيت الاول بابيات منها

ألا يانفس لاتنسيه حتى * أفارق عيشتي وأزور رمسي

ولولا كثرة الباكين حولي * على اخوانهم لقتلت نفسي

ومايكون مثل أخي ولكن * أسلي النفس عنه بالتاسي

وقال آخر

ولولا الاسى ماعشت في الناس ساعة * ولكن اذا ناديت جاوبني مثلي

وقال آخر

وهون وجدي عن خليلي انني * اذا شئت لاقيت الذي أنا صاحبه

وقال

ومما يؤديني الى الصبر والعزا * تردد فكري في عموم المصائب

(الفصل الثالث في المراثي) لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم رثاه جماعة من أصحابه وآله بمراث كثيرة منها ماروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فانه كان أقرب الناس اليه وهو أول من رثاه فقال

لما رأيت نبينا متجندلا * ضاقت علي بعرضهن الدور

فارتاع قلبي عند ذاك لموته * والعظم مني ماحييت كسير

أعتيق ويحك ان خلك قد ثوى * والصبر عندك مابقيت يسير

ياليتني من قبل مهلك صاحبي * غيبت في لحد عليه صخور

فلتحدثن بدائع من بعده * تعيا بهن جوانح وصدور

وقال

فقدت ارضنا هناك نبيا * كان يغدو به النبات زكيا

خلقا عاليا ودينا كريما * وصراطا يهدي الانام سويا

وسراجا يجلو الظلام منيرا * ونبيا مؤيدا عربيا

حازما عازما حليما كريما * عائذا بالنوال برا تقيا

ان يوما أتى عليك ليوم * كورت شمسه وكان خليا

فعليك السلام منا جميعا * دائم الدهر بكرة وعشيا

ورثاه أبو سفيان بن الحرث فقال

أرقت فبات ليلي لايزول * وليل أخي المصيبة فيه طول

واسعدني البكاء وذاك فيما * أصيب المسلمون به قليل

لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد قبض الرسول

وأضحت أرضنا مما عراها * تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحى والتنزيل فينا * يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه * نفوس الناس اوكادت تسيل
نبى كان يجلوا الشك عنا * بما يوحى اليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ملاما * علينا والرسول لنا دليل
أفاطم ان جزعت فذاك عذر * وان لم تجزعى فهو السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

ولما مات أبو بكر الصديق رضى الله عنه رثاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بهذه الابيات حين رجع من دفنه فقال

ذهب الذين أحبهم * فعليك يادنيا السلام
لاتذكرين العيش لى * فالعيش بعدهم حرام
انى رضيع وصالهم * والطفل يؤلمه الفطام

ورثى بعضهم محمد بن يحيى بعد موته فقال

سألت الندى والجود مالى أراكما * تبدلتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد أمسى مهدما * فقالا أصبنا بابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته * وقد كنتما عبديه فى كل مشهد
فقالا أقمنا كى نعزى بفقده * مسافة يوم ثم نتلوه فى غد

وقال آخر

ولا ارتجى فى الموت بعدك طائلا * ولا أتقى للدهر بعدك من خطب

وفى المعنى لبعضهم

لقد أمنت نفسى المصائب بعده * فأصبحت منها آمنا ان اروعا
فما اتقى للدهر بعدك نكبة * ولا ارتجى للعيش بعدك مرتعا

ورثى أشجع السلمى عبد الله بن سعيد فقال

مضى ابن سعيد حيث لم يبق مشرق * ولا مغرب الا له فيه مادح
وما كنت أدرى مافواضل كفه * على الناس حتى غيبته الصفائح
وأصبح فى لحد من الارض ميتا * وكان به حيا تضيق الصحاصح
سأبكيك مافاضت دموعى فان تغض * فحسبك منى ماتكن الجوانح
وما أنا من رزء وان جل جازع * ولا بسرور بعد فقدك فارح
لئن حسنت فيك المراثى بذكرها * فقد حسنت من قبل فيك المدائح

وقال آخر

الى الله أشكو لا الى الناس اننى * أرى الارض تبقى والاخلاء تذهب

أخلاى لوغير الحمام أصابكم * عتبت ولكن ما على الدهر معتب

وقال العباس بن الاحنف

اذا ما دعوت الصبر بعدك والبكا * أجاب البكا طوعا ولم يجب الصبر
فان ينقطع منك الرجاء فانه * سيبقى عليك الحزن ما بقى الدهر

وقال آخر يرثى صديقه

خليلى ما أزداد الا صبابة * اليك وما تزداد الا تنائيا
خليلى لو نفس فدت نفس ميت * فديتك مسرورا بنفسى وماليا
وقد كنت أرجو أن تعيش وان أمت * فحال رجاء الله دون رجائيا
ألا فليمت من شاء بعدك انما * عليك من الاقدار كان حذاريا

أخذها بعضهم فقال

كنت السواد لمقلتى * يبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

وقال آخر يرثى بعض أولاده

وقاسمنى دهرى بنى مشاطرا * فلما تقضى شطره عاد فى شطرى
ألا ليت أمى لم تلدنى وليتنى * سبقتك اذ كنا الى غاية نجرى
وقد كنت ذا ناب وظفر على العدا * فأصبحت لا يخشون نابى ولا ظفرى

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للخنساء أخبرينى بافضل بيت قلته فى أخيك فقالت

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى * فأنت على من مات بعدك شاغله

ولابى المحاسن الشواء فى صديق له مات وسقط الثلج عقيب موته

لم انسه وبنو الملوك امامه * يدعون للاسف الا كف عضاضا
والثلج قد غطى الربا فكأنها * من حزنها لبست عليه بياضا

وقال آخر

وليس صريرا النعش ما تسمعونه * ولكنه أصلاب قوم تقصفوا
وليس نسيم المسك رياحنوطه * ولكنه ذاك الثناء المخلف

وقال مقاتل بن عطية يرثى الوزير نظام الملك

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزت ولم تعرف الايام قيمتها * فردها غيرة منه الى الصدف

وقال آخر

وقبرت وجهك وانصرفت مودعا * بابى وأمى وجهك المقبور
وأرى ديارك بعد وجهك قفرة * والقبر منك بشبه معمور
فالناس كلهم لفقدك واجد * فى كل بيت رنة وزفير

عجبا لاربع أذرع فى خمسة * فى جوفها جبل أشم كبير

وكان رجل توفى ولده فى يوم عيد فقال

لبس الرجال جديدهم فى عيدهم * ولبست حزن أبى الحسين جديدا
أيسرنى عيد ولم أر وجهه * فبه ألا ابعدا لذلك عيدا
فارقته وبقيت أخالد بعده * لا كان ذا التبقيا ولا تخليدا
من لم يمت جزعا لفقد حبيبه * فهو الخؤن مودة وعهودا
مت مع حبيبك ان قدرت ولا تعش * من بعده ذا لوعة مكمودا
ما أم خشف قد ملا أحشاءها * حذرا عليه وجفنها تسهيدا
ان نام لم تهجع وطافت حوله * فيبيت مكلوءها مرصودا
منى باوجع اذ رأيت نوائحا * لابى الحسين وقد لطمن خدودا
ولقد عدمت أبا الحسين جلادتى * لما رأيت جمالك المفقودا
كنت الجليد على الرزايا كلها * وعلى فراقك لم أجد تجليدا
ولئن بقيت وما هلكت فان لى * أجلا وان لم أحصه معدودا
لا موت لى الا اذا الاجل انقضى * فهناك لا اتجاوز المحدودا
حزنى عليك بقدر حبك لا أرى * يوما على هذا وذاك مزيدا
ما هدركنى بالسنين وانما * أصبحت بعدك بالاسى مهدودا
ياليت أنى لم أكن لك والدا * وكذاك أنك لم تكن مولودا
فلقد شقيت وربما شقى الفتى * بفراق من يهوى وكان سعيدا
من ذم جفنا باخلا بدموعه * فعليك جفنى لم يزل محمودا
فلا نظمن مراثيا مشهورة * تنسى الانام كثيرا ولبيدا
وجميع من نظم القريض مفارق * ولدا له أو صاحبا مفقودا

وقال الفقيه منصور بن اسمعيل المصرى

سألت رسوم القبر عمن ثوى به * لاعلم مالاقى فقالت جوانبه
أتسال عمن عاش بعد وفاته * باحسانه اخوانه وأقاربه

وقال الامام السبكى رحمه الله تعالى يرثى فضل الله العالم

مصاب ليس يشبهه مصاب * لذى الالباب اذ فقد الشهاب
امام قد حوى من كل علم * كنوزا نحوها يسعى الركاب
ليبكى كل ذى علم عليه * فكم علم له ضم التراب
وكم كلم موانع قد أتته * شاها وهى عاصية صعاب
فسلطان البلاغ بغير شك * شهاب الدين ما فيه ارتياب
سقى الله الكريم ثراه صوبا * له من كل رضوان رضاب

وقال الصدفي

ياغائبا في الثرى تبلى محاسنه * الله يوليك غفرانا واحسانا
ان كنت جرعت كاس الموت واحدة * في كل يوم أذوق الموت ألوانا

وقال محمد بن عبد الله العتبي يرثي ابناله

أضحت بخدى للدموع رسوم * أسفا عليك وفي الفؤاد كلوم
والصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

وكتب أحمد بن يوسف الى عمر بن سعيد يرثي بنتاله فقال

عجبا للمنون كيف أتتها * وتخطت عبد الحميد أخاكا
شملتنا مصيبتان جميعا * فقدناهذه ورؤية ذاكا

وله يرثي الامير يلبغا

الا انما الدنيا غرور وباطل * فطوبى لمن كفاه منها تفرغا
وما عجبي الا لنبات وانما * بأيام دهر ماوعى حتى يلبغا

وقال آخر

الى الله أشكو أن كل قبيلة * من الناس قد أفنى الحمام خيارها

وقال رجل يرثي صديقاله توفي وكان من الكرماء

مادري نعشه ولا حاملوه * ما على النعش من عفاف وجود

ولبعض الكتاب في ابن مقلة

استشعر الكتاب فقدك سالفا * وقضت بصحة ذلك الايام
فلذاك سودت الدواة كآبة * أسفا عليك وشقت الاقلام

وقال الحسن بن مطير الاسدي يرثي معن بن زائدة رحمه الله تعالى

ألما الى معن وقولا لقبره * سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
فيا قبر معن كنت أول حفرة * من الارض خطت للسماحة مضجعا
ويا قبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فتى عاش في معروفه بعد موته * أناس لهم بالبر قد كان أوسعا
ولما مضى معن مضى الجود كله * وأصبح عرنين المكارم أجدعا

وقال آخر

عجبت لصبري بعده وهو ميت * وقد كنت أبكيه دما وهو غائب

وقال آخر

فديتك لم أصبر ولي فيك حيلة * ولكن دعاني اليأس منك الى الصبر

وقالت ريطة بنت عاصم

وقفت فأبكتني ديار عشيرتي * على رزئهن الباكيات الحواسر
غدوا كسيوف الهند ورد حومة * من الموت أعيا وردهن المصادر
فوارس حاموا عن حريمي وحافظوا * بدار المنايا والقنا متشاجر *
ولو ان سلمى نالها مثل رزئنا * لهدت ولكن محمل الرزء عامر *

ولما قتل ابراهيم بن عبد الله بن الحسين وحمل رأسه الى المنصور أنفذها المنصور مع الربيع الى عمه ادريس ومحمد وكانا في حبسه وكان أبوه قائما يصلي فقال له محمد أوجز فأوجز وسلم فلما أتاه وضع الرأس في حجره فقال أهلا وسهلا يا أبا القاسم تالله لقد كنت من الناس الذين قال الله تعالى في حقهم الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ثم قبله بين عينيه وأنشأ يقول

فتى كان يحميه من العار سيفه * ويكفيه سوآت الامور اجتنابها

ثم قال للربيع قل لصاحبك المنصور قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعمتك أيام والملتقى غدا بين يدي الله تعالى فكان ذلك فالا على المنصور ولم ير بعد ذلك اليوم راحة وقيل لحسان ما بالك لم ترث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم أرث الا رأيته يقصر عنه والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثالث والثمانون في ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها)

قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فوصف سبحانه وتعالى جميع الدنيا بأنها متاع قليل وأنت أيها الانسان تعلم انك ما أوتيت من القليل الا قليلا ثم ان القليل ان تمتعت به فهو لعب ولهو لقوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وقال تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فلا تبع أيها العاقل حياة قليلة تفنى بحياة كثيرة تبقى كما قال ابن عياض لو كانت الدنيا ذهبا يفنى والآخرة خزفا يبقى لوجب علينا ان نختار ما يبقى على ما يفنى ثم تأمل بعقلك هل آتاك الله من الدنيا مثل ما أوتي سليمان عليه السلام حيث ملكه الله تعالى جميع الدنيا من انس وجن وسخر له الريح والطير والوحوش ثم زاده الله تعالى أحسن منها حيث قال هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة مثل ما عددتموها ولا حسبها رفعة مثل ما حسبتموها بل خاف أن يكون استدراجا من حيث لا يعلم فقال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر وهذا فصل الخطاب لمن تدبر هذا وقد قال لك ولجميع أهل الدنيا فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أريك الدنيا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدي وأتى الى واد من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس الناس وعذرات وخرق بالية وعظام البهائم فقال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص حرصكم وتامل آمالكم وهي اليوم صارت عظاما بلا جلد ثم هي صائرة عظاما رميما وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبتموها في الدنيا فاصبحت والناس

يتخاصمون عليها وهذه الخرق البالية رياشهم أصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو على سرير من الليف وقد أثر الشريط في جنبه فبكى عمر رضى الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال تذكرت كسرى وقيصر وما كانا فيه من سعة الدنيا وأنت رسول الله وقد أثر الشريط بجنبك فقال صلى الله عليه وسلم هؤلاء قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا ونحن قوم أخرت لنا طيباتنا في الآخرة وروى عن الضحاك قال لما أهبط الله آدم وحواء الى الارض ووجدا ريح الدنيا وفقدا ريح الجنة غشى عليهما أربعين يوما من نتن الدنيا وعن ابن معاذ قال الحكمة تهوى من السماء الى القلوب فلا تسكن فى قلب فيه أربع خصال ركون الى الدنيا وهم غد وحسد أخ وحب شرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعلى يا على أربع خصال من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وبعد الامل وحب الدنيا وروى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء العين أنيابها بادية مشوهة الخلق لا يراها أحد الا هرب منها فتشرف على الخلائق أجمعين فيقال لهم أتعرفون هذه فيقولون لا * نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها وعن الفضيل بن عياض انه قال جعل الخير كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا وجعل الشر كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه حب الدنيا وقيل ان الدنيا مثل ظل الانسان ان طلبته فر وان تركته تبعك وفيه قال بعضهم

انما الرزق الذى تطلبه * يشبه الظل الذى يمشى معك
أنت لا تدركه متبعا * وهوان وليت عنه تبعك

وقد شبهها بعضهم بخيال الظل فقال

رأيت خيال الظل أعظم عبرة * لمن كان فى علم الحقائق راق
شخوصا وأصواتا يخالف بعضها * لبعض وأشكالا بغير وفاق
تجىء وتمضى بابة بعد بابة * وتفنى جميعا والمحرك باقى

وما أحسن ما قال سليمان بن الضحاك

ما أنعم الله على عبده * بنعمة أوفى من العافيه
وكل من عوفى فى جسمه * فانه فى عيشة راضيه
والمال حلو حسن جيد * على الفتى لكنه عاريه
ما أحسن الدنيا ولكنها * مع حسنها غدارة فانيه

وتوفى رجل من كندة فكتب على قبره هذه الابيات

يا واقفين ألم تكونوا تعلموا * ان الحمام بكم علينا قادم
لو تنزلون بشعبنا لعرفتمو * أن المفرط فى التزود نادم

لاتستعزوا بالحياة فانكم * تبنون والموت المفرق هادم
يساوي الردى ما بيننا في حفرة * حيث المخدم واحد والخادم

وقال آخر

عن قليل أصيركوم تراب * وتقول الرفاق هذا فلان
صار تحت التراب عظما رميما * وجفاه الاصحاب والخلان

وما أحسن ما قال عبد الله بن طاهر

أليس الى ذا صار آخر أمرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تعجبي يا نفس مما ترينه * فكل أمور الناس هذا مصيرها

وقال شرف الدين بن أسد

يامن تملك ملكا لابقاء له * حملت نفسك آثاما وأوزارا
هل الحياة بذي الدنيا وان عذبت * الا كطيف خيال في الكرى زارا

وقال بعضهم

وغاية هذي الدار لذة ساعة * ويعقبها الاحزان والهم والندم
وهاتيك دار الامن والعز والتقى * ورحمة رب الناس والجود والكرم

وقال غيره

حسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها * وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وقال آخر

فان كنت لاتدري متى الموت فاعلمن * بأنك لاتبقى الى آخر الدهر

ابن آدم أين الاولون والآخرون أين نوح شيخ المرسلين أين ادريس رفيع رب العالمين أين ابراهيم خليل الرحمن أين موسى الكليم من بين سائر النبيين أين عيسى روح الله وكلمته رأس الزاهدين وامام السائحين أين محمد خاتم النبيين أين أصحابه الابرار أين الامم الماضية أين الملوك السالفة أين القرون الخالية أين الذين نصبت على مفارقهم التيجان أين الذين قهروا الابطال والشجعان أين الذين دانت لهم المشارق والمغارب أين الذين تمتعوا باللذات والمشارب أين الذين تاهوا على الخلائق كبرا وعتيا أين الذين راحوا في الحلل بكرة وعشيا أين الذين اغتروا بالاجناد أين أصحاب الوزراء والقواد أين أصحاب السطوة والاعوان أين أصحاب الامرة والسلطان أين أصحاب الاعمال والولايات أين الذين خفقت على رؤسهم الألوية والرايات أين الذين قادوا الجيوش والعساكر أين الذين عمروا القصور والدساكر أين الذين اعطوا النصر في مواطن الحروب والمواقف أين الذين امنوا بسطوتهم كل خائف أين الذين ملؤا ما بين الخافقين فخرا وعزا أين الذين فرشوا القصور حريرا وقزا أين الذين تضعضعت لهم الارض هيبة وعزا هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا أفناهم الله مفني الامم وابادهم مبيد الرمم وأخرجهم من سعة القصور الى ضيق القبور تحت الجنادل والصخور فاصبحوا

لاترى الامسا كنهم لم ينفعهم ماجمعوا ولا أغنى عنهم ما اكتسبوا أسلمهم الاحباء والاولياء وهجرهم الاخوان والاصفياء ونسيهم الاقرباء والبعداء لونطقوا لانشدوا

مقيم بالحجون رهين رمس * وأهلى راحلون بكل واد
كانى لم أكن لهمو حبيبا * ولا كانوا الاحبة فى السواد
فعوجوا بالسلام فان أبيتم * فأوموا بالسلام على البعاد

وقالوا الاخر فيما يزول ولا غنى فيما لا يبقى وهل الدنيا الا كما قال بعض الحكماء المتقدمين قدر يغلى وكنيف يملى وفى هذا المعنى قال الشاعر

ولقد سألت الدار عن أخبارهم * فتبسمت عجبا ولم تبدى
حتى مررت على الكنيف فقال لى * أموالهم ونوالهم عندى

ولقد أصاب ابن السماك حيث قال للرشيد لما قال له عظنى وكان بيده شربة ماء فقال له يا أمير المؤمنين لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك قال نعم قال يا أمير المؤمنين لو شربتها وحبست عن الخروج أكنت تفديها بملكك قال نعم فقال له لاخير فى ملك لا يساوى شربة ولا بولة وقال ابن شبرمة اذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام واذا كان القلب مغرما لم تنفعه الموعظة وروى ان أبا العتاهية مر بدكان وراق واذا بكتاب فيه

لا ترجع الانفس عن غيها * مالم يكن منها لها زاجر

فقال لمن هذا البيت فقيل لابى نواس قاله للخليفة هرون حين نهاه عن حب الجمال وعشق الملاح فقال وددت أنه لى بنصف شعرى * وممن استبصر من أبناء الملوك فرأى عيب الدنيا ونقضها وزوالها ابراهيم بن أدهم بن منصور كان من أبناء ملوك خراسان من كورة بلخ لما زهد الدنيا زهد فى ثمانين سريرا قال ابن بشار سألت ابراهيم بن أدهم كيف كان بدء أمرك حتى صرت الى هذا فقال كان أبى من ملوك خراسان وكان قد حبب الى الصيد فبينما أنا راكب فرسى وكلبى معى اذ رأيت ثعلبا أو أرنبا فحركت فرسى نحوه فسمعت نداء من ورائى يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة و يسرة فلم أر أحدا فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسى فسمعت نداء أعلى من الاول يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة و يسرة فلم أر شيأ فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسى فسمعت النداء من قربوس سرجى يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت وقلت هيهات جاءنى النذير من رب العالمين والله لاعصيت ربى ما عصمنى بعد يومى هذا فتوجهت الى أهلى وخلفت فرسى وجئت الى بعض رعاة أبى فاخذت جبته وكساءه وألقيت اليه ثيابى فلم أزل أرض تقلنى وأرض تضعنى حتى صرت الى العراق فعملت بها أياما فلم يصف لى شئ من الحلال فسألت بعض المشايخ عن الحلال فقال عليك بالشام قال فانصرفت الى بلد يقال لها المنصورية فعملت بها أياما فلم يصف لى شئ من الحلال فسألت بعض المشايخ فقال ان أردت الحلال فعليك بطرسوس فان المباحات بها والعمل فيها كثير فانصرفت اليها قال فبينما أنا قاعد على باب البحر اذ جاءنى رجل فاكترانى أنظر له بستانا فتوجهت معه فأقمت فى البستان

أياما كثيرة فاذا الخادم له قد أقبل ومعه أصحاب له ولو علمت ان البستان بخادم ما نظرته فقعد في مجلسه ثم قال يا ناطور يا فاجبته فقال اذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه فأتيته برمان فكسر الخادم واحدة فوجدها حامضة فقال يا ناطور يا أنت منذ كذا وكذا في بستاننا تأكل من فاكهتنا ورماننا ولا تعرف الحلو من الحامض فقلت والله ما أكلت من فاكهتكم شيأ ولا أعرف الحلو من الحامض قال فغمز الخادم أصحابه وقال ألا تعجبون من هذا ثم قال لي لو كنت ابراهيم بن أدهم ما كنت بهذه الصفة قال ثم تحدث الناس بذلك وجاؤا الى البستان فلما رأيت كثرة الناس اختفيت والناس داخلون وأنا هارب منهم ثم وكان يأكل من كسب يده وكان يحصد ويحفظ البساتين ويعمل في الطين فبينما هو يوما يحرس كرما اذ مر به جندي فقال أعطنا من هذا العنب فقال له ان صاحبه لم يأذن لي فضربه بالسوط فطأطأ رأسه وقال اضرب رأسا طالما عصى الله يا سيدي الجندي فاستحى الرجل وتركه ومضى وروى ان داود عليه السلام بينما هو يسيح في الجبال اذ مر على غار فيه رجل عظيم الخلقة من بني آدم ملقى على ظهره وعند رأسه حجر مخفور مكتوب فيه أنا دوسم الملك تملكت ألف عام وفتحت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وافتضيت ألف بكر من بنات الملوك ثم صرت الى ماترى التراب فراشي والحجر وسادي فمن رآني فلا تغره الدنيا كما غرتني وقال وهب بن منبه خرج عيسى عليه السلام ذات يوم مع أصحابه فلما ارتفع النهار مروا بزرع قد أفرك فقالوا يا نبي الله انا جياع فاوحى الله تعالى اليه ان ائذن لهم في قوتهم فأذن لهم فتفرقوا في الزرع يفركون ويأكلون فبينما هم كذلك اذ جاء صاحب الزرع يقول زرعي وأرضي ورثتها من أبي وجدي فباذن من تأكلون يا هؤلاء قال فدعا عيسى ربه أن يبعث جميع من ملكها من لدن آدم الى تلك الساعة فاذا عند كل سنبلة ماشاء الله من رجل وامرأة يقولون أرضنا ورثناها عن آبائنا واجدادنا ففر الرجل منهم وكان قد بلغه أمر عيسى ولكن لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة اليك يا نبي الله اني لم أعرفك زرعي ومالي حلال لك فبكى عيسى عليه السلام وقال ويحك هؤلاء كلهم ورثوها وعمروها ثم ارتحلوا عنها وأنت مرتحل عنها ولاحق بهم ليس لك أرض ولا مال ولما مات اسكندر قال ارسطاطاليس أيها الملك لقد حركتنا بسكونك وقال بعض الحكماء من أصحابه لقد كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس أخذه أبو العتاهية فقال

كفى حزنا بدفنك ثم اني * نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وقال عبد الله بن المعتز

نسير الى الآجال في كل ساعة * فأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أر مثل الموت حقا كأنه * اذا ما تخطته الأماني باطل
وما أقبح التفريط في زمن الصبا * فكيف به والشيب في الرأس شاعل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى * فعمرك أيام تعد قلائل

وقال عبد الله بن المعلم خرجنا من المدينة حجاجا فاذا أنا برجل من بني هاشم من بني العباس بن عبد المطلب قد رفض الدنيا واقبل على الآخرة فجمعتني واياه الطريق فانست به وقلت له هل لك أن تعادلني فان معي فضلا من راحلتي فجزاني خيرا وقال لو أردت هذا لكان سهلا ثم أنس الي فجعل يحدثني فقال أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد ونعمة طائلة ومال كثير وبذخ زائد فأمرت يوما خادما لي أن يحشو لي فراشا من حرير ومخدة بورد نثير ففعل فاني لنائم اذا بقمع وردة قد نسيه الخادم فقمت اليه فأوجعته ضربا ثم عدت الى مضجعي بعد اخراج القمع من المخدة فأتاني آت في منامي في صورة فظيعة فهزني وقال أفق من غشيتك وانتبه من رقدتك ثم أنشأ يقول

يا خل انك ان توسد لينا * وسدت بعد اليوم صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به * فلتندمن غدا اذا لم تفعل

فانتبهت مرعوبا وخرجت من ساعتي هاربا الى ربي كما تراني ثم أنشأ يقول

من كان يعلم أن الموت يدركه * والقبر مسكنه والبعث يخرجه
وانه بين جنات مزخرفة * يوم القيامة أو نار ستنضجه
فكل شئ سوى التقوى به سمج * ومن أقام عليه منه اسمجه
ترى الذي اتخذ الدنيا له وطنا * لم يدر ان المنايا سوف تزعجه

قال وهب بن منبه أصبت على قصر غمدان وهو قصر سيف بن ذي يزن بأرض صنعاء اليمن وكان من الملوك الاجلة مكتوبا بالقلم المسندي فترجم بالعربي فاذا هي ابيات جليلة وموعظة عظيمة جيلة وهي هذه الابيات

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم * غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا من أعالي عز معقلهم * فأسكنوا حفرة يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا * أين الاسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت محجبة * وكان من دونها الاستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهرا وما شربوا * فاصبحوا بعد ذاك الاكل قد أكلوا

وروى ان عيسى عليه السلام كان معه صاحب في بعض سياحاته فاصابهما الجوع وقد انتهيا الى قرية فقال عيسى عليه السلام لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية وأعطاه ما يشتري به فذهب الرجل وقام عيسى عليه السلام يصلي فجاء الرجل بثلاثة أرغفة فقعد ينتظر انصراف عيسى من الصلاة فأبطأ عليه فاكل رغيفا وكان عيسى عليه السلام رآه حين جاء ورأى الارغفة ثلاثة فلما انصرف من صلاته لم يجد الا رغيفين فقال له أين الرغيف الثالث فقال الرجل ما كانا الا رغيفين فأكلاهما ثم مرا على وجوههما حتى أتيا على ظباء ترعى فدعا عيسى عليه السلام واحدا منها فجاءه فذكاه وأكلا منه فقال له عيسى بالذي أراك هذه الآية من أكل الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين ثم مرا على وجوههما حتى جاء قرية فدعا عيسى ربه أن ينطق له من يخبره عن حال هذه القرية فأنطق الله لبنة فسألها

عيسى فأخبرته بكل ما أراد وصاحبه يتعجب مما رأى فقال له عيسى بحق من أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين فمرا على وجوههما حتى انتهيا الى نهر عجاج فأخذ عيسى صلوات الله عليه بيد الرجل ومشى به على الماء حتى جاوز النهر فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين فمرا على وجوههما حتى أتيا قرية عظيمة خربة واذا قريب منها ثلاث لبنات عظام وقيل ثلاثة أكوام من الرمل فقال لها كونى ذهبا باذن الله فكانت فلما رآها الرجل قال هذا مال فقال عيسى نعم واحدة لى وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث فقال الرجل أنا صاحب الرغيف الثالث فقال عيسى عليه السلام هى لك كلها ثم فارقه عيسى وأقام الرجل ليس معه ما يحملها عليه فمر به ثلاثة نفر فقتلوه فقال اثنان منهما للثالث انطلق الى القرية فأتنا بطعام فانطلق فلما غاب قال أحدهما للآخر اذا جاء قتلناه واقتسمنا المال بيننا فقال الآخر نعم وأما الذى ذهب ليشترى الطعام فانه أضمر لصاحبيه السوء وقال اجعل لهما فى الطعام سما فاذا أكلاه ماتا وآخذ المال لنفسى فوضع السم فى الطعام وجاء فقاما اليه فقتلاه وأكلا الطعام فماتا فمر بهم عيسى عليه السلام وهم مصروعون حولها فقال هكذا الدنيا تفعل بأهلها وقال الهيثم بن عدى وجد غار فى جبل لبنان زمن الوليد بن عبد الملك وفيه رجل مسجى على سرير من الذهب وعند رأسه لوح من الذهب أيضا مكتوب فيه بالرومية انا سبا بن نواس خدمت عيص بن اسحق بن ابراهيم خليل الرب الاكبر وعشت بعده دهرا طويلا ورأيت عجبا كثيرا ولم أر فيما رأيت أعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع آبائه ويقف على قبور أحبائه ويعلم أنه صائر اليهم ثم لا يتوب وقد علمت ان الاجلاف الجفاة يستنزلونى عن سريرى ويتولونه وذلك حين يتغير الزمان ويكثر الهذيان ويترأس الصبيان فمن أدرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا وعن عمرو بن ميمون انه قال افتتحنا مدينة بفارس فدللنا على مغارة فيها بيت فيه سرير من الذهب عليه رجل عند رأسه لوح مكتوب فيه أنا بهرام ملك فارس كنت أعتاهم بطشا وأقساهم قلبا وأطولهم أملا وأحرصهم على الدنيا قد ملكت البلاد وقتلت الملوك وهزمت الجيوش وأذللت الجبابرة وجمعت من الاموال ما لم يجمعه أحد قبلى ولم استطع ان أفتدى به من الموت اذ نزل بى ويروى فى الاسرائيليات ان عيسى عليه السلام بينا هو فى سياحته اذ مر بجمجمة نخرة فسأل الله فى أن تتكلم فأنطقها الله له فقالت يا نبى الله أنا بلوان بن حفص ملك اليمن عشت ألف سنة ورزقت ألف ولد وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش وفتحت ألف مدينة فما كان كل ذلك الا كحلم النائم فمن سمع قصتى فلا يغتر بالدنيا فبكى عيسى عليه السلام بكاء شديدا حتى غشى عليه ووجد مكتوب على قصر قد خربت أركانه وبادت أهله وأظلمت نواحيه هذه الابيات

هذى منازل أقوام عهدتهم * يوفون بالعهد مذ كانوا وبالذمم
تبكى عليهم ديار كان يطربها * ترنم المجد بين الجود والكرم

وقال فى المعنى

بالله ربك كم قصر مررت به * قد كان أعمر باللذات والطرب
نادى غراب المنايا فى جوانبه * وصاح من بعده بالويل والحرب

وفيه

أيها الرافع البناء رويدا * لا يرد المنون عنك البناء

(وحكى) ان رجلين تنازعا فى أرض فأنطق الله تعالى لبنة من جدار تلك الارض فقالت انى كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا ألف سنة ثم صرت رميما ألف سنة ثم أخذنى خزاف وعملنى اناء فاستعملت ألف سنة حتى تكسرت وصرت ترابا فأخذنى طواب وعملنى لبنا وأنا فى هذا الجدار كذا كذا سنة فلم تتنازعان فى هذه الارض وأنتم عنها زائلون والى غيرها منقلبون والله أعلم وروى أن ملكا بنى قصرا وقال انظروا ان كان فيه عيب فاصلحوه فقال رجل أرى فيه عيبين فقالوا له وما هما قال يموت الملك ويخرب القصر قال صدقت ثم أقبل على الله وترك القصر والدنيا وقيل سئل الخضر عليه السلام عن أعجب شئ رآه فى الدنيا مع طول سياحته وقطعه للقفار والفلوات فقال أعجب شئ رأيته انى مررت بمدينة لم أر على وجه الارض أحسن منها فسألت بعض أهلها متى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا متى بنيت ومازالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها خمسمائة سنة ومررت بها فاذا هى خاوية على عروشها ولم أر أحدا أسأله واذا رعاة غنم فدنوت منهم فقلت أين المدينة التى ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا مدينة ثم غبت خمسمائة سنة ومررت بها واذا موضع تلك المدينة بحر واذا غواصون يخرجون منه شبه الحلية فقلت للغواصين منذ كم هذا البحر ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا ان هذا البحر من عهد الطوفان فغبت خمسمائة سنة وجئت فاذا البحر قد غاض ماؤه واذا مكانه غيضة وصيادون يصيدون فيها السمك فى زوارق صغار فقلت لبعضهم أين البحر الذى كان ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا بحر فغبت خمسمائة عام ثم جئت الى ذلك فاذا هو مدينة على الحالة الاولى والحصون والقصور والاسواق قائمة فقلت لبعضهم أين الغيضة التى كانت ههنا ومتى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الأن هذه المدينة على حالها من عهد الطوفان فغبت عنها نحو خمسمائة سنة ثم أتيت اليها فاذا عاليها سافلها وهى تدخن بدخان شديد فلم أر أحدا أسأله ثم أتيت راعيا فسألته أين المدينة قال سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الأن هذا المكان هكذا منذ كان فهذا أعجب شئ رأيته فى سياحتى فسبحان مبيد العباد ومفنى البلاد ووارث الارض ومن عليها وباعث من خلق منها بعد رده اليها ولبعضهم

قف بالديار فهذه آثارهم * تبكى الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها أسائل أهلها * عن حالها مترحما أو مشفقا

فأجابني داعي الهوى في رسمها * فارقب من تهوى وعز الملتقى

ولبعضهم

أيها الربع الذي قد دثرا * كان عينا ثم أضحى أثرا

أين سكانك ماذا فعلوا * خبرن عنهم سقيت المطرا

فالقد نادى منادى دارهم * رحلوا واستودعوني عبرا

وقال عيسى عليه السلام أوحى الله الى الدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه يادنيا مرّى على أوليائي ولا تحلى لهم فتفتنيهم وقال بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبها شربا ازداد عطشا أو كالكأس من عسل وفي أسفله سم فللذائق منه حلاوة عاجلة وفي أسفله الموت أو كحلم النائم يفرح في منامه فاذا استيقظ زال فرحه أو كالبرق يضيء قليلا ثم يذهب ولما بنى المأمون قصره الذي ضرب به المثل نام فيه فسمع قائلا يقول

أتبني بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها ان عقلت قليل

لقد كان في ظل الاراك كفاية * لمن كل يوم يقتضيه رحيل

قال فلم يلبث بعدها الا قليلا ومات وقال

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

ووجد مكتوبا على قصر باد أهله

هذى منازل أقوام عهدتهم * في خفض عيش نفيس ماله خطر

صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا * الى القبور فلا عين ولا أثر

ولو قيل للدنيا صفي نفسك ما عدت ما وصفها به أبو نواس بقوله

وما الناس الا هالك وابن هالك * وذو نسب في الهالكين عريق

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

وروى ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما رجع من صفين ودخل أوائل الكوفة رأى قبرا فقال قبر من هذا فقالوا قبر خباب بن الارت فوقف عليه وقال رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلى في جسمه آخرا ألا وان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ثم مشى فاذا هو بقبور فجاء حتى وقف عليها وقال السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل ليوم الحساب وقنع بالكفاف ورضى عن الله تعالى ثم قال يا أهل القبور أما الازواج فقد نكحت وأما الديار فقد سكنت وأما الاموال فقد قسمت وهذا ما عندنا فما عندكم ثم التفت الى أصحابه وقال أما انهم لو تكلموا لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى والله أعلم

الباب الرابع والثمانون فيما جاء في فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخر

الابواب وبه يختم الكتاب ولنذكر أربعين حديثا فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

(الحديث الاول) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلت عليه الملائكة ومن صلت عليه الملائكة صلى الله عليه ومن صلى الله عليه لم يبق شئ فى السموات ولا فى الارض الا صلى عليه

(الحديث الثانى) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلاة واحدة أمر الله حافظيه أن لا يكتبا عليه ذنبا ثلاثة أيام

(الحديث الثالث) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة خلق الله من قوله ملكا له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب رأسه وعنقه تحت العرش وهو يقول اللهم صل على عبدك مادام يصلى على نبيك

(الحديث الرابع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا ومن صلى على عشرا صلى الله عليه بها مائة ومن صلى على مائة صلى الله عليه بها ألفا ومن صلى على ألفا لم يعذبه الله بالنار

(الحديث الخامس) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيآت ورفع له عشر درجات

(الحديث السادس) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل يوما وقال يا محمد جئتك ببشارة لم آت بها أحدا قبلك وهى ان الله تعالى يقول لك من صلى عليك من أمتك ثلاث مرات غفر الله له ان كان قائما قبل أن يقعد وان كان قاعدا غفر له قبل أن يقوم فعند ذلك خر ساجدا لله شاكرا

(الحديث السابع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على فى صباح عشرا محيت عنه ذنوب أربعين سنة

(الحديث الثامن) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة غفر الله له خطيئة ثمانين سنة

(الحديث التاسع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة ووكل الله به ملكا حين يدفن فى قبره يبشره كما يدخل أحدكم على أخيه بالهدية

(الحديث العاشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على فى يوم مائة مرة قضيت له فى ذلك اليوم مائة حاجة

(الحديث الحادى عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقربكم منى مجلسا أكثركم على صلاة

(الحديث الثانى عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ألف مرة بشر بالجنة

قبل

قبل موته
(الحديث الثالث عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءني جبريل عليه السلام وقال لي يا رسول الله لا يصلي عليك أحد إلا ويصلي عليه سبعون ألفا من الملائكة
(الحديث الرابع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء بعد الصلاة علي لا يرد
(الحديث الخامس عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة علي نور على الصراط وقال عليه الصلاة والسلام لا يلج النار من يصلي علي
(الحديث السادس عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جعل عبادته الصلاة علي قضى الله له حاجة الدنيا والآخرة
(الحديث السابع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي الصلاة علي أخطأ طريق الجنة
(الحديث الثامن عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة في الهواء بأيديهم قراطيس من نور لا يكتبون الا الصلاة علي وعلى أهل بيتي
(الحديث التاسع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن عبدا جاء يوم القيامة بحسنات أهل الدنيا ولم يكن فيها الصلاة علي ردت عليه ولم تقبل منه
(الحديث العشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بي أكثرهم علي صلاة
(الحديث الحادي والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تصلي عليه ما لم يندرس اسمي من ذلك الكتاب
(الحديث الثاني والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني الصلاة علي من أمتي فاستغفر لهم
(الحديث الثالث والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي كنت شفيعه يوم القيامة ومن لم يصل علي فأنا بريء منه
(الحديث الرابع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر بقوم الى الجنة فيخطئون الطريق قالوا يا رسول الله ولم ذاك قال سمعوا اسمي ولم يصلوا علي
(الحديث الخامس والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر برجل الى النار فأقول ردوه الى الميزان فاضع له شيأ كالانملة معي في ميزانه وهو الصلاة علي فترجح ميزانه وينادى سعد فلان
(الحديث السادس والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم في مجلس ولم يصل علي فيه الا تفرقوا كقوم تفرقوا عن ميت ولم يغسلوه
(الحديث السابع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وكل بقبري ملكا أعطاه أسماء الخلائق كلها فلا يصلي علي أحد الى يوم القيامة الا بلغني اسمه وقال يا رسول الله ان فلان بن فلانة صلى عليك

(الحديث الثامن والعشرون) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أمحى للذنوب من الماء لسواد اللوح

(الحديث التاسع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام ان أردت أن أكون اليك أقرب من كلامك الى لسانك ومن روحك لجسدك فأكثر الصلاة على النبي الامي صلى الله عليه وسلم

(الحديث الثلاثون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ملكا أمره الله تعالى باقتلاع مدينة غضب عليها فرحمها ذلك الملك ولم يبادر الى اقتلاعها فغضب الله عليه وكسر أجنحته فمر به جبريل عليه السلام فشكا له حاله فسأل الله فيه فأمره أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فصلى عليه فغفر الله له ورد عليه أجنحته ببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

(الحديث الحادي والثلاثون) عن عائشة رضي الله عنها قالت من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مرات وصلى ركعتين ودعا الله تعالى تقبل صلاته وتقضى حاجته ودعاؤه مقبول غير مردود

(الحديث الثاني والثلاثون) عن زيد بن حارثة قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عليه فقال صلى الله عليه وسلم صلوا علي واجتهدوا في الدعاء وقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

(الحديث الثالث والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا علي فان صلاتكم علي زكاة لكم واسألوا الله لي الوسيلة

(الحديث الرابع والثلاثون) عن سهل بن سعد الساعدي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يصل على نبيه صلى الله عليه وسلم

(الحديث الخامس والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي

(الحديث السادس والثلاثون) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال جزى الله عنا محمدا خيرا وجزى الله نبينا محمدا بما هو أهله فقد أتعب كاتبيه

(الحديث السابع والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم

(الحديث الثامن والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يصلي علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه

(الحديث التاسع والثلاثون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقربكم مني منزلا يوم القيامة أكثركم علي صلاة

(الحديث الاربعون) نقل الشيخ كمال الدين الدميري رحمه الله تعالى عن شفاء الصدور لابن سبع ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يلقى الله وهو عليه راض فليكثر من الصلاة علىّ فانه من صلى علىّ في كل يوم خمسمائة مرة لم يفتقر أبدا وهدمت ذنوبه ومحيت خطاياه ودام سروره واستجيب دعاؤه وأعطى أمله وأعين على عدوه وعلى أسباب الخير وكان ممن يرافق نبيه في الجنان اللهم صل على سيد المرسلين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين الذى أنزل عليه في محكم الكتاب العزيز تعظيما له وتوقيرا يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فهذا خطاب خاص الخاص ولم يخاطب الله أحدا من المرسلين ولا من الانبياء ولا رسولا بالرسالة الا سيد خلقه محمدا صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى نادى أبا البشر يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ويا نوح اهبط بسلام منا ويا ابراهيم أعرض عن هذا ويا داود انا جعلناك خليفة في الارض ويا عيسى اذكر نعمتى وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك يا أيها الرسول لا يحزنك يا أيها النبى حسبك الله يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين يا أيها النبى اذا طلقتم النساء يا أيها النبى لم تحرم يا أيها النبى اتق الله يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وما ناداه باسمه يا محمد كغيره الا فى أربع مواضع اقتضت الحكمة ان يذكرها باسمه محمد صلى الله عليه وسلم الاول قوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل لان سبب انزالها ان الشيطان صاح يوم أحد قد قتل محمد وكان ما كان فأنزل الله تعالى هذه الآية ولو قال وما رسولى لقال الاعداء ليس هو محمد فذكره باسمه لانهم ما كانوا ينكرون ان اسمه محمد الثانى قوله عز وجل ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين الثالث قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد فلو قال وآمنوا بما نزل على رسولى لقال الاعداء ليس هو فعرفه باسمه محمد صلى الله عليه وسلم الرابع قوله عز وجل محمد رسول الله والحكمة فى ذكره هنا باسمه أنه سبحانه وتعالى قال قبلها هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فكان من الاعداء من يقول من هو رسوله الذى أرسله فعرفه باسمه فقال محمد رسول الله وسماه تعالى باسمه أحمد فى موضع واحد وله حكمة وهى ان الله تعالى لما أرسل عيسى بن مريم عليه السلام قال لقومه من بنى اسرائيل يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة التى أنزلت على موسى ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد لانهم كانوا يعرفونه فى التوراة أحمد فما ناداه سبحانه وتعالى باسمه محمد ولا أحمد وانما ذكر ذلك اعلاما به وتعريفا له وما ناداه الا بالنبوة والرسالة فقال يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا أى شاهدا بالايمان للمؤمنين ومبشرا لاهل التمجيد ونذيرا لاهل التجحيد وقيل شاهدا لاهل القرآن ومبشرا لهم بالغفران ونذيرا لاهل الكفر والعصيان وقيل

شاهدا لامتك ومبشرا بشفاعتك ونذيرا لمن ارتكب مخالفتك وقيل شاهدا بالمنة ومبشرا بالجنة وقوله وداعيا الى الله باذنه أى يدعو الناس بأمر الله تعالى الى لا اله الا الله قال تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه داعيا فقال أنا الداعى الى الله وقوله تعالى وسراجا منيرا أى يهتدى به كما يهتدى بالسراج فى ظلمة الليل فان قلت ما الحكمة فى قوله تعالى وسراجا منيرا ولم يقل قمرا منيرا فالجواب عن ذلك ان السراج أتم من القمر لان المراد بالسراج هنا الشمس قال تعالى وجعل الشمس سراجا والشمس أعم نفعا ونورا من القمر وقيل المراد بقوله تعالى وسراجا منيرا السراج الذى يقتبس منه لان القمر لا تصل اليه الايدى حتى يقتبسون منه والسراج اذا كان فى بلد علا ذلك البلد نورا لان كل من جاء يقتبس منه والقمر ليس كذلك ولهذا كانت الدنيا قبل ولادته صلى الله عليه وسلم ظلاما فلما ولد ظهر سراج دينه بمكة فكان أول من اقتبس من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الشباب على ومن الموالى زيد ومن العبيد بلال رضى الله عنهم أجمعين وجاء سلمان من أرض فارس فاقتبس وصهيب من الروم وبلال من الحبشة ووفد الوفود واقتبسوا وأبو لهب الى جانب البيت ولم يقتبس واقتبس الناس من مشارق الارض ومغاربها حتى امتلأت الارض من نور سراجه فهو صلى الله عليه وسلم أعظم الانبياء وأكرم المرسلين وسيد الخلق أجمعين لم يخلق الله أحسن

ولا أجمل ولا أكمل ولا أفضل ولا أفصح ولا أرجح ولا أسمح ولا أصبح ولا أجل

ولا أعظم ولا أسخى ولا أكرم ولا أبهى ولا أنصف ولا أعدل منه صلى الله

عليه وسلم فلو أن البحار مداد والنبات أقلام وجميع الخلق تكتب معجزاته

صلى الله عليه وسلم لعجزوا عن وصف نزر النزر من معجزاته صلى الله

عليه وسلم اللهم اجعلنا من خالص أمته واحشرنا فى زمرته

وأمتنا على محبته ولا تخالف بنا عن ملته ولا عما

جاء به برحمتك يا أرحم الراحمين آمين وصلى

الله على سيدنا محمد النبى الامى

عدد ما ذكره الذاكرون

وغفل عن ذكره

الغافلون

بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمد المالك الحميد المجيد على نعمائه والشكر لمولانا المبدئ المعيد على آلائه يقول راجي شفاعة نبيه الخاتم ابراهيم الدسوقي الملقب بعبد الغفار تم طبع كتاب المستطرف على وجه أتم وأتقن وألطف وهذه الطبعة الثالثة البهية أحسن من سابقتيها بالكلية لما احتوت عليه من الاتقان الفائق ولطافة الشكل المستحسن الرائق بدار الطباعة السنية الزاهرة البهية المشمولة بنظر صاحب الهمة الفائقة والفطنة المتوقدة الوائقة المجد في منافع أوطانه الشاهد له جده برفعة شأنه من عليه لسان الصدق يثني حضرة مديرها حسين بك حسني وفاء بعبودية صاحب السعادة ومركز مدار فلك السيادة خامس الدولة المحمدية العلوية ومعيد ما اندرس من المعارف المصرية من تفاخرت الاقطار بعبدالته وبلغ من كل وصف جميل حد نهايته رافع شان دولته الميمونة بمساعيه التي هي بكواكب السعد مقرونة من تحلت به مراتب الخديوية وتجلت به دراري الداورية وارث الملوك الاماجيد وسلالة السراة الصناديد الجامع بين طارف المجد وتالده والمسند أحاديث الخديوية عن جده ووالده عزيز الديار المصرية وحامي حوزتها البهية ومجمل أقطارها بعدله الجلي جناب اسمعيل بن ابراهيم ابن محمد على يسر الله توفيقه للخيرات وحفه في ناديه بجميع المسرات وحفظه وأنجاله الكرام وحرس الجميع بعينه التي لا تنام هذا ولما تهيأ هذا الكتاب للتمام وتضوع منه مسك الختام بادره بالتقريظ أدهم البراعة في ميدان الابداع والبراعة فقال مؤرخا تمام طبعه مثنيا على لطافة وضعه

ما غادة وجدي بها لا ينطفي * حجبت بأبيض باتر ومثقف
حسناء واضحة المحيا ان بدت * لموفق أومى الى البدر اختفى
زارت وأعين عذلي فيها غفت * ورقيبها قد بات في لهو خفي
زارت بليل والنجوم زواهر * فشفت بزورتها فؤاد المدنف
أخذت تشنف مسمعي بحديثها * وتعيد لي منه سلاف القرقف
بألذ من سفر يروقك ما حوى * من كل فن رائق مستظرف
أحلى وأعلى ثم أغلى قيمة * من كل سفر في الفنون مصنف
جاد الزمان بطبعه أخرى وقد * كادت منافع نشره أن تختفي
في دارة لمديرها همم بها * فلك السرور يدور لا بتوقف
في ظل من لو أمكنت من نظمها * عقدا لمدحته الدراري لم تف
الداوري ابن الداوري * وخديو مصر معزها بالمشرفي
الله يحفظه ويحفظ آله * لا سيما توفيقه الشهم الوفي
سفر اذا ما همت فيه صبابة * قال الملاحة لي وكل الحسن في
هذا ولما أن تكامل طبعه * وغدا يروق بحسنه المستلطف

[illegible] وقف البراع به بقول مؤرخنا * تم [illegible] المستطرف

٨٠ [illegible] ٧ [illegible] ٤٤٠

سنة ١٢٨٥

وكان تمام طبعه [illegible] وضعه في سلك

المثال في اواسط شهر الحجة من التاريخ السابق

من الهجرة المبعوث الى كافة الخلائق

صلى الله وسلم عليه وعلى آله

وكل ناسج على

منواله

